شواهد القرآن

تأليف
أبي تراب الظاهري

الجزء الأول

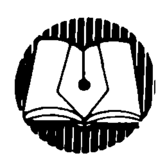
الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م

شواهد القرآن

تأليف

أبي تراب الظاهري

الجزء الأول



النادي الأدبي الثقافي
جدة - المملكة العربية السعودية

١٤

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

النادي الأدبي الثقافي
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب : ٥٩١٩   ت : ٦٥٣٣٩٧٢

المقدمة

قال ابو تراب : بسم الله نبدأ حامدين ، مصلّين .

أما بعد .. فانّ من أنواع علوم القرآن المجيد معرفة الغريب ، وقد أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون ، منهم ابو عُبيدة صاحب المجاز ، وابو عُمر الزاهد صاحب الياقوتة وابن دُريد ولم يكمل كتابه والهروى صاحب الغريبين ومن أشهر تلك المصنّفات كتاب العزيزى غريب القرآن ، فقد أقام فى تأليفه خمس عشرة سنة يحرّره هو وشيخه ابو بكر الأنبارى كما قال السيوطى .

ومن أحسنها ايضاً المفردات للراغب ، ولابى حيّان فى ذلك تأليف مختصر مطبوع ببغداد ، ولأبى المعالى ابن السمين البغدادى ايضاً مفردات القرآن وهو أجود الكتب .

قال ابن الصلاح : وحيث رأيت فى كتب التفسير : « قال أهل المعانى » فالمراد به مصنّفو الكتب فى معنى القرآن كالزَجّاج ، والفرّاء والأَخْفَش وابن الأنبارى .

قال ابو تراب : وقد ألف فيه أبان بن تغلب ، والكلبى ، وابو فيد ، والكسائى وابن شميل وقطرب ، وابن سلام وابن قتيبة وابن كامل والكفرطابى والتركمانى والخزرجى والعراقى وابن الجوزى والرازى وكتاب أبان عُنى فيه بالشواهد ولم أطلع عليه أفادنيه صديقى المحدث السيد احمد صقر (وانظر كشف الظنون ج ٢ ص ١٢٠٧) .

وقد ألف فى معانى القرآن وغريبه ابن كيسان ، ونفطويه ، واليزيدى ، والطبرى ، والعروضى ، والاحول ، والبلخى ، والرؤاسى ، وابن حبيب ، والمبرد ،

وابن سلمة ، وابن الانبارى ، وخلف ، وثعلب ، وابو المنهال ، وابن درستويه ، وابن أشته ، وابن الجراح ..

وألف فى لغاته الأصمعى ، وابو زيد ، والفراء ، والهيثم ، والقطيعى ، وابن دريد ، وبعض هذه الكتب مفقود ، وبعضها مخطوط ، وبعضها مطبوع وقد اطلعنا على اكثر الموجود منها فى الخزانات ، وقد ذكرها النديم فى الفهرست (ص٥٢)

قال السيوطى فى الاتقان ج ١ ص ١٩٥ : وينبغى الاعتناء بهذا العلم ، فقد أخرج البيهقى من حديث أبى هريرة مرفوعاً : أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه .

قال ابوتراب : رواه البيهقى فى الشعب .

ومن حديث ابن عمر مرفوعاً : من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات .

قال ابو تراب : رواه ابو بكر الانبارى وأورده القرطبى فى التذكار ص ٨٤ وثمة فى الباب عن عمر وعائشة مرفوعاً ولسنا هنا بسبيل تخريج هذه الأحاديث ولاحال بيان أسانيدها .

قال : والمراد باعرابه معرفة معانى ألفاظه ، وليس المراد به الاعراب المصطلح عليه عند النُحاة ، وهو ما يقابل اللحنَ ، لأن القراءة مع فَقْدِه ليست قراءةً ولا ثوابَ فيها .

وعلى الخائض فى ذلك التثبّت ، والرجوع الى كتب أهل الفن ، وعدم الخوض بالظن ، فهذه الصحابة ـ وهم العرب العرباء ، وأصحاب اللغة الفصحى ، ومن نزل القرآن عليهم ، وبلغتهم ـ توقّفوا فى ألفاظ لم يعرفوا معناها ، فلم يقولوا فيها شيئا .

وقد قال ابو بكر الصديق حين سئل عن قوله تعالى : « وفاكهةً وأبًّا » : أى

سماء تُظِلُّنى ، وأى أرض تُقِلُّنى إن أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم . وفى ذلك رواية عن عمر بن الخطاب ايضاً وأخرجها ابو عبيد فى الفضائل .

وعن ابن عباس قال : كنت لا أدرى ما : « فاطر السموات » حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها ـ يعنى ابتدأتها ـ وفى الباب عن ابن عباس فى « حنانا » و « غسلين » و « لأواه » و « الرقيم » و « افتح » ليس هذا موضع ذكرها .

قال الزركشى فى البرهان ج ١ ص ٢٩١ : ويحتاج الكاشف عن ذلك الى معرفة علم اللغة اسماءً وأفعالاً وحروفاً ، فالحروف لقلّتها تكلم النحاة على معانيها ، فيؤخذ ذلك من كتبهم ، وأمّا الاسماء والأفعال فتؤخذ من كتب علم اللغة وأكبرها كتاب ابن سيّد صاحب العالم فى مئة سفر ومنها التهذيب للأزهرى والموعب لابن التيّانى والمُحْكَم لابن سِيْدَةْ ، والجامع للقزّاز ، والصِحاح للجوهرى ، والبارع للقالى صاحب الأمالى ومجمع البحرين للصاغانى ، ومن الموضوعات فى الأفعال كتاب ابن القُوطِيَّة وابن طَريف ، والسَرَقُسْطى ، ومن أجمعها كتاب ابن القطّاع وهو تهذيب الأفعال ، وينبغى العناية بتدبير الألفاظ كى لا يقع الخطأ كما وقع لجماعة من الكبار ، ثم ضرب الزركشى أمثلة لذلك وقال : هذا الباب عظيم الخطر ومن هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن وتركوا القول فيه حذراً ان يزلوا فيذهبوا عن المراد ؛ وكان الأصمعى وهو امام اللغة لا يفسر شيئا من غريب القرآن .

قال ابو تراب : ومن أعظم معاجم اللغة كتاب العين والجمهرة والمخصص واللسان ومنها كتاب الفارابى والجيم للشيبانى ونوادر أبى زيد وابى مسحل وغيرها .

قال السيوطى فى الاتقان : وأولى ما يرجع اليه فى ذلك ماثبت عن ابن

عباس وأصحابه الآخذين عنه فانه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة .

قال ابوتراب : وأصح الطرق عنه طريق ابن أبى طلحة خاصةً ، وعليها اعتمد البخارى فى صحيحه مرتبا على السور ، وذكرها ابن جرير فى تفسيره الام .

والغرض من هذا الكتاب الموسوم بشواهد القرآن ذكر شواهد الشعر العربى لمعانى كتاب الله العزيز ، نتتبع فيه الألفاظ والتعبيرات القرآنية التى نطق بها العرب لأنه نزل بلغتها ولسانها ، ففى محاوراتها تفسير ألفاظ التنزيل المجيد ، والشعر العربى حافظ لكلام العرب ، فاليه يُلجأ فى كل ما أشْكل من اللغة .

قال ابن الانبارى : وقد جاء عن الصحابة والتابعينَ كثيراً الاحتجاجُ على غريب القرآن ومُشْكِله بالشعر ، وأنكر جماعة لاعِلْمَ لهم على النحويـين ذلك ، وقالوا : اذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن ، وكيف يجوز ان يحْتج بالشعر على القرآن ، وهو مذموم فى القرآن والحديث .

وليس الأمر كما زعموه من أنّا جعلنا الشعر أصلا للقرآن ، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر الذى هو من لغته ، لأن الله تعالى قال : (انّا جعلناه قرآناً عربياً) وقال : (بلسان عربَى مبين) .

وقال ابن عباس : الشعر ديوان العرب ، فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا الى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه . وقال ايضاً : اذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب .

وقال ابو عُبيد فى فضائله : انه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر ـ يعنى كان يستشهد به للتفسير .

قال ابو تراب : وغرضنا هنا بيان العناية بالشعر العربى ، لأن فيه أسرار العربية ، ومن كان فى بحرها غوّاصة كان لتفهم كلام الله والرسول ﷺ درّاكة ، ومن ثَمَّ عُنينا بتتبع شواهد الشعر مما يتعلق بالقرآن المجيد من بطون الدياوين ، والمعاجم والتفاسير ، ومتناثر كتب العربية وماليس مظانَّ للبحث وبالله نتأيد .

قال ابو تراب : ومما يعضد مسلكنا ما ذكره القرطبى (ج ١٠ ص ١١٠) وغيره من أن عمر بن الخطاب خطب يوماً على المنبر فقرأ قوله تعالى : « أو **يأخذَهم على تخوُّف** » فقال : أوتدرون ما معنى التخوف هنا ؟ فقام شيخ من هُذيل كان جالسا فى أخريات الناس فقال : التخوف التنقص ـ أى يأخذهم على تنقص من أبدانهم وأموالهم ، فقال عمر : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم قال شاعرنا ابو كبير الهُذَلى :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تامِكاً قَرِداً   كما تَخَوَّفَ عودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

فقال عمر : عليكم بديوان العرب ، قالوا : وما ديوانها ؟ قال : شعرها فان فيه معانى كتاب الله الذى نزل بلغتها .

قال أبو تراب : وليس من هذا الباب تأديب عمر بن الخطاب ضُبيعاً الذى ذكر قصته الشاطبى فى الموافقات (ج ١ ص ٥٠) حين سأل عن « والمرسلات عُرفاً والسابحات سبحاً » لأنه كان يشوش على العامة بكثرة السؤال عن اشياء لايتعلق بها عمل ولذلك ضربه ، وقد كان الصحابة يتوقفون عن الكلام بالرأى فى القرآن ، ولذلك اعتبروا الخوض فى معنى الأبّ تكلُّفاً ، داخلاً فى القَفْو المنهى عنه ، « ولاَتقْفُ ماليس لك به علم » ولأن عدم العلم بالمعنى الافرادى لايقدح هنا فى المعنى التركيبى إذْ هو مفهوم من حيث أخبر الله ، فى شأن الطعام بأصنافه ، وليس عليه أن يعرف تفصيل ذلك فى كل فرد من تلك الأصناف ، أمَّا لما تَوقَّف **فهْم** المعنى التركيبى على البحث عن المعنى الافرادى فى اللفظ المعيَّن

فلم يَعُدَّه عمر بن الخطاب تكلُّفاً ، ولا من القَفْو المنهى عنه بل سأل الناس على المنبر عن معنى « التخوف » فلما أخبره الرجل الهذلىّ صاح عمر : يا أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم ، فان فيه تفسير كتابكم .

ولذلك قال على بن أبى طالب لابن الكَوَّاءِ حين سأل عن : « الذاريات ذرواً فالحاملات وقراً » ويلك سَلْ تفقهاً ولا تسأل تعنتاً ، وقد كان الامام مالك يكره الكلام فيما ليس تحته عمل ، وكذلك كان عليه السلفُ من الصحابة والتابعين كما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية فى الفتاوى (ج ١٣ ص ٣٧٠) لأن رسول الله ﷺ لم يخض فى شيء من ذلك ، ومراد القرآن معلوم باللغة التى خوطب بها العرب ، وهم أعرف بكلامها ، ولايجوز صرف المعنى الى غير ماعرف عند العرب كما ذكر الحافظ ابن حزم فى الأحكام (ج٤ ص ٢٨) لذلك نلتمس معانى كتاب الله فى شعرها الذى هو حافظ لغتها .

ومعنى البيت الذى ذكره الأعرابى فى تفسير قوله تعالى : « أو يأخذَهم على تَخَوُّف » أن رحل ناقته تَنَقَّصَ من وبر سنامها لطول احتكاكه وهذه كناية عن كثرة ترحاله ـ « والتامِك » سنام الناقة ، و « القَرِدُ » المتلّبد ، و « السَفَن » كل مايُنحت به الشىء ، ويُلينَ و « النَبْعة » شجر تتخذ منه السهام ـ يعنى أن رحل ناقته أخذ من وبر سنامها المتلبد لطول الاحتكاك فى السفر والشد كما يأخذ السَفَن الذى تُحَكُّ به السهام والأقواس لِتَذهَبَ عنها آثار المِبْرَاة .

وقال الدَامَغَانِى فى الوجوه والنظائر ص ١٦٦ : التخوف فى الآية التَيَقُّظُ . وقال ابن الجوزى فى النزهة ج ١ ص ١٧١ : النقص ، وقال الراغب : هو ظهور الخوف . وفى مجاز أبى عبيدة ج ١ ص ٣٦٠ التنقص ، وأورد له شواهد ومثله فى معانى الفراء ج ٢ ص ١٠١ وغريب ابن قتيبة ص ٢٤٣ وليس هذا مقام بحثه .

قال أبو تراب : ومن هذا الباب مسائل نافع بن الأزرق وهى اسئلة مشهورة أخرج الأئمة أفراداً منها بأسانيد مختلفة الى ابن عباس ، وأخرج ابو

بكر ابن الأنبارى منها قطعة فى كتاب الوَقْف ، وأخرج الطبرانى فى معجمه الكبير منها قطعة ايضاً .

وقد رأينا أن نسوقها بتمامها فى بدء كتابنا هذا لتستفاد مَع شرحنا لها وتعليقنا على كل سؤال الا بضعة عشر سؤالاً حذفها السيوطى ، فانها مناظرة عظيمة جرت بين حَبْر الأمة عبد الله بن عباس ، وبين نافع بن الأزرق فى تفسير القرآن بشواهد الشعر العربى .

وكتب

ابو تراب الظاهرى

عفا الله عنه

مسائل ابن الأزرق ؟!

فبالسند : قال حُميد الأعرج ، وابو بكر بن محمد : بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لِنَجْدَةَ بن عويمر : قم بنا الى هذا الذى يجترىء على تفسير القرآن بما لاعلم له به . فقاما اليه فقالا : أنا نريد أن نسألك عن اشياء من كتاب الله فتفسرها لنا . وتأتينا بمِصَادِقِه من كلام العرب فان الله تعالى انما أنزل القرآن بلسان عربى مبين .

فقال ابن عباس : سَلاَنِى عَمّا بدا لكما فقال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال عِزين » ؟ قال : العِزُون حِلَق الرفاق قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم . أما سمعت عَبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون اليه حتى يكونوا حول منبره عِزينا

قال أبو تراب : وبمثله حكى الطبرى . والقرطبى وأورد قول راعى الابل :

أخليفة الرحمن ان عشيرتى أمسى سوائمهم عِزينَ فلولا

وانظر تنوير المقباس (ص ٣٦٨) ومجاز أبى عبيدة (ج ٢ ص ٢٧٠) وغريب ابن قتيبة (ص ٤٨٦) وفيه انه جماعات فى تفرقة وانظر القرطبى (ج ١٨ ص ٢٩٣) والبحر المحيط (ج ٨ ص ٣٣٠) والمفردات (ص ٣٣٤) ومعانى الفراء (ج ٣ ص ١٨٦) .

قال ابو تراب : العِزَةُ عُصبة من الناس . والجمع عِزُون . قال الاصمعى : يقال : فى الدار عِزُون . أى أصناف من الناس . والعِزَة الجماعة . والفِرقة من الناس والهاء عِوَضٌ من الياء . والجمع عِزًى . على وزن فِعَل . وعِزُون . وعُزون

ايضا بالضم ، ولم يقولوا : عِزات ، كما قالوا : ثُبَات ، وأنشد ابن بَرّى للكُميت :

ونحن وجندلُ باغ تركنا كتائبَ جندلٍ شتى عِزينا

وقوله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال عِزين » يعنى حِلَقا حِلَقا ، وجماعة جماعة ، وعِزُون جمع عِزَة ، فكانوا عن يمينه وشماله جماعات فى تفرقة ،

وقال الليث : العِزَةَ عُصبة من الناس فوق الحَلْقة ، ونُقصانُها واو - يعنى انها من الناقص الواوى -

وفى الحديث : مالى أراكم عِزين ، قالوا : هى الحَلْقة المجتمعة كأن كل جماعة اعتزاؤها - أى انتسابها - واحد ، وأصلها عِزْوَةٌ فحذفت الواو ، وجُمعت جمع السلامة على غير قياس ، كثُبِينَ وبُرِيْنَ فى جمع ثُبَة وبُرَة ، وعِزَةٌ مثل عِضَة ، أصلها عِضْوَة .

قال ابن برى : ويأتى عِزيَن بمعنى متفرقين ، ولايلزم ان يكون من صفة الناس بمنزلة ثُبين . وشاهده ما أنشده الجوهرى :

فلما أن أتينَ على أضاخٍ ضرَحْنَ حصاه أشتاتا عِزينا

لأنه يريد الحصا ، ومثله قول ابن أحمر البَجَلى :

خُلِقَتْ لَهَازمُه عِزينَ ورأسه كالقُرص فُرْطح من طحينِ شعيرِ

وهو فى صفة حية .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وابتغوا اليه الوسيلة » ؟ قال : الوسيلة الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ عنترة وهو يقول :

إنّ الرجال لهم اليك وسيلة أن يأخذوك تكحّلى وتَخَضّبى

قال ابو تراب : استشهد به الطبرى وهو لعنترة ص ٢٣٥ والقرطبى ، والطَّبرسى والشوكانى وهو فى الأغانى لأبى الفرج (ج ١٠ ص ١٨٠) وبلوغ الأَرَب (ج ١ ص ١٦٧) وذكر الجاحظ انه لخَرَز بن لَوْذان وأورد الطبرى ٦/١٢ قول الآخر : وهو فى القرطبى ٦/١٥٦

اذا غفَل الواشُونَ عُدنا لوصلنا وعاد التصافى بيننا والوسائل

قال أبو تراب : الوسيلة تدل على الرغبة والطلب ، يقال : وسل اذا رغب ، والواسل الراغب الى الله عز وجل ، قال لبيد العامرى :

أرى الناس لايدرون ما أمر دينهم بلى كل ذى دين الى الله واسل

وقال رؤبة :

النـاس ان فصلتهم فصائلاً كلّ الينا يبتغى الوسائلا

ومن ذلك القياس الوسيلة وشىء واسل أى واجب قال رُؤبة :

وأنتَ لاتَنهَرُ حَظًّا واسِلاَ

وفى تفسير ابن عباس (ص ٧٤) الوسيلة الدرجة الرفيعة ويقال : اطلبوا القرب اليه فى الدرجات بالأعمال الصالحة .

وفى مجاز أبى عبيدة ج ١ ص ١٦٤ الوسيلة القربة أى اطلبوا واتخذوا ذلك من طاعته ويقال : توسلت اليه : تقربت ، وقال الراغب : الوسيلة أخصّ من الوصيلة وحقيقتها تحرّى مكارم الشريعة وهى كالقربة . وانظر غريب ابن قتيبة ص ٤٣ .



وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « شرعة ومنهاجا » ؟ قال : الشرعة الدين ، والمنهاج الطريق ، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أمّا سمعت قول أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

لقد نطق المأمون بالصدقِ والهدى وَبيـنَ للاسلام دينـا ومنهجا

قال أبو تراب : يقصد بالمأمون محمدا ﷺ ، ونَهج الطريق ، وأنهَج بمعنى وَضَح ، قال يزيد بنُ حَذّاقٍ الشَّنَيُّ :

ولقـد أضاء لك الطريـق وأنْهجتْ منـه المسالك والهُـدى يُعدى

أي يعين ويُقوى ، وأنهَج الثوبُ أخلَق ، قال عبد بني الحَسحَاسِ

فما زال بُردى طيبـا من ثيابها الى الحول حتـى أنهـج البُـردُ باليا

وقال ابن الأعرابي : أنهج فيه البِلَى استطار وأنشد :

كالثـوب أنهـج فيـه البِلَى أعيـىَ على ذى الحيلـة الصانعِ

وطريق نَهَجٌ أي بَين واضح ، قال ابو كبير :

فأجَزتُـه بأفَـلَ تَحْسَبُ أثْرَهُ نهجـا أبـان بذى فُريـغ مُخرِق

والجمع نَهجات ونهج ، ونُهوج قال ابو ذُؤَيب :

به رَجَمـات بينهـن مخارم نُهُـوجُ كَلَبّـات الهجائـنِ فيحُ

وفي تفسير الطبرى (ج ١ ص ٣٨٥) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (ج ١ ص ١٦٨) ومعجم ما استَعجَم (ص ١٠٢٧) واللسان (مادة روى) قول الراجز :

من يك ذا شك فهـذا فَلْجُ ماء رُواء وطريـق نَهْجُ

وانظر غريب ابن قتيبة ص ١٤٤ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « انظروا الى ثمره اذا أثمر ويَنعه » ؟ قال : معناه نُضْجُه وبلاغه . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت قول الشاعر :

اذا ما مَشَتْ وسط النساء تَأَوَّدَتْ كما اهتَزَّ غُصنٌ ناعِمُ النَبْتِ يانعُ

قال أبو تراب : قُرِىء يَنْعه ، ويُنْعِهِ ، ويانعه ، قال الشاعر :

فى قباب حولَ دَسْكَرةٍ حولها الزيتون قد يَنَعَا

وهذا البيت للأحوص أو يزيد بن معاوية أو عبد الرحمن بن حسان ، ونسبه الجاحظ الى ابى دهبل وينسب الى الأخطل خطأ وهو فى الحيوان (ج ٤ ص ١٠) والكامل (ج ١ ص ٢٢٦) وأنساب الأشراف ج ٤ ص ٢٠٢ ومجاز القرآن (ج ١ ص ٢٠٢) وتاريخ ابن كثير (ج ٨ ص ٢٣٤) وتاريخ الخلفاء ص ١٤٠ ومعجم ياقوت (الماطرون) والخزانة (ج ٣ ص ٢٧٩) والعينى (ج ١ ص ١٤٩) واللسان (ينع) .

قال ابو تراب : واليَنْع النُضْج فى قوله تعالى : « انظروا الى ثمره اذا أثمر ويَنْعه » ومن شواهده قول القائل :

لقد أمَرَتْنى أم أوفى سفاهة لأهْجُرَ هَجْرا حين أرْطَبَ يانعُهْ

أراد هَجَرا ، فسكّن ضرورة ـ واليَنيعُ واليانع مثل النضيج والناضج .

قال عمرو بن معد يكرب :

كأن على عوارضهن راحا يُفَضُّ عليه رُمَّان يَنيعُ

وقال ابو حَيَّة النُميرى :

له أرَجٌ من طيب مايلتقى به لأيْنَعَ يَنْدَى من أراك ومن سدرِ

واليانع الأحمر من كل شىء ، وثمر يانع اذا لَوَّنَ . قال رَكاض الدُبَيْرىّ :

ونحراً عليه الدُرُّ تزكو كرومه ترائب لاشُقْرا يَنَعنَ ولا كُهْبَا

واليَنوع الحمرة من الدم ، قال المُرّار :

وان رَعَفت مناسمها بنَقْب ... تركن جنادلا منه ينوعا

وأما قول الحجاج : انى لأرى رؤوسا قد أينعت ، وقد حان قِطافُها ، فانما أراد انه قد قرُبَ حِمامُها ، وحان انصرامُها ، وشَبّه رؤوسَهم لاستحقاقهم القتلَ بثمار قد أدركتْ ، وحان أن تُقطف .

وانظر تنوير المقباس ص ٩٢ والراغب ومعانى الفراء ١٤٨/١ وغريب ابن قتيبة ١٥٧ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا » قال : الريش المال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت الشاعر يقول :

فَرِشْنِى بخير طالما قد بَرَيْتَنى ... وخير الموالى من يَريش ولايَبرى

قال ابوتراب : البيت فى الأساس (ج ١ ص ٣٨٨) والمفردات (ص ٢٠٧) وابن هشام (ج ٢ ص ٦٧) والريش لباس الزينة ، استُعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته .

قال الزمخشرى فى الكشاف : أى انّا أنزلنا عليكم لباسَيْنْ لباسا يوارى سوءاتكم ، ولباسا يزينكم ، لأن الزينة غرض صحيح ، كما قال : « لتركبوها وزينة » وقال : « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » وقرأ عثمان وابن عباس والحسن والسُدّى وعاصم فى رواية المُفَضَّل : « رياشا » .

قال ابن فارس : هذا الأصل يدل على حسن الحال ، ومايكتسب الانسان من خير ، فالريش الخير ، والرياش المال ، ورِشْتُ فلانا أريشه رَيْشا اذا قمتَ بمصلحة حاله ، وأنشد قوله :

(فَرِشْنِي بخير طالما قد بريتَنى)

المتقدم ونَسَبَه فى لسانِ العربِ الى عُمير بن حُباب ، وفى تاج العروس الى سُويد الأنصارى .

وكان بعضهم يذهب الى أن « الرائش » الذى جاء فى الحديث « لعن الله الراشي والمرتشي والرائش » هو الذى يسعى بينهما ، وانما سمى رائشا للذى ذكرناه ، يقال : رِشت فلانا أى أنلتُه خيرا . وهذا أصح القولين لقوله : (فَرِشْنِي بخير) الخ .

وقال جرير :

فريشي منكمو وهواى فيكم ... وان كانت زيارتكم لِماما

وقال ايضا :

سأشكر ان رددت علىّ ريشى ... وأثبَتَّ القوادم فى جناحى

ومن الباب : ريش الطائر ، ويقال منه : رِشْتُ السهَم أريشُه رَيْشا ، وارتاش فلان ، اذا حَسُنَت حالُه ، وذكروا أن الأَريشَ الكثيرُ شعرِ الأُذنين خاصة .

فهذا أصل الباب ، ثم اشتق منه فقيل للرمح الخوار : راشٌ

قال أبو تراب : هو فَعْلٌ أو فاعل كشاك ، وانما سُمّى بذلك لأنه شُبّه فى ضعفه بالريش ، ومنه : ناقة راشَةُ الظَّهر أى ضعيفة .

وفى أساس البلاغة : من المجاز : رِشْتُ فلانا ، قَويْتُ جناحه بالاحسان اليه ، فارتاش ، وتَرَيَّش ، قال :

اذا كنت مختار الرجال لنفعهم ... فَرِشْ واصْطَنِعْ عند الذين بهم تَرْمىِ

وقال النابغة :

كم قد أَحَلَّ بدار الفقر بعد غنىً ... قوما وكم راش قوما بعد اقتَارِ

يَريش قوما ويَبرى آخرين بهم   لله من رائش عَمْرو ومن بارِ

وقال القُطامىّ :

وراشتِ الريح بالبُهْمى أشاعِرَهُ   فآض كالمَسَدِ المفتول إحناقا

يعنى : غرزت فيها السَّفَا . وقال ذو الرُمَّة :

ألاَ هل ترى أظعان مَىَّ كأنها   ذُرى أثْأب راش الغصونَ شَكيرُها

وقال ايضا :

أفانينُ مكتوبٌ لها دون حَقِها   اذا حَمْلُها راش الحجاجَينْ بالثُكلِ

أى مكتوب لها الثكل دون تمام الحمل .

وجعل الله اللباس ريشا ، زينة وجمالا ، مستعار من الريش الذى هو كسوة وزينة للطائر . وفلان له رياش أى لباس وحسن حال وشارة . واشترى على بن أبى طالب قميصا بثلاثة دراهم فقال : الحمد لله الذى هذا من رياشه ، وأجاز النعمان النابغة بمئة من عصافيره بريشها أى برحالها ، وقيل : كانوا يجعلون فى أسْنِمتِها ريشا ليُعلم أنها حِبَاء .

قال أبو تراب : ويقولون : بُرْدٌ مُرَيَّش كقولهم مُسَهَّم . قال الأعشى :

يركُضْنَ كلَّ عشيَّة   عَصْبَ المُرَيَّش والمَراجلْ

ويقال للناقة : إنها لمُرَيّشة اللحم ، مرهفة السنام ، يراد خفة اللحم وقلته ، من الهُزال من قولهم : أخَفُّ من ريشة ، وهو من المجاز اللطيف المَسْلك وقالوا : راشه السقم ، أضعفه ، وفى حديث عائشة تصف أباها : انه كان يَفُكّ عانِيها ، ويريْشُ مُمْلِقَها ـ أى يُعينه ويكسوه ـ وأصله من الريش . ومنه حديث أبى بكر ، والنَسَّابة :

الرائشون وليس يُعرف رائش   والقائلون هَلُمَّ للأضيافِ

والريش والرياش الخِصْبُ والمعاش ، والأثاث واللباسُ الحسَن الفاخر وعلى قراءة قوله تعالى : « ورياشاً ولباسُ التقوى » قال ابن جنى : قد يكون جمع رِيْشٍ . قال الطبرى : مثل ذئب ، وذئاب ، والريش انما هو المتاع والأموال وربما

استعملوه فى الثياب والكسوة دون سائر الأموال ، وقال محمد بن سلاّم : سمعت أبا المُنذر يقول : الريش الزينة ، والرياشُ كل اللباس فسألت يونس فقال : لم يقل شيئا ، هما سواء ، وسأل جماعة من الأعراب فقالوا ، كما قال ، قال ابو الفضل : أُراه يعنى كما قال ابو المنذر . وقال ابن السّكِيت : الريش جمع رِيْشَةٍ ، والأرياش جمع كالرياش ، قال ابو كبير الهُذَليّ :

فاذا تُسَلُّ تَخَشْخَشَتْ أرياشُها   خَشْفَ الجَنوبِ بيابسٍ من إسْحِلِ

قال ابو تراب : معناه انّ ريشها ليس بكزّ ، فاذا مَسَسْتها سمعت لها خَشْفَة - أى صوتا - والاسْحِل شجر ، والجَنوب الريح ، اى ان هذه السهام تسمع لها خَشْفا كخشْف الريح بيابس الاسحل ، وسمى ابو ذؤيب الهذلى كسوة النَّحل ريشا فقال :

تَظَلُّ على الثمراء منها جوارس   مراضيع صُهْبُ الريش زُغْب رقابُها

وقال لبيد يصف السهم :

ولئن كبِرتُ لقد عَمِرتُ كأننى   غُصن تُفَيِّئه الرياحُ رطيبُ
وكذاك حقا من يُعَمَّرْ يُبْله   كَرُّ الزمان عليه والتقليبُ
حتى يعود من البلاء كأنه   فى الكف أفْوقُ ناصلٌ معصوبُ
مُرُط القِذاذْ فليس فيه مصنَع   لا الرِيشُ ينفعه ولا التعقيبُ

وقال ابن بَرى : البيت لنافع بن لقيط الأسدى يصف الهرم والشيب ويقال • سهم مُرُط اذا لم يكن عليه قُذَذ ، والقِذاذُ ريش السهم ، الواحدة قُذَّة ، والتعقيب أن يَشُدَّ عليه العَقَب وهى الأوتار ، والأفوق السهم المكسور الفُوق ، والفُوق موضع الوتر من السهم ، والناصل الذى لانصل فيه ، والمعصوب الذى عُصب بعصابة بعد انكساره ، وأنشد سيبويه لابن مَيَّادَةَ :

وَأرْتَشنَ حين أردن أن يَرمينَنا   نَبلا بلا ريش ولا بقداح

وناقة رَياش ، اذا كثر شعر أُذُنَيْها ، قال :

أنشــدُ من خوَّارة رَياشٍ أخطأهــا فى الرِعْلَــةِ الغواش
ذو شملة تَعْثَرُ بالأنفاش

وفى حديث عمر قال لجرير بن عبد الله وقد جاء من الكوفة : أخبرنى عن الناس ؟

فقال : هم كسهام الجَعْبَة ، منها القائم الرائش أى ذو الريش ـ إشارة الى كماله واستقامته .

وفى حديث ابى جُحَيْفَةَ : أبرى النَبْل وأَرِيْشُها ـ أى أعمل لها ريشا ، قال : منه : رِشْتُ السهَم أريشه ، وفلان لايريش ولايَبْري ، أى لايضر ولاينفع . وقال ابو زيد : قال لاتَرِشْ عَلَيَّ يافلان ، أى لاتعترضْ لى فى كلامى ، فتقطعه عليّ ، ورِشْتُ السهَم ألزقتُ عليه الرِيْشَ ، فهو مَرِيْش ، ومنه قولهم : ماله أَقَذُّ ولا مَرِيْغ ، أى ليس له شيء .

وقال اللحيانى : بُرْدُ مُرَيَّش أى خطوطٌ وَشيه على اشكال الريش وراشه الله يَريشه ريشا ، نَعَشَه ، وتَرَيَّش الرجُلُ وارتاش أصاب خيراً ، فرُئيِ عليه أثر ذلك .

وفى حديث على بن أبى طالب : انه كان يُفْضِل على امرأة مؤمنة من رياشه أى مّما يستفيده ، وهذا من الرياش الخِصْب ، والمال المستفاد ، وكان ابو بكر يَريش مُمْلِقَها أى يُعينه كأنه لانهوض به كالمقصوص من الجناح . يقال : راشه اذا أحسن اليه ، وكل من أوليته خيراً فقد رِشْتَه . ومن الحديث : ان رجلا راشه الله مالا ، أى أعطاه . ورجل أَرْيَشُ : ذومال وكسوة ، وراش صديقه اذا أطعمه وسقاه ، وراش اذا جمع الريش ، وهو المال والأثاث .

قال ابو تراب : وقال ابن السكّيت : قالت بنوكِلاب : الرِيَاشُ هو الأثاث من المتاع ، ماكان من لباس أو حَشْو من فراش ، أو دثار ، والرِيْشُ المتاع والاموال ، وقد يكون فى النبات دون المال ، وانّه لحَسَن الريش أى الثياب وقال

الفراء : رَاشَ اذا استَغْنى ، وشَارَ اذا حَسُن وجهه ، والرِيش كالرَّاش ، قال ابن هَرْمَة :

فَـاَحْتَـتْ أَجْماَلهَـم حادٍ له زَجَلٌ مُشَمَّـرٌ أشِرٌ كالقِـدح ذى الرَّاشِ

قال ابو تراب : من هذا الباب كانت تسمية ذى الريش وهو فرس السَّمْح بن هند الخولانى وفيه يقول :

لعمرى لقد أبْقَتْ لذى الريشِ بالعدا مواسُم خِزْى ليس تَبْلَى مع الدهر
يكرَ عليهـم فى خميسٍ عَرَمْرمٍ بليـثٍ هَصُورً من ضرَاغمةٍ غُبْرِ

وانضر تنوير المقباس ص ١٠٠ ومجاز أبى عبيدة ج ١ ص ٢٦٣ وغريب ابن قتيبة ص ١٦٦ ومعانى الفراء ج ١ ٣٧٥

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس أخبرنى عن قوله تعالى : (لقد خلقنا الانسان فى كبد) قال فى اعتدال واستقامة قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت لبيد بن ربيعة ، وهو يقول :

ياعـينُ هَلا بكيـت أَرْبَـدَ إذْ قمنـا وقـام الخصـوم فى كَبَدِ

قال ابو تراب : هذا البيت ذكره فى الكشّاف وفى الكامل (٧٢٦) وفى ابن هشام (٤ /٢١٥) وهو من قصيدة له مطلعها :

ما إنْ تُعَـرّى المَنـونُ من أحدٍ لا والـدٍ مُشْفـقٍ ولا وَلَدِ

وأربد هذا هو أخوه لأمّه وهو ابن عَمه وجاء فى شرح الطوسى (ص ١٦٠) القيام على الأمر الشديد هو الكبد .

وفسر ابن منظور البيت فى لسان العرب بالشدة والعناء وفسره الزمخشرى ايضاً فى الكشّافْ (ج ٤ ص ٢١٣) بشدة الأمر وصعوبة الخَطْب لكن ابن عباس استشهد به لمعنى الاعتدال والاستقامة كما فى مناظرة نافع بن الأزرق وقد وردت عنه روايتان ذكرهما الخازن فى تفسير هذه الآية (ج ٤ ص ٤٠٧) قال : «فى كَبَد» أى نَصَب وقال ايضاً : فى شدة من حَمْله وولادته ، ورضاعه وفطامه وفصالـه ومعاشه وحياته وموته والرواية الثانية : أنه قال : الكَبَدُ الاستواءُ والاستقامة

قال الخازن : فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان مُنْتَصِباً معتدل القامة وكل شىء من الحيوان يمشى مُنْكَبًّا

قال ابو تراب : هذا الذى نقُل عن ابن عباس قاله ايضاً أبو طالب قال المنذرى : سمعته يقول الكَبَد الاستواء والاستقامة .

ومن أقوال علماء التفسير فى هذه الآية : أنه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وأصل الكَبَد الشدة . وقيل لم يخلُق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق وقيل : خُلق مُنْتَصباً رأسُه فى بطن أمّه . فاذا أذن الله فى خروجه انقلب رأسه الى أسفل وقيل (فى كَبَد) أى فى قوة .

قال ابو تراب : الكَبَد يدل على الشدة والقوة معاً كما ذكره علماء الاشتقاق ويدل على ذلك سببُ نزول هذه الآية فى الوليد بن المغيرة المَخْزُومَيِ أو أبى الأشَدَ أُسيد بن كَلْدَةَ بنِ جُمَح وكان شديداً قوياً يضع الأديم العُكَاظِيَ تحت قدميه ويقول : من أزالنى عنه فله كذا وكذا . فلا يطاق أن يُنزعَ من تحت قدميه الاَ قِطَعاً ويبقى من ذلك الأديم بقدر موضع قدميه .

وقال الزمخشرى : الكَبَد أصله من قولك كَبَد الرجلُ كَبْداً فهو أكْبَـدُ اذا وجعتْ كَبِده ، وانتفخت فاتّسعَ فيه حتى استعمل فى كل تعب مشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل : كَبَته أى أهلكه ، وأصلُه كَبَده اذا أصاب كَبِدهُ .

قال ابوتراب : هذا الحَرفُ مما يُستدرك به على كِتاب الأبدال لأبى الطيب اللغوى وقال الفراء ـ المعانى ج ٣ ص ٢٦٤ ـ فى هذه الآية : (لقد خلقنا الانسان فى كَبَد) يقول خلقناه منتصباً معتدلا ويقال : (فى كَبَد) أى أنه خُلق يعالج ، ويكابد أمر الدنيا وأمر الآخرة وقيل : فى شدة ومشقة ، وقيل : (فى كَبَد) أى خُلق منتصباً يمشى على رجليه وغيره من سائر الحيوان غيرُ منتصب .

وقال الزجّاج: هذا جواب القَسَم ، المعنى يكابد أمر الدنيا والآخره

وقال ابو منصور : مكابدُة الأمر معاناةُ مَشَقّته وكابَدتُ الأمر اذا قاسيتَ شدته .

وقال الليث : الرجل يكابد الليل اذا ركبَ هولهُ ، وصعوبته ، ويقال : كابدتُ ظلمة هذه الليلة مكابدة شديدة ويقال : تكبّدتُ الأمر اذا قصدته قال : (يروم البلادَ أيهَا يَتكَبَّدُ)

وتَكَبّد الفلاة اذا قصد وسَطها ، وكان الأمر مكابدة وكبَاداً قاساه ، والاسم الكابد كالكاهل والغارب قال ابن سِيْدَهْ وهو غير جار على الفعل قال العَجَّاج :

وليلــةٍ من الليــالى مَرَّتِ بكابــدٍ كابَدتُهــا وجَرَّتِ

أى طالت ، وقيل : كابدٌ فى هذا البيت موضع .

قال أبو تراب : قال ابن فارس : والكَبِدُ سميتْ كبداً لِتَكَبُّدها .

قال الزمخشرى : أكبادُ الأرِض معادنها ورَمَتْ اليه الأرضُ بأفلاذ كَبِدهَا أى كنوزها وذخائرِها ووقع فى كَبَدٍ أى مشَقة وتقول للخصماء أنهم لفى كَبَد من أمرهم وبعضهم يكابد بعضا .

قال ابو تراب : من فوائد تَكْمِلة الصَّاغانى أن كَبَدَ السماءِ بالتحريكَ لغة فى كسر الباء .

وقال الطبري ج ٣ ص ١٠٩ : أولى الأقوال بالصواب : أن الانسان

خلق يكابد الأمور ويعالجها ، فقوله فى كبد معناه فى شدة وأنشد قول لبيد المتقدم وأنشده ايضا ابوعبيدة فى المجاز ج ٢ ص ٢٩٩ والقرطبى ج ٢٠ ص ٦٢ وانظر معناه فى غريب ابن قتيبة ص ٥٢٨ والبحر ج ٨ ص ٤٧٣ .

* * *

وقال نافعُ بُن الأزرِق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : (يكاد سنابرقه يذهب بالابصار) ؟ قال : السَنَا الضوء قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أمَا سمعت أبا سفيانَ بن الحارثِ يقول

يَدْعُـو الى الحـق لاَيْبغـى به بَدلا   يجْلُـو بضـوء سَنَـاهْ داجـيَ الظُلمِ

قال ابو تراب : لسنا بمعنى الضوء مقصور ، والسناءُ بمعنى الرفعةِ ممدود قال فى اللسان : وأمّا قراءة من قرأ : (يكاد سَنَاءُ برْقهِ) ممدوداً فليس السناءُ ممدوداً لغُة فى السنا المقصور ، ولكن إنّما عَنَي به ارتفاعَ البرق ، ولُموعَه صُعُداً ، كما قالوا : برق رافع .

وشاهد السنا المقصور بمعنى الضوء ما أنشده سيبويه قال :

ألـم ترأنـى وابـنَ أسـودَ ليلة   لَنـسْرى الى نارَيْن يَعْلـو سَنَاهما

وسَنَا البرقُ : أى أضاء قال تميم بن مُقْبل :

لجَـوْنِ شَآم كلّما قلـتُ قدْوَني   سَنَاوالقوارى الخُضرْ فى الدَجْـنِ جُنَحُ

قال ابوتراب : الجَوْن السحاب الأسود ، أى يومض البرق فيه وسَنَا يَسْنو أى أضاء ، والقوارى جمع قارية ، وهو طائر أخضر اللون - أصفر المنقار - طويل الرَجْل ، يحبّه الأعرابُ ، ويُشبّهون به الرجَل السِخيَّ ، وجُنَح جمع جانح ، من جَنَحَ الطائرُ اذا كسر من جناحيه ثم اقبل كالواقع اللاجىء الى موضع وفى

اللسان : أسْنَى النار ، أى رَفَع سناها ، واستناها أى نظر الى سناها ، وأنشد ابن الأعرابى :

ومُستَنْبِحٍ يَغـوى الصَـدى لِعُوانه   تَنَـوَّر نارى فـآستَنَاهـا وأومضا

أوْمَضَ أى نظر الى وميضها وسَنَا البرقُ : سطع وسَنَا الى معالى الأمور سناء ارتفع ، وسَنُوَ فى حَسَبه سناء فهو سنىّ : ارتفع ويقال : ان فلانا لسنىّ الحَسَب والسنىّ الرفيع وأسناه رفعه ، وأنشد ابن بَرّيْ :

وهـم قوم كرامُ الحـى طُرّا   لهـم حَوْلٌ اذا ذُكر السَنَاءُ

وفى الحديث : بَشّرْ أمتى بالسناء ، أى بارتفاع المنزلة والقدر عند الله ، وقد سَنِيَ يَسْنَى سَنَاء : أى ارتفع . وسَنَتِ النارُ تَسْنُو سَنَاء عَلاَ ضوءُها ، والسَّنَـا مقصور ، ضوء النار والبرق .

وفى تهذيب الأزهرى : السنا مقصور حَدّ منتهى ضوء البرق وقد أسْنَـى البرقُ ، اذا دَخَل سَنَاه عليك بيتك ، أو وقع على الارض أو طار فى السحاب . قال ابو زيد : سنا البرق ضوءُه من غير أن ترى البرق ، أو تَرى مَخْرجَه فى موضعه ، فانما يكون السَّنَا بالليل دون النهار ، وربما كان فى غير سحاب .

وقال ابن السكّيت : السناء من المجد والشرف ممدود ، والسَنَا سَنَا البرق ، وهو ضوءُه ، يُكتَب بالألف ، ويُثَنّى : سنوانِ ، ولم يعرف الاصمعى له فعلا .
وفى الأساس أسْنى له الجائزة ، وأجازه بجائـزة سَنيّـة وجاورتُـه فأسْنَـى جوارى ، ورأيت سَنَا البدر والبرق ، وأسْنى البرقُ أضاءَ سَنَاهُ ، ومن المجاز ، السحابُ يَسْنُو المَطَرَ وسَنَاك الغيثُ قال

شحيـحٌ غادرتْ منـه السَّوانى   ككُحـلِ العـينِ دَقَّتْـه اليهودُ

وسانيتُ فلانا حتى استخرجتُ ما عنده ، أى تلطفتُ به ، وداريته ، وسَنَّيْتُ له الأمر يَسرّته قال :

فَلاَتَيْأسَـا واسْتَغْـفِرا اللـه إنّه   اذا اللـه سَنَّـي عَقْـدَ شيء تَيَسرًا

قال ابو تراب : معنى استَغوُرا : اطلبا منه الغُيرة ، وهى المِيرْة ، والبيت أنشده ابو القاسم الزجّاجى فى الأمالى . ويقال : سَنَّيْت الشىء اذا سهّلتَهُ وفتحتَه وتَسَنَّى لى كذا اذا تيسر وتأتّى

قال الفراء : تَسَنَّى اذا تَغيرَّ ، قال ابو عمرو : لم يَتَسَنَّ لم يَتَغَيرْ من قوله : (من حمأمَسْنون) أى متغير فأبدل من إحدى النونات ياء مثـل (تَقَضَّى) من (تَقَضَّضَ) .

قال ابو تراب : قوله تعالى : (فانظر الى طعامك وشرابك لم يَتَسَنَّه أى لم تُغَيرهُ السنون ، والسَّنَهَ التكرُّجُ الذى يطرأ على الطعام ، فالهاء على هذا القول أصلية ، ومنهم من جعلها للوقف ، فهو اذن من المُسَانَاة وأصلها واوى والسَنَةُ من الزمن من الواو ، ومن الهاء ، يقال : أسْنَى القوم أصابتهم جدوبة ، ومنهم من جعل الياء محذوفة من يَتَسَنَّى مبدلة من النون فهو اذن من المسنونِ بمعنى المتغير ، والراجح عندى من الأقوال هو الأول .

قال أبو تراب : وشاهد قوله تعالى : (فأنظر الى طعامك وشرابك لم يَتَسَنَه) قول سُويد بن الصامت ـ ويقال : أُحَيْحة بن الجُلاح ـ يصف النخل :

فليســتْ بِسَنْهــاء ولا رُجَّبِيَّةٍ ولــكن عَرايَا فى السنــينَ الجوائحِ

أى لم تصبها السنة المجدبة والسنهاء التى أصابتْها السنة المُجْدبة وقـد تكون النخلة التى حملت عاماً ، ولم تحمل آخر . وقد تكون التى أصابها الجَدْبُ وأضرَّ بها ، فنَفَى ذلك عنها والرُجَّبية من النخل ذات الرجبة وهى اسم الدُكان الذى تُدعم به النخلة وهى نسبة نادرة والعَرايَا جمع عَريَّة وهى النخلة التى أُكل ما عليها . ومناسبة الشاهد ان السَّنْهاء هى التى أضرَّ بها الجَدْب فتغيرتْ واشتقاقها من السَّنَة .

قال ابو زيد : طعام سَنِهٌ ، وَسَنٍ اذا أتت عليه السنـون وسَنِـه الطعـامُ والشراب ، وتَسَنَّه تَغَير وعليه وجّه بعضهم قوله تعالى :

« فانظر الى طعامك وشرابك لم يَتَسَنَّهْ » والتَّسنُّه التكرُّج الذى يقع على الخبز والشراب وغيره تقول منه : خبز مُتَسَنِّه ، وفى القرآن : (لم يَتَسَنَّه) لم تغَيِّره السنون .

ومن جعل حذف السَنَة (واواً) قرأ (لم يَتَسَنَّ) وقال : سانيتُه مساناة وإثباتُ الهاء أصوب .

وقال الفراء فى معانى القرآن (ج١ ص ١٧٢) فى قوله : (لم يَتَسَنَّهْ) لم يتغير بمرور السنينَ عليه مأخوذ من السنة وتكون الهاء أصلية من قولك : بعثه مُسَانَهَة ، تَثْبُتُ وصلا ووقفاً ، ومن وصله بغير هاء جعله من المساناة ، لأن لام سَنَة تعتقب عليها الهاء والواو وتكون زائدة صلة بمنزلة قوله تعالى : (فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ) فمن جعل الهاء زائدة جَعَل فَعَلْتُ منه (تَسَنَّيْتُ) ألا ترى أنك تجمع السنة سَنَوات فيكون (تَفَعَّلْت) على صحة ومن قال فى تصغير السَنَة سُنَيْنَة وان كان ذلك قليلا جاز أن يقول : تَسَنَّيْتُ تَفَعَّلْتُ أُبدلتِ النونُ ياء لَمّا كثرت النونات كما قالوا : تَظَنَّيْت ، وأصله الظنّ .

وقد قالوا : هو مأخوذ من قوله عز وجل (من حَمَأٍ مسنون) يريد متغَيِّراً ، فان يكن كذلك فهو ايضا ممّا بُدِّلَتْ نونه ياء .

قال الشيبانى : أُبدل من (يَتَسَنَّنُ) قال صاحب اللسان : ونرى والله أعلم أن معناه مأخوذ من السَنَة أى لم تغَيِّره السنون

وروى الأزهرى عن أبى العباس أحمد بن يحيى قال : قرأها ابو جعفر وشيبة ونافع وعاصم باثبات الهاء إن وصلوا أو قطعوا ووافقهم ابو عمرو فى (لم يَتَسَنَّهْ) وخالفهم فى (اقْتَدِهْ) فكان يحذف الهاء منه فى الوصل ويُثبتها فى الوقف ، وكان الكسائى يحذفها منهما فى الوصل ويُثبتها فى الوقف .

قال ابو منصور : وأجود ما قيل فى أصل السَنَةِ (سُنَيْهَة) على أن الأصل سَنْهَة كما قالوا : الشَفَةُ أصلها شَفْهة فحذفت الهاء لأنها ضَاهَتْ حروف اللين التى تنقص من الواو والياء والألف مثل زِنَة والوجه فى القراءة : (لم يَتَسَنَّهْ)

باثبات الهاء فى الوقف والادراج وهو اختيار أبي عمرو من قولهم سَنِهَ الطعامُ اذا تغير .

وفى شرح الشافية للرضى (ج ٢ ص ٦٦) : بعض الاسماء المحذوفة اللام - يعنى كلَّ ثلاثى حُذفت لامُهُ ، وعُوِّض منها تاء التأنيث لامُها ذو وجهين كسَنَة لقولهم : سَانَهْتُ ، وسنوات

قال السيرافى : من قال : سانهت قال : سَنَهِيٌّ - يعنى فى النسبة وسَنِيٌّ لأن الهاء لاترجع فى الجمع لايقال : سَنَهاتٌ ومن قال : سَنَوات ، يجب ان يقول : سَنَوِيٌ .

قال ابو تراب : والخلاصة ان الصرفيين اختلفوا فى (لم يَتَسَنَّهْ) فبعضهم جعلها من التَسَنُّن بمعنى التغير أُبدلت احدى النونات ياء ثم حُذفت للحرف الجازم والهاء للسَكْتِ وبعضهم جعل الهاء أصلية من السَّنَهِ وهو التغير وبعضهم جعلها من أسْنَى القوم اذا أصابتهم سَنَةٌ جدوبة وتغيروا فالباء مُبْدلة من واو السَنَوات لأن أصلَ المساناة واويَ ثم حذفت للجازم واتصلت به هاء الوقف .

وقد رجح الطبريَ إثبات الهاء بِجَعْلها لامَ الفعلِ على كونها من السَنَنُّن وعلى كونها من الأسَنِ بحذف الهمزة وهذا الأخير غير جائز البتة لأن النون فى (يَتَسَنَّهُ) مشدّدة ، فلو كان من (يَتَأَسَّنُ) بترك الهمزة لقيل (يَتَسَّنُ) بتخفيف نونه بغير هاء تلحق به وسبب الخلاف هو أن السَّنَة من الزمن من الواو ، ومن الهاء وقد تُقلبُ الواو تاء فيقال فى (أسْنَوْا) اذا لبثوا فى سَنَةٍ مُجْدبة (أسْنتُوا) قال المازنى : وهذا شاذ لايقاس عليه والتاء بدل من الياء التى كانت فى الأصل واواً ليكون الفعل رباعياً .

قال ابو تراب : وقد سئل ابن عباس نفسه عن « لم يَتَسَنَّهْ » فى اسئلة نافع ابن الأزرق فقال : لم تغيره السنون ، قال الشاعر :

طاب منه الطعمُ والريحُ مَعا لن تراه يتغيّرْ من أسَنْ

وسأله نافع عن « حمأ مسنون » فقال : الحمأ السواد ، والمسنون المُصَوَّر ، قال حمزة بنُ عبد المطلب :

أَغَرُّ كأن البـدر سُنَّـةُ وجهه جَلاَ الغيَم عنـه ضوءُه فتَبَدَّدا

قال ابو تراب : وعجز البيت فى الأغانى (ج ١١ ص ٣٢٥) : (**له كَفَلٌ** واف وفرعٌ وميْسمَ) .

قال الطبرى : اختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى قوله « مسنون » فكان بعض نَحويّى البصريّين يقول : عُنى به حمأ مصوّرٌ تامّ ، وذَكر عن العرب أنهم قالوا : سُنَّ على مثال سُنَّةِ الوجه أىْ صورته ، قال : وكأن سُنَّة الشىء من ذلك أى مثاله الذى وضع عليه ، قال : وليس من الآسِنِ المتغير ، لأنه من سَنَنَ مضاعف ، وقال آخر منهم : هو الحمأ المصبوب ، قال والمصبوب المسنون ، وهو من قولهم : سَنَنتُ الماء على الوجه وغيره ، اذا صَبَبته وكان بعض أهل الكوفة يقول : هو المتغيرّ كأنه أُخِذَ من سَنَنتُ الحَجَرَ على الحَجَر وذلك أن يحُكَّ أحدهما بالآخر ، يقال : منه سَنَنْتُه ، أسُنُّه ، سنّا فهو مسنون ، قال : ويقال للذى يخرج من بينهما : سنين ، ويكون ذلك مُنْتِنا ، قال : ومنه سُمىَ المِسَنُّ ، لأن الحديد يُسَنُّ عليه ، وقال آخرون : هو الطين الرطب .

قال ابو تراب : ومن شواهده قول عبد الرحمن بن حسان :

ثم خَاصرتُهـا الى القُبَّـة الخضراء تمشى فى مَرْمَـرٍ مسنونِ

وقول ذى الرُّمَّةِ :

تُريك سُنَّـةَ وَجْـهٍ غـيرَ مُقْرِفَةٍ مَلْسَـاء ليس بهـا خالٌ ولاندَبُ

وأنشد ثعلب :

بيضـاء فى المرآة سُنَّتُها فى البيت تحتَ مواضـعِ اللَّمْسِ

والسُّنة الصورة وانظر فى هذا المبحث مجاز أبى عبيدة ج ١ ص ٨٠ وج٢ ص ٦٨ وغريب ابن قتيبة ص ٣٠٦ و٩٥ .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحَفدة » ؟ قال : ولد الولد ، وهم الأعوان ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت الشاعر يقول :

حَفَدَ الولائدُ حولهَن وأسْلَمَتْ بأكفهِن أزمَّةَ الأجمْالِ

قال ابو تراب : هذا البيت أنشده ابوعبيدة فى المجاز ٣٦٤/١ ونسبه محققه فؤاد سزكين الى جميل العذرى والأزهرى فى تهذيب اللغة ، واستشهد به الطبرى والزمخشرى ، والطَبرِسِّى ، وابو حيان والقرطبى ونسبه الى كثير ونسبه ابن دريد فى الجمهرة الى الفرزدق وهو فى شواهد الكشاف فى ص ٢٣٧ واللسان والتاج قال محمد فؤاد عبد الباقى فى معجم غريب القرآن : لا أدرى كيف أضبطه ، ولم ينسبه ، قال ابو عبيدة : « بنين وحفدة » أعواناً وخداماً واحدهم حافد ، خرج مخرج كامل ، والجميع كَمَلة وانظر غريب ابن قتيبة ص ٢٤٧ ومعانى الفراء ١٠١/٢ . قال الطبرى : قال بعضهم : الحَفَدةُ الأختَان ، وقال آخرون : هم أعوان الرجل وخَدَمُه ، واختار الطبرى المعنى الثانى وأنشد للراعى :

كُلِّفتُ مجهولَها نُوقا يمَانِيَة اذا الحُداةُ على أكسَائِها حَفَدوا

والحَفْد فى الخدمة والعمل الخفة ، والتجُّمعُ ، فالحَفَدة الأعوان ، لأنه يجتمع فيهم التجمع والتخفف واحدهم حافد ، والسرعة الى الطاعة حَفد ، ولذلك يقال فى دعاء القنوت : « اليك نَسعى ونَحفِد » أى نسرع فى العمل والخدمة

قال : (ياابن التى على قَعُود حَفَّاد) الحفّاد السريع .

قال ابن فارس : ويقال فى قوله تعالى : « وحَفَدةً » انهم الأعوان - وهو الصحيح - ويقال : الأختان ، ويقال : ولد الولد .

وفى تاج العروس للزبيدى : ومن المجاز حَفَدةُ الرجل بناتُه أو أولاد أولاده ، كالحفيد ، وهو واحد الحَفَدة ، وهو ولد الولد ، والجمع حُفَداء . وروى عن مجاهد فى قوله تعالى : « وحَفَدةً » انهم الخَدمَ أو الأصهار وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال لِزِرّ : هل تدرى ما الحَفَدةُ ؟

قال : نعم ، حُفَادُ الرجل من ولـده ، وولـدِ ولـدِه ، قال : لا ، ولكنهـم الأصهار . قال عاصم : وزعم الكلبى : أن زِرًّا قد أصاب ، قال سفيان : قالوا : وكذب الكلبى ، وقال الفراء : الحفدة الأختان ويقال : الأعوان ، وقال الحسن فى قوله تعالى : « بنين » هم بنوك ، وبنو بنوك ، وأمّا الحَفَدةُ فما حَفَدك من شىء وعملِ لك وأعانك .

ورَوَى ابو حمزةَ عن ابن عباس قال : من أعانك فقـد حَفَـدك . وقـال الضحاك : الحَفَدة بنو المرأة من زوجها الأول ، وقال عكرمة : الحفدة مَنْ خَدَمك من ولدك ، وولد ولدك . وقيل : المراد بالبنات فى تفسير الحَفَدةَ فى قول صاحب القاموس هن خَدَمُ الأَبَوَيْن فى البيت .

وقال الزمخشرى : حَفَد البعير حَفْدا وحُفودا ، وحَفَدانا أسرع فى سيره ، ودارك الخَطو ، قال حُميد بن ثَور :

فَدَتـه المطـايا الحافـداتُ وقَطَّعَتْ نِعــالاً له دون الإكام جلودُها

وأحْفَد بعيره .

ومن المجاز : حَفَد فلان فى الأمر ، واحتفد : أسرع فيه ، وخَفَّ فى القيام به ، وحَفَدتُ فلانا خدمته ، وخَفَفْتُ الى طاعته ، ورجل محفود مخدوم مطاع ، وهو حافدُ فلان ، وهم حَفَدتُه أى خَدَمُه وأعوانه ، ومنه قيل لأولاد الابن الحَفَدة ، ويقال : فلان من حَفَدة الأدب .

قال ابو تراب : والبيت الذى استشهد به ابن عباس نسبه ابن دريدالى الفرزدق فى الجمهرة ج٢ ص١٢٣ ، وهو فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ج١ ص٣٦٤ ونسبه محققه محمد فؤاد سزكين الى جميل العذرى وهو فى اللسان والتاج وتهذيب الأزهرى والطبرى والزمخشرى والقرطبى وأبى حيان والطبرسى وشواهد الكشاف ص٢٣٧ ونسبه القرطبى الى كثير ، قال محمد فؤاد عبد الباقى فى معجم غريب القرآن ص٢٤٨ لا ادرى كيف اضبطه ؟

قال ابو عبيدة : « بنين وحفدة » أعوانا وخدّاما ، واحدهم حافد خرج مخرج كامل والجميع كملة . وانظر غريب ابن قتيبة ص٢٤٧ ومعانى الفراء ج٢ ص١١٠

وفى تهذيب الأزهرى : الحَفَدُ والحَفَدُة الأعوان والخَدَمَةُ واحدهم حافد ، وحفدةُ الرجل بناته ، وقيل : أولادُ أولادِه ، وقيل : الأصهار والحفيُد ولد الولد ، والجمع حُفَداء . وقال الليث : الحَفَدةُ ولد الولد . وقيل البنات ، ورُوى عن عبد الله أنهم الأصهار . وقال الفَرَّاء : لو قيل : الحُفَّد كان صوابا ايضا ، لأن الواحد حافد ، مثل القاعدِ والقُعَّد . وقال ابن عرفة : الحَفَد عند العرب الأعوان ، فكل من عمل عملا أطاع فيه وسارَعَ فهو حافد . وقال ابن شُميل : الحَفَدة الأعوان ، وهو أتبَعُ لكلام العرب ممن قال : الأصهار ، قال :

فلو أن نفسى طاوعتنى لأصبحت لها حَفَدٌ مما يُعَدُّ كثيرُ

أى خدمٌ . قال ابو عُبيد : أصل الحَفدِ الخِدمةُ والعمل . وقال الليث : الاحتفادُ السرعة فى كل شىء ، قال الأعشى يصف السيف :

ومُحْتَفِدُ الوقعِ ذو هَبَّةٍ أجَادَ جِلاهُ يَدُ الصَّيْقَلِ

قال الأزهرى : والصوابُ فى الرواية : « ومُخْتَفِل الوقع »

وفى المُحكَم لابن سِيْدَة : المَحفِدُ أصلُ السنام ، قال زُهير :

جمالِيَّةٌ لم يُبقِ سيرى ورحلتى على ظهرها من نَيِّها غيرَ مَحْفِدِ

النَّيُّ الشحم ـ قال ابو عُبيد : وفى الحَفْدِ لغةٌ أخرى وهى : أحْفَدَ إحفادا ، وأحْفَدْتُه حملتُه على الحَفْد والاسراع ، قال الراعى :

مَزايُد خَرْقاء اليدين مُسِيفَة أخَبَّ بهن المُخلفانِ وأحفَدا

أى أحفَدا بعيريهما . وقال بعضهم : أى أسرعا ، وجَعَل حَفَد وأحفَد بمعنى واحد . وفى تهذيب الأزهرى : « أحفدا » أى خدما ، قال وقد يكون أحْفَدا غيرهما .

قال ابو تراب : والاناء الذى تُعلَفُ فيه الابُل سُمِّى مَحْفِدا لخدمته واستعماله

قال الأعشى يصف ناقته :

بَنَاهـا الغَـواديُّ الرَّضيـخُ مع الخَلاَ   وسَقيِـى واطعامـى الشعـير بمَحفِدِ

الغوادى ، النوى ، والرضيخ المبلولُ بالماء .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وحنانا من لَدُنَّا » ؟ قال : رحمة من عندنا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت طَرفة بن العَبْد يقول :

أبـا مُنْـذِرٍ أفْنَيْـتَ فَاسْتبـقِ بعضَنا   حَنانَيك بعضُ الشرّ أهـونُ من بعضِ

قال ابو تراب : هذا البيت من قصيدة له يخاطب بها عَمْرو بن هنـد فى السجن وأولُها :

أبا مُنـذر كانـت غرورا صحيفتى   ولم أُعطكم بالطَّوع مالى ولاعِرضى

وقوله : (حَنانَيك بعض الشر أهونُ من بعض) مَثَلٌ يُضرب عند ظهور الشرَّين بينهما تفاوُتٌ ، وهذا كقولهم : « ان من الشر خيارا » قال المَيدانى فى مجمع الأمثال : « بعض الشر أهون من بعض » من قول طَرفة بن العَبد حين أمر النعمان بقتله ، وذكر البيت المذكور . واستشهد به ابو عبيدة فى المجاز ج٢ ص٣ والشوكانى فى الفتح وغيره ، انظر فى معناه غريب ابن قتيبة ص٢٧٣ ومعانى الفراء ج٢ ص١٦٣

والحَنان الرحمة ، وتقول : حنانَك أى رحمتك ، قال امرؤ القيس :

مُجـاورة بنـى شَمَجَـى بن جَرم   هوانـا مأأُتيـحَ من الهوانِ

ويَمنَحُهـا بنـو شَمَجَـى بن جَرم   مُعَيْـزَ همـو حنانَـك ذا الحَنانِ

وحنانَيك أى حنانا بعد حنان ، ورحمة بعد رحمة .

وقال ابو اسحاقَ فى قوله تعالى : « وآتيناه الحُكمَ صَبيا ، وحنانا من لدنّا » أى وآتيناه حنانا ، قال : الحنان العطف والرحمة ، وأنشد سيبويه :

فقالت حنانٌ ماأتَى بك ههنا   أذو نسب أم أنت بالحيّ عارفُ

أى أمرى حنانٌ ، أو مايصيبنا حنانٌ ، أى عطف ورحمة ، والفعل من ذلك : تَحَنَّنَ عليه ، أى تَرَحَّم ، وهو التحنُّن بمعنى الترحم ، وأنشد ابن بَرّى للحُطَيئة :

تَحَنَّن علىّ هداك المليك   فان لكل مقام مقالا

وقال الطبرى قوله : « وحنانا من لدنّا » يقول تعالى : ورحمة منا به ومحبة له آتيناه الحكم صبيا ، وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الحنان ، فقال بعضهم معناه الرحمة ، ووجهوا الكلام الى نحو المعنى الذى وجّهناه اليه ، وقال آخرون : معنى ذلك ورحمة من عندنا لزكريا آتيناه الحكم صبيا ، وفعلنا به الذى فعلنا ، وقال آخرون : معنى ذلك : وتعطفا من عندنا عليه فعلنا ذلك ، وقال آخرون : معنى الحنان المحبة ووجّهوا الكلام الى : ومحبة من عندنا فعلنا ذلك . وقال آخرون : معناه تعظما منّاله .

وأورد الطبرى شواهد الآثار لكل ذلك ، ورُوى عن ابن عباس قال : لا والله ما أدرى ما « حنانا » . وللعرب فى (حنانك) لغتان : حنانك ياربنا وحنانيك ، وأنشد بيت طَرفة وبيت امرىء القيس المذكورين ، ثم قال الطبرى : وقد اختلف أهل العربية فى حنانيك فقال بعضهم : هو تثنية حنان ، وقال آخرون : بل هى لغة ليست بتثنية ، وقالوا وذلك كقولهم : حواليك ، وكما قال الشاعر : (ضَرْبا هذاذَيكَ وطَعْنا وخْضاً) وقد سَوَّى بين جميع ذلك الذين قالوا : حنانَيك تثنية فى أن كل ذلك تثنية .

قال الطبرى : وأصل ذلك ـ أعنى الحنان ـ من قول القائل : حَنَّ فلان الى كذا وذلك اذا ارتاح اليه ، واشتاق ، ثم يقال : تَحَنَّن فلان على فلان ، اذا وُصف بالتعطف عليه ، والرِقّةِ به ، والرحمة له ، وأنشَد بيت الحُطيئة المذكور ، ثم قال :

فالحنان مصدر من قول القائل : حَنَّ فلان على فلان ، يقال : منه حَنَنتُ عليه ، فأنا أحِن عليه ، حنينا وحنانا ، ومن ذلك قيلَ لزوجة الرجلِ : حَنَّته ، لِتَحَنُّنِه عليها وتعطُّفِه كما قال الراجز .

وليلـة ذاتِ دُجَـى سَرَيْتُ ولـم تَضرِنـى حَنَّـةٌ وبيتُ

وفى حديث زيد بن عمرو بن نُفيل : حَنَانَيك يارب ، أى ارحمنى رحمة بعد رحمة وهو من المصادر المُثَنَّاة التى لايظهر فعلُها ، كَلَبَّيك ، وسَعدَيك ، وقالـوا : حنانك وحنانيك ، أى تَحَنُّنا علىَّ بعد تحنُّن ، فمعنى حنانَيك تَحَنَّن علىَّ مرة بعد أخرى ، وحنانا بعد حنان .

قال ابن سِيدَة : معناه كلّما كنتُ فى رحمة منك وخير فلا يَنقَطعن وليكن موصولا بآخر من رحمتك ، هذا معنى التثنية عند سيبويه فى هذا الضرْبِ ، وأنشد بيتَ طرفة المتقدم . قال سيبويه : ولايُستعمل مُثَنى الا فى حَدّ الاضافة ، وحكى الأزهرى عن الليث : حنانيك يافلانُ افعل كذا ولاتفعل كذا ، يذَكره الرحمة ، والبِرّ ، وأنشد بيت طرفة السابق . .

قال ابن سِيدَة : وقد قالوا : « حنانا » فَصَلُوهَ من الاضافة فى حدّ الافراد . وكل ذلك بدل من اللفظ بالفعل ، والذى يَنتصبُ عليه غيرُ مستعمل اظهاره ، كما ان الذى يَرتفع عليه كذلك ، والعرب تقول : حنانك يارب وحنانَيـكَ ، بمعنـى واحد ، أى رحمتك ، وقالوا : سبحان الله ، وحَنانَيه أى واسترحامه ، كما قالوا : سبحان الله وريحَانَه ؛ أى استرزاقه .

وفَسَّرَ ابنُ الأعرابى قول امرىء القيس (حنانك ذا الحنانِ) .

فقال : معناه رحمتك يارحمانُ فأغنِنى عنهم ، وفَسرَّه الأصمعىَ بالرحمة ايضا أى أنزل عليهم رحمتك ، ورزقك ، ورواية ابن الأعرابى للبيـت (ويمنعهـا) تَسَخُّطٌ وذمٌ ، وكذلك تفسيره ، ورواية الأصمعى (ويَمنَحها) تشكر وحَمدٌ ، ودعاء لهم ، وكذلك تفسيره .

وقال الفراء فى قوله تعالى : « وحنانا من لدنا » أى وفعلنا ذلك رحمة منا لأَبَويك ، وذكر عِكرِمة عن ابن عباس انه قال : ما أدرى ما الحنان ؟

قال ابو تراب : وهذا يخالف رواية نافع عنه .

ومعنى الحنين والحنان متقارب تدل عليه الشواهد ، والحنون من الرياح التى لها حنين كحنين الابل ، أى صوت . قال النابغة :

غشِيتُ لها منازلَ مُقفرات تُذَعْذِعها مُذَعذِعةٌ حَنون

وحَنَّت ، واستَحنَّت ، أنشد سيبويه لأبى زُبيد :

مُستَحِنٌ بها الرياحُ فما يَجْتابُها فى الظلام كل هَجُودِ

قال الجوهرى يذكر محاورات العرب : وماله حَانة ولا آنَّة أى ناقة ولاشاة ، والمُستَحِنُّ مثله ، قال الأعشى :

ترى الشيخ منها يحُبُّ الايا بَ يَرجُف كالشارفِ المُستَحِنّ

والمُستَحِنُّ الذى استَحَنَّه الشوقُ الى الوطن ، قال يزيدُ بن النعمان الأشعرى

لقد تركت فؤادك مُستَحِنا مُطَوَّقَة على غُصن تَغَنَّى

وقوس حَنَّانة ، تَحِنُّ عند الإنباض ، قال :

وفى مَنكِبَىْ حَنَّانَة عُودُ نَبعة تَخَيَّرَها لى سُوقَ مكةَ بائعُ

أى فى سوق مكة :

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « أفلم يَيأسِ الذين آمنوا أن لو يشاء الله لَهَدى الناسَ جميعا » ؟ قال معناه : أفلم يَعلَم بلغة بنى مالك ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت مالك بن عوف يقول :

لقد يَئسَ الأقوامُ أنّى أنا ابنه وان كنت عن أرض العشيرة نائيا

قال ابو تراب : البيت فى الاساس (ج ٢ ص ٥٥٨) والطبرى ، والطبرسى ، وأبى حيان ، والشوكانى ، والقُرطبى ، وأنشد الطبرى ايضا :

حتى اذا يئس الرُماةُ وأرسلوا غُضُفا دواجن قافلا أعصامُها

وذكر الدَّا مَغانى فى كتاب الوجوه والنظائر : ص٥٠١ ان اليأس فى القرآن الكريم على وجهين ، أحدهما القنوط ، والثانى العلم ، فالقنوط قوله تعالى : « ولاَ تيأسُوا من رَوح الله ، انّه لاَ ييأسُ من روح الله الاّ القوم الكافرون » يعنى لاتقنطوا وبمعنى العلم قوله تعالى : « أفلم ييأس الذين آمنوا » يقول : أولم يعلم ومثله فى الوجوه والنظائر لابن الجوزى ج٢ ص٢٢٨ .

وقال السجستانى : فى مُعجم غريب القرآن : « أفلم ييأس » يعنى أفلم يتبينَ ، وانظر فى معناه المجاز لابى عبيدة ج١ ص٣٣٢ وغريب ابن قتيبة ص٢٢٨ ومعانى الفراء ج٢ ص٦٣ .

قال الطبرى : اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله : « أفلم يَيأس » فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه : ألم يعلم ويتبين ، ويَستشهد لقيله ببيت سُحَيم بن وَثِيل الرياحى :

أقول لهم بالشِعب اذ يأسِروننى ألم تَيأسُوا أنى ابن فارسِ زَهدَم

وذكر ابن الكلبى أن ذلك لُغَة لِحَيّ من النَخع يقال لهم : وَهبيل ، وذكر عن القاسم بن مَعن : انها لغة هوازن ، وأنهم يقولون : يَئست كذا أى علمت .

قال الطبرى : وأمّا بعضُ الكوفيين فكان ينكر ذلك ، ويزعم أنه لم يَسمَع أحدا من العرب يقول : يَئسِتُ بمعنى علمت ، ويقول ، هو فى المعنى وان لم يكن مسموعا : يئست بمعنى علمتُ ، يتوجه الى ذلك أن الله قد اوقع الى المؤمنين ، انه لو شاء لهدى الناس جميعا ، فقال : أفلم يَيأسُوا علما ، يقول ، يُؤيِسُهم العلمُ ، فكان فيه العلم مُضمَرا ، كما يقال : يَئسِتُ منك أن لاتُفلحَ علما ، كأنه قيل : علمتُه علما ، وقول الشاعر :

حتى اذا يئس الرُماة وأرسلوا غُضُفا دواجن قافلا أعصامُها

معناه : حتى يئسوا من كل شيء مّما يمكن الاّ الذى ظهر لهم أرسلوا ، فهو فى معنى : حتى اذا علموا أن ليس وجه الاّ الذى رأوا ، وانتهى علمهم فكان ماسواه يأسا ، وأما أهل التأويلِ فانهم تأوّلوا ذلك بمعنى : أفلم يعلم ويتبين والصواب ماقاله أهلُ التأويل .

وقال صاحبُ المفردات : « أفلم ييأس الذين آمنوا » قيل : معناهُ أفلم يعلموا . ولم يَرِد أنَّ اليأسَ موضوع فى كلامهم للعلم ، وانما قُصِدَ أن يأسَ الذين آمنوا من ذلك يقتضى أن يَحصُلَ بعد العلم بانتفاء ذلك ، فإذَن ثبوتُ يأسهم يَقتضى ثبوتَ حصول علمهم .

وفى الكشاف : معنى « أفلم يَيأسَ » أفلم يَعلم ، قيل هى لغة قوم من النَّخع ، وقيل : انما استعمل اليأس بمعنى العلم لِتَضَمنه معناه ، لأن اليائس عن الشىء عالم بأنه لايكون ، كما استُعمل الرجاء فى معنى الخوف ، والنسيان فى معنى الترك لتضمن ذلك ، قال سُحَيمُ بن وَثيل الرياحى

أقول لهم بالشعب إذ يَيسِرونَنى ألم تَيأَسُوا أنى ابن فارسِ زَهدم

ويدلّ عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا « أفلم يتبين » وهو تفسير : « أفلم يَيأس » وقيل : انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السِينات ، وهذا ونحوه مما لايُصَدَّق فى كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وكيف يَخفى مثْلُ هذا حتى يبقى ثابتا بين دَفَّتَى الامام ، وكان متقلبا فى أيدى اولئك الأعلام المحتاطين فى دين الله المُهَيمِنين عليه ، لايَغفُلونَ عن جلائله ودقائقه ، خصوصا عن القانون الذى اليه المرجع ، والقاعدة التى عليها البناء ، وهذه والله فرية ما فيها مِريَة

قال ابو تراب : ونسبوها الى ابن عباس نفسه وقالوا : انه قرأ : « أفلم يتبين » فقيل له : هو أيُّها ؟ « أفلم يَيأَس » فقال : أظنّ أن الكاتب كتبها وهو ناعس وهذا كذب محض والعياذ بالله .

وقرأت فى كتاب لغات القبائل لأبى القاسم بن سلام (ج ١ ص ٢٠٥)
« أفلم ييأس الذين » أفلم يعلموا بلغة هوازن .

قال ابو تراب : ولاشك فى أنها لغة ، وأنت ترى الاختلاف واضحا بين أقوال العلماء ونقولهم فبعضهم قال انها لغة النَّخع ، وبعضهم قال : انها لغة هوازن ، وبعضهم قال : انها لغة بنى مالك ، وخَبَرتُ أن أكثر المفسرين لم يراجعوا الاسئلة والأجوبة التى جَرَت بين ابن عباس ونافع بن الأزرق عند تفسيرهم للكلمات التى تَضمنتها بدليل عدم الاشارة اليها ، مع كونها حُجة فى العربية ، وقد استحال التدوين اللغوى الأوَّل ، وهو جمع لغة كل قبيلة على حدة ، ولايوجد بين أيدى الناس كتاب يفى بهذا المقصود ، ولغات القبائل مختلطة فى المعاجم العربية دون التنصيص عليها الاّ فيما نَدَر ، فاذا تَسَنَّى تحقيق ذلك فى كلمة فانه يعزّ فى سائر الكلمات .

واليأس أصل يدلّ على معنيَينْ : قطع الرجاء والعلم ، والدليل على المعنى الأخير استشهاد ابن عباس ، فكيف يقول الراغب الاصفهانى انه لم يَرِد استعماله بهذا المعنى الاّ من باب التَّبَعية والتَضَمُن ؟

وقد ذكر هذا المعنى ابن فارس فى المقاييس ، وهذا الكتاب عمدة فى الاشتقاق لايُعرفُ له نظير ، قال : أفلم تَيأس أى ألم تَعلَم ، وقالوا فى قوله تعالى : « أفلم يَيأسِ الذين آمنوا » أى أفلم يعلم ، وأنشد بيتَ سُحَيم المذكور ، وهو يُنسب لولده جابر ايضا .

وقال الزمخشرى ـ وهو وطّاء اللغة ـ فى الأساس : قد يَئسِتُ انك رجلُ صدق ، بمعنى علمت ، وأنشد البيتين المذكورين ، ثم قال : وذلك أن مع الطمع القَلَقَ ، ومع انقطاعه السكونَ ، والطمأنينةَ ، كما مع العلم ، ولذلك قيل : « اليأسُ احدى الراحتَين »

وفى التاج للزَّبيدى : « أفلم يَيأس » قال أهل اللغة معناه : أفلم يعلم الذين

آمنوا علما يَئِسُوا معه أن يكون غير ما علموه ، وقيل : معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لايؤمنون .

قال ابو تراب : وهذا المعنى قاله ابو اسحاق الحَربى فى غريب الحديث .

وفى اللسان لابن منظور : يَئِس بمعنى علم ، وذكر قول اليربوعى : (ألم تَيأسُوا أنّى ابن فارس زَهدَم) وفسرّه بأنه بمعنى ألم تعلموا وزَهْدمَ اسمُ فرس .

وقال القاسم بن مَعن : يَئستُ بمعنى علمتُ لغة هوازن ، وقال الكلبى : هى لغةُ وَهبيل حَىّ من النَّخع ، وهم رهط شريك . وفى الصحاح : انه فى لغة النَّخع ، وروى عن ابن عباس انه قال : يَئِسَ بمعنى عَلِمَ لغة للنخع ، قال : ولم نجدها فى العربية الاّ على مافَسرتُ .

وقال المفسرّون : هو فى المعنى على تفسيرهم ، الى أن الله تعالى قد أوقع المؤمنينَ أنه لو شاء هَدىَ الناس جميعا فقال : أفلم يَيأسُوا علما . يقول : يُؤْيِسُهم العلم ، وكان فيه العلم مضمرا ، كما تقولُ ، فى الكلام قد يئست منك أن لاتُفلح كأنك قلتَ : قد علمتُه علما .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وإنّى لأظنّك يافرعونُ مثبورا » ؟ قال : ملعونا ، محبوسا من الخير . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نَعَم ، أما سمعتَ عبد الله بن الزِبَعرىَ يقول :

إذ أتَانى الشيطانُ فى سِنَةِ النَو م ومَن مالَ مَيلَه مثبورُ

قال ابو تراب : البيت فى ابن هشام (ج ٤ ص ٦١) ومختار شعر بشار (ص ١٨٤) والطبرى وأبى حيّان ، والطَّبرِسّى ، ويُروى : (إذ أُبارى الشيطانَ فى سَنَن الغَىّ) الخ ورواه ابو عبيدة فى المجاز ج٢ ص٧١ : « اذ أجارى » الخ

ولم يَرد فى القرآن الثبور إلا بهذا المعنى قال تعالى : « دَعَوا هنالك ثبورا » وهو الهلاك ، والمثبور الهالك ، والحَبسُ فى « مثبورا » معنى آخر ، له شواهد فاذا تَعَينَّ كان به الاستدراك على الدَّامَغَانّى ، وابن الجوزى وانظر معناه فى غريب ابن قتيبة ص٢٦١ ومعانى الفراء ج٢ ص٢٦٣

ولهذا اللفظِ فى اللغة ثلاثة معان هى الأصول : الهلاك ، والسهولة ، والمواظَبة على الشيء . وفى جمهرة اللغة لابن دريد : تَثَابَرتِ الرجال فى الحرب اذا تَوَاثَبَت . وقال الطبرى : المثبور الملعون ، الممنوع من الخير الهالك وقال آخرون : هو المغلوب ، وقال آخرون ، هو المُبَدَّلِ المُغَيرَ ، وقال آخرون : هو المخبولُ لاعقل له .

وفى محاورات العرب بيان المعنى القرآنى فى هذا اللفظ ، يقولون : ثَبَرَهُ الله أى أهلكه هلاكا دائما ، لايَنتَعِشُ بعده ، ومن ثَمَّ يدعو أهل النار : « واثُبُوراه » ويقولون : ماثَبَرك عن حاجتك ؟ أى ماثَبَطَكَ والثَّبر الحَبس ، يُفَسرَّ بذلك قوله تعالى : « مثبورا » وشاهده قوله :

(بِنَعمانَ لم يخلَق ضعيفا مُثَبَّرا)

قال ابو زيد : ثَبرتْ فلانا عن الشيء رددته عنه ، وفى حديث أبى موسى الأشعرى : أتدرى ماثَبَر الناسَ ؟ أى ماالذى صَدَّهم ، ومنعهم من طاعة الله ؟ وقيل : مابَطَّأَ بهم عنها ؟ ذكره ابن الأثير فى النهاية .

وقال الفراء فى قوله تعالى : « مثبورا » أى مغلوبا ، ممنوعا من الخير . وقال ابن الأعرابى : المثبور الملعون المطرود المُعَذَّب ، وثَبَره عن كذا أى حَبَسه ، والعرب تقول ، ماثَبَرك عن هذا ؟ أى مامنعك منه ، وماصَرَفك عنه ؟ وقال مجاهد : « مثبورا » أى هالكا . وقال قتادة : « ثبورا » وَيلا ، وهلاكا ، ومن أمثال العرب : « الى أُمهِ يَأوى من ثُبر » أى من أُهلك والثبور الهلاك ، والويل . والخسران .

قال ابو تراب : ولم يذكره الميداني ، وانما ذكر : « الى أمّهِ يَلهَف اللّهفان »
قال الكُميت :

ورأت قُضاعـــــةُ فى الأيَـــا مِـــنِ رَأىَ مثبـــور وثـابـر

أى مخسور وخاسر ، يعنى فى انتسابها الى اليمن . وفى حديث الدعاء ، أعوذ بك من دعوة الثبور ، هو الهلاك .

وقوله : « لاتَدعُوا اليومَ ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا » قال الفَرَّاء : الثبور مصدر ، ولذلك قال : « ثبورا كثيرا » لأن المصادر لاتجُمع ، ألاَ تَرى أنك تقول : قعدتُ قعودا طويلا ، وضربتُ ضربا كثيرا ، قال : وكأنهم دَعَوا بما فعلوا ، كما يقول الرجل : « واَندَمَتَاه »

وقال الزَجَّاج فى قوله : « دَعَوا هنالك ثبورا » : هلاكا ، ونصبه على المصدر كأنهم قالوا : ثُبِرنَا ثبورا ، ثم قال لهم : « لا تَدعُوا اليوم ثبورا » مصدر فهو للقليل والكثير على لفظ واحد .

والثَبرَة النُقرة تكون فى الجبل ، تُمسِك الماء ، يصفو فيها كالصَهريـج اذا دخلها الماء خرج فيها عن غُثائِه ، وصفَا ، قال ابو ذُؤيب :

فَثَـجَّ بهـا ثَبَـراتُ الرِصَا فِ حتـى تَزَيَّـلَ رَنـقُ الكَدَر

أراد بالثَّبرات نقاراً يجتمع فيها الماء من السماء فيصفو فيها .

وفى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير : فى حديث معاوية : أن أبا بُردَةَ قال : دخلتُ عليه حينَ أصابته قُرحة ، فقال : هَلُمَّ ياابن أخى فانظر ؟ قال : فنظرتُ فاذا هى قد ثَبَرَت ، فقلت : ليس عليك بأس ياأمير المؤمنين قال : ثَبَرَت أى انفَتَحَت وفى حديث حَكيم بن حِزَام : أن أُمَّه ولدته فى الكعبة وأنه حمُل فى نِطَع ، وأُخِذ ما تحتَ مَثبَرها ، فغُسل عند حوض زمزم ، المَثبر مَسقَطُ الولد ، وأكثر مايقال فى الابل .

وفى المقاييس : من أصول هذه المادة الثلاثة السهولة ومنها ثَبر البَحرُ أى جَزَر . وذلك يُبدى عن مكان لينّ سهل .

قال ابو تراب : ليس المَثبِر هو الموضعَ الذى تلد فيه الناقة أو المرأة فقط بل يطلق ذلك على المجلس ايضا ، وعلى المَنْحَر ، ذكره الجَواليقى فى شرح أدب الكاتب .

وفى الكشاف قال الفراء : « مثبورا » مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم : ماثَبَرك عن هذا ؟ أى مامنعك وصرفك ؟

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس ، أخبرنى عن قوله تعالى : (فَأَجَاءَهَا المَخاضُ الى جِذْعِ النَّخْلة) ؟ قال (أَلْجَأها) قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أمَا سمعت حسانَ بَن ثابت الأنصاريَّ يقول :

إذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صادقةً فَأَجَأْناكم الى سَفْح الجَبَلْ

قال ابو تراب : البيت فى الديوان (ص ٣٠٢) وابن هشام (ج ٣ ص ١٤٤) وفى أساس البلاغة أجَاءَهُ الى مكان كذا ، أَلْجَأَهُ اليه ، وأَجَاءَتنى اليك الحاجة ، وجاءتْ بَي ِ الضرُورةُ ، وأَجَاءَتْ ثوبهَا على خَدَّيْها ، حَدَرَتْه عليها ، وأَجَاءتْ على قدمَيْها ، أرسلتْ فُضول ثيابها ، قال لَبيد :

اذا بَكَر النساءُ مُرَدَّفات حواسرَ لاتجُيِيُء على الخدام ِ

وقال ابو زيد فى كتاب النوادر : وقد يَدَعُون الهمزةَ فيقولونَ : جَا ، يجِي والناس يجُون وحَكَي سيبويه عن بعض العرب هو يجِيْك ، بحذف الهمزة وفى اللغة : أَجَاءَهُ الى الشىء جاء به وأَلْجَأَهُ ، واضْطَرهُ اليه قال زُهير بن أبى سُلْمَي :

وجارٍ سار معتمداً اليكم أَجَاءَتْه المخافةُ والرجاءُ
فجاوز مُكْرما حتى اذا ما دعاه الصيفُ وانقطع الشتاء
ضَمِنْتم مالَه وغداً جميعاً عليكم نقصه وله السماءُ

قال الفَّراء : أصله من جئتُ وقد جعلتْه العرب إلجاء ، وقال سيبويـه فى قولهم : (وماجَاءَتْ حاجتك أى ما صارتْ إنَّه أُدْخِلَ التأنيثُ على (ما) حيث كانتِ (الحاجة) كما قالوا : مَنْ كانتْ أُمَّك حيث أوقعوا (مَنْ) على مؤنث ، وانمّا صُيِّر (جاء) بمنزلة(كان) فى هذا الحرفِ لأنه بمنزلةِ المَثَل كما جعلوا (عَسَى) بمنزلةِ (كان) فى قولهم : عَسَى الغُوَيْرُ أبْؤُسا ولا تقولُ : عَسِيتَ أخانا

وقال الفَّراء فى معانى القرآن ج٢ ص١٦٤ : (فأجاءها المَخَاضُ) هو من جَئتُ كما تقول فجاء بها المخاضُ فلماّ أُلقيتِ الباء جُعل فى الفعل ألف ، كما تقول : آتيتُك زيداً ، تُريد أتيتُك بزيد ، وفى اللسان : أجَأْتُه أى جئتُ به ، وجاء به ، وأجَاءَهُ وفى المَثَل : (شَرٌ ما أجَاءَكَ الى مُخَّةِ العرقوب وشَرٌ مايُجْيئُكَ الى مُخَّة عرقوب) قال الاصعمى : وذلك ان العُرقوب لامُخَّ فيه وانما يُحْوَجُ اليه من لاَيقدرُ على شىء ومنهم من يقول : (شَرٌ ما ألْجَأَك) والمعنى واحد وتميم تقول : (شَرٌ ما أشَاءكَ) .

وأنظر غريب ابن قتيبة ص٢٧٣ ومجاز أبى عبيدة ج٢ ص٤

قال ابو تراب : وفى مَجْمَع الأمثال للميدانى : ويُروى (شَرٌ مايُشيئُك الى مُخَّة عرقوب) قال : والشين بدل من الجيم ، وهذه لغة تميم ، يقال : أجَأْتُه الى كذا أى ألْجَأْتُه ، والمعنى : ما ألْجَأْتُه والمعنى : ما ألْجَأَك اليها الآشَرٌ ، أى فقر ، وفاقة وذلك ان العرقوبَ لامُخَّ له ، وانما يُحْوَجُ اليه مَنْ لايقدر على شىء وهذا المَثَل يُضربُ للمُضْطَرِّ جدًا .

وقال ابو هلال العسكرى فى جَمْهَرة الأمثال : قولهم : شر ما أجَاءَك الى مُخَّة عرقوب ، يُضربُ مثلا لكل شىء مضطر الى ما لا خير فيه والعرقوبُ لا مُخَّ فيه ، ويقال : ألجأهُ الى كذا وأجَاءَهُ فى معنى واحد ، وفى القرآن الكريم (فَأَجَاءَهـا المخاض الى جِذْعِ النخلة) وهو مَلْجَأٌ ، وأجَاءَ إجاءَةً .

وقال الزمخشرى فى الكشاف : أجَاءَ منقول من جاء الاّ أن استعمالَه قد تَغَيَّرَ

بعد النقل الى معني الألجَاء ألاَ تَراكَ لا تقول : جئتُ المكانَ ، وأجَاءَ نيْه زيد كما تقول : بَلَغْتُه وأبْلَغَنِيْه ، ونظيرُه (آتَي) حيث لم يُستعمل الاّ فى الاعطاء ، ولم تقل : أتيتُ المكانَ ، وآتَانِيْه فلان .

وفى غريب القرآن لأبى بكر السَّجِسْتَانيِ (ص ١٧) : (أجَاءَها المَخَاضُ) جاء بها . ويقالُ : ألجَأها .

وفى كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر للزَجَّاجَي (ص ٥٩) : أجَأْتُه اليَ وأشَأْتُه أى ألجَأْتُه .

وقال ابو الطيب فى كتاب الابدال (ج١ ٢٢٦) : الاجَاءَةُ والاشَاءَةُ الاضطرار يقال : أجَاءَهُ الى كذا وكذا يُجِيئُهُ ، إجَاءَة ، وأشَاءَهُ ، يُشيئُهُ إشاءَةً إذا اَضطَرَّهُ ، وألْجَأهُ اليه ومن أمثالهم : (أُشِئْتَ عقيلُ الى عقلك) وفى التنزيل : (فأجَاءَهَا المَخَاضُ) أي ألجأها .

وقال الشاعر : ـ قلت : هو مِرْداسُ بُن حُبشَيش وشعره فى الحماسة (ج ١ ص ٢٢٧) بشرح التبريزى ونسبه الى بعض بنى فَقْعَس وصَححَه ابن الأعرابى :

كيما أُعِــدُّ همــو لأبْعَــدَ منهمو ولقــد يُجَــاءُ الى ذوى الأحقادِ

أى ولقد يُلْجَأُ اليهم . وقال الآخر :

(ونطعن ان أُشِئْتُ الى الطِعانِ)

أيْ إنْ أُلجِئتُ اليه .

ولغُة الشين هى لغة تميم (وعقيل) فى المثل المذكور اسم رجل و (أُشِئْتَ) أى أُلجِئْتَ يريد لما أُلجِئْتَ الى عقلك ووُكلْتَ الى رأيك جَلَبًا اليك ما تَكْرَهُ . قال ابو عمرو : (أُشِئْتَ الى عقلك ياعقيل) العقُل العَرَج وكان عقيل أعرج ويُضرب هذا المثل للرجل يقع فى أمر يهتم للخروج منه ، فيقالُ : اضْطُرِرْتَ الى نفسك فاجتهد فانك وان كنتَ عليلا اذا اجتهدت كنت قَمِناً بأن تنجُوَ ذكره الميدانى فى مجمع الأمثال .

وقال الطبرى فى قوله تعالى : (فأَجَاءَها المخاضُ ، أجَاءَك من لغة أهل العالية

قال ابو تراب : ولم يذكره ابنُ سلاّم فى لغات القبائل فى القرآن

ومن مادّة المجىء : جَيَّأْتُ القِرْبَةَ ، اذا خِطْتَها ، ورَقَعْتَها قال :

تَخَرَّقَ ثَغْرُها أيامَ خُلَتْ على عَجَلٍ فَجِيبَ بها أديمُ
فَجَيَّأَها النساءُ فخان منها كَبَعْثَاةٌ ورادعة رَذُومُ

وفى رواية البيت الأخير اختلاف كبير فى الألفاظ ذكره الزَبيدى فى تاج العروس .

* * *

وقال نافعُ بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (واذا تُتلى عليهم آياتُنا بَينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أيُ الفريقَينِ خير مقاماً وأحْسَنُ نِدَياً ؟) قال : النادى المجلس قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت الشاعر يقول :

يومانِ يوُم مَقاماتٍ وأنْدِية ويوم سَيرْ الى الاعداء تأويبُ

قال ابو تراب : قائله سَلاَمةُ بن جَنْدل ، والبيت فى الكامل (ص٤٦٩) ، والفائق (ج٢ ص٢٩٠) والطبريَ والطَّبرسى ، والقرطبى ، واللسان والتاج فى مادة (اوب) والمفضليات ص٢٢٤ ومجاز أبى عبيدة ج٢ ص١٠ والنادى والنديَ بمعنى واحد وقد وردا معاً فى القرآن ، قال تعالى : (وتأتون فى ناديكم المنكر) قيل : كانوا يحذفون الناسَ فى مجالسهم ، فأعْلَم اللهُ أنَ هذا من المنكر ، وأنه لاينبغى ان يَتَعَاشَرَ الناس عليه ولايجتمعوا على الهُزْوِ ، والتلَهّي ، وأن لايجتمعوا الاّ فيما قَرَّب من الله وباعد من سَخَطِه .

وأما قول مُرَّة بن مُحْكَان :

في ليلــة من جُمــادى ذاتِ أنْدِيَة لا يُبْصِرُ الكلب من ظَلْمائِهـا الطُنُبَا

فقد ذهب محمدُ بن يزيدَ الى أنه جمعُ نَدِيّ وذلك أنهم يجتمعون فى مجالسهم لِقِريَ الأضياف ، وهذا قول خالف فيه غيره وبه قال الأزهرى لأنهم قالوا : إنّه جمعُ نَديً على غير قياس ، ذكره الجوهرى ، وقيل : ليس هو تكسيراً على أفْعِلَة كأقْفِزَة بل هو أفْعُلَة تأنيث أفْعُل كأجْبُل ثم كُسرتِ العينُ لأجْلِ الياء ، وهو خلافُ قول الكافّة . وقال الطبرى : النَدِيُ المجلس وأنشد قول حاتم :

ودُعيــتُ فى أولى النــديَ ولم يُنْظَــر اليَ بأعــين خُزْر

ونَدَا القومُ نَدْواً ، وأنْتَدَوا ، وتَنَادَوْا أى اجتمعوا قال المُرَقّشُ :

لا يُبْعــدِ اللــهُ التَلَبُّــبَ والغا راتِ إذْ قال الخميسُ نَعَمْ

والعَــدْوَ بــين المجلسِينْ اذا آدَ العَشِّي وتَنَــادى العَمّ

والنَّدْوَة الجماعة ونادى الرجل جالَسَهُ فى النـادى ، وهـو من ذلك قال : (أنادى به آل الوليد وجعفرا) والنَّدَي المجالسة ، وناديتُه جالستُه ، وتنادوا أى تجالسوا فى النادى ، والنَدِيُّ المجلسُ ماداموا مجتمعينَ فيه ، فاذا تفّرقوا منَه فليس بنديَ . وقيلَ : النَدِيُّ مجلسُ القومِ نهاراً والنادى كالنديَ .

قال الأزهرى فى التهذيب : النادى المجلس ، يَنْدُو اليه مَن حَوالَيْه ولاُيَسَّمى نادياً حتى يكونَ فيه أهُله ، واذا تفرقوا لم يكن نادياً وهو النديُّ والجمعُ الأندية ، والأنديات ايضاً قال كُثَيرَ :

لهــم أنديــاتٌ بالعَشِي وبالضُحى بَهَالِيُــل يَرجــو الراغبــون نَهالَها

وفى حديث أم زَرْع : (قريب البيت من النادى) النادى مُجْتَمِعُ القوم وأهل المجلس ، فيقع على المجلسِ وأهله ، تقول : إن بيتَه وسَط الحِلَّة ، أو قريباً منه ليغشاه الأضيافُ ، والطُرَّاقُ .

ومنه حديث الدعاء : (فانّ جارَ النادى يَتحَوَّلُ) قال ابن الأثير فى غريب الحديث يعنى جار المجلس ، ويُروى : جارُ البادية .

قال ابو تراب : رواه الحاكم فى المُسْتَدْرِكِ ، وابن حَبان فى صحيحه والنسائى فى السنن عن أبى هريرة بلفظ : أعوذ بك من جار السوء فى دار المُقَامَةِ ، فان جارَ البادية يتحَول وفى رواية : مِنْ جار غير صالح ، أو من الجار المؤذى المُسِيء .

قال المُلاَّ على القارى فى الدر الثمين فى شرح الحِصن الحصين للجَزْرى (ص ٢٢٥) جارُ البادية هو الواقع فى البَدْو وحالِ السفر ، يتحوّل أى من مكان الى مكان إيماء الى أنه سريُع الزوال ، سهْلُ التحُمل عنه فى الأثقال ، فجارُ الاقامة أحَق بالاستعاذة من جارِ البادية ، لأنه فى مَقام التحوُلِ والانتقال ولايبعدُ أن يكون إشارة بالجار السوء الى النفس التى هى أعْدَي الاعداء .

وفى الحديث ايضاً : (واجعلنى فى النَدِيَ الأعلى) النديُّ بالتشديد النادى أى اجعلنى مع الملأ الأعلى من الملائكة . وفى رواية : واجعلنى فى النِداء الأعْلَيَ أراد نِداء أهلِ الجنة أهلَ النار : (أن قد وجَدَنا ما وعدنا ربنا حقّا) .

وفى حديث سرِية بنى سُلَيْم : (ماكانوا ليقتلوا عامراً وبنى سُلَيْم وهم النَدِي) أى القوم المجتمعون وفى حديث أبى سعيد : (كنا أنْدَاء فخرج علينا رسول الله ﷺ) الانداء جمع النادى ، وهم القوم المجتمعون وقيل : أراد كنّا أهلَ أنْداء فحَذف المضاف .

وفي الحديث : لو أن رجلا نَدَا الناسَ الى مَرْ مَاتَينِ أو عَرْق أجابوه . أى دعاهم الى النادى ، يقال : نَدَوْتُ القوم أنْدُوهم ، اذا جمعتَهم فى النادى وبه سُمَيت دارُ النَدوة بمكة ، لأنهم كانوا يجتمعون فيها ويتشاورون والمَرْ مَاتَانِ ظِلْفا الشاةِ ، أو ما بينهما .

قال الجوهرى فى الصحاحَ : النديُّ على فعيل ، مجلسُ القومِ ومُتَحَدَّثُهم ، وكذلك النَدوة والنادى والمُنْتَدى ، والمُتَنَدَّي ، وأنْشَدوا شعراً زعموا أنَه سُمع على عهد النبى ﷺ :

وأهْـــدَيَ لنـــا أكْبُشـــاً تَبَخْبَـــخُ فى المِرْبَـــدِ

ورَوْحُـــك فى النــادى ويعلـــم ما فى غـــد

فقال ﷺ : لايعلم الغيب الاّ الله .

ونَدوتُ أى حضرتُ الندىَ وأنتديتُ مثلُه ، وندوتُ القـومَ ، جمعتُهـم فى النديّ ، وما ينِدوهم النادى أى مايسَعُهم .

قال بشر بن أبى خازم الأسدى :

ومايندوهــم النــادى ولكن بكــلَ مَحلَّــة منهــم فئام

أى مايسعهم المجلس من كَثْرتهم ، والاسم النَّدوة ، وقيل : النَّدوة الجماعة ودار النَّدوة منه ، أى دار الجماعة ، سميت من النادى ، وكانوا اذا حَزَبَهم أمر نَدَوْا اليها فاجتمعوا للتشاور ، وأُناديك أُشاورك ، وأجالسَك من النادى .

وقوله تعالى : (فَلْيَدْعُ نادِيهْ) يريد عشيرتَه ، وانما هم أهلُ النادى ، والنادى مكانُه ، ومجلسُه ، فسَّماه به ، كما يقال : تقوض المجلس .

واستغرب ابن الأثير كلمَة النُدُوَّ الواردة فى حديث عذاب القبر فى مسنِد أحمدَ وقال : (يريد نداوةً) .

وجعل سيبويه النُدُوَّةَ من باب الفُتُوَّة ، والواو أصلها ياء ، كما ذكره ابن جِنّي ايضاً . ومن شواهد الأندية قول زهير بن أبى سُلْمَي :

وفيهــم مقامـــاتٌ حسانٌ وجوهُها وأنديـــةٌ ينتابهُـــا القــولُ والفعل

وانظر فى المعنى غريب ابن قتيبة ص٢٧٥ ومعانى الفراء ج٢ ص١٧١

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (وكم أهلكنا قبلهم من قَرْنٍ هم أحسنُ أثاثاً ورِئْيًا) ؟ قال : الأثاث المتاع ، والرِئْـيُ من الشراب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعـتَ الشاعـر يقول :

كأنَ على الحُمـول غداةَ وَلَّوْا من الرِئـيِ الكريـمِ من الأثاثِ

قال ابو تراب : فاتت هذه المادة محمد فؤاد عبد الباقى فلم يوردها فى مسائل نافع بن الأزرق التى الحقها بمعجم غريب القرآن المستخـرج من صحيح البخارى ، وانظر معنى المادة فى مجاز أبى عبيدة ج٢ ص١٠ وغريب ابـن قتيبـة ص٢٧٥ ومعانـى الفـراء ج٢ ص١٧١ وفى تفسير القرطبـى ج١١ ص١٤٣ أنشد ابو عبيدة لمحمد بن نمير الثقفى :

أشاقتـك الظعائـن يوم بانوا بذى الرئـى الجميـل من الأثاث

والبيـت فى الكامـل ص٣٧٦ والجمهـرة ج١ ص١٤ واللسان والتـاج فى (رأى)

قال الطبرى ج١٦ ص٨٨ : (رِئياً) منظراً وصُوَراً . وأنشد قول علقمة :

كُميـتُ كلـونِ الأُرْجُـوان نشرتُه لبيـع الرِئـيَ فى الصوان المُكعَّبِ

الصِوان التَخْت الذى تُصان فيه الثياب ، وقرأ بعضهم : (وزِياً) والأثاث متاع البيت ، وقيل وهو ماجَدَّ من الفَرْش ، والخُرْثُى مالُبِسَ منها . وأنشد الحسن ابن على الطُوسى :

تَقَـادَم العهـد من أمِ الوليـد بنا دهـراً وصار أثـاثُ البيـت خُرْثياً

والرِئيُ المنظر والهَيْأةُ . قال الزمخشرى فى الكشّاف : (رِئياً) فِعْل ، بمعنـى مفعول من (رأيتُ) و (رِيْئاً) على القلب ، كقولهم : (رَاءَ) فى (رَأي) و (رِيًّا) على قلب الهمزة ياء والادغام أو من الرِيّ الذى هو النعمة ، والتَّرفُه ، من قولهم : رَيأَنُ من النعيم و (رِياً) على حذف الهمزة رأساً ، ووجهه أن يُخَفَف المقلوبُ وهو (رِيْئاً) بحذف همزته وإلقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها .

و (زِياً) اشتقاقه من الزِيّ ، وهو الجمع ، لأن الزِيَّ محاسن مجموعة .

قال ابو تراب : هذه القراءات الخمس لم يذكرها ابن الجَزْرى فى كتاب النشر ، وقد ذكرها ابو شامةَ فى شرح الشاطِبية . وتفسير ابن عباس المذكور

مُنْصَبُ على أنه مأخوذ من الرَّيِّ الذى هو بمعنى الشرُب التامّ لذلك فسرّه بالشراب . وتفسير الزمخشرى الرِيَّ بالنعمة مجاز ، لأنّ النعمة تظهر بالارتواء ، ومن الرِيّ اشتُقَّ الرُّوَاءُ ، وهو ماء الوجه ، وحُسْنُ المنظر ، فالشرُبُ فيه هو الأصلُ الذى بَنيَ عليه ابن عباس تفسيرهُ ، وظهوُر النعمة ، والترفه ، وحُسْن الهيأة ورونقُ المنُظر فروع لهذا المعنى ، فكأنه أراد أنهم ٱرْتَوَوْا من النعمة ، وتَشرَّبُوها وامتلأت جلودهم بها . قال ابن فارس : الأصل فيه خلاف العطش ، ثم يُصرَّف فى الكلام لحاملِ مايَرْوَي منه ، فالأصل رَويْتُ من الماء رَياً ، وهو راوٍ من قوم رواةٍ ، وهم الذين يأتون بالماء ، ثم شُبّه بذلك الذى يأتى القومَ بعلمٍ أو خبرٍ فيرْويْه كأنّه أتاهم بِريِهّم من ذلك .

قال ابو تراب : يصحّ التعليل الذى ذكرناه على القول بأن اشتقاق الكلمة من هذه المادّة ، وإلاّ فانّ بعض المفسّرِين جعلها من الرؤية ، كما أسبقنا الاشارة الى ذلك . والرِئْيُ مارأتِ العينُ من حالٍ حسنةٍ . وجعل ابن فارس الرُّواءَ من هذه المادّة ، ويَصحُ اشتقاقُه عندنا من الرؤية والرَّيّ ، لأنه يقع فيه القَلْب .

وفى المفرداتِ للراغب : من لم يهمزْ جعله من رَوِيَ كأنه ريّانُ من الحُسن ومن هَمزَ فللذى يُرْمَقُ من الحسن به . وفى أساس البلاغة ، ولهم أثاث ورِئْي وهو ما رُؤوا عليه من حسن زيٍ وحال متزيّنة .

وعلى قراءة (هم أحسن أثاثاً ورِياً) جاء قولهم : له رَيَّا طيّبة ، وهى الريح البالغة التى رَوِيتْ من الطيب ، صفة غالبة ، و الاشتقاق واحد ، قال المُتَلَمِّس :

فلــو أن محمومــاً بَخْيَبَــر مُدْنَفاً تَنَشَّق رِياَهــا لأَقْلَــعَ صالِبُه

قال ابو تراب : حُمّي صالبُ أي شديدة الحرارة معها رِعْدَةٌ ، وهى خلاف النافِضِ . والأثاث الكثير من المال ، وقيل : كثرة المال ، وقيل : المال كله والمتاع ما كان من لباس أو حشو ، لفراش أو دِثار ، واحدته أُثاثةٌ ، واشتَقّه ابن

دُريد من الشيء المُؤَثّث أى المُؤَثَّر . وقال الفراء : الأثاث المتاع وكذلك قال ابو زيد ، والأثاث المالُ أجمعُ ، الابل والغنم والعبيد ، والمتاع . وقال : الأثاث : لا واحدَ لها ، كما أن المتاع لا واحدَ له ولو جمعتَ الأثاث لقلتَ : ثلاثة آثَّةٍ ، وأُثُثٌ كثيرة .

قال ابن منظور : والرِيُّ المنظر الحسن فيمن لم يعتقدِ الهمزَ . قال الفارسى : وهو حَسَنٌ ، لمكان النعمة ، وأنه خلاف أثر الجهد والعطش والذبول ، وفى التنزيل : (أحسن أثاثاً ورِياً) قال الفَرَّاء : أهل المدينة يقرأونها : (رِياّ) بغير همز ، قال : وهو وَجْهُ جيد من (رأيت) لأنه مع آياتٍ لَسْنَ مهموزاتِ الأواخر وذكر بعضهم أنه ذَهب بالرِيِّ الى (رَوِيْتُ) اذا لم يهُمزْ ، ونحو ذلك قال الزَجَّاج : من قرأ (رِيّا) بغير همز ، وله تفسيران أحدهما : ان منظرهم مُرْتَوِ من النعمة ، كأن النعيم بَيِنَّ فيهم ، ويكون على ترك الهمزة من (رأيت) ، وأنشد فى الرَّيا بمعنى الريح الطيبة قوله :

(تَطَلَّعُ رَياَّها من الكَفِراتِ)

الكَفِراتُ الجبالُ العالية العظام ، ورَياً كلَّ شيء طيب رائحته ، ومنه قول امرىء القيس :

(نسيمُ الصَّباَ جاءت بِرَيَا القَرَنْفُلِ)

وعين رَيَّةٌ كثيرةُ الماء ، قال الأعشى :

فأوردهـــا عَيْنـــاً من السِيفِ رَيَّةً به بُرَأٌ مثـــل الفَسيـــل المكُمَّمِ

وقال : الرِئْىُ ، والرُوَاءُ ، والمِرْآةُ : المنظر ، أو الرِئْيُ ، والرُواء المنظرُ الحَسَنُ فى البهاء والجمال .

وفى الحديث : (حتى يَتبيَّنَ له رِئْيُها) أى منظرها ، ومايُرى منها والمرآةُ عامّةً المنظُر حسناً كان أو قبيحاً ، والتَرْئيِةُ حُسْنُ البهاء وحُسْنُ المنظر ، اسم لا مصدر قال ابن مُقْبل :

أَمَّـــا الـــرُّوَاءُ ففينـــا حَدُّ ترئيةٍ مثلُ الجبال التى بالجَزْعِ من إِضَم

وقال الأخفش فى قوله تعالى : (هم أحسن أثاثاً ورِئياً) الرِيُّ ماظهر عليه مما رأيتَ . وقال الفرّاء : الرِئىُ المنظر . وقال الجوهرى : مَنْ هَمَزَهُ جعله من المنظر من (رأيتُ) وهو ما رأته العينُ من حال حسنةٍ وكُسْوةٍ ظاهرة وأنشد ابو عُبيدة لمحمد بن نمير الثقفى :

أشاقتْـك الظَّعائـنُ يومَ بانُوا بذى الرِئـيِ الجميـل من الأثاثِ

قال : ومن لم يَهْمز إمّا أن يكونَ على تخفيف الهمز أو يكون من (رَوِيَتْ) ألوانهم وجلودُهم رَياً أى امتلأتْ ، وحَسُنَتْ .

❊ ❊ ❊

وقال نافعُ بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفًا) ؟ قال : القاعُ الأمْلسُ ، والصَّفْصَفُ المُسْتَوِي قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم . أمّا سمعتَ الشاعر يقول :

بِمَلْمُومةٍ شهباءَ لو قَذَفُوا بهـا شماريـخَ من رَضْويَ إذَنْ عَاد صَفْصَفَا

قال الزمخشرى : وصفها بالمَلاَسَةِ والاستواء ومعنى الآية فى المجـاز لأبـى عبيدة ج ٢ ص ٢٩ والغريب لابن قتيبة ص ٢٨٢ والمعانى للفراء ج ٢ ص ١٩١ .

قال ابو تراب : القـاعُ ، والقِيْعـة ، والقِيْعـانُ ، والقِيْـع ، والقاعَـة ، والقُويعة والقُويع بمعنى واحدٍ فى أصل الاشتقاق ، واختلفتِ الصِيَغُ للتصغير والجمع ، وقَوَعاتُ جمع قاعةٍ ، وقال ذو الرُمَّة فى جمعها على أقواعٍ :

ووَدَّعْـنَ أقـواعَ الشَّماليـلِ بعدما ذَوَي بَقْلُهـا أحرارُهـا وذكورُها

وقاعة الدار ساحتُها وأهل مكة يسمّون سُفْل الدار القاعـة ، قال وَعْلَـةُ الجَرْمى :

سائِـلْ مجُـاوَر جَرْمٍ هل جَنيـتُ لهم   حَرْباً تُفَـرّقُ بـيـن الجِـيرة الخُلُطِ
وهـل تركـتُ نساءَ الحـيّ ضاحيةً   فى قاعـة الـدار يَسْتَوْقـدنَ بالغُبُطِ

الغُبُط القَبَضاتُ المحصودة المصرومة من الزرع ـ والقاعة ايضاً باحة الدار وصَرْحَتُها ولهم قاعة واسعة وهى عَرْصَة الدار ، ويقولون : فلان قَعَد فى العِلّية ، ووضع قُماشه فى القاعة ـ القُماش المتاع ـ وهو كسرابٍ بقيْعةٍ ، وبقاعٍ ، ونزلوا بسرابِ قيعانٍ .

وفى التنزيل : (كسراب بقيعة) قال الفرّاء : القِيْعة جمع القاع ، والقاع ما انبسط من الأرض ، وفيه يكون السراب نصف النهار .

قال صاحب اللسان : القاعُ أرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية حُرَّةٌ لا حُزونةَ فيها ، ولا ارتفاعَ ، ولا انهباطَ تنفرجُ عنها الجبال والآكام ، ولا حَصَي فيها ، ولا حجارة ، ولاتُنبت الشجر وماحواليْها أرفع منها وهو مَصَبُّ المياه ، وقيل : هو مَنْقَع الماءِ فى حُرّ الطين ، وقيل : هو ما استَوى من الأرض ، وصَلُب ، ولم يكن فيها نبات ، والجمع أقواعُ ، وأَقْوُع ، وقيعانٌ ، صارت الواو ياء لكسرة ماقبلها ، وقِيْعَة لا نظيرَ لها الاّ جارٌ وجِيْرَةٌ ، ونارٌ ونيْرَةٌ ، ذكره ابن جِنّى فى الشواذّ من شعر الأسود . وذهب ابو عُبيد الى أن القيعة تكون للواحد وقال غيره : القِيْعة من القاع ، وهو ايضاً من الواو .

قال ابو الهيثم : القاعُ الأرض الحُرّة الطينِ التى لايخالطُها رمـل فيشربَ ماءَها ، وهى مستوية ليس فيها تطامُنٌ ، ولا ارتفاع ، واذا خالطها رملٌ لم تكن قاعاً ، لأنها تشرب الماء فلا تمسكُه ، ويُصَغّرُ قُويعةً مَنْ أنّثَ ، ومن ذَكّر قال : قُويع ، ودلّتْ هذه الواو على أن ألفَها مرجعُها الى الواو قال الأصعمى : يقال : قاع ، وقيعان وهى طين حُرٌ يُنبتُ السِدْرَ .

وفى الحديث : أنه قال لأُصَيْل : كيف تركتَ مكةَ ؟ قال : تركتُها قد ابيَضَّ قاعُها . القاعُ المكانُ المستوى الواسع فى وَطاءة من الأرضِ يعلوه ماء السماءِ

فيمسكه ، ويستوى نباتُه أراد أنَّ ماءَ المطر غَسَله فابيَضَّ ، أو كثُر عليه فبقى كالغدير الواحد .

وفى الحديث ايضاً : «انما هى قيعان أمْسَكتِ الماء»

قال ابن فارس : هذه المادّة تدل على تَبَسُّط فى مكانٍ ، من ذلك القاعُ أى الأرضُ المَلْسَاءُ .

قال ابو تراب : حَرَّر الخَفاجى فى العناية ، وابن جنّى فى الشواذّ أن القِيعَةَ تكون للواحد مثلَ دِيمَةٍ وشاهد القيعان قول الراجز :

كأنَّ بالقيعان من رُغاها مما نَفَى بالليل حَالِبَاهَا
أمْنَاءَ قُطْنٍ جَدَحَا لجَاَهَا

وشاهدُ القاعَ قولُ المُسَيَّب بن عِلْسٍ يصف ناقةً :

واذا تعاورتِ الحَصَى أخفافَها دَوَّى نوادِيْهِ بظَهْرِ القاعِ

وشاهدُ القِيْع قولُ المُرَار بن سعيد الفَقْعَسِى :

وبين الاَبَتَينِ اذا اطمأنَتْ لَعِبْنَ هَمَاَلِجاً رَصْفاً وقيْعَا

وحكى عبد الله بن ابراهيم العَمِّى الأفطس عن مَسْلَمة انه قرأ : (كسرابٍ بِقيعْاَةٍ) وهكذا فى كتاب ابن مجاهد . قال ابن جنّى : لا فرق بين فِعْلَةٍ وفِعْلاَةٍ ، ويجوز أن يكون : (قِيْعاتٍ) جمعَ قِيعْةٍ ، كدِيْمَةٍ ودْيمَات .

قال ابو تراب : وقرأت فى جمرة أنساب العرب (ص ١٢٠) للحافظ ابن حزم فى بنى زهرة بن كِلاب : أن أبا بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَرِ هو القائل :

بينما نحن من بَلاَكِثَ بالقاَ ع سراعاً والعيسُ تَهْوِي هُوِياً
خَطرتْ خَطْرةٌ على القلب من ذِكْـ ـرَاكِ وَهْناً فما استطعتُ مُضِيّا
قلتُ لا صَبْرَ إذْ دعانى لكِ الشو ق ولِلْحَادِيَين كُرَّا المَطيّا

وهى مذكورة ايضاً فى شرح الحماسة (ص ٢١٨) واللسان والتاج وفيها شاهد القاع . أمّا الصَّفْصَفُ فهو المستوى من الأرضِ كما فى صحاح الجوهرى

وهو قول أبى عَمْرو ، وقال غيره : الأَمْلَسُ ، وقال الفَرَّاء : هو الذى لانبات فيه . وقال ابن الاعرابى : هى القرعاء ، وقال مجاهد : أى «مستوياً» وقال ابن جنّي : الفَلاةُ ، والجمع صَفاصِفُ ، قال العَجّاج :

(مِنْ حَبْلِ وَعْسَاءَ تُناجى صَفْصَفَا)

وقال الشَمَّاخ :

غَلْبَاءُ رَقْبَاءُ عُلْكُومُ مُذَكَّرةٌ لِدَفْهِا صَفْصَفٌ قُدَّامَه مِيْلُ

وقال آخر :

إذا ركَبتْ دَاوِيَةً مُدْلَهِمَّةً وَغَرِدَ حَادِيهَا لها بالصفاصِف

وانظر معنى الآية فى المجاز لأبى عبيدة ج٢ ص٢٩ والغريب لابن قتيبة ص٢٨٢ والمعانى للفراء ج٢ ص١٩١

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (وأَنَّك لاتَظْمأُ فيها ولاتَضْحَي) ؟ قال : معناه لاتَعْرَقُ فيها من شدّة حَرّ الشمس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ الشاعر يقول :

رأتْ رجلا أمَّا إذا الشمسُ عارضَتْ فيَضْحَي وأمَّا بالعَشِى فيَخْصَرُ

قال ابو تراب : البيت فى ديوانِ عمر بن أبى ربيعةَ ، والشعراء (ص ٥٣٨) ورغبة الآملِ (ج٥ ص٢٦٢) والخزانة ٤٢١/٢ والعينى ٢٥٤/١ وشواهد المغنى ١٠و٦٣ والمجاز (ج٢ ص٣٢) ومعانى الفراء (ج٢ ص١٩٤) . والأغانى (ج١ ص٨٠) والطَّبرى ، والقرطبى والطَّبَرْسى وهو من قصيدة لابن أبى ربيعة ، أنشدها ابن عباس ومعنى (يَخْصرَ) آذاه البرد فى أطرافه ، وقد روى ابو الفرج : أن نافع بن الأزرقِ شهد إنشاد هذه القصيدة فقال لابن عباس : انّا نأتيك

نَضرب اليك أكبادَ الابل نسألك عن الحلال والحرام فتُقبلُ على هذا المُغيريَ الذى يقول : (وأمّا بالعشى فيَخْسَرُ) قال : ليس قال هكذا ، بل هو (فيَخْصَرُ) قال : ماأراك حفظتَ البيتَ من إنشادٍ واحدٍ قال : ان شئتَ أسْمَعْتكهـا كلَّهـا فأنشدها ابن عباس من أولها الى آخرها ثم من آخرها الى أولها ، وهى نَحْوُ أربعين بيتاً . والشاهد فيها قوله : (أمّا اذا الشمسُ عارَضَتْ فيَضْحى) وقد استعمل القرآن المجيدُ هذه الكلمَة فقال : (ولاتَضْحَي) أيْ لاتَعْرَقُ ، كما فَسرَّه ابـن عباس .

وعن الليث : ضَحِيَ الرجلُ يَضْحَى ضَحاً ، اذا أصابه حَرُّ الشمس وفَسرَ قوله تعالى : « وأنَّك لاتَظمأُ فيها ولاتَضحَى » بانه لايؤذيك الحَرُّ . وقال الفرّاء : « لاتَضحَى » لاتُصيبُك شمس مؤذية ، قال الأزهرى : وهذا أشبَه بالصواب .

وفى اللغة : ضَحَا الرجلُ ضَحوا ، وضُحُواً ، وضُحِيًا برز للشمس وضَحَـا الرجلُ ، وضَحِيَ يَضْحَى فى اللغتين معا أصابته الشمس ، وقال شَمر : ضَحِي يَضحَى ضُحِيًا وضَحاً ، ويَضحو ضُحُوا ، وضَحِيتُ بالكسر ضَحىً : عَرِقتُ . وقال ابن عَرَفَةَ : يقال لكل من كان بارزا فى غير مايُظِلُّه ويُكِنُّه إنه لضَاح ، ضَحِيتُ للشمس أى برزت لها ، وضَحَيتُ للشمس ، لغة .

وفى حديث الهجرة عن عائشة قالتَ : فلم يَرُعْنِي الاّ ورسول الله ﷺ قد ضَحَا ، أى ظهر . قال شَمِرُ : قال بعض الكِلابيّين : الضاحى الذى برزت عليه الشمس ، وغدا فلان ضَحِياً ، وغدا ضاحيا ، وذلك قُربَ طلوع الشمس شيئا ، ولايزال يقال : غدا ضاحيا مالم تكن قائلة .

وقال بعضهم : الغادى أن يَغدُوَ بعد صلاة الغداة ؛ والضاحى اذا استَعلَت عليه الشمس ، وقال بعض الكلابيّين : بين الغادى والضاحى قَدرُ فُواقِ الناقة . قال القُطامّى :

مُستَبطِئونـــى وماكانـــت أناتُهمو الاّ كما لبث الضاحـى عن الغادى

وضَحَيتُ للشمس ، وضَحِيْتُ ، أَضْحَى ، منهما جميعا ، والمَضحاةُ الأرض البارزة التى لاتكاد الشمس تغيب عنها ، تقول : « عليك بمَضحـاة الجبـل » وضَحَا الطريق يَضحو ، ضَحْوا ، بَدَا ، وظهر ، وبرز ، وضاحية كل شيء مابرز منه ، وضَحَا الشيء ، وأضحَيتُه أنا ، أى أظهرتَه ، وضواحى الانسان مابرز منه للشمس ، كالمَنكِبَينِ ، والكَتِفَينِ ، قال ابنُ بَرّى : والضواحى من الانسان كَتِفَاهُ ومَتنَاهُ .

ورُوِى أن الأصمعًى دخل على سعيد بن سَلْم ، وكان ولدُ سعيد يتردد اليه ابن الأعرابى ، فقال له الأصمعّى : أنشِد عَمَّك مّما رواه استاذك فأنشد :

رأت نِضو أسفـار أُميمُـة قاعدا	على نِضو أسفـار فجَـنَّ جُنونُها
فقالت مِنَ أىَ الناس أنت ومن تكن	فانـك راعـى ثَلَّـة لايَزينُها
فقلتُ لها ليس الشحوبُ على الفتى	بعـار ولاخـيرُ الرجـال سمينُها
عليـكِ براعـى ثَلـة مُسلَحِبَّة	يروح عليهـا مَحضُهـا وحقينُها
سمـين الضواحـى لم تُؤَرّقـه ليلةً	وأنعَـمَ ـ أبكـارُ الهمـوم وعُونُها

الضواحى ، مابدا من جسده ، ومعناه : لم تؤَرقه ليلة أبكارُ الهموم وعُونُها و (أنعَمَ) أى وزاد على هذه الصفة .

وضَحِيتُ للشمس ضَحاء ، ممدود ، اذا برزت ، وضَحَيتُ بالفتـح مثلـه ، والمستقبل : أضحَى ، فى اللغتين جميعا .

وفى الحديث « أن ابن عمر رأى رجلا مُحرما قد استظل فقال : أَضحِ لِمَن أحرَمتَ له » أىِ اظهر ، واعتزل الكِنَّ والظِلَّ ـ هكذا يَرويه المحَدثون بفتح الألف وكسرِ الحاء من أضحَيتُ ـ وقال الاصمعَى انما هو : اضحَ لِمَن أحرمت له ، بكسر الهمزة ، وفتح الحاء من ضَحِيت أضحَى ، لأنه انما أمره بالبروز للشمس ، ومنه قوله تعالى : « وأنك لاتظمأ فيها ولاتَضحى » وقد ذكره ابن قتيبة فى أغلاط المحَدثين ، والضَحيْانُ من كل شيء البارز للشمس .

قال ساعدة بن جُؤيَّةَ :

ولــو أن الــذى تَتقَــى عليه   بِضَحيَــانٍ أشَمَّ به الوعولُ

قال ابن جنّى : كأن القياسَ فى ضَحيان (ضَحوان) لأنه من الضَّحوة ، الاّ أنه استُخِف بالياء ، وأنشد ابن الأعرابى : والأبيات فى معجم البلدان لياقوت :

يكفيـك جهـلَ الأحمـق المُستَجْهِل   ضَحيانَــهُ من عَقَـداتِ السَّلسَلِ
مِبْزَلَــةٌ تُزمِــنُ إن لم تَقتُل   متــى تخالــط هامــة تَغلغَل
كأنهَــا حــين تجــىء من عَلِ   تَطلـبُ دَيْنـاً فى الفـراشِ الأسفَل

قالها فى رجل من بنى ضَبَّةَ سرق نعلَيه فضربه بِعصا من طَلـح قال فى اللسان : وضَحيانة هى عَصا نَبَتت فى الشمس حتى طَبَخَتها ، وأنضَجَتها فهى أشد مايكون وهى من الطَّلح ، وسَلسَل جَبَلٌ من الدهناء ، وشجره طَلح ، فاذا كانت العصا ضَحيانة ، وكانت من ا لطَّلح ذَهبت فى الشدة كل مذهب ، والشجرة الضاحيةُ البارزة للشمس قال ابن الدُّمَينَة يصف القوسَ :

وخُــوط من فُروعِ النَّبــعِ ضاح   لهــا فى كفّ أعسَرَ كالضُّبَاحِ

وقال تَأَبَّطَ شرًّا

وقُلَّــةٍ كسنــان الرُّمـح بارزة   ضَحيَانَة فى شهور الصيف محِراقِ
بادرت قُنَّتَهــا صَحَبــى وماكَسِلوا   حتــى نمَيتُ اليهــا بعــد اشراقِ

وقال آخر :

وفَخْــمَ سيرنــا من قُورِ حِسْمَى   مَروتِ الرِّعْىِ ضاحيــةِ الظِلالِ

أى ليس لها ظل لقِلة شجرها .

وانظر معنى اللفظ القرآنى فى غريب ابن قتيبة ص٢٨٣ ومعانــى الفـراء (ج٢ ص١٩٤)

❊ ❊ ❊

وقال نافع ابن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « فأَخرَجَ لهم عجِلا جَسَدا له خُوار » ؟ قال : معناه له صياح قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت الشاعر يقول :

كأنَّ بنـــى معاويـــة بن بكر   الى الاسلام صائحـــةٌ تخَورُ

قال أبو تراب : انظر معنى الخوار فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج١ ص٢٢٨) ومعانى القرآن للفراء (ج١ ص٣٩٣)

والعَجاجيلُ لها خُوار . وهو فى اللغة يدلّ على معنَيْينَ ، احدهما : الصوت ، وهو المراد من قوله تعالى : (فأخرج لهم عجـلا جسداً له خوار) . والثانـى : الضَعْف . فالأول قولهم : خار الثور يخور . وذلك صوتُه ، وأَمَّا الآخَر فالخَـوَّار الضعيف من كل شيء . يقال : رُمْحٌ خَوَّار وأرض خوّارة . وجمعـه خُور . قال الطِرمّاح :

أنا ابن حمُـاةِ المجـد من آل مالك   اذا جَعلـتْ خُور الرجـال تَهيْعُ

ويقال : له صوت كخُوار الثور . وتخاورت الثيران . قال جرير بن الخَطَفَى :

هوّنْ عليـك اذا رأيـتَ مجُاشعاً   يتخـاورون تخـاورَ الأثوار

أمَّا قولهم : استخار الرجل صاحبه . أى استعطفه . فخار عليه فقد قال الزمخشرى إن أصله من أن يَثْغُو الغَزَال . أو الجُؤْذَر الى أُمّه يَستخيرها أى يطلب خُوارها . ثم كثر حتى استُعمل فى كل استعطاف . واسترحام قال الهُذَلي :

لعلّك إمّـا أمُّ عمـرو تَبَدَّلَتْ   سواك خليـلا شاتِمـى تَستخيرها

وقال الكُميت :

ولن يَستخـيرَ رسوَم الديار   لِعَوْلَتِـه ذو الصِبـا المُعْوِلُ

وقال ابن منظور : إنّ أصله أن الصائد يأتى وَلَدَ الظَّبْية فى كِناسِهِ فيعرك أذنه فيخور أى يصيح يستعطف بذلك أمه كى يعيدها فعَيْنُ (استخرتُ) على هذا (واوٌ) وهو مذكور فى الياء . لأنك اذا استعطفت فانما تطلب الخيرَ .

ونقل عن الليث : ان الخُوار صوت الثور ، وما اشْتَدَّ من صوت البقـرة ، والعِجْل .

وقال ابن سِيْدةْ : الخُوار من أصواتِ البقر والغنم ، والظِباء والسهامِ ، وقد خار يخور خُواراً : صاح . ومنه قوله تعالى :

(فأخرج لهم عْجِلا جسداً له خُوار) قال طَرْفَة بن العَبْدِ البكْرى :

ليـت لنـا مكـانَ المَلك عَمْرو رُغوثـاً حول قُبَتِنـا تخور

وفى حديث الزكاة : يَحْمِلُ بعيراً له رُغاءٌ ، أو بقرةً لها خُوارٌ ، هو صوت البقر ، وفى حديث مَقْتَل أُبَيّ بن خَلَفٍ : فخَرَّ يخور كما يخور الثور ، وقال أوْسُ ابنُ حَجَر :

يَخُرْنَ اذا أُنْفِزْنَ فى ساقـط النَديَ وإن كان يوماً ذا أهاضيبَ مُخْضِلا
خُوارَ المطافيـل المُلَمَعَـةِ الشَوَي وأطْلائِهـا صادَفْـنَ عرنـانَ مُبْقلاِ

يقول : اذا أُنفِزَتِ السهامُ خارتْ خُوارَ هذه الوَحْشِ المطافيل التى تَثْغُو الى أطْلائِها . وقد أنْشَطَها المَرْعَى المُخصبُ ، فأصواتُ هذه النِبال كأصواتِ تلك الوحوش ذواتِ الأطفال ، وإن أُنفِزَتْ فى يوم مطرِ مُخْضِلٍ ، أى فلهذه النَبلِ فضل من أجل إحكام الصَنْعَةِ وكَرَم العيدان .

والاستخارة الاستعطاف ، واستخار الرجلَ ، استعطفه يقال : هو من الخُوار ، والصوت ، والخَوَرُ بالتحريك الضعف .

وفى حديث عمر : لن تَخُورَ قُوىً مادام صاحُبها يَنْزِعُ ويَنْزُوْ يعنى : لن يضْعُف صاحُب قوةٍ يقْدِر أن يَنْزِعَ فى قوسه ، ويثبَ الي دابّته . ومنه حديث أبى بكر قال لعمر : أجَبارٌ فى الجاهلية ، وخَوّارٌ فى الاسلام ؟ وفى حديث عمرو بن العاص : ليس أخو الحربِ من يَضَع خُوْرَ الحشايا عن يمينه وشماله ، أى يَضَع لِيَانَ الفُرُش والأوْطِيَة ، وضعافها عنده ، وهى التى لاتُحْشَى بالاشياء الصُلْبَة . وخَوَّره أى نسبه الى الخَورَ ، قال :

لقد علمتِ فاعذريني أو ذَرِيْ أنَّ صرُوفَ الدهر من لايَصْبِرِ

على المُلِمات بها يُخَوَّرِ

والخُوار فى كل شىء عيب الاّ فى هذه الاشياء : ناقةٌ خوارة ، وشاة خَوَّارة اذا كانتا غَزيرتَينِ باللَّبن ، وبعير خوار ، رقيق حَسَن ، وفرس خوار ، لينَ العِطْفِ ، والجَمْعُ خُوْرٌ على غير قياس ، قال القُطامِيُّ فى الناقة :

رَشوفُ وراءَ الخُوْرِ لو تَنْدَرِيْءُ لها صَبـاً وشمال حَرْجَفُ لم تَقَلَّبِ

وشاهد الخُور جَمْعِ خَوَّار قول غسّان السَلِيْطىّ :

(خُورُ القلوب أخِفَّةُ الأحلام)

وفى كفاية المُتَحَفِّظ لابن الأَجْدابّى : أن هذا من أوصاف الوانها وهى بين الغُبرة والحُمرة ، وفى جلودها رقّة ، وقد قالوا : الحُمْر من الابل أطهرها جِلْداً ، والوُرْق أَطْيبُها لحماً ، والخُورُ أغزرُها لبناً . ونَخْلَةٌ خوارة غزيرة الحِمْلِ ، قال الأنصارى :

أدين وما دَيْني عليكم بمغرمٍ ولكن على الجُرْد الجلاد القراوح

على كلَّ خوّار كأنَّ جُذوعَه طُلِينَ بِقارٍ أو بَحَمْأةٍ مائحِ

وفرس خوّار العِنان ، سهل المَعْطِفِ ، لَيِّنُه ، كثير الجَرْي ، وخيل خُورٌ ، قال ابن مُقْبل :

مُلِحٌ اذا الخُور اللَّهاميمُ هَرْوَلَتْ تَوَثّبَ أوساطَ الخَبارِ على الفَتْرِ

وبكْرة خوارة اذا كانت سهلة جَرْىِ المحْوَر فى القَعْوِ قال :

عَلَّقْ على بَكْرِك ما تُعَلِّقُ بكرك خوارٌ وبكري أوْرَقُ

وقيل : الاحتجاج بهذا الرَجز للبَكْرة الخوارة غلط ، لأن البَكْر فيه بكرُ الابل وهو الفَتىُّ منها .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : (ولاتَنِيَا فى ذكرى) ؟ قال : لاتَضْعُفَا عن أمرى . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم . أمَا سمعتَ قول الشاعر يقول :

إنــى وجدتُـك ماونيـتَ ولــم أزل أبْغــىِ الفكــاك له بكــل سبيل

قال ابو تراب : انظر معنى اللفظة فى غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٧٩ ومعانى القرآن للفراء (ج٢ ص١٧٩) وهذه المادّة تدل على التعبِ والفتور . قال ابن فارس فى مقاييس اللغة : الوَنَى يدل على ضعفٍ . يقال : وَنَى . يَنى ِ . وَنْياً . والواني الضعيف . قال الله تعالى : (ولاتَنِيَا فى ذكرى) والوَنَى التعب . يقال : أونيتُه : أتعبتُه . وناقة وانِيَةٌ . ولايَني ِ يفعَل . كما يقال : لايزال يفعل . وامرأة وَنَاةٌ اذا كان فيها فتور عند القيام .

وقال الطبرى (ج ١٦ ص ١٢٨) : (لاتَنِيَا) لاتَضعُفا فى أن تذكر انى فيما أمرتُكما . ونهيتُكما . فانّ ذِكْرَكُما ايّاى يُقَوى عزائمكما لانكما اذا ذكر تُمانى ذكرتُما مَنّى ِ عليكما نِعَماً جَمّةً . يقال : وَنَى فى هذا الأمر . وعن هذا الأمر . قال العَجَّاج :

فما وَنَـى محمــدُ مُذْ أنْ غفَرْ له الالَــه مامَضَى ومــا غَبَرْ

وفى أساس البلاغة للزمخشرى رجل وانٍ : بَيّنُ الوُنىّ . والوَنَى . يقال : دَعِ الوَنَى . وخَلّ الهُوَيْنَى . وقد وَنَى فى الأمر ضَعُف وفَتَر . (ولاتَنِيَا فى ذكرى) وفلانٌ لايَني ِ . ولايُوَنّى . ولايَتَوانَى : لايُقصرّ . وعَمِلَ فوَنَـى . اذا تعـب . وأونيتُـه : أتْعَبْتُه . وناقة وانِيةٌ . قال :

ووانِيــة زَجَــرْتُ على حَفَاهَا قريــح الدَفَّتــينْ على البِطانِ

ولايَني ِ يفعل : لايزال . وامرأة وَنَاةٌ . فيها فتور . ومن المجـاز قول ابـن مُقْبِل :

مَرَتْـه الصَبَـا بالغَــوْر غوْرِ تهامةٍ فلماّ وَنَــتْ عنــه بِشَعْفَــينْ أمطرا

قال ابو تراب : هذا البيت من قصيدة أولها :

تَأَمَّـلْ خليلى هل تَرى ضوء بارقٍ   يَمَـانٍ مَرَتْـه ريـحُ نَجـد ففَتَّرا

والبيت فى مُنْتَهى الطَّلب ، ومعجم ما استعجم للبَكْرى (ص ٨٠٢) ومعجم البلدان لياقوت فى كلمة (لَبْوان) و (شَعْفَيْنْ) والغَوْرُ المُنْخَفِضُ ، وغور تهامة مابين جبال الحجاز والبحر ، وشَعْفَان : أَكمتانِ فى نجد . ومعنى البيت : أن الريح ضَرَبتْه فى الغور ، ودفعتْه فلماّ أَتَى نجداً أَمْطَرَ ، وصَبَّ ماءه والشاهد فيه كلمة (وَنَتْ) من الوَنَى ، والقصيدة فى وصفِ الغيث ، اجتزأ بعضَ أبياتها صديقنا الشيخ عبد الله بن خميس فى كتاب المجاز بين اليمامة والحجاز وهى بكمالِها فى ديوانِ ابن مُقْبل .

وفى الكشاف للزمخشرى الوَنَى الفتور ، والتقصير وقرىء : (ولاتِنِياَ) بكسر حرف المضارعة للاتباع ، أى : لاتَنْسَيَانيِ ولا أزال منكما على ذكرٍ حيثما تقلّبتما ، واتخذا ذكرى جناحاً تصيران به ، مستمدَّين بذلك العونَ والتأييد منّى معتقدينِ أن أمراً من الامورِ لايَتَمشَّى لأحد الا بذكرى ويجوزُ أن يُريد بالذكرِ تبليغَ الرسالة فان الذكَر يقع على سائر العبادات وتبليغُ الرسالة من أجلّها وأعظمها ، فكان جديراً بأن يُطلق عليه اسم الذكر وفى لسان العرب لابن منظور : الوَنَى الفَتْرةُ فى الأعمال والأمور والتوانى ، والوَنَى ضعفُ البدن .

وقال ابنُ سِيْدَةْ : الوَنَى التعب ، والفَتْرة ضِدُّ ، يُمَدُّ ، ويُقْصرَ وقد وَنَى يَنى وَنْياً ووُنِياًّ ، ووَنًى ـ الأخيرة عن كُراع ـ فهو وانٍ ووَنَيْتُ أنـيِ كذلك ، أى ضعفت قال جَحْدَرُ اليمانى :

وظَهـرُ تَنُوفـةٍ للريـح فيها   نسيـمُ لايَـروعُ التُّـرْبَ وانِى

والنسيمُ الوانى الضعيفُ الهُبوب ، وتَوانَى ، وأَوْنَى غيرَه ، ووَنَيْتُ فى الأمر فَتَرْتُ ، وأونيتُ غَيرى .

قال ابو تراب : هذا الحرف من الأضداد كما أشار الى ذلك ابُن سِيْدَةْ لكنّى

لم أره فى كتاب الأضداد لابن الأنبارى ، ولا فى كتاب الاضداد لأبى الطيّب ودليلنا على أنه من الأضداد لفظُ المِيْناءِ ، لأنه موضع زوال التعب .

وقال الجوهرى فى الصحاح : الوَنَى الضَّعْف ، والفتور ، والكَلال ، والاعياء قال امرؤ القيس :

مِسَحَ اذا ما السابحاتُ على الوَنَى أثَـرْنَ غُبـاراً بالكدَيـد المُرَكَّلِ

وتَوانَى فى حاجته قَصرً . وفى حديث عائشة تصف أباها : (سَبَق إذْ وَنَيْتم) أى قصرّتم وفَتَرْتُم . وفى حديث علىّ : (لاتنقطع أسباب الشفقة منهم فينُوا فى جدّهم) . أى فيَفْتُروا فى عزمهم وآجتهادهم ، وحَذَف نون الجمع لجواب النفى بالفاء . وقول الأعشى :

ولايَـدَعُ الحَمْـدَ بل يَشترى بوَشْك الفتـور ولا بِالتَّوَنْ

أراد بالتوانى ، فحذف الألف لاجتماع الساكنين ، لأن القافيـة موقوفـة ، ومعناه كما قال ابن بَرّى : لايَدَعُ الحمد مُفَتَّراً فيه ولا متوانياً ، وأنشد :

إنّـا على طُولِ الكَـلالِ والتَّوَنْ نسوقُهـا سَنًّـا وبعضُ السَّوقِ سَنْ

ولاينى ِ يفعل أى لايزال ، وشاهده :

فما يَنُـونَ اذا طافـوا بِحَجِّهِمو يهْتَكـون لبيـتِ اللّـه أستارا

قال ابنُ بَرى : وقد تُبدلُ واو الوَنَاةِ همزةً فيقال : أَنَاةٌ ، للحَليمة بطيئـة القيام ، مثلُ : أنِيَّةٌ ، قال ابو حيَّة النميرى :

رَمَتْـه أنَـاةٌ من ربيعـةِ عامر نَؤُوم الضُّحـى فى مأتـمٍ أىَ مأتَمِ

وقوله تعالى (ولاتَنِيَا) أى ولاتَفْتُرا ، والمِيْنَاءُ سُمَى بذلك لأن السُّفُنَ تَفْتُر عن جَرْيها ثَمَّة ، قال كُثَيرّ :

فلماَ استَقَلَّـتْ مِا لَمُنَاخِ جِمالُها وأشْرَفـن بالاحمـال قلـت سَفينْ
تَأَطَّـرْنَ بالمينـاء ثم جَزَعْنَهُ وقـد لَحَ من أحمالهـن شُحُونُ

وقال نُصَيْبُ :

تَيمَّمْــنَ منهــا ذاهبــاتٍ كأنه بِدِجْلَــةَ فى المينــاء فُلكٌ مُقَيَّرُ

ـ المُقَيرَّ المَطْلىُّ بالقار ـ

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (وأطعموا القانع والمُعْتَّر) ؟ قال : القانع الذى يقْنَع بما أُعطى ، والمُعْتَـرُّ الـذى يعتـرض الأبواب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أمَا سمعتَ قول الشاعر :

على مُكْثرِيهم حقُّ من يَعْتَرِيهمو وعنــد المُقلّــين السماحــةُ والبَذْلُ

قال ابو تراب : البيت لزُهير بن أبى سُلْمى فى ديوانه (ص ١١٤) والشعراء (ص ١٠١) وقد استشهدُ به فى مجمع البيان وفتح القدير ، وذكره ابن أبى الاصبع فى التحرير والتحبير (ص٥٠٧) فى باب النوادر

قال ابو تراب : والشاهد هنا فى (يعترِيهمو) للاعترار لا يستقيم لأن هذا مضاعف وذاك ناقص ، لكن قال الزمخشرى : عَره ، وعراه ، واعتراه ، واعترهٌ بمعنى قلت وبهذا التوجيه يصح الاستشهاد ، وقول الزمخشرى هو قول ابن قتيبة فى الغريب ص٢٩٣ وغيره وقَنَع الرجل يَقْنَع قنوعاً اذا سأل فالقانع السائل وسمّى قانعاً لاقباله على من يسأله ذكره ابن فارس . وفى المُخَصَّص (ج١٢ ص٢٨٧) والاضداد للأنبــارى (ص٥٥) وتفسير الطبــرى (ج١٧ ص ١٢١) قول الشمَّاخ :

لَمــالُ المَــرْءِ يُصْلِحِــهُ فيُغْني مَفَاقِــرَهُ أعَفُّ من القُنوعِ

وأمّا قَنِع فهو بمعنى رَضِى ومنه شاهدٌ مَقْنَعٍ ، وجمعُه مقانِع قال البَعيث :

وعاقدتُ ليلى فى الخـلاء ولـم تكن شهــودى على ليلى شهــودٌ مَقَانِعُ

قال ابن فارس فى المقاييس فى هذه المادّة : إنهّا تدل على الاقبال على الشىء

ثم تختلف معانيه مع اتفاق القياس ، وتدل ايضاً على استدارةٍ فى شيء فالأوَل ، الاقناع ، الاقبال بالوجه على الشيء ، يقال : أَقْنَع له يُقْنِع إقناعاً ، والاقناعُ مَدُّ اليد عند الدعاء ، وسمى بذلك عند إقباله على الجهة التى يمدّ يَدَه اليها ، ومن الباب قوله تعالى : (وأطعموا القانع والمعتر) ويقولون : قَنِع قناعة اذا رَضِي ، وسُمّيتْ قناعة لأنه يُقبل على الشيء الذى له راضياً .

وأماً المعنى الآخر وهو الاستدارة فمنه قِناعُ المرأة ، لأنها تُديره برأسها وغير ذلك ، وشَذَّ عن هذا معنى ارتفاعِ الشيء دون تَصَوُّبٍ ، ويحُتَج فيه بقوله تعالى : (مُهْطِعين مُقْنِعيِ رؤوسهم) قال أهل التفسير : رافِعيِ رؤوسِهم

قال ابـو تراب : هذا مما فات الدَّامَغَانِيَّ أن يذكره فى الوجوه والنظائر ، كما فات ابن الجوزى صاحب نزهة الأعين وفَرَّق بعضهم بين (قَنَع) بفتح النون و (قَنِع) بكسرها فالأول بمعنى : سأل غيره ، والثانى بمعنى رَضِي قال :

العَبْـدُ حُرٌ إنْ قَنِعْ والحُـرُّ عبـدٌ أنْ قَنَعْ
فَاقْنَـعْ ولا تَقْنَـعْ فما شيء يَشين سوى الطَمَعْ

قال الزمخشرى فى الأساس : العزّ فى القناعة ، والذُلُ فى القنوع وهو السؤال ، وفلان قَنِعٌ بالمعيشةِ ، وقَنيعٌ ، وقنوعٌ ، وقانع ، وأنشد الكسائى

فانْ مَلَكَتْ كَفَـاكَ قَوْطـاً فكـن به قنيعـاً فان المتقـى اللـهَ قانع

ـ القَوْط القطيع من الغنم ـ وقَنِع بالشيء ، واقتنع ، وتَقَنَّع ، وأَقْنَعك الله بما أعطاك ، وفلان حريص ، مايُقنعه شيء .

وقَنَع اليه بمعنى سأله ، وهو من قَنَعتِ الماشية للمَرْتَع . مالتْ اليه ، وأقنعها الراعى اليه ، لأن القانع يميل الى الناس ، كما قيل المسكين لسُكونه اليهم ، وأَقْنَع البعيرُ رأسَه الى الحوض لِيَشربَ ، وأَقْنَعْتُ الاناء فى النهر استقبلتُ به جِرْيَةَ الماء ، والرجل يُقْنِع يديه فى القنوت اذا استرحم ربَّه وقيل : الاقناع من الأضداد يكون رفعاً وخفضاً قال تعالى : (مُقْنِعى رؤوسهم) رافعيها ، وأَقْنَع صوتَه : رفعه ، قال الراعى :

زَجِلُ الحُداء كأن فى حَيْزُومِه قَصَباً ومَقْنَعَةَ الحنين عَجولا

وفى اللسان : عن ابن السِكِّيت قال : من العرب من يجيز القنوعَ بمعنى القناعة ، وكلامُ العرب الجيِّدُ هو الأول ، والقانع الذى يسأل والمُعْتَرُّ الذى يَتَعَرَّضُ ، ولايسأل ، وقيل : القانع المُتعفِّف ، وكلُ يَصلُح قال عَدىٌّ بن زيد :

وما خُنْت ذا عهدٍ وأُبْتُ بعهدِه ولم أحْرِمِ المضطرَّ إذْ جاء قانعا

يعنى سائلا . وقال الفَرَّاء : هو الذى يسألك مِمَّا أعطيتَه قبله وقد استعُمل القنوع فى الرضا ، وهى قليلة ، حكاها ابن جِنّى وأنشد :

أيذهبُ مالُ اللهِ فى غيرِ حقِّه ونَعْطَشُ فى أطلالكم ونجوعُ
أنرضى بهذا منكمو ليس غيْرُه ويُقنعنا ماليس فيه قُنوع

وأنشد ايضاً :

وقالوا قد زَهَيْتَ فقلت كلاّ ولكنّى أعَزَّنِىَ القُنوعُ

والقناعة الرضا بالقَسْم قال لَبِيد :

فمنهم سعيدٌ آخذٌ بنصيبِه ومنهم شقىٌ بالمعيشة قانع

وتَقَنَّع ايضا من القناعة قال هُدبَةُ :

(اذا القوم هَشُّوا للفعال تَقَنَّعَا)

قال ابن جِنّى :

ان القنوع يكون بمعنى الرضا ، والقانع بمعنى الراضى ، وهو من الأضداد وفى الحديث : « فأكل ، وأطعم القانع والمعتَّر » هو من القنوع : الرضا باليسير من العطاء ، وقد قَنِع ـ بالكسر ـ يَقْنَع قنوعا وقناعة اذا رَضِى ، وقَنَع ـ بالفتح ـ يَقْنَع اذا سأل . وفى الحديث : « عَزَّ من قَنِع ، وذَلَّ من طمع ، لأن القانع لايذِلّه الطلبُ ، فلايزال عزيزا . وفيه : « القناعة كنز لاينفد » لأن الانفاق منها لاينقطع ، كلما تَعَذَّر عليه شىء من أمور الدنيا قَنِعَ بما دُونه ، ورَضِى .

وقال ابنُ الأعرابى : قنِعتُ بمارُزِقتُ ـ مكسورة ، وقَنَعتُ الى فلان يريد

خضعتُ له ، والتزقتُ به ، وانقطعت اليه . وفى المثل : « خير الغِنَى القنوع ، وشر الفقر الخضوع » .

ويجوز أن يكونَ السائلُ سُمّى قانعا لأنه يرضى بما يُعطى ، قَلَّ أو كَثُر ، ويَقبَلُه فلا يردّه ، فيكونُ معنى الكلمتين راجعا الى الرضا ، وأقنَعِنَى كذا ، أى أرضانى ، والقانُع خادمُ القوم ، وأجيرُهم ، وشاهد « مُقنِعى رؤوسهم » قول رُؤبَةَ يصفَ ثورَ وحش :

(أشرَفَ رَوقَاهُ صليفا مُقنِعَا)

يعنى عنقَ الثور ، لأن فيه كالانتصاب أمامَه ، وأقنَع حَلْقَه ، رفعَه ، لاستيفاء مايشربُه من لَبَن قال :

يدافع حَيزُومَيه سُخنُ صرَيحِها وحَلْقا تراهُ للثُّمالةِ مُقْنَعا

ومن شواهد قوله تعالى : « مُهْطِعين مُقْنِعى رؤوسهم » بمعنى رافعيها فى العربية ، ماأورده الأزهرى فى تهذيب اللغة من قول الأسود بن يَعْفُر فى عقِالِ بن محمد بن سُفين :

فُتْدخلُ أيد فى حناجر أُقْنِعَتْ لعادتِها مثل الخَزِيرِ المُعَرَّفِ

قال الأصمعى : أى مُدَّت ورُفعتْ للفم ، والمُقْنَع من الابل الذى يرفع رأسه خِلْقَة ، قال : (لِمُقْنِعٍ فى رأسه جُحَاشر) .

وفى الحديثِ : ناقةٌ مُقْنِعة الضَّرْع أى أخلافُها ترتفع الى بطنها ، قال يصف الناقة : (تُقْنِع للجَدولِ منها جدولا) شَبَّه حَلقهَا وفاها بالجَدْول تَستَقبِلُ به جَدْولا اذا شربت .

وقال ابو الطيب فى كتاب الأضداد ج٢ ص٥٧٧ : ومن الأضداد القانعُ ، زعموا ، قالوا : فالقانع الراضى . والقانعُ السائل الطالب . وفى القرآن : « وأطعموا القانع والمُعتَّر » يعنى السائل والمعتَّر الذى يتعرضَ لك .

قال ابو تراب : ويستشكل هذا عندى من الأضداد ، لأن شرط الأضدادِ أن تكون الكلمة تُنبِىءُ عن مَعنيَين متضادَّين من غير تغيير يدخل عليها ،

ولااختلاف فى تصرفها ، ولا يخفى ان قنع فى معنى الرضى مكسور العين وهو فى معنى السؤال مفتوحها وانما ذكرنا ماذكروا لئلاّ يفوتَ الانتفاعُ به ، ولكـن من الأضدادِ عندى الاقناع يقال : أَقْنَعِنى الشىء يُقنعنى اقناعـا : أى كفانـى ، وأرضانى ، وأقنعه الله يُقنعه اقناعا أى أحوجه الى مسألة الناس ، وزعموا أن أعرابيا سأل قوما فلم يعطوه فقـال : الحمـد لله الـذى أقنعنـى اليكـم ، أى أحوجنى ، ويقال فى غير هذا أَقْنَع الرجَل اذا رفع رأسَهُ شاخصا ، ومنه قوله عز وجلّ : « مُقنِعى رؤوسهم لايَرتَدُّ اليهم طرفهم » ومن القناعة بمعنى الرضا : فَلانٌ قُنْعانٌ أى يُرضى به فى كفالة أو ما أشبه ذلك قال الشاعر :

فَبُـؤْ بِامـرىء أُلْفِيـتَ لَستَ كمِثله وإن كنتَ قُنعَانا لِمَن يَطْلُـب الدَّمَا

وقال ابن الانبارى فى الأضداد ص٥٤ : القانعُ مِنَ الأضداد ، يقال : رجل قانع اذا كان راضيا بما هو فيه ، لايسأل أحدا ، ورجل قانعٌ اذا كان سائلا قال الله عز وجل : « وأطعموا القانع والمعترَّ » والقانع السائل ، والمعترُّ الذى يُعَرّض بالمسألةِ ولايصرّح ، ويقال : المُعتَرُّ السائلُ ، والقانع المحتاج ويقال : قد قَنِع الرجلُ يَقْنَع قناعة ، وقَنَعا ، وقَنَعانا ، اذا رضَى بما هو فيه وهو قانع وقَنِعٌ ، ويقال : قد قَنِع يَقنَع قنوعا ، اذا سأل يقال : نعوذ بالله من القنوع والخنوع ، ونسأل الله القناعة ، فالخنوع الخضوع ، والقنوع المسألة قال الشاعر : وفى تفسير الطبرى (ج١٧ ص١٢١) كما فى مجاز أبى عبيدة ج٢ ص٥٢ أنه لِلَبيد ـ

وإعطائِـيَ المـولى على حـيـن فقره إذا قال أبصرِ خَلَّتِـــى وقُنوعى

وقال آخر :

وأقنَــعُ بالشىء اليسير صيانة لنفسى ما عُمّـرَتُ فالحُـرُّ قانعُ

أى راض ، وربما تكلموا بالقنوع فى معنى القناعة ، والاختيارُ ماقدّمنا ذكره فمنه قول بعضهم :

فسرَبَلــتُ أخلاقـــى قنوعــا وعفة فعندى بأخلاقى كنـوز من الذهبْ

فلـــم أرَ عزًا كالقنـــوعِ لأهله وأن يجمل الانسانُ ماعـاش فى الطَّلبَ

وقال آخر :

ثق بالاله ورُدَّ النفس عن طمع الى القنوع ولاتحسُد أخا المالِ
فان بين الغنِيَ والفقرِ منزلة مقرونة بجديد ليس بالبالى

وقال آخر :

من قَنِعَت نفسُه بِبُلغَتِها أضحَى عزيزا وظَل مُمتَنِعَا
لله دَرُّ القُنوع من خُلُق كم من وضيع به قد ارتفعا
تَضيق نفسُ الفتى اذا افتقرت ولو تَعَزَّى بربِه اتَّسعا

وقال نُصيب فى المُعْتَرّ :

من ذا ابنَ ليلى جزاك الله مغفرة يُغنى مكانك أو يُعطى كما تَهَبُ
قد كان عند ابن ليلى غيرُ مُعوِزة للفضل وَصْلٌ وللمُعتَر مُرتَغَبُ

وقال آخر ـ وهو حسّان كما فى مجاز القرآن لابى عبيدة :

لعمرك ماالمُعتَرُّ يأتى بلادَنا لِنَمنَعَه بالضَّائعِ المُتَهَضِمِ

وفى لسان العرب : المعتَّر الفقير . وقيل : المتعَرضُ للمعروف ، من غير أن يسأل ومنه حديثُ علىّ : « فان فيهم قانعا ومُعتَرا » عَراهُ واعتراه ، وعَرَه يَعُرُّه عَراً ، واعتَرَه ، واعتَرَّ به ، اذا أتاه ، فطلب معروفَه ، قال ابنُ أحمر :

تَرعى القطاة الخِمسَ قَفُّورَها ثم تَعُرُّ الماء فيمن يَعُر

قال ابو تراب : الخِمْسُ ، الاظماءُ ، ثم ورودُ الماء بعده ، قال : أى تأتى الماء وتَرِدُه ، والقَفُّور ما يوجد فى القَفْر ، ولم يُسمع فى كلام العرب الاّ فى شعر ابن أحمر .

قال جماعة من أهل العلم : القانع فى القرآن الذى يَسأل ، والمعترَ الذى يُطيف بك ، يطلب ماعندك ، سألك أو سكت عن السؤال .

قال الطبرى : أولىَ الأقوال بالصواب قول من قال ، عَنَى بالقانع السائل لأنه لو كان المَغنِيُّ المُكْتَفِيَ بما عنده لقيل : وأطعموا السائل ، وفى

اتباع المعتر الدليلُ على أن القانع هو السائل ، وأمّا المعتُّر فانه الذى يأتيك معترا بك . لتعطيه ، وأنشد قول لبيد المتقدم .

وفى حديث حاطب بن أبى بَلْتَعةَ انه لما كتب الى اهل مكةَ كتابا يُنذرهم فيه بسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهَم أطلعَ الله رسولَه على الكتاب ، فلما عوتب فيه قال : كنت رجلا عريرا فى أهل مكة ، فأحببتُ أن أتقرب اليهم ليحفظونى فى عَيلاتى عندهم وهو غير لفظ البخارى وفيه كنت امرءا مُلصقا بقريش ، وأراد بقوله : « عريرا ، أى غريبا مجاورا لهم ، دخيلا ، ولم أكن من صميمهم ، ولالى فيهم شُبكَةُ رَحِمٍ ، والعَرير فعيل بمعنى فاعل ، وأصله من قولك : عَرَرْتُه عَرا ، فأنا عَار ، اذا أتيته تَطلب معروفَه ، واعَتَررته بمعناه .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وقصر مَشيد » ؟ قال : مَشِيد بالجِصِ والآجر ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ عَدِىَّ بنَ زيد يقول :

شَادَهُ مَرْمَرا وجَلَّله كِلْسا فللطير فى ذُراهُ وُكورُ

قال ابو تراب : استشهد به الطبرى والقرطبى والشوكانى ، وهو فى الشعراء (ص ١٧٧) وعيون الأخبار (ص ١١٥) والكامل للمبرد (ص٥٨) والمجاز (ج٢ ص٥٣) واللسان والتاج والأغانى (ج٢ ص١٧) وغريب ابن قتيبة ص٢٩٤ والدر المنثور ج . والكِلْسُ الصَّاروجُ يُبنى به ، وقيل هو ماطُلِىَ به حائطٌ ، أو باطن قَصرْ ، شِبهُ الجِصّ من غير آجُرّ ، وأماً قول المُتَلَمِسِ : (تُشاد

بآجُرّ لها وبِكَلِسٍ) فقد زعم ابن جِنّيٍ انه شدّده للضرورة ، وقبل البيت المذكور :

وأخو الحَضر إذ بناه وإذ دِجلَةُ تجُبَى اليه والخابور

وصاحب مدينة الحضر هو الساطرون .

قال صاحب اللسان : الشِيدُ بالكسر كلُّ ماطُلِيَ به الحائط من جِصّ أو بلاط . وبالفتح المصدر . تقول : شاده يشيده شَيدا ، جَصَّصَهُ وبناء مَشِيدُ ، معمول بالشِيدِ . وكلُّ ماأُحكِم من البناء فقد شِيدَ وتشييدُ البناء إحكامُه ، ورَفعُه . وقد يسمى بعض العرب الحَضر شَيْدا .

والمَشِيد المبنىّ بالشِيدِ : قال ابو عُبيد : البناء المُشَيَّد بالتشديد المطول وقال الكِسائى : المَشِيْد للواحد ، والمُشَيَّد للجميع ، حكاه ابو عُبَيْد عنه .

قال ابن سِيدَة : والكِسائى يجَلُّ عن هذا . وقال غيره : المَشِيد المعمول بالشِيدِ قال الله تعالى : « وقصر مَشِيد » وقال سبحانه « فى بروج مُشَيَّدة » .

قال الفَرَّاء فى معانى القرآن (ج ١ ص ٢٧٧) : يُشَدَّد ماكان فى جمع ، مثل قولك : مررتُ بثياب مُصَبَّغة ، وكباش مُذَبَّحة . فجاز التشديد لأن الفعل متفرق فى جمع ، فاذا أفردتَ الواحد من ذلك ، فان كان الفعل يتردّد فى الواحد ويكثر جاز فيه التشديد والتخفيف مثل قولك : مررتُ برجل مُشَجَّج ، وبثوب مُخَرَّق ، وجاز التشديد لأن الفعل قد تردّد فيه ، وكثر . ويقال : مررت بكبش مذبوح ، ولاتقل مُذَبَّحٍ . فان الذَّبْح لايتردّد كتردد التخرّق .

وقوله : « وقصر مشيد » يجوز فيه التشديد لأن التشييد بناء والبناء يتطاول ويتردد . ويقاس على هذا ماورد .

وحكى الجوهرى ايضا قول الكسائى فى أن المَشِيد للواحدِ ، والمُشَيَّد للجميع ، وذكر قوله تعالى : « وقصر مَشِيد » للواحد و« بروج مُشَيَّدة » للجمع .

قال ابن بَرّى : هذا وهم من الجوهرى على الكسائى ، لأنه انما قال : « مُشَيَّده) بالهاء ، فأمّا (مُشَيَّد) فهو من صفة الواحد ، وليس من صفة

الجمع ، قال : وغَلِطَ الكسائى فى هذا القول ، فقيل : المَشِيد المعمول بالشَّيْد ، وأمّا المُشَيَّد فهو المُطَوَّل . يُقال : شَيَّدتُ البناء اذا طَوَّلتَه ، قال : فالمُشَيَّدة على هذا جمع مُشَيَّد لامَشِيد ، قال : وهذا الذى ذكره الرادُّ على الكسائى هو المعروف فى اللغة . قال : وقد يَتَّجه عندى قول الكسائى على مذهب من يَرى أن قولهم : مُشَيَّدة أى مُجَصَّصَةٌ بالشِيْدِ ، فيكون مُشَيَّد ومَشِيد بمعنى واحد ، الاّ أن مَشِيدا لاتدخله الهاء للجماعة فلايقال : قصور مَشِيدَة ، وانما يقال : قصور مُشَيَّـدة ، فيكون من باب مايستغنى فيه عن اللفظة بغيرها كاستغنائهم (بِتَـرْكَ) عن (وَدَعَ) وكاستغنائهم عن واحدة المَخَاضِ بقولهم : (خَلِفَة) فعلى هذا يتجه قول الكسائى .

قال ابو تراب : وفى الرد على الكسائى إغفال لما ذهب اليه الفراء من اعتبار ترداد الفعل وعدمه وبه يستقيم كلام الكسائى والله اعلم على انى أذهب الى عدم التفرقة بينهما .

قال ابن فارس فى مادة الشَّيْد انهّا تدل على رفع الشىء ، يقال : شِدْتُ القصر أشِيْدُهُ شَيْداً ، وهو قصر مَشِيْدٌ أى معمول بالشِيْد ، وسُمّى شِيْداً لأنّ به يُرفع البناء ، ويقال : قصر مَشِيْد أى مُطَوَّل ومن ذلك الإشادة ، وهى رفع الصوت والتنويه .

وقال الـزمخشرى : شاد القصرَ ، وأشاده ، وشَيَّـده ، رفعـه وقصر مَشِيـد ومُشَيَّد ، وقيل : المَشِيد المعمولُ بالشِيْد ، وهو الجِصُّ ، والمُشَيَّد بالمعَنيَـينْ ومـن المجاز : أشاد بذكرِهِ ، رفعه بالثناء عليه ، وأشاد عليه أفْشَى عليـه مكروهـاً ، ويقال : أشاد عليه قبيحاً ، وبقبيح .

وفى الحديث : « من أشاد على مسلم عورةً يَشِيْنُه بها ، شأنه الله بها يوم القيامة » وقال الشاعر .

أتانـى أن داهيـةً نآداً أشاد بهـا على خَطَـلٍ هشامُ

وأشاد صوتَه ، وبصوته : رفعه ، وأشاد بالضالَّة : عَرَّفَها .

وقال فى الكشاف : « وقصر مَشِيْد » المشيدِ المُجَصَّصُ أو المرفوع البنيان ، وقال « فى بروج مشيّدة » مُرَفَّعَةٍ وقرىء « مَشِيْدَة » من شاد القصرَ اذا رفعه . أوطلاه بالشِيْدِ ، وهو الجِصُّ ، وقرأ نُعيم بن مَيْسرَة : « مُشَيَّدِة » بكسر الياء ، وصفا لها بفعل فاعلها مجازاً : كما قالوا : قصيدة شاعرة ، وانما الشاعُر قارضُها .

ومن شواهد هذه المادّة قولُ طَرْفة بن العبد من معلّقته :

كقِنْطِـرة الرُّومِـيِّ أقْسَم ربهُّا لَتُكْتَنفَـنْ حتـى تُشاد بِقَرْمَدِ

القرمد الخزف المطبوخ .

وقال ابو عبيدة معمر بن المُثنَّى فى كتاب مجاز القرآن (ح ص ١٣٢) « مُشَيَّدةٍ » مُطَوَّلَةٍ والمَشِيْد المُزَيَّن ، الشِيْد الجِصُّ والصاروج وأنشد فى ج٢ ص٥٣ للشماخ (كحية الماء بين الطىّ والشيد) وهو فى ديوانه والجمهرة ج٢ ص٢٧١ واللسان والتاج فى (غمر) .

وقال الفراَء فى كتاب معانى القرآن (ج ا ص ٢٧٧) : كما أورده الطبرى فى تفسيره (ج ٨ ص٥٥٤) من رأي أهلِ الكوفة فى هذه اللفظة .

قال : واختلف أهُل العربية ، فى معنى المُشَيَّدة ، فقال بعض أهل البصرة منهم المشَيدة الطويلة ، وأمَّا المَشِيد بالتخفيفِ فانه المُزَيَّنُ .

وقال آخرُ منهم : نحو ذلك القولِ ، غير أنه قال : المَشِيد بالتخفيف المعمول بالشِيْدِ والشِيْدُ الجِصُّ .. وقال بعض أهل الكوفة : المَشِيد والمُشَيَّد أصلها واحد ، غير أن ما شُدِّد منه فانما يُشَدَّدُ لنفسه والفعل فيه فى جَمْعٍ مثُل قولهم : هذه ثياب مُصَبَّغة ، وغنم مُذَبَّحة ، فشُدِّد ، لأنها جمع يُفَرَّقُ فيها الفعل ، وكذلك مثلـهُ ، (قصورٌ مُشَيَّدةٌ) لأن القصور كثيرة تَرَدَّدَ فيها التشييُد ، ولذلك قيل : « بروجٍ مُشَيَّدةٍ » ومنه قوله : « وغَلَّقَتِ الأبواب » وكما يقال كسرّت العود ، إذا جعلته قِطَعاً ، أى قطعة بعد قطعة وقد يجوز فى ذلك التخفيف ، فاذا أفرِد من ذلك الواحدُ فكان الفعل يَتَردَّدُ فيه ، ويكثر تَرَدُّدَهُ فى جمعٍ منه جاز التشديد عندهم والتخفيف ، فيقال منه .. هذا ثوب مُخَرَّقُ ، وجِلْد مُقَطَّع ، لتردُد الفعل فيـه ،

وكثرته بالقَطْع والخرق ، وإن كان الفعل لايكثر فيه ولا يتردد ، فانهم لم يجيزوه الاّ بالتخفيف وذلك نَحْوُ قولهم رأيت كبشاً مذبوحاً ، ولا يجيزون فيه مُذَبَّحاً ، لأن الذَّبح لايَتَرَدَّدُ فيه تردَّدَ التَّخرُّق فى الثوب .. وقالوا فلهذا قيل « قصر مَشِيد » لأنه واحد فجُعل بمنزلة قولهم : كبشٌ مذبوح ، وقالوا : جائز فى القصر أن يقال : قصر مُشَيَّد بالتشديد لتردُّد البناِء فيهِ والتشييد ، ولا يجوز ذلك فى : « كبشٌ مذبوح » لما ذكرنا .

قال ابو تراب :والاشادة بمعنى الرفع فى قول الحريرى فى المقامة الدمشقية :

وشادٍ يَشيــد بصوت تميد جبــالُ الحديــد له إن صَدَحْ

والشَيْدُ بمعنى التقوية ، فى قوله فى مقدمة المقامات قال : « اللهم فصَلِّ عليه وعلى آله الهادين ، وأصحابه الذين شَادُوا الدين » أى قَوَّوْهُ ، ورفعوه .

قال الطبرى فى تفسيره ، (ج ١٧ ص ١٢٨) : وأولى القَولينْ بالصواب قولُ من قال : المَشِيد المُجَصَّص ، لأن الشِيْدَ هو الجِصُّ بعينه فى كلام العرب ، ومنه قولُ الراجز : (كحَيَّة الماء بين الطَيِّ والشِيْدِ) والمَشِيدُمفعول من الشَيْد ، ومنه قولُ امرِىء القيس :

وتيماءَ لم يَتْــرُكْ بهــا جِذعَ نخلةٍ ولا أُجُمــاً الاّ مَشِيــداً بِجَنْدل

وقد يجوز أن يكون مَعْنِيّاً بالمَشِيد المرفــوعُ بنــاؤه بالشِيْــدِ ، وقــول عدىٍّ المذكور ، قد تأوله بعض أهل العلم بمعنى المُزَيَّنِ بالشِيْد .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « يُـرسل عليكما شُواظٌ من نار ، ـ قال : الشُواظُ .. اللَّهَبُ الذى لا دخان له ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت قول أُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْتِ :

يَظَــلُ يَشُبُّ كِـيراً بعــد كِيرٍ ويَنْفُـخُ دائبــاً لَهَــبَ الشُواظِ

قال الزمخشرى فى الكشاف : الشُواظ اللَّهَبُ الخالص ، وقال فى الأساس : كأنه شواظ من نار ، وتقول : فلان اذا اغتاظ : أُرسِلْ عليه الشواظ .

ومن المجاز : جَمَلٌ به شُواظ ، أىْ هِبابٌ .

وقال ابن فارس : الشين ، والواو ، والظاء ، كلمة واحدة صحيحة ، فالشُواظ شُواظ اللَّهَبِ من النارِ ، لا دُخَان معه ، قال تعالى : « شُواظٌ من نار » .

وفى اللسان : الشِواظ ، والشُواظ ، اللهب الذى لادخان فيه ، وفى التنزيل العزيز : « يُرسل عليكما شواظ من نار » وقيل : الشُواظ قطعة من نار ليس فيها نُحاس ، وقيل : الشواظ لهب النار ، ولايكون الاّ من نارٍ ، وشىء آخرَ يَخْلِطُه .

قال الفَراء : أكثرُ القُرّاء قرأوا : « شُواظ » وكَسرَ الحَسَن الشينَ كما قالـوا لجماعة البقر : صُوار ، وصِوار ، وقال ابن شُميل : يقال لدُخان النار شُواظ ، ولحرها شِواظ ، وحَرُّ الشمس شِواظ ، وأصابنى شِواظٌ من الشمس .

قال **أبو تراب** : ومن شواهد الشِواظ فى اللغة ، قولُ رُؤْبَةَ بن ِ العجّاج فى المجاز ٢٤٤/٢ والطبرى والقرطبى واللسان :

إن لهــم من وَقْعنــا أقياظا ونــارَ حَرْبٍ تُسْعِـرُ الشِواظا

قال الطبرى : الشِواظ هو لَهَبُها من حيث تَشْتعل ، وتُؤَجَّج بغيرِ دخانٍ كان فيه .

والبيت الذى استشهد به ابن عباس يُروى ايضا :

يَمانِيَــاً يَظَــلُّ يَشُدُّ كِيرًاً ويَنْفُــخُ دائبــاً لَهَــبَ الشُواظ

وأوله :

ألاَ من مبلــغٌ حَسَّانَ عنّى مُغَلْغَلــةً تَدِبُّ الى عُكاظِ

أليس أبــوك فينــا كان قَيْناً لدى القَيْنــاتِ فَسْلاً فى الحِفاظِ

وهو من قصيدةٍ لأُمَيَّة يهجو بها حسان بن ثابتٍ ، فأجابه عنها حسانُ بن ثابت ومن قوله :

أتانـــى عن أُميَّــةَ قولُ زورٍ   وماهــو فى المَغِيْــب بذى حِفاظِ
سأَنْشرُ إنْ بقيــتُ لكــم كلاما   يُنَشرً فى المَجَنَّــة مَعْ عُكاظِ
قوافىَ كالسلاحِ اذا استمرّتْ   من الصُّم المُعَجْرَفَــةِ الغِلاظ
تزورك إنْ شَتَــوْتَ بكــل أرضٍ   وتَــرْضَخُ فى محَلّكِ بالمَقاظ
بَنَيْــتُ عليــك أبياتــا صِلاباً   كأَمْــرِ الــوَسْقِ قَعْضٍ بالشِظاظِ

وفى قصيدة حسان ايضاً بيتٌ هو شاهدُ « الشُّواظِ » قال :

مُجَلَّلــةٌ تُعَمِّمــه شَنارا   مُضَرَّمَــةٌ تَأَجَّــج كالشُواظِ
كحَمْــزَةَ ضيْغَــمٍ يَحْمــى عَريناً   شديــدِ مغَــارزِ الأضلاع خاظِى
تَغُضُّ الطَّــرفَ إنْ ألقــاك دُونى   وتَرْمــى حــين أُدْبِــرُ باللحاظ

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن « نُحاسٌ » فى قوله تعالى : « يُرْسَل عليكما شُواظ من نارٍ ونُحاسٌ فلا تنتصران » ؟ قال : هو الدخان الذى لا لَهَبَ فيه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ ، قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

يُضيِــىءُ كضَوءِ سراجِ السَليـ   ـطِ لم يَجْعل الله فيه نُحاسًا .

قال أبو تراب : وهذا من شعر النابغة الجعدى ، وهو فى ديوانه (ص ٨١) وفى شرح الكامل (ج٤ ص٦١) ، وغريب ابن قتيبة ٤٣٨ ومجاز أبى عبيدة ٢٤٥/٢ ومعانى الفراء ١١٧/٣ والاقتضاب ٤٠٧ والقرطبى والكشاف وفى تفسير الطَّبَرى ، انه لنابغة بنى ذُبْيَانَ ، والنُحاسُ ـ بضم النون ـ الدخان الذى لا لَهَبَ فيه ، والعرب تسمّيه كذلك ، بالضم والكسر ، والقراءةُ على الضَم ، قال الفراء : وقرىء « ونحِاسٌ » قال : النِحاسُ الدخان ، وأنشد البيت الذى ذكرناه آنفاً .

وهو فى الفائق (ج ص ٥٤٤) وتهذيب الألفاظ لابن السِكِّيت (ص ٢٠٠) ، واستشهد به الزمخشرى والطَّبرِيُّ ، وابو حيّانَ ، والقرطبىّ ، قال الأزهرى : وهو قول جميع المفسرين ، وقال ابو حنيفة : النحاسُ الدخان الذى يعلو ، وتضعفُ حرارته ، ويخلصُ من اللهب .

قال أبو تراب : ودعوى الأزهرى انه قولُ جميع المفسرينَ غيرُ صحيحةٍ كما سنُبينّ ، والعجبُ من الزبيدى أنه اعتمد على هذه الدعوى على سعة اطلاعه .

وقال ابنُ بَرْزح : يقولون النحاسُ بالضم الصُفْر نفسُه ، والنِحاسُ مكسورٌ دخانه ، وغيرُه يقول للدخان : نُحاس .

قال ابن فارس : والنُحاس الدُخانُ لا لَهَبَ فيه ، وأنشد :

(شياطينُ يرمَى بالنُحاسِ رجيمُها) ، والنحاس من هذه الجواهر كأنه لما خالف الجواهر الشريفة كالذهبِ والفضةِ ، سُمِّى نحاساً ، هذا على وجه الاحتمال ، ويحتمل أن النحاسَ . الأَصْلُ على ماذكره بعضهم ، ولما كان أصلاً لكثيرٍ من الجواهر ، قيل لمبلّغ أصل الشيء نحاس .

قال أبو تراب : ويَشْهد لأن النِحاسَ هو الأصلُ قول لَبيد :

وكم فينا اذا ما المَحْلُ أبْدَى   نِحاسَ القوم من سَمْحٍ هَضُومِ

ويقال هو كريم النِحاسِ ، طيِّبُ الجِلاس ، وقال :

يا أيها السائلُ عن نِحاسي   قَصُرَ مقياسُك عن مقياسي

وفى القاموس : ان النُحاس مُثَلَّثةٌ ـ يعنى ان نونها تُفتح وتُكسرُ وتُضَمُّ ، والكَسْرُ عن الفرّاء ، وبه قرأ مجاهد مع رفع السين ، والفتح عن ابى العباس الكَواشِّى المفسرّ ، وهو القِطْر عربى فصيح ، وقال ابن فارس : النحاس النار .

قال البَعيث :

دَعُوا الناسَ إنّى سوف تُنْهِى مخافتى   شياطينُ يُرمَى بالنُحاسِ رجيمُها

وقال ابو عُبيدة : النُحاسُ ماسقط من شرَار الصُفْر ، أو من شرار الحديد اذا

طُرقَ ـ أى ضُرب بالمِطْرَقةِ ـ أما قوله تعالى : « شواظٌ من نار ونحاسٌ » فقيل : هو الدخان ، قاله الفرّاء ، وأنشد فى التاج قول الجَعْدى المذكور ، والعجب من صاحب القاموس كيف أسْقط معنى الدخان الذى فُسرّت به الآية ، وحَكَى الجوهرى ذلك وأنشد قول الجَعْدىَ الذى ذكرناه آنفا .

قال ابو تراب : وحكى الأزهرىَ اتفاق المفسرين ، على ان النُحاسَ فى قوله تعالى : « يرسل عليكما شواظ من نار ونُحاسٌ ، فلا تنتصران ، » هو الدُخَان ، وهذا القول فيه قصورٌ عظيم ، إن لم يكن سَقَطَ من النُسَّاخ ، واستدركه الزَّبيدِى فى تاج العروس من جواهر القاموس ، ودعوى الاتفاق على معنى الدخان ، عندى مردودة .

وفى محيط المحيط ، نَحَس الشىءُ صار كالنُحاس ، ونحَّس فلان الشىء ، غَشَّاه بالنُحاس ، وهما من كلام المولَّدين ، وأنْحَسَتِ النار : كثر نِحاسُها أى دُخَانُها ، والنُحاسُ مُثَلَّثةٌ ، القِطْرُ ، أو هو معدن يقرُب من الفِضَّةَ ، ليس بينهما تبايُنٌ ، الاّ بالحُمرة واليُبْسِ ، وكثرةِ الوَسَخ ، تتخذ منه آنية للطعام والشراب وغيرها ، وهو أصنافٌ كثيرة ، أجودُها الذَهَبِىُّ ، فالاحمر ، فالأصفر ، وغيرهما ردىٌّ ، والقطعة منه ، نحاسةٌ ،

والنُحَاس أيضاً النّارُ والدُخَانُ لا لَهب فيه ، وما سَقَطَ من شرارِ الصُفْرِ أو الحدِيد اذا اطُرِق ، وذَكَرَ مَثَلَه فى أقْرَبِ المَوارد ،

وفى المعجم الوسيط ، النحاس عنصرٌ فِلِزىٌ قابل للطرق ، ودُخانٌ لاَ لَهَبَ فيه ، وفى معجم متن اللغة ، النُحاسَ مُثَلَّثَة النونِ ، معدن معروف وهو القِطْر ، وهو موجود فى الطبيعة خالصاً أو ممزوجاً مع بعض الأجسام الأخرى ، وخصوصاً الكبريت ، نقلُه النوعى ٩٣ ، ٨ وينصهر بدرجة ١٠٨٣ مئوية ، قليل الصلابة ، ولكنه يُمكنُها مَدُّه خيوطاً ، سَهْلُ التطريق .

وفى دائرة المعارف الحديثة ، هو عنصر مَعْدِنِى ، يُعتبر من أقدم المعادنِ التى عرفها واستخدمها الانسانُ ، لونُه أحمر وَرْدِىٌّ ، لهذا عُرف بالنُحاس الأحمر ، وهو

اكثر من الحديد قابلية للطرق ، ولكنه أَقَلُّ منه صَلابةً ؛ يتميَّزُ بجودة توصيله للحرارة والكهرباء ، وهو لا يتأثر بالهواء الاّ اذا كان يحتوى على غازاتٍ حامِضيَّة ، فتعلوه طبقة من أملاح النحاس ، وهى املاح سامّةٌ . ولهذا تُطْلى الآنية النحاسية بالقَصْدِيرِ ، ويوجد فى الطبيعة ، على شكل كُتَل أو فروعٍ شَجَرِيَّة ، أو عروق أو حُبيباتٍ موزعة بين الصّخور .

وقد توسَّع فريد وجدى فى دائرة المعارف ، فى تحليل هذا المعدن ، وسببُ ما ذكرنا لذلك كله ، هو معرفةُ ما يحتمل أن يكون المرادَ من الآية ، لأنّ إرسال النحاس المعدنِ مُذاباً ، بالشُواظِ ، غيرُ بعيد ، وقد استقر فى الأذهان صَبُّ الآنُكِ فى الآذانِ ، تعذيباً للعُصَاة .

أمَّا حكاية الأزهرى الاتفاق على تفسيره بالدخان ، فمردودة .

وفى تفسير الطبرى ، الشُواظُ اللَّهب ، وقيل هو الدخان الذى يخرج من اللَّهَب ، وأمَّا النُحاسُ فالله أعلم بما أراد ، وقال بعضهم : عَنَى به الدُخَانَ ، وهو قول ابن عباسٍ وسعيد ، وقال آخرون : عَنَى به الصُّفْرَ ، ورُوىَ أيضا عن ابن عباس ومجاهد ، وسفيانَ وقتادة ، واختار ابو جعفر ، القول الأوَّل لتنويع العذاب ، واختلافِ الدرجة ، والله أعلم .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس أخبرنى عن قوله تعالى « قَدْأَفْلَحَ المؤمنون » قال : فازوا وسعدوا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول لبيد بن ربيعة :

فأعقِلِى انْ كنت لُمّا تَعْقَلى ولقد أفْلَحَ مَنْ كان عَقِلْ

قال ابو تراب : هذا البيت يخاطِب به نفسه ، وقيل : عاذلته ، يقول لها : اعقلى أىْ تَدَبَّرى .

وقال الطبرى فى التفسير (ج ١ ص ٢٥٠) عَقِلَ أى ظفر بحاجته أو أصاب خيراً . والبيت أورده ٣١/١ ابو عبيدة فى المجاز والبغدادى فى « خزانة الأدب ج٤ ص٦٩ . وهو من قصيدة له فى الديوان . (ص١٧٤) مَطْلِعُها :

إنّ تقوى رَبِنّا خير نَفْل ‌ ‌ ‌ ‌ وبإذنِ الله رَيْثى وعَجَلْ

أحمد الله فلا نِدّ له ‌ ‌ ‌ ‌ بيديه الخيرُ ما شاء فَعَلْ

مَنْ هَداهُ سُبَلَ الخير اهتدى ‌ ‌ ‌ ‌ ناعم البال ومن شاء أضَلْ

قال الطَّبْرىُّ . يعنى جَلَّ ثَناؤُه بقوله : « قد افلح المؤمنون » قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله . وأَقَرُّوا بما جاءهم به من عند الله . وعملوا بما دعاهم اليه مما سُمِّىَ فى هذه الآيات . الخُلُودَ . فى جَنَات ربهم وفازوا بِطِلْبَتِهِم لديه .

وقال الدَّامغانىُّ : « أفْلَحَ » بمعنى سَعِد . فى « تَزَكىَّ » و « زَكاها » ونحوه . وأفلح بمعنى فاز فى قوله . « إنه لا يفلح الظالمون » .

قال ابو تراب : ولم يذكره ابن الجوزى فليستدرك .

قال ابو تراب هذه الكلمة تدلّ على مَعْنَيْين . احدُهما الشَقُّ . والآخر الفوز . فَمِنَ الأول . تقول العرب . « الحديد بالحديد يُفْلَحْ . قال : ذكره ابن دريد ١٧٧/٢ وهو فى الصحاح واللسان وذهب مثلا انظر الميدانى ج١ ص٨

قَد عَلِمتْ خيُلك أنّى الصَّحْصَحُ ‌ ‌ ‌ ‌ إنَّ الحديد بالحديد يُفْلَحُ

ويقولون : فَلَحْتُ الأرض . أى شَقَقْتُها . ولذلك سُمِّىِ الأكّار فلاحاً . قال عمر بن أحمرَ الباهلى كما فى مجاز ابى عُبيدة :

لها رِطْلٌ تَكيلُ الزَّيْتَ فيه ‌ ‌ ‌ ‌ وفَلاَّح يسوق لها حماراً

ويقال للمشقوق الشفَةِ السفلى . أفْلَحُ . وهو بَيِّنُ الفَلَحة . وكان عَنْتَرةُ العَبْسِى يُلَقَّبُ : « الفَلْحاءَ » لِفَلَحةٍ كانت به .

قال شرُيح بن بُجَيْرْ بن أسْعَد التَغْلِبىُّ :

وعَنْتَرَةُ الفَلْحَاء جاءَ مُلأَّماً ‌ ‌ ‌ ‌ كأنك فِنْدٌ من عَمايَة أسْوَدُ

وتأنيث الفَلْحاءِ جاء اتباعاً لتأنيث عنترة ، والمُلَأَّمُ اللاَّبسُ اَللأْمةْ . وهـى الدرع ، والفِنْد الضَّخْمُ ، والفَلْحَةُ ، القُراحُ الذى اشتُقَّ للزرع ، قال حسان :

دَعُوا فَلَحاتِ الشـام قد حَالَ دونَهَا طِعَـانٌ كأفـواه المخَـاضِ الأَدارِكِ

أما الفلاح بمعنى البقاءِ والفوز ، فمنه قولُ الرجـل لامرأتِـه : اَستَفْلِحـى بأمركِ ، معناه فوزى بأمرك ، والفَلاح السَّحور ، قالوا : سُمَّـى فلاحـا ، لأن الانسان تَبْقى معه قوةُ على الصَّوم ، وفى الحديثِ : صلَّيْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خِفْنا أن يفوتنا الفَلاح .

وقال الأَضْبَطُ بن قَريعٍ السَّعْدى من أبياتٍ له فى الأمالى للقالى (ج ١ ص ٦٠٧) وكتاب المُعَمَّرين لأبى حاتم (ص ٨) والخِزانة للبغدادى (ج ٤ ص ٥٨٩) والأغانى (ج ١٦ ص ١٥٤) وحَماسَةِ ابن الشَّجَرِىّ (ص ١٣٧) والبيان والتبيين للجاحظ : (ج ٣ ص ٣٤١) ومجالس ثعلـب (ص ٣٨٠) والمَثَلِ السائر لابن الأثير (ج صَ ٢٦٠) :

لكل هَمٍ من الهمـوم سَعَهْ والمَسْـىُ والصُّبْـحُ لا فلاح مَعَهْ

ومن محاوراتهم : وهب الله لك الفلاح ، والفلَح ، وهو البقاء فى الخير ، وفى الحديث : « كل قوم على زينةٍ من أمرهم ، ومَفْلَحةٍ من أنفسِهِم » .

وهو فى معنى قوله تعالى : « كلُّ حِزْبٍ بما لديهم فَرِحون » وقال الخَطَّابى : معناه أنهم راضون بعلمهم ، يغتبطون به عند أنفسهم ، وهى مَفْعَلَةٌ من الفلاح ، وقالوا : ما المَفْرَحَةُ ، والمَفْلَحةْ ، الاَ حيث السَّدادُ والمَصْلَحةْ ، وقالوا أيضا : لن يحلّ الفَرَحُ والفَلَحْ ، حيثُ القَلَحُ والفَلَح .

وفى حديث رباط الخيل أنها فلاح فى موازينه ـ اى فوز وظفر ـ وحَىَّ على الفلاح ـ أى عَجّلْ وأسرع على الفوز بالبقاء الدائـم ، وقيـل : أَقْبِـلْ على النجاة . وقال ابنُ الأثير : هَلُمُّوا الى سبب البقاء فى الجنة والفوز بها ، وهـو الصلاة فى الجماعة ، ونَقَل الأزهرى فى تهذيب اللغة عن ابن السكّيت قال : الفَلَح والفلاح البقاء ، قالَ الأعشى :

ولئـن كنّـا كقـومٍ هَلكوا ماالحَِـيَ ياْلقَـومٍ مِنْ فَلَحْ

وقال عَدِيّ :

ثم بعـد الفـلاح والرُشْـدِ والأُمَّـ ـةِ وَارَتْهُمـو هنـاك القُبورُ

وقال الزمخشرى : أَفْلَحَ ، دخل فى الفلاح ، والفلاح ، الظفر بالمراد ، أو البقاء فى الخير .

وقال ابو اسحاق الحَرْبىُّ فى قوله عز وجل : « اولئك هم المفلحون » . يقال لكل من أصاب خيراً مُفْلح ، وقول عبيدٍ فى مجاز أبى عبيدة ١/٣٠ وغريب ابن قتيبة ٣٩ وسمط البكرى ٣٢٧ :

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُبْلَغُ بالضَعْـ ـفِ وقـد يُخَـدَعُ الأَريبُ

معناه : فُزْ واظْفَرْ ، يقول : عِشْ بما شئتَ من عقلٍ وحُمْقٍ ، فقد يُرزق الأحمق ويُحْرَمُ العاقل .

وقال ابن سِيْدَهْ : قوم أفلاح ، أى مُفْلحون فائزون ، لا أعرف له واحداً ، وأَنْشَدَ :

بادوا فلـم تَكُ أُولاهـم كآخرهم وهـل يُثَمِّـرُ أفـلاحُ بأفلاحِ

وقال : كذا رواه ابن الأعرابى : « فلم تكُ اولاهم كآخرهم » وخَليقٌ أن يكون : « فلم تك أُخراهم كأَوَلِهِم » ومعنى قوله : « وهل يُثَمِّر أفلاح بأفلاح » أى قلّما يُعْقِبُ السَلَفُ الصالحُ الاّ الخَلَفَ الصالحَ .

وقال ابن الاعرابى : معنى هذا أنهم كانوا متوافرين من قبل ، فانقرضوا ، فكان أولُ عيشِهِم زيادةً وآخرهُ نُقصاناً وذهابا .

وقال صاحب اللسان : الفلاح الفوز ، والنجاة والبقاء فى النعيم والخير ، والفوزُ بما يُغْتَبَطُ به ، وفيه صلاح الحال ، وأَفْلح ، ظَفِر . ومنه حديث ابى الدَّحْداح : « بَشرَّك الله بفوزٍ وفَلَحْ » أى فوزٍ وبقاءٍ ، وقوله : « قد أفلح المؤمنون » أى أُصيرْوا الى الفلاح .

قال الأزهرى : انما قيل لأهل الجَنَّة مفلحون لفوزهم ببقاء الأبد .

وفلاح الدهر بقاؤه . قال الشاعر :
(ولكنْ ليس فى الدنيا فلاحُ) أىْ بقاء . وقال اللَّيْثُ فى قوله تعالى : « وقد أفْلَح اليوم من استَعْلَى » أى ظَفِر بالمُلْكِ من غَلَبَ . « وحَىَّ على الفلاح » أىْ هَلُمَّ على بقاء الخير وأنشد أبو عبيدة فى المجاز ١/٣٠ للبيد العامرى :

نحــلُّ بلاداً كلّهــا حُلَّ قبلنا ونرجــو فلاحــاً بعــد عاد وحمير

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « والله يُؤَيِّد بنصره من يشاء » قال : معناه : يُقَوِّى . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم . أمَا سمعَت قول حسان بن ثابت (انظر الديوان ص ٣٠٤)

برجــالٍ لستمــو أمثالَهم أيَّــدُوا جبريــل نَصرْاً فنَزَلْ

قال الطبرى : معنى قوله : « يؤيد » يقوّى ، من قول القائل : أيَّدْتُ فلاناً بكذا ، اذا قَوَّيْته وأعَنْتَه . فأنا أُوَيِّدُهُ تَأْييداً . والفعل الثلاثى منه إدْتُه . فأنا أئِيدُهُ . أيْداً . ومنه قوله تعالى : « واذكر عبدنا داوود ذا الأَيْدِ » يعنى ذا القوة .

قال أبو تراب : لم تذكر كتب اللغة هذا الفعل الثلاثى متعدّيا . بل قالوا : آدَ . يَئِيدُ . اذا اشتدَّ وقَوِىَ . فهذا الذى ذكره الطبرى فائدة لاتجدها فى غير تفسيره الجليل .

والأيد فى اللغة . يدلّ على القوة والحفظ . يقال : أيّده الله أى قوّاه الله . قال تعالى : « والسماءَ بنيناها بأيْدٍ » فهذا معنى القوة . وأمّا الحفظ فالايِاد كلُّ حاجزِ الشىءَ يحفظه . قال ذو الرُمَّةِ يصف الظّليم :

دفعنــاه عن بَيْضٍ حســانٍ بأجْرَعٍ حَوَى حولهــا من تُرْبِــه بايادِ

يعنى طردناه عن بيضه . ويقال : رجلُ أيِد . وذو أيْدٍ . قال الجعدى :

آيَــد الكاهــلِ جَلْــدٌ بازلٌ   أخْلَفَ البــازلُ عامــاً أو بَزَلْ

البازل الذى انشق نابه بدخوله فى السنة التاسعة ، وقد آد وتأيَّد ، قال امرؤ القيس يصف النخل :

فَأَثَّــتْ أعاليــه وآدت أصولهُ   ومالــتْ بِقِنِــوانٍ من البُسْـر أحمَرا

أَثَّتْ أعاليه أى كثرت والتفَّت . وآدت أصولهُ أى قَوِيَتْ ، وإياد كل شيء مايُتَّقوى به من جانبَيْه ، وهما إياداه ، ومن ذلك إياد العسكر ، وهما جَنَاحَــاهُ المَيْمنَةُ ، والمَيْسرَةُ ، قال العجّاج :

بذِى إيَادَيــنْ لَهَــامٍ لو دَسَرْ   برُكْنِــه أركانَ دَمْــخٍ لانْقَعَرْ

اللَّهام ، الجيش العظيم ، كأنه يَلْتهم كلَ شيء ، ودَسرَ أى دفَعَ ، ودَمْخ ، جَبَلٌ من جبالٍ ضخامٍ بنجدٍ ، ومعناه ان هذا الجيش لو دفع بجانبه أركان ذلك الجبل لتَشَقَّقَ .

ومن مجاز هذه المادّة قولُهم .. فلان لأَيْدُ الغداء والعَشاء ، اذا كان حاضرا كثيرا ، وقد آدتْ ضيافتهُ ، قال الشاعر يصف امرأة مضيافة :

رأيتُــكِ للــزوّارِ كالمَشْرَبِ الذى   اذا عَطِشُوا يومــاً فمَــنْ شَاء أوْردا

جُذامِيَّــة آدتْ لهــا عَجْــوَةُ القِرى   وتَخْلِــط بالمَأْقــوطِ حَيْســاً مُجَعَّدا

المأقوط ، الطعام الذى فيه الأَقِطُ ، وهو الجُبْنَ المُتخَذُ من اللبن الحامض ، والحَيْسُ ، تمر يخْلَطُ بسَمنٍ وأقِطٍ فيُعجَن ، يعنى مالت عليها المِيرُة بالتمر .

وشاهد الأيْد بمعنى القوىّ قوله :

اذا القــوسُ وَتَّرهــا أيْد   رَمَــى فأصــاب الــكُلَى والذُّرَا

ومعنى هذا البيت ان الله سبحانه وتعالى اذا وَتَّر القوسَ التى فى السحاب رَمَى كُلىَ الابل ، وأسْنِمَتها بالشَحْم ، يعنى من النبات الذى يكون من المطر ، وشاهد المُؤْيدِ مثل المُؤْمِنِ من هذه المادّةِ بمعنى الأمر العظيم قولُ طَرْفَةَ البَكْرِىّ :

تقــولُ وقــد تَرَّ الــوظيفُ وساقُها   ألســتَ ترى ان قد أتيــتَ بمُؤْيِدِ

ورواه الأصمعيّ : « بمؤيَدِ » بفتح الياء ، وهو المشدد من كل شيء . وانشد للمثقّب العَبْدِيّ :

يَبْنِي تجاليدي وأقْتادها ناوٍ كراس الفَدَنِ المؤْيَدِ

يريد بالناوي سنامَها ، وظهرها . والفَدَن ، القصير . وتجاليده جسمه .

والأيْد والآدُ واحد ، معناه القوة . قال العجّاج : (انظر مجاز أبي عبيدة ٤٦/١ والطبري واللسان والتاج) .

مَنْ إنْ تَبدَّلْتِ بآدِي آدا لم يكُ يَنْآد فأمْسَى انْآدا

يعني قوة الشباب . وفي خُطبة علي بن ابي طالب : « وأمْسَكَها من ان تَموت بأيْدِه » أي بقوته .

وقال الزجّاج في قوله تعالى : « واذكر عبدنا داوود ذا الأَيْدِ » أي ذا القوة . كانت قوته على العبادة أتَمّ قوة . كان يصوم يوماً ويفطر يوما . وذلك أشدُ الصوم وكان يصليَ نصف الليل . وقيل : أيْدُهُ قوته على إلانَةِ الحديد باذن الله . وتقويته إيّاه . وقد أيَده على الأمر . والتأييدُ مصدر أيّدته أي قوّيتُه . قال الله تعالى : « إذ أيَدتك بروح القدس » وقُرِىء : « إذ آيدتُك » أي قويتك . والمفعول منه مُؤيَد . ومن التأييد مُؤَيَد . والفاعل مؤيِدِ . وتصغيره مثله .

وكل شيء كان واقيا لشيء فهو إياده . قال العجّاج يصف الثور : (متّخذاً منها إياداً هدفا) والاياد كل مَعتِلٍ أو جبلٍ حصين أو كنفٍ وستر وملجأ . وقد قيل : إن قولهم : أيّده الله مشتق من ذلك . قال ابن سِيِدَة : وليس بالقويَ . وكلُ شيءٍ كَنَفَكَ وسَتَرَك . فهو إياد . لذلك أُطلِق الاياد على التراب يجُعل حول الحوض أو الخِباءِ ، يُقوىَ به ، أو يمنع ماء المطر .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن الفوم في قوله تعالى : « فادْعُ لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثّائها وفومها وعدسها وبصلها » ؟ قال : الفوم الحِنْطَةُ قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت قول أبي مِحْجَن الثقفي :

قد كنت أحْسَبُني كأغنَى واحدٍ قَدِمَ المدينة عن زراعة فُوم

قال ابو تراب : استشهد به الطبرى . والطبرسي والشوكانى . والبحر .

قال الطبرى : البقل والقِثّاء والعدس والبصل هو ماقد عرفه الناس بينهم من نبات الأرض وحَبّها . وأمّا الفُوم فان اهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم : هو الحنطة والخبز . وقال آخرون : هو الثوم بعينه . وهو في بعض القراءات (وثُومها) وقد ذكر ان تسمية الحنطة والخبز جميعا فوماً . من اللغة القديمة . حُكي سماعاً من أهل هذه اللغة : « فَوِّموا لنا » بمعنى اختبزوا لنا . وذُكر ان ذلك قراءةُ ابن مسعود « ثومها » بالثاء . فان كان ذلك صحيحا فانه من الحروف المُبْدَلَةِ مما تُقلب الثاء فاءً . والفاء ثاءً . لتقارب مخرج الفاء من مخرج الثاء .

قال ابو تراب :

البيت الذى ذكرناه لأبي مِحْجَن الثقفي شاهداً للفُوم في قوله تعالى : « من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » وهو :

قد كنت أحْسَبُني كأغنَى واحدٍ قَدِمَ المدينة عن زراعة فُومِ

بمعنى الحنطة . أنشده الأخفش لأبي محجن . وفى الرَّوض الأُنُف (ج ٢ ص ٤٥) . والطَّبرى (ج ٢ ص ١٢٩) نسبته الى أُحَيْحَة بن الجُلاح . وذكر الفرّاء فى معانى القرآن (ج ١ ص ٤١) لفظ « الثوم » .

وفى مقاييس اللغة لابن فارس : الفُومُ أصل صحيح . مختلف في تفسيره . قال قوم : هو الثوم . وقال آخرون : هو الحنطة . ويقولون : فَوِّموا لنا . أى اخبِزوا

وذكره الزمخشرى فى الكشّاف . قال : والثوم بالعدس والبصل أوفق .

وقال فى اساس البلاغة : هو البُرُّ . وقيل : الخُبْز . وقال أُميّة فى جمع الفوم :

كانت لهم جنّة إذْ ذاك ظاهرة فيها الفراديسُ والفومانُ والبَصَلُ

وقال ابن دُريد فى الجمهرة : الفومة السنبلة . وقال ابن سِيدَة : أراه على البَدَل - يعنى أن الفاء مُبْدَلَةٌ من الثاء - وقال ابن جِنّى : ذهب بعض أهل التفسير فى قوله تعالى : « وفومها وعدسها » الى انه أراد الثوم . فالفاء على هذا عنده بدل من الثاء . قال : والصواب عندنا ان الفُوم الحنطة . ومايُخْتَبَزُ من الحبوب . يقال : فَوَّمْتُ الخبز . واختبزته . وليست الفاء على هذا بدلا من الثاء . وجَمَعُوا الجَمْعَ فقالوا : فُومانٌ . حكاه ابن جِنّى . قال : والضّمة فى فُومٍ غيرُ الضمّة فى فُومانٍ .

وقال الفرّاء : هى لغة قديمة . وقيل : الفُوم لغة فى الثوم .

وفى تهذيب اللغة للأزهرى عنه فى قوله تعالى : « وفومها » قال : الفُوم الحنطة والخبز جميعا . وقال الزَجّاج : الفوم الحنطة . ويقال : الحبوبُ . لا اختلاف بين اهل اللغة ان الفُوم الحنطة . وسائر الحبوب التى تُختبز يَلْحَقُها اسم الفوم . قال : ومن قال : إن الفوم ههنا هو الثوم . فان هذا لايعرف . ومحال ان يطلب القوم طعاماً لا بُرَّ فيه . وهو أصل الغذاء . وهذا يقطع هذا القول . وقال اللحيانى : هو الثوم . والفوم . للحنطة . وقال ابو منصور : إنْ قرأها ابن مسعود بالثاء فمعناه الفوم وهو الحنطة . وقال الجوهرى : يقال : هو الحنطة .

وفى لسان العرب : الفُوم . الزَّرع . أو الحنطة . وأَزْدُ الشرَاةِ يُسَمُّون السُنْبُلَ فُوماً . الواحدة فُومَةٌ .

قال أبو تراب : كذا فى اللسان والجمهرة . والصواب : أَزْد السَّرَاةِ . لأنهم يُنْسَبُون اليها . وأمّا الشراةُ فليست لهم . ونقله محمد فؤاد سزكين فى حاشية مجاز أبى عبيدة ج١ ص ٤١ ولم يتنبه للغلط .

قال الشاعر :

وقـال رَبِيئُهـم لَمّا أتانا بِكَفّـهْ فومـةٌ أو فُومتان

والهاء في قوله : (بِكَفّه) غير مُشْبَعَةٍ . وقال بعضهم : الفُوم الحِمَّصُ ، لغةٌ شامية ، وبائعه فامِيٌّ ، مُغَيَّرٌ عن فُومِيٍّ ، لأنهم قد يغيرون في النِسَبَ . والفوم الخبز أيضا . وقال بعضهم : سمعنا العرب يقولون : فَوّموا لنا بالتشديد ، يريدون اختبزوا وهى قراءة عبدالله ابن مسعود بالثاء ، وكأنه أشبه المعنيين بالصواب ، لأنه مع مايشاكله من العدس والبصل ، والعربُ تُبدِلُ الفاء ثاء . (انظر معانى القرآن للفراء ج ١ ص ٤١) .

قال أبو تراب : الابدال في الثاء والفاء من لغة العرب ، ذكره ابو الطيب ، والزجّاجى وذكروا منه الفومَ والثومَ ، بمعنى الحنطةِ ، والبقلِ ايضا . وفي التفسير على الوجهَين .

وأورد الطبرى لكل منهما شواهد الآثار والروايات ، وهو في إبدال يعقوب ، ولم يذكره ابن سلاّمٍ في لغات القبائل . وقال ابن قتيبة في غريب القرآن (ص ٥١) العرب تبدل الثاء بالفاء فيقولون : جدث وجدف والمغاثير والمغافير وهذا أعجب الأقاويل لأنها في مصحف عبد الله « وثومها » .

وفي محيط المحيط : الفوم ايضاً كل عقدةٍ من بَصَلَةٍ أو ثُومةٍ أو لُقْمةٍ عظيمة ، والفومة ايضا ماتحمله بين اصبعيك ، جمعُها فُوَمٌ ، وقَطَعَهُ فُوَماً ، أى قِطَعا ، ومثله فُؤَم بالهمز .

قال أبو تراب : يُشبِه أن يكون بين الواو والهَمز تداخل في هذا الباب بهذا المعنى ولم يذكر صاحب اللسان الفُؤَم على وزن صُرَدٍ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس أخبرنى عن قوله تعالى : « أفمن هذا الحديث تعجبون ، وتضحكون ولاتبكون ، وأنتم سامدون » ؟ قال : السُمودُ اللَّهو والباطل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت قول هُزيلة بنت بكر وهى تبكى قومَ عادٍ :

ليت عاداً قَبِلُوا الحَق ولم يُبْدوا جُحودا
قيل قُم فانظر اليهم ثم دَعْ عنك السُمودا

قال أبو تراب : استشهد بالبيت الأخير أبو حيّان النحوى فى تفسيره : « البحر المحيط » وذكره ابن فارس ، وابن منظور ، ولم يَنْسِبَاهُ ، وأنشده المبرّد .

قال الزمخشرى فى الكشاف : « وأنتم سامدون » أى شامخون ، مُبْرطمون ، وقيل : لاهون لاعبون . وقال بعضُهم لجاريته : أسمُدِى لنا ، أى غَنّى لنا . وبمعنى اللهو ـ وهو قول ابن عباس وعكرمة ـ قال ابو عبيدة فى مجاز القرآن (ج ٢ ص ٢٣٩) والفراء فى معانى القرآن (ج ٣ ص ١١٣ وابن قتيبة فى غريب القرآن (ص٢٤٣) ونقل معنى الغناء ايضا كما روى عن ابن عباس وعكرمة ايضا وذكره الامام الشافعى فى أحكام القرآن (ج ٢ ص ١٧٨) وذكر ايضا : انهم الغضاب المبرطمون كما روى مجاهد وانظر الدّر البحر .

وقال الطَّبرى : يقال للرجل : دَعْ عنا سُمودَك ، يُراد به : دَعْ عنّا لَهْوَك ، وبنحو الذى قلنا قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة . فقال بعضهم : « سامدون » أى غافلون ، وقال بعضهم : « سامدون » أىْ مُغَنُّونَ ، وقال بعضهم : مُبَرْطمون . وأورَدَ عن ابن عباسٍ انه قالَ : معناه : لاَهُونَ . وأن السُمُودَ هو الغناء فى لغة اليمن . وأنهم كانوا يَمُرُّون على النبّى صلى الله عليه وسلم شامخين . وعن عكرمة : انّ السُمُودَ هو الغِناء بالحميرِيّة . وعن مجاهد : انّه البَرْطَمَةُ .

وقال الراغب فى المفردات ، السامِدُ اللاّهى ، الرافعُ رأسَه ، من قولهم : سَمَد البعير فى سيره .

قال ابو تراب : ويشهد لذلك قول ابن عباس فى تفسيره : « ألم تَرَوْا الى الفَحْل فى الابل عَطِناً شامخاً » والسمود فى اللغة ، يدلّ على مُضِى قُدُماً ، من غير تعريجٍ ، يقال : سَمَدَتِ الابلُ فى سيرها ، اذا جَدَّتْ ، ومَضَتْ على رؤوسها ، قال الراجز وهو رُؤْبةُ :

قَلَّصْنَ تقليصَ النعَامِ الوَخَّادْ سوامدَ الليلِ خِفافُ الأزوادْ

والأزواد جمع زاد ، ومعناه ، ليس فى بطونها عَلَفٌ ، وقيل : ليس على ظهورها زادُ للراكب ، وسوامُد ، أىْ دوائب ، ونَسَبَهُ ابن منظورٍ الى رُؤْبَة بن العجّاج .

ومن هذا الباب السمودُ الذى هو اللَّهْو ، والسامُد هو اللاهى ، ومنه قوله عز وجل : « وأنتم سامدون » أى لاهون ، وهو قياسُ الباب ، لأن اللاّهىِ يمضى فى أمره ، غيرَ معرَج ، ولا متمكّثٍ ـ أى مُتمكّثٍ ـ نقله ابن دريد وأهمله الجوهرى .

وفى أساس البلاغة : رجلْ سامدٌ ، اذا قام رافعاً رأسه ، ناصباً صدره ، كما يَسْمُد الفحلُ اذا هاج ، ومنه قيل للغافلِ الساهى ، سامد كما فى قوله تعالى : « وأنتم سامدون » ، ومن المجاز : وَطْبٌ سامد ، أى مْلآنُ ، مُنْتَصِب ، وهو سِقاءُ اللَّبنَ ، وسَمَد ، اذا غَنَّى ، لأنه يرفع رأسه ، وَيَنْصِبُ صدره .

وفى لسان العرب : فُسرِّ « وأنتم سامدون » ، باللهو ، وفُسرّ بالغناء ، وقال ابن عباس : « سامدون » ، مستكبرون ، وقال الليث : « سامدون » ، ساهُونَ ، والسُمودُ فى الناس الغفلة ، والسَهو ، عن الشىء ، ورُوِى عن ابن عباس قال : السمودُ الغِناءُ بلغةِ حِمْيَرَ ، ويقال للقَيْنَة : أَسْمُدِينا ، أى أَلْهِينا بالغناء .

وقيل : السمود يكون سروراً ، وحُزْناً ، وأنشد :

رَمَى الحِدْثَانُ نِسْوةَ آلِ حَرْبٍ بأُمرٍ قد سَمَدْنَ له سمودا
فَرَدَّ شُعُورَهنَ السُودَ بيضاً وَرَدَّ وجوههن البِيْضَ سُودا

قال ابو تراب : وهذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى كما فى التاج .

وقال ابن الأعرابى ، السامد اللاّهى ، والسامد الغافل ، والسامد الساهى والسامد المتكبّر ، والسامد القائم ، والسامد المتحيرّ بَطَراً وأَشَرَاً والسامد الغَبِىُّ .

وفى حديث على بن أبى طالب : انه خرج الى المسجد ، والناس ينتظرونه للصلاة قياماً ، فقال : مالى أراكم سامدين ، قال ابو عبيد : يعنى قياماً ، وقال المُبَرد : السامد ، القائم فى تحيرٍ ، وأنشد الشاهد المتقدم الذى أنشده ابن عباس من شعر بنت بَكْر فى رثاء قوم عادٍ .

قال ابن الأثير : السامد المُنْتَصِبُ ، اذا كان رافعاً رأسه ، ناصباً صدره ، وقال ذلك على بن أبى طالب ، مُنْكِراً عليهم قيامهم قبل أن يَرَوُا الأمامَ ، ومنه الحديث الآخر : « ما هذا السمودُ » وقيل : هو الغفلة ، والذهابُ عن الشىء ، يقال : سمد سموداً ، أى رفع رأسه تكبُّراً ، وكلُّ رافعٍ رأسَه فهو سامد ، وقال ثعلب : السمود بمعنى الغناء ، قليل .

قال ابو تراب : ولم يذكره ابن سلاّم فى لغات القبائل .

والخلاصة : ان الله سبحانه وتعالى قال لمشركى قريشٍ : أفَمِن هذا القرآن أيها الناس تعجبون أنْ نَزلَ على محمد صلى الله عليه وسلم ، وتضحكون منه استهزاءً به ، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصى الله ، وأنتم من أهل معاصيه ، لأنكم سامدون ، لاهون عمّا فيه من العِبَرِ والذكر ، مُعْرِضون عن آياته ، فاسجدوا لله أيها الناس فى صلاتكم دون من سواه من الآلهة ، والأنداد ، وإياه فاعبدوا ، دون غيره ، فانه لا ينبغى أن تكون العبادة إلا له ، فأخلصوا له العبادة ، والسجودَ ، ولا تجعلوا له شريكاً فى عبادتكم ايّاه . ذكره ابن جرير .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « فلا أقسم بالشفَقْ . والليل وما وسَقْ ، والقمر اذا (اتَّسَقْ) ، لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عن طَبَقْ » ، ؟ قال : اتساقُه اجتماعُه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول طَرَفة بن العَبْد البكْري :

إنّ لنـــا قلائصــــاً نَقَانِقاً مُسْتَوْسِقـــاتٍ لو يجِــدْنَ سائقا

قال ابـو تراب : استشهـد به الـزمخشرى ، وابـو حيّـان ، والطَبـرى ، والقرطبى ، وهو فى شرح الأمالى للبكرى (ج ١ ص ١٠٢) والكامل للمبرّد (ص ٥٦٦) وليس فى ديوان طرفة ، وقد نُسب فى اللسان الى العجّاج وأورده ابو عبيدة فى المجاز ج٢ ص ٢٩١ .

ويروى ايضاً :

إنّ لنـــا قلائصــــاً حقائقا مُسْتَوْسِقـــاتٍ لو يجِــدنَ سائقا

بدل : « قلائصاً نقانقا » وفى تفسير الطبرى : « لو يجدن حاديا » وهو غلط والقلائص ، جمعُ قَلوصٍ ، وهى الناقة الطويلة القوائم ، والنقانق جمع نُقِنقٍ وهو الظَّليم ـ أىْ ذَكر النعام ، شَبَّه النياق بالظِّلْمانِ فى سرعة السير ، ومستوسقاتٍ أى مجتمعاتٍ ، والحقائق من الابل هى التى طعنتْ فى الرابعة . ، والشاهد فيه كلمة (مستوسقات) .

قال الزمخشرى فى معنى قوله تعالى : « والليل وما وَسَقْ ، والقمر اذا اتَّسَقْ » أن وسَقَ ، بمعنى جَمَع وضَمَّ ، واتَّسَقَ ، اذا اجتمع واستوى ليلَةَ أربعَ عشرةَ ، ومنه استوسق ، وأنشد البيتَ المذكور آنفاً ، ومعناه : والليل وما جَمَعه الليلُ ، وسَتَره ، وآوىَ اليه من الدوابّ ، والقمرِ اذا اجتمع واستوى . (وانظر غريب ابن قتيبة (ص ٥٢٩) ومعانى الفراء (ج ٣ ص ٢٥١) .

وقال الطبرى : معناه : والليل وما جَمَع مما سَكَن وهَدَأ فيه من ذى روحٍ كان يَطير أو يَدِبُّ نهاراً ومنه قولهم : طعام موسوق ، وهو المجموع فى غرائَر ، أو وعاءٍ ـ الغرائرُ الجَوالقُ ـ وأنشد البيت المذكور وأورد فيه شواهدَ الآثار .

وقال آخرون : معناه : والليل وماساق من ظُلْمةٍ اذا أقبل ، وأورد فيه شواهد الآثار . وقال : معنى قوله : « والقمر اذا اتَّسق » اذا تم واستوى ، واجتمعَ وامتلأ ، واستدار ، وأورد فيه آثاراً عن الصحابة والتابعين .

وفى مفردات الراغب : الوَسْق جمع المتفرّق ، يقال : وسَقْتُ الشيء اذا جمعته وقوله تعالى : « والليلِ وما وَسَقْ » قيل : وماَجمَع من الظلام وقيل : عبارة عن طوارق الليل ، والاتّساقُ الاجتماعُ . قال الله تعالى : « والقمرِ اذا اتَّسَقْ»

قال ابو تراب : الوَسْق فى الاشتقاق اللغوى يدلّ على حملِ الشيء يقولون : لا أفْعَلُ ذلك ماوَسَقَتْ عَيْنى الماءَ ، أى حَمَلَتْه ، قال ضَابىء بن الحارث البُرْجُمى :

وإنّــى وايّاهــم وشوقــاً اليهمو كقــابضِ ماءٍ لم تَسِقْــهُ أنَامِلُهْ

قال ابن فارس : ومنه قوله تعالى : « والليلِ وماوَسَقْ » أى جَمَع وحَمَل ، ومنه قولهم : أوْ سَقْتُ البعيرَ أى حَمَّلتُه ، قال :

(وأين وَسْقُ الناقةِ المُطَبَّعَهْ)

وفى أساس البلاغة : قولُ لَبيد يصف نَعيمَ الجنةِ التى وُعد بها المتقون :

يومَ أرزاقُ منْ يفَضّــلُ عُمٌّ مُوسَقَــاتٌ وحُفَّــلٌ أبْكارُ

قال ابو تراب : أبكار المِنِنِ الالهية هى الجديدُ من النعيم ، والعُمُّ الكُثُرُ .

قال الزمخشرى : ومن المجاز اتَّسَقَ القمر ، واتَّسَق أمرُهُ ، واستوسق ، وفلانٌ لايواسِقُ فلاناً أى لايُعادلُه ، وأصل المُواسَقَةِ المُحَامَلَة ، قال جَنْدَلٌ :

فلستَ إنْ جاريَتنــى مواسقى ولستَ إنْ عُضَّ شَكيمــى صادقى

يعنى : لاتعادُلنى فى المجاراة ، ولاتنصرنى فى الشدائد ، وفى رواية :

(ولستَ إنْ فررتَ منّى سابقى)

وقال عديّ :

ونَدامَــى لايَبخلــونَ بِمَــا نَا لُوا ولايُعْسِرُونَ عنــد الوِساقِ

يعنى عند المناهدة .

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون» ؟ قال : «خالدون» باقون ، لايخرجون منها أبداً ، أي من الجنة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول عديّ بن زيد :

فهــل من خالــدٍ امَّــا هَلَكْنَا وهــل بالمــوتِ ياللنــاسِ عَارُ

قال ابو تراب : هذا البيت من شعر عدّى بن زيد العبّادى فى جملة أبياتٍ بعث بها الى النعمان بن المنذر حين بلغه عن عدّى شيء فخافه ، فاحتال حتى وقع فى يده ، فحبسه ، فقال فى الحبس أشعاراً منها قوله :

ألاَ مَنْ مُبْلِـغُ النُعمانِ عنّى عَلاَنِيــةً ومــا يُغْنــى السرِارُ
بأنَ المَــرْءَ لم يُخْلَــقْ حديداً ولا هَضْبــاً تَوقَّلــهُ الوِبارُ

الهَضْبُ ما ارتفع من الأرض كالجَبَل المُنْبسط . والجمعُ هِضاب ، وتَوَقَّلهُ أىْ تُصَعَّد فيه ، والوِبار جمع وَبَر ، وهو دُوَيْبة على قَدْر السِنَّورْ غبراءُ أو بيضاءُ ، من دوابَ الصحراء ، حسنُة العينين ، شديدة الحياء ، وهى طَحْلاَءُ اللون ، لاذَنَبَ لها ، تُدْجَنُ فى البيـوت ، يعنــى أنَ الانسان ليس فى قوة الاحتمال كالحديـد ، ولاكالجبل الذى تُصَعّدِ فيه الدوابُ .

ولــكن كالشهــاب سَنَــاهُ يخبو وحــادى المــوتِ عنــه مايحَارُ
فهــل من خالــدٍ إمَّــا هلكنا وهــل بالمــوت ياللنــاس عارُ

وهذه الأبيات ذكرها ابـن قُتيبـة فى الشعـراء (ص ١٨٠) وابـو الفـرج الأصبهانى فى الأغانى (ج٢ ص١٧) والبيت الأخير استشهد به ابن عباس للخلود بمعنى البقاء .

قال ابو عبيدة فى مجاز القرآن (ج١ ص٢٣٣) : أخلد الى الأرض : لزم وتقاعس وأبطأ . يقال : فلان مُخْلِد أى بطيء الشيب . والمخلد الذى تبقى ثنيتاه حتى تخرج رباعيتاه ، وهو من ذاك ايضاً .

وفى اللسان : الوسوق ما دخل فيه الليل وماضَمَّ ، وقد وَسَقَ الليلُ ، واتَّسَقَ الليلُ ، وكل ما انضمَّ فقد اتَّسَقَ ، والطريقُ يَتَّسِقُ ، ويـأْتَسِقُ ، أى يَنْضَمُّ ، وأصل هذه الواوِ مهموز حكاه الكسائى .

واتَّسَقَ القمرُ ، أى استوى . قال الفَرَّاء : «وماَوسَقْ» أى وماجَمَـع وضَمَّ ، واتساق القمر امتلاؤه ، ليلة ثلاثَ عَشرة ، وأربعَ عشرةَ الى ستَ عشرةَ ، فيهن امتلاؤه ، واتساقه ، وقال ابو عبيدة : «وماوَسَقْ» أى وماجَمَع من الجبالِ والبحارِ والأشجار ، كأنه جمعها بأن طَلَع عليها كلِّها فاذا جَلَّلَ الليلُ الجبالَ والأشجارَ والبحارَ والأرضَ ، فاجتمعتْ له فقد وسَقَها .

ومعنى الآيات : أن الله تعالى أقسم بالنهار مُدْبِراً ، والليل مُقْبِلاً ، أنهـم يَلْقَون من شدائِد يومِ القيامةِ ، وأهوالِهِ أحوالاً ، ويركبون طَبَقاً عن طَبَق ، أى يَقَعُون فى أمر شديد ، فما لهؤلاء المشركينَ لايصدّقون بتوحيد اللهِ ، ولايُقـرّون بالبعث بعد الموت ، وقد أقسم لهم ربهُم مع ما قد عاينوا من حُجَجِهِ بحقيقةِ توحيده ، فمالهم اذا قرىء عليهم كتابُ ربهِم لايخضعون ، ولايستكينون ، ذكره ابن جرير .

وقال ابن قُتيبة فى تأويل المُشْكِل (ص ١٩٢) : « فلا أقسم» زيدتْ «لا» على نِيَّةِ الردّ على المكذّبين ، وهذا أبلغ فى الردَ ، وبعضهم يجعلها صِلَةً ، ولو جاز هذا لم يكن بينِ الجَحْد والاقرار فرقُ .

وقال الطبرى : ان الله تعالى أَقْسَم وجَعَلَ «لا» ردّا لكلام قوم ، وجواباً لهم ، لأن المعروف فى المحاورات أنهم يبدأون بها للردَ ، وقد أجمعوا على أن هذا من أقسام القرآن ، وليس من الأخبار .

قال ابو تراب : والله سبحانه وتعالىُ يُقسم بما شاء من مخلوقاته ، وليس لنا ان نقسم الاّ به وحده كما هو المُتَعَينُ المُقَرر فى العقائد .

❊ ❊ ❊

منها لأهلها ، تكذيباً من الله جل ثناؤهُ القائلينَ من يهود بنى اسرائيل ان النار لن تَمسَّهم الآ أياماً معدودة ، وإنهم صائرون بعد ذلك الى الجنة ، فأخبرهم بخلود كُفَّارهم فى النار ، وخلود مُؤمنيهم فى الجنة .

قال ابو تراب : ومن شواهد الخلود بمعنى الاقامة قول ابن أحمر

خَلَـد الحبيـب وبَـادَ حاضرهُ   الاّ منـازلَ كلُّهـا قَفرُ

وشاهد «مخلّدون» بمعنى مُقَرَّطُون مُشَنَّفُون :

ومُخَلَّـداتٍ باللُّجَـينِ كأنّما   أعجازهـن أقَـاوِزُ الكُثْبانِ

ذكره ابن قتيبة فى الغريب ص٤٤٧ والقرطبى ، وذكر القرطبى معناه عن ابن جبير وابو حيان عن الفراء ، وهو فى كتابه (المعانى ج٣ ص١٢٣)

وقيل : «مخلّدون» أى لايموتون ، ومخلَّدات فى البيتِ أى مُقَرَّطَاتٌ ومن شواهد أخلَد بمعنى أقام قولُ زهير بن أبى سُلْمى :

لِمَنِ الديـارُ غَشيْتُهـا بالغَرْقَد   كالوَحْـيِ فى حَجَـر المسَيـل المُخْلِدِ

الغرقد اسم مكان ، والوَحْيُ الأثر ، والمُخْلِد اللاصق بالأرض ، يعنى أنَ آثار تلك الديارِ بقيتْ كأثرِ الحَجَر المُخْلِد فى المَسيل ، والصخور تُسَمَّى الخوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلالْ ، قال :

الاّ رمـاداً هامـداً دفعتْ   عنـه الريـاحَ خَوالـدٌ سُجْمُ

السُجْم المرصوصة ، وفى رواية : سُحْمُ أىْ سُودٌ . يعنى ان الصخور المحيطة بتلك الآثار الباقية دفعت الرياحَ فلم تذهب ببقايا الرماد هناك . اما قوله :

فتأتيـك حَذَّاءَ محمولةً يَفُضُّ خوالُدهـا الجَنْدَلاَ

فالخوالد هنا الحِجارة ، والمعنى القوافى ، ويعنى بالحذّاء القصيدة السيّارة المُنَقَّحة لايتعلق بها عَيْبٌ .

وقال الزجّاجُى فى قوله تعالى : « يطوف عليهم ولْدانٌ مخلَّدون» أى مُحَلَّوْنَ وقال ابو عُبيد : مُسَوَّرُونَ ، لغةٌ يمانِيَة .

وقال فى (ج٢ ص٢٤٩) « ولدان مخلدون » من الخلد أى لا يهرمون ، يبقون على حالهم لا يتغيرون ولا يكبرون .

قال الراغب فى المفردات : الخلود هو تَبرّي الشيء من اعتراض الفساد ، وبقاؤه على الحالة التى هو عليها ، وكلُّ ما تَبَاطَأ عنه التغييرُ والفسادُ تَصِفُه العرب بالخلود ، كقولهم : للأثافى ، خوالد ، وذلك لطُولِ مُكْثها لا لدوام بقائها قال تعالى : « وتَتَّخِذُون مصانِعَ لعلكم تخلدون » والخَلَدُ اسم للجزء الذى يبقى من الانسان على حالته ، فلا يستحيل مادام الانسان حَيًّا استحالةَ سائر أجزائه ، وأصلُ المُخَلَّد الذى يبقى مدةً طويلة ، ومنه قيل : رجل مُخَلَّد لِمَنْ أبطأ عنه الشَّيْبُ ، ودابّة مخلَّدة هى التى تَبْقَى ثناياها حتى تخرج رَبَاعِيتهُا ، ثم استُعير للمُبْقَى دائماً .

والخلود فى الجنة بقاء الاشياء على الحالة التى عليها من غير اعتراض الفساد عليها قال تعالى : « اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون» وقال : « اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» وقال : « ومَنْ يَقْتُل مؤمناً متعمدًا فجزاؤه جهنَّمُ خالداً فيها» وقوله تعالى : « يطوف عليهم وِلدان مُخَلَّدون» قيل : مُبْقونَ بحالتهم لايعتريهم استحالة ، وقيل : مُقَرَّطُون بخَلَدة ، والخَلَدَةُ ضَرْبٌ من القِرطَةِ . وإخلادُ الشيء جَعْلُه مُبْقى ، والحكم عليه بكونه مُبْقىً . وعلى هذا قوله سبحانه وتعالى : « ولكنّه أخْلَدَ الى الأرض واتَّبعَ هواه» أى ركن اليها ظانًّا انه يخلد فيها .

ومعنى الآية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات خالدون فى الجَنَّات وخلودهم فيها دوام بقائهم فيها على ما أعطاهم الله فيها من الحَبْرَة والنعيم .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : « وهم فيها خالدون» أى خالدون أبداً ، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً . لا انقطاع له .

قال الطبرى : وانما هذه الآية وأشباهها إخبار من الله عبادَه عن بقاء النار ، وبقاءِ أهلها فيها ، وبقاءِ الجنة ، وبقاء أهلها فيها ، ودوامِ ما أَعَدَّ فى كلِ واحدةٍ

الحياض الكبار ، جمعُ جابِية ، لأن الماء يُجْبى فيها ، والقدورَ الراسياتِ وهي الثابتاتُ على الأثافى ، لاتُنْزَل عنها لعِظَمها .

والبيتِ الذى استشهد به ابن عباس للجوابى بمعنى الحياض ذكره ابو حيّان فى البحر المحيط بلفظ (المُحْتَظَرْ) وابنُ الشَّجَرىَ فى المختارات «ج ٢ ص ٣٧» وهو من قصيدة لطَرَفَةَ فى ديوانه يصف فيها أحواله فى أُسفاره وتَنَقُلَه فى البلاد ، ويقول فيها :

نحن فى المَشْتَاة ندعو الجَفَلَى لاترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

الجَفَلى هى أن تدعو الناس الى طعامكَ دعوةً عامةً من غير اختصاص ، والنَقَرى هى الدعوة الخاصة ، والآدب صَاحُب الضيافةِ ، يقول : نحن لانَنْتَقُر أىْ لاندعو دعوة خاصة ، بل ندعو دعوة الجَفَلىَ العامَة ، ولو كان الزمن زمنَ شتاء ، وهو مما يستثقل الناسُ فيه الضيفَ ثم قال :

بجِفانٍ تَعترى نادَينا من سَديفٍ حين هاج الصِنَّبْرِ

السَّديف شحم السنام ، والصَنِبَّرْ الريح الباردة ، كَسرَ الباءَ لاقامِة الوزن أو هى لغةٌ فيه ، يقول : جفاننا فى النادى مُكَلَّلةَ بالشحم اذا هَبَّتْ ريح الشتاءوبعده البيتُ الشاهدُ ، وهو :

كالجَوابى لاتَنِى مُتْرَعة لقِرَى الأضياف أو للمُحْتَضرْ

يعنى أن تلك الجفانَ هى كالحياض فى اتساعها ، وهى مَلأى بالطعام لقِرىَ الضيفِ والحاضرِ من الجيران وبعدَه :

ثم لايُخْزَنُ فينا لحمهُا انما يُخْزَن لحُم المُدَخِرْ

أى أنهم لايَستبقون الطعام ، وانما يُفنونه توزيعاً .

ومن شواهد الجوابى قولُ الأَعْشَى ميمونِ بن قيس :

تروح على نادى المُحَلَّقِ جَفْنةٌ كجابِية الشيخ العراقِى تَفْهَقُ

ذكره ابن قتيبة فى الغريب ص٣٥٤ والقرطبى والطبرى وابوحياه .

وتفهق أى تمتلىء وتَتَصَبَّبُ وقال آخر :

قال ابو تراب : ولم يذكرها ابن سلاّم فى لغات القبائل :

وقال الدَّامَغَانُى فى كتاب الوجوه والنظائر : الخُلْد فى القرآن على وجهين ، فوجه منهما : «أخْلَد» بمعنى مال ، قال : «ولكنه أخْلَد الى الأرض» أى مال الى نعيمها ، والثانى : من الخلود ، قال : « يَحْسَبُ أن مالَه أخْلَدَهْ» ولم يذكره ابن الجوزى فى النزهة .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وجفانٍ كالجَواب» ؟ قال : كالحياض الواسعة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت طَرَفةَ بن العبد البكرى ، وهو يقول :

كالجَوابِــى لاتَنــىِ مُتْرَعَةً بِقِــرىَ الأضيــافِ أو للمحتضرِ

قال ابو تراب : هذا فى ذكر سليمان عليه السلام ، وما أنْعم الله تعالى به عليه ، قال : « ولسليمان الريحَ غُدوُّها شهر ورَواحُها شهرٌ وأسَلْنَا له عَين القِطْر ومن الجِنّ مَنْ يَعملُ بينِ يديه بأذْن ربّه ومَنْ يَزغْ منهم عن أمرنا نُذِقْهُ من عذاب السعير ، يعملون له مايشاء من محَاريب وتمَاثيلَ وجفانٍ كالجَوابِ وقُدورٍ راسياتٍ اعْمَلُوا آلَ داوودَ شكراً وقليل من عبادِىَ الشَّكور» .

وخلاصة ذلك أن الله سبحانه وتعالى سَخّر له الريح تحَملُه وأصحابَه مسيرةَ شهرٍ بالغداةِ ، وكذلك جَرْيهُـا بالعَشِى ، وأسَاَل له عَـيْنَ القِطْـر ـ أى مَعْـدِنَ النُحاسِ ـ كما ألاَنَ الحديدَ لداودَ فنَبَعَ كما يَنْبُعُ الماءُ ، فيَعمل له الجنُّ منـه محاريبَ ـ وهى المجالس الشريفة المَصُونَةُ عن الابتذال سُمّيتْ محاريب لأنـه يحُامَى عليها وُيَذَبُ عنها ـ ويعملون له التماثيل ـ وليس ذلك بجائز فى شريعتنا ، والشرائعُ تختلفْ ـ ويعملون له الجِفانَ وهى جمع جَفْنةٍ كأمثال الجَوابِـى وهـى

وفَسرَّه فقال : عَنَى ههنا الشرابَ لا الحوض والحوائمُ التى تحوم حوله ، وفَسرَّ قوله : (حتى اذا أشرف فى جوف جَبًا) بأنه يصف الحمار ، ويقول : اذا أشرف فى هذا الوادى رَجَع ، يعنى جَبًا بمعنى رَجَع ، وليس هو عنده (فى جوفِ جَبًا) أى فى وسط الحوض ، بل هو (فى جوفٍ) بالتنوين ، ورواه ثعلب : (فى جوفِ جَبًا) كما قال ابن برّى ، وخَطَّأَ من قال : (فى جوفٍ جَبًا) .

وقال قُوَيْدر فى المثلّثات :

وَشَفَـــةُ البئــر فسَمِّهاجَبَا كما تُسَمَّــى الماءَ مجموعَــاً جِباَ
والماءُ فى الحــوضِ بتَثليــثٍ جُبَا وامــرأة موصوفــةٌ بالصِغَرِ

قال ابو تراب : ولم يذكره ابن مالك فى مثلثاته .

قال ابن فارس : هذه المادة تدلّ على جمع الشىء ، والتجُّمع ، ومنه : جِباية المال ، والحوض نفسه جابية ، والجَبَا ما حولَ البئر ، والجِبَا ما جُمِع من الماء فى الحوض .

وقال الزمخشرى : من المجاز : فلان يَجْتَبِى جِبَا المجد ، أى يقوم بالمجد ، ويجمعه لنفسه ، قال ذو الرُمَّة :

ومازلـتَ تسمـــو بالمعـــالى وتَجْتَبِى جِباَ المجـد مُذْ شُدَتْ عليـك المآزِرُ

قال أبو تراب : ومنه قوله تعالى : « يُجْبَى اليه ثمراتُ كلَ شىء » والمُجْتَبى مستعار من ذلك .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « إنّا خلقناهم من طينٍ لازب » ؟ قال : المُلْتَزِق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أماَ سمعت قولَ النابغة :

ولا يَحْسَبُــون الخَــيرَ لا شرَّ بعده ولاَ يحْسَبــون الشرَّ ضربــةَ لازب

فَصَبَّحَتْ جابيةً صَهارجا كأنها جِلْدُ السماء خارجا

ذكره ابو عبيدة ونسبه فى السمط الى هميان بن قحافة ج١٤٤/٢ ص٥٧٢ وأورده ابن جرير من غير عزو.

قال فى لسان العرب : إن الأعشى فى قوله : «كجابية الشيخ العراقيّ» خَصَّ العراقيَّ لجهله بالمياه ، لأنه حَضَرَىّ فاذا وجدها مَلأَ جابيتَه ، وأَعَدَّها . ولم يَدْرِ متى يجدُ المياه . وأما البَدوىُّ فهو عالم بالمياه فهو لايُبالى أن لايُعدَّها ، ويروى : (كجابية السَّيح) وهو الماء الجارى .

وقال ابن الأعرابى : الجَبَا ان يتقدّم الساقى للابل قبل ورودها بيومٍ فيَجْبى لها الماء فى الحوضِ ، ثم يُوردُها من الغَدِ ، وأنشد :

بالرَّيْثِ ما أَرْوَيْتُها لا بالعَجَلْ وبالجَبَا أَرْوَيْتُها لا بالقَبَلْ

يقول : انها إبلُ كثيرة ، يُبطئون بِسَقْيها ، فتُبْطىء ، فيبطُؤ رِيهُا لكثرتها ، فتَبْقَى عامَّةَ نهارها تَشرب ، واذا كانت مابين الثلاث الى العشر صُبَّ على رؤوسها .

وقال ابن بَرَى : الجَبَا بالفتح الحوض ، والجِباَ بالكسر الماء ، ومنه قول الأخطل

وأخوهما السفّاح ظَمَّأَ خيلَه حتى وَرَدْنَ جِباَ الكُلاب نِهالا

النِهال ههنا العطش ، والسفّاح هو ابن خالد بنِ كعبِ بنِ زهير ، وقال آخر :

(حتى اذا أشرف فى جوفِ جَبَا)

وقال مُضَرِّس فجَمعَه :

فألْقَتْ عَصَا التَسيار عنها وخَيَّمَتْ بأجْباءِ عَذْب الماء بيضٍ محَافرُهْ

وأنشد ابن الأعرابى :

وذاتِ جَباً كثيرِ الوِرْدِ قَفْرٍ ولاتُسْقَى الحوائمُ من جَبَاهَا

وقال الطبرى : ربما أبدلوا الزاى التى فى اللازب تاءً فيقولون : طين لاتب ، وذَكر ان ذلك فى لغة قيس ، وزعم الفرّاء أن أبا الجرّاح أنشده :

صداعٌ وتوصيـــمُ العِظــامِ وفَتْرةٌ وغَثْىٌ مع الاِشراقِ فى الجوفِ لاتبُ

بمعنى لازم .

قال ابو تراب :

هذا البيت يصف فيه العِلَة التى اعترته ، وصاحَبَها الصداعُ والغَثَيـان ، والفتور ، وتوصيمُ العظام تكسيرُها . ولم يذكر ابو الطيّب ولا الزجَاجِىُّ إبـدال الزاى تاءً فى كتابيهما ، ولاَ ذَكر ابنُ سلاّم انها لغة قيس فى كتاب لغات القبائل فليُستدركْ .

قال الطبرى : طين لازب أى لاصق ، وانما وصفه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء ، وكذلك خَلْقُ ابنِ آدم من تراب وماء ونار وهواء والتراب اذا خُلط بماء صار طيناً لازباً .

قال الطبرى : والعرب تبدل باء (طين لازب) ميماً فتقول طين لازم ، ومنه قول النجاشى الحارثى : (عليكم بنى النجّار ضربةَ لازم) :

قال ابو تراب : رواه ابو عبيدة (ضربة لازب) وهذا الابدال ذكره الفراء وابن قتيبة فى الغريب ص٣٦٩ و ج٢/٣٨٤ وابو الطيب ولم يذكره الزجّاجى ، ومن أمثلته (مكّة) و (بَكّة) وشاهدُه قول كُثيرٍ :

فما وَرَقُ الدنيـــا ببـــاقٍ لأهله ولا شدة البَلْــوىَ بضربــةِ لازِم

قال أبو تراب : وَرَقَ الدنيا جمالها وبهجتها ، وهو غير الوَرِق بمعنى الفضة . ويقال لِلاَزمِ لازب ، وصار هذا الشىء ضربة لازب ، أى لا يكاد يفارق ، وطين لازب أى لازق .

وقال الفرّاء فى قوله تعالى : « **من طين لازب** » : اللازب واللاتب واللاصق واحد ، والعرب تقول : ليس هذا بضربة لازم ، ولازب ، يبدلون الباء ميماً لتقارب

قال أبو تراب : هذا البيت ذكره الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين (ج٢ ص ١٨٥) وكتاب الحيوان (ج ٧ ص ٢٥٩) واستشهد به الطَّبرىُّ ، والطَّبَرِيُّى فى تفسيريهما ، وهو فى ديوان النابغة (ص ١٢) ومختار شعر بشّار (ص ٢٦٨) بلفظ (ولا تَحْسَبُنَّ) وأورده القُرطبى (ج ١٥ ص ٤٩) وابن فارس وابن منظور ، واستشهد به أبو عُبيدة فى كتاب مجاز القرآن ج٢ ص١٦٧ ، وأنشد أيضاً قول النَّجاشّى الحارثى :

بَنَى اللُّؤمُ بيتاً فاستقَرتْ عمادُه   عليكم بَنِى النَجّار ضربةَ لازبِ

وأورده الطبرى والقرطبى :

وفى مفردات الراغب : اللازب الثابت الشديد الثبوت

قال تعالى : « **من طين لازب** » ويُعبَّر باللازب عن الواجب فيقال : ضربةُ لازب .

وفى الكشاف : أنَّ الله سبحانه وتعالى ذكر من خلائقه الملائكةَ والسماواتِ والأرضَ والمشارقَ والكواكبَ والشُهُبَ الثواقبَ والشياطينَ المَردَة ، فكأنه قال : خلقنا كذا وكذا (فاسْتَفْتِهم) أى استخبرهم أهم أشد خلقاً ؟ أم الذى خلقناه من ذلك ، وذلك على مَعْنَى الردّ لإنكارهم البعثَ ، والنشأةَ الأخرى ، وأن من هانَ عليه خلقُ هَذه الخلائقِ العظيمة ، ولم يَصْعُبْ عليه اختراعُها كان خلقُ البَشر عليه أهْوَنَ .

وخَلْقهُم من (طينٍ لازبٍ) إمّا شهادةٌ عليهم بالضَّعْف والرَّخاوة لأن ما يُصنع من الطين غيرُ موصوف بالصلابة والقوة ، (أو) احتجاجُ عليهم بأن الطينَ اللازبَ الذى خُلقوا منه تراب ، فمن أين استنكروا ان يخُلقوا من ترابٍ مثلهِ حيث قالوا : « **أئِذا** كنّا تراباً وآباؤنا أئِنّا لَمُخْرَجُون » وهذا المعنى يَعْضده ما يتلوه من الآيات وفيها ذِكْرُ إنكارِهم البعثَ ، وقرىء : « لازِب » ، « ولا تِبٍ » والمعنى واحد .

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « **فلا تجعلوا للّهِ أنداداً وأنتم تعلمون** » ؟ قال : الأندادُ الأشباه والأمثال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول لبيد بن ربيعة العامرى :

أحْمَــدُ الله فلا نِدَّ له بيديــه الخــيرُ ما شاء فَعَلْ

قال ابوتراب : هذا البيت استَشْهَد به القُرْطُبىّ فى تفسيره ، وهو فى ابن هشـام (ج ٢ ص ١٨١) وفى ديـوان لبيــد (ص ١٧٤) وخزانــة الأدب للبغدادى :

إنَّ تقــوى ربِّنــا خــيرُ نَفَلْ وبــاذن الله رَيْثــىِ والعَجَلْ
أحمــد الله فلا نِدَّ له بيديــه الخــيرُ ما شاء فَعَلْ
مَنْ هداهُ سُبُــلَ الخــير اهتدى ناعِــمَ البــال ومَــنْ شاء أضَلْ

قال فى اللسان : قال لبيدُ هذا فى جاهلية ، فوافق قولُه التنزيلَ العزيز .

قال ابو تراب : وهذا كلام مُوهِمٌ ، لأن القصيدة قيلتْ بعد موت أرْبَدَ وهو أخوه وكان لبيدٌ قد أسلم حينذاك . والنِدُّ والنَّديدُ الذى يُنَادُّ فى الأمر أى يأتى برأىٍ غيرِ رأىِ صاحبِه ، قال لبيد أيضاً :

لئــلاَ يكونَ السَّنْــدَرِىُّ نَديديتى وأجعــلَ أعمامــاً عمومــاً عماعما

وأنشـده ابـن الأنبـارى فى الأضـداد (ص ١٩) وثعلــب فى مجالســه (ص ٦٣٥) وصاحب اللسان والمقاييس ، والسَّنْدرىُّ فى البيت هو ابن عَيْسَاءَ ذكره ابن حبيب فى كتاب من نُسب الى أُمِّه من الشعراء (ص ٨٥) والعموم جمع العَم ، والعَماعِمُ الجماعات ، ويُروى : (وعُماً عَماعِماَ) والعُمُّ الجماعة من البالغين المُدركين ، وهذا البيت فى جملةِ أبياتٍ قالها فى المنافرة بين عامر بن الطُّفيل ، وعَلقمة بن عُلاَثَةَ .

قال ابو حاتم : اجتمعت العربُ على أن نِدَّ الشىء مِثْله ، وشِبْههُ ، وعِدْله ، ويقال : نِدّ ونديدٌ ، ونديدةٌ .

المخارج . وقال أبوبكر : معنى قولهم : ماهذا بضربة لازب ، أى ماهذا بلازمٍ واجبٍ أى ماهذا بضربة سيفٍ لازب ، وهو مَثَلٌ .

واللازب الثابت ، وصار الشيء ضربة لازب أىْ لازماً ، هذه اللغة الجيّدة ، وقد قالوها بالميم ، والأول أفصح ، ولازمٌ لُغَيَّةٌ .

قال أبوتراب : لم يذكر الميدانى فى مجمع الأمثال قولهم : ما هذا بضربةِ لازبٍ . ولا ذكره أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال ، وانما ذكره ابن منظور انه مَثَلٌ ، وذكره الزمخشرى فى أساس البلاغة من المجاز .

وقال الطبرى فى قوله تعالى : « **فاستَفْتِهِم أهم أشدُّ خَلْقاً أم مَنْ خَلَقْنَا إنا خلقناهم من طين لازب** » يقول تعالى لنبيه محمدٍ ﷺ : **فَاسْتَفْتِ يا محمد هؤلاء المشركين الذين ينكرون البعث بعد المهات والنشورَ بعد البلاءِ** ، يقول : **فسَلْهم أهم أشَدُّ خَلْقاً** ؟ يقول : **أخَلْقُهم أشَدُّ ، أم خَلْقُ مَنْ أعْدَدْنا خَلْقَه من الملائكة ، والشياطين والسماوات ، والأرض** ، وذكر أن فى قراءة ابن مسعود : « أهم أشد خَلْقاً أم مَنْ عددنا » .

وأَوْرَدَ آثاراً فى معنى اللُزوب فى قوله : « **من طين لازب** » .

قال ابن عباس : هو الطين الحرّ الجيّد اللَّزِج الطيّب الملتصق ، وفى رواية عنه قال : هو التراب والماء فيصير طيناً يَلْزَقُ . وقال قتادة : اللازب الذى يَلْزَقُ باليد . وقال ابو زيد : هو الذى يَتَلَصَّقُ كأنه غِراءُ .

قال ابو تراب : اللُزوب يدلُ على الثبوت ، واللزوم فى الاشتقاق اللُغوى ، ومنه اللَّزْبَة ، السنة الشديدة ، كأنّ القَحْطَ ثبت فيها ، والمِلْزابُ البخيل الشديد ، لأنه يلازم عدمَ الانفاق ، وشاهُده ما أنشده ابو عمرو :

لاَ يفرحون اذا ما نَضْخَةٌ وقعتْ ... وهم كرامٌ اذا اشْتَدَ الملازيبُ

والنَّضْخَة هى المَطَرة .

* * *

أضداداً . ويقال : نِدّى ، ونَديدى ، ونديدتى ، فالثلاث اللغات بمعنىً واحد .

قال جرير :

أتَيْماً تجعلــون الىّ نِدّاً وما تَيْــمٌ لذى حَسَـبٍ نَديدُ

وانما دخلت الهاء فى نديدةٍ للمبالغة ، كما قالوا : رجل علاّمةٌ ، ونَسَّابـةٌ ، ويقال : فى تَثْنِيَة النِدّ : نِدَّانِ ، وفى جمعه : أندادٌ ، ومن العرب من لا يُثَنّيه ، ولا يَجْمَعُه ، ولا يُؤنّثه ، فيقول : الرجلانِ نِدّى ، والرجال نِدّى ، والمرأة نِدّى ، والنساء نِدّى ، كما قالوا : القوم مثلى ، والقوم أمثالى ، قال تعالى : « ثم لا يكونوا أمثالكم » وفى موضع اخر : « إنّكم اذاً مِثْلُهم » ومُجْرَى نِدٌ اذا وُحّد هو مُجْرَى قولهم : رجلٌ كَرَمٌ ورجالٌ كَرَمٌ ، ونساءٌ كَرَمٌ .

وقال بعض أهل اللغة : الضِدُّ يقع على معنَيينْ متضادَيْن كالنِدَ ، يقال : هو ضِدّى ، أى خِلافى ، وهو ضِدّى ، أى مثلى ، وهذا شاذٌ ، وذكره ابو الطيب فى الأضداد .

وقال الزمخشرى : النِدُّ المِثْل ، ولا يقال الاّ للمخالف المُناوىء ، ونادَدْتُ الرجل ، خالفتهُ ، ونافرتهُ ، ومعنى قولهم : ليس لله نِدٌّ ولا ضِدٌّ نَفْىُ ما يَسُدُّ مَسَدَّه ، ونَفْىُ ما يُنافيه ، فلما كانوا يعظّمون الآلهة من دون الله أَشْبَهَتْ حالهُم حالَ من يعتقد أنها قادرة على مخالفتِه ، ومُضادّتِه ، فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم .

وأنشد أبو عُبيدة فى المجاز (ج١ ص٣٤١) قولَ رُؤْبَةَ :

تُهــدِى رؤوسُ المُتْرَفــينَ الأنْداذْ الى أمــيرِ المؤمنــينَ المُمْتَاذْ

وقال الطبرى : النِدُّ العِدْلُ ، والمِثْلُ ، وكلُّ شىء كان نظيراً لشىء ، ولـه شبيهاً فهو له نِدٌّ ، فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً ، وأن يعبدوا غيره ، أو يتخذوا له نِدّاً ، وعِدْلاً فى الطاعة فقال : كما لا شريكَ لى فى خَلْقِكم وفى رزقِكم الذى أرْزُقكم ، ومِلْكِى ايّاكم ، ونِعَمى ِ التى أنْعَمتُهـا عليـكم فكذلك

وفى لسان العرب : النِّدُّ بالكسر المِثْل والنظير . والجمع أنداد وهو النديد والنديدة .

وفى كتاب رسول الله ﷺ لأُكَيْدِرٍ صاحبِ دومة الجَنْدَلِ : « وخَلْع الأنداد والأصنام » الأنداد جمع نِدٍّ بالكسر ، وهو مِثْلُ الشيء الذى يُضادُّه فى أمور ، ويُنَادُّه أى يخالفه . ويريد بها ماكانوا يتخذونه آلهة من دون الله تعالى الله .

وقال الأخفش فى قوله تعالى : « **واتَّخذوا من دون الله أنداداً** » النِدُّ الضدُّ ، والشِبْهُ ، وقوله : « **يجعلون لله أنداداً** » أى أضداداً وأشباهاً . ويقال : نِدُّ فلانٍ ونديدُهُ ، ونديدتُه ، أى مثلُه وشِبْهُهُ .

وقال ابو الهيثم : يقال للرجل اذا خالفك فأردتَ وجهاً تذهب به ونازعك فى ضِدِّهِ (فلانٌ نِدّى ، ونَديدى) للذى يريد خلاف الوجه الذى تريد ، وهو مُسْتَقِلٌ من ذلك بِمِثْلٍ ما تَسْتَقِلُّ به ، قال حسان بن ثابتٍ :

أتهجوه ولستَ له بِنِدٍّ فشرُّكما لخيركما الفِداءُ

أى لست له بِمِثْلٍ فى شىء من معانيه ، ويقال : ناددتُ فلانا ، اذا خالفتَه .

هذا البيت من قصيدة يهُاجى بها حسانُ أبا سفيان ابنَ الحارث قبل إسلامه واستشهد به ابو عبيدة فى المجاز ج١ ص٣٤ .

قال ابن شُميل : يقال فلانةُ نِدُّ فلانةٍ ، وخَتْنُها ، وتِرْبُها . ولا يقال : فلانة نِدُّ فلانٍ ، فتُشَبِّهُهَا به .

وقال ابن الأنبارى فى كتاب الأضداد (ص ١٩) : النِدُّ يقع على مَعْنَيَيْنِ مُتضادَّيْنِ ، يقال : فلان نِدُّ فلان ، اذا كان ضِدَّهُ . وفلانٌ نِدُّهُ اذا كان مِثْلَه . وفَسرَّ الناسُ قول الله عز وجل : « **فلا تجعلوا لله أنداداً** » على جهتين .

قال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس : معناه : فلا تجعلوا لله أعْدالاً . فالأعدالُ جمع عِدْل . والعِدْلُ المِثْل .

وقال ابو العباس عن الأثرم عن أبى عُبيدة : « **فلا تجعلوا لله أنداداً** » أى

وسلم بيدِه فكانت أصحَّ عينَيهْ ـ قَدِمَ على عمر بن عبدالعزيز فقال له ممَّن الرجل ؟ فقال :

أنا ابن الذى سالتْ على الخَدّ عينُه   فَرُدَّتْ بكفَ المصطفى أحسن الردَ
فعادتْ كما كانت لأوّلِ أمْرِها   فياحُسْنَ ماعَينٍ وياحسنَ ماردَ

فقال عمر بن عبدالعزيز :

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ   شِيبَا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا

والشَّوْبُ فى اللغةِ هو الخَلْطُ . وسُمىَ العسل شَوْباً لأنه كان يُمْزَج بغيره من الأشربة . ومن محاورات العرب . فلان ماعنده شوبٌ ولا رَوْب . فالشَوبُ العسلُ . والرَّوْبُ اللَبَنُ الرائب . والشِياب اسم لِمَا يُمزج به ويقال : سقاه الشوبَ بالذَّوْب . أى اللبن بالعسل .

ومن شواهد الشَوْب بمعنى الخَلْط قول أبى زُبيدٍ الطائى :

جادت مناصبَه شَفَّانُ غاديةٍ   بسُكَّرٍ ورحيق شِيْبَ فانْشَاباَ

المناصبُ جَمْعُ مِنْصَبٍ . وهو آلة من حديد تُنْصَبُ تحت القِدْر للطبْخ . والشفّانُ الريح الباردة . والغادية السحابة المُمْطِرة . وشِيب فَانْشَابَ أى خُلط فَانْخَلَطَ . من باب المطاوعة . والشِيابُ الخِلْط . قال أبو ذُؤَيْبٍ :

فَأَطْيِبْ براح الشَام صرفاً وهذه   مُعَتَّقَةٌ صَهْبَاءُ وهى شِيابُهَا

أى مزاجُها . وقوله تعالى : « ثم إنّ لهم عليها لَشَوْباً من حميم » أىْ لَخَلْطاً ومزاجاً . يُقال للمُخَلِّط فى القول أو العمل : هو يَشوبُ ويَروبُ .

قال الأصمعىُّ : هذا فى باب إصابة الرجل فى مَنطقِه مرةً . وإخطائه أخرى .

وقال غيره : هو من شَوْب اللَبَنِ . وهو خَلْطه بالماءِ . ومَذْقُه . ويَروبُ أصله يُرَوِّبُ . أى يجعله رائباً خاثراً . لا شوب فيه . فأُتْبِعِ يَروب يَشوبُ لازدواج الكلام . كما قالوا : هو يأتيه الغدايا والعشايا . والغَدايا ليس بجمع الغداة فجاءوا بها على وَزْن العشايا .

فأَفْرِدُوا لِىَ الطاعةَ ، وأَخْلِصُوا لِىَ العبادةَ ، ولا تجعلوا لى شريكاً ، ونِدًّا من خَلْقِى ، فانكم تعلمون أن كلَّ نعمة عليكم فمِنّى .

قال ابو الطيّب فى الأضداد (ج ١ ص ٦٥١) : ومن الأضداد النِدُّ وزعم بعضُ الناس أن بعض العرب يجعلون النِدَّ بمعنى الضِدِّ أيضاً ، ويقول : هو يُنَادُّنى فى ذلك المعنى ، أى يضادُّنى . قال : ولا أعرف ذلك وقد حكاه قُطْرُبٌ ، قال • ويقال : ضِدٌّ وضَديدٌ ، ونِدٌّ ونَديدٌ ، وهو يضادُّنى ويُنادُّنِى .

وذكره أيضاً السجستانى فى الأضداد (ص ٧٤) .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « **ثم إنَّ لهم عليها لشَوْباً من حميم** » ؟ قال : الشَّوْبُ الخِلْطُ بماء الحميم ، والغَسَّاقِ .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول الشاعر :

تلك المكارم لاقَعْبانِ من لَبَنٍ ... شِيْباً بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالاَ

قال أبو تراب : هذا البيت لأُمَيَّة بن أبى الصَلْتِ ، وهو فى ابن هشام (ج١ ص ٦٨) والشعراء لابن قُتيبة (ص ٤٣٣) . والقَعْبُ القَدَح الغليظ الضَّخْم ، وشِيْباً أى خُلِطَا ، والمعنى أن المكارم ليست بالمطعوم والمشروب بل هى أفعالٌ وأعمالٌ تخلِّدِ ذِكْرَ المرء ، وتَدلّ على أرومته . والبيت فى جملة أبيات لأُمَيَّة قالها فى سيف بن ذى يَزَنَ ، وذكرها الطبرى فى تاريخه (ج ٢ ص ١٢٠) وأبو الفرج فى الأغانى (ج ١٦ ص ٧٣) والبُحترى فى الحَماسة (ص ١٦) والسُهيلى فى الرَّوض الأُنُفِ (ج١ ص ٥٢) .

وذكر الحافظ ابن عبدالبر والحافظ ابن حجر وغيرُهما : أن رجلاً من ولد قَتادةَ ابن النعمانِ الذى أصابه سهم فى عينه يوم أحد فغَمزَها رسول الله صلى الله عليه

الخَلْطُ ، من قول العرب : شاب فلانٌ طعامَه شَوْباً وشِياباً ، من حميمٍ والحميمُ الماء المحموم ، وهو الذى أُسْخِنَ فانتهى حَرُّهُ . قال ابن زيد : يُشابُ لهم بغَسَّاقٍ مما تَغْسَقُ أعينُهم وصديدٍ من قَيحْهِم ودمائهم ، مما يَخْرُج من أجسادهم . وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ٣٧٢ « لشوباً » أى خِلْطاً من الماء الحار يشربونه وأنظر المعانى للفراء ج٢ ص٣٨٧

وقال الزمخشرى : الحميمُ يُقطّع أمعاءَهم . ويَشْوِى وجوهَهم وقد مَلأوا بطونَهم من الزَّقُّوم ، وهو حارٌّ ، ثم يُسْقَون بعد العطشِ ماهو أحَرُّ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وقالوا : ربنا عَجّلْ لنا قِطَّنا قبل يوم الحساب » ؟ قال : القِطُّ الجزاء قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قولَ الأعشى :

ولا الملِكُ النُّعمانُ يومَ لقيتُه   بنعمتـهِ يُعطـى القُطـوطَ ويُطْلِقُ

قال أبو تراب : هذا البيت ذكره الزمخشرى فى الفائق (ج٢ ص ٣٦٠) واستشهد به أبوحيّان والقُرطبىَ والطَّبرِىّ والطبـرى ، وهـو فى ديـوان الأعشى (ص ١٤٦) واحتـج به ابـن دُريـد فى الجَمْهَـرة (ج ١ ص ١٠٨) وذكره أبو عُبيدة فى مجاز القرآن ، وابن فارس وابن منظور .

قال أبو عبيدة فى المجاز ج٢ ص١٧٩ : القِطُّ الكتاب . والقُطوط الكُتـبُ بالجوائز .

وقال الزمخشرى فى الكشاف : « عجّل لنا قِطّنا » أى نَصيبَنا من العذابِ الذى وعدتَه ، كقوله تعالى : « ويَستعجلوك بالعذاب » وقيل : ذَكرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنينَ الجنةَ . فقالوا على سبيل الهُزْء : عَجّلْ لنا نصيبَنا منها ، أو عَجّلْ لنا صحيفة أعمالنا ننظرْ فيها .

وقال أبو سعيد : ليس قولهم : هو يَشوب ويَروبُ من اللبن ، ولكنَّ معناه : رجلُ يَرُوبُ أحياناً فلا يتحرَّكُ ، ولا يَنْبَعِثُ وأحياناً ينبعثُ فيَشُوب عن نفسه - أى يدافع عن نفسه - غيرَ مُبالِغٍ فيه .

وفى الحديث : لاشَوْبَ ولا رَوْبَ ، أى لاغِشَّ ولاتخليط فى بيع أو شراء فهو إذَنْ مأخوذٌ من الشَّوبِ بمعنى الخَلْطِ ، وهو الأصل ، وقيل : معناه أنك بَرىءٌ من عَيب السِلْعةِ .

وفى الحديث : يَشْهَدُ بَيْعَكم الحَلْفُ ، واللغْوُ ، فشَوِّبُوهُ بالصدقة ، أمَرَهم بالصدقة لِمَا يجرى بين المُتَبايِعَينِ من الكذب والزيادة والنقصان فى القول لتكون كفَّارةً لذلك .

ومن شواهد الشوب بمعنى الخَلْطِ قولُ سُليك بن السُّلكَةِ السَّعْدِىّ وهو من العَدَّائين :

سيكفيك ضَرْبَ القوم لحمٌ مُعَرَّضٌ وماءُ قُدورٍ فى القِصاع مَشيبُ

والمَشيب المخلوط بالتوابل والصِباغ ، بناه على شِيْبَ الذى لم يُسَمَّ فاعله ، والضَّرْبُ اللبنُ الحامضُ ، واللحم المُعَرَّضُ هو المُلْقَى فى العَرْصَةِ ليجَفَّ ويُروى : (لحمٌ مُغَرَّضٌ) أى طرىٌ ، ويُروى (مُعَرَّض) أى لم يَنْضَجْ بَعْدُ وهو المُلَهْوَجُ .

وفى مَجْمَع الأمثال للمَيْدانى : هو يَشُوبُ ويَروب ، الشَّوْبُ الخَلْطُ ويَروبُ أصلُه يَرْؤُبُ ، والرَّأْبُ الإصلاح ، وقالوا : يَروبُ ، لِمكانِ يشوب ويُضرب هذا المَثلُ للذى يُخطىء ويُصيب . وقال الأصمعى : هو يَشوب ولايروب ومعناه : يَخلط الماء باللبن ، أىْ يَخْلِطِ الصدقَ بالكذب ، ولايروبُ لأنه إذا خالط الماءُ اللبنَ لم يَرُبِ اللبنُ .

وفى مجاز القرآن لأبى عُبيدة : (ج٢ ص١٧٠) تقول العرب : كل شىء خلطتَه بغيره . فهو مَشُوبٌ .

قال الطَّبَرى : يقول تعالى : « ثم إنَّ لهم عليها لَشَوْباً من حميم » أى أنَّ هؤلاء المشركين على مايأكلون من هذه الشجرة المذكورة شجرةِ الزَّقُّومِ شَوْباً ، وهو

مَعْنِيٌّ به القُطوطُ ببعض معانى الخير أو الشر . فلذلك قلنا إنَّ مسألتَهم كانت بما ذكرتُ من حظوظهم من الخير والشر .

وقال ابن فارسٍ فى المَقاييس : القَطُّ يدلُّ على قَطْع الشِىء بسرُعةٍ عَرْضاً . قال رُؤْبَةُ :

سَوَّى مساحيهــن تَقْطِيــط الحُقَقْ تقليــلُ ماقارَعْــنَ من شُمّ الطُّرَقْ

والمَساحى جمعُ مِسْحاةٍ وهى كالمِجْرَفَة الاّ أنها من حديد ، وأراد بها الحوافر . وهو يصف أُتُناً وحماراً ، والطُّرَقْ جمع طُرْقَةٍ وهى حجارة والتقطيط ، عمل الخرّاطِ الذى يعمل الحُقَقَ للطِّيبِ وهو منصوبٌ على المصدر المُشَبَّه به . يعنى سَوَّى تكسيرُ ماقارعت الحوافر من شُمّ الحجارة مساحيها كتقطيع حُقق الطِّيب .

ومن هذا الباب القِطْقِطُ الرَّذاذُ من المطر ، لأنه من قِلَّتِهِ كأنه مُتَقَطِّع ، والشَّعْرُ القَطَطُ الذى يَنْزَوى ، وهو خلافُ السَّبْطِ كأنه قُطَّ قطّاً .

وأمّا القِطُّ فيقال : إنه الصَّكُّ بالجائزة ، فان كان من قياس الباب فلعلّه من جهة التقطيع الذى فى المكتوب عليه ، وأنْشَد قولَ الأعشى المتقدم .

وقال : وعلى هذا يُفسرَّ قوله تعالى : « عَجّلْ لنا قِطَّنا » كأنهم أرادوا كُتُبَهم التى يُعْطَونها من الأجر فى الآخرة .

وقال الزمخشرى فى الأساس : أخذوا القُطوط أى خطوطَ الجوائز وخُذْ قِطّاً من العامل وهو خَطُّ الحساب . ومن المجاز : لى قِطٌّ من ذلك أى نصيب ، وأخذ فلان قِطَّه ، وأحرز قِسْطَه .

وقال ابن منظورٍ فى اللسان : القِطُّ النصيب والقِطُّ الصَّكُّ بالجائزة والقِـطُّ الكتاب وقيل : هو كتابُ المحاسبة وأنشد ابن بَرّى لأُمَيَّة بن أبى الصَّلْت :

قوم هــم ساحــةُ العِراق جميعــاً والقِـطُّ والقَلَمُ

وقال الفرّاء فى معانى القرآن ج٢ ص٤٠٠ فى قوله : « عجّل لنا قِطّنا » القِطُّ الصحيفة المكتوبة وانما قالوا ذلك حين نزل قوله تعالى : « فأمّا من أوتى كتابه بيمينه » فاستهزأوا بذلك وقالوا : عَجّلْ لنا هذا الكتابَ قبل يوم الحساب والقِطُّ

وقال الطَبَرىَ : قال هؤلاء المشركون بالله من قريش : ياربَنا عَجَلْ لنا قِطَنَا أى كتابنا قبل يوم القيامة ، والقِطُ فى كلام العرب الصحيفة المكتوبة ، ومنه قول الأعشى : (بنعمته يُعطى القُطوطَ ويُطْلقُ) ويعنى بالقُطوط جمع القِطَ ، وهى الكُتب بالجوائز .

واختلف المفسرون فى المعنى الذى أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهَم تعجيلَ القِطَ لهم فقال بعضهم : إنما سألوا ربهَم تعجيلَ حَظَهِم من العذابِ الذى أعَدَ لهم فى الآخرة فى الدنيا ، كما قال بعضهم : « إنْ كان هذا هو الحقَ من عندك فأمْطِرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم » . وقال آخرون : انما سألوا ربهَم تعجيلَ الرزق .

وقال آخرون : سألوا أن يعجَل لهم كُتُبَهم التى قال الله : « فأمَا من أوتى كتابه بيمينه » وقال : « وأمَا من أوتى كتابه بشماله » فى الدنيا لينظروا أبأيْمانهم يُعْطَونَها أم بشمائلهم ولينظروا مِنْ أهلِ الجنة هم أم من أهل النار قبل يوم القيامة ، استهزاءً منهم بالقرآنِ وبوعد الله .

قال : وأوْلىَ الأقوالِ عندى بالصواب أن يقال : إنَ القوم سألوا ربهَم تعجيلَ صِكاكِهم بُحظوظهم من الخير أو الشر الذى وعد الله عبادَه أن يُؤْتِيهَمُوهَا فى الآخرة قبل يوم القيامة فى الدنيا استهزاءً بوعيد الله .

وانما قلنا ان ذلك كذلك لأن القِطَ هو ماوصفنا من الكتب بالجوائز والحظوظ ، وقد أخْبَر الله عن هؤلاء المشركينِ أنهم سألوا تعجيل ذلك لهم ، ثم أتْبَع ذلك قولَه لنبيَه : « اصْبِرْ على مايقولون » فكان معلوماً بذلك أن مسألَتهم ماسألوا النبىَ صلى الله عليه وسلم لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذى يَتْبَعُ الأمرَ بالصبر عليه . ولكن لَما كان ذلك استهزاءً وكان فيه للرسول صلى الله عليه وسلم أذىً أمره الله بالصبرِ عليه منهم حتى يأتيَه قضاؤه فيهم ، ولَما لم يكن فى قوله : « عَجَل لنا قِطَنا » بيانُ أىَ القُطوط إرادتُهم لم يكن لنا توجيهُ ذلك الى أنه

وفى اللسان : الوسوق ما دخل فيه الليل وماضَمَّ ، وقد وَسَقَ الليلُ ، واتَّسَقَ الليلُ ، وكل ما انضمَّ فقد اتَّسَقَ ، والطريقُ يَتَّسِقُ ، ويـأْتَسِقُ ، أى يَنْضَمُّ ، وأصل هذه الواوِ مهموز حكاه الكسائى .

واتَّسَقَ القمرُ ، أى استوى . قال الفَرَّاء : «وماوَسَقْ» أى وماجَمَـع وضَمَّ ، واتساق القمر امتلاؤه ، ليلة ثلاثَ عَشرة ، وأربعَ عشرةَ الى ستَ عشرةَ ، فيهن امتلاؤه ، واتساقه ، وقال ابو عبيدة : «وماوَسَقْ» أى وماجَمَع من الجبالِ والبحارِ والأشجار ، كأنه جمعها بأن طَلَع عليها كلِّها فاذا جَلَّلَ الليلُ الجبالَ والأشجارَ والبحارَ والأرضَ ، فاجتمعتْ له فقد وسَقَها .

ومعنى الآيات : أن الله تعالى أقسم بالنهار مُدْبِراً ، والليل مُقْبِلاً ، أنهـم يَلْقَون من شدائِد يومِ القيامةِ ، وأهوالهِ أحوالاً ، ويركبون طَبَقاً عن طَبَق ، أى يَقَعُون فى أمر شديد ، فما هٰؤلاء المشركينَ لايصدّقون بتوحيد اللهِ ، ولايُقـرّون بالبعث بعد الموت ، وقد أقسم لهم ربهُم مع ما قد عاينوا من حُجَجِهِ بحقيقةِ توحيده ، فمالهم اذا قرىء عليهم كتابُ ربهم لايخضعون ، ولايستكينون ، ذكره ابن جرير .

وقال ابن قُتيبة فى تأويل المُشْكِل (ص ١٩٢) : « فلا أقسم» زيدتْ «لا» على نِيَّةِ الردّ على المكذّبين ، وهذا أبلغ فى الردّ ، وبعضهم يجعلها صِلَةً ، ولو جاز هذا لم يكن بينِ الجَحْد والاقرار فرقٌ .

وقال الطبرى : ان الله تعالى أَقْسَم وجَعَلَ «لا» ردّا لكلام قوم ، وجواباً لهم ، لأن المعروف فى المحاورات أنهم يبدأون بها للردّ ، وقد أجمعوا على أن هذا من أقسام القرآن ، وليس من الأخبار .

قال ابو تراب : والله سبحانه وتعالىُ يُقسم بما شاء من مخلوقاته ، وليس لنا ان نقسم الاّ به وحده كما هو المُتَعَينُ المُقَرر فى العقائد .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون» ؟ قال : «خالدون» باقون ، لايخرجون منها أبداً ، أى من الجنة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول عدىّ بن زيد :

فهــل من خالـدٍ امَّــا هَلَكْنَا وهــل بالمــوتِ ياللنــاسِ عَارُ

قال ابو تراب : هذا البيت من شعر عدّى بن زيد العبّادى فى جملة أبياتٍ بعث بها الى النعمان بن المنذر حين بلغه عن عدّى شىء فخافه ، فاحتال حتى وقع فى يده ، فحبسه ، فقال فى الحبس أشعاراً منها قوله :

ألاَ مَنْ مُبْلــغُ النُعمانِ عنّى عَلاَنِيــةً ومــا يُغْنــى السرِارُ
بأنَ المَــرْءَ لم يُخْلَــقْ حديداً ولا هَضْبــاً تَوقَّلــهُ الوِبارُ

الهَضْبُ ما ارتفع من الأرض كالجَبَل المُنْبسط ، والجمعُ هِضاب ، وتَوَقَّلهُ أىْ تُصَعَّد فيه ، والوِبار جمع وَبَر ، وهو دُوَيْبة على قَدْر السِنَّورْ غبراءُ أو بيضاءُ ، من دوابّ الصحراء ، حسنُة العينين ، شديدة الحياء ، وهى طَحْلاَءُ اللون ، لاذَنَبَ لها ، تُدْجَنُ فى البيوت ، يعنى أنّ الانسان ليس فى قوة الاحتمال كالحديد ، ولاكالجبل الذى تُصَعَدِ فيه الدوابُ .

ولــكن كالشهــاب سَنَــاهُ يخبو وحــادىِ المــوتِ عنــه مايحَارُ
فهــل من خالــدٍ إمَّــا هلكنا وهــل بالمــوت ياللنــاس عارُ

وهذه الأبيات ذكرها ابن قُتيبة فى الشعراء (ص ١٨٠) وابو الفرج الأصبهانى فى الأغانى (ج٢ ص١٧) والبيت الأخير استشهد به ابن عباس للخلود بمعنى البقاء .

قال ابو عبيدة فى مجاز القرآن (ج١ ص٢٣٣) : أخلد الى الأرض : لزم وتقاعس وأبطأ ، يقال : فلان مُخْلِد أى بطىء الشيب ، والمخلد الذى تبقى ثنيتاه حتى تخرج رباعيتاه ، وهو من ذاك ايضاً .

وقال فى (ج٢ ص٢٤٩) « ولدان مخلدون » من الخلد أى لا يهرمون ، يبقون على حالهم لا يتغيرون ولا يكبرون .

قال الراغب فى المفردات : الخلود هو تَبَرّي الشيء من اعتراض الفساد ، وبقاؤه على الحالة التى هو عليها ، وكلُّ ما تَبَاطَأَ عنه التغييرُ والفسادُ تَصِفُه العرب بالخلود ، كقولهم : للأثافى ، خوالد ، وذلك لطُولِ مُكْثها لا لدوام بقائها قال تعالى : « وتَتَّخِذُون مصانِعَ لعلكم تخلدون » والخَلَدُ اسم للجزء الذى يبقى من الانسان على حالته ، فلا يستحيل مادام الانسان حَيًا استحالةَ سائر أجزائه ، وأصلُ المُخَلَّد الذى يبقى مدةً طويلة ، ومنه قيل : رجل مُخَلَّد لِمَنْ أبطأ عنه الشَّيْبُ ، ودابَة مخلَّدة هى التى تَبْقَى ثناياها حتى تخرج رَبَاعِيتهُا ، ثم استُعير للمبُقَى دائماً .

والخلود فى الجنة بقاء الاشياء على الحالة التى عليها من غير اعتراض الفساد عليها قال تعالى : « اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون» وقال : « اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» وقال : « ومَنْ يَقْتُل مؤمناً متعمدًا فجزاؤه جهنَمُ خالداً فيها» وقوله تعالى : « يطوف عليهم ولدان مُخَلَّدون» قيل : مُبْقونَ بحالتهم لايعتريهم استحالة ، وقيل : مُقَرَّطُون بخَلَدة ، والخَلَدَةُ ضَرْبٌ من القِرطَةِ . وإخلادُ الشيء جَعْلُه مُبْقى ، والحكم عليه بكونه مُبْقىً . وعلى هذا قوله سبحانه وتعالى : « ولكنّه أَخْلَدَ الى الأرض واتَّبعَ هواه» أى ركن اليها ظانًا انه يخلد فيها .

ومعنى الآية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات خالدون فى الجَنَّات وخلودهم فيها دوام بقائهم فيها على ما أعطاهم الله فيها من الحَبْرَة والنعيم .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : « وهم فيها خالدون» أى خالدون أبداً ، يخُبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً . لا انقطاع له .

قال الطبرى : وانما هذه الآية وأشباهها إخبار من الله عبادَه عن بقاء النار ، وبقاءِ أهلها فيها ، وبقاءِ الجنة ، وبقاء أهلها فيها ، ودوامِ ما أَعَدَّ فى كلِ واحدةٍ

منها لأهلها ، تكذيباً من الله جل ثناؤهُ القائلينَ من يهود بنى اسرائيل ان النار لن تَمسَّهم الآ أياماً معدودة ، وإنهم صائرون بعد ذلك الى الجنة ، فأخبرهم بخلود كُفَّارهم فى النار ، وخلود مُؤمنيهم فى الجنة .

قال ابو تراب : ومن شواهد الخلود بمعنى الاقامة قول ابن أحمر

خَلَد الحبيب وبَادَ حاضرهُ الآ منازلَ كلُّها قَفْرُ

وشاهد «مخلّدون» بمعنى مُقَرَّطُون مُشَنَّفُون :

ومُخَلَّداتٍ باللُّجَينِ كأنّما أعجازهن أقاوِزُ الكُثْبانِ

ذكره ابن قتيبة فى الغريب ص٤٤٧ والقرطبى ، وذكر القرطبى معناه عن ابن جبير وابو حيان عن الفراء ، وهو فى كتابه (المعانى ج٣ ص١٢٣)

وقيل : «مخلّدون» أى لايموتون ، ومخلَّدات فى البيتِ أى مُقَرَّطَاتٌ ومن شواهد أخلَد بمعنى أقام قولُ زهير بن أبى سُلْمى :

لِمَنِ الديارُ غَشيْتُها بالغَرْقَد كالوَحْيِ فى حَجَر المسَيل المُخْلِدِ

الغرقد اسم مكان ، والوَحْيُ الأثر ، والمُخْلِد اللاصق بالأرض ، يعنى أنَ آثار تلك الديارِ بقيتْ كأثرِ الحَجَر المُخْلِد فى المَسيل ، والصخور تُسَمَّى الخوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلالْ ، قال :

الآ رماداً هامداً دفعتْ عنه الرياحَ خَوالدُ سُحْمُ

السُحْم المرصوصة ، وفى رواية : سُحْمُ أىْ سُودٌ . يعنى ان الصخور المحيطة بتلك الآثار الباقية دفعت الرياحَ فلم تذهب ببقايا الرماد هناك . اما قوله :

فتأتيك حَذَّاءَ محمولةً يَفُضُ خوالُدها الجَنْدَلاَ

فالخوالد هنا الحِجارة ، والمعنى القوافى ، ويعنى بالحذّاء القصيدة السيّارة المُنَقَّحة لايتعلق بها عَيْبٌ .

وقال الزجّاجُى فى قوله تعالى : « يطوف عليهم ولْدانٌ مخلَّدون» أى مُحَلَّوْنَ وقال ابو عُبيد : مُسَوَّرُونَ ، لغةٌ يمانِيَة .

قال ابو تراب : ولم يذكرها ابن سلاّم فى لغات القبائل :

وقال الدَّامَغَانُى فى كتاب الوجوه والنظائر : الخُلْد فى القرآن على وجهين ، فوجه منهما : «أَخْلَد» بمعنى مال ، قال : «ولكنه أَخْلَد الى الأرض» أى مال الى نعيمها ، والثانى : من الخلود ، قال : « يَحْسَبُ أن مالَه أَخْلَدَهُ» ولم يذكره ابن الجوزى فى النزهة .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وجفانٍ كالجَواب» ؟ قال : كالحياض الواسعة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أَمَا سمعت طَرَفَةَ بن العبد البكرى ، وهو يقول :

كالجَوابِــى لاتَنــىِ مُتْرَعَةً ... بِقِــرىَ الأضيــافِ أو للمحتضرْ

قال ابو تراب : هذا فى ذكر سليمان عليه السلام ، وما أَنْعم الله تعالى به عليه ، قال : « ولسليمان الريحَ غُدُوُّها شهر ورَواحُها شهرٌ وأَسَلْنَا له عَين القِطْر ومن الجِنَ مَنْ يَعملُ بينِ يديه بأذْن ربّه ومَنْ يَزِغْ منهم عن أمرنا نُذِقْهُ من عذاب السعير ، يعملون له مايشاء من محَاريب وتَماثيلَ وجفانٍ كالجَوابِ وقُدورٍ راسياتٍ اعْمَلُوا آلَ داوودَ شكراً وقليل من عبادِىَ الشَكور» .

وخلاصة ذلك أن الله سبحانه وتعالى سَخَّر له الريح تحَملُه وأصحابَه مسيرةَ شهرٍ بالغداةِ ، وكذلك جَرْيهـا بالعَشِى ، وأسَال له عَـيْنَ القِطْـر ـ أى مَعْـدِنَ النُحاسِ ـ كما ألاَنَ الحديدَ لداودَ فنَبَعَ كما يَنْبُعُ الماءُ ، فيَعمل له الجنُّ منـه محاريبَ ـ وهى المجالس الشريفة المَصُونَهُ عن الابتذال سُمَيتْ محاريب لأنـه يحُامَى عليها وُيَذَبُّ عنها ـ ويعملون له التماثيل ـ وليس ذلك بجائز فى شريعتنا ، والشرائعُ تختلفُ ـ ويعملون له الجِفانَ وهى جمع جَفْنةٍ كأمثال الجَوابِـى وهـى

الحياض الكبار ، جمعُ جابِية ، لأن الماء يُجْبى فيها ، والقدورَ الراسياتِ وهـى الثابتاتُ على الأثافى ، لاتُنْزَل عنها لعِظَمها .

والبيتِ الذى استشهد به ابن عباس للجوابى بمعنى الحياض ذكره ابو حيّان فى البحر المحيط بلفظ (المُحْتَظَرْ) وابنُ الشَّجَرىّ فى المختارات «ج ٢ ص ٣٧» وهو من قصيدة لطَرَفَةَ فى ديوانه يصف فيها أحواله فى أُسفاره وتَنَقُّلَه فى البلاد ، ويقول فيها :

نحـــن فى المَشْتَـــاة ندعـــو الجَفَلَىَ لاتـــرى الآدِبَ فينـــا يَنْتَقِرْ

الجَفَلى هى أن تدعو الناس الى طعامكَ دعوةً عامةً من غير اختصاص ، والنَقَرى هى الدعوة الخاصة ، والآدب صَاحُب الضيافةِ ، يقول : نحن لاننْتَقُر أىْ لاندعو دعوة خاصة ، بل ندعو دعوة الجَفَلىَ العامَة ، ولو كان الزمن زمنَ شتاء ، وهو مما يستثقل الناسُ فيه الضيفَ ثم قال :

بِجِفـــانٍ تَعتـــرى نادَينا من سَديفٍ حـــين هاج الصِنَبْرِ

السَّديف شحم السنام ، والصَنِبّرْ الريح الباردة ، كَسرَ الباءَ لاقامِة الوزن أو هى لغةٌ فيه ، يقول : جفاننا فى النادى مُكَلَّلَةَ بالشحم اذا هَبَتْ ريح الشتاءوبعده البيتُ الشاهدُ ، وهو :

كالجَوابـــى لاتَنِـــى مُتْرَعة لقِـــرَى الأضيـــاف أو للمُحْتَضرْ

يعنى أن تلك الجفانَ هى كالحياض فى اتساعها ، وهى مَلأى بالطعام لقِرىَ الضيفِ والحاضرِ من الجيران وبعدَه :

ثم لايُخْـــزَنُ فينـــا لحمهُا انمـــا يُخْـــزَن لحُـــم المُدَخِرْ

أى أنهم لايَستبقون الطعام ، وانما يُفنونه توزيعاً .

ومن شواهد الجوابى قولُ الأَعْشَى ميمونِ بن قيس :

تروح على نادى المُحَلَّـــقِ جَفْنَةٌ كجابِيـــة الشيـــخ العراقـــىِ تَفْهَقُ

ذكره ابن قتيبة فى الغريب ص٣٥٤ والقرطبى والطبرى وابوحياه .

وتفهق أى تمتلىء وتَتَصَبَّبُ وقال آخر :

فَصَبَّحَتْ جابيةً صَهارجا   كأنها جِلْدُ السماء خارجا

ذكره ابو عبيدة ونسبه فى السمط الى هميان بن قحافة ج٢/١٤٤ ص٥٧٢ وأورده ابن جرير من غير عزو.

قال فى لسان العرب : إن الأعشى فى قوله : «كجابية الشيخ العراقيّ» خَصَّ العراقيّ لجهله بالمياه ، لأنه حَضَرِىّ فاذا وجدها مَلأ جابيتَه ، وأعَدَّها . ولم يَدْرِ متى يجدُ المياه ، وأما البَدوىُّ فهو عالم بالمياه فهو لايُبالى أن لايُعدَّها ، ويروى : (كجابية السَّيح) وهو الماء الجارى .

وقال ابن الأعرابى : الجَبَا ان يتقدَّم الساقى للابل قبل ورودها بيومٍ فيَجْبى لها الماء فى الحوضِ ، ثم يُوردُها من الغَدِ ، وأنشد :

بالرَّيْثِ ما أرْوَيْتُها لا بالعَجَلْ   وبالجَبَا أرْوَيتُها لا بالقَبَلْ

يقول : انها إبلُ كثيرة ، يُبطئون بِسَقْيها ، فتُبْطىء ، فيبطُؤ رِيهُا لكثرتها ، فتَبْقَى عامَّةَ نهارها تَشرب ، واذا كانت مابين الثلاث الى العشر صُبَّ على رؤوسها .

وقال ابن بَرّى : الجَبَا بالفتح الحوض ، والجِباَ بالكسر الماء ، ومنه قول الأخطل

وأخوهما السفّاح ظَمَّأ خيلَه   حتى وَرَدْنَ جِباَ الكُلاب نِهالا

النِهال ههنا العطش ، والسفّاح هو ابن خالد بنِ كعبِ بنِ زهير ، وقال آخر :

(حتى اذا أشرف فى جوفِ جَبَا)

وقال مُضَرِّس فجَمعَه :

فألْقَتْ عَصَا التَسيار عنها وخَيَّمَتْ   بأجْباءِ عَذْب الماء بيضٍ محَافِرُهْ

وأنشد ابن الأعرابى :

وذاتِ جَباً كثيرِ الوِرْدِ قَفْرٍ   ولاتُسْقَى الحوائمُ من جَباهَا

وفَسرَّه فقال : عَنَى ههنا الشرابَ لا الحوض والحوائمُ التى تحوم حوله ، وفَسرَ قوله : (حتى اذا أشرف فى جوف جَبًا) بأنه يصف الحمار ، ويقول : اذا أشرف فى هذا الوادى رَجَع ، يعنى جَبًا بمعنى رَجَع ، وليس هو عنده (فى جوفِ جَبًا) أى فى وسط الحوض ، بل هو (فى جوفٍ) بالتنوين ، ورواه ثعلب : (فى جوفِ جَبًا) كما قال ابن بَرى ، وخَطَّأَ من قال : (فى جوفٍ جَبًا) .

وقال قُوَيْدر فى المثلّثات :

وَشَفَــةُ البئــر فسمَّهاجَبَا كما تُسَمَّــى الماءَ مجموعَــاً جِباَ
والماءُ فى الحــوضِ بتَثليــثٍ جُبَا وامــرأة موصوفــةٌ بالصِغَرِ

قال ابو تراب : ولم يذكره ابن مالك فى مثلثاته .

قال ابن فارس : هذه المادة تدلّ على جمع الشىء ، والتجُمع ، ومنه : جِباية المال ، والحوض نفسه جابية ، والجَبَا ما حولَ البئر ، والجِبَا ما جُمع من الماء فى الحوض .

وقال الزمخشرى : من المجاز : فلان يَجْتَبى ِ جِبَا المجد ، أى يقوم بالمجد ، ويجمعه لنفسه ، قال ذو الرُمَّة :

ومازلــتَ تسمــو بالمعــالى وتَجْتَبِى جِباَ المجـد مُذْ شُدَتْ عليـك المآزرُ

قال أبو تراب : ومنه قوله تعالى : « يُجْبَى اليه ثمراتُ كلّ شىء » والمُجْتَبى مستعار من ذلك .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « إنّا خلقناهم من طينٍ لازب » ؟ قال : المُلْتَزِق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أماَ سمعت قولَ النابغة :

ولا يَحْسَبــون الخـــيرَ لا شرَّ بعده ولاَ يحْسَبــون الشرَّ ضربــةَ لازب

قال أبو تراب : هذا البيت ذكره الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين (ج٢ ص ١٨٥) وكتاب الحيوان (ج ٧ ص ٢٥٩) واستشهد به الطَّبَرِىُّ ، والطَّبَرِسِيُّ فى تفسيريهما ، وهو فى ديوان النابغة (ص ١٢) ومختار شعر بشّار (ص ٢٦٨) بلفظ (ولا تَحْسَبُنَّ) وأورده القُرطبى (ج ١٥ ص ٤٩) وابن فارس وابن منظور ، واستشهد به أبو عُبيدة فى كتاب مجاز القرآن ج٢ ص١٦٧ ، وأنشد أيضاً قول النَّجاشى الحارثى :

بَنَى اللُّؤْمُ بيتاً فاستقَرتْ عمادُه   عليكم بَنى ِ النَّجَار ضربةَ لازبِ

وأورده الطبرى والقرطبى :

وفى مفردات الراغب : اللازب الثابت الشديد الثبوت

قال تعالى : « **من طين لازب** » ويُعبَر باللازب عن الواجب فيقال : ضربةُ لازب .

وفى الكشاف : أنَّ الله سبحانه وتعالى ذكر من خلائقه الملائكةَ والسماواتِ والأرضَ والمشارقَ والكواكبَ والشُهُبَ الثواقبَ والشياطينَ المَردَة ، فكأنه قال : خلقنا كذا وكذا (فاستَفتِهم) أى استخبرهم أهم أشد خلقاً ؟ أم الذى خلقناه من ذلك ، وذلك على مَعْنَى الردّ لإنكارهم البعثَ ، والنشأةَ الأخرى ، وأن من هانَ عليه خلقُ هَذه الخلائقِ العظيمة ، ولم يَصْعُبْ عليه اختراعُها كان خلقُ البَشر عليه أهْوَنَ .

وخَلْقهُم من (طينٍ لازبٍ) إمّا شهادةُ عليهم بالضَّعْف والرَّخاوة لأن ما يُصنع من الطين غيرُ موصوف بالصلابة والقوة ، (أو) احتجاجُ عليهم بأن الطينَ اللازبَ الذى خُلقوا منه تراب ، فمن أين استنكروا ان يخلقوا من ترابٍ مثلهِ حيث قالوا : « أئِذا كنّا تراباً وآباؤنا أئِنّا لَمُخْرَجُون » وهذا المعنى يَعْضده ما يتلوه من الآيات وفيها ذِكْرُ إنكارِهم البعثَ ، وقرىء : « لازِب » ، « ولا تِبٍ » والمعنى واحد .

وقال الطبرى : ربما أبدلوا الزاى التى فى اللازب تاءً فيقولون : طين لاتب ، وذَكر ان ذلك فى لغة قيس . وزعم الفرّاء أن أبا الجرّاح أنشده :

صداعُ وتوصيـــمُ العِظـــامِ وفَتْرةٌ وغَثْىٌ مع الاِشراقِ فى الجوفِ لاتبُ

بمعنى لازم .

قال ابو تراب :

هذا البيت يصف فيه العِلَّة التى اعترتْه ، وصاحَبَها الصداعُ والغَثَيـان ، والفتور ، وتوصيمُ العظام تكسيرُها . ولم يذكر ابو الطيِّب ولا الزجّاجِىُّ إبـدال الزاى تاءً فى كتابيهما ، ولاَ ذَكر ابنُ سلاّم انها لغة قيس فى كتاب لغات القبائل فليُستدركْ .

قال الطبرى : طين لازب أى لاصق . وانما وصفه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء ، وكذلك خَلْقُ ابنِ آدم من تراب وماء ونار وهواء والتراب اذا خُلط بماء صار طيناً لازباً .

قال الطبرى : والعرب تبدل باء (طين لازب) ميماً فتقول طين لازم ، ومنه قول النجاشى الحارثى : (عليكم بنى النجّار ضربةَ لازم) :

قال ابو تراب : رواه ابو عبيدة (ضربة لازب) وهذا الابدال ذكره الفراء وابن قتيبة فى الغريب ص٣٦٩ و ج٢/٣٨٤ **وابو الطيب** ولم يذكره الزجّاجى . ومن أمثلته (مكّة) و (بكّة) وشاهدُه قول كُثَيِّرٍ :

فما وَرَقُ الدنيـــا ببـــاقٍ لأهله ولا شدة البَلْــوىَ بضربـــةٍ لازِم

قال أبو تراب : وَرَقَ الدنيا جمالها وبهجتها ، وهو غير الوَرِق بمعنى الفضة . ويقال لِلاَّزمِ لازب ، وصار هذا الشىء ضربة لازب ، أى لا يكاد يفارق ، وطين لازب أى لازق .

وقال الفرّاء فى قوله تعالى : « **من طين لازب** » : اللازب واللاتب واللاصق واحد ، والعرب تقول : ليس هذا بضربة لازم ، ولازب ، يبدلون الباء ميماً لتقارب

المخارج . وقال أبوبكر : معنى قولهم : ماهذا بضربة لازب ، أى ماهذا بلازمٍ واجبٍ أى ماهذا بضربة سيفٍ لازب ، وهو مَثَلٌ .

واللازبُ الثابت ، وصار الشيء ضربة لازب أىْ لازماً ، هذه اللغة الجيّدة ، وقد قالوها بالميم ، والأول أفصح ، ولازمٌ لُغَيَّةٌ .

قال أبوتراب : لم يذكر الميدانى فى مجمع الأمثال قولهم : ما هذا بضربةِ لازبٍ . ولا ذكره أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال ، وانما ذكره ابن منظور انه مَثَلٌ ، وذكره الزمخشرى فى أساس البلاغة من المجاز .

وقال الطبرى فى قوله تعالى : « **فاستَفْتِهم أهم أشدُّ خَلْقاً أم مَنْ خَلَقْنَا إنا خلقناهم من طين لازب** » يقول تعالى لنبيه محمدٍ ﷺ : **فَاسْتَفْتِ يا محمد هؤلاء المشركين الذين ينكرون البعث بعد المهات والنشورَ بعد البلاءِ** ، يقول : **فسَلْهم أهم أَشَدُّ خَلْقاً ؟ يقول : أخَلْقُهم أشَدُّ ، أم خَلْقُ مَنْ أعْدَدْنا خَلْقَه من الملائكة ، والشياطين والسهاوات ، والأرض** ، وذكر أن فى قراءة ابن مسعود : « أهم أشد خَلْقاً أم مَنْ عددنا » .

وأَوْرَدَ آثاراً فى معنى اللُزوب فى قوله : « **من طين لازب** » .

قال ابن عباس : هو الطين الحرّ الجيّد اللَّزِج الطيّب الملتصق ، وفى رواية عنه قال : هو التراب والماء فيصير طيناً يَلْزَقُ . وقال قتادة : اللازب الذى يَلْزَقُ باليد . وقال ابو زيد : هو الذى يَتَلَصَّقُ كأنه غِراءٌ .

قال ابو تراب : اللُّزوب يدلُّ على الثبوت ، واللزوم فى الاشتقاق اللُغوى ، ومنه اللَّزْبَة ، السنة الشديدة ، كأنَ القَحْطَ ثبت فيها ، والمِلْزابُ البخيل الشديد ، لأنه يلازم عدمَ الانفاق ، وشاهُده ما أنشده ابو عمرو :

لاَ يفرحون اذا ما نَضْخَةٌ وقعتْ وهم كرامٌ اذا اشْتَدَّ الملازيبُ

والنَّضْخَة هى المَطَرة .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « **فلا تجعلوا لِلّهِ أنداداً وأنتم تعلمون** » ؟ قال : الأندادُ الأشباه والأمثال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول لبيد بن ربيعة العامرى :

أحْمَدُ الله فلا نِدَّ له بيديه الخيرُ ما شاء فَعَلْ

قال ابوتراب : هذا البيت استَشْهَد به القُرْطُبىّ فى تفسيره ، وهو فى ابن هشام (ج ٢ ص ١٨١) وفى ديوان لبيد (ص ١٧٤) وخِزانة الأدب للبغدادى :

إنّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذن الله رَيْثى والعَجَلْ

أحمد الله فلا نِدَّ له بيديه الخيرُ ما شاء فَعَلْ

مَنْ هداهُ سُبُلَ الخير اهتدى ناعِمَ البال ومَنْ شاء أضَلْ

قال فى اللسان : قال لبيدُ هذا فى جاهلية ، فوافق قولُه التنزيلَ العزيز .

قال ابو تراب : وهذا كلام مُوهِمٌ ، لأن القصيدة قيلتْ بعد موت أَرْبَدَ وهو أخوه وكان لبيدٌ قد أسلم حينذاك . والنِدُّ والنَّديدُ الذى يُنَادُّ فى الأمر أى يأتى برأىٍ غيرِ رأىِ صاحبِه ، قال لبيد أيضاً :

لئلاّ يكونَ السَّنْدَرِىُّ نَديدتى وأجعلَ أعماماً عموماً عماعما

وأنشده ابن الأنبارى فى الأضداد (ص ١٩) وثعلب فى مجالسه (ص ٦٣٥) وصاحب اللسان والمقاييس ، والسَنْدرىُّ فى البيت هو ابن عَيْسَاءَ ذكره ابن حبيب فى كتاب من نُسب الى أُمّه من الشعراء (ص ٨٥) والعموم جمع العَم ، والعَماعِمُ الجماعات ، ويُروى : (وعُمّاً عَماعِماً) والعُمُّ الجماعة من البالغين المُدركين ، وهذا البيت فى جملةِ أبياتٍ قالها فى المنافرة بين عامر بن الطُّفيل ، وعَلقمة بن عُلاثَة .

قال ابو حاتم : اجتمعت العربُ على أن نِدَّ الشىء مِثْلُه ، وشِبْهُهُ ، وعِدْلُه ، ويقال : نِدّ ونديدٌ ، ونديدةٌ .

وفى لسان العرب : النِّدُّ بالكسر المِثْل والنظير . والجمع أنداد وهو النديد والنديدة .

وفى كتاب رسول الله ﷺ لأُكَيْدِرِ صاحبِ دومة الجَنْدَلِ : « وخَلْع الأنداد والأصنام » الأنداد جمع نِدٌّ بالكسر . وهو مِثْلُ الشىء الذى يُضادُّه فى أمور . ويُنَادُّه أى يخالفه . ويريد بها ماكانوا يتخذونه آلهة من دون الله تعالى الله .

وقال الأخفش فى قوله تعالى : « واتَّخَذوا من دون الله أنداداً » النِدُّ الضدُّ ، والشِبْهُ ، وقوله : « يجعلون لله أنداداً » أى أضداداً وأشباهاً . ويقال : نِدُّ فلانٍ ونديدُهُ ، ونديدتُه ، أى مثلُه وشبْهُهُ .

وقال ابو الهيثم : يقال للرجل اذا خالفك فأردتَ وجهاً تذهب به ونازعك فى ضِدِّهِ (فلانٌ نِدّى ، ونَديدى) للذى يريد خلاف الوجه الذى تريد ، وهو مُسْتَقِلٌ من ذلك بِمِثْلِ ما تَسْتَقِلُ به ، قال حسان بن ثابتٍ :

أتهجوه ولستَ له بِنِدٌ فشرُّكما لخيركما الفِداءُ

أى لست له بِمِثْلٍ فى شىء من معانيه ، ويقال : نادِدتُ فلانا ، اذا خالفتَه .

هذا البيت من قصيدة يهُاجى بها حسانُ أبا سفيان ابنَ الحارث قبل إسلامه واستشهد به ابو عبيدة فى المجاز ج١ ص٣٤ .

قال ابن شُميل : يقال فلانةُ نِدُّ فلانةٍ ، وخَتَنُها ، وتِرْبُها ، ولا يقال : فلانة نِدُّ فلانٍ ، فتُشَبَّهِهُا به .

وقال ابن الأنبارى فى كتاب الأضداد (ص ١٩) : النِدُّ يقع على مَعْنَيَيْنِ مُتضادَّيْنِ ، يقال : فلان نِدُّ فلان ، اذا كان ضِدَّهُ ، وفلانٌ نِدُّهُ اذا كان مِثْلَه . وفَسرَّ الناسُ قول الله عز وجل : « فلا تجعلوا لله أنداداً » على جهتين .

قال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس : معناه : فلا تجعلوا لله أعْدالاً ، فالأعدالُ جمع عِدْل ، والعِدْلُ المِثْل .

وقال ابو العباس عن الأثْرم عن أبى عُبيدة : « فلا تجعلوا لله أنداداً » أى

أضداداً . ويقال : نِدّى ، ونَديدى ، ونديدتى ، فالثلاث اللغات بمعنىً واحد .
قال جرير :

أتَيْماً تجعلــون الىّ نِدّاً وما تَيْــمٌ لذى حَسَــبٍ نَديدُ

وانما دخلت الهاء فى نديدةٍ للمبالغة ، كما قالوا : رجل علاّمةٌ ، ونَسَّابـةٌ ، ويقال : فى تَثْنِيَة النِدّ : نِدَّانِ ، وفى جمعه : أنداد ، ومن العرب من لا يُثَنّيه ، ولا يَجْمَعُه ، ولا يُؤنّثه ، فيقول : الرجلانِ نِدّى ، والرجال نِدّى ، والمرأة نِدّى ، والنساء نِدّى ، كما قالوا : القــوم مثلى ، والقــوم أمثــالى ، قال تعــالى : « ثــم لا يكونوا أمثالكم » وفى موضع أخر : « إنّكم اذاً مِثْلُهم » ومُجْرَى نِدٍّ اذا وُحّد هو مُجْرَى قولهم : رجلٌ كَرَمٌ ورجالٌ كَرَمٌ ، ونساءٌ كَرَمٌ .

وقال بعض أهل اللغة : الضِدُّ يقع على معنَيينْ متضادّيْن كالنِدّ ، يقال : هو ضِدّى ، أى خِلافى ، وهو ضِدّى ، أى مثلى ، وهذا شاذٌ ، وذكره ابو الطيب فى الأضداد .

وقال الزمخشرى : النِدُّ المِثْل ، ولا يقال الاّ للمخالف المُناوىءِ ، ونادَدْتُ الرجل ، خالفتهُ ، ونافرتهُ ، ومعنى قولهم : ليس لله نِدٌّ ولا ضِدٌّ نَفْىُ ما يَسُدُّ مَسَدَّه ، ونَفْىُ ما يُنافيه ، فلما كانوا يعظّمون الآلهة من دون الله أشْبَهَتْ حالهُم حالَ من يعتقد أنها قادرة على مخالفتِه ، ومُضادّتِه ، فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم .

وأنشد أبو عُبيدة فى المجاز (ج١ ص٣٤١) قولَ رُؤْبَةَ :

تُهــدِى رؤوسُ المُتْرَفــينَ الأنْداد الى أمــيرِ المؤمنــينَ المُمْتَاد

وقال الطبرى : النِدُّ العِدْلُ ، والمِثْلُ ، وكلُّ شيء كان نظيراً لشيء ، ولـه شبيهاً فهو له نِدٌّ ، فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً ، وأن يعبدوا غيره ، أو يتخذوا له نِدّاً ، وعِدْلاً فى الطاعة فقال : كما لا شريكَ لى فى خَلْقِكم وفى رزقِكم الذى أرْزُقُكم ، ومِلْكِى اياكم ، ونِعَمِى التى أنْعَمْتُها عليـكم فكذلك

فأفْرِدُوا لِىَ الطاعةَ ، وأخْلِصُوا لِىَ العبادةَ ، ولا تجعلوا لى شريكاً ، ونِدًّا من خَلْقِى ، فانكم تعلمون أن كلَّ نعمة عليكم فمِنِّى .

قال ابو الطيّب فى الأضداد (ج ١ ص ٦٥١) : ومن الأضداد النِدُّ وزعم بعضُ الناس أن بعض العرب يجعلون النِدَّ بمعنى الضِدِّ أيضاً ، ويقول : هو يُنَادُّنى فى ذلك المعنى ، أى يضادُّنى . قال : ولا أعرف ذلك وقد حكاه قُطْرُبٌ ، قال • ويقال : ضِدٌّ وضَديدٌ ، ونِدٌّ ونَديدٌ ، وهو يضادُّنى ويُنادُّنِى .

وذكره أيضاً السجستانى فى الأضداد (ص ٧٤) .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ثم إنَّ لهم عليها لشَوْباً من حميم » ؟ قال : الشَّوْبُ الخِلْطُ بماء الحميم ، والغَسَّاقِ .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول الشاعر :

تلك المكارم لاقَعْبانِ من لَبَنٍ   شِيبَا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالاَ

قال أبو تراب : هذا البيت لأُمَيَّة بن أبى الصَّلْتِ ، وهو فى ابن هشام (ج١ ص ٦٨) والشعراء لابن قُتيبة (ص ٤٣٣) . والقَعْبُ القَدَح الغليظ الضَّخْم ، وشِيْبَاَ أى خُلِطَا . والمعنى أن المكارم ليست بالمطعوم والمشروب بل هى أفعالٌ وأعمالٌ تخَلِّدِ ذِكْرَ المرء ، وتَدلّ على أرومته . والبيت فى جملة أبيات لأُمَيَّة قالها فى سيف بن ذى يَزَنَ ، وذكرها الطبرى فى تاريخه (ج ٢ ص ١٢٠) وأبو الفرج فى الأغانى (ج ١٦ ص ٧٣) والبُحترى فى الحَماسة (ص ١٦) والسُهيلى فى الرَّوض الأُنُفِ (ج١ ص ٥٢) .

وذكر الحافظ ابن عبدالبر والحافظ ابن حجر وغيرُهما : أن رجلاً من ولد قَتادةَ ابن النعمانِ الذى أصابه سهم فى عينه يوم أحد فغَمزَها رسول الله صلى الله عليه

وسلم بيدِه فكانت أصحَّ عينَيهْ ـ قَدِمَ على عمر بن عبدالعزيز فقال له مِمّن الرجل ؟ فقال :

أنا ابن الذى سالتْ على الخدّ عينُه فرُدَّتْ بكفّ المصطفى أحسن الردّ
فعادتْ كما كانت لأوّلِ أمْرِها فياحُسْنَ ماعَينٍ وياحسنَ ماردّ

فقال عمر بن عبدالعزيز :

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ شِيبَا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا

والشَّوْبُ فى اللغةِ هو الخَلْطُ ، وسُمىَّ العسل شَوْباً لأنه كان يُمْزَج بغيره من الأشربة . ومن محاورات العرب . فلان ماعنده شوبٌ ولا رَوْب ، فالشَوبُ العسلُ ، والرَّوْبُ اللَبَنُ الرائب ، والشِياب اسم لِما يُمزج به ويقال : سقاه الشوبَ بالذَّوْب ، أى اللبن بالعسل .

ومن شواهد الشَوْب بمعنى الخَلْط قول أبى زُبيدٍ الطائى :

جادت مناصبَه شَفَّانُ غاديةٍ بسُكَّرٍ ورحيق شِيْبَ فَانْشَابا

المناصبُ جَمْعُ مِنْصَبٍ ، وهو آلة من حديد تُنْصَبُ تحت القِدْر للطبْخ ، والشفّانُ الريح الباردة ، والغادية السحابة المُمْطِرة ، وشِيب فَانشَابَ أى خُلط فَانْخَلَطَ ، من باب المطاوعة ، والشِيابُ الخِلْط . قال أبو ذُؤَيْبٍ :

فَأَطْيِبْ براح الشَام صرْفاً وهذه مُعَتَّقَةٌ صَهْبَاءُ وهى شِيابُها

أى مزاجُها . وقوله تعالى : « ثم إنّ لهم عليها لَشَوْباً من حميم » أىْ لَخَلْطاً ومزاجاً . يُقال للمُخَلِّط فى القول أو العمل : هو يَشوبُ ويَروبُ .

قال الأصمعىُّ : هذا فى باب إصابة الرجل فى مَنطقِه مرةً ، وإخطائه أخرى .

وقال غيره : هو من شَوْب اللَبَنِ ، وهو خَلْطه بالماءِ ، ومَذْقُه . ويَروبُ أصله يُرَوّبُ ، أى يجعله رائباً خاثراً ، لا شوب فيه ، فأُتْبِعِ يَروب يَشوبُ لازدواج الكلام ، كما قالوا : هو يأتيه الغدايا والعشايا ، والغَدايا ليس بجمع الغداة فجاءوا بها على وَزْن العشايا .

وقال أبو سعيد : ليس قولهم : هو يَشوب ويَروبُ من اللبن ، ولكنَّ معناه : رجلٌ يَرُوبُ أحياناً فلا يتحرّكُ ، ولا يَنْبَعِثُ وأحياناً ينبعثُ فيَشُوب عن نفسه - أى يدافع عن نفسه - غيرَ مُبالِغٍ فيه .

وفى الحديث : لاشَوْبَ ولا رَوْبَ ، أى لاغِشَّ ولاتخليط فى بيع أو شراء فهو إذَنْ مأخوذٌ من الشَّوبِ بمعنى الخَلْطِ ، وهو الأصل ، وقيل : معناه أنك بَرىءٌ من عَيب السِلْعةِ .

وفى الحديث : يَشْهَدُ بَيْعَكم الحَلْفُ ، واللغْوُ ، فشَوّبُوهُ بالصدقة ، أمَرَهم بالصدقة لِمَا يجرى بين المُتَبايِعَينِ من الكذب والزيادة والنقصان فى القول لتكون كفَارةً لذلك .

ومن شواهد الشوب بمعنى الخَلْطِ قولُ سُليك بن السُّلكَةِ السَّعْدِيَ وهو من العَدَّائين :

سيكفيك ضَرْبَ القوم لحمُ مُعَرَّضُ وماءُ قُدورٍ فى القِصاعِ مَشيبُ

والمَشيب المخلوط بالتوابل والصِباغ ، بناه على شِيْبَ الذى لم يُسَمَّ فاعله ، والضَّرْبُ اللبنُ الحامضُ ، واللحم المُعَرَّضُ هو المُلْقَى فى العَرْصَةِ ليجَفَّ ويُروى : (لحمُ مُغَرِضُ) أى طرىٌ ، ويُروى (مُعَرَّض) أى لم يَنْضَجْ بَعْدُ وهو المُلَهْوَجُ .

وفى مَجْمَع الأمثال للمَيْدانى : هو يَشُوبُ ويَروب ، الشَّوْبُ الخَلْطُ ويَروبُ أصلُه يَرْؤُبُ ، والرَّأْبُ الإِصلاح ، وقالوا : يَروبُ ، لِمكانِ يشوب ويُضرب هذا المثلُ للذى يخُطىء ويُصيب . وقال الأصمعى : هو يَشوب ولايروب ومعناه : يخَلط الماء باللبن ، أىْ يَخْلِطِ الصدقَ بالكذب ، ولايروبُ لأنه إذا خالط الماءُ اللبنَ لم يَرُبِ اللبنُ .

وفى مجاز القرآن لأبى عُبيدة : (ج٢ ص١٧٠) تقول العرب : كل شىء خلطتَه بغيره . فهو مَشُوبٌ .

قال الطَّبَرى : يقول تعالى : « ثم إنَّ لهم عليها لَشَوْباً من حميم » أى أنَّ لهؤلاء المشركين على مايأكلون من هذه الشجرة المذكورة شجرةِ الزَّقُّومِ شَوْباً ، وهو

الخَلْطُ ، من قول العرب : شاب فلانٌ طعامَه شَوْباً وشِياباً ، من حميمٍ والحميمُ الماء المحموم ، وهو الذى أُسْخِنَ فانتهى حَرُّهُ . قال ابن زيد : يُشابُ لهم بغَسَّاقٍ مما تَغْسَقُ أعينُهم وصديدٍ من قَيحْهِم ودمائهم ، مما يخْرُج من أجسادهم . وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ٣٧٢ « لشوباً » أى خِلْطاً من الماء الحار يشربونه وأنظر المعانى للفراء ج٢ ص٣٨٧

وقال الزمخشرى : الحميمُ يُقطّع أمعاءَهم ، ويَشْوِى وجوهَهم وقد مَلأوا بطونَهم من الزَّقُّوم ، وهو حارٌّ ، ثم يُسْقَون بعد العطشِ ماهو أحَرُّ .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وقالوا : ربنا عَجّلْ لنا قِطَّنا قبل يوم الحساب » ؟ قال : القِطُّ الجزاء قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قولَ الأعشى :

ولا الملِكُ النُّعمانُ يومَ لقيتُه   بنعمتـهِ يُعطـى القُطـوطَ ويُطْلقُ

قال أبو تراب : هذا البيت ذكره الزمخشرى فى الفائق (ج٢ ص ٣٦٠) واستشهد به أبوحيَّان والقُرطبىّ والطَّبرِسِى والطبـرى ، وهـو فى ديـوان الأعشى (ص ١٤٦) واحتـج به ابـن دُريـد فى الجَمْهَـرة (ج ١ ص ١٠٨) وذكره أبو عُبيدة فى مجاز القرآن ، وابن فارس وابن منظور .

قال أبو عبيدة فى المجاز ج٢ ص١٧٩ : القِطُّ الكتاب ، والقُطوط الكُتـبُ بالجوائز .

وقال الزمخشرى فى الكشاف : « عجّل لنا قِطَّنا » أى نَصيبَنا من العذابِ الذى وعدتَه ، كقوله تعالى : « ويَستعجلوك بالعذاب » وقيل : ذَكرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنينَ الجنةَ ، فقالوا على سبيل الهُزْء : عَجّلْ لنا نصيبَنا منها ، أو عَجّلْ لنا صحيفة أعمالنا ننظرْ فيها .

وقال الطَبَرىَ : قال هؤلاء المشركون بالله من قريش : ياربَنا عَجّلْ لنا قِطَّنا أى كتابنا قبل يوم القيامة ، والقِطُّ فى كلام العرب الصحيفُة المكتوبة ، ومنه قول الأعشى : (بنعمته يُعطى القُطوطَ ويُطْلَقُ) ويعنى بالقُطوط جمع القِطّ ، وهى الكُتب بالجوائز .

واختلف المفسرون فى المعنى الذى أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهَم تعجيلَ القِطّ لهم فقال بعضهم : إنما سألوا ربهَم تعجيلَ حَظّهِم من العذابِ الذى أعَدَ لهم فى الآخرة فى الدنيا ، كما قال بعضهم : « إنْ كان هذا هو الحقَ من عندك فأمْطِرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم » . وقال آخرون : انما سألوا ربهَم تعجيلَ الرزق .

وقال آخرون : سألوا أن يعجّل لهم كُتُبَهم التى قال الله : « فأمَّا من أوتى كتابه بيمينه » وقال : « وأمَّا من أوتى كتابه بشماله » فى الدنيا لينظروا أبأيْمَانهم يُعْطَونَهَا أم بشمائلهم ولينظروا مِنْ أهلِ الجنة هم أم من أهل النار قبل يوم القيامة ، استهزاءً منهم بالقرآنِ وبوعد الله .

قال : وأوْلىَ الأقوالِ عندى بالصواب أن يقال : إنَ القوم سألوا ربهَم تعجيلَ صِكاكهِم بُحظوظهم من الخير أو الشر الذى وعد الله عبادَه أن يُؤْتيهَمُوهَا فى الآخرة قبل يوم القيامة فى الدنيا استهزاءً بوعيد الله .

وانما قلنا ان ذلك كذلك لأن القِطّ هو ماوصفنا من الكتب بالجوائز والحظوظ ، وقد أَخْبَر الله عن هؤلاء المشركينِ أنهم سألوا تعجيل ذلك لهم ، ثم أتْبَع ذلك قولَه لنبيّه : « اصْبِرْ على مايقولون » فكان معلوماً بذلك أن مسألتَهم ماسألوا النبىَ صلى الله عليه وسلم لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذى يَتْبَعُ الأمرَ بالصبر عليه . ولكن لمّا كان ذلك استهزاءً وكان فيه للرسول صلى الله عليه وسلم أذىً أمره الله بالصبرِ عليه منهم حتى يأتيَه قضاؤه فيهم ، ولمَا لم يكن فى قوله : « عَجّل لنا قِطّنا » بيانُ أىَ القُطوط إرادتُهم لم يكن لنا توجيهُ ذلك الى أنه

مَعْنِيٌ به القُطوطُ ببعض معانى الخير أو الشر . فلذلك قلنا إنَّ مسألتَهم كانت بما ذكرتُ من حظوظهم من الخير والشر .

وقال ابن فارسٍ فى المَقاييس : القَطُّ يدلُّ على قَطْع الشيء بسرعةٍ عَرْضاً . قال رُؤْبَةُ :

سَوَّى مساحيهــن تَقْطِيــط الحُقَقْ　　تقليــلُ ماقَارعْــنَ من شُمّ الطُّرَقْ

والمَساحى جمعُ مِسْحاةٍ وهى كالمِجْرَفَة الاّ أنها من حديد . وأراد بها الحوافر . وهو يصف أُتُناً وحماراً . والطُّرَقُ جمع طُرْقَةٍ وهى حجارة والتقطيط . عمل الخرّاطِ الذى يعمل الحُقَقَ للطِّيبِ وهو منصوبٌ على المصدر المُشَبَّه به . يعنى سَوَّى تكسيرُ ماقارعت الحوافر من شُمّ الحجارة مساحيها كتقطيع حُقق الطِّيب .

ومن هذا الباب القِطْقِطُ الرَّذاذُ من المطر . لأنه من قِلَّتهِ كأنه مُتَقَطِّع . والشَّعْرُ القَطَطُ الذى يَنْزَوى . وهو خلافُ السَّبْطِ كأنه قُطَّ قَطًّا .

وأمَّا القِطُّ فيقال : إنه الصَّكُّ بالجائزة . فان كان من قياس الباب فلعلّه من جهة التقطيع الذى فى المكتوب عليه . وأنْشَد قولَ الأعشى المتقدم .

وقال : وعلى هذا يُفسرَّ قوله تعالى : « عَجّلْ لنا قِطَّنا » كأنهم أرادوا كُتُبَهم التى يُعْطَونها من الأجر فى الآخرة .

وقال الزمخشرى فى الأساس : أخذوا القُطوط أى خطوطَ الجوائز وخُذْ قِطًّا من العامل وهو خَطُّ الحساب . ومن المجاز : لى قِطٌّ من ذلك أى نصيب . وأخذ فلان قِطَّه . وأحرز قِسْطَه .

وقال ابن منظورٍ فى اللسان : القِطُّ النصيب والقِطُّ الصَّكُّ بالجائزة والقِطُّ الكتاب وقيل : هو كتابُ المحاسبة وأنشد ابن بَرّى لأُمَيَّة بن أبى الصَّلْت :

قوم هــم ساحــةُ العِراق جميعــاً　　والقِــطُّ والقَلَمُ

وقال الفرّاء فى معانى القرآن ج٢ ص٤٠٠ فى قوله : « عجّل لنا قِطّنا » القِطُّ الصحيفة المكتوبة وانما قالوا ذلك حين نزل قوله تعالى : « فأمّا من أوتى كتابه بيمينه » فاستهزأوا بذلك وقالوا : عَجّلْ لنا هذا الكتابَ قبل يوم الحساب والقِطُّ

فى كلام العرب الصكُّ وهو الخَطُّ . والقِطُّ النَّصيب . وأصله الصحيفة للانسان بِصلةٍ يُوصَل بها . وأصل القِطِّ من قَطَطْتُ . ورُوى عن زيد بن ثابتٍ وابن عمر أنهما كانا لايَرَيَانِ ببيع القُطوطِ إذ أخرجتْ بأساً ولكن لايحِلُّ لمن ابتاعها أن يبيعها حتى يَقْبِضَها .

قال الأزهرى فى تهذيب اللغة : القطوطُ ههنا جمع قِطّ . وهو الكتاب . والقِطُّ النَّصيبُ . وأراد بها الجوائز . والأرزاق سُمِّيت قطوطاً لأنها كانت تخرج مكتوبة فى رقاعٍ . وصكاك مقطوعة . وبيعُها عند الفقهاء غير جائز مالم يَتَحَصَّل مافيها فى ملك من كُتبت له . معلومةً متبوضة . ذكره ابن الأثير فى غريب الحديث والأثر .

وقال الراغب : القِطُّ النصيب المفروز . كأنه قُطَّ أى أُفْرِز . وأنظر غريب القرآن لابن قتيبة ص٣٧٨ .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « إذْ قال موسى لأهله إنّى آنَسْتُ ناراً سآتيكم منها بخبرٍ أو آتيكم بشهابٍ قَبَسٍ لعلكم تَصْطَلُون » ؟

قال : شهاب قَبس شعلةٌ من نار يقتبسون منه . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم . أمَا سمعتَ قول طَرَفة بن العبد :

هَم عَرانــىِ فبــتُّ أدفعُه دُون سُهــادى كشُعلــة القَبس

قال أبو تراب : وفى مجاز القرآن ج٢ ص٩٢ شاهد آخر للقبس هو قوله :

فى كفّــه صَعْــدَةٌ مُثَقَّفة فيهــا سنــانٌ كشعلــة القَبَس

وأنشده الطبرى فى جامع البيان . والصَّعْدة القناة . تَنْبُتُ مستويةً لاتحتاج الى تثقيفٍ وتثقيفُ الرمح تقويمُه وتسويتُه . والسنان نَصْل الرُّمح . شَبَّهه بالشعلة

فى حدَّته ومضائه . وهذا البيت لم يَنْسِبْه الطبرى ، وهو لأبى زُبيد الطائى من قصيدة له فى الأغانى لأبى الفرج (ج ١١ ص ٢٧) والبيت فيها :

تَخَالُ فى كفِّهِ مثقفة تَلْمُع فيها كشعلةِ القَبَس

وقبل البيت الشاهد :

صُمَّتْ عظامُ الحُلومِ إنْ قَعَدوا من غير عِيَّ بهم ولاخَرَسِ
تَقُود أفراسهم نساؤهمو يُزْجُون أجمالهم مع الغَلَس
صادفتُ لَمّا خرجتُ منطلقاً جَهْمَ المُحَيَّا كباسلٍ شرِس

وقد قالها حين غَزَتْ بَهْراءُ بنى تَغْلِبَ فهزمَتْ بَهْراءُ ، وقُتل غلامُه ، وأُخذتْ إبلهُ ، ثم إنهم لَمّا سمعوا القصيدة بعثوا اليه بدية الغُلام وماذهب من إبله ، ويقول فيها :

تَسْعَى الى فتيةِ الأراقمِ واستعجلتُ قبل الحُمانِ والقَبَسِ

ومعنى الكلام أن موسى عليه السلامُ قال لأهله وهو فى مسيره من مَدْيَنَ الى مِصرَ وقد آذاهم بَرْدُ ليلهم لَمّا أصْلَدَ زَنْدَه : انّى آنستُ ناراً أى أبصرتُها ، أو أحسستُها فامكثوا مكانكم سآتيكم منها بخَبر يعنى من الناس أو آتيكم بشهابِ قبسٍ بمعنى أو آتيكم بشعلةِ نارٍ أقتبسها منها أو آتيكم بشهاب مُقْتَبس ـ على اختلاف القراءة بين إضافة الشهاب الى القَبَس أو تنوين الشهاب وتركِ إضافته وكلتاهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فاذا أريد بالشهاب أنه غير القَبَس فالقراءة فيه بالاضافة لأن معنى الكلام حينئذ مابَينَّا من أنه شُعْلةُ قَبَس واذا أريد بالشهاب انه هو القبسُ أو أنه نَعْتٌ له فالقراءة فيه بالتنوين لأن الصحيح فى كلام العرب تركُ إضافة الاسم الى نعته والى نفسه بل الاضافات فى كلامها المعروفة إضافة الشىء الى غير نفسه ، وغير نعته وقوله : « لعلكم تَصْطَلُون» يعنى من البرد وقال ابو عبيدة : « بشهابٍ قَبسٍ» أى بشعلةِ نارٍ . ومجاز قَبَسٍ ما اقتبستَ منها من الجمر ، ونقله عنه القرطبى (ج ١٣ ص ١٥٧) وقال الزمخشرى : الشهاب الشعلة ، والقَبَس النار المقبوسة ، وأضاف الشهابَ

الى القبسِ لأنه يكون قبساً وغير قَبَسٍ . ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من معنى القَبْسِ .

وقال الراغب : القبس المتناوَل من الشعلة . والاقتباس طلب ذلك ، ثم يُستعار لطلب العلم والهداية . قال الشاعر :

(انظرونا نَقْتَبسْ من نوركم)

وقال ابن فارس : القبس يدل على صفةٍ من صفات النار . ثم يُستعار من ذلك القبس شعلةُ النار .

وقال ابن دُريد فى الجمهرة : (ج ١ ص ٢٨٧) : قبستُ من فلان ناراً ، واقتبستُ من فلان ناراً . واقتبست منه علماً .

وفى اساس البلاغة : خُذْلى قَبَساً من النار ومِقبساً . ومقْباساً واقْبسْ لى ناراً . واقْتَبسْ . ومن هذا الباب قولُهم : ما أنت الاّ كالقابس العَجْلان . أى كالمُقْتَبِس . وقالوا : ومازَوْرتُك الاّ كقَبْسَة العجلان . وتقول : ما أنا الاّ قَبْسَة من نارك . وقَبْضَة من آثارك ومن المجاز : هذه حُمّى قَبْس لا حُمّى عَرْض . أى اقتبسها من غيره ولم تَعْرِضْ له من تلقاء نفسه .

وفى لسان العرب : القَبَس النار . والقَبَس الشعلة من النار والقوابس الذين يُقْبسون الناسَ الخيرَ يعنى يعلّمون .

وفى تهذيب اللغة : القَبَس شعلة من نار تَقْتَبسُها من معظم النار واقتباسُها الأخذ منها . وقوله تعالى : « بشهابٍ قَبَسٍ » القَبَس الجَذْوة . وهى النار التى تأخذها فى طرف العُود .

وفى غريب الحديث لابن الأثير (ج٣ ص ٢٢٣) : أنه قال : من اقْتَبَس علماً من النجوم فقد اقتبس شعبة من السِحر .

قال ابو تراب : أراد به التكهُّن بالحركات الفلكية . والتنُّبؤ بالحوادث فهذا هو الكفر أمّا علم المواقيتِ فقد قال عز وجل : « وبالنجم هم يهتدون» .

قال ابن الأثير : قَبَسْتُ العلمَ ، اذا تعلّمته . والقَبَسُ الشعلة من النار ، واقتباسُها الأَخْذُ منها .

وفى حديث على بن أبى طالب : حتى أَوْرَى قَبَساً لقابس ، أى أَظْهَر نوراً من الحق لطالبه ، والقابس طالب النار ، وفى حديث العِرْباض بن سارية : أتيناك زائرين ومُقْتَبسِينَ ، أى طالبى العلم . وفى حديث عقبة بن عامر . فاذا راح أَقْبَسْناه ما سمعنا من رسول الله ﷺ ، أى أعلمناه إيّاه .

وفى كتاب الأفعال لابن القَطَّاع (ج ٣ ص٨) : قَبَس الفَحْلُ قَبْساً أى أسرع الالقاحَ ، وأَقْبَس النُوقَ أَلْقَحَها . وانظر غريب القرآن لابن قتيبة ص٣٢٢

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فكُلوا منها وأطعموا البائس الفقير» ؟ قال : البائس الذى لايجد شيئا من شدّة الحال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أَمَا سمعتَ قولَ طَرَفَة بن العبدِ البَكْرى :

يَغْشاهم البائس المُدَفَّعُ والضيفُ وجار مجاور جُنُبُ

قال ابو تراب : هذا البيت ليس فى ديوانه المطبوع ، وفيه بيان الكرم ، والبائس المُدَفَّع هو المحقور الذى لايُضَيَّف إن استضاف ، ولا يُجْدَى إن استَجْدَى وقيل : هو الضيف الذى يتدافعه الحَيُّ ، وقيل : هو الفقير الذليل لأن كُلاًّ يدفعه عن نفسه ، وبمعناه : المُتَدَافَعُ ، وفى بعض نسخ كتاب الاتقان للسيوطى : البائس المُدْقِع ، والوزن لايستقيم فى هذه الحال ، والمُدْقِع الفقير الذى قد لَصِق بالتراب من الفقر ، وفقر مُدْقِع أى مُلْصِقٌ بالدَّقْعاء ، والدَّقْعاءُ التراب .

وقد فسر ابن قُتيبة فى كتاب تأويل مُشكِل القرآن (ص ٣٩) البأساءَ بالفقر ، وقرأ قولَه تعالى : « وأطعموا البائس الفقير» .

وفى مجاز القرآن لأبى عُبيدة (ج ١ ص ١٩١) : البأساءُ هى البأسُ من الخوفِ والشرِّ والبُؤسِ .

وفى صحيح البخارى : « بئيسٍ» شديدٍ ، قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى «ج ٨ ص ٢٢٦) : قال ابو عبيدةَ فى قوله تعالى : « بعذابٍ بئيسٍ» أى شديد ، وأنشد لذى الأُصْبَع العُدْوانى :

أَلَنْ رأيتَ بنى أبيك مُجَمِّجِينَ اليك شُوسَا
حَنَقاً علىَّ وما ترى لى فيهمو أثراً بئيساً

والبيت الأول فى اللسان ، والثانى فى الطبرى (ج ٩ ص ٦٤) والتجميحُ بمعنى التحديق فى النظر بِملْء الحَدَقَة والشَّوَسُ رَفْع الرأس تكبُّراً ، يعنى ماهم يحدقون حَنَقاً وليس لى فيهم شدَّةٌ تُعرف .

قال الراغب فى المفردات : البُؤس والبأس والبأساء الشدة والمكروه ، الاّ أن البؤس فى الفقرِ والحربِ أكثر ، والبأسُ والبأساء فى النِكاية ، نحو : « واللهُ أشَدُّ بأساً وأشَدُّ تنكيلا» « فأخذناهم بالبأساء والضرَّاء» «والصابرين فى البأساء والضرَاء وحينَ البأس» وقال تعالى : (بأسُهم بينهم شديد) وقوله تعالى : (وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بَئيسٍ بما كانوا يَفْسُقون) هو من البأس أو من البُؤسِ وقوله تعالى : (فلا تَبْتئسْ بما كانوا يفعلون) أى لاتلتزم البُؤْسَ ، ولاتحزنْ . وفى الحديث أنه عليه السلام كان يكره البُؤْسَ والتَباؤُسَ ، أى الضراعة للفقراء ، أو أن يجعل نفسَه ذليلا ، ويتكلَّفَ ذلك جميعاً .

(وبئسَ) كلمة تُستعمل فى جميع المَذامّ ، كما أن (نِعِمَ) تُستعمل فى جميع المَمادح ، قال تعالى : (جَهَنَّم يَصلَوْنَهَا وبئس القرار) وقال : (ادْخُلوا أبوابَ جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين) وقال فى أمرِ إبليس : (أفَتَتَّخذِونَه وُذرّيته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بَدَلاً) .

قال الدَّامَغانى فى كتاب النظائر (ص ٦٢) : البأسُ فى القرآن على ثلاثة أوجه : (العذاب ، الفقرِ ، القتالِ) فوَجْه منها : البأسُ بمعنى العذابِ قولهُ تعالى : (فلمَّا رأوا بأْسَنا قالوا : آمَنا بالله وحده) يعنى عذابَنا . ومِثْله : (فلمَّا أحَسُّوا بأسَنَا) ومثله : (فمن يَنْصرُنا من بأس الله إن جاءنا) . الثانى : البأسُ الفقر ، قوله تعالى : (وما أرسلنا فى قرية من نَبِىّ الاّ أخذنا أهلها بالبأساء والضَرّاء) يعنى بالفقر والشدة كقوله : (مَسَّتْهم البأساء والضَرَّاء) الثالث : البأس بمعنى القتال ، قوله تعالى : (عَسَى اللهُ أن يكُفَّ بأسَ الذين كفروا) يعنى قتالهم وقوله : (وأُولُو بأسٍ شديد) مثله . وانظر نزهة الأعين لابن الجوزى ج١ ص٩١ وسيأتى سؤال نافع عن البأساء وفى تنوير المقباس للمجد ص٢٠٨ عن ابن عباس البائس الضرير الزمن المحتاج .

قال ابو تراب : والبأس الخوف ، ومنه قول قيسٍ بن الخَطيم :

يقول لى الحَدَّاد وهو يَقُودنى ... الى السجن لاتَجْزَعْ فما بك من باسِ

(باسُ) مخفَّف من (بأس) تخفيفاً قياسياً لابَدَلياً ، وقد خَفَّفَ آخر (البُؤْسَ) ففى مُغْنى ابن هشام اللَّخْمى فى (حتى) قولُه :

إنَّ سَلْمَى من بعد يأسِى مَنَّتْ ... بوصال لوصَحَّ لم يك بُوسَا

عَيَّنَتْ ليلة فمازلت حتى ... نصفها ساهراً فعُدْتُ يؤوسَا

والبَئِيسُ البائس ايضاً اذا افتقرَ ، واشتدت حاجتُه قال الفرزدق :

لِبَيْضَاءَ من أهلِ المدينة لمَ تذُقْ ... بئيساً ولم تَتْبَعْ حَمُولَةَ مُجْحِدِ

والمَبْأَسَةُ كالبؤسِ ، قال بِشْرُ بنُ أبى خازمٍ :

فأصبحوا بعد نَعْماهم بمَبْأَسَةٍ ... والدهر يَخْدع أحياناً فينَصرفُ

والبُؤسُ جمع البائس ، وهو المسكين ، قال تَأَبَّط شرّاً :

قد ضِقْتُ من حُبِّها ما لايُضَيِّقُنى ... حتى عُدِدْتُ من البُوسِ المساكينِ

والمُبْتئسُ الكاره الحزين المُشْتكى ، قال حسان بن ثابت :

مايَقْسمُ اللـه ، إقْبَـلْ غـيرَ مُبْتَئس   منـه واقْعُـدْ كريمـاً ناعـم البالِ

قال ابُن بَرى : الكره فى الابتئاس تفسيرُ معنوى ، والأصل بمعنى الاشتداد أى لايشتَّد عليك أمرهم ، والمْرء اذا اشتد به أمر كرهه ، وقال لَبيد :

(فى رَبْرب كنعاجِ صَارَةَ يَبْتَئسْنَ بما لقيناَ)

الرَبْرَبُ القَطيع ، وصَارَةُ اسم موضع ، (وعَسَى الغُوير أبْؤساً) مثـل قالتْـه الزَّبَاءُ ، وقال الزَجَّـاج : والبأسـاء الجـوع وقـال : (لاتَبْئسْ) أى لاتحـزن ، ولاتَسْتكنْ .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (إن المتقين فى جنات ونَهَرْ) ؟ قال : النَهَرُ السَعَة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول لبيد بن ربيعة العامرىَ :

ملـكتُ بهـا كفَـى فأنْهَـرْتُ فَتْقَها   يَرى قائـم من دونهـا ما وراءَها

قال ابو تراب : انفردتُ هذه الرواية بنسبة هذا البيت الى لبيد ، وتبع ذلك السيوطى وهو لقيس بن الخَطيم كما فى غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٣٥ والمشكل له ص١٣٢ واللسان والبحر المحيط والخزانة للبغدادى ، وشرح الحماسة للتبريزى والمعانى لابن قتيبة ، والأغانى ، والمُؤتَلِف والمختلِف والمثل السائر لابن الأثير وغيرها من كتب اللغة والأدب وذكره القرطبى غير منسوب وقبل البيت :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيس طعنـةَ ثائر   لهـا نَفَـذٌ لولا الشُعـاعُ أضَاءها

لها نَفَذٌ أى نَفَذَتْ والشُعاعُ حُمْرة الدم ، والشَعاع انتشار الدم ، ومعناه لولا الدمُ لاضاءت الطَعْنةُ حتى تَستَبين وقوله : ملكتُ بها كفى أى شَدَدْتُ كفـى بالطعنة فأنهَرْتُ فَتْقها أى أجريتُ الدمَ .

وقال الاصمعى : هذا من الافراط ، وحكى الكِسائى : هم يُنهرون الأنهار ، أى يحفرونها . وقوله : يَرى قائم مِنْ خلفِها ما وراءها ، أى ما وراء الطَّعنَة وهذا يبّين أن المراد سَعَةُ الجُرْح كما قال ابن عباس ، وفيه مبالغة كما قال الأصمعى وبعد البيت الشاهد :

يهُـــونُ علىَ أن تَرُدَ جراحَهُ عيـونُ الأواسْى إذْ حَمِــدْتُ بلاءَها

ومعناه أنهّن لايَقْدِرن ينظرن اليها من شدة هولها ، والأواسى المُداوياتُ وقوله تعالى : « ان المتقين فى جنات ونَهَر» معناه أن الذين اتقوا عقاب الله بطاعته واداء فرائضه ، واجتناب معاصيه فى بساتينَ يومَ القيامة وأنهار ووَحَّد النَّهر فى اللفظ ومعناه الجمع كما قال تعالى : (ويُوُلُّون الدُّبُرْ) فوَحَّد الدُّبُر ومعناه الأدبار . وقد قيل : إن معنى الآية : أن المتقين فى سَعَة يوم القيامة ، وضياءٍ ، فوجّهوا معنى قوله : (ونَهَرْ) الى معنى النَّهار ، وزعم الفَّراء فى المعانى ج٣ ص١١١ أنه سمع بعض العرب يُنْشد :

إنْ تكُ لَيْلِيًّــا فانــى نَهِرُ متــى أتَــى الصبــحُ فلا أنْتَظِرُ

قوله فانى نهر ، أى انّى لصاحب نهار ، أى لست بصاحب ليلةٍ ، فقوله تعالى : (ونَهَرْ) على هذا التأويل مَصْدَرٌ ، والبيت أنشده سيبويه :

لســتُ بليليَ ولكنَــى نَهِر لا أدْلُــجُ الليــلَ ولــكنْ أبْتكرْ

وفى تنوير المقباس ص٣٣٦ عن ابن عباس : « ونهر » انهار كثيرة ويقال : فى رياض واسعة .

وقال الزمخشرى فى الكشاف : نَهَرٌ اسم جنس من أنهار ، وقيل هو السَعَةُ والضياء من النهار ، وقرىء بسكون الهاء (ونُهْر) جمع نَهَر ، كأسَد وأُسْد .

وقال أحمد بنُ يحيى : نَهَرٌ جمعُ نُهُر ، وهو جمع الجمع للنهار ، ويقال : هو واحد نَهْر كما يقال : شَعْر وشَعَر ، والفتح فى الهاء أفْصَحُ .

وفى مجاز القرآن لأبى عُبيدة ج٢ ص٢٤١ : (فى جَنَّاتٍ ونَهَر) مجازها أنهار . وقال الفراء : معناه أنهار ، كقوله : (ويُولُّون الدُّبُر) والمعنى الأدبار . وقال ابـو

اسحاق الحَرْبَى : الاسم الواحد يدلّ على الجميع ، فيُجْتَزأ به عن الجميع ، ويعبّر بالواحد عن الجمع كما فى قوله : (ويُوَلُّون الدُّبُر) .

وقال الدَّامَغَانى فى كتاب الوجوه (ص ٤٦٦) : نَهَرٌ فى القرآن على خمسة أوجه : الأول : الأنهارُ الأعْينُ ، كما فى قوله تعالى : (فيها أنهار من ماء) يعنى عيوناً . الثانى : النَّهر هو الجارى فى البساتين ، كما فى قوله تعالى : (تجرى من تحتها الأنهار) وقوله تعالى : (وفَجَّرنا خلالها نَهَراً) . الثالث : النَّهر نَهر الأُرْدُنّ وفِلسْطين كما فى قوله تعالى : (إنّ الله مُبتليكم بِنَهَر) . الرابع : النَهَر السعة كما فى قوله تعالى : (ان المتقين فى جنَّاتٍ ونَهَر) أى وسعةٍ كما قال ابنُ عباس . الخامس : فانهار به ، أى غارَ ، كما فى قوله تعالى : : فانْهارَ به فى نار جَهَنَّم) يعنى غار به .

قال ابو تراب : إدخال الانهيار فى معانى النهر خطأ لأن النون فى الانهيار ليست من أصل الكلمة وقد أخطأ فى ذلك رحمه الله .

قال أبو تراب : ثم فات الدَّامَغَانِّي معنى الزَّجْر من معانى النَّهَر فى القرآن ، وذلك فى قوله تعالى : (وأمَّا السائل فلا تَنْهَـرْ) وفى قولـه : (فلاتقـل لهما أُفٍّ ولاتَنْهَرْهُمَا) وفات ابن الجوزى ان يذكر هذه المادّة فى نزهة الأعين فليستدرك .

قال الراغبُ فى المفردات : النَهَر مجرى الماء الفائض ، وجعل الله ذلك مَثَلا لما يَدرُ من فيضه ، وفضلِه فى الجنَة على الناس ، والنَهَر السَعَةُ تشبيهاً بنَهَر الماء ، ومنه : أنْهرتُ الدم ، أى أسلْتُه ، ونَهَرٌ نَهِرٌ : كثير الماء ، قال ابو ذؤيب :

أقَامَـتْ به فابتنـت خَيْمَةً على قَصَـبٍ وفُـراتٍ نَهِرْ

القَصَبُ مجارى الماءِ من العيون .

وقال ابن منظور : قيل فى قوله تعالى : (جَنَّاتٍ ونَهَرْ) أىْ ضياء وسَعَةٍ ، لأن الجنّة ليس فيها لَيْلٌ ، انما هو نُور يَتَلألأُ ، ويجوز ان يُعْنى به النَهَرُ الذى هو مجرى الماءَ على وَضْع الواحدِ موضعَ الجميع .

وشاهد النهارِ قول الفَرَزْدَقِ :

والشَيْبُ ينْهضُ فى السـواد كأنه ليـلٌ يصيـح بجـانبيْه نهارُ

وشاهد النُهُرِ ما أنشده ابن سِيْدَةْ :

لولا الثَّريـدانِ لُمتْنَـا بالضُمُرْ ثَريُـد ليـل وثريـد بالنُهُرْ

والنُهور جمع النهار ، أنشد ابن الأعرابى :

سُقيْتُـنَ مادامـتْ بكَرمْـاَنَ نَخْلةٌ عَوامِـرَ تجـرى بينـكنَ نهُورُ

وقال ابن فارس : النَهْر يدلّ على تفتُّح شيء أو فَتْحِه ، وسُمّى النَهْرُ لأنه ينهرُ الأرض أى يَشقُها ومنه النهارُ وهو انفتاح الظُلْمة عن الضياء مابين طلوع الفجر الى غروب الشمس .

قال ابو تراب : معنى الآية المذكورة : ان المتقين فى سَعَة (فى مَقْعد صدْقٍ) أى فى مَجْلِسِ حقَ ، لالَغْو فيه ، ولاتأثيم (عند مليكٍ مُقتَدِرْ) .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (وأنْ لو استقاموا على الطَّريقة لأسقيناهم ماءً غَدَقاً) ؟ قال : (غَدَقاً) أى كثيراً جارياً .

قال : وهل تعرف العربُ ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول الشاعر :

تُدْنـيِ كَراديسَ مُلْتَفـا حدائقُها كالنَبـت جادَتْ بهـا أنهارُهـا غَدَقا

وفى تفسير ابن عباس الذى جمعه المجد ص٣٧٠ « ماء غدقا » مالاً كثيرا فعيشا رغدا واسعاً .

وفى المقاييس : الغَدَقُ يدل على غُزْرٍ وكثرةٍ ، ونعمة ، قال تعالى : (ماءً غَدَقاً) وهو الغزير الكثير ويقال : غَدَقَتْ عينُ الماء .

وفى الأساس : لَمَعَتْ بُروق صوادق ، فهَمَتْ سحاب غوادق قال الطرمّاح :

فَلاَ حَمَلَـتْ بَصرْيـةٌ بعـد موته جَنينـاً ولا أمَلْنَ سَيْبَ الغوادقِ

السَيْبُ العطاء والغوادقُ السحب الماطرةُ بغزارة . وماء غَدِقٌ كثير ومكان مُغْدِق كثير الماءِ مُخْصِبٌ وعَيْشٌ مُغْدِقٌ واسعٌ يقال : هم فى غَدَقٍ من العيش ، وعامٌ ، وغيثٌ غَيْدقٌ ومن محاوراتهم : وَدَقَتِ السماءُ فَأُدرّتِ الغَدَقَ ، وأقَرَّتِ الحَدَقَ ، وفلانٌ ملآنٌ كالعَينِ الغَديقة ، فى حَرّ الوديقة .

قال ابو تراب : والغَيْداقُ الرَّخْصُ الناعم ، مِثْل الغَيدقِ قال :

(بعد التَصابى والشَّبابِ الغَيْدَقِ)

وقال آخـر :

(رُبَّ خليل لي غيداقٍ رِفَلّ)

ومثله الغيدقان ، قال الشاعر :

(جَعْدَ العَنَاصِي غَيْدَقَاناً أغيداً)

العَناصِي الشعر المتفَرق فى الرأس ويقال : انه لَغَيْداقُ الجرْى والعَدْو . قال تأبَطَ شراً :

حتـى نجـوتُ ولَما ينزعُـوا سَلَبى بوالِـه من قنيص الشَـدِ غَيداقِ

شَدٌ غيداق هو الحُضرْ الشديد ، والحُضرْ ارتفاع الفَرَسِ فى عَدْوِهِ والوالـه الفَزِع ، والقَنيصُ المَصِيْدُ

وفى اللسان : الغَدَقَ المطر الكثير العامُ ، وغَيْدَقَ المطرُ اذا كثُر والغَدَق ايضاً الماء الكثير ، وإن لم يك مَطَراً ، وفى التنزيل : (وأنْ لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غَدَقاً لنفتنَهم فيه) قال ثَعْلب : يعنى لو استقاموا على طريقة الكفر لفتحنا عليهم باب اغترار كقوله تعالى : (لجَعَلْنا لِمَنْ يكَفُر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فِضَّةٍ) وقال الليث : (لأسقيناهم ماءً غَدَقاً) أى لفَتَحْنا عليهم أبوابَ المَعيشة لِنَفْتنهم بالشكر والصبر .

وقال الفَرَّاء : فى كتاب معانى القرآن ج٣ ص١٩٤ معناه : لو استقاموا على طريقة الكفر لزدنا فى أموالهم فتنة عليهم ، وَبليَّةً ، وقال غيره : وأنْ لو استَقَامُوا على طريقة الهُدَى لأسقيناهم ماءً كثيراً ، ودليل هذا قولهُ تعالى : (ولو أنَّ أهَل

القُرى آمنوا واتَّقْوا لَفَتَحْنَا عليهم بركاتٍ من السماء) أراد بالماءِ الغَدَقِ الماءَ الكثيرَ . وأَرْضٌ غَدِقَةٌ فى غاية الرِيِّ .

وفى الحديث فى الاستسقاء : اللهم اَسقنا غيثا غَدَقاً مُغْدقاً . الغَدَق - بفتح الدال - المطر الكبار القطر . والمُغْدقِ تأكيدٌ .

وفى الحديث أيضاً : اذا نَشَأَتِ السحابة من قبل العَينْ . فتلك عَينٌ غُديقة . أى كثيرة الماء - هكذا جاءت الرواية بالتصغير والتصغير ههنا للتعظيم - ويقال للرجل الكريم الجواد الواسع الخُلُق الكثير العَطِّية غَيْداقٌ .

قال ابو تراب : ومعنى الكثرة والنعمة ، والغزارة ، موجود فى كل تصاريف اشتقاق هذه الكلمة ، وإطلاقاتها .

وقال ابن قُتيبة فى تفسير هذه الآية : (وأَنْ لو اسْتَقَامُوا على الطريقة لأَسْقَيْنَاهم ماءً غَدَقاً) أى لو آمنوا جميعاً لوَسَّعْنا عليهم فى الدنيا ، وضَرَب الماءَ الغَدَق وهو الكثيرُ مَثَلاً لذلك ، لأن الخيرَ والرزق كلَّه بالمطر يكون ، فأُقيم مُقامَه إذْ كان سببه . انظر المشكل ص٣٣٤ والغريب ص٤٩٠ وما ذهب اليه الفراء روى عن الكلبى والضحاك وأبى مجلز والربيع بن أنس وزيد بن أسلم ذكره القرطبى ج١٧ ص١٨ والشوكانى وابو حيان والطبرى والفخر . وما ذهب اليه ابن قتيبة روى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وابن جبير وهو اختيار الطبرى . وانظر الدر المنثور للسيوطى .

وقال ابن قتيبة : لِنَفْتِنَهم فيه » أى لِنَخْتَبِرَهم فنَعْلَمَ كيف شكرُهم ، وفيه قول آخر يقول : وأن لو استقاموا جميعاً على طريقة الكفر لَوَسَّعنا عليهم وجعلنا ذلك فتنةً لهم .

وقال الطبرى : يقول تعالى : **وأن لو استقام هؤلاء القاسطون على طريقة الحقِّ والاستقامة ، لأسقيناهم ماءً غَدَقاً** ، يقول : لَوَسَّعْنَا عليهم فى الرزق ، وبسطنا لهم فى الدنيا لنختبرهم .

واختلف أهل العلم فى تأويل ذلك فقال بعضُهم نَحْوَ الذى قلنا ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن لو استقاموا على الضلالة لأعطيناهم سعةً من الرزق لِنَستَدْرِجَهم بها . وقال آخرون : معنى ذلك : لَوِ استَقاموا على طريقة الحق وآمنوا لوَسَّعْنَا عليهم .

وفى الكَشَّاف : لو استقام الجِنُّ على الطريقة المُثْلى ، أى لو ثَبَتَ أبوهم الجَانُّ على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ، ولم يَسْتَكْبِرْ عن السجود لآدم ولم يكفر ، وتبعه ولدُه على الإسلام ، لأنْعَمْنا عليهم ، ولَوَسَّعْنَا رزقهم ، وَذَكَر الماءَ الغَدَق لأنه أصلُ المعاشِ ، وسعةِ الرزق ، ويجوز أن يكون معناه : وأن لَوِاسْتقام الجِنُّ الذين استمعوا على طريقتهم التى كانوا عليها قبل الاستماع ، ولم ينتقلوا عنها الى الإسلام ، لوَسَّعْنَا عليهم الرزقَ مُستَدْرِجِينَ لهم ، لِنَفْتِنَهم فيه ، لتكونَ النِعمةُ سبباً لاتباعهم شَهواتِهم ، ووقوعِهم فى الفتنةِ ، وازديادِهم إثْماً ، أو لِنُعَذِّبَهم فى كفران النعمة .

وقال ابو عبيدة فى مجاز القرآن ج٢ ص ٢٧٢ : الغَدَقُ الكثير .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبِرنى عن قوله تعالى : « **فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ، ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبون** » ؟ قال : الأليم : الوجيع ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قولَ الشاعر :

نام مَنْ كان خَلِيّاً مِن ألَمْ   وبَقِيتُ الليلَ طُولاً لم أنَمْ

وفى تفسير ابن عباس ص ٤ « أليم » وجيع فى الآخرة يخلص وجعه إلى قلوبهم .

قال ابو تراب : فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ج١ ص٣٢ : « عذاب أليم » أىْ مُوْجِعٌ من الألَمِ ، قال ذو الرُّمَّةِ :

وَنَرْفَـعُ فى صُدورِ شمردلاتٍ يَصُـكُّ وجوهَهـا وَهَـجٌ أليمُ

ـ الشَّمَرْدلَةُ الطَّويلةُ من كل شيء ـ

قال ابو تراب : هذا البيت ذكره المُبَرِّد فى الكامل (١١٤) والطبرى (ج ١ ص ٩٤) والقُرطبى (ج ١ ص ١٧١) واللسان والتاج .

وقال ابو عُبيدة ج ١ ص ١٢٠فى قوله تعالى : « وأعْتَدْنا لهم عذاباً أليماً » أى مُؤْلِماً ، وقال فى قوله ج ١ ص ٢٨٢ : « حتىَ يَروُ العَذابَ الأليم » مجازُه المُؤْلِمُ ، وهو المُوجِعُ ، والعرب تَضَع (فعيلاً) فى موضع (مُفْعِـل) و « سميـع بصير » أى مُبْصرٌ ، قال عمرو بن مَعْدِيْكَرِبَ :

أمِـنْ رَيْحَانَـةَ الدَّاعِـى السَّمِيعُ يُؤرِّقُنِـى وأصحابـى هُجوعُ

يُريد المُسْمِعَ .

قال ابو تراب : البيت فى الأَصْمَعِيَاتِ (ص ٢٣) ومعاهـد التنصـيص (ج ١ ص ٢٢٠) والخِزانة (ج ٣ ص ٤٦٢) والكامل (ص ١١٤) وسمط اللآلى (ص ٤٠) والأغانى ، (ج ١٤ ص ٣٣) .

وقال ابن قُتيبة فى تأويل المُشْكِلِ (ص ٢٢٩) : « أليمٍ » مُؤْلمٍ ، وفعيلٌ يُراد به فاعلٌ ، نحو حفيظ ، وقدير ، ومجيد .

وقال الراغب : الألَم الوَجَع الشديد ، قال الله تعالى : « فانهم يَألَمُون كما تَألَمُون » .

قال ابو تراب : ومما يستشهد به من قصيدة عمرو بن مَعْدِيْكَرِبَ لِبَـابِ (فَعيلٍ) بمعنى (فاعلٍ) قولُه الذى ذكره فى الخزانة (ج ٣ ص ٥٦) :

وخيـلٍ قد دَلَفْـتُ لهـا بَخِيْلٍ تحَيَّـةُ بَيْنِهِـم ضَرْبٌ وَجيعُ

وأَنْشَدَ ابنُ بَرى قولَ ذى ِ الرُّمَّةِ : (يَصُكُّ وجوهَها وَهَجٌ أليمُ) والعذابُ الأليم الذى يَبْلُغ إيجاعهُ غايَة البُلوغِ ، واذا قلتَ : عذابٌ أليمٌ ، فهو بمعنى مُؤْلمٍ ، وتَأَلَّمَ أىْ تَوجَّعَ .

ومعنى قول ذى الرُّمَّةِ : (ونَرْفَعُ من صدورِ شَمَرْدلاَتٍ) : أى نَستَحِثُّها فى السير والابِلُ اذا أُسرِعَتْ رَفَعَتْ من صدورِها ، والشَّمَرْدَلاَتُ يعنى بها النِياقَ ، ويَصُكُّ خدودَها وَهَجٌ ، أى يضرُّ بها اللَّفْحُ ، وحرارةُ الشمسِ ، فتَلْوِى وجوهَها مُعْرِضَةً .

وذكر الشوكانى فى تفسيره : (ج ١ ص ٣) : أن كل شىءٍ فى القرآن من الأليم فهو المُوجِعُ .

وقال صاحب الكشّافِ : وَصْفُ العذابِ بالأليم والألَمِ ، فى الحقيقة للمؤلم على طريقة قولهم : جَدَّ جِدُّهُ ، فالجِدُّ للجادِّ ، والأليمُ مِثْلُ وجيعٍ نحو قوله : (تحَيَّةُ بَيْنِهم ضَرْبٌ وَجيعُ) والمراد أن العذاب الألَيم لاحقٌ بهم ، من أجْلِ كَذِبِهم ، وهو قولهم : آمَنَّا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، ونحوُه قولُه تعالى : مِمَّا خَطِيئَاتهم أُغْرِقوا » والقوم كَفَرَةٌ ، وانّما خُصَّتِ الخطيئات استعظاماً لها ، وتنفيراً عن ارتكابها .

قال ابو تراب : والكَذِبُ هو الخبر عن الشىء على خلاف ما هو به . والجاحظ لا يُسمّيه كذباً الاّ اذا عَلِم المُخبِر كونَ المُخبَر عنه . مخالفاً للخبر . وهذه الآية حُجَّةٌ عليه . ومضمونُ الآية صريحٌ فى أن كَذِبَهم كان عِلَّةً للعذاب الأليم ، وذلك يقتضى أن يكون كلُّ كذبٍ حراماً .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وقَفَّيْنَا على آثارِهِم بعيسَى بن ِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بين يديه من التوراة » ؟ .

قال : قَفَّيْنَا : أى أتْبَعْنَا على آثار الأنبياء ، أىْ بعثنا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول عدّى بِن زيد :

يوم قَفَّــتْ عِيرُهــم مِنْ عِيرِنا واحتمالُ الحَــىِ فى الصبــحِ فَلَقْ

قال ابو تراب : وفى مجاز القرآن لأبى عُبيدة ج ٢ ص ٢٥٤ : « وقَفَّيْنَا » أىْ أتبعنا .

وفى تفسير الطبرى : « وَقَفَّيْنَا » أى وأرْدَفْنَا ، وأتْبَعْنَا بعضَهم خَلْف بَعْضٍ . كما يَقْفُو الرجلُ الرجلَ . اذا سار فى أثَرِه ، من وَرائِهِ . وأصلُه من القَفَا . يُقال : قَفَوْتُ فلاناً ، اذا صِرْتَ خَلْفَ قَفَاهُ ، ومعنى : أتْبَعْنَا بعضهم بعضاً ، على منهاج واحد ، وشريعةٍ واحدة ، وشاهد (قَفَّيْنا) بمعنى (أتْبَعْنَا) قولُ امرىء القيس ، ولم يُذْكَرْ فيما يُروى من شعره :

(وقَفَّى على آثارهنَّ بحاصبِ)

أى أتْبَع آثارَهن حاصباً . « وأنزلنا عليهم حاصباً » أىِ الريح الشديدةَ التى تحمل التراب والحَصْبَاءَ . وقال ابن مُقْبِلٍ فى (قَفَّى) بمعنى (أتى) :

كم دونهــا من فلاةٍ ذاتِ مُطَّرَدٍ قَفَّــى عليهــا سرابٌ راســبٌ جارى

أىْ أتَى عليها وغَشِيَها . وقال ابن الأعرابى : قَفَّى عليه ، أى ذهب به ، وأنشد :

(وَمأرِبُ قَفَّى عليه العَرِمْ)

واقتفى بالشىء ، خَصَّ به نفسه ، قال :

ولا أتَحَــرَّى وُدَّ مَنْ لا يَوَدُّنىِ ولا أقْتَفِــى بالــزاد دُونَ زَميلى

وقال ابنُ أحمر :

لاَ تقْتَفِــى بهــم الشمالُ اذا هَبَّــتْ ولا آفاقُهــا الغُبْرُ

أى لا تُقيم الشمال عليهم ، بل تجاوزهم الى غيرهم ، ولا تَستبين عليهم لِخِصْبِهِم وكثرةِ خيرهم ، وشاهد أقْفَيْتهُ قولُ الشاعر :

ونُقْفِــى وليــدَ الحَــىِّ إنْ كان جائعاً ونُحْسِبُــه إنْ كان ليس بجائعِ

أى نعطيه القَفاوة حتى يقول : حَسْبِى ، والقَفاوةُ حسنُ الغذاء ، وما يُؤْثَرُ به الصَبىُّ والضيف .

وفى مجاز القرآن لأبى عُبيدة ج ١ ص ٣٧٩ فى قوله تعالى : « **ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم** » يعنى ولا تَتْبَعْ ما لا تَعْلَمُه ولا يَعْنِيك ، ومنه قول النبى ﷺ : **نحن بنو النَضرِ بن كِنانَةَ لا نَقْفُو أُمَّنَا ، ولا نَنْتَفى من أبينا** ، وقال النابغة الجَعْدىُّ :

ومِثْلُ الدُمَى شُمُّ العَرانِينِ ساكنٌ ... بِهِن الحَياءُ لا يُشِعْنَ التقافيا

يعنى بالتقافى : التقاذُفَ .

وفى شرح شواهد الكشّاف للمرزوقى : شُمُّ العرانين ، أىْ مرتفعاتُ الأنوف ، كِنايةٌ عن شرفهن ، وارتفاع قدرهن ، أو كنايةٌ عن كونهن كرائم حرائرَ ، وشَبَّهَهنَ بالبيوت ، وشَبَّه الحياءَ بقومٍ يَسْكُنُونها ، وهو كنايةٌ ومبالغةٌ فى ملازمة الحياءِ لهن ، ولا يُشِعْنَ ، أى لا يُظْهِرنَ التقافىَ أى المتابعةَ بالقَذْفِ ، واشتقاقُه من (قفوتُه) اذا أَتْبعْتَه بالغِيْبة .

وقال الليث : القَفْو هو أن يُتْبَعَ الشىءُ ، قال الله تعالى : « **ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم** » ، قال الفَرَّاء : أكثرُ القُرَّاء يجعلونها من (قَفَوْتُ) كما تقول : (لا تَدْعُ) مِنْ (دعوتُ) ، وقرأ بعضُهم : (ولا تَقُفْ) مثل و (لا تَقُلْ) ، وقال الأخفش : معناه : ولا تَتْبَعْ ما لا تَعْلَمُ ، وقيل : ولا تَقُلْ : سمعتُ ، ولم تَسْمَعْ ، ولا رأيتُ ، ولم تَرَ ، ولا علمتُ ، ولم تَعْلَمْ ، « **إنَّ السَمْعَ والبصرَ والفُؤادَ ، كلُّ اولئك كان عنه مَسْؤُولا** » .

وقال ابو عُبيد : يَقْفُو ، ويقوف ويَقْتَافُ أى يَتْبَعُ الأَثر ، وقال مجاهد : لا تَقْفُ أى لا تَرُمْ ، وقال ابن الحَنَفِيَّةِ : معناه : لا تَشْهَدْ بالزُور .

قال أبو تراب : الأصل فى القَفْو والتقافى ، البُهتانُ ، يَرمى به الرجلُ صاحبَه ، والعرب تقول : قُفْتُ أثَرَه ، وقفوتُه ، أى اتَبَعْتُ أثره أو رميتهُ بأمر قبيح ، وهذا أجوفُ وذاك ناقص ، ولم يفرّق بينهما ابن منظور فى اللسان وهو

خطأ . جَرىَ به كلام العرب ، وفى نوادر الأعراب : قَفَا أثَرَه ، أى تَبِعه ، وضِدُّه فى الدعاء ، قَفَا الله أثَرَه ، مثلُ : عَفَا الله أثَرَه . ومن هذا القَفِيَّةُ ، بمعنى الناحية ، وأنشد ابن الأعرابى :

فأقبَلْتُ حتى كنتُ عند قَفِيَّةٍ   من الجَالِ والأنفاسُ منّى أصونها

أى فى ناحيةٍ من الجالِ ، وأصون أنفاسى لئلاّ يُشْعَرَ بى ، والجالُ ، البئر .

ومن هذا أيضاً القَفَاوَةُ ، وهى الأُثْرَةُ ، قال الكُمَيْتُ :

وبات وليد الحىَ طَيَّانَ ساغباً   وكاعبُهم ذاتُ القَفاوةِ أسْغَبُ

والقَفِيُّ الشيء الذى يُكْرَم به الضيف من الطعام ، قال سَلاَمة بنُ جَنْدَلٍ ، يصف فَرَساً :

ليس بِأسْفَى ولا أقْنَى ولا سَغِلٍ   يُسْقَى دَواءَ قَفِىَّ السَّكْنِ مَرْبُوبِ

وانما جُعِل اللبنُ دواءً لأنهم يضَمِّرون الخيلَ بسَقْى اللبن .

ومن هذا أيضاً ، القافية من الشعر ، قالت الخنساء :

وقافيةٍ مثلِ حَدِّ السِنا   نِ تَبْقَى ويَهْلِكُ من قالها

ويقال ، للشيخ اذا هَرِم : رُدَّ على قَفَاهُ ، قال الشاعر :

إنْ تَلْقَ رَيْبَ المنايا أو تُرَدَّ قَفاً   لا أبْكِ منك على دينٍ ولا حَسَبِ

وفى حديث عمر : كُتب اليه صحيفةٌ فيها :

فما قُلُصٌ وُجِدْنَ مُعَقَّلاتٍ   قَفَا سَلْعٍ بِمُخْتَلَفِ التِّجَارِ

سَلْعُ جَبَلٌ ، وقَفَاهُ وراءَهُ ، والقُلُص النِياقُ ، والمُعَقَّلات أى المَشْدوداتُ بالعِقَالِ .

وفى حديثٍ مرفوع : يَعْقِدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسٍ أحدكم ثلاثَ عُقَدٍ ، فاذا قام من الليل فتوضأ انْحَلَّتْ ، إلى آخره ، يعنى بالقافية القَفَا ، وقيل : قافيةُ الرأس مُؤَخَّرهُ ، وقيل : وَسَطُه ، أراد تثقيلَه فى النومِ ، وإطالتَه ، فكأنّه قد شَدَّ عليه شِداداً وعَقَده ثلاثَ عُقَدٍ .

وقال الطبرى : اختلف أهلُ العلم فى تفسير قوله تعالى : « **ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم** » ، فقال بعضهم : معناه : ولا تَقُلْ ما ليس لك به علم ، وقال آخرون : بل معناه : لا تَرُمْ ، وهذان التأويلان متقاربا المعنى لأن القولَ بما لا يعلمهُ القائل ، يدخل فيه شهادة الزُورِ ، ورَمْىُ الناس بالباطلِ ، وادّعاءُ سماعٍ ما لم يسمعْه ، ورؤيةِ ما لم يَرَهُ ، وأصل القَفْوِ ، البَهْتُ ، وكان بعض البصرّيين يُنْشد فى ذلك بيت النابغة (المذكور) ، وكان بعض أهل العربيةِ من أهل الكوفة ، يزعم أن أصلَه القيافة ، وهى اتباع الأثر ، والعربُ تقول : قَفَوْتُ أثره وقُفْتُ أثره ، فَتُقدِّمُ أحياناً الواوَ على الفاء ، وتؤخِّرُها أحياناً بعدها ، ونظائر هذا كثيرة فى كلام العرب .

وأَوْلىَ الأقوالِ فى ذلك بالصواب . قولُ من قال معنى ذلك ، لا تَقُلْ للناس وفيهم ما لا عِلْمَ لك به ، فتَرْمَيهم بالباطِل ، وتَشْهَد عليهم بغير الحق ، فذلك هو القَفْو ، وانما قلنا : ذلك أَوْلىَ الأقوالِ فيه بالصواب ، لأن ذلك هو الغالبُ من استعمالِ العربِ ، القَفْوَ فيه .

وفى الكشّاف : معناه : ولا تكن فى اتباعك ما لا علمَ لك به من قولٍ أو فعلٍ ، كمن يتبعُ مسلكاً لا يَدْرى أنّه يوصلهُ الى مقصَده فهو ضالٌ ، والمراد النهى عن أن يقول الرجل ما لايَعلم ، وأن يَعمل بما لا يَعلم ، ويدخُل فيه النهُى عن التقليدِ دخولاً ظاهراً ، لأنه اتباعُ لِمَا لا يَعلم صحتَهُ من فساده ، وعنِ الحسن : لا تَقْفُ أخاك المُسْلِمَ اذا مَرَّ بك ، فتقولَ : هذا يفعل كذا ، وفى الحديث : من قَفَى مؤمناً بما ليس فيه ، حَبَسه الله فى رَدْغَةِ الخبال ، حتى يأتى بالمَخرج ، وشاهدُه ايضاً قولُ الكُميت :

ولا أرمى البَرِيءَ بغير ذنبٍ ولا أقفُو الحَواصِنَ إن قُفِينَا

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « **وما يُغْنى عنه مالُه اذا تَرَدَّى** » ؟ قال : اذا مات ، وتَرَدَّى فى النار ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قولَ عِدّى بن زيد :

خطَفَتْــه مَنِيَّــةٌ فتَرَدَّى وهــو فى المُلْكِ يَأْمُــلُ التعميرا

قال الطبرى : يعنى جَلَّ ثناؤه بقوله « **وما يُغنى عنه ماله** » ، **أىَّ شىء يَدْفَعُ عن هذا الذى بَخِلَ بماله ، واستغنى عن ربّه ، مالُه يومَ القيامة اذا هو تَرَدَّى** .

واختلفوا فى قوله : « **اذا تَرَدَّى** » ، فقال بعضهم : اذا تَرَدَّى فى جهنم ، أى سقط فيها ، وهَوىَ ، وقال آخرون : معنى ذلك : اذا مات ، وأَوْلَى القولَيْنِ فى ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه اذا تَرَدَّى فى جهنم ، لأن ذلك هو المعروف من التَرَدّي ، فأمّا اذا أُريدَ معنى الموت فانه يقال : رَدِىَ فلان ، وقَلَّما يقال : تَرَدَّى . وقال الزمخشرى : « تَرَدَّى » ، من الرَّدَى ، وهو الهلاك ، يريد الموتَ ، أو تَرَدَّى فى الحُفْرة ، اذا قُبر ، أو تَرَدَّى فى قعر جهنم .

وفى مجاز القرآن لأبى عُبيدة ج ٢ ص ١٧ : « **فلا يَصُدَّنَّكَ عنهـا من لا يؤمن بها واتَّبعَ هواه فتَرْدىَ** » أىْ فتَهْلِكَ ، وقال دُريد :

تَنَــادَوْا فقالُــوا: أرْدَتِ الخيــلُ فارساً فقلــت : أعَبــد الله ذلــكم الرَّدِىْ

البيت فى جمهرة الأشعار (ص ١٢٦) والمُفَضَّلِيَّاتِ (ص ٥٦٨) ، وقال فى « المُتَرَدِّيَةُ » التى تَرَدَّتْ فوقعتْ فى بئرٍ ، أو وقعتْ من جَبَلٍ أو حائطٍ أو نحو ذلك ، فماتَتْ .

وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ص ٥٣١ : « اذا تَرَدَّى » أى فى النار ، وتَرَدَّى أى سقط .

وقال الراغب : الرَّدَى الهلاك والتَرَدّى التعرُّضُ للهلاك ، قال الله تعالى : « تَاللهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ » .

قال أبو تراب : ومن هذه المادّة فى القرآن قوله : « وذلكم ظَنُّكم الذى ظَنَنْتُم بِربكَم أَرْدَاكُمْ » وقوله : « وكذلك زَيَّنَ لكثيرٍ من المشركين قَتْلَ أولادِهم شركاؤهم لِيُرْدُوهُمْ » والرَّدَى يدلّ على رَمْىٍ أو تَرامٍ ، وما أَشْبَه ذلك ..

قال ابن فارس : الرَّدَى ثلاثة مواضعَ تَرْجِعُ الى قياسِ ماذكرنا .

فالأوّل : رَدَى الحَجَرَ ، والثانى : رَدَى الفرسُ ، أَسْرَع ، والثالث : رَدَتِ الجاريةُ ، إذا رفعتْ إحدى رجلَيها ، وقفزتْ بواحدةٍ ، وكل ذلك يرجع الى معنى الترامى .

ومن الباب ، الرَّدَى وهو الهلاك ، وأَرْداهُ الله أهلكه ، والتردّىِ التهوُّر فى المَهْوَى ، يقال : رَدِىَ فى البئر ، كما يقال : تَرَدَّى ، قالها أبوزيد .

ويقال : ما أَدرِى أين رَدَى ، أى أين ذهب ، وهو من الباب ، معناه : ما أدرى أين رَمَى بنفسه . ومن الباب : الرَّدَاةُ الصَّخْرة ، وجمعُها الرَّدَى ، قال : (فَحْلُ مَخَاضٍ كالرَّدَى المُنْقَضّ) واذا قالوا للناقة مِرْدَاةٌ فانما شَبَّهوها بالصخرة ، ويقال : راديتُ عن القوم اذا راميتَ عنهم ، فأمّا قول طُفيل :

يُرادَى على فأسِ اللجامِ كأنّما يُرادَى على مِرْقاة جِذْعٍ مُشَذَّبِ

فليس من هذا الباب ، لأن هذا مقلوب ، ومعناه يُراوِدُ .

ومّما شَذَّ عن الباب ، الرداء الذى يُلبس ، قال ابن فارس : ما أدرى مِمَّ اشتقاقُه ، وفى أىّ شىء قياسُه ، يقال : فلان حَسَنُ الرِدْيَةِ . من لُبْسِ الرِداءِ . ومّما شَذَّ أيضاً قولهم : أَرْدىَ على الخمسين ، اذا زاد عليها .

قال أبوتراب : ولعلّه مّما خُفّفِ فيه الهَمْز فأشْبَهَ المُعْتَلَّ الآخر ، قال الأزهرى : لم أسمع الهَمَز فى (أَرْدَى) لغير الليث ، وهو غلط . قال ابن فارس : فأمّا المهموز فكلمتانِ مُتجانَستانِ جدّاً ، يقال : أَرْدأتُ أى أفسدتُ ، وفلانٌ رِدْءُ فلانٍ أى مُعينُه ، قال الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام : « فأَرْسِلْه معى رِدْءاً يُصَدِّقُنى » قال : (فى هَجْمَةٍ يُرْدِئُها وتُلْهِيْهْ) أى يُعينها ، وعلى لغةٍ أخرى يزيد فيها ، فحذف الحرفَ ، وأوصل الفعل .

وأورد الزمخشرى من محاوراتهم قولهم : أقبلوا والخيل تَرْدى بهم أى تَعْدُو رَدَيَاناً ، وتَرَدَّى فى الهُوَّة ، وتَرَدَّى من الجَبَل ، وتقول : إنّ فلاناً تَرَدَّى لَمَّا تَرَدَّى ، أى للقضاءِ والتقدم وهو يُرادى عن قومه أى يناضل عنهم .

وقال الزَجَّاج فى معنى قوله تعالى : « إنْ كِدْتَ لَتُرْدِين » أى لَتُهْلِكُنى ، وقال الليث فى قوله تعالى : « اذا تَرَدَّى » التردّى هو التهوُّر فى مَهْواةٍ ، وفى حديث ابن الأكوع : فأَرْدَوْا فرسَيْنِ فأخذتُهما ـ يعنى أتعبوهما حتى أسقطوهما وخلَّفُوهما . وفى الحديث أيضاً انه قال فى بعيرٍ تَرَدَّى فى بئرٍ : ذَكِّهْ من حيث قَدَرْتَ ، تردَّى أى سقط ، أى اذْبَحْهُ فى أى موضعٍ أمكن من بَدنهِ ، اذا لم تتمكن من نَحْرِهِ .

وفى حديث ابن مسعود : من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذى رَدَى ، فهو يُنْزَع بذنبه ، أراد أنه وقع فى الاثم ، والهَلَك .

وفى الحديث أيضاً : ان الرجل ليتكلّم بالكلمة من سَخَطِ الله تُرْدِيه بُعْدَ مابين السماء والأرض ، أىْ توقِعُه فى مَهْلكَةٍ .

ورَدَيْتُ فلاناً بحَجَر أى رميتُه . قال ابن حِلِّزَةَ :

وكأَنَّ المَنونَ تَرْدى بنا أعْصَمَ صِمٍّ يَنْجابُ عنه العَماءُ

وشاهد الرَّدَاةِ بمعنى الصخرة قول ابن مُقْبِلٍ :

وقافيةٍ مثلِ حَدّ الرَّدَا ةِ لم تَتْرِكْ لمجيبٍ مَقَالاَ

والرَّدْى العَدْوُ والمَشى الشديد ، وفى حديث عاتكة : (بَجأْوَاءَ تَرْدى حافتَيْه المقانبُ) أى تَعْدو ، والمقانبُ الخيلُ ، والجَأْوَاءُ الكتيبة ، وقال طفيل : (رَداةٌ تَدَلَّتْ من صخورِ يَلَمْلَمِ) الرَّداة الحَجَر ، وَيلَمْلَمُ جَبَلٌ ، وهو ميقات أهل اليمن للإحرام ، والرداءُ من هذه المادّة ذو مدلولاتٍ ، واستعمالاتٍ ، وهو من الأضداد ، وشواهدُه كثيرة منها :

رفعتُ رداءَ الجهلِ عنّى ولم أكن يُقَصرَ عنى قبل ذاك رداءُ

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « والأرضَ وضَعَها للأنام » ؟ قال : الأنامُ الخَلْق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قولَ لبيد بن ربيعَة العامرى :

فانْ تَسْألينـــا فيـــم نحـــن فائنا عَصافـــيرُ من هذا الأنـــامِ المُسَحَّر

قال ابو تراب : هذا البيت ذكره ابن فارسٍ فى المقاييس ، وابن منظورٍ فى اللسان ، والجاحظُ فى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٧٩) ، وفى الحيوان ـ (ج ٥ ص ٢٢٩) وهو فى ديوان لبيد ، وكتابِ شمس العلوم ـ (ج ١ ص ٢١٨) ومجازِ القرآنِ لأبى عبيدة (ج٢ ص ٢٤٣) ..

وعصافير ، معناه ضعاف صغار ، أى نحن أولادُ قومٍ قد ذهبوا ، ومُسَحَّر أى مُعَلَّل بالطعام ، ومنه قوله تعالى : « انما أنت من المُسَحَّرين » وفى بعض نُسَخِ الإتقانِ للسيوطى « الأنامِ المُسَخَّرِ » وهو غلط .

وقال ابن فارس : « من هذا الأنامِ المُسَحَّرِ » ـ كأنه أراد المخدوعَ ، الذى خدعتْه الدنيا ، وَغَرَّتْه ، ويقال : المُسَحَّر الذى جُعل له سَحَر ، أى رِئَةٌ ، ومن كان ذا سَحَرٍ لم يجد بُدّاً من مطعمٍ ومشرب .

وقال ابنُ منظور : سَحَّرَهُ بالطعام والشراب ـ غَذّاه وعَلَّله وقيل : خَدَعه ، قال امرؤ القيس :

(ونُسْحَرُ بالطعام وبالشراب)

أى نُغْذَى ، أو نُخْدَعُ ، ونُلْهَى به عن الموت ، والسِحْر الخديعة وقول لبيدٍ المذكور يكون على الوجهين ، وقوله تعالى : « انما أنت من المُسَحَّرين » يكون من التغذية ، والخديعة ، قال الفَرَّاء : قالوا لِنَبىِّ الله لستَ بَمَلكٍ انما أنت بَشَرٌ مِثْلُنا ، والمُسَحَّر المُجَوَّفُ ، أى أنك تأكل الطعام والشرابَ فتُعلَّل به ، وقيـل : « مـن المُسَحَّرين » أى ممن سُحِرَ مرةً بعد مرةٍ ، وحكى الأزهرى عن بعض أهل اللغة فى

قوله تعالى : « إنْ تَتَّبِعُون الاّ رجلاً مسحوراً » قوَلينْ أحدُهما أنه ذو سَحَرٍ مثلنا ، والثانى أنه سُحِرَ ، والسَّحَر بمعنى الرئة جمعه سُحور قال الكُميت :

وَأَرْبَــطَ ذى مَسَامِــعَ أنــت جأشا إذا انتفخــتْ من الوَهَــلِ السُّحُور

والسَّحْر القلب وهو السُّحْرَة أيضاً قال :

وإنّى أمرؤٌ لم تَشْعُرِ الجُبْنَ سُحْرَتى إذا ما انْطَوى منّى الفؤادُ على حِقْدِ

ورجل سَحِرٌ وسَحيرٌ اذا أصابه السِلُّ ، فانقطعْت رِئَتُه ،

قال العَجَّاج :

وغلْمِتــى منهــم سَحــيرٌ وسَحِرْ وقائــم من جَذْبِ دَلْوَيْهــا هَجِرْ

سَحِرٌ ، انقطع سَحَرُهُ من جَذْبه بالدلو ، وهَجِرٌ ، يَمْشى مُثْقَلاً متقارب الخَطْو ، كأن به هِجاراً لاينَبسط ممّا به من الشرّ والبلاء ، وقولُه :

أيَذْهَــبُ ماجَمَعْــتُ صريــمَ سَحْرٍ ظليفــاً إنّ ذا لهــو العجيب

معناه : مصروَم الرِّئة ، مَقْطُوعَها ، وكلُّ مايبِسَ منه فهو صرِيْمُ سَحْرٍ

أنشد ثَعْلب :

تقــول ظَعينتــى لَمّا اَسْتَقَلَتْ أَتَتْــرُكُ ماجَمَعْــتَ صرَيــمَ سَحْرِ

وفى حديث عائشة رضى الله عنها : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرى ونَحرْى أى وهو مُسْتَنِدٌ الى صَدْرِها ، ومايحُاذى سَحْرَها منه .

وحكى القُتيبى عن بعضهم أنه بالِشين والجيم ، والشَّجْر التشبيك أىْ أنه مات وقد ضَمتَّه بيدَيْها الى نَحْرِها وصدرها ، والمحفوظ الأول .

والسَّحْر ما التزق بالحُلقوم والمَرِىء من أعلى البطن وهـو ساكن الأوسـط ومتحركه معا .

قال الليث : اذا نَزَلَتْ بالرجل البِطْنَة يقال : انتَفَخ سَحْرُهُ ، معناه جاَوزَ قَدْرَهُ ، وتَعَدَّى طَوْرَهُ . قال الأزهرى : هذا خطأ ، انما يقال : انتفخ سَحْرُهُ للَجبانِ الذى ملأ الخوفُ جوفَه ، فانْتَفَخ السَحْرُ ، وهو الرئة حتـى ارتفـع القلـبُ الى الحُلقوم ، ومنه قوله تعالى : « وبَلغتِ القلوبُ الحَناجرَ » وكذلك قولُه : « وأَنْذِرْهم

يوم الآزفة إذِ القلوبُ لدى الحناجر » كلُّ هذا يدلّ على أنّ انتفاخ السَحْرِ مَثَلٌ لشدةِ الخوف ، وتمكُّنِ الفَزَع وانه لايكون من البِطْنَة .

وفى حديثِ أبى جَهل يوم بَدْرٍ قال لعُتْبَةَ بنِ ربيعة : انتَفَخ سَحَـركُ أى رِئَتُك .

وقال الفَرّاء فى قوله تعالى : « فأنَّى تُسْحَرُونْ » معناه فأنَّى تُصْرَفُونْ ، ومِثْلُه « فأنَّى تُؤْفَكُونْ » أُفِكَ وسُحِـرَ سواء ، وتقـول العـرب : ماسَحَـركَ عنّـا ، أى ماصرَفكَ .

وقال أبوعبيدة فى مجاز القرآن : كل منَ أكل من إنْسٍ ودابَّةٍ فهو مُسَحَّرٌ ، وأنشد قولَ لبيدٍ المذكور . وقال : الأنامِ ، الخَلْق ومثله فى معانى القرآن للفراء ج ٣ ص ١١٣ وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٦ وفى تفسير ابن عباس ص ٣٣٦ الأنام الخلق كله الاحياء والأموات .

وقال فى اللسان : الأنام ماظهر على الأرض من جميع الخلق ، ويجوز فى الشعر (الأَنِيْمُ) وقال المفسرّون فى قوله عز وجلّ : « والأرضَ وضعها للأنام » هم الجنُّ والإنس ، والدليل على ماقالوا : أن الله تعالى قال بعَقِبِ ذكرِه الأنامَ « فبأىّ آلاء ربكُما تكذّبان » ولم يَجْرِ للجن ذكر قبل ذلك ، انمّا ذكر الجانَّ بعده فقال : « خَلَق الإنسانَ من صَلْصَالٍ كالفَخّار وخَلَق الجانَّ من مارجٍ من نار » والجنُّ والإنْسُ هما الثَقَلانِ .

وقيل : جاز مخاطبة الثَقَلَينْ قبلَ ذكرِهما معاً لأنهما ذُكرا بعَقِب الخطاب ، قال المُثَقّبُ العَبْدىُّ .

فما أدرى اذا يَمَّمْـتُ أرضاً ... أريـدُ الخـيرَ أيُّهما يَلِيْنىِ

أألخَـيرُ الـذى أنـا أبْتغِيْهِ ... أم الشرّ الـذى هو يَبْتَغينى

فقال : أيُّهما ، ولم يَجْرِ للشر ذكر الاّ بعد تمامِ البيت .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « انه ظَنَّ أنْ لن يحُور » ؟ قال : معناه أن لن يرجع بلغة الحبشة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول الشاعر :

وما المرءُ الاّ كالشهاب وضوئه   يحُور رماداً بَعْدَ إذْ هو ساطعِ

قال أبوتراب : لغة الحبشة لم يذكرها ابن سلاّم فى لغات القبائل وهى مذكورة فى تفسير ابن عباس ص ٣٨٥ ، وهذا البيت للبيد بن ربيعَة العامرى ، واستشهد به الزمخشرى فى الكشاف ، وأبوحيّانَ فى البحر المحيط ، وهو فى بلوغ الأرب ، (ج ٣ ص ١٣١) وهو من قصيدة مطلعها .

بَلِيْنَا وماتَبْلَى النجومُ الطوالعُ   وتَبقى الجبالُ بعدنا والمصانعُ

وقبل البيت الشاهد : والمصانع القصور ، أو مصانع الماء أى أبنيتُه .

وما الناس الاّ كالديارِ وأهلها   بها يومَ حَلُّوها وغَدْواً بلاقعُ

وبعده :

وما البرُّ الاّ مُضْمَرَاتٌ من التُقى   وما المالُ الاّ مُعْمَرَاتٌ ودائعُ
وما المالُ والأهلون الاّ وديعةٌ   ولابُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الودائعُ

وقال الطُّوسى فى شرح البيت الشاهد الشهاب ، النار ، وَيحُورُ ، يَصير ، من أين حُرْتَ ؟ من أين جئتَ ؟ ، الى أين حُرْتَ ؟ الى أين صرتَ ؟ ماحَوِ يْرُك ؟ مامردودُ جوابِك ، وكذا فَسرَّ أبو عمرو . وساطعٌ ، مُشْتَعِلٌ .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة ج ٢ ص ٢٩١ « لن يحور » لن يرجع وفى غريب القرآن لابن قتيبة ٥٢١ لن يرجع ويبعث وفى معانى القرآن للفراء ج ٣ ص ٢٥١ لن يعود الينا فى الآخرة .

وقال الطبرى : « انه ظَنَّ أن لن يحور » يقول تعالى : ان هذا الذى أُوتى كتابَه وراء ظهره يوم القيامة ، ظَنَّ فى الدنيا أن لن يَرجع الينا ولن يُبعثَ بعد مماته ، فلم يكن يُبالى مارَكبَ من المآثم ، لأنه لم يكن يرجو ثواباً ، ولم يكن يخشى

عقاباً . يقال : منه حار فلانٌ عن هذا الأمر اذا رجَع عنه ، ومنه الخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى دعائه . اللهم انى أعوذ بك من الحَوْر بعد الكَوْر يعنى بذلك من الرجوع الى الكفر بعد الايمان ، فقال تعالى : « بَلىَ إنّ ربّه كان به بصيرا » يعنى لَيَحُورَنَّ ولَيَرْجِعَنَّ الى ربّه حياً ، كما كان قبل مماته ، وان ربه كان بصيراً به فى الدنيا بما كان يعمل فيها من المعاصى ، وما اليه يَصير أمرُه فى الآخرة ، عالمٌ بذلك كلّهِ .

وفى الكشّاف : « ظَنَّ ان لن يحور » ظَنَّ ان لن يرجع الى الله تكذيباً بالمعَاد ، يقال : لايحور ولايحول ، أى لايرجع ، ولاَ يتَغَيَّرُ ، وأنشد بيتَ لبيد المتقّدم ، وهو فى ديوانه (ص ١٦٧) .

وعن ابن عباس : ماكنت أدرى مامعنى (يحور) حتى سمعت أعرابيةً تقول لِبُنَيَّةٍ لها : حُورِىْ ، أىِ أرْجِعْىِ .

ومعنى البيتِ الشاهد : ان ليس حالُ المرء وحياتُه وبهجتُه ثم موتُه وفناؤه بعد ذلك الاّ مثلَ حالِ شِهابِ النارِ وضوئه ، حالَ كونه يَصير رماداً بعد إضاءته .

قال عُلَيَّان فى مشاهد الإنصاف : ويمكن أن قوله : « يحور رماداً » استئناف مبِّين لوجه الشَّبَه وذلك تشبيهُ هَيْأةٍ بهيأةٍ ، ولايَصِحُّ تشبيه المرء بالشهاب وضوئه ، وشَبَّه مآل الشخصِ وأقاربَه بالودائع ، تشبيهاً بليغاً بجامعِ أنّه لأُبُد من أخذ كل ذلك وبَيّنَه بقوله : « ولأُبَد أن تُرَدَّ الودائع فى يوم » من الأيام .

وقال الراغب : الحَوْر ، الترَدُّدُ إمّا بالذاتِ ، وإمّا بالذكر ، وقوله : « إنّه ظَنَّ أن لن يحور » أى لن يُبعث ، وذلك نَحْوُ قوله : « زَعَم الذين كفروا أن لن يُبْعَثُوا قُلْ بَلىَ وربّى لَتُبْعَثُنَّ » ، وقوله عليه السلام . نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر أى من التَردُّد فى الأمر بعد المُضِىِّ فيه ، أو من نقصانٍ وتردُّدٍ فى الحال بعد الزيادة فيها .

والمُحَاوَرَة والحِوار ، المُرادَّةُ فى الكلام ، ومنه قوله تعالى : « والله يسمع تحاوركما » .

قال أبوتراب : وفى التنزيل : « فقال لصاحبه وهو يحاوره » أى يجاوبه ويراجعه فى الكلام ، قال أبوعُبيدة : معناه يكلّمه من المُحاورة .

قال ابن فارسٍ فى الحَوْر : هذه المادّة تدل على ثلاثة أصول ، أحدُها لونٌ ، والآخَرُ : الرجوعُ ، والثالث ، أن يدَور الشىء دَوْراً . فأمّا الأول فالحَوَرُ فى العَينْ ، ومنه حُوْرُ الجَنَّة ، قال على الإتْباع : (عَيْنَاءُ حَوْراءُ من العِينِ الحِيرْ) والحَوْراء ، البيضاء ، لايقصد بها الحَوَر فى العَينْ ، والحَوارِيُّون لبيَاضهم ، وأنشد ابن دُريد :

بَكَى بعينِك واكفُ القَطْرِ ابنَ الحَوارىِ العالىَ الذِكْرِ

وقال أبو جِلْدَةَ اليشكرى :

فَقُلْ للحواريَات يبكين غيرَنا ولاَ تَبْكِنا الاّ الكِلابُ النوابح

أنشده ابن منظور ، وذكره الآمدى فى المؤتلفِ والمختلفِ (ص ٧٩) وقال :

فقلتُ إنَ الحواريَاتِ مَعْطَبَةٌ اذا تَفَتَّلْنَ من تحتِ الجَلابيبِ

واحْوَرَّ الشىء ابْيَضَّ ، جاء فى الخِزانة (ج ٣ ص ٨٦) لأبى مهوش الأسدى ، وهو فى اللسان :

(فمَنْ حليفُ الجَفْنَةِك(فمَنْ حليفُ الجَفْنَةِ المُحَوَّرَةْ)

أى المُبَيَّضَة بالشحم .

أمَّا معنى الدَّورانِ ففى المِحوَر ، وهو الخَشَبَة التى تدور فيها المَحالَة ، وأما معنى الرجوع ، ففى قولهم : « الباطل فى حُوْرٍ » أى رَجْعٍ ونَقْصٍ .

قال سُبيع بنُ الخَطيم :

واستَعْجَلُوا عن خَفيفِ المَضْغِ فازْدَرَدوا
والذَمُّ يبقى وزادُ القومِ فى حُورِ

ومن شواهده قولُ العَجاج :

(فى بئرِ لاحُورٍ سَرَى وماشَعَرْ)

أى فى بئرٍ لايُحير عليه شيئاً ، وأصله حُؤُورٌ كرُجوعٍ . وقال أبوعُبيدة .
أى فى بئرٍ حُورٍ ، و (لا) زيادةٌ .
وحارت الغُصَّة ، كأنها رجَعَتْ ، وأحارها صاحبُها ، قال جرير :

(يُلَجْلِجُ منّى مُضْغَةً لا يُحِيرُهَا)

وأنشد الأزهرى :

(وتلك لعمرى غُصَّةٌ لا أُحِيرُهَا)

وفَسرَّ الحَوْرَ بعد الكَوْرِ ، بالفسادِ بعد الصلاح . وأصلُه من نَقْضِ العمامة بعد لَفّها .

والمَحَار المرجِع قال الشاعر :

نحـن بنــو عامــرِ بن ذبْيانَ والنَّا   سُ كهَــامٌ محَارُهــم للقبورْ

وقومٌ كَهامٌ أى ضعافٌ ، كَليلُونَ . والمَحْوَرَةُ من المحاورة قال :

لحاجــةِ ذى بَثّ ومَحْــوَرَةٍ له   كفــى رَجْعُهــا من قِصَّــةِ المتكَلمِ

وشاهد الاحْوِرَار قولُ الكُميتِ :

ودامــتْ قُدورُك للسَّاعِيِيْــ   ــنِ فى المَحْــل غَرْغَــرةً واحْوِرَارا

المَحْل الجَدْبُ والغَرْغرة صوت غَلَيَان القُدور واحْوِرارُها بياضُها بالشحم قال الكُميتُ ايضاً :

ومرضوفةٍ لم تُؤْنِ فى الطَّبْخ طاهياً   عَجِلْتُ الى مُحْوَرِهــا حــينِ غَرْغَرا

يريد بياض زَبَد القدْر .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (فانْ خفْتم ان لاتَعْدِلوا فواحدةً أو ماملكَتْ أَيْمانُكم ذلك أَدْنَى أَنْ لاَتَعُولُوا) ؟ قال : معناه أجدرُ أن لاتميلوا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أَمَا سمعتَ قول الشاعر :

إنّـا تَبِعْنـا رسـولَ الله وَاطَّرَحُوا قولَ النبـى وعالـوا فى الموازينِ

قال ابو تراب : الشاعر هو عُبد الله بن الحارث بن قيس السَّهمِىُّ من مهاجِرة الحبشة وكان يُدْعَى المُبْرِق لبيت قاله وهو :

اذا أنـا لم أُبْـرِقْ فلا يَسَعَنَّنى من الأرض بَرٌّ ذو فضـاءٍ ولاَ بحْرُ

أى اذا أنا لم أُلْمع بسيفى مُهَدّداً .

والبيت الشاهد ذكره ابن هشام فى السيرة (ج١ ص ٣٥٤) والزمخشرى فى الأساس وفى تنوير المقباس ص ٥٢ عن ابن عباس بمعنى ان لا تميلوا ولا تجوروا بين اربع من النساء فى القسمة والنفقة .

قال الراغب : العَوْل فيما يُهْلك ويُثْقل ومنه العَوْل تركُ النَّصَفَة بأخذ الزيادة : «أن لاتعولوا » وقوله : «ووجدك عائلا فأغنى» أى أزال عنك فقر النفس .

قال ابو جعفر فى جامع البيان : يعنى بذلك وإن خفتم أن لاتعدلوا فى مَثْنَى أو ثُلاثَ أو رُبَاعَ فنكحتُم واحدةً ، أو خفتم أن لاتعدلوا فى الواحدة فتَسَرَّرتم مِلكِ ايمانكم فهو أدنى يعنى أقربُ أن لاتعولوا أى أن لاتجَوروا ولا تميلوا . يقال : منه عَالَ الرجُل عِيالَةً اذا مال وجار وأمَّا من الحاجة فيقال عال عَيْلَةً قال أُحَيْحة بنُ الجُلاَح :

ومـا يدرى الفقـير متـى غِناهُ ومـا يَدرى الغنـى متـى يَعيْلُ

أى يفتقر وعن عكرمة : (أن لاتعولوا) أى أن لاتميلوا ، أمَا سمعتَ الى قول أبى طالب :

بميـزانِ صدقٍ لايَغُـلُّ شَعيرةً له شاهـد من نفسـه غـيرِ عائِلِ

ويروى ايضاً (بميزان قسْطٍ لايَخُسُّ شعيرةً) .

وفى مجاز القرآن ج ١ ص ١١٧ « ألاّ تعولوا » أى أقرب ان تجوروا تقول : عُلْت على اى جُرْت ومثله فى غريب ابن قتيبة ص ١١٩ وفى معانى الفراء ج ١ ص ٢٥٥ ألا تميلوا وهو فى كلام العرب عال يعول وفى قراءة عبدالله (ولا يعُلْ ان يأتينى بهم جميعا) فى المعنى : ولا يشق عليه أن يأتينى بهم جميعا ، والفقر يقال منه عال يعيل عيلة ، وأنشد قول أحيحة المذكور

وقال جار الله : معنى قوله : «أدنى أن لاتعولوا » أقربُ من أن لاتميلوا من قولهم عال الميزان اذا مال ، وميزانُ فلانٍ عائل .

ورُوى أن أعرابياً حَكَم عليه حاكم فقال له : أتَعُولُ علىَّ ـ يعنى أتجُوْر ؟

ورُوى عن عائشة عن النبى ﷺ : «أن لاتعولوا» أن لاتَجُوروا .

قال أبو تراب : هذا الحديث رواه ابن حِبَّان ، قال ابن أبى حاتم والصواب أنه موقوف والذى يُحكى عن الشافعى أنه فَسرَّ «أن لاتعولوا» أن لاتَكْثُر عيالكم فوَجْهُه أن يجُعل من قولهم عال الرجل عِيالَه ، يَعُولهُم كمانَهُمْ يمُونهم اذا أنْفَق عليهم لأن من كَثُر عيالُه لَزِمَه أن يَعُولَهم ، وفى ذلك مايَصْعَب عليه المحافظة على حدود الورع وكَسْب الحلالِ والرزق الطيِّب . وكلاُم مثلـهِ من أعـلامِ العلـم وأئمـةِ الشرع ، ورؤوسِ المجتهدين حقيقٌ بالحَمْـل على الصّحـة ، وأن لايُظَـنَّ به تحريفُ (تَعِيلوا) الى (تعولوا) وكان الشافعى أعْلىَ كَعْباً ، وأطولَ باعاً فى كلام العرب من أن يخَفى عليه مثل هذا ، وهو حُجَّة فى العربية ولكن للعلماء اساليبَ وطُرُقاً فى التخريج فسلك فى هذا طريقة الكنايات . وقد خَطَّأ ابو بكر الرازى الشافعى ، وردّ عليه الفخر الرازى ردًّا بليغاً .

وفى التفسير الكبير : المختار عند أكثر المفسرين فى معنى : « أن لاتعولوا» أن لاتجوروا ، أو أن لاتميلوا ، قال الوَاحِدِىّ : وكلاَ اللفظين مروىّ ، والاشتقاقات تدل على أن أصلَ اللفظِ المَيْلُ ، ثم اختُصَّ بحسب العُرْف بالميل الى الجَوْر والظلم . وقيل : معناه : لاتفتقروا ، وقد تَقَرر فى أصول الفقه أن المتقدمين اذا ذكروا وجهاً فى التفسير فذلك لايمنع المتأخرين من استنباط الدقائق ، واستخراج

اللطائف القرآنية فى بيانها المُشرِق المُعْجِزِ وقراءةُ طاؤس تؤيّد المعنى الذى ذهب اليه الشافعى ، وهو أنه يعنى أن لايكثر العيالُ ، فيكونوا مشغلةً عن المحافظة على الواجبات .

قال ابو تراب : والعَيْلة هى الحاجة . وفى الحديث : «ما عالَ مُقْتَصِد» وقال لامرأة جعفر بن أبى طالب فى عيالها : أتخافين العَيْلَةَ عليهم وأنا وليُّهم وقال تعالى : « وإن خفْتِمُ عَيْلَةً» وقال عمرو بن كُلثوم :

من عَالَ منّـا بعدهـا فَلاَ انْجَبَرْ ولاسَقَـى الماء ولا رَاءَ الشَّجَرْ

وفى حديث عثمان رضى الله عنه ، كتب الى أهل الكوفة : انّى لست بميزانٍ لا أعُولُ أى لا أميل عن الاستواء والاعتدال . وحكى الكِسائى عن العرب الفصحاء . عَالَ فلان ، اذا كثر عيالُه . قال الأزهرى : وهذا يؤيّد ما ذهب اليه الشافعى وهو نفسه حُجَّة ، وقد خَطَّأه من لاعِلْمَ له بالعربية . وشاهد العَوْل بمعنى قُوتِ العِيال قولُ الكُميت :

كما خامرتْ فى حِضْنِهـا أمُّ عامر لدى الحَبْل حتـى عال أوسُ عِيالَهَا

وأنشد ثعلب فى صفة ذئبٍ وناقةٍ عَقَرها له :

فتركتُهـا لِعيالِـه جَزَراً عَمْـداً وعَلَّـق رحلَهـا صَحْبى

وقال الأعشى :

وكأنمـا تَبـعَ الصُـوارُ بشَخْصِها فَتْخَـاءُ تَرْزُقُ بالسُلىَ عيالَهَا

قال ابو تراب : الصُّوار القطيعُ من البقر . والفَتْخَاءُ الناقةُ التى ارتفعتْ أخلافُها . والسُلىُّ جمع السَّلىَ . وهى الجِلْدَةُ التى يكون فيها الجنينُ فى بطن الأُمّ أمّا عالنى الشىءُ فهو بمعنى غَلَبنى ، وثَقُل علىّ ، قالت الخَنْسَاءُ :

ويَكْفِـى العشـيرةَ ما عَالَهَا وإن كان أصغَرهـم مَوْلِداَ

وقال الكُميتَ :

ومـا أنـا فى ائتـلافِ ابنَـى نِزارٍ بِمَلْبُـوسٍ علىَّ ولا مَعُولِ

وقال النَمُر بن تَوْلَب :

وأحْبِبْ حبيبك حُبًّا رُويداً فليس يَعُولُك أنْ تَصرِمَا

ومن العَيْلَة قول الشاعر :

سلام على يحيى ولا يُرْجَ عنده ولاءٌ وإنْ أزرى بَعيلِه الفقْرُ

وقوم عُيَّلٌ ، وعَالَةٌ ، قال الشاعر :

فتركنَ نَهْداً عُيَّلاً أبناؤهم وبنو كنانة كاللُّصوتِ المُرَّدِ

وعَيَّلَ عِيالَه ، أهْمَلَهم قال :

(لقد عَيَّلَ الأيتامَ طَعْنَةُ ناشِرَهْ)

وقال الباهلى :

نَسْقى قلائِصَنا بماءٍ آجنٍ واذا يقومُ به الحَسيرُ يُعَيَّلُ

ومن المجاز قول بِشرْ :

ولو جاراك أخْضَرُ مُتْلَئِبُّ قُرى نَبْطِ العِراقِ له عِيالُ

يُريد الفراتَ ، والمُتْلَئِبُ المُمْتَدُّ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (فالتقمة الحوت وهو مُليْم) قال : المُسْئُ المُذْنب . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم . أمَا سمعت قول أُمَيَّة بن أبى الصَّلْتِ :

بَريءُ النفسِ ليس لها بأهلٍ ولكنَّ المُسيء هو المُليمُ

وفى ديوان أمية ص ٥٥ « الملوم » وفى تنوير المقباس ص ٢٧٩ : « وهو مليم » يلوم نفسه بمَافَرَّ من قومه .

قال ابو تراب : ذكر الأزهرى فى تهذيب اللغة : ألاَمَ الرجلُ ، فهو مُليم ، اذا أَتى ذنباً يُلام عليه . وقال الفَرَّاء : من العرب من يقول : المَليم بمعنى المَلُوم . وقال

ابو منصور : مَنْ قال : مَليم ، بناه على لِيْمَ ، واللأَمَةُ الأمْر يُلام عليه ، يقال : لاَمَ فلانٌ غيرَ مُليم ، قال لبيد :

سَفَهـاً عَذَلْـتَ ولُمتَ غـيرَ مُليم   وهـداك قبـل اليـوم غـيرُ حكيمِ

يعني : كان عَذْلكُ سَفَهاً ، وغير مُليم هو غيرُ مَنْ أتى بلائمةٍ ، يقال : ألاَمَ الرجلُ اذا أتَى بلائمةٍ .

وقالت أم عُمير بن سلمى الحَنَفى تخاطب ولدها عُميراً ، وكان أسلم أخاه لرجل ٍ كِلابَى له عليه دَمَ ، فقتله ، فعاتبتْه أُمُّه فى ذلك وقالت :

تَعُـدُّ مَعـاذراً لا عُذْرَ فيها   ومَـنْ يَخْـذُلْ أخـاه فقـد ألامَا

وفى المثل : رُبَّ لائم مُليمٌ .

قال المَيْدانُى فى مجمع الأمثال : يعنى أن الذى يلوم المُمْسِكَ هو الذى قد ألاَمَ فى فعلهِ ، لا الحافظُ له ، وقد قال هذا المثل أكْثَم بن صَيْفيَ .

وقال ابن فارس : المُليَم الذى يَستحق اللَّوم .

وقال الزمخشرى : هو مَلُوم ، ومُلَوَّم ، ومُليم ومُسْتليم ، وألاَم ، واستلام ، أى استحق اللَّوْمَ ، واستلام ضيفَه أى لم يحُسنْ اليه قال القَطامىُّ :

ومـن يكنِ استـلام الى ثَوِيَ   فقـد أكرمـتَ يازُفَـرُ المَتَاعَا

أيِ الزادَ ، ومايُمَتّع به الضيفُ .

وقال ابو عُبيدة فى مجاز القرآن ج ٢ ص ١٧٤ : ألاَم فَلانٌ فى أمره ، اذا أتَي أمراً يُلام عليه . وأنشد بيتَ لبيد المذكور .

وقال ابن قتيبة فى تأويل المُشْكِل : المُليم الذى أجْرَم جُرْماً استوجب به اللَّوم ومثله فى كتابه غريب القرآن ص ٣٧٤ .

وقال الزمخشرى فى الكشاف : (مُليم) داخل فى الملامة يقال : رُبَّ لائمٍ مُليم ، أى يلوم غيرَه ، وهو أحَقُّ منه باللَّوم ، وقُرِىء : «مَليم» بفتح الميم ، كما جاء «مَشيب» فى «مَشُوب» .

وفى معانى الفراء ج ٢ ص ٣٩٣ « وهو مليم » وهو الذى قد اكتسب اللوم وان لم يُلَمْ والملوم الذى ليم باللسان وهو مثل قول العرب أصبحت مُحْمِقًا مُعْطشا اى عندك الحمق والعطش وهو كثير فى الكلام .

وفى المفردات : اللوم عذْل الانسان بنسبته الى مافيه لوم ، قال : «فلا تلومونى ولُوموا أنفسكم» وقال : «فذلكنّ الذى لُمْتُنّنى فيه» وقال : « ولا يخافون لومة لائمٍ » وقال : « فانهم غيرُ مَلُومين» فانه ذكر اللوم تنبيهاً على أنه اذا لم يُلاموا لم يُفْعَلْ بهم مافوق اللوم ، وألاَمَ ، استحقَّ اللومَ ، قال : « فنبذناه فى اليَمّ وهو مُليم» والتلاوم أن يلوم بعضُهم بعضا ، قال : « وأقْبَل بعضُهم على بعض يتلاومون» وقوله : «ولا أُقسم بالنفس اللوّامة» قيل : هى النفس التى اكتسبتْ بعضَ الفضيلة ، فتلومُ صاحبَها اذا ارتكب مكروهاً ، فهى دون النفس المُطْمَئِنَّة وقيل : بل هى النفسُ التى قد اْطَمأنَتْ فى ذاتها ، وتَرَشَّحَتْ لتأديبِ غيرِها ، فهى فوق النفس المطمئنّة .

وقال الطبرى : يقول الله تعالى فى هذه الآيات وإنَّ يونُسَ لَمُرْسَلٌ من المرسلين ، الى أقوامهم « إذْ أبَقَ الى الفُلْكِ المَشْحُونْ » أىْ فرَّ الى السفينة المملوءة من الحُمولة ، « فساهَم فكان من المُدْحَضِينْ » أى قارع فكان من المغلوبين « فَالتَقَمَه الحُوتُ وهو مُليمْ » أى فابتلعه ، والمُليم مكتَسِبُ اللّوم ، يقال : قد ألاَمَ الرجل ، إذا أتَى مايُلاَمُ عليه من الأمرِ ، وإن لم يُلَمْ ، كما يقال : أصبحتَ مُحْمَقاً مُعْطَشاً ، أى عندك الحُمْقُ والعَطَشُ ، ومنه قول لبيد : (سَفَهاً عَذَلْتَ ولُمتَ غيرَ مُلِيم) فأمّا الملوم فهو الذى يُلام باللسان ، ويُعْذَل بالقول ، قال مجاهد : « وهو مُليم » أى وهو مُذْنبٌ ، وقال قتادة : يعنى فى صُنْعِه . ثم قال تعالى : « فلولا أنَّه كان من المُسبّحين. لَلَبِثَ فى بَطْنِه الى يوم يُبْعَثون » يعنى لولا أن يونُس كان من المصلّينَ للهِ قبل البَلاءِ الذى ابتُلى بهِ ، من العقوبة بالحَبْسِ فى بطن الحوت لَلَبِثَ فى بطنه الى يوم القيامةِ محبوساً ، ولكنه كان من الذاكرينَ اللهَ ، فأنْقذَهُ ، ونَجّاهُ .

وذكر الفَخْرُ : أن الله سبحانه وتعالى وعد يونس عليه السلام إنزال الاهلاكِ بقومه الذين كذّبوه ، فظَنَّ أنه نازل لا مَحَالَة ، فلأجْلِ هذا الظنّ لم يصبر على دعائهم ، فكان الواجب عليه ان يستمر على الدعاء . لجوازِ أن لا يُهلكَهم اللهً بالعذاب ، وإنْ أنزله ، فلم يكن ذلك تَعمُّدا للمعصية ، ثم انكشف له من بَعْدُ أنَّه أخطأ فى ذلك الظنّ لظهورِ الايمان منهم .

ويقال : انّ يونس كان وعد قومه بالعذاب ، فلمّا تَأْخَّرَ خرج كالمستور عنهم ، فقَصَد البحرَ وركب السفينةَ ، فذلك معنى قوله : « إذْ أبقَ الى الفُلْك » .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أَخْبرنى عن قوله تعالى : « ولقد صَدقَكم الله وَعْدَه إذْ تَحُسُّونهم باذنه » ؟ قال معناه : تقتلونهم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

ومنّا الذى لاقى بسيفِ محمد فَحَسَّ به الأعداءَ عُرْضَ العساكِر

قال أبو تراب : هذا البيت استشهد به الطبرى ، وابو حيّان عند قوله تعالى : « فَجاسُوا خلالَ الديار » والرواية فى تفسيريهما :

(فجاسَ به الأعداءَ عُرْض العساكر)

وهو لحسان بن ثابت الأنصارى ، يشير إلى سيف عُكَّاشَةَ بِبَدْرٍ فقد انقلب الجِذْل الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحَطَب فى يده سيفاً بتَّاراً أو الى السيف الذى أعطاه بحقّه أبادُجَانَة يومَ أُحُدٍ ، فقال : وما حَقُّه ؟ قال : أن تضربَ به حتى يَنْحَنِيَ .

والحَسُّ يأتى بمعنى القتل فى اللغة ، ومن ذلك الحديث : « حُسّوهم بالسيف حَسًّا » وفى الحديث فى الجَراد : « اذا حَسَّه البرد » والحَسيسُ القتيل ، ذكره ابن فارس فى المُجْمَل .

وشاهد الحسيس بمعنى القتيل ، قولُ الأَفْوَهِ الأودى :

نَفْسِي لهم عند انكسار القَنَا وقد تَرَدَّى كلُّ قِرْنٍ حَسِيسْ

ويقال : إن البرد مَحَسَّة للنبات ، ومن هذا الباب : حسَسْتُ الشيء من اللحم ، اذا جعلته على الجمرة ، وتقول الأعراب : إفْعَلْ ذلك قبل حُساسِ الأَيسار ، أىْ قبل أن يُحْسِسُوا مِن جَزورِهم ، أى قبل أن يجعلوا اللحم على النار .

وفى مقاييس اللغة : هذه المادّة تَدُلُّ على غلبة الشيء بقتلٍ أو غيره ، وتدلّ ايضاً على حِكاية صوتٍ عند تَوَجُّعٍ ، وشِبْهِهِ .

ومن الباب الأول قولهُم : أَحْسَسْتُ أى علمتُ بالشيء ، قال الله تعالى : « هل تُحِسُّ منهم من أحدٍ » ، وهذا محمول على قولهم : قتلتُ الشيءَ عِلْماً ، فقد عاد الى الأصل الأول . ويقال للمشاعر الخَمْسِ الحَواسُّ ، وهى اللَّمْسُ والذَّوقُ ، والشَمُّ ، والسمع ، والبصر .

ومن هذا الباب قولهم للذى يَطْرُدُ الجُوعَ بسخائِه حَسْحاسٌ قال :

واذكُرْ حُسيناً فى النَفير وقبلَه حَسَناً وعُتبةَ ذا النَدى الحَسْحَاسَا

ومن الباب الثانى قول العجّاج :

فى معدنِ المُلكِ القديم الكِرْسِ ليس بمقلوعٍ ولا مُنْحَسَ

الكِرْسُ الأصل ، ومنه الحُسَاسُ ، سوءُ الخُلُق .

وفى نوادر أبى زيد (ص ١٧٥) :

رُبَّ شرِيبٍ لك ذى حُسَاسِ شرابُه كالحَزّ بالمَواسِى

المواسى جمع موسى الحلاّقِ ، والشريب كالشرّيب .

ومعنى الآية المذكورة : لقدوَفَى الله لكم أيها المؤمنون بما وعدكم من النصر على عدوّكم بأُحُدٍ حين تَحُسُّونهم ، أى تقتلونهم بحُكْمه وقضائه ، وتسليطه اياكم عليهم .

وفى جامع البيان فى قوله تعالى : « فلما أحَسَّ عيسى منهم الكفر » أى فلمّا وَجَد ، والاحساسُ هو الوجود ، ومنه قوله تعالى : « هل تُحِسُّ منهم من أحَد » .

فأمّا الحَسُّ بغير ألف فهو الافناء ، والقتل ، ومنه قولـه : « إذ تَحُسُّونهـم باذنه » والحَسُّ ايضاً العطف والرِقّة ، ومنه قول الكميت :

هل مَنْ بَكَى الـدارَ راجٍ ان تَحِسَّ له
أو يُبـكِىَ الـدارَ ماءُ العَبْـرَةِ الخَضِلُ

يعنى بقوله : « أن تَحِسَّ له » أن تَرِقَّ له .

قال أبو تراب : الخَضِل المتتابع الكثير الهُمول ، يعنى هل تَرِقُّ لِمَنْ بَكَى على الأطلال أمْ تبكى لبكائه ؟ وذكره الفرّاء فى معانى القرآن (ج ١ ص ٢١٧) وثعلبٌ فى المجالس (ص ٤٨٦) وابـنُ السِكّيـت فى إصـلاح المنطـق (ص ٢٤٠) .

وفى تفسير قوله تعالى : « فجاسوا خلال الديار » قال الطبرى : كان بعضُ أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : معنى جاسوا قتلوا ، واستشهد بقول حسّانَ المذكور ، وجائزٌ أن يكون معناه : فجاسوا خلالَ الديار ، فقتلوهم ، ذاهبين وجائين .

قال أبو تراب : والذى فسرَّ (جاسوا) بـ (قتلوا) هو أبو عبيدة من أئمةِ البصرة ، وتفسيره عمدةُ البخارى فى صحيحه ، كصحيفة على بن ابى طلحة ، وفَسرَّ ابن عباس (جاسوا) أى تَيمَّمُوا ، وفى كتاب أبى عبيدة ج ١ ص ١٠٤ فى قوله تعالى : « إذْ تَحُسُّونهم » أىْ تَسْتأْصِلُونهم قتلا ، يقال : حَسَسْناهم من عند آخرهم ، أى استَأْصَلْنَاهم ، قال رُؤْبَةُ :

اذا شكونـا سَنَـةً حَسُوسَا تأكل بعـد الأخضر اليَبِيْسَا

قال أبو تراب : هذا البيت ذكره القُرطبى فى تفسيره (ج ٤ ص ٢٣٥) .

وفى ج ٢ ص ٣٥ من المجاز لأبى عبيدة : « فلما أحسوا بأسنا أى لقوه

ورأوه ، يقال : هل حسست فلانا أى هل وجدته ورأيته ولقيته ويقال : هل أحسست منى ضعفا ، وهل أحسست من نفسك بُرءا قال الشاعر :

أَحَسْنَ به فهن اليه شوسُ

وأنشده الفراء فى المعانى ج ١ ص ٢١٧ لأبى زبيد (حَسِينَ به) الخ .. قال : يبدلون من السين ياء وانظر غريب ابن قتيبة ص ١١٣ ..

وشاهد الحَسّ بمعنى الافناء ، قول أوْسٍ :

فما جَبُنُوا أنـا نَشُدُ عليهمو ولكن لَقُوا ناراً تحُسُ وتَسْفَعُ

وكُسَارة الحجارة الصغار حُسَاسٌ ، قال الراجز يذكر حجارة المِنْجنِيق :

شَظِيَّةٌ من رَفْضَةِ الحُسَاسِ تَعْصِفُ بالمُسْتَلْئِم التَرّاسِ

المستلئم لابُس اللأْمَةِ للحرب ، والتَرَّاسُ صاحب التُرسِ والرَّفْضة الرمية .

وفى كتاب النظائر للدَّامَغَانَى ص ١٢٩ : هذه المادة فى القرآن على أربعة مَعانٍ . الأول : الرؤيةُ ، قال تعالى : « فلما أحَسَّ عيسى منهم الكفر » أى رأى ، كقوله : « فلما أحَسُّوا بأسَنا » أى رأوا عذابنا .

والثانى : القَتْلُ قال : « إذْ تَحُسُّونهم » أىْ تقتلونهم .

والثالث : البحث ، قال : « فتَحسَّسُوا من يوسف » يعنى ابحثوا عنه .

والرابع : الصوت ، قال تعالى : « لايَسمعون حَسِيْسَها » يعنى لايسمعون صوتَ جهنم .. وانظر هذه المعانى فى نزهة الأعين ج١ ص ١٣٦ وقال ابو عبيدة ج ٢ ص ٤٢ الحسيس والحس واحد ، وأنشد قول عبيد بن الابرص :

فاشتال وارتاع من حسيسها وفعلَه يفعل المذؤوب

قال أبو تراب : يعنى حركة التَلَهُّبِ ، والحَسِيسُ عامٌ فى الأشياء ، قال فى صفةِ بازٍ :

تَرى الطيرَ العِتاق يَظَلْنَ منه جُنوحاً إنْ سَمِعْنَ له حَسِيسَا

قال أبو تراب : أصله يَظْلَلنَ ، كما تقول : ظلت كلَسْتُ ، وظِلْتُ كمِلْتُ ،

قال المتنبى :

فلما التقينــا والنــوى ورقيبُنا غفـولان عنّـا ظَلْـتُ أبـكى وتَبْسِمُ
فلـم أر بدراً ضاحـكا قبـل وجهها ولــم ترَ قبلى ميتــاً يتكلم

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « واذا قيل لهم اتَّبِعوا ماأنزل الله قالوا : بل نَتَّبِعُ ماألْفَيْنَا عليه آباءنا » ؟ قال : ألفينا يعنى : وجدنا قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول نابغة بنى ذُبْيَان :

فحسَّبُــوه فألْفُــوه كما زعمتْ تسعـا وتسعـين لم تَنْقُصْ ولـم تَزِدِ

قال أبو تراب : هذا البيت فى كتاب رغبة الآمل (ج ١ ص ٦٣) وخلاصة المنشآت السنية (ج ٣ ص ١٠٢) وهو فى ديوانه (ص ٣٠) يذكر فيه قصة زرقاءِ اليمامة حين رأت الحمام .

قال الطبرى : ومعنى الآية : اذا قيل لهؤلاء الكفّار : كلوا مما أحلّ الله لكم ودعوا خُطُوات الشيطان وطريقَه ، واعملوا بما أنزل الله على نبيه ﷺ استكبروا عن الاذعان للحق .. وقالوا : بل نَأْتَمُّ بآبائنا فنَتَّبِعُ ماوجدناهم عليه من تحليل ماكانوا يحِلُّون ، وتحريم ماكانوا يحُرِّمون .

ومن شواهد : « ألفينا » بمعنى (وجدنا) قول أبى الأسود الدئلى وهو فى كتاب سيبويه ج ١ ص ٨٥ وأمالى ابن الشجرى ج ١ ص ٢٨٣ وكتاب الصداقة لأبى حيان ص ١٥١ والخزانة للبغدادى ج ٤ ص ٥٥٤ والأغانى لأبى الفرج ج١١ ص ١٠٧ :

أُريتُ امْــرَءا كنــتُ لم أَبْلُهُ أتانــى فقــال اتّخَذْنــى خليلا
فخالَلْتُــه ثم صافيتُه فلــم أستَفِــد من لَدُنْــهُ فتيلا

وألفيتُــه حــين جَرَّبتُه كذوبَ الحــديث سروقــاً بخيلا
فذكَرْتُــه ثم عاتبته عتابــا رفيقــا وقــولا جميلا
فألفيتُــه غــير مستعتبٍ ولا ذاكر الله الاّ قليلا
ألســتُ حقيقــاً بتوديعه وإتبــاع ذلك صرمــاً طويلا

ولهذه الأبيات قصة فى طلاق زوجته مذكورة فى كتب الأدب .

وذكر ابو عبيدة فى المجاز ج ١ ص ٣٠٧ فى سورة يوسف : « وأَلْفَيا سيدها لدى الباب » أى وجدا ، وذكر بيت النابغة ، وهو فى شرح المفُضَّل لابن يعيش ج ١ ص ١٦٨ ، وشواهد المغنى (ص ٣١٦) وغيرها . وانظر معناه فى غريب ابن قتيبة ص ٢٨ ومعانى الفراء ج ٢ ص ٤١ ..

قال أبو تراب : هذه المادّة تدل على انكشاف شيء وكشفه ، فمن أَلْفَى شيئا فقد كشفه فانكشف ، فاذا كان معنى قوله : « ألفينا » وجدنا ، فواجدُ الشيء كاشف له ، وفى حديث عائشة رضى الله عنهـا : « ماأَلْفـاه السَحَـر عنـدى الاّ نائماً » أى ماأَتَى عليه السَحَرُ الاّ وهو نائم تعنى بعد صلاة الليل ، لأن صلاةَ التهجد كانت فريضة عليه ﷺ خاصة به .

والتلافى هو التدارُك كما أنشد ابن الأعرابى :

يُخَبِّرنـــى أنـــى به ذو قرابةٍ وأَنْبَأْتُــهُ أنـــى به مُتَلاَفِى

وقال : معناه أنّى لأُدْرِكُ به ثأرى .

وفى الحديث : لا أُلْفِينَّ أَحَدكم متكئاً على أريكته الى آخره ، أى لاأجد .

ويقال : ألفيت الشيء أُلْفِيه إلفاءً اذا وجدته وصادفته ولقيتَه .

قال الجوهرى : واللَّفاءُ الخسيسُ من كل شيء ، وكل شيء يسيرٍ حقيرٍ فهو لَفَاءٌ ، قال أبو زُبيد :

ومـاأنـــا بالضــعيف فتَظلمونى ولا حَظّــى اللَّفَــاءُ ولا الخسيسُ

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « فمن خاف من موصٍ جَنَفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه » ؟ قال : الجَنَف الجَوْر والمَيْل في الوصية ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ عَدِيَّ بن زيد إذْ يقول :

وأُمُّك يانُعمانُ في أخواتِها تأتيه مايأتينه جَنَفا

قال الراغب : أصل الجَنَف الميل في الحكم ظاهرا ، وعلى هذا : « غيرَ مُتَجانِفٍ لاثْمٍ » أيْ مائلٍ اليه .

وقال الطبري : الجَنَف الجَوْر والعدول عن الحق في كلام العرب ومنه قول الشاعر -

قال ابو تراب : وهو عامر الخَصَفي ، وقد ذكره أبوعُبيدة ج ٦٦/١ وابن قُتيبة :

هُمُ المَوْلَى وإنْ جَنَفُوا علينا وإنَّا من لقائِهِمُ لَزُوْرُ

ذكره في كتاب القُرْطَيْنْ (ج ١ ص ١٥) والقرطبي (ج ٢ ص ٢٦٩) وانظر غريب ابن قتيبة ص ٧٣ ومعاني القرآن للفراء ج ١ ص ١١١ ، وقال ابو عبيدة ج ١ ص ١٥٣ « غير متجانف لاثم » أي غير متعوج مائل اليه وكل متحرف وكل اعوج فهو أجنف .

يقال : منه جَنَف الرجل على صاحبه ، اذا مال عليه وجَارَ ، فمعنى الكلام : من خاف من مُوصٍ جَنَفاً له بموضِع الوصية ، وميلاً عن الصواب فيها وجَوْراً عن القَصْد أو إثما يتعمَّده ذلك على عِلْمٍ منه بخطأ مايأتى من ذلك ، فأصلح بينهم فلا إثم عليه .

قال أبو تراب : وشاهد الجَنَف بمعنى المَيْل قولُ الأغْلب :

فَبصُرَتْ بناشِيءٍ فَتِيَ غِرِّ جُنَافِيٍّ جميلِ الزِيِّ

الجُنَافِيُّ الذى يتجانف في مِشْيَتِه فيَختال فيها .

قال الزَجّاج : « فمن خاف من مُوصٍ جَنَفا » أى ميلا ، وقول ابى العيال :

ألاَ درأتَ الخَصْم حين رأيتهم جنفا علىّ بألْسُنٍ وعيونِ

كأنه قال : ذوى جَنَفٍ ، وقوله تعالى : « فمن اضْطُرَّ فى مَخْمَصةٍ غيرَ متجانفٍ لاِثْمٍ » أى متمايل متعمد ، قال الأعشى :

تَجانَفُ عن جَوّ اليمامة ناقتى وماعَدَلَتْ من أهلها لِسوائِكا

ذكره فى الخزانة (ج ٢ ص ٥٩) والانصاف (ص ١٨٥) .

ومن شواهد الجَنَف قول لبيد بن ربيعة العامرى :

إنى امرؤ مَنَعَتْ أُرومُة عامرٍ ضَيمى وقد جَنَفَتْ علىّ خصومى

وقد أجْنَفَ الرجل أى جاء بالجَنَف ، قال أبو كبير :

ولقد نُقيم اذا الخصومُ تناقدوا أحلامَهم صَعَرَ الخَصيمِ المُجْنِفِ

وشاهد هذه المادّة من قول عامرِ الخَصَفى المتقدّم ذَكَره القُرطبى وصاحب القُرْطَين .

ومن هذا الباب قولُهم : رجلٌ أجنَفُ ، وهو المُتزاور المائل فى أحَدِ شِقَّيْهِ وقَدَحٌ أجْنَفُ . قال عَدىّ بن الرِقَاع :

وبَكَرَ العَبْدانِ بالمِخْلَبِ الأجْنَفِ فيها حتى يَمُجَ السقاءُ

وقال الليث : الجَنَف شبيهٌ بالحَيْف . الاّ أن الحَيْفَ من الحاكم خاصةً ، والجَنَفُ عامٌ . قال الأزهرى : وهذا خطأ ، فالحَيْفُ أيضاً مِنْ كل مَنْ حَافَ ، أى جَارَ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ولقد أرسلنا الى أُمَمٍ من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضَرَّاءِ لعلهم يَتَضَرَّعُون » ؟

قال : البأساءُ الخِصْب ، والضَرَّاء الجَدْبُ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟
قال : نعم ، أما سمعت قولَ زيد بن عمرو :

إنَّ الالــه عزيــزٌ واســعٌ حَكَمٌ　　بكفّــه الضرُّ والبَأْسَــاءُ والنِعَمُ

قال أبو تراب : مادة الضرّر فى القرآن جاءت بمعنى البلاء والشدة كما فى قوله تعالى : « والصابرين فى البأساء والضراء » يعنى الشدة والبلاء ، ونظيرُها قوله : « مَسَّتْهم البَأسَاء والضَرّاءُ » وقوله : « وإنْ يَمسَسْك الله بِضرٍّ » وقوله : « الذين ينفقون فى السرَاء والضرَاء » يعنى فى كل ذلك الشدةَ والبلاء.

وجاءت هذه المادّة فى القرآن بمعنى القَحْـطِ كقولـه تعـالى : « فأخذناهـم بالبأساء والضرّاء » ونظيرُها فى سورة الروم .

وجاءت ايضاً بمعنى الأهوال كقوله تعالى : « واذا مَسَّ الانسان الضرُّ » يعنى المرضَ ، وقال : « فلما كشفنا عنه ضُرَّه » أى مرضَه ، ونظيرها قوله : « أنّـى مَسَّنِى الضرُّ » يعنى مرضَه الذى اصيب به فى جسده .

وجاءت ايضاً بمعنى النقص ، كقولـه تعـالى : « ومايَضرُّونـك من شىء » يعنى : ومايَنْقُصُونك ، ونظيرها قوله : « فلن يَضرُّ الله شيئا » يعنى لن يَنْقُصَ الله شيئا .

وجاءت بمعنى الجوع كقوله تعالى فى سورة يوسف : « مَسَّنا وأهلنا الضرُّ » يعنى الجوع .

وجاءت ايضا بمعنى الضرّ بعينه ، وهو الأذى ، كقوله تعالى : « هل يسمعون إذْ تَدعونهم ، أو يَنفعونكم أو يَضرُّون » ذَكر هذه الوجوه الفقيه الدامَغانى فى الوجوه والنظائر ص ٢٨٩ وابن الجوزى فى نزهة الأعين والنواظر ج ٢ ص ٢٠

قال أبو تراب : ولم أجد فى شىء من المعاجم اللغوية ولا كتب التفسـير البَأْسَاء بمعنى الخِصْبِ ، وقد فسر الطبرى البأساء بشدة الحاجةِ ، والضيق فى المعيشة ، وأظن انّ هذا التفسير هو بما يؤول اليه الأمر ، لأن البأسـاءَ اسـم

للحرب ، وهى تعود بالخير والخِصْبِ للمُنْتَصرِ فيها ، والله أعلم . وأنظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ج ١ ص ١٩١ و ص ٢٣١ وأنشد لذى الأصبع العدوانى وأنشده الطبرى أيضاً :

أأن رأيــت بنــى أبيك مجمَحــين اليــك شوسا
حنقــا علىَ وما ترى لى فيهمــو أثــرا بئيسا

وانظر أيضاً معناه فى غريب ابن قتيبة ص ١٥٣ .

وأمَّا الضرّاء فقد قال الراغب فيها : الضرُّ سوء الحال ، إمّا فى نفسِه لقلّة العلم والفضلِ والعِفّة ، وإمّا فى بدنِه لعدم جارحةٍ ونَقْصٍ ، وإمّا فى حالةٍ ظاهرة من قِلّةِ مالٍ وجاهٍ ، وقوله تعالى : فكشفنا مابه من ضُرّ » مُحْتَمِلٌ لِثلاثتِها ، وقوله : « واذا مَسَّ الانسانَ الضرُّ » وقوله : « فلما كشَفْنا عنه ضرَّه مَرّ كأن لم يَدْعُنَا الى ضُرّ مَسَّهُ » مثله وقوله : « لن يَضرُّوكم الاّ أذىً » يُنَبّهم على قلّةِ ماينالهم من جهنم ، ويؤمّنهم من ضرر يلحقهم ، نَحْو : « لايَضرُّكم كيدُهم شيئا » « وليس بضارّهم شيئا » « وماهم بضارّين به من أحَدٍ الاّ باذن الله » .

وقال تعالى : « ويتعلمون مايَضرُّهم ولاينفعهم » وقال : « يَدْعو مِنْ دون الله مالايضُرُّه ولاينفعه » وقوله : « يدعو لَمَنْ ضَرُّه أقربُ من نفعه » فالأولُ يعنى به الضرَّ والنفع اللذين بالقَصْد والارادة تنبيهاً على انه لايَقْصُد فى ذلك ضرًا ولا نفعاً لكونه جَماداً ، وفى الثانى يُريد ما يتولَّد من الاستعانة به ، ومن عبادته ، لا مايكونُ منه بقصدِه ، والضرّاءُ تُقابَلُ بالسرّاءِ والنَعماءِ ، والضرُّ بالنفع ، قال تعالى : « ولئن أذَقْناه نَعْماءَ بعد ضرّاءَ » وقال : « ولايملكون لأنفسهم ضرّاً ولانفعا » والضَرَر المُضارُ ، قال : « ولا تُضارُّوهُنَّ » وقال : « ولايُضارَّ كاتب ولاشهيد » وقال : « لا تُضارَّ والدةٌ بولدها » .

والاضرار حَمْلُ الانسان على مايَضرُّه ، وهو فى التعارُفِ حَمْلُه على أمرٍ يكرهه ، وذلك على ضَرْبَين ، أحدهما : إضرارٌ بسببٍ خارج كمَنْ يَضرِب أو يهدّدُ

حتى يفعل مُنْقاداً ، ويؤخذَ قهْراً ، فيُحمل على ذلك كما قال : « ثم أَضْطَرُّهُ الى عذاب النار » وقال : « ثم نَضْطَرُّهم الى عذابٍ غليظ » .

والثانى بسببٍ داخل ، وذلك إمّا بقَهرِ قوةٍ له لاينالُه بدَفْعها هلاك كمَنْ غَلَب عليه شهوةُ خمرٍ أو قِمارٍ ، وإمّا بقَهْرِ قوةٍ يناله بدفعها الهلاك كمن اشتدّ به الجُوع فاضْطُرَّ الى أكلِ مَيْتَةٍ .

وعلى هذا قوله تعالى : « فمنِ اضْطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ » وقوله : « فمن اضْطُرَّ فى مَخْمَصَةٍ » أمّا قوله : « أَمَّنْ يُجيبُ المُضْطَرَّ اذا دَعَاه ويكشفُ السوءَ أإلَهٌ مع الله » ؟ فهو عام فى كل ذلك .

قال أبو تراب : وشاهد الضرّ بمعنى سوء الحال قولُ عدىّ بن زيدٍ العَبَّادىّ :

وخِلالَ الأضرِّ جَمٌّ من العَيْشِ يُعَفّى كلومَهنَّ البواقى

والأضرُّ جمع الضُرُّ ، وأنشد ثعلب :

مُحَلَّى بأطواقٍ عتاقٍ يُبينُها على الضرّ راعى الضأْنِ لو يَتَقَّوفُ

عَبَّر به عن سوء حاله فى الجهل ، وقلة التمييز ، يقول : كَرَمُه ، وجُودُهُ ، يَبِينُ لِمَنْ لايَفهمُ الخيرَ فكيف بمَنْ يفهم .

وقال ابن عَرَفة فى تفسيره لقوله تعالى : « غيرِ أُولى الضَرَرِ » أى غيرِ مَنْ به عِلَّةٌ تَضرُّه ، وتَقطَعه عن الجهاد ، يعنى لايستوى القاعدون والمجاهدون الاّ أُولو الضَّرَرِ ، فانهم يُساوُون المجاهدين .

قال أبو تراب : والاسم من الاضطرار : الضَرَّةُ ، قال دُريد بن الصِمَّة :

وتُخْرَجُ منه ضَرَّةُ القومِ مَصْدَقاً وطولُ السرُّى دُرّىَّ عَضْبٍ مُهَنَّدِ

أى تَلألُؤ عَضْبٍ يريد فِرِنْد السيفِ ، لأنّه يُشَبَّه بمدَبّ النَمْل .

وسُئل ابو الهيثم عن قول الأعشى :

(ثم وصَلْتُ ضَرَّةً بِرَبيعِ)

قال : شدة الحال .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « قال : آيتك أن لاتُكلّم الناس ثلاثة أيام الاّ رَمْزا » قال : الرَمْزُ الاشارة باليَدِ والوَماُ بالرأس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول الشاعر :

مافى السماء من الرحمن مُرْتَمَزُ الاّ اليه ومافى الأرض من وَزَرِ

قال ابن جرير : أمّا الرَمْز فانَ الأغلبَ من معانيه عند العرب الايماء بالشفتَينْ ، وقد يستعمل فى الايماء بالحاجِبَينْ والعينين أحيانا ، وذلك غيرُ كثير فيهم ، وقد يقال للخفيّ من الكلام الذى هو مِثْلُ الهَمْس بِخَفْضِ الصوتِ ، الرَمْزُ ومنه قول جُوَيَّة بن عائذ :

وكان تكلُّمُ الأبطالِ رمزاً وهَمْهَمَةً لهم مثل الهَديرِ

ويقال : ضربه ضربةً فارتمز منها ، أى اضطرب للموت ، قال الشاعر :

(خَرَرْتُ منها لِقَفاىَ أرْتَمِزْ)

وقد اختلف العلماء فى المعنى المراد فى الآية المذكورة فقال بعضهم : عَنَى بذلك تحريكا بالشفتَينْ من غيرِ أن تَرْمِزَ بلسانِك الكلاَمَ ، وقال آخرون : بل عنَى بذلك الايماء والاشارة .

وقال الامام ابو عبيدة فى تفسيره (ج ١ ص ٩٣) : « الاّ رمْزاً » أى باللسان من غير ان يُبِينَ ، ويخَفض بالصوتِ مثلَ هَمْسٍ .

وقال ابن قتيبة فى تأويل المُشْكِل (ص ٣٧٣) : الرمزُ تحريك الشفتَينْ او الحاجبَينْ او العينَينْ ، ولايكون كتاباً .

وقال فى الغريب ص ١٠٥ أى وحيا وايماءً باللسان أو باليد أو بالحاجب .

قال الفراء فى المعانى ج١ ص ٢١٣ : وأكثره فى الشفتين .

وقال الراغب فى المفردات (ص ٢٠٣) : الرمز إشارة بالشَفة ، والصوتُ الخفيُّ ، والغَمْز بالحاجب ، وعُبّر عن كل كلام كاشارة بالرمز كما عُبّر عن الشكاية بالغمز .

وقال ابن القطّاع فى كتاب الأفعال (ج ٢ ص ٣١) : رَمَزَ الانسان ، اشار بعين أو حاجب .

وقال ابن فارس فى المقاييس (ج ٢ ص ٤٣٩) : الرمز يدل على حركة واضطراب ، ومنه الراموز ، بمعنى البحر فى لغة هُذَيلٍ ـ قلت : ذلك لتموُّجه ـ قال : وكتيبةٌ رمّازةٌ تموجُ من نواحيها .

قال أبو تراب : ومن شواهده قول الأخطل التغلبىّ :

أحاديثُ سَدَّاها ابنُ حَدْرَاءَ فَرْقَدٌ ورَمَّازَةٍ مالَتْ لِمَنْ يَسْتَمِيلُها

وإبلٌ مراميز ، كثيرة التحرك ، وأنشد ابن الأعرابىّ :

(سَلاَجِمُ الأَلْحِىْ مَراميزُ الهَامْ) الألْحِىْ جَمْعُ اللَّحْىِ ، وهو عَظْمُ الحَنَكِ الذى عليه الأسنان . والسَّلاَجِمُ الطويلة ، والترمُّزُ فى اللغة ، الحَزْم ، والتحرك ، وأنشد ابن الانبارى :

يُريح بعد الجِدّ والترميز إراحة الجِداية النَّفوزِ

قال ابو تراب : الجِداية ، الغزالةُ ، والنَّفوزُ الواثبة الطافرة بقوائمها ، ويقال : رمز فلان غنمه وإبله ، أى لم يَرْضَ رِعْيَةَ راعيها ، فحوّلَها الى راعٍ آخَرَ ، أنشد ابن الأعرابىّ :

إنا وجدنا ناقة العَجوزِ خيرَ النياقاتِ على الترميزِ

قال الزمخشرى فى الكشاف : « الاّ رمزاً » أى إشارة بيد ، أو رأسٍ ، أو غيرها ، وأصلُه التحرُّكِ ، يقال : يقال : ارْتَمَزَ اذا تَحَرَّكَ .

وقال فى الأساس : كَلَّمه رمزاً بشفتيه ، وحاجبَيْه ، ويقال : دخلت عليهم فتغامزوا وترامزوا ، ونَبَّهْتُه فما ارتمز .

وجارية غمّازة بيدها ، همّازة بعينها ، لمّازة بفمها ، رمّازة بحاجبها ، وتقول : شتان بين منازلة الرُّمَّازة ، ومغازلة الرَّمَّازة .

قال الزمخشرى : وماقصرَ مُزَرِّدٌ فى التشبيه اذ يقول :

اذا شفتاهُ ذاقتا حَرَّ طَعْمِه تَرَمَّزَتا للجوع كالاِسْكِ الشُّعْرِ

وقال الطِرمّاح :

اذا مارآه الكاشحون تَرَمَّزوا حِذاراً وأوْمَوا كلُّهم بالأناملِ

وشاهدُ الكتيبةِ الرَمَّازة قول ساعدة بن جُؤَية :

تحميهمو شهباءُ ذات قوانسٍ رَمَّازةٌ تأبى لهم أن يُحْرَبُوا

القوانس بَيْضات الحديد ، و (أن يحربوا) أن يُسْلَبُوا .

وفى لسان العرب : الرمز تصويت خفىّ باللسان كالهَمْسِ ، ويكون تحريكَ الشَفَتَينِ بكلام غيرِ مفهومٍ باللفظ ، من غير إبانةٍ بصوتٍ ، انما هو إشارة بالشفتين . وقيل : الرمز إشارة وإيماء بالحاجِبَينْ والعَيْنَينْ والشفتين والفم ، والرمزُ فى اللغة كلُّ ماأشرت اليه مّما يُبَانُ بلفظٍ بأىّ شىء أشرت اليه بيد أو بعَينٍ .

والخلاصة ان زكريا عليه السلام لفرط سروره بما بُشرَ به ، وثقته بكرم ربه ، وانعامه عليه ، أَحَبَّ ان يجعل الله له علامةً تدُله على حصول المرام فجعل حَبْسَ لسانه ثلاثة أيام علامة ، فلم يَقْدِر على ان يُكلّم الناسَ الاّ رمزاً مع قدرته على الذكر والتسبيح والتهليل ، ليكون فى تلك المدّة مشتغلا بذكر الله تعالى وبالطاعة والشكر على تلك النعمة الجسيمة ، وكانت قدرته على التسبيح والذكر ، وعَجْزه عن التكلُّم بأمور الدنيا من اعظم المعجزات .

وقيل : انه كان مأموراً بأن لايتكلم مع الخلق ، ويكونَ مشتغلا بذكر الله ، مُعْرِضا عن الدنيا ، شاكرا على إعطائه إيّاه هذه الهِبَةَ ، فاذا عَنَّت له حاجة دلَّ عليها بالرمز ، فكأن زكريا عليه السلام أُمر بالسكوتِ واستحضار معانى الذكر ، لذلك قال : « واذكر ربك كثيرا وسَبّحْ بالعَشِّى والابكار » . وعن قتادة : انما كان عقوبة عوقب بها اذ سأل الآية بعد مشافهة الملائكة اياه بما بشر به كما فى الطبرى ج ٦ ص ٣٨٦ .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فمن زُحْزِح عن النار وأُدخل الجنةَ فقد فاز » ؟

قال : فاز أى سَعِد ونجا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عبدالله بن رواحة :

وعسى أن أفوزَ ثم أُلَقَّى حُجَّةً أتَّقِى بها الفَتَّانا

قال الراغب : الفوز الظَّفر بالخير مع حصول السلامة .

قال تعالى : « ذلك هو الفوز الكبير » وقال : « فاز فوزا عظيما » وقال : « ذلك هو الفوز المبين » وقال : « اولئك هم الفائزون » .

وقوله : « فلا تَحْسَبَنَّهم بمَفازةٍ من العذاب » المَفازة مَصْدرُ (فاز والاسم (الفوزُ) أى لاتحسبنّهم يفوزون ويتخلّصون من العذاب وقوله : « إن للمتقين مفازا » أى فوزا .

وفى فتح البارى للحافظ ابن حجر (ج ٨ ص ٤٢٣) عن أبى عبيدة فى قوله تعالى :

« ويُنَجّى الله الذين اتقوا بمفازاتهم » أى بِنَجاتِهم ، من (الفوز) .

وفى كتاب أبى عبيدة (ج ١ ص ١١١) فى قوله تعالى : « بمفازة من العذاب) أى تَزَحزُحٍ ، زَحْزَحٍ بعيدٍ .

وفى المفردات : قيل : سُمَيت المفازة تفاؤلا للفوز ، وسميت بذلك اذا وُصِلَ بها الى الفوز ، فان القَفْر كما يكون سببا للهلاك فقد يكون سببا للفوز ، فيُسَمَّى بكل واحد منهما حَسْبَما يُتَصَوَّر منه ، ويَعْرِضُ فيه .

وقال بعضهم : سُميت مفازة من قولهم : فَوَّزَ الرجل اذا هلك ، فانْ يكن (فَوَّز) بمعنى هلك صحيحا فذلك راجع الى الفَوْزِ تصورا لِمَنْ مات بأنه نجا من حِبالة الدنيا ، فالموت وان كان من وَجْهٍ هُلْكاً فمن وَجْهٍ فَوْزٌ ولذلك قيل : ماأَحَدٌ الاّ والموت خير له ، هذا اذا اعتبر بحال الدنيا ، فأمّا اذا اعتُبر بحال الآخرة فيما يَصِل اليه من النعيم فهو الفوز الكبير .

وقال ابن فارس : الفاء والواو والزاى كلمتان متضادتان ، فالأولى النجاة ، والأخرى الهَلَكة ، ويقال : لِمَنْ ظَفِر بخير : قد فاز ، وفَوَّزَ الرجل (اذا مات) ، قال الكُميت :

فما ضَرَّهــا أن كعبــا ثَوىَ وفَــوَّزَ من بعــده جَرْوَلُ

وفى رواية : (ثوى) بدل (توى) والمعنى واحد الاّ أنه أُجْرى (توى) مُجْرى (ثَوَى) والأصل (تَوِىَ يَتْوَى) كقَوِىَ يَقْوَى .

واختلف فى المفازة فقــال قوم : سُمَيت بذلك تفــاؤلا لراكبهــا بالسلامــةِ والنجاة ، واستشهدوا بقوله تعالى : « بمفازة من العذاب » وقال آخرون : هى من الهلاك .

وفى كتاب الأمثال للميدانى ، ومعجم البلدان لياقوت قصة رافع الطائــى دَليل خالد بن الوليد فى السَيرْ فى بَرِيّة الشام وهى السَّماوَةُ من موضع قُراقر الى موضع سُوَى ، وبينهما خمسُ ليال ، قال حَسَّان كما فى أساس البلاغة ونسبه فى اللسان (ج ١٩ ص ١٤٤) الى خالد بن الوليد :

لله دَرُّ رافــعٍ أنَّــى اْهتَدىَ فَوَّزَ من قُراقــرٍ الى سُوَى

وذكره الطَّبرى فى تاريخ الأمم (ج ٤ ص ٤٥) .

وفى أساس البلاغة : طوبى لمن فاز بالثواب وفاز من العقاب أى : ظَفِر ونجا ، وهو بمفَازة من العذاب ، أى بِمَنْجَاةٍ منه ، وتقول : ضربوا الفازات ، أى الفساطيط ، وتلك الفازة ، فيها المَفَازةْ ، يعنى المَفْلَحَة ، وفَــوَّز المسافــر : ركب المَفَازة ، ومَضَى فيها .

قال الزمخشرى ويقال : فَوَّز الرجل ، أى مات فصار فى مفازة مابين الدنيا والآخرة ، من البَرْزَخ الممدود ، أو لأن المفازة صارت اسماً للهَلَكة ، فأُخذ منها (فَوَّز) بمعنى هلك ، وفاز بفائزة أى بجائزة .

قال أبو تراب : وكانوا يقولون : فاز سَهْمُ فلانٍ اذا أصاب ، قال الطِرِمّاحُ يذكر ذلك :

وابْـنُ سبيـلٍ قَرَيْتُـه أُصُلاً   من فَوْزِ قِدْحٍ مَنْسُوبـةٍ تُلُدُهْ

قَرَيْته أى ضَيَّفْتُه ، والأُصُل جمع أصيلٍ ، وهو وقتُ مابعد العَصرِ . والقِدْحُ السهم ، والتُلُدُ جمع تالدٍ وهو خلاف الطارف .

وشاهد (فَوَّزَ) بمعنى هَلَك قول كعب بن زهير :

فمَـنْ للقـوافى شانهـا من يحَوكُها   اذا ماتَـوَى كعـب وفَـوَّزَ جَرْوَلُ

يقـول فلا يَعْيَـى بشىء يقوله   ومِـنْ قائليهـا من يُسىء ويَعْمَلُ

شانَها ، أى جاء بها شائنة مَعِيْبَةً ، وتَـوَى أى مات ، وجَـرْولٌ يعنـى به الحُطيئةَ ، وتَفَوَّز أى خرج من أرض الى أرض ، قال النابغة الجَعْدى :

ضَلالٌ خَوِىٌ إذْ تَفَـوَّز عن حِمىً   لِيَشْرَبَ غِبًـا بالنِبّـاجِ ونَبْتَلا

النِبَاجُ ونَبْتَلُ موضعان ذكرهما ياقوت .

قال ابن منظور : الفوز النجاء ، والظَفَر بالأمنية والخير ، وقوله عز وجل : « إنَّ للمتقين مفازا ، حدائق وأعنابا » انما اراد موجبات مفاوزَ . ولايجوز ان يكون المَفَازُ هنا اسمَ الموضع ، لأن الحدائق والأعناب لَسْنَ مواضع .

وقال الفَرَّاء فى معانى القرآن ج ١ ص ٢٥٠ فى قوله تعالى : « فلا تَحْسَبَنَّهم بمفازة من العذاب » معناه ببعيد من العذاب . وقـال ابـن قتيبـة فى الغريـب ص ١١٧ أى بمنجاة ، ومن يقال : فاز فلان أى نجا .

وقال ابو اسحاق الحَرْبىّ : معناه : بمَنْجاةٍ من العذاب .

وقال الطبرى فى الآية التى صدّرنا بها « فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجَنَّة فقد فاز » : معنى ذلك ، أن من نُحّىَ عن النار ، وأدخل الجنة ، فقد نَجَا وظَفِر بعظيم الكرامة « وما الحياة الدنيا الاّ متاع الغرور » .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « قل ياأَهْلَ الكتاب تَعَالَوْا الى كلمةٍ سَواءٍ بينَنا وبينَكم » ؟ قال : معناه الى كلمة عَدْلٍ قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول الشاعر :

تلاقَيْنــا فقاضَيْنــا سواءً ولــكن جَرَّ عن حالٍ بحالِ

قال أبو تراب : وبمعنى العَدْلِ جاءتْ كلمةُ سواء ايضا فى قولـه تعـالى : « واهدنا الى سَواءِ الصراط » يعنى عَدْلَ الطريق ، كقوله : « سَواء للسائلين » يعنى عَدْلاً عن طلب الرزق ، وبمعنى الوَسَط قولـه تعـالى : « فـرآه فى سواء الجحيم » وبمعنى الأمر البين قوله تعالى : « فَانْبِذْ اليهم على سوَاءْ » يعنى على أمْرٍ بيِنّ كقوله : « فقُل آذَنْتكُم على سَواءْ » يعنى أمرا بيّنا ، وبمعنى الشَّرَعِ والمساواة قوله تعالى : « سَواء العاكفُ فيه والبادْ » يعنى مكةَ شرَعاً واحدا العاكفُ فيه والبَادِيْ كقوله : « وَدُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سَوَاءْ » يعنى شَرَعا ، وقوله تعالى فى سورة النحل : « فما الذين فُضِّلُوا بِرادّى رزقهم على مامَلَكَتْ أيمانُهم فهم فيه سواءٌ » يعنى شرعا متساوين ، وبمعنى قَصْد السبيل قوله تعالى : « وضَلُّوا عن سواء السبيل » وسَواءُ بعينه ، أى يستوى قولُه : « سَواءُ عليهم أأنذرتَهم أمْ لم تُنْذرهم » ذكره الدامَغانى ص ٢٥٢ وهذا الوجه الأخير أدخله ابن الجوزى فى المعادلة والمماثلة .

وقال الراغب : سواء : المساواة المُعادِلة المعتبَرة بالذَّرْعِ ، والوزنِ ، والكيل يقال : هذا ثوب مُسَاوٍ لذاك الثوب ، وهذا الدرهم مُساوٍ لذلك الدرهم ، وقد يُعتبر بالكيفية ، نَحْو : هذا السَوادُ مُسَاوٍ لذلك السَوادِ ، وإن كان تحقيقُه راجعاً الى اعتبار مكانِه دون ذاته ، ولاعتبارِ المعادَلة التى فيهِ استُعمل استعمالَ العَدْل قال : (أبَيْنَا فلا نُعطِى السَّوَاءَ عدوَّنا) .

وسَواءٌ : وَسَطٌ ، أى يستوى طَرفاه ، وقولُه : « سواءٌ علينا أَجَزِعْنا أم صَبَرْنا » أى يستوى الأمْرانِ فى أنهما لايُغْنِيَان ، وقوله : « حتى اذا سَاوَى بين الصَّدَفينْ » أى فى القَدْر .

وأنشد ابو عُبيدة فى تفسيره ج ١ ص ٥٠ قولَ حسان فى رثاء عثمان رضى الله عنهما :

ياوَيْحَ أنصارِ النبّى ونَسْلِه بعد المُغَيَّبِ فى سَواءِ المُلْحَدِ

وذكره الطبرى والقرطبى ، والمُبَرِّد فى الكامل (ص ٧٠٨) ومعناه : وَسَطُه .

وانظر معانى القرآن ج١ ص ٢٢٠ وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ١٠٦ « سواء » أى نَصَفاً يقال : دعاك الى السواء أى الى النَّصَفة وسواء كل شىء وَسَطه ، ومنه يقال للنصفة سواء لأنها عَدْل ، وأعدل الأمور أوسطها .

وفى المقاييس : هذه المادة تدلُّ على استقامة واعتدال بين شيئين ومن الباب ، السِّى بمعنى المِثْلِ ، قال الحُطيئة :

فايّاكم وحَيَّة بَطْنِ وادٍ هَموزَ النَّابِ ليس لكم بِسِّى

ومن الباب ايضا : السَواءُ بمعنى وَسَطِ الدارِ وغيرِها ، وسمّى بذلك لاستوائه ، كما فى قوله تعالى : « فَاطَّلعَ فرآه فى سواء الجحيم » .

وفى اللسان : سواء الشىء مِثْله ، والجمع أسْوَاءٌ ، وأنشد :

ترى القومَ أسْواءً اذا جلسوا مَعا

وفى القوم زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفُ الدراهم

وقال رافع بن هُرَيْم :

هَلاَّ كوَصْلِ ابن عمّارٍ تواصلنى

ليس الرجال وإن سُوُّوْا بأسْواءِ

وقال آخر :

الناسُ أسْواءٌ وشَتَّى فى الشِّيَمْ

وقال جِرَانُ العَوْدِ :

ولَسْنَ بأسْواءٍ فمنهن روضةٌ

تَهيجُ الرياحُ غيرَها لاتُصَوَحُ

وشاهد تَثْنِيَةِ سَواءٍ قول قيس بن معاذ :

أيَــا رَبَّ إن لم تَقْسِـمِ الحـبَّ بيننا
سواءَيــنِ فاجعلْنــى على حُبّهــا جَلْدَا

وقال آخر :

تَعــالى نُسَمّــطْ حُبَّ دَعْــدٍ ونَغتدى
سواءَيْــنِ والمَرْعَــى بأمِّ دَرينِ

يقال للأرض المُجْدبة : أمُّ دَرين .

وقوله تعالى : « تعالوا الى كلمةٍ سواءٍ » أى عَدْلٍ ، قال زُهير :

أرُونــى خُطَّــةً لاعَيْــبَ فيها يسَــوّى بيننــا فيهــا السَّوَاءُ

وأنشَدَه ابن الجوزى فى نزهة الأعين ج١ ص ٢٣٩ وهو فى ديوانه ص ٨٤ وبعده :

فان ترك الســواء فليس بينى وبينــكم بنــى حصــن بقاء

وقوله : « فَانْبِذْ اليهم على سَواءٍ » قال البراء بن عازب الضَّبّى :

أتَسْألُنــى السَوِيَّــةَ وَسْــط زيد ألا إنَ السَوِيَّــة أنْ تُضَامُوا

وقال الله تعالى : « حتى اذا ساوى بين الصَّدَفَينِ » أى سَوَّى بينهما حين رفع السُّدَّ بينهما .

وقوله عز وجل : « إذْ نسويكم بربّ العالمين » أى نَعْدِلُكم فنَجْعَلُكُم سَواءً فى العبادة .

وخلاصة الآية : « قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سَواءٍ بيننا وبينكم ألاَّ نَعْبُدَ الاّ الله ، ولا نُشركَ به شيئا ولا يتخذَ بعضُنا بعضا أربابا من دون الله فانْ تَولَّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون » ان الله جَلَّ ثناؤه يقول : قل يامحمد لأهل الكتاب وهم اهل التوراة والانجيل ـ هَلُمُّوا الى كلمةٍ عَدْلٍ بيننا وبينكم وهى كلمة التوحيد فلا نعبد غير الله ، ونَبْرَأُ من كل معبود سواه ، فلا نُشركُ شيئا ، ولايَدينُ بعضنا لبعض بالطاعة ، فيما أمَر به من معاصى الله ، ويُعظّمه بالسجود له

كما يسجد لربه ، فان اعرضوا عما دعوتهم اليه من الكلمة السَّواءِ التى أمرتُك بدعائهم اليها ، فلم يجيبوك اليها ، فقولوا أيها المؤمنون للمُتَوَلِّيْنَ عن ذلك : اشهدوا بأنا مسلمون .

واختلف أهل العلم فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم : نزلت فى يهود بنى اسرائيل وقال آخرون : بل نزلت فى وفد نصارى نَجْرَان .

***

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فأنجيناه ومن معه فى الفُلْك المشحون » ؟ قال : فى السَّفينة المُوْقَرَة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول عَبيد بن الأبرص :

شَحَنَّا أرضَهم بالخيل حتى ... تركناهم أذَلَّ من الصراط

قال ابو تراب : هذا البيت ليس فى ديوان عبيد بن الأبرص . ولا فى مجمع الأمثال للميدانى ، فى « أذَلُّ من الصراط » وقال ابوعُبيدة فى المجاز ج ٢ ص ٨٨ و ١٦٢ : « المشحون » المملوء يقال : شَحَنَها عليه خيلاً ورجالاً ، أى ملأها ، والفُلْك : السفينة ، الواحد والجَمْعُ سواء . وقال الكميت :

وأرضَ البَرِّ يَغْدُو كلَّ بَحْرٍ ... يَعُولُ الفُلْكُ مَرْكَبه الشَّحينا

وانظر غريب ابن قتيبة ص ٤٠٨ .

وفى الأفعال لابن القطّاع (ج ٢ ص ١٨١) : شَحَنْتُ السفينة شحنا ، مَلأْتُها ، وشَحَنْتُ البَلْدةَ خيلا ورجالا ، وشحنت العداوة ، أضْمَرْتُها .

وقال ابن فارس : هذه المادّة تدلُّ على المَلْء وعلى البُعْد ، وبين المعنيين تبايُن واضح ، ومن الباب : أشْحَنَ فلان للبكاء ، اذا تَهيأ له ، كأنه اجتمع له .

وقال الزمخشرى : شحن السفينة ، ملأها ، وأتَمَّ جهَازَها كلَّه ، قال الله تعالى : « فى الفلك المشحون » .

وقال ابن منظور : الشَّحْنُ مَلْؤُك السفينة ، وإتمامك جَهازَها كلّه والشِحْنَةُ مايَشْحنُها ، وقولُ كُثيِّرَ :

تَأَطَّـــرْنَ بالمِيْنَـــاءِ ثم تَرَكْنَهُ وقــد لَجَّ من أحمالهــنّ شُحونُ

قال ابن سِيْدَة : يجوز ان يكون الشُحون مصدرا ، ويجوز ان يكون جمعَ شِحْنَةٍ نادراً ، ومرَكب شاحنٌ أى مشحون ، كما قالوا : سرٌ كاتِمٌ أى مكتـوم . وشاهد الاشْحانِ بمعنى إجْهاشِ الصبى بالبكاء قول أبى قِلابَة :

إذْ عَارتِ النَبْـــلُ والْتَفَّ اللُفوفُ
وإذْ سَلُّـــوا السيـــوفَ عُراةً بعـــد إشحانِ

وشاهد الشَحْن بمعنى إبْعادِ الطَّرَدِ فى الصَّيْد ، دون أن تَصيدَ قولُ الطِرِمّاح يصف الكِلابَ :

يُودِّع بالأمْـــراسِ كلَّ عَمَلَّسٍ
مـــن المُطْعِمات الصَّيْـــدَ غـــير الشواحنِ

والشواحن هى الكلاب التى تُبعد الطريد ولا تصيد ، والأمراس الحِبالُ ، والعَمَلَّسُ الكلب القوىُّ على السير الجَرىءُ .

وفى اللسان : شَحَنَ القوم طردهم وشَلَّهم ، قال الأزهرى : سمعت اعرابيا يقول لآخر : اشْحَنْ عنك فلاناً ، أى نَحِّهِ وأبْعِدْه ، والشَحْنُ العَدْو الشديد .
وفى تهذيب اللغة : الشِحْنَةُ مايُقدَّم للدواب من العَلَفِ الذى يكفيها يومَها وليلتها ، والشَحْناءُ الحِقْد ، والعداوة ، وكذلك الشِحْنَةُ بالكسر ، وعَدُوٌ مشاحنٌ ، وبينهم مُشاحَنَة ، أى مُؤَاحَنة من الاحْنَةِ . وفى الحديث : يغفر الله لكل بَشرَ ماخَلاَ مشركا أو مشاحنا .

قال ابن الأثير فى الغريب : المشاحِن فى الحديث المُعادى ، والتشاحن من الشَحْناءِ وهى العداوة . وقال الأوزاعى : أراد بالمُشاحن هنا صاحب البدعة ، والمُفارق لجماعة الأمة .

قال ابن الاثير : وقيل : المشاحنة مادون القتال من السَبّ ، والتعايُرِ ، من الشَحْناء وهى العداوة . وجاء من المعنى الأول قوله : الاّ رجلا كان بينه وبين اخيه شحناء ، أى عداوة .

وفى اللسان : الاشْحان هو الاستعبار عند استقبال البكاء .

وقال ابن الاعرابى : سيوف مُشْحَنَةٌ فى أغمادها ، وأنشد قول الهُذَلىّ :

(سَلّوا السيوفَ عُراةً بعد إشحانِ)

ويُروى : وقد همت باشحان .

وأورده ابن بَرّى فى أماليه مُتَمِماً لما أورده الجوهرى فى الصحاح .

وفى تكملة الصَّغَانى : أشْحَن السيوف ، أغمدها ، ويقال : سَلَّها ايضا ، وأشْحَن له بسَهْمٍ : استَعَدَّ له لِيَرْمِيَه ، وشَحِن السِّقاء ـ بالكسر ـ اذا تغيرت رائحته من ترك الغَسْل .

قال أبو تراب : وهذه المعانى لم يذكرها صاحب اللسان ، وذكرها المجد الفيروزابادى فى القاموس ، واذا كان الاِشحان بمعنى الاغماد والسَّلّ مَعًا فهو من الأضداد ، لكنّى لم اجده فى كتاب ابن الانبارى ، ولا كتاب أبى الطيب فى هذا الباب .

وخلاصة الآية : ان نوحاً عليه السلام قال : ربّ انّ قومى كذّبونى فيما أتيتُهم به من الحق من عندك ، وردّوا علىّ نصيحتى لهم ، فافتح بينى وبينهم فتحا ، أى احكم بينى وبينهم حُكْماً من عندك ، تُهلِكُ به المُبْطِلَ وتنتقم به ممن كَفَر بك ، وجَحَد توحيدك وكذّب رسولَك ، ونَجّنِى من ذلك العذاب الذى تأتى به حُكْماً بينى وبينهم ، ومَنْ معى من المؤمنين من أهل التصديق ، فقال الله تعالى : فأنْجَينا نوحاً ومن معه من أهل الايمان حين فتحنا بينهم وبين قومهم ، وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين ، قال تعالى : فكان فيما فعلنا يامحمد بنوح ومَنْ معه من المؤمنين فى

الفُلْك المشحون حين أنزلنا بأسنا ، وسطْوَتنا بقومه الذين كذبوا لآية لك ولقومك المُصَدِّقِيْكَ منهم ، والمُكَذِّبيْكَ ، فى أن سُنَّتَنا تَنْجِية رُسُلِنا وأتْبَاعِهم اذا نزلت نِقْمَتُنا بالمكذبين بهم من قومهم ، وكذلك سُنَّتِى فيك وفى قومك ، وماكان أكثرهم مؤمنين .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وأنَّا منَّا الصالحون ومنَّا دون ذلك كنَّا طرائق قِدَدا » ؟ قال : طرائق قددا يعنى المُنْقَطِعة من كلّ وَجْه قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

ولقد قلتُ وزيدُ حاسِرُ   يومَ وَلَّتْ خَيْلُ زيدٍ قِدَدَاً

قال ابو تراب : وفى رواية (خيل عَمْرو) عوضا عن (خيل زيد) والبيت للبيد بن ربيعة العامرى ، استشهد به الشوكانى فى تفسيره ، ولم أجده فى ديوان لبيد وليس هذا التفسير فيما جمعه المجد لابن عباس فى التنوير فليستدرك. وفيه بلفظ آخر « كنا طرائق قدداً » اهواء مختلفة اليهودية والنصرانية قبل أن آمنا بالله .

والقَدُّ فى اللغة يدل على قطع الشىء طُولاً ، ثم يُستعار ، يقولون : هو حَسَنُ القَدّ أى التقطيع فى امتداد قامته ، والقِدُّ سَيْرٌ يُقَدُّ من جِلْدٍ غير مدبوغٍ ، ومنه اشتقاق القديد من اللحم .

والقِدَّةُ الطريقة ، والفِرقة من الناس ، اذا كان هَوَى كل واحد غيرَ هَوى صاحبه ، ذكره ابن فارس ، وبهذا المعنى الأخير جاءت الآية الكريمة التى ذكرناها آنفا .

وفى الأساس للزمخشرى : قولهم : صاروا قِدَداً ، أى فِرَقاً ، ويقولون : طاروا بَدَداً ، وصاروا قِدَداً ، وهو مستقيم القَدّ ، أى الطريق ، ولايَسْتَقِدُّ له أمرٌ ، أى

لايستمر له شأن . وقال فى أصل معنى هذه المادّة : قَدَّهُ طُولاً ، وقَطَّهُ عَرْضاً ، وقَدَّ القلم ، وقَطَّه ، وتقول : اذا جادَ قَدُّك وقَطُّك ، فقد استوى خَطُّك ، وقَدَّه نصفين ، وانْقَدَّ الثوب والجِلْد ، أى انْشَقَّ ، وأسرَهُ بالقِدّ أى السَّيْرْ ، وفلان مايعرف القَدّ من القِدّ ، أى مَسْك السَّخْلة من السَّيْرْ ، والقَدُّ القَوامُ ، وقَدَّ المَفاوز ، أى قطعها . وفى أقرب الموارد : مايَعرف القَدَّ من القَدّ بالفتح فى الموضعين .

وفى مجمع الأمثال للميدانى من امثال العرب : « مايَجْعَل قَدَّك الى أديمك » القَدُّ مَسْكُ السخلة » والأديم الجِلْد العظيم ، أى مايَحْملك على ان تقيس الصغير من الأمر بالعظيم منه ، والمعنى مايضمّ قدك الى اديمك ، وهذا المَثَل يُضرب فى إخطاء القياس.

قال ابو تراب : المَسْك ، الجِلْد لأنه يمسك ما وراءه من اللحم ، وخَصّه بعضهم بِجِلْد السَخْلَة وهو صغير ، والسخلة الماعزة ، وشاهد القِدّ بمعنى السَّيْرْ جوابُ قول يزيد بن الصَّعِق :

فَرَغْتُم لِتَمْرِين السِياط وكنتمو يُصَبُّ عليكم بالقَنَا كلَّ مَرْبَعِ

وأجابه بعض بنى أسد :

أعِبْتُم علينا أن تُمَرَنَ قِدَّنا ومَنْ لم يُمَرَنْ قِدَّه يَتَقَطَّع

وقوله : « كنا طرائق قِدَدا » هو من قولهم : تَقَدّد القوم أى تَفَرّقوا قِددا ، وتقطعوا . والقَدُّ الشيء المقدود بعينه ، والقِدَّة القطعة من الشيء . والقِدَّةُ أيضاً الفِرقة والطريقة من الناس مشتق من ذلك اذا كان هوى كل واحد على حدة .

قال الفَرَّاء : فى المعانى ج ٣ ص ١٩٣ معنى الآية : كنا فِرَقا مختلفة أهواؤنا ، وهذا القول حكاية عن الجن ، وقال الزَجَّاج : « قِدَداً » يعنى متفرقين أى كنا جماعات متفرقين مسلمين وغير مسلمين .

وقوله تعالى حكاية عن الجن : « وانّا منّا المسلمون ومنّا القاسِطُون » هذا

تفسير قولهم : « كنا طرائق قِدَدا » وقال غيرُ الزَجَّاج : « قِدَدا » جَمعُ قِدَّةٍ ، مثل قِطَعٍ وقِطْعَة ، وصار القوم قِدَدا ، تَفَرَّقت حالاتهم واهواؤهم .

وقال ابن قُتيبة فى تأويل المُشْكل وانظر الغريب له ص ٤٩٠ : « طرائق قِدَدا » أى أصنافا وكلُّ فِرْقَة قِدَّة ، وهى مثل قِطْعة ، فى لتقدير ، وفى المعنى ، فأنهم قالوا : نحن أصناف وقطع .

وقال أبو عبيدة فى تفسيره ج ٢ ص ٢٧٢ : واحد الطرائق الطريقة ، وواحد القِدَد القِدَّة ، أى ضروبا وأجناسا .

وقال الزمخشرى فى الكشاف : « كنا طرائق قِدَدا » بيانٌ للقِسْمَة المذكورة ، أى كنا ذوى مذاهب مُفْتَرِقة مختلفة ، أو كنّا فى اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة ، أو كنا فى طرائق مختلفة ، أو كانت طرائقنا طرائق قِدَدا ، ووُصفت الطرائق بالقِدَد لدلالتها على معنى التَقَطُّع والتفرُّق .

وقال ابن جرير : يقول تعالى ذِكْره مُخْبِرا عن قِيْلهم : وأنّا منا الصالحون وهم المسلمون العاملون بطاعة الله ، ومنّا دون ذلك ، أىْ ومنّا دون الصالحين ، كنا طرائق قِدَدا ، يعنى أنا كنّا أهواء مختلفة وفرقا شتى ، منا المؤمن والكافر والطرائق جمع طريقة ، وهى طريقة الرجل ومذهبه ، والقِدَد جمع قِدَة ، وهى الضروب والأجناس المختلفة .

قال ابو تراب : هذا وقوله تعالى : « فلما رأى قميصَه قُدَّ من دُبُر قال إنّه من كيدكنّ » يعنى به انقطاع القميصِ لِفرار يوسف عليه السلام من زَليخا ، حيث عَصَمه الله ، والانقداد ، الانشقاق ، والقَدُّ ، شَقُّ الثوب ونحوه ، وضرَبَه بالسيف فَقَدَّه نصْفَين .. وفى حديث على بن ابى طالب : كان اذا اعْتَلَى قَدّ ، واذا اعترض قَطَّ ، أى قطع طولاً وعَرْضاً ، والقِدُّ الجِلْد تُخْصَفُ به النعال . روى ابن الأعرابىَ قول طَرَفة وضبطُه فى اللسان خطأ :

(كسِبْت اليمَانِىْ قِدُّهُ لم يُجَرَّد)

لم يُجَرَّد من الشعر فهو لينٌ ، ورُوى قَدُّه لم يُحَرَّد ، والتحريد هو التعويج أىْ مثاله لم يُعَوَّج .. واذا كان (لم يُحَرَّدْ) فمعناه ان لم يُجْعَلْ بعضُ السَّيْرْ عريضاً ، وبعضُه دقيقا . وفى الحديث : لقاب قوسِ أحدكم وموضع قِدِّهِ فى الجنة خير من الدنيا ومافيها . القِدُّ هنا بمعنى السَّوْطِ ، أىْ قَدْرُ الموضع الذى يسع السوطَ خير من الدنيا ومافيها .

وفى حديث جابر قال : أُتِى بالعباس يوم بَدْرٍ أسيرا ، ولم يكن عليه ثوب ، فنظر له النبى ﷺ قميصاً ، فوجدوا قميص عبدالله بن أُبىَّ يُقَدَّدُ عليه فكساه إياه ، أى كان على قَدْرِ طوله . وفى حديث عمر قال : كانوا يأكلون القَدَّ يعنى فى الجَدْب ، وهو جِلْدُ السَّخْلَة .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « قل أعوذ بربّ الفَلَق » ؟ قال : الصُبْحُ اذا انفلق عن ظُلْمة الليل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول زهير بن ابى سُلْمَى :

يافــارج الهَــمَ مَسْــدولاً عساكُره كما يُفَــرّجُ غمَّ الظُلْمــةِ الفَلَقُ

قال أبو تراب : هذا البيت ليس فى ديوان زهير ، وانما ذكره الزمخشرى فى أساس البلاغة غير منسوب . وفى رواية : « يافارج الكرب » والله فارج الغموم والكروب ، يقال فى الدعاء : فرج الله غَمَّه ، ويامفرّج الهَمّ ، وكاشف الغَمّ مجيب دعوة المضطرّين وفى تنوير المقباس ص ٣٩٨ الفلق هو الصبح ، وقيل : جب فى النار ويقال : هو واد فى النار وفى كتاب أبى عبيدة ج٢ ص الأخيرة « الفلق » الصبح وأنظر غريب ابن قتيبة ص ٥٤٣ وفى معانى الفراء ج ٣ ص ٣٠١ يقال : هو أبين من فلق الصبح ، وفَرَق الصبح .

أمّا الفَلَق فهو يدل على فُرْجَةٍ ، وبَيْنُونَةٍ فى الشىء ، وعلى تعظيم شىء كما فى كتاب المقاييس ، ومن ذلك قولهم : فَلَقْتُ الشىء ، ومنه الفَلَقُ الصبح لأن الظلام ينفلق عنه . والفلَقُ مُطْمَئِنٌ من الأرض كأنه انفلق ، والفَلَقُ الخَلْقُ كلُّه ، كأنه شىء فُلق عنه شىء ، حتى أُبرز وأُظهِر ، ويقال : انفلق الحَجَر وغيره ، وأَفْلَقَ فلانٌ أىْ أتى بالفِلْقِ ، وهو الأمر العَجَبُ العظيم ، وكذلك يقال : شاعر مُفْلِقٌ ، يأتى بالعجيب .

وفى إصلاح المنطق لابن السِكِّيت (ص ٢٢ و ٢٦٤) : قول سُويد بن كُراع العُكْلِىِّ وكراع اسم امه وأبوه عُمير :

اذا عَرَضَتْ دَاوِيَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ وغَرَّد حادِيها عَمِلْنَ به فِلْقا

أى عملن بها سَيْراً عجباً . والدَاوِيَّة المفازة ، والمُدلهِمَّة المُظْلِمَةُ .. والحادى الذى يَحْدو بالابل . والفَليق كالهَزْمة فى جِرَان البعير ، والهَزْمَةُ الوَهْدَةُ التى فى اعلى الصدر تحت العنق ، والجِرَانُ من البعير ، مُقَدَّم عُنُقِه من مَذْبَحِهِ الى منْحَرِه .. قال أبو محمد الفَقْعَسِّى :

بكلّ شَعْشَاعٍ كجِذْعِ المُزْدَرِعْ فَلِيقُه أجْرَدُ كالرُّمْحِ الضَّلِعْ

يصف فى هذا البيت إبلا تناول الماء من الحوض ، فكل عُنق كجِذْعِ الزُّرنوقِ ، والفَلِيقُ المُطْمَئِنُّ فى عنق البعير الذى فيه الحُلْقوم ، والرُّمح الضَّلِع ، المُعَرَّج ، والشعشاع ، الطويل ، والزُّرنوقان دعامتا البئر اللتان توضع عليهما البكرة .

وفى اساس البلاغة : فَلَق الله الصبحَ ، والحَبَّ والنوى ، وتقول : هو أشهُر من شِية الأبْلَقْ ، بل من وَضَح الفَلَقْ ، وفَلَقْتُ الفُسْتُقة والرُّمَّانَة ، وهاتِ فِلقةً منها ، وسمعتُه من فِلْقِ فيه ، وضربته على فَلْق مَفْرِقِه ، وتَفَلَّقَ البَيْضُ ، وهذه فُلاَقُ البَيْضِ ، وفِلَقُه ، وتَفَلَّقَ الرائب اذا كان متفرقا متحببا لم يلتحم ، وتقول : أقلُّ الشعراء مُفْلِقٌ ، وأكثرهم مُفْلِقٌ وبات فلان فى الشَفَق والفَلَق ، أى فى الخوف .

ومن المجاز قول النابغة : فان تَبَلَّجَ فَلَقُ المَجْد عن غُرّة مواهبه فأنت قَسيم ماأَفَدْتُ . ومن شواهد هذه المادّة قول الكُميت :

وفليقاً مِلْءَ الشِمالِ من الشوْ حَطِ تُعطى وتمنع التوتيرا

الفليق .. القوس ، وهى التى شُقّت خشبتُها شِقَّينْ ، ثم عُمِلَتْ . وفِلاَقُ اللَبن أنْ يَخْثُر ويَحْمُض حتى يَتَفَلَّق ، أنشد ابن الاعرابىّ :

وإن أتاها ذو فِلاقٍ وحَشَنْ تُعارِضُ الكَلْبَ اذا الكلبُ رَشَنْ

الحشن وَسَخُ دَسَمِ اللبن . ورَشَنَ الكلب اذا أدخل رأسه فى الاناء . والفلق المُطْمَئِن من الأرض بين الرَّبْوَتَينْ ، قال :

وبالأُدْمِ تُحْدَى عليها الرِحالْ وبالشَّوْلِ فى الفَلَق العاشبِ

الأُدْمِ الابل الشديدة البياض ، وتُحدى أى تساق . والشول رفع الناقة ذَنَبَها ، والفلق العاشب .. الأرض ذات الأعشاب .

وقال الشمّاخ يذكر الفَليق ، وهو باطن عُنُق البعير :

وأشْعَثَ ورّادِ الثَّنايا كأنه اذا اجتاز فى جوف الفلاة فليقُ

وفى التنزيل : « ان الله فالق الحَبّ والنوى » وقال بعضهم : فالق فى معنى خالق ، وكذلك فَلَق الأرضَ بالنبات ، والسحاب بالمطر . واذا تأملت الخَلْق تبين لك ان اكثره عن انفلاق ، فالفَلَق جميع المخلوقات ، وفَلَقُ الصبح من ذلك ، وفَلَق الله الفجر أبداهُ وأوضحه ، وقوله : « فالق الاصباح » قال الزجاجُ : جائز ان يكون معناه : خالق الاصباح ، وجائز ان يكون معناه شَاقُّ الاصباح ، وهو راجع الى معنى خالقٍ ، والفلق بالتحريك ما انْفلَق من عَمود الصبح ، وقيل : هو الصبح بعينه ، وقيل : هو الفجر .. وكلٌ راجع الى معنى الشَق ، قال تعالى : « قل أعوذ بربّ الفَلَق » .

قال الفَرّاء فى المعانى ج٣ ص ٣٠١ : الفَلَق الصبح ، يقال : هو أبْيَنُ من فَلَق الصبح ، وفَرَقِ الصبح ، . وقال الزجاج : الفَلَق بيان الصبح ، ويقال :

الفَلَق .. الخَلْق كلُّه ، والفَلَق بيان الحق .. بعد إشكال ، ويقال : فَلَق الصُبحَ فالقُه .

قال ذو الرُمّة يصف الثور الوحشى :

حتـى اذا ماانْجَلَى عن وجهـه فَلَقٌ هادِيه فى أُخْرَيـات الليـل مُنْتَصِبُ

قال ابن برى : والرواية الصحيحة : (حتى اذا ماجَلاَ عن وجهه شَفَقٌ) لأن بعده :

أغْبـاشَ ليـلٍ تمـامٍ كان طَارَقَهُ تَطَخْطُحُ الغَيْمِ حتـى مالـه جُوَبُ

وفى حديث بدء الوحى .. انه عليه الصلاة والسلام كان يرى الرؤيا فتأتى مثل فلق الصبح ، يعنى ضوءَه وإنارته كنايةً عن صِدْق الرؤيا .

وفى الحديث أيضا : يافالق الحَبَّ والنوى ، أى الذى يشق حَبَّةَ الطعام ونَوَى التَمْر للانباتِ . وفى حديث علىّ : والذى فَلَق الحَبَّة وبَرَأ النَسَمَة .

وفى حديث عائشة : انّ البُكاء فالقٌ كَبدِى .

وفى تفسير الطبرى : اختلف أهل العلم فى معنى الفَلَق فى قوله : « أعوذ بربَ الفلق » فقال بعضهم : هو سِجْنٌ فى جهنم ، يُسَمَّى هذا الاسم ، وقـال آخرون : الفلق الخَلْق ، والصواب من القول : أن الفَلَق فى كلام العرب فلق الصبح ، وجائز ان يكون فى جهنم سجن اسمه فلق ، والمعنى : انه قال : قل يامحمد استجير برب الفلق من شر ماخلق من الخَلْق .

وقال الزمخشرى : قيل : الفَلَق هو كل مايَفْلِقُه الله كالأرضِ عن النبات ، والجبال عن العيون ، والسحابِ عن المطر ، والأرحام عن الأولاد ، وغير ذلك .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لأبن عباس : أخْبِرنى عن قوله تعالى : « ولقد عَلِمُوا لَمن ِ اشتراهُ ماله فى الآخرة من خَلاق » ؟ قال : ماله من نصيب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أُمَيَّة بن ابى الصَّلْتِ :

يدعون بالويل فيها لا خَلاقَ لهم   الاّ سرابيلُ من قِطْرٍ وأغْلالُ

قال أبو تراب : السرابيل .. الدروع ، والقِطْر .. النحاس الذائب ، والأغلال أطواق من حديد تجُعل فى عُنُق الأسير ، وهذه حال أهل جهنم .

وهذا البيت استشهد به ابو حيان ، والطبرسى وهو فى ديوانه (ص ٤٧) ونقل السيوطى فى الدر ١٠٣/١ سؤال نافع هذا واجابة ابن عباس وأورده الطبرى أيضاً كما يأتى . ويعنى بالآية المذكورة الفريقَ الذين لَمّا جاءهم رسول من عند الله مُصَدِّق لما معهم نَبَذُوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لايعلمون ، واتبعوا ما تتلو الشياطين على مُلْكِ سليمان ، فقال جَلَّ ثناؤه : لقد علم النابذون من يهود بنى اسرائيل - كتابى وراء ظهورهم تجاهُلاً منهم .. التاركون العمل بما فيه من اتباعك يامُحمد ، واتباع ماجئت به ، بعد انزالى اليك كتابى مصدقا لِما معهم ، وبعد إرسالك اليهم بالاقرار بما معهم ومافى أيديهم ، المُؤْثِرون السِحْر الذى تَلَتْه الشياطين على عهد سليمان ، والذى انزل على المَلَكَيْنْ ببابل هاروت وماروت .. لَمن ِ اشترى السحر بكتابى الذى انزلته على رسولى فآثره عليه ماله فى الآخرة من خلاق . وقد أورد الطبرى فى ذلك آثاراً عن قتادة ومجاهد والسُدِّى ، وابن زيد قالوا : معناه ان اهل الكتاب علموا فى عهد الله اليهم ان الساحر لا خَلاق له عند الله يوم القيامة ، وان من اشترى السحر ، وترك دين الله فالنار مثواه ومأواه .

واختلف المفسرون فى قوله تعالى : « ماله فى الآخرة من خَلاق » فقال بعضهم : الخَلاق فى هذا الموضع النصيب ، ورُوى ذلك عن مجاهد وسفيان ، والسُدِّى ، وقال بعضهم : الخَلاق ههنا الحُجَّة ، ورُوى ذلك عن قتادة ، وقال آخرون : الخلاق ههنا ، القوام ، ورُوى ذلك عن ابن عباس .

وأَوْلَى هذه الأقـوال بالصـواب قولُ مَنْ قال : الخَـلاقُ فى هذا الموضـع النصيب ، قال ابن جرير : وهذا هو معناه فى كلام العرب ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : ليؤيدن الله هذا الدين بأقوامٍ لا خَلاق لهم ـ يعنى لانصيب لهم ولا حَظَّ فى الاسلام والدين .

قال ابو تراب : رواه احمد فى المسند (ج ٥ ص ٤٥) من حديث ابى بَكْرَةَ ، ورواه النسائى وابن حبان من حديث أنس ، ورجاله ثقات .

قال الطبرى : ومنه قول أمية بن ابى الصلت :

يَدْعُون بالوَيْل فيهـا لا خَلاق لهم　　الاَّ السرابيـــلُ من قِطْـــرٍ وأغلالُ

يعنى بذلك : لا نصيب لهم ولا حظ الا السرابيل والأغلال ، فكذلك قوله : « ماله فى الآخرة من خلاق » اى ماله فى الآخرة حظ من الجنة ، من أجل انه لم يكن له إيمان ، ولا دين ، ولا عمل صالح يجازى به فى الجنة ، ويُثابُ عليه ، فيكون له حظ ونصيب من الجنة ، وانما قال جل ثناؤه : « ماله فى الآخرة من خلاق » فوصفه بأنه لانصيب له فى الآخرة ، وهو يعنى بذلك : لا نصيب له من جزاء وثواب ، وجنة دون نصيبه من النار ، إذْ كان قد دَلَّ ذَمُّه أفعالهم التى نَفَى من أجْلِها ان يكون لهم نصيب فى الآخرة على مراده من الخَبَر ، وانه انما يَعنى بذلك انه لانصيب لهم فيها من الخيرات ، وأمّا من الشرور فان لهم فيها نصيباً .

قال أبو عبيدة : « فاستمتعوا بخلاقهم » أى بنصيبهم ، ودينهم ، ودنياهم .. « وماله فى الآخرة من خلاق » اى من نصيب يعود اليه انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ج١ ص ٤٨ ، ٩٧ ، ٢٦٣ وغريب القرآن لابـن قتيبـة ص ٥٩ قال : الخلاق الحظ من الخير .

وفى المقاييس : الخاء واللاّم والقاف أصْلانِ أحدُهما يدلّ على تقدير الشىء والآخر على ملاَسَتِه .

ومن ذلك الخُلُق ، لأن صاحبه قد قُدّر عليه ، والخلاق النصيبُ ، لأنه قد قُدّر

لكل أحد نصيبه ، ومن الباب خَلْقُ الكَذِب ، وهو اختلاقُه ، واختراعه ، وتقديره في النفس ، قال الله تعالى : « وتَخْلُقُون إِفْكاً » .

وقال الزمخشري : يقال : هذا رجل ليس له خَلاقٌ ، أى حظٌ من الخير .

وقال الراغب : « وماله فى الآخرة من خَلاق » فلان خليق بكذا ، أى كأنه مخلوق فيه ، أو مَدْعُوٌ اليه من جهة الخُلُق .

وفى لسان العرب : الخَلاقُ .. الحَظُّ ، والنصيب من الخير والصلاح ، يقال : لا خلاق له فى الآخرة ، ورجل لا خلاق له ، أى لارغبة له فى الخير ، ولا فى الآخرة ، ولا صلاح فى الدين .

وقال المفسرون فى قوله تعالى : « وماله فى الآخرة من خلاق » : الخلاق النصيب من الخير . وقال ابن الأعرابى : لا خلاق لهم لا نصيب لهم فى الخير ، قال : والخلاقُ الدِينُ . وقال ابنَ برّى : الخلاق النصيب المُوَفَّر ، وأنْشَد لحسان بن ثابت الأنصارى :

فمــن يكُ منهــم ذا خَلاقٍ فانه سيمنعــه من ظُلمــه ما تَوكَّدا

قال أبو تراب : تَوَكَّد أى اشتد ، وتَوَثَّق كتَأَكَّد . وفى الحديـث : ليس فى الآخرة من خلاق . قال ابن الأثير فى النهاية : الخَلاق بالفتح . الحظ والنصيب . ومنه حديث أُبَيٍ : وأما طعام لم يصنع الا لك فانك إنْ أكلته انما تأكل منه بخَلاقك .. أى بحظك ونصيبك من الدين ، قال له ذلك فى طعام مَنْ أقـرأه القرآن ، والخَليقة التى خُلق عليها صاحبها ، والجمع خلائق ، قال لبيد :

فَاقْنَــعْ بمــا قَســم المليــك فانما قَسَــم الخلائــق بيننــا عَلاَّمُها

والخليقـة والسليقـة بمعنـى واحـد ، والخليـق كالخليقـة ، قال القَنانِـى فى الكسائى :

ومَالى صديـق ناصـح أغتـدى له ببغــداد الاّ أنــت برٌ موافقُ
يزيــن الكِسائــىَّ الأغــرَّ خليقَةٌ اذا فضحتْ بعضَ الرجال الخلائقُ

ويتخلق بغير خُلُقِه ، أى يَتَكلَّفه ، قال سالم بن وابصة :

يا أيهـــا المُتحَلىَ غــيرَ شِيْمَته   إن التَخَلُّــق يأتــى دونــه الخُلُق

قال ابو تراب : وشواهد هذه المادة كثيرة ، سنوردها فى اشتقاق هذه الكلمة عند إيراد كلمات القرآن وشواهدها ، بعد انتهائنا من الأسئلة الأزرقية .

والمُخْتَلقُ التامُّ الخَلْقِ ، والجمالِ ، المعتدلُ ، قال ابن برّى : شاهـده قول البُرْج بن مُسْهِرٍ :

فلماَّ أَنْ تَنَشَّى قام خِرْقٌ   من الفِتيـانِ مُخْتَلَـقٌ هَضيم

وخالِقِ الناس : عاشِرْهم على أخلاقهم ، قال :

خالِـقِ النــاس بخُلُـقٍ حَسَنٍ   لاتــكن كَلْبــاً على النــاسِ يَهِرِ

وخلق الأديم : قَدَّره لِمَا يريد قبل القَطْعِ ، وقاسَهُ ليَقطع منه مَزَادَةً أو قِرْبةً ، أو خُفّاً ، قال زهير يمدح رجلا :

(ولأنت تَفْرى ماخَلَقْت وبعض القوم يَخْلُق ثم لايَفْرى)

يقول : أنت اذا قَدَرْتَ أمرا قطعته وأمضيته ، وغيرك يَقْدُرُ مالا يقطعه لأنه ليس بماضى العزم ، وأنت مَضَاءٌ على ماعزمت عليه .

وقال الكميت :

أرادوا ان تُزايــل خالقاتُ   أديمَهــو يَقســنَ ويَفْترينا

يقول : ان بنى نزار من مَعَدٍّ وهما ربيعة ومُضَرٌ نَسَبُهم واحـد ، فاذا اراد خالقاتُ أديمهم ـ يعنى أهل النسب ـ تفريقَهم تبَيَنَّ لهم انه لايجوز خَلْقُـه أىْ قطعه .. ويقال : اخْلَوْلَقَ أى بَلِىِ ، قال :

هاج الهَــوى رســمٌ بذاتِ الغَضَى   مُخْلَوْلِــقٌ مُسْتَعْجِــمٌ مُحْوِلُ

وشاهد خَلُقَ قول الأعشى :

ألاَ ياقَتْــلُ قد خَلُــقَ الجديدُ   وحُبُّــكِ مايُمَــحُّ ولا يَبِيدُ

ويقال : خَلُق الثوب خُلوقاً ، قال :

مَضَوْا وكأنْ لم تَغْنَ بالأمْسِ أهلهم   وكلُّ جديــدٍ صائــرٌ لخلُوقِ

وأَخْلَقَ الرجل اذا صار ذا أخلاق ، قال ابنُ هَرْمَةَ :

عَجِبَتْ أُثَيْلَةُ أن رأتني مُخلقاً ثَكِلتكِ أُمُّك أىُّ ذاكِ يَروعُ
قد يُدرك الشَّرَفَ الفتى ورداؤه خَلَقٌ وجَيْبُ قميصه مرقوعُ

ورِمَّة خَلَقٌ ، قال لبيد :

والنِيبُ إنْ تَعْرُ منّى رِمَّةً خَلَقاً بعد المات فانى كنت أَتَئِرُ

وثوب أخلاقٌ يجمع بما حوله ، قال الراجز :

جاء الشتاءُ وقميصى أَخْلاَقْ شرَاذِمٌ يَضحك من التَوَاقْ

وثوب خلق ، بالٍ ، قال :

كأنهما والآلُ يَجْرى عليهما من البُعد عَيْنَا بُرْقُعٍ خَلَقانِ

وأَخْلَقَ الثوب ، قال ابو الأسود الدِئلىُّ :

نظرت الى عُنوانِه فنَبذْتُه كنَبْذكَ نَعْلاً أَخْلَقَتْ من نعالِكا

وباع بيعَ الخَلَق ، قال :

أبلغْ فَزارة أنى قد شرَيْتُ لها مَجْدَ الحياة بسيفى بَيْعَ ذى الخَلَق

وانظر شواهد الخَلْق بمعنى المَلاَسَة فى اللسان .

ويقال : جُبَّةٌ خَلَقٌ وجديدٌ ، ولايجوز : جُبَّة خَلَقَةٌ ولا جديدة .

قال الفَرَّاء : وانما قيل : خلق بغير هاء .. لأن الاستعمال فى الأصل بالاضافة . فيقال : أعْطِنى خَلَق جُبَّتِك ، وخَلَق عمامتك ، ثم استعمل فى الافراد كذلك بغير هاء .

قال الزجّاجى فى شرح أدب الكاتب : ليس ماقاله الفرّاء بشىء ، لأنه يُقال له : فلِمَ وجب سقوط الهاء فى الاضافة حتى حُمل الافراد عليها ، ألاَ ترى أن إضافة المؤنث الى المؤنث لاتوجب إسقاط العلامة منه . كقولهم : مِخَدَّةُ هندٍ ، ومِسْوَرةُ زينب وما أشبه ذلك .

قال أبو تراب :

الحقُّ مع الفرّاء ، فان المَثل الذى ضرب به الزجّاجى اضافة اسم الى علم ، وماذكره الفرّاء إضافة صفة الى اسم ، والفرق بينهما واضح ، فانك لاتقول : هِنْدُ المِخَدَّةُ ، كما تقول : الجُبَّة الخَلَق ، لأن الصفةَ المضافة الى الاسم تكون صفةً له ، ولايكون الاسم المضاف الى العَلَمِ كذلك ، ومثالُه : ذَهبُ الخاتَمِ ، والخاتَمُ الذَهبُ .. وباضافة الموصوف الى الصفة خاتَم الذهبِ كمسجد الجامعِ ، وليس كذلك : مخَدَّة هندٍ ، ولا مِسْوَرَةُ زينَب فتأمّل ، وليس من هذا الباب أيضا قول العامّة فى اللحن : هذه خامس مرّةٍ ، فانه يجب فيه ان يُقال : هذه خامسة مرة ، للزوم التأنيث هنا فى الاضافة والصفة لأنها منقولة بعينها ، وقد اوضحنا هذه المسألة فى كتابنا « كبوات اليراع » بتفصيلٍ أتَمَّ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وله مَنْ فى السموات والأرض كلٌ له قانتون » ؟ قال : قانتون أى مُقِرّون ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عدىّ بن زيد :

قانتــاً لله يَرجــو عَفْوَهُ يومَ لايَكْفُــرُ عبــدٌ ماٱدَّخَرْ

قال أبو تراب : هذه المسألة بشاهدها لم يُوردْها محمد فؤاد عبدالباقى فى المسائل الأزرقية التى ألْحَقَها بمعجم غريب القرآن ، وجَلَّ منْ لايَسْهُو .

واختلف العلماء فى تفسير « قانتون » فقال بعضهم : معناه مطيعون ، وقال آخرون : معناه مُقِرون له بالعبودية ، وقال آخرون : كلٌ له قائم يوم القيامة .

وللقنوت فى كلام العرب معانٍ أحدُها الطاعة ، والآخر القيامُ ، والثالث : الكفُّ عن الكلام والإمساك عنه .

قال ابن جرير : وأَوْلىَ معانى القنوت فى قوله : « كلٌ له قانتون » الطاعةُ والاقرار لله عز وجل بالعُبودية ، بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصَّنْعَة ، والدلالة على وحدانيّة الله عز وجل ، وأنّ الله تعالى بارئها وخالقُها ، وذلك ان الله جَلَّ ثناؤه أَكْذَبَ الذين زعموا أن لله وَلَدًا بقوله : « بل له مافى السموات والأرض » مِلْكاً وخَلْقاً ، ثم أخبر عن جميع مافى السموات والأرضَ أنها مُقِرَّة بدلالتها على ربها وخالقها ، وأن الله تعالى بارئها وصانعها ، وإنْ جحد ذلك بعضهم . فألسنتهم مُذْعِنَة له بالطاعة بشهادتها له بآثار الصَّنْعة التى فيها بذلك ، وأن المَسيحَ أحدُهم فأنَّى يكون لله ولداً وهذه صفتُه ؟

وقد زعم بعض من قَصُرَتْ معرفتُه عن توجيه الكلام وِجْهَته أن قوله تعالى : « كلٌ له قانتون » خاصَّةٌ لأهل الطاعة ، وليست بعامّةٍ ، وغير جائزٍ ادّعاء خصوص فى آية عامّ ٍ ظاهرُها الاّ بِحُجَّة يجب التسليم لها . وهذا خبر من الله عز وجل عن ان المسيح الذى زعمت النصارى انه ابن الله ، مُكْذِبُهم هو والسموات والأرض ومافيها ، إمّا باللسان ، وإمّا بالدلالة ، وذلك ان الله عز وجل أخبر عن جميعهم بطاعتهم إياه ، وإقرارهم له بالعبودية عقيب قوله : « وقالوا اتخذ الله ولدا » فدلّ ذلك على صحة ماقلنا .

قال ابو تراب : قائل هذه المقالة الذى ردّ عليه الطبرى هو الفراء فى كتابه معانى القرآن ج١ ص ٧٤ .

وقال الطبرى ايضا فى تفسيره : يعنى ولله مافى السموات والأرض من مَلَكٍ وجِنّ ٍ وإنْس ٍ ، وكلٌ قانتون له أى مطيعون ، فان قيل كيف ذَكر أنهم قانتون ، وأكثرُ الجنّ والانس عاصون ، فأجاب بعضهم : بأن هذا الكلام مُخْرَجُه مُخْرَجُ العُموم ِ ، والمراد به الخصوص ، ومعناه : كلّ له قانتون فى الحياة ، والبقاء ، والموت ، والفناء ، والبعث ، والنشور ، لايمتنع عليه شىء من ذلك ، وإن عصاه بعضهم فى غير ذلك . وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم قانتون باقرارهم بأنه

ربهُم وخالقُهم . وقال آخرون : هو على الخصوص والمعنى . وله من فى السموات مِنْ مؤمنٍ لله مطيع دون غيرهم .

وأَوْلىَ الأقوال بالصواب ماورد عن ابن عباس . وهو أن كلَّ من فى السموات والأرض من خَلْق لله مطيعٌ فى تصرُّفه فيما أراد تعالى من حياة وموت وماأشبه ذلك ، وإن عصاه فيما يَكْسِبُه بقوله . وفيما له السبيلُ الى اختياره وإيثاره على خلافه .

وقال الدَّامَغانى فى الوجوه والنظائر ص ٣٩١ : « كلٌ له قانتون » مُقِرُّون بالعبودية ، « وقوموا لله قانتين » مطيعين . وقال ابن الجوزى فى النزهة ج٢ ص ٩٠ ذكر بعض المفسرين ان القنوت فى القرآن على ثلاثة أوجه أحدها الطاعة ومنه قوله تعالى : « وقوموا لله قانتين » ومثله : « والقانتين والقانتات » والثانى العبادة ، ومنه قوله تعالى ، « كل له قانتون » والثالث طول القيام ومنه قوله تعالى : « يا مريم اقنتى لربك » أى أطيلى القيام فى صلاتك ، وفى بعض نسخ النزهة زاد وجها رابعاً وهو السكوت كقوله : « وقوموا لله قانتين » أى ساكنين وساكتين عن الكلام .

قال ابن قتيبة : ولا أرى أصل القنوت الاّ الطاعة لأن جميع الخلال من الصلاة والقيام فيها والدعاء وغيره يكون عن الطاعة . (أنظر مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٥٠ والغريب له ص ٦٢ .

وقال الزمخشرى : « قانتون » منقادون لأفعاله فيهم ، لايمتنعون عليه .

وقال أبو عبيدة فى المجاز ج١ ص ٥١ و ٨٩ ج٢ ص ١٢١ : كلٌ مُقِرٌّ له بأنه عبد له ، قانتات : مطيعات .

وقال الراغب : « قانتون » خاضعون ، وقيل : ساكتون ، ولم يَعْنِ به كلَّ السُكوتِ .

وفى المقاييس : القنوت يدل على طاعةٍ وخير فى دينٍ ، لا يَعْدو هذا البابَ ، والأصل فيه الطاعة ، ثم سُمّى كلُّ استقامة فى طريق الدين قُنوتاً ، وقيل لطول

القيام فى الصلاة : قنوت ، وسُمىَ السكوت فى الصلاة ، والاقبالُ عليها قنوتاً .

وفى أساس البلاغة : هو قانتٌ لله ، أى مطيع خاشع .

وفى المُحْكَمِ لابن سِيْدَةْ : القانت . القائم بجميع أمر الله ، وجمع القانت : قُنَتٌ ، قال العجّاج :

(ربُ البلاد والعباد القُنَّت)

وقَنَتَ له ، أى ذلّ ، والاقتنات : الانقياد ، وقَنَتَتَ المرأة : أقَرَت .

وفى اللسان : « كلٌ له قانتون » أى مطيعون ، ومعنى الطاعة ههنا ، ان من فى السموات والأرض مخلوقون كارادة الله ، لايَقْدِرُ أحَدٌ على تغيير الخِلْقة ، ولا مَلَك مُقرَّب ، فآثار الصنْعة والخِلْقة تدلّ على الطاعة ، وليس يَعْنى بها طاعة العبادة ، لأن فيهما مطيعا وغير مطيع .. وانما هى طاعة الارادة ، والمشيئة .

والقانت المطيع ، والقانت : الذاكر ، كما قال : « أَمَّنْ هو قانتٌ آناءَ الليل ساجداً وقائماً » والقانت : العابد كما فى قوله : « وكانت من القانتين » والمشهور فى اللغة ان القنوت الدعاء ، وحقيقة القانِت انه القائم بأمر الله ، فالداعى اذا كان قائما خُصَّ بأن يقال له : قانت ، لأنه ذاكر لله تعالى ، وهو قائم على رِجْلَيْه ، فحقيقة القنوت العبادة والدعاء فى حال القيام ، ويجوز ان يقع فى سائر الطاعة لأنه إن لم يكن قيامٌ بالرِجْلَينِ فهو قيامٌ بالشىء بالنية .

وقد أوسع الكلامَ على القنوت .. القاضى أبو بكر بن العربى فى كتاب عَارِضَة الأحْوذىَ ، وقال : ان القنوت له عشرة معانٍ .. ونقله الحافظ الزين العراقى ، وزاد عليه ، ونَظَم المعانِىَ كلَّها فى ثلاثة أبياتٍ ، ونقلها الحافظ ابن حَجَرٍ العسقلانى فى أواخر باب الوِتْر .. من فتح البارى :

ولفظُ القنوتِ اعدد مَعَانِيَهُ تجِدْ — مَزيداً على عَشرْ مَعَانى مُرْضِيَهْ
دعاءُ خشوعُ والعبادةُ طاعةٌ — إقامتُها إقرارُها بالعُبوديَةْ

سكوتٌ صلاةٌ والقيــامُ وطولهُ　　كذاك دوامُ الطاعـةِ الرابــح النِيَة

قال الزبيدى : وقد ألحق شيخنا بيتاً رابعاً جامعاً لِما زاده المَجْدُ :

دوامٌ لحــجٍ طولُ غزْوٍ تواضُعٌ　　الى الله خُذْهــا ستــةً وثمانِيَةْ

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وأنَّه تَعالَى جَدُّ ربّنا ماإتخذ صاحبةً ولا ولداً » قال : « جَدُّ ربّنا » عَظَمةُ ربنا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أمية بن أبى الصَّلتِ :

لك الحَمْــدُ والنعماءُ والمُلْك رَبَّنا　　فلا شىء أعْلَىَ منــك جَدًا وأمْجَدُ

والبيت فى ديوانه (ص ٢٧) وذكره الـزمخشرى فى الفائـق (ج ١ ص ١٧٧) .

وقال ابن قتيبة فى تفسير الجَدِّ : جَدُّ الله عظمته ، ومنه قوله : « تعالى جَدُّ ربّنا » ومنه يقال فى افتتاح الصلاة : تبارك اسمك ، وتعالى جَدُّك ، جَدَّ الرجُلُ فى صدور الناس وفى عيونهم اذا عَظُم ، ومنه قول أنَسٍ : كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا ، أى عَظُم .

وفى غريب القرآن له ص ٤٨٩ عن مجاهد : « جَدُّ ربنا » جلال ربنا ، وعن قتادة عظمته ، وقال ابو عبيدة : ملكه وسلطانه (انظر المجاز ج ٢ ص ٢٧٢) وقول مجاهد رواه الطبرى عن عكرمة ايضاً وقول قتادة رواه السيوطى عن ابن عباس ايضا فى الدر المنثور ج ٦ ص ٢٧١ ونقل الفراء فى المعانى ج ٣ ص ١٩٢ قول مجاهد . وفى تنوير المقباس ص ٣٦٩ عن ابن عباس : « جد ربنا » ملكه ، وعظمته ، وسلطانه ، وغناه ، وصفته .

وقال الراغب فى المفردات : سُمّى الفيض الالهىّ جَدًّا ، قال تعالى : « تعالى جَدُّ ربّنا » أى فيضُه ، وقيل : عظمته ، وهو يرجع الى الأول ، وإضافته اليه على سبيل اختصاصه بمُلْكِه .

وقال ابن فارس فى المقاييس : هذه المادّة تدل على ثلاثة اصول ، الأول : العظمة ، والثانى : الحظ ، والثالث : القطع . فالأول : العظمة ، قال الله تعالى إخباراً عمن قال : « وأنّه تَعالىَ جَدُّ ربّنا » ويقال : جَدَّ الرجل فى عينى ، أى عَظُم . والثانى الغِنى والحظُّ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه : لاينفع ذا الجَدّ منك الجَدُّ ، يريد لاينفع ذا الغِنى منك غِناه .. انما ينفعه العمل بطاعتك .

وقال ابن الأثير فى النهاية : تبارك اسمك وتعالى جَدُّك ، أى علا جلالُك وعظمتك ، والجَدُّ : الحظ والسعادة والغنى ، ومنه حديث القيامة : واذا أصحاب الجَدِّ محبوسون ، أى ذوو الحظ والغنى .

وقال ابن منظور : الجَدُّ البَخْتُ ، والحُظْوة ، والرزق ، يقال : فلان ذو جَدٍّ فى كذا ، أى ذو حظٍّ . وفى حديث القيامة قال صلى الله عليه وسلم : قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء .. واذا اصحاب الجدّ محبوسون ، أى ذوو الحظّ والغِنى فى الدنيا .

قال أبو تراب : وذلك لأجل الحساب والسؤال .

وفى الدعاء : لا مانع لِما أعطيت ، ولامُعْطِى لما منعت ولاينفع ذا الجَدّ منك الجَدُّ ، أى من كان له حظ فى الدُنْيا لم ينفعه ذلك منه فى الآخرة .

وقال الجوهرى : أى لاينفع ذا الغنى عندك غناه ، وانما ينفعه العمل بطاعتك ، و (منك) معناه (عندك) .

وقال ابو عبيد فى هذا الدعاء : الجَدُّ بفتح الجيم لاغير ، وهو الغنى والحظ ، ومنه قيل لفلان فى هذا الأمر جَدُّ ، اذا كان مرزوقا منه ، فتَأَوَّل قوله : لاينفع ذا الجَدّ منك الجَدّ أى لاينفع ذا الغنى عنك غناه ، انما ينفعه الايمان والعمل الصالح

بطاعتك ، وهكذا قوله : « يوم لاينفع مال ولابنون . الا من اتى الله بقلب سليم » وقوله : « وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تُقرّبكم عندنا زُلْفَى » .

قال محمد بن المكرّم صاحب اللسان : تفسير أبى عبيد هذا الدعاء بقوله : (أى لاينفع ذا الغنى عنك غناه) فيه جراءة فى اللفظ ، وتَسمُّحٌ فى العبارة ، وكان فى قوله : (أى لاينفع ذا الغنى غناه) كفاية فى الشرح ، وغُنْيةٌ عن قوله : (عنك) أو كان يقول كما قال غيره : (أى لاينفع ذا الغنى منك غناه) .

وأما قوله : (ذا الغنى عنك) فان فيه تجاسراً فى النطق ، ومماأظن ان احدا فى الوجود يَتَخيَّل أنَّ له غِنى عن الله تبارك وتعالى قَطُّ ، بل أعتقد ان فرعون والنَمِروذ وغيرهما ممن ادّعى الالهية ، انما هو يتظاهر بذلك ، وهو يَتحقّق فى باطنه فَقْره واحتياجه الى خالقه ، الذى خَلَقه ودَبَّره فى حال صِغَرِ سِنِّه ، وطُفوليته ، وحَمْلِه فى بطن أُمه ، قبل ان يدرك غناه أو فقره ولاسيما اذا احتاج الى طعام أو شراب ، أو اضْطُر الى اخراجهما ، أو تَأَلَّم لأيْسرَ شىء يُصيبه من موتِ محبوبٍ له ، بل من موت عضو من اعضائه ، بل من عدمِ نومٍ ، أو غَلَبة نعاسٍ ، أو غُصَّةِ ريق أو عَضَّة بَقٍ مما يَطْرأُ أضعاف ذلك على المخلوقين . فتبارك الله رب العالمين .

قال أبو تراب : وعُذر أبى عبيد انه راعى تَعْدِية اللفظ ، فصيغة الغنى تتعدّى بـ (عَنْ) والعقائد السائدة فى العالم أجْمَعَ ـ ماخَلاَ الدهرية ـ كلُّها مُثْبِتَةٌ لوجود البارىء سبحانه وتعالى ، فاذا تَأَتَّى تَخَيُّل شيطانى للغِنى عن الله فهذا الذى لاينفعه يومئذ عنده ، ولعل هذا المعنى هو الذى يريده ابو عبيد ، وفى الدعاء : اللهم أغْنِنى بالافتقار اليك ، ولاتُفْقِرنى بالاستغناء عنك . فلو كان كما قال ابن المكرّم .. فكيف يُتصَوّر الاستغناء عن الله عز وجل ، لذلك قلنا : أنَّ هذا وأمثالَه على المجاز ، واليه رَمَى ابو عُبيد والله أعلم .

وقال أبو عُبيد : وقد زعم بعض الناس : انما هو : « ولاينفع ذا الجِدّ منك الجِدُّ » والجِدُّ انما هو الاجتهاد فى العمل ، وهذا التأويل خلاف مادعا اليه المؤمنين ، ووَصَفهم به ، لأنه قال فى كتابه العزيز : « ياأيها الرُسُل كلوا من

الطيّبات واعملوا صالحاً » فقد أمرهم بالجِدّ والعمل الصالِح ، وحمِدهم عليه ، فكيف يَحْمَدُهم عليه وهو لاينفعهم .

وقال فى اللسان : الجَدُّ : العظمة ، قال : « تعالى جَدُّ ربّنا » ، وقيل : غناه ، وقال مجاهد : جَدُّ ربنا جلال ربنا وقال ابن عباس : لو علمت الجنُّ أن فى الانس جَدًا ماقالت : « تعالى جَدُّ ربنا » يعنى ان الجن لو علمت ان أبا الأب فى الانس يُدْعى جَدّاً ، ماقالت الذى أخبر الله عنه فى هذه السورة عنها .

قال أبو تراب : هذه الرواية تذهب الى ماقيل من انه كان من كلام جَهَلة الجنّ .

وقال الطبرى : اختلفوا فى معنى : « تعالى جَدُّ ربّنا » فقال بعضهم : معناه : أمْرُ ربّنا . وسلطانه ، وقدرته ، وقال آخرون : معناه : جلالُ ربنا ، وقال آخرون : معناه غِنَى ربنا ، وقال آخرون : معناه ذكر ربنا ، وأوْلى الأقوال بالصواب انه اراد : تعالت عظمة ربنا ، وقدرته ، وسلطانه .

وهؤلاء النفر من الجن الذين آمنوا أرادوا ان حُظْوتَه من الملكِ والسلطان والقدْرة والعظمة عالية ، فلا تكون له صاحبة ولا ولد ، لأن الصاحبة أى الزوجة ـ تكون للضعيف العاجز ، فقالوا : عَلاَ مُلْكُ ربنا ، وسلطانه ، وقدرته ، وعظمته . ان يكون ضعيفاً ضَعْفَ خَلْقِه ، وقد بَينَّ عن صحة ماقلنا إخبار الله عنهم ، أنهم انما نَزَّهوا الله ، عن اتخاذ الصاحبة والولد : « وأنّه تعالى جَدُّ ربّنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً » .

وشاهده من اللغة قولهم : رجل جَدّىٌ ، ومجدود ، أى ذو حَظٍ فيا هو فيه ، قال حاتم الطائى :

أغْزُوا بَنِى ثَعَلٍ فالغَزْوُ جَدُّكمو ... عُدُّوا الرَّوابى ولاتَبْكوا لِمَنْ قُتِلا

وقال آخر :

يُرَفّعُ جَدَكَ أنى آمْرُؤٌ ... سَقَتْنى اليك الأعادِى سِجالا

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « يطوفون بينها وبين حميمٍ آنٍ » ؟ قال : الآنِي الذى انتهى طبخُه وحَرُّه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول نابغة بنى ذُبيَان :

وتُخْضَبُ لحيةٌ غدرتْ وخانتْ   بأحمَر من نجيع الجوفِ آنِ

قال أبو تراب : البيت فى ديوانه (ص ١١٠) ونجيع الجوف يعنى الدم الخالص .

والآنى : الشديد الحرارة ، وهو الذى بلغ إناهُ أى نُضْجَه . وهذا الشطر ينسب أيضا الى عنتَرة ، ويُروى فيه : « قَانِ » بدل « آنِ » وهو الشديد الحُمرة .

قال الوزير ابو بكر : معنى قوله : « وتُخْضَبُ لحية » أنه إن قَدَر عليك قتلك ، وخَضَب لحيتك بدم جوفك ، ونسب الغدر اليها .. والمراد صاحبُها مجازاً ، والبيت استشهد به الطبرى (ج ٢٧ ص ٧٥) وابو عُبيدة فى المجاز (ج ٢ ص ٢٤٥) . والقرطبى (ج ١٧ ص ١٧٥) .

ومعنى الآية : يقال لهؤلاء المجرمين ، الذين أخبر الله تعالى عنهم ، أنهم يُعرفون يوم القيامة بِسِيماهم حين يؤخذ بالنواصي والأقدام . هذه جهنم التى يكذّب بها المجرمون . يَصْلَونها ، لايموتون ولايَحْيَوْن ، ويطوفون فى جهنم بين اطباقها ، وبين حميمٍ آنٍ ، أى بين ماءٍ قد أُسْخِنَ وأُغْلِىَ حتى انتهى حَرُّه ، وأَنَى طَبْخُه ، وكل شىء قد بَلَغ وأدْرَك فقد أنَى ، ومنه قوله تعالى : « غير ناظرين إناهُ » يعنى إدراكه وبلوغه ، يعنى الطعام .

وقال النابغة : (بأحمر من نجيع الجوف آن) أى مُدْركٍ .

وقال بعضهم : عَنَى بالآنِى : الحاضر ، فبأى نِعَم ربّكما ، يامعشر الجنّ والانس ، التى أنعمها عليكم ، بعق بته أهلَ الكفرِ ، وصكريمِهِ أهلَ الايمان .. تكذّبان ؟ ذكره الطبرى .

وقال ابو عبيدة : « آنِ » بلغ إناهُ فى شدة الحر ، وكل مدرك آنٍ ، وفى آية أخرى « إناه » أى إدراكه .

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ٤٣٩ : الآنى الذى انتهت شدة حرّه . ورواه الطبرى عن ابن عباس . وانظر تنوير المقباس ص ٣٣٧ .

وقال الزمخشرى : والحميم الآنى هو الماء الحارُّ قد انتهى حَرُّه ونُضْجُه ، أى يعاقب عليهم بين التَصْلِيَة بالنار ، وبين شرب الحميم .

وقيل : اذا استغاثوا من النار . جُعِل غياثهم الحميم ، وقيل : إن وادياً من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار .. فيُنْطَلَقُ بهم فى الأغلال ، فيَغْمِسُون فيه ، حتى تنخلع أوصالهم ، ثم يُخرجون منه ، وقد أحْدَثَ الله لهم خَلْقاً جديدا ، ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب .. نجاةُ الناجى منه برحمته وفضله ، ومافى الانذار به من اللطف .

وهذا كقوله تعالى : « وإن يَسْتَغِيثُوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهْل » .

وكقوله تعالى : « كلَّما أرادوا أن يَخرجوا منها أُعيدوا فيها » لأنهم يخرجون فيستغيثون .. فيظهُر لهم من بُعْدٍ شىءٌ مائع هو صديدُهم المَغْلىُّ ، فيظنونه ماء ، فيرَدُون عليه كما يَرِدُ العطشان ، فيقعون ويشربون منه شرُب الهِيم - وهى الابل العَطْشَى - فيجدونه أشدَّ حَرًا ، فيُقَطِّع أمعاءَهم ، كما أن العطشان اذا وصل الى ماءٍ مِلْحٍ لايبحث عنه ، ولايذوقه ، وانما يَشربه عَبًّا ، فيَحْرِقُ فؤاده ، ولايُسَكِّنُ عَطَشَه .

وقوله : « حميم » إشارة الى مافُعل فيه من الاغلاء ، وقوله : « آن » اشارة الى ماقبله ، فكأنه حَمَّته النار ، فصار فى غاية السُخون ، وآن الماء : اذا انتهى فى الحَرِّ نهايةً ، ذكره الرازى .

قال أبو تراب : وآن ، مِثْلَ أنَى فى المعنى ، وهو مقلوب منه أى دَنَا ، وقَرُب ، وفى القرآن : « من عينٍ آنِيَةْ » أى بالغة إناها فى شدة الحرّ كالحميم ، وقوله تعالى : « ألم يَأْنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » أى ألم يَقْرُب .

وأورد أبو عبيدة شاهدا لِـ « ألم يَأْنِ للذين آمنوا » قولَ عمرو بن حسان فى المناذرة والأكاسرة كما ذكره التبريزى (ج ١ ص ٣) وهو فى اللسان وقيل انه

لخالد بن حُقَ الشيباني ، وفى جمهرة الأشعار (ص ٢٦) انه للنابغة ، وهو فى إصلاح المنطق لابن السِكِّيت من غير عَزْوٍ (ج ٤ ص ٣٧٦) وفى تفسير الطبرى وتاج العروس للزبيدى ، قال :

تَمَخَّضَتِ المَنُون له بيومٍ أَنَى ولكل حاملةٍ تمامُ

وفى المقاييس : ان هذه المادة تدل على أربعة معان هى الأصول .. وهى : البُطْء ، وما أشْبهه من الحِلْم وغيرِه ، وساعةٌ من الزمان ، وإدراك الشيء ، وظرفٌ من الظروف .

فأما إدراك الشيء فالإِنَى . تقول : انتظرنا إِنَى اللَّحْمِ ، أى إدراكه ، واستَأْنَيْتُ الطعامَ ، أى انتظرت نُضْجَه ، و « حميم آن » قد انتهى حَرُّه ، والفعل .. أَنَى الماءُ المُسْخَنُ يَأْنِيْ .

قال عباس :

علانِيَةً والخيلُ يَغْشَى متونهَا حَمِيمٌ وآنٍ من دَمِ الجوفِ ناقعُ

ومن شواهد هذه المادة ، ماأنشده ابن الاعرابى فى الإِنَى ، قال :

أَتَمَّتْ حَمْلَها فى نصف شهرٍ وحَمْلُ الحاملاتِ إِنىً طويلُ

وأنشد يعقوب قول السُلَمِيَّة :

عن الأمر الذى يؤنيك عنه وعن اهل النصيحة والوداد

أرادت : يُنْئِيك ، وهو من النَأْىِ ، بمعنى البُعْدِ .

وأنشد الليث قول الشاعر :

اِسْتَأْنِ تَظْفَرْ فى أموركَ كلِّها واذا عزمت على الهوى فتوكَّل

أى : لا تعجل ، ومنه الأناةُ : أى الحِلْم والوقار ، والأناة : المرأة الرَّزينة .

قال الشاعر :

أَنَاةٌ كأن المسكَ تحت ثيابها وريحَ خُزامى الطّل فى دَمِثِ الرَّمْلِ

وقال ابو حَيَّة النُميرى :

رمتْه أناةٌ من ربيعة عامرٍ نَؤُومُ الضُحى فى مأتمٍ أىَ مأتِمِ

وآناء الليل ، واحدها إِنْىٌ ، قال المتَنَخّل :

حُلْوٌ ومُرٌّ كعَطْفِ القِدْح مِرَّته   فى كل إنْىٍ قَضَاه الليلُ يَنْتَعِلُ

وأورد ياقوت فى معجم البلدان قول ابن مُقْبل :

ثم احتملن أنِيًا بعد تضحية   مثل المخاريف من جَيْلاَنَ أو هَجَرِ

المخاريف : جمع مِخْرَفٍ ، وهو الزِبّيْلُ - أى القُفَّة يجُتنى فيها الثمر . وجَيْلانُ وهَجَر : موضعان ، والأَنِىُّ : البطىء .. قاله ابن منظور ، وقال ياقوت : هو تصغير إِنْىٍ ، واحدِ آناءٍ . وقال النابغة :

الرِفْقُ يُمْنٌ والأَناةُ سعادةٌ   فَتَأَنَّ فى رِفْقٍ تُلاقِ نجاحا

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فاذا ذهب الخوف سَلَق كم بألسنةٍ حدادٍ » ؟ قال : يعنى الطَّعْنَ باللسان ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

فيهمو الخِصْبُ والسماحةُ والنَجْـ   ـدةُ جَمْعا والخاطب المِسْلاقُ

قال أبو تراب : هذا البيت .. ذكره الجاحظ فى الحيوان (ج ٣ ص ٤٨٥) واستشهد به الشوكانى فى فتح القدير ، وهو فى ديوان الأعشى (ص ١٤٤) وتفسير القرطبى (ج ١٤ ص ١٥٤) والصحاح ، واللسان والتاج ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ٢ص ١٣٥) .

ويتضح معنى الآية بما قبلها ، قال تعالى : « قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم هَلُمَّ الينا . ولايأتون البأس الاّ قليلا . أشحَةً عليكم فاذا جاء الخوف رأيتَهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يُغْشَى عليه من الموت . فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنةٍ حِدادٍ . أشحَةً على الخير . أولئك لم يؤمنوا . فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا » .

قال الطبرى : ومعناه : قد يعلم الله الذين يعوّقون منكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصدّونهم عنه وعن شهود الحرب معه ، نفاقا منهم وتخذيلا عن الاسلام وأهله . والقائلين لاخوانهم : تعالوا الينا ، ودَعُوا محمدا ، فلا تشهدوا معه مَشْهَدَه . فانّا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه ، ولايأتون الحرب والقتال الاّ تعذيرا ودفعا عن انفسهم .

وقد وصف الله تعالى هؤلاء المنافقين ، بالجُبن والشُحّ بالغنيمة والخير ، والنفقة فى سبيل الله على أهل المَسْكَنَة ، فاذا جاء القتال وخافوا الهلاك ، رأيتَهم يامحمد ينظرون اليك لِواذا بك ، تدور أعينهم خوفا من القتلِ وفرارا منه ، كدَوَرانِ عينِ الذى يُغشى عليه من الموتِ النازل به . فاذا انقطعت الحربُ ، واطمأنوا سلقوكم بألسنة حداد .

ويقال للخطيب الذَّرب اللسان : مسلق ومصلق ، وسلاق وصلاق .

وفى حديث علىّ : ذاك الخطيب المسلق ، وقال بعض العلماء : سَلْقُهم إياهم عند الغهيمة ، بمسألتهم القَسْمَ لهم . وقال آخرون : بل ذلك سَلْقُهم اياهم بالأذى . وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يسلقونهم من القول بما يحبّون نفاقا منهم وظاهر القرآن يدل على أن سَلْقَهم لطلب الغنيمة ، لأنه وصفهم بالشُحّ عليها .

وقال ابو عبيدة فى مجاز القرآن (ج ٢ ص ١٣٥) : « سلقوكم بألسنةٍ حدادٍ » أى بالغوا فى عيبكم ، ولائِمَتِكم ، ويقال : لسانٌ حديدٌ ، أى ذليق ، وخاطب مِسْلَاقٌ ، وأنشد قول الأعشى :

فيهمو الحزم والسماحة والنَجْـ ـدَةُ فيهم والخاطب المِسْلاقُ

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ٣٤٩ « سلقوكم » يقول : آذوكم بالكلام الشديد ، ونقله عنه القرطبى ايضا وفيه لغة أخرى بالصاد ولا يقرأ بها .

وقال الراغب : السَّلْقُ : بَسْطٌ بِقَهْر ، إمّا باليد ، وإما باللسان .

وقال ابن فارس : فى هذه المادّة كلمات متباينة لاتكاد تُجمع منها كلمتان فى

قياس واحد ، وذكر منها : سَلَق أى صاح ، والسَليقة الطبيعة .. والتَسَلُّق على الحائط التورُّد عليه الى الدار ، والسليق : ماتَحاتَّ من الشجر .

قال الراجز :

تَسْمَعُ منهـا فى السَّليـق الأشْهَبِ   مَعْمَعَـةً مِثْـلَ الضِرامِ المُلْهَبِ

والسُلاقُ : تَقَشرُ جِلْدِ اللسان ، وسَلَقْتُ المَزادَة ـ أى القِرْبَة ، اذا دَهَنْتَها ، قال امرؤ القيس :

كأنهما   مَزادَتـا   مُتَعَجلٍ   فَرِيَـانِ   لَمَّا   يُسْلَقَـا   بدِهانِ

وقال الزمخشرى : أخذتُه فسَلَقْتُه لِقَفاهُ ، قال :

حتـى اذا قالـوا تَيَفَّـعَ مالكٌ   سَلَقَـتْ أُمَيْمَـةُ مالـكاً لِقَفَاهُ

تيفع : أى اصبح يافعا ـ وسلقتُ اللحم عن العظم : أى قشرته ، وركبت الدابَّة فسَلَقَتْنِى ، اذا سَحَجتْ باطن فخذَيْك ، وسَلَقَ الرأس فى الماء الحارّ حتى ذهب شَعْرُه ، وطَبخ لنا سليقة : وهى الذُرة المهروسة ، وتقول : الكرم سليقته ، والسخاء خليقته ، وهو يتكلم بالسليقة ، ورَجَلٌ سَليقىٌّ ، قال :

ولسـتُ بِنَحْـوِىٍّ يلـوك لسانَه   ولـكنْ سليقـىٌ أقـولُ فأُعربُ

وكلبٌ سَلُوقىٌّ : منسوب الى قرية باليمن .

ومن المجاز : سَلَقه بلسانه : وهى سِلْقَةٌ ـ أى سَليطةٌ ـ وهى الذِئْبَةُ .

وقال ابن سِيْدَة فى المُحْكَمِ : الأسُالِقُ : أعالى الفم يعنى باطن الفم حيث يرتفع اليه اللسان ـ وهو جمق لا واحد له .

قال جرير :

إنّـى امْـرُؤٌ أُحْسِـنُ غمْـزَ الفائِق   بـيـن اللَّهـا الداخـل والأَسَالِقِ

وناقة سَيْلَقٌ : ماضية فى سيرها ، قال الشاعر :

وسَـيْرِى مع الركبـانِ كلَّ عَشِيَّة   أُبـارىْ مَطَايَاهـم بأذْمـاءَ سَيْلَقِ

والأذْماءُ : شديدة البياض .

والسَلوقى ايضا : السيف ، أنشد ثَعْلَبٌ شاهداً له :

تَسُـوْرُ بـيـنَ السَّرْجِ واللِجامِ سَوْرَ السَّلُوقِـيَ الى الأَجْذامِ

السور الوثوب والسَّلْقُ :القاع الصَّفْصَفُ . وقد يُجمع على أسلاقٍ ، قال الأعشى :

كخَذول تَرْعَى النواصف من تثليث قفـراً خَلاً لهـا الأَسْلاَقُ

تَنْفُضُ المَرْدَ والكَبـاثَ بِحِمْلاجٍ لطيف فى جانِبَيْـه انْفراقُ

الخَذول : الظَّبْية المتَخَلِّفة عن الظِباء . والنواصف : جمع ناصفـةٍ ، وهـى المَسِيل الضخم . وخَلاَ لها ، أى انبت لها الخَلىَ - وهو البَقْلُ والرَّطْب من النبات - والمَرْدُ والكَبَاثُ ثمر الأراك - وهـو شجـر تتخـذ من اصولـه المساويـك - وأراد بالحِمْلاج : يدها ، و« انْفراقُ » يعنى انفراق ظِلْفَيْها . وتثليث : اسم موضع .

وفى الحديث : ليس منّا من سَلَق وحَلَق ، أى رفع صوته عند موت إنسان ، وقال : لعن الله السالقة والحالقة . قيل : هو أن تَصُكَّ المرأة وجهها عند المُصيبة .

وقال الفراء فى معانى القرآن ج ٢ ص ٣٣٩ : « سَلَقُوكم بألسنة حِدادٍ » معناه عَضُّوكم ، وآذَوكم بالكلام عند الأمن بألسنةٍ سليطة ذَرِبَةٍ ، والعرب تقول : صلقوكم ، ولا يجوز فى القراءة لمخالفتها اياه . أنشدنى بعضهم :

أَصْلَـق نابـاه صيـاح العصفورْ إنْ زَلَّ فوه عن جواد مِئْشيرْ

وذلك اذا ضرب النابُ النابَ فسمعتَ صوته .

قال أبو تراب : هذا من شعر العجاج فى وصف حمار وحشى يدافـع عن أتانه . والمَئشير من الأشرَ .

وقال بعضهم : معناه : خاصموكم فى الغنيمة أشد مخاصمة وأبلغها .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « أفرأيت الذى تولىَ ، وأعْطى قليلاً وأكْدَى » .. قال : « وأكدى » أى كَدَّره بِمَنّه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

فأعْطــى قليـــلاً ثم أكْدى بمَنّه ومن يَنْشُرِ المعروف فى الناس يُحْمَدِ

قال ابو تراب : هذا البيت للحُطيئة ، استشهد به القرطبى فى تفسيره والسيوطى وابو حيان والشوكانى ايضا ، وهو فى رواية أخرى :

فأعْطــى قليـــلاً ثم أكْدَى عطاءَه ومن يَبْذُل المعروف فى الناس يُحْمَدِ

وفى صحيح البخارى : (وأكدى) أى قطع عطاءه .

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ٢ ص ٢٣٨) : معنى أكْدَى : قَطَع ، اشتُقَّت من كُدْيَة الرَّكية ـ يعنى البئر ـ وهو ان يَحْفِرَ حتى ييأس من الماء . فيقول : بلغنا كُدْيَتَها ، وأورده الطبرى ونقله فى اللسان عن الزجاج .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٤٢٩) أكْدَى أى قطع من كُدْيَة الرَّكيَة ، وهى الصلابة فيها ، واذا بلغها الحافر يَئس من حَفْرها فقطع الحَفْر ، فقيل لكل من طلب شيئا فلم يبلغ آخره ، أو أعطى ولم يُتَمّمْ : أكْدَى ، وذكر نحوه القرطبى وابو حيّان فى البحر المحيط وذكر بيت الحُطيئة المذكور كما ذكره السيوطى فى الدر المنثور .

وفى التنوير ص ٣٣٣ : « وأكدى » قطع نفقته وصدقته فى سبيل الله .

وقال الراغب : استُعير « أكْدَى » للطالب المُخفِقِ ، والمُعْطِى المُقِلّ .

وفى المقاييس : هذه المادة تدل على صلابةٍ فى شىء ، ثم يقاس عليه ، يقال : حَفَرَ فأكْدَى .. إذا وصل الكُدْية ، ثم يقال للرجل اذا أعطى يسيراً ثم قَطَع : أكْدَى شُبّه بالحافر يَحْفِر فيُكْدِى ، فيُمسك عن الحفر ، قال الله تعالى : « وأعْطَى قليلا وأكْدَى » .

وفى أساس البلاغة : أكْدَى الحافر : بَلَغ الكُدْيَةَ ، وهى صلابة الأرض ، فمنعْته .. كقولهم : أجْبَل الحافر ، وأكْدى الرجل : أخْفَقَ ، ولم يَظْفَرْ بحاجته ..

وفلانٌ مُكْدٍ ، لايَنْمَى مالُه ، وطلبتُ اليه فأكْدى : أجْحَد ، ونَكِرَ ، وإن فلاناً قد بَلَغ الناسُ كُدْيَتَه وكُدَاهُ ، اذا أمسك بعد الاعطاء ، ومِسْكٌ كَدٍ ، لا ريحَ له ، وتقول : كَدِىَ بعد ماقَدِىَ .

قال أبو تراب : يعنى ذهبت رائحته بعد أن فاحت ، ومن هذه المادة الكادِيَة ، وهى الأرض اذا أبطأ نباتُها ، وأنشد أبو زيد :

عَقْرَ العَقيلةِ من مالى اذا أمِنَتْ عقائلُ المالِ عَقْرَ المُصرِخِ الكادِى

الكادى : البطىء الخير ، ويقال : أكْدَى : أى ألَحَّ فى المسألة ، قال :

تَضِنُّ فنُعْفِيْها إنِ الدارُ ساعَفَتْ فلا نحن نُكْديها ولا هى تبذلُ

فلا نحن نُكْديها : أى فلا نحن نُلِحُّ عليها ، وقالت الخنساء :

فَتَى الفتيانِ مابلغوا مَداهُ ولايُكْدِى اذا بلغتْ كُداها

اى لايقطع عطاءه ، ولايمسك عنه ، اذا قَطَع غيرُه ، وأمْسَك ، وأكْدَى الرجلُ : قَلَّ خيرُه ، وقيل : المُكْدِى من الرجال الذى لايَثوبُ له مال ، ولا يَنمِىْ ، وقد أُكْدِىَ ، وأنشد ثعلب :

وأصبَحَت الزُوّارُ بعدَك أمْحَلُوا وأُكْدِىَ باغى الخير وانْقَطع السَفْرُ

وفى تهذيب اللغة للأزهرى : يقال : الكِدَا بكسر الكاف ، القطع . من قولك : أعْطَى قليلا وأكْدَى : أى قطع ، والكَدَا : المنع ، قال الطِرِمّاح :

بلى ثم لم تَمْلِكْ مقاديرَ سُدِّيَتْ لنا من كَدَا هندٍ على قِلَّةِ الثَمْدِ

قال أبو تراب : الثَمْد : ماء المطرِ يبقى محقونا تحت الرمل ، فاذا كُشف عنه أدَّته الأرض .

وفى لسان لعرب : أكْدَيْتُ الرجلَ عن الشىء ، ورَدَدْتُه عنه ، ويقال للرجل عند قهر صاحبه له : أكدتْ أظفارُك ، وأكْدَى المطر ، قَلَّ ونَكِدَ ، وأكْدَى الرجل : قَلَّل عطاءه ، وقيل : بَخِلَ . وفى التنزيل العزيز : « وأعْطَى قليلا وأكْدَى » قيل : أى وقطع القليل ، قال الفرّاء : أكْدى : أمسك عن العطية وقطع (انظر المعانى ص ١٠١ ج ٣) ، وقال الزجّاج : معنى أكْدَى : قَطَع ، وأصله من الحَفْر

فى البئر . يقال للحافر اذا بلغ الى حَجَرٍ لايُمَكِّنُه من الحَفْر : قد بلغ الكُدْيَة .. وعند ذلك يَقطع الحَفْرَ . وقال ابو عمرو : أكْدى : منع ، وأكْدى : قطع ، وأكْدَى : اذا انقطع ، وأكْدى النَّبْتُ : اذا قَصرُ من البَرْد ، وأكدى العام : اذا أجْدَبَ ، وكَدِيَتْ أصابعه : أى كَلَّتْ من الحفر .

وقال ابن الأعرابى : أكْدَى : افتقر ، وقَمِيءَ خَلْقُه ، ومنعَ ، وأمْسَك ، وأكْدى المَعْدِنُ : لم يتكون فيه جوهر .

ومعنى قوله تعالى : « أفرأيت الذى تولىّ ، وأعطى قليلا وأكْدَى » : أفرأيت يامحمد الذى أدبر عن الايمان بالله ، وأعرض عنه ، وعن دينه ، وأعطى صاحبه قليلاً من مالِه ، ثم منعه ، فلم يُعْطِه ، فبَخِل عليه .

وذكر ان هذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة .. من أجْل أنه عاتبه بعض المشركين ، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه ، فضَمِن له الذى عاتبه إن هو أعطاه شيئا من ماله ، ورجع الى شرِكه ان يتحمل عنه عذاب الآخـرة ، ففعل ، فأعطى الذى عاتبه على ذلك بعض ماكان ضَمِن له ، ثم بخل عليه ومنعه تمام ماضَمِن له ، فأنزل الله تعالى : « أعنده علمُ الغيب فهو يَرى ، أمْ لم يُنَبَّأْ بما فى صُحُفِ موسى ، وابراهيم الذى وفىّ ، أن لاتَزِر وازرة وِزْرَ أخرى ، وأن ليس للانسان الاّ ماسعى » .

وقال بعض المفسرّين : إنها نزلت فى عثمان وأخيه من الرضاعة وهو عبدالله بن سعد بن أبى سَرْح ، كان عثمان يعطيه ماله ، فسأله ان يعطيه ناقة برَحْلها ، وهو يتحمل عنه أوزاره ، ففعل عثمان ، وأشهد عليه ، ثم أمسك عنه ، قيل : ومعنى « تَوَلىَّ » ترك مركزَه يوم أُحُدٍ ، فعاد عثمان بعد ذلك الى أحسن حالٍ ، وهذا ذَكره الزمخشرى والنيسابورى ونقله ايضاً فى التنوير ص ٣٣٣ .

قال ابو تراب : وهو قول باطل ، وظاصر حَالِ عثمان يَأْبَى ذلك .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « يقول الانسان يومئذ أين المَفَرّ . كَلاَّ لا وَزَرْ » ؟ قال : أما سمعت قول عمرو بن كلثوم :

لعَمْرُك مَاإنْ له صَخْرَةٌ لَعَمْرُك مَاإنْ له من وَزَرْ

قال أبو تراب : ورواه أبو حيّان فى البحر المحيط (ج ٨ ص ٣٨٢) :

لَعَمْرُك ماللفتى من وَزَرْ من الموتِ يُدْرِكُه والكِبَرْ

وهو فى تفسير القرطبى (ج ١٩/ ص ٩٤) ومجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ٢ ص ٢٧٧) ونسبه الى ابن الذّئْبَةِ ، وقال : « لا وزر » لا جبل ، وهو فى لغات القبائل نقلا عنه كما يأتى .

وفى غريب ابن قتيبة ص ٤٩٩ « لا وزر » أى ملجأ . وأصل الوزر الجبل أو الحصن الذى يمتنع فيه . وفى معانى الفراّء ج ٣ ص ٢١٠ الوزر الملجأ .

قال فى الكشاف : « لا وَزَرْ » أى لا ملجأ . وكلُّ ماالتجأت اليه من جبل أو غيره ، وتخلصت به فهو وَزَرُكَ . و « كلاّ » ردع عن طلب المَفَرِّ .

وفى التفسير الكبير : قال المبرّد والزجّاج : أصل الوَزَر : الجبل المنيع ، ثم يقال لكل ما التجأت اليه وتحصنت به وَزَر . وأنشد المبرّد قول كعب بن مالك :

الناسُ إلْبٌ علينا فيك ليس لنا الاّ السقوف وأطرافُ القَنَا وَزَرُ

ومعنى الآية : انه لاشىء يعتصم به من أمر الله . ثم قال : « الى ربك يومئذ المُسْتَقَرّ » وفيه وجهان .. أحدهما : أن يكون المستقر بمعنى الاستقرار ، أى أنهم لايقدرون ان يستقروا الى غيره ، كما قال : « ان الى ربك الرُّجْعَى » ، « والى الله المصير » ، « ألا الى الله تصير الأمور » ، « وأن الى ربك المُنْتَهى » .

الثانى : أن يكون المعنى : الى ربك مستقرَهم . أى موضع قرارهم ، من جنة أو نار . وذلك مُفَوَّضٌ الى مَشيئته ، من شاء أدخله الجنة ، ومن شاء أدخله النار .

وقال الخازن : « كلاّ لا وَزَر » أى لا حرز . ولا ملجأ ولا جَبَل ، وكانوا اذا فزعوا لجأوا الى الجبلِ . فتحصّنوا به ، فقيل لهم : لا جبلَ لكم يومئذ تتحصنون

به ، ولاشَىء يَعْصِمُهم من أمر الله ، لا حصنَ ، ولا جبل يوم القيامة ، يستندون اليه من النار .

وفى تفسير ابن جرير : يقول الانسان يوم يُعايِنُ أهوال يوم القيامة : أين المَفَرّ من هول هذا الذى قد نزل ، ولا فِرارَ هناك ينفع صاحبه ، لأنه لايُنجيه فرارُه ، ولاشيء يلجأ اليه ، من حصنٍ ، ولا جبل ، ولامَعْقِل من أمر الله ، الذى قد حَضرَ .

وأورد ابن جرير آثارا فى الوَزَر : بمعنى الحِرْز والملجأ والجبل والحصن .

وعن الحسن قال : كانت العرب فى الجاهلية اذا خَشُوا عدوّاً قالوا : عليكم الوَزَر ، أى عليكم الجبل ، وقال ابن زيد : لا وَزَرَ : أى لا مُتَغَيّب يُتَغَيّب فيه من ذلك الأمر ، لامَنْجىَ له منه . وعن الضحاك ، قال : الوَزَرَ الجَبَلُ ، لغةُ حِمْيَرَ .

قال أبو تراب : ذكر ابن سلاّم فى كتاب لغات القبائل (ص ٢٤٣) : « كَلاَّ لا وَزَر » يعنى لاجبل ، ولا ملجأ ، بلغة توافق النَبَطِيَّة ، وقيل : الوزر .. ولد الولد بلغة هُذيل ، ولا جبل بلغة أهل اليمن ، وأنشد أبو عُبيدة لربيعة بن الذئبة :

لَعَمْركَ ما للفتى من وَزَرْ من الموت يُنْجِيُهُ والكِبَرْ

قال : لا وَزَر : أى لا جبل ، وفى تنوير المقباس ص ٣٧٤ : « لا وزر » لا جبل يواريه من النار وبلغة حمير يسمون الجبل وزراً ، ويقال : لا وزر لا شجر ولا ستر ولا حرز ولا حصن ولا ملجأ ولا منجى لهم من الله .

وقال الراغب : الوَزَر : الملجأ الذى يُلتجأ اليه من الجبل .

قال أبو تراب : وهذا من فوات الدامَغانى ، فانه لمْ يذكر هذا المعنى فى كتاب الوجوه والنظائر فى الوزر ، وذكرناه فى المُستَدرك . ولم يذكر المادّة برمّتها ابن الجوزى .

وفى كتاب المقاييس : هذه المادّة تدلّ على أصلين صحيحين ، أحدهما : المَلْجَأُ والآخر الثِقَل فى الشيء . ومن الأول قوله تعالى : « كلاّ لا وَزَرْ » وحكى الشيبانى : أوزر فلانٌ الشيء أى أحرزه .

قال أبو تراب : وذكره ابن القطّاع فى كتاب الأفعال .

والوِزْرُ : حِمْلُ الرَّجُل اذا بَسَط ثوبه فجعل فيه المتاع ، وحمَله . ولذلك سُمى الذنب وِزْراً .

وكذا الوِزْرُ السلاح ، والجمع أوزار ، قال الأعشى :

وأعــددتَ للحــرب أوزارَها رماحــاً طوالاً وخيــلاً ذكورا

والوزير سُمَى به : لأنه يحمل الثِقْلَ عن غيره ، وعليه تقع الأعباء .

وفى أساس البلاغة : حمَلتُه الوِزْرَ : وهو الحِمْلُ الثقيل ، وهو موازِرُه ، ووزيره كقولك : مُجالِسُه وجَليسُه ، ويقال : أنت حِصْنِى ووِزْرى - أى سلاحى - وأُعِدُّ أوزار الحرب : أى آلاتها ، ووضعت الحربُ أوزارَها ، ويقال : فلان وازر ، وموزور غير مأجور وهو مُتَزِرٌ ، قال مُرَار بن سعيد :

أستغفـر الله من جِدّى ومــن لَعِبى وِزْرِى فكلُّ أمْــرِىءٍ لابُــدَّ مُتَزِرُ

وفى لسان العرب : الوَزَر : المَلْجأُ ، وأصله الجبل المنيع ، وكلُّ معقلٍ وَزَرٌ .

قال أبو اسحاق الحربى : الوَزَرُ فى كلام العرب : الجبلُ الذى يُلتجأ اليه ، هذا أصلُه ، وكلُّ ماالتجأتَ اليه وتحَصَّنْتَ به : فهو وَزَرٌ .

ومعنى قوله تعالى : كلاّ لا وَزَرْ » : لاشىء يُعتصم فيه من أمر الله .. وفى التنزيل : « حتى تضع الحرب أوزارها » أى أثقال الشهداء ، لأنه عز وجلّ يُمَحِّصُهم من الذنوب . وقال الفراء : أوزارها آثامها ، وشِرْكُها ، حتى لايبقى الاّ مسلم أو مسالم . والمعنى : أوزار أهْلِها . وفى القرآن : « ولا تَزِر وازرة وِزْرَ أخرى » أى لايؤاخذ أحد بذَنْب غيره ، ولاتَحْمِل نفس آثمة وزر نفس أخرى ، ولكنْ كلُّ مَجْزِىٌ بعمله . وقال الأخفش : لا تَأْثَمُ آثمة باثْم أخرى .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » ؟ قال : « نحْبَه » أى أجله الذى قُدّر له ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول لبيدٍ :

ألاَ تَسْـألانِ المَرْءَ ماذا يحاول   أنَحْـبٌ فيُقْضَى أم ضلالٌ وباطلُ

قال أبوتراب : هذا البيت مذكور فى رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى (ج ٢ ص ٤٧) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ٢ ص ٢١٩) وهو مطلع قصيدة له يرثى بها النعمان بن المنذر . وهى فى القسم الثانى من الديوان .

قال البغدادى : النَّحْبُ له معانٍ ، والمراد من قول لبيد : « أنَحْبٌ فيقضى » النَذْرُ ، وهو مايَنْذِرُهُ الانسان على نفسه ، ويوجب عليها فعله على كل حال .

ومعنى البيت : اسألوا هذا الحريص على الدنيا ، عن هذا الذى هو فيه أهو نَذْر نَذرَه على نفسه فرأى انه لابد من فعله ، أم هو ضلال وباطل من أمره .

وبعد البيت المذكور :

حبائلــه مبثوثــة بسبيله   ويَفْنَــى اذا ماأخْطَأتْــه الحبائلُ

اذا المَرْءُ أسرْى ليلــةً ظنَّ أنه   قَضَى عمـلاً والمرء ماعــاش عامل

فقــولا له إنْ كان يَقْسِـم أمْرَهُ   ألَمَّا يَعِظْـك الدهــر ، أمُــك هابلُ

قال ابن فارس : النَّحْب يدل على نَذْرٍ وما أشبهه من خطر ، أو إخطارِ شىء ، ويدلّ ايضا على صوت من الأصوات . فالأول النَّحْب النَّذْرُ . ومنه قولهم : سار فلان على نَحْبٍ ، اذا جَهَد فكأنه خاطر على شىء فجَدَّ ، قال الكُميت :

يَخَدِنَ بنــا عَرْضَ الفَــلاةِ وطولَها   كما سارَ عن إحدى يَدَيْه المُنَحَبُ :

أى المُخاطر - . قال أبو تراب : ويَخْدن أى يُسرِعْنَ ، يريد الابـل ، وفى اللسان : كما صار عن يُمْنَى يديه - وقد كان التنحيب فى العرب ، وهو كالمخاطرة كانوا يقولون : ان كان كذا فَلَكَ علىَّ كذا ، والاَّ فلى عليك ، وجاء الاسـلام بالنهى عنه ، والنَّحْبُ : الموتُ ، كأنه نَذْر يَنْذِره الانسان يلزمه الوفاء به ، ولابُدَّ له

منه . ومن الأصل الآخر : النحيب هو البكاء والاعوال .

قال الزمخشرى : هو نَحبُ عليه ، أى نَذْر ، قال حسان :

مساميح أبطالُ يرجون للندى   يرون عليهم فعلَ آبائهم نَحْبا

وقال نُصيب :

وانى لساعٍ فى رضاك كما سعى   ليُلْقِىَ ثِقْلَ النَحْبِ عنه المُنَحَبُ

ونَحَب القوم فى سيرهم جَدُّوا وساروا ، قال ذو الرُمَّة :

ورُبَّ مَفازةٍ قَذَفٍ جَموحٍ   تَغُولُ مُنَحَّبَ القَرَبِ اَغتيالا

قال أبو تراب : القَرَبُ : هو سير الليل لورود الغد ، ومنه قول أبى الطيب المتنبى : (كأنّه الوقت بين الوِرْد والقَرَبِ) .

وهو طلب الماءِ ليلاً ايضا . وقوله : « قَضَى نَحْبَه » أى مات ، كأن الموتَ نَذْر فى عُنُقه .

قال أبو عبيدة فى المجاز ج ٢ ص ١٣٥ « قضى نحبه » أى نذره الذى كان نحب ، أى نذر ، والنحب ايضاً النفس أى الموت وأنشد قول جرير الآتى والفرزدق وذى الرمة قال : ويقال : نحب فى سيره يومه أجمع اذا مدّ فلم ينزل وليلته جميعا .

قال الفراء فى المعانى ج ٢ص ٣٤٠ « قضى نحبه » أجله وهذا فى حمزة وأصحابه .

قال ابن قتيبة فى كتاب تأويل المُشْكِل ، (ص ١٤٠) : قوله : « فمنهم من قَضَى نَحْبَه » أى قُتل ، والنَّحْب النَذْر . وأصل هذا ان رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ نَذَروا إن لَقُوا العدوَ لَيَصْدُقُنَّ القتال ، أو لَيُقْتَلُنَّ ، فقُتلوا .. فقيل لمن قُتل : قضى نحبه ، واستُعير النَّحْبُ مكانَ الأجل ، لأن الأَجَل وقع بالنَّحْبِ ، وكان النحب له سببا ، (وأنظر غريب القرآن له ص ٣٤٩) .

وفى اللسان : وقيل : « فمنهم من قضى نحبه » أى قضى نَذْرَهُ ، كأنه ألزم

نفسه أن يموتَ فوَفىً به . والنَحْبُ : النَذْرُ . كأنه ألزم نفسه أن يَصْدُقَ الأعداء فى الحربِ فوَفىً به . ولم يَفْسَخْ . وقيل : هو من النحب أى الموتِ . كأنّه يُلزِم نفسَه أن يقاتل حتى يموت . وقال الزجّاج : النَّحْبَ النَّفْس .. عن أبى عبيدة . وقال الزجاج والفراء : « فمنهم من قضى نحبه » أى أجَلَه .

وقال الطبرى : قيل : إنَّ هذه الآية نزلت فى قوم لم يشهدوا بَدْراً . فعاهدوا الله أن يفُوا قتالا للمشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمنهم مَنْ أوفى فقضى نَحْبَه . ومنهم مَنْ بَدَّل . ومنهم من أوفى ولم يَقْضِ نَحْبَه . وكان منتظرا .. على ماوصفهم الله به .

وقال الراغب فى المفردات : النَّحْبُ : النَذْر المحكوم بوجوبه . يقال : قضى نحبه . أى وفىَّ بنذره . ويُعَبَّر بذلك عمن مات . كقولهم : قَضى أجَلَه . واستوفى أُكلَه . وقضى من الدنيا حاجته .

وقال فى الكشاف : « فمنهم من قضى نحبه » يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بِنَذْرِه من الثبات مع رسول الله ﷺ .

وقال الطبرى : النَّحْبُ النَذْر فى كلام العرب . وللنَّحْب أيضا وجوه غير ذلك فى كلامهم . منها الموت كما قال الشاعر : (قال أبوتراب : وهو ذو الرمة وأنشده أبو عبيدة والقرطبى وهو فى الخزانة ٢/٢٣٢) .

(قَضَى نَحْبَه فى مُلْتَقَى القوم هَوْبَرُ)

يعنى مَنِيَّته ونَفْسَه . ومنها الخَطَر العظيم كما قال جرير :

بِطَخْفَــةَ جالدنـــا الملــوكَ وخيلُنا عَشِيَّــة بَسْطــامٍ جَرَيْـنَ على نَحْبِ

أى على خطرٍ عظيم . ومنها التنحيب : وهو الاخطار كما قال الشاعر : (قال أبو تراب : وهو الفرزدق وأنشده أبو عبيدة فى المجاز والقرطبى) .

اذا نَحَبَـتْ كَلْـبٌ على النـاس أنهم أحَــقُّ بتـــاج الماجــد المتكرَم

ومن شواهد النحب بمعنى النذر قول الشاعر :

فانّــى والهجـــاءَ لآلِ لأمٍ كذات النَّحْــبِ تُوفى بالنذور

وقال آخر :

ياعَمْــرو ياابــن الأكرمــين نَسْبَا　　قد نَحَــبَ المَجْــدُ عليــك نَحْبًا

ونحب القوم جَدُّوا فى العمل ، قال طُفيل :

يَزُرْنَ ألالاً مايُنَحّبْــنَ غيرَه　　بكلّ مُلَبٍ أشعث الــرأس مُحْرِمِ

قال أبو تراب : ألاَلُ هو الجبل المعروف بعرفة بجبل الرحمة .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « عَلَّمه شديد القوى ، ذو مِرَّةٍ فاستوى » ؟ قال : (ذو مِرَّةٍ) ذو شدة فى أمر الله . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت قول نابغة بنى ذُبْيان :

(وَهْنًا قُوى ذى مِرَّةٍ حازِم)

قال أبو تراب : أورد البخارى فى صحيحه عن مجاهد قال : (ذو مرة) ذو قوة . وكلا اللفظين وردا فى تفسير ابن عباس انظر المقباس ص ٣٣١ ، قال القرطبى (ج ١٧ ص ٨٥) : أصله من شدّةِ فَتْلِ الحَبْل ، كأنه استمرّ به الفتلُ ، حتى بلغ الى غايةٍ يصعب معها الحَلُّ ، ومعنى (ذو مِرّة) فى وصف جبريل عليه السلام : ذو منطق حَسَنٍ ، قاله ابن عباس . وقال قتادة : ذو خَلْقٍ طويل حَسَنٍ ، وقيل : معناه : ذو صحّة جسم وسلامة من الآفات ، ومنه قول النبى ﷺ : لاتحِلُّ الصدقة لذى غِنىً ولا لذى مِرَّةٍ سَوِىٍ .

قال أبوتراب : رواه أحمد والنسائى وابن ماجة عن أبى هريرة ، وأبو داوود والترمذى والحاكم وأحمد أيضا عن ابن عمر .

وقال امرؤ القيس :

كنــت فيهــم أبــداً ذا حيلةٍ　　محــكم المِرَّةِ مأمــونَ العُقَدْ

قال أبو تراب : مأمون العُقَد ، أى يُؤْمَنُ انحلالُها ، ورواية الديوان : (ولبيبٌ أيَدُ ذو حيلةٍ) وقال قُطْرُبٌ : تقول العرب لكلّ جَزْلِ الرأى حصيف العقل : ذو مِرَّة ، قال الشاعر :

قد كنتُ قبلَ لقاكمو ذا مِرَّة — عندىْ لكلِ مُخاصمٍ ميزانُه

قال الجوهرى فى الصحاح : والمِرَّة : إحدى الطبائع الأربع ، والمرة : القوة ، وشدة العقل ايضا ، ورجلٌ مَريرٌ : أى قوىٌ ذو مرة ، قال :

ترى الرجلَ النحيفَ فتَزْدَرِيه — وحَشْوُ ثيابه أَسَدٌ مريرُ

قال أبو تراب : قائلهُ العبّاس بن مِرْداس ، وفى التاج : (وفى أثوابه رجلٌ مزير) وهو الشديد القلب القوى النافذ فى الأمور . وفى الأساس : رجل مَزير : مُشْبَع العقل .

وقال لقيط :

حتى استمرّت على شَزْرٍ مريرتُه — مُرُّ العزيمة لا قَحْماً ولا ضرِعا

القَحْم : الشيخ الهَرِم ، والضرِع : اللين الذليل . وقال خُفاف بن نُدْبَة :

إنّى امرؤ ذو مِرَّة فَاسْتَبْقِنِى — فيما ينوب من الخطوب صَليبُ

وقال الطبرى : اختلف العلماء فى تفسير قوله : « ذو مِرَّةٍ » ، فقال بعضهم : ذو خَلْق حَسَنَ ومنظر ، وقال آخرون : ذو قوةٍ ، وأَوْلى القولين بالصواب .. قولُ من قال : عَنَى بالمِرَّة صحةَ الجسم وسلامته من الآفات والعاهات ، والجسم اذا كان كذلك من (الانسان) كان قويا ، وانما قلنا ذلك لأن المِرَّة واحدة المِرَرِ ، وإنما أريد به ذو مِرَّةٍ سَوِيَّةٍ ، وكان (الانسان) صحيحا اذا كانت صحيحة .

قال أبو تراب : وربما اعتُرِض على هذا التقرير بأن هذا تتصف به الأجسام الكثيفة وأجسام الملائكة لطيفة ، والجواب : أن لطافتها فى النفاذ ، وإذ هى أجسام مخلوقة ، فلا مانع من اكتسابها صفة السلامة والصحة ، فلا غبار على كلام الطبرى ، وهو تفسير السلف .

وقال جارُ الله : « ذو مرة » : ذو حصافة فى عقله ، ورأيه ، ومتانة فى دينه .

وفى مفردات الراغب : فلان ذو مرة ، كأنه مُحْكَم الفَتْل .

وفى كتاب أبى عبيدة ج ٢ ص ٢٣٦ : « ذو مرة » ذو شدة وإحكام ، يقال : حَبْلٌ مُمَرٌّ : أى مشدود . وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ٤٢٧ : « ذو مرة » ذو قوة وأصل المرة الفتل .

وفى أساس البلاغة : أَمَرَّ الحَبْلَ : شدَّ فَتْله ، وشديد المِرَّة وهى الفَتْل ، والمَريرُ ، والمريرة : حبلٌ مُحْكَمٌ ، واستمرت مريرته ، أى استَحْكَم ، ورجلٌ ذو مرة : للقوى ، وفَرَسٌ مُمَرُّ الخَلْق ، وفلانٌ ذو نَقْضٍ وإمرار ، قال جرير :

لايَأْمَنَــنَّ قوىٌ نَقْضَ مِرَّته انـى أرى الدهـر ذا نَقْضٍ وإمرار

وأَمَرَّ فلان فلانا : عالجه ، وفتل عنقه ليصرعـه ، وهـو يُمـارُّ صاحبـه فى الصراع ، وامرأتُه تُمَارُّه : أى تخالفه ، وتَلْتوى عليه .

وقال ابن فارس : سمّيْت كلُّ شدَّةٍ وشديدة بهذا البناء .

وفى لسان العرب : المِرَّة : القوة ، وشدة العقل ، ورجل مَريرٌ أى قوى ذو مرة ، والمرة : القوة والشدة ، والمرير والمريرة : العزيمة .. قال الشاعر :

ولا أَنْثَنــى من طِـيَرَةٍ عن مَريرةٍ
إذا الأَخْطَــبُ الداعــى على الــدَّوْح صَرْصرا

قال ابو تراب : الأَخْطَب : الصُرَد ، وهو طائر أَبْقَعُ أبيض البطن ، أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار ، له مِخْلَبٌ ، يصطاد العصافير ، وصغار الطير ، ومعنى (صَرْصَرَ) : صَوَّت وصاح ، والطِيْرَةُ والطِيَرَةُ ، بفتـح اليـاء وسكونهـا ، هى التشاؤم بالشيء ، وهى مصدر تَطَيَّرَ ، وهو مصدر نادر مثل خِيَرَة ، وكان اهـل الجاهلية يتطيرون بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم ، فنفاه الشرع وأبطله ، ونهى عنه ، وأخبر أنه ليس له تأثير فى جلب نفع أو دفع ضرر ، وهو شرك ، والى هذه الطِيَرَةِ أشار الشاعر فقال : لاأنثنى من طِيْرَة .. اذا صوّت الطائر على الفَنَنِ .

قال ابن منظور : والمِرَّة : قوة الخَلْقِ ، وشِدَّته ، والجمع : مِرَر ، وأمْرارٌ .. جمع الجمع . قال الشاعر :

قطعتُ الى معروفِها مُنكراتِها بأمْرارِ فَتْلاءِ الذراعَينْ شَوْذَح

قال أبو تراب : الشَوذَح : الناقة الطويلة . وفى حديث علىّ فى ذكر الحياة : ان الله جعل الموت قاطعا لمرائر أقرانها ـ المرائر الحبال المفتولة ـ وفى حديث ابن الزبير : استمرت مريرتى ـ أى قَوِيَت شَكِيمَتى واسْتَحْكَمت .

وفى حديث معاوية : سُحِلَتْ مريرته ، أى جُعِل حَبْلُه المُبْرَم سحيلا ـ يعنى رَخْواً ضعيفا ـ والمُرُّ : الحبل ، قال : (ثم شدَدْنا فوقه بمُرِّ) .

وقال الأصمعى فى قول الأخطل : (اذا المِئُونَ أُمِرَّتْ فوقه حَمَلاَ) .. إنّه وصف رجلاً يتحمل الدياتِ ، فاذا شُدَّت فوق ظهره مئات منها ، أدَّاها وضَمِنَها وكَفَلَها .

وقال ابن سِيدَة : وهو يُمارُّه : أى يَتَلوى عليه ، وقول أبى ذُؤَيْب :

وذلك مشبوح الذراعَينْ خَلْجَمٌ خَشوفٌ اذا ماالحربُ طال مِرارُها

فسرّه الأصمعى فقال : مِرارُها ، مداورتها ومعالجتها .

وقال الجوهرى : وقوله : لَتجِدَنَّ فلانا ألْوى بعيد المُسْتَمَرّ ، بفتح الميم الثانية ، أى أنه قوى فى الخصومة ، لايَسْأم المراس ، وأنشد ابو عبيد :

إذا تخازَرْتُ ومابِى من خَزَرْ ثم كَسرْتُ العينَ من غير عَوَرْ
وجدتنى ألْوىَ بعيدَ المُسْتَمرّ أحمِلُ ماحُمِّلْتَ من خير وشرّ

قال ابن بَرّى : هذا الرَجَز يُروى لعمرو بن العاص ، وهو المشهور ، ويقال : انه لأرْطَاةَ بن سُهَيَّةَ ، تمثّل به عمرو رضى الله عنه .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجّاجا » ؟ قال : المعصرات : السحاب يعصر بعضها بعضا فيخرج الماء من بين السَّحابَتينِ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول النابغة :

تَجُرُّ بها الأرواح من بين شَمْأَلٍ وبين صَباها المُعْصِراتُ الدَّوامسُ

قال ابو تراب : هذا البيت لم نجده فى ديوانه ، والمعصرات الدوامس هى السُحُب السُود ، والأرواح : لغة فى الرياح ، وشَمْأَل : لغة فى الشمال ، وهو اسم لريح كالصَّبا ، والجَنوب ، قال امرؤ القيس :

(لِمَا نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشَمْأَلِ)

وفى الكشاف : المعصرات : السحائب اذا أعصرت ، أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ، كقولك أجزَّ الزَّرْعُ ، اذا حان له أن يُجَزَّ ، وقرأ عكرمة : « بالمُعْصِراتِ » وفيه وجهان ، أن تُراد الرياح التى حان لها ان تَعْصِرَ السحاب ، وأن تُراد السحائب لأنه اذا كان الانزال منها فهو بها ، كما تقول : أعْطى مِن يده درهما ، وأعطى بيده . وعن مجاهد : المعصرات : الرياح ذوات الأعاصير ، وعن الحسن وقتادة : هى السماوات ، ومعناه : ان الماء ينزل منها الى السحاب ، فكأن السموات يَعْصِرْنَ : أى يَحْمِلْنَ على العصر ، ويُمَكِّنَّ منه ، والرياح : هى التى تُنشىء السحابَ ، وتُدِرُّ أخلافَه ، فصَحَّ أن تُجْعَل مبدأً للانزال . وذكر ابن كَيْسان انه جعل المعصرات بمعنى المُغيثات ، ووجهُه : أن يُريد اللاتى أعصَرْن ، أى حان لها ان تَعْصِرَ : أى تُغيث .

قال أبو تراب : ولم يذكر الدامغانى فى كتاب الوجوه ، معنى المعصرات ، فى مادة العصر ولا ذكرها ابن الجوزى فى النزهة بل أهمل المادّة بأكملها فليستدرك ، وفى المفردات : « من المعصرات » أى السحائب التى تَعْتَصِرِ بالمطر : أى تَصُبُّ ، وقيل : التى تأتى بالاعصار وهو ريحُ تثير الغبار .

وقال القرطبي : قال مجاهد وقتادة : المعصرات الرياح ، وقاله ابن عباس . كأنها تَعْصِرِ السحاب ؛ وعنه ايضا : انها السحاب ، وقال سفيان والربيع وابو العالية والضحّاك : أي السحائب التي تَنْعَصِرِ بالماءِ ، ولمّا تُمطِرْ بَعْدُ ، كالمرأة المُعْصِرِ التي دَنا طَمْثُها ، قال ابو النجم : او هو لمنظور بن مَرْثَدٍ الأسدى :

تمشى الهُوَيْنَى مائلا خمارُها　　قد أعْصَرَتْ أو قدَدنا إعْصارُها

وقال عمر بن أبى ربيعة :

فكان مِجَنِّى دون من كنتُ أتَّقِى　　ثلاث شخوصٍ كاعبانِ ومُعْصِرُ

وقال البَعيث :

وذى أُشرٍ كالأُقحوان يَزينه　　ذِهابُ الصَبا والمُعصراتُ الروائحُ

وفى رواية اللسان : (المُعْصِراتُ الدَّوالحُ) وهى السحائب التى أثْقلها الماء ، والذِهاب : الأمطار الضعيفة . فالرياح تسمَّى مُعْصِراتٍ ، يقال : أعْصرَتِ الريح ، تُعْصِرِ إعصارا ، اذا أثارت العَجَاجَ ، وهى الاعصار ، والسُحُب ايضا تُسمَّى المُعْصِرات ، لأنها تُمطِر ، وقال قتادة ايضا المعصرات : السماء . قال النحّاس : هذه الأقوال صحاح .

وقال النحاس : يقال للرياح التى تأتى بالمطر : معصرات ، والرياح تُلقِح السحاب فيكون المطر ، والمطر ينزل من الريح على هذا الاعتبار ، ويجوز أن تكون الأقوال واحدة ، ويكون المعنى : وأنزلنا من ذوات الرياح المعصرات .. ماء ثجّاجا ، وأصَحُّ الأقوال : أن المعصرات : السحاب ، كذا المعروف ان الغيث منها ، ولو كان بالمعصرات لكان (الريح) أوْلىَ .

وفى الصحاح : والمعصرات السحائب تُعْتَصر بالمطر ، وأُعْصِرِ القومُ أى أُمطروا ، والمُعْصر : السحابة التى حان لها ان تمطر ، وقال المبرد : يقال : سحاب مُعْصرِ : أى مُمسِك للماء ، ويُعْتَصَرُ منه شىء بعد شىء ، وقال ابو زبيد فى رثاء ابن اخته وقد مات عَطَشا :

صاديا يستغيث غيرَ مُغاثٍ　　ولقد كان عُصْرَةَ المَنجودِ

قال الطبرى : اختلفوا فى معنى المُعْصراتِ . فقال قوم : هى السحاب ، وقال قوم : هى السماء . وقال قوم : هى الرياح . وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : إن الله تعالى أخبر أنه من المُعْصراتِ ، وهى التى قد تَحَلَّبَتْ بالماءِ من السحاب ماء . والرياح لا ماء فيها . وانما يَنزِل بها .

وفى أساس البلاغة : تقول : وعْدُه إعصارٌ ، ليس بعده إعصارٌ ، من أعْصرَتِ السحابة . واعْتَصرَ الغصّانُ بالماء . قال عدىّ :

لو بغير الماءِ حَلْقى شرِقٌ   كنتُ كالغصّانِ بالماء اعتصارى

وقال الشمّاخ يذكر الظَّليم والنعامة : أرادا الرواح الى بيضِهِما :

اذا اجتهدا الترويحَ مَدًّا عجاجةً   أعاصيرَ مما تَستثير خُطاهما

وتَعَصرَ الرجل ، بكى . قال جرير :

اذا ذَكَرتْ ليلى جُبيراً تَعَصرَتْ   وليس بشافٍ داءها أن تَعصرَا

وعَصرَ الركضُ الفرسَ : عَرَّقه . قال أبو النجم :

(يَعْصرها الركضُ بِطَشٍّ يَهْطُلُه)

وقال الفرّاء : السحابة المُعْصرِ تَتَحلَّب بالمطر ولمّا تجتمع

قال أبو تراب : ولم أجد هذا القول فى كتابه معانى القرآن وهو محكى عنه فى اللسان والبحر المحيط لأبى حيان . ولا فسره أبو عبيدة فى المجاز وفى غريب ابن قتيبة ص ٥٠٨ : (المعصرات) يعنى السحاب يقال : شبهت بمعاصير الجوارى . والمُعْصرِ الجارية التى دنت من الحيض . ويقال : هنّ ذوات الأعاصير أى الرياح .

قال أبو تراب : روى القولان معاً عن ابن عباس انظر الدر المنثور ج ٦ ص ٣٠٦

وقال ابو حنيفة : عن قوم ان المعصرات الرياح ذوات الأعاصير ، واستشهدوا بقوله :

وكأن سُهْكَ المُعْصراتِ كسَوْنَها   تُرْبَ الفدافد والبقاع بِمُنْخُلِ

السُهكُ : الغبار العاصف ، وقال ذو الرُمَّة :

تَبَسَّمَ لَمْحُ البرق عن مُتَوضِّحٍ كنَوْرِ الأقاحى شاف ألوانها العَصرُ

وفسروه فقالوا : العصر : المطر من المعصرات ، وروى (القَطْر) .

قال الأزهرى : وقولُ مَنْ فَسرَّ المعصرات بالسحاب أشبه بما أراد الله تعالى .

قال أبو تراب : وتأتى شواهد هذه المادة فى قوله تعالى : « فيه يُغاث الناس وفيه يَعْصِرون » والاعصار : الريح التى تَسْطَع فى السماء ، والأعاصير جَمْعٌ .. قال الشاعر فيما انشده الأصمعى :

وبينما المرءُ فى الأحْياء مُغْتَبِطٌ اذا هو الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الأعاصيرُ

والعِصارُ ، الغبار الشديد ، قال الشماخ بن ضِرار الغَطَفانى :

اذا ماجَدَّ واستَذْكىَ عليها أثَرْنَ عليه من رَهَجٍ عِصارا

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « سنشد عَضُدَك بأخيك ونجعل لكما سلطانا » ؟ قال : العضد : المُعين الناصر ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول النابغة :

فى ذمةٍ من أبى قابوسَ مُنْقِذَةٍ للخائفين ومَنْ ليستْ له عَضُدُ

قال ابو تراب : هذا البيت لم نجده فى ديوانه ، والعَضُد : يدلّ على عضو من الأعضاء يستعار فى موضع القوة والمُعين ، ذكره ابن فارس ، والجمع أعضادٌ .. يقال : فلانٌ عَضُدى ، لمكان القوة التى فى العَضُد .

قال الخليل : والعَضُد المعونة ، وعَضَدتُ فلانا : أعَنْتُه ، قال الله تعالى : « وماكنت مُتَخِذَ المُضِلّين عَضُدا » وقال أعرابىّ لرجل استعانه فلم يُعِنْه : « أنت والله العَضُد الثَلْماءُ » نَسَبه الى الضَعْف .

وقال ابن الأعرابى : عَضُد الرجل : قومه وعشيرته ، ولذلك يقال : يَفُتُّ فى عَضُدِه . قال الخليل : وأعضاد كل شيء : مايشُدُّ حواليْه من البنـاء ، وذلك كأعضادِ الحوض ، وهى صفائح من حجارة يُنْصَبْنَ حولَ شَفيره ، قال لبيد :

راسـخُ الدِمْـنِ على أعضادِه ثَلَمَتْـه كلُّ ريـحٍ وسَبَلْ

وصف فيه الحوض الذى طال عهده بالواردة .

قال الزمخشرى : المؤمن معضود بتوفيق الله ، ومُعْتَضِدٌ به ، وفلان عَضُدى ، وهم أعضادى ، ويقال : أمْلَكَ أعضادَ الابل ، أى قَوِّم مسيرَها حتى لاتذهب يمينا وشمالا ، قال حَيَّان بن جَزْءِ بن ضرَارٍ :

قالت سُليمى لستَ بالحـادى المُدِلّ مالك لاتُملِكُ أعضـادَ الابلْ

ويقال : وَهَنَتْ أعضاد بيته ، وحوضٌ مُثَلَّمُ الأعضاد ، وهى نواحيه .

قال ذو الرمة :

عَفَـتْ غـير آرىٍّ وأعْضـادِ مَسْجِدٍ وسُفْـعٍ مُناخَـاتٍ رواجِـلِ مِرْجَلِ

قال ابو تراب : الآرِىُّ : مَحْبِس الدابّة ، والسُّفْـعُ : الأثـافى ، والمِرْجَـلُ : القِدْر .

ويقال : فلان عِضادة فلان ، اذا كان لايفارقه ، ويقول الرجل لصاحبَيْه : كفانى بكما عِضادَتينْ ، أى مُعِيْنَينْ ، والأصل : عِضادَتا الباب .

واستعمل ساعدة بن جُؤيَّة الأعضاد للنَّحْل فقال :

وكأنَّ ماجَرَسَـتْ على أعضادِها حيـث استقـلَّ بهـا الشرائـع مَحْلَبُ

شبّه ماعلى سوقها من العسل بالمَحْلَبِ .

قال صاحب اللسان : والعَضُد : القوة ، لأن الانسان انما يَقْوى بعضده ، فسميت القوة به . وفى التنزيل : « سنشُدُّ عَضُدك بأخيك » .

قال الزجّاج : أى سنُعينك بأخيك . ولفظ العضد على جهة المِثْل لأن اليد قِوامُها عَضُدها ، وكل معينٍ فهو عضد ، والعَضُـد : على المِثْـل بالعَضُـدِ من الأعضاء ، وفى التنزيل : « وماكنت متخذَ المُضلّـين عَضُـدا » ، أى أعضـادا

وأنصارا ، وعضد الرجل : أنصاره وأعوانه ، والاعتضاد التقوى والاستعانة . وفلان يَعضد فلانا ، أى يعينه ، وفلان معاضده ، وعضادته اذا كان يعاونه ، ويرافقه ، قال لبيد :

أو مِسْحَلُ سَنِقٌ عِضادةُ سَمْحَجٍ بِسرَاتِها نَدَبٌ له وكلوم

قال ابو تراب : هذا يصف الحمار الوحشى بسحيله ، وهو صوته ، وسَنِقٌ ، قد كره الأكل من الشبَع ، والسَمْحَجُ : الأتانُ الطويلة الظهر ، عليها خدوش من عَضّ الحمار الوحشى ، وسراتُها : أعلى مَتْنِها .

ويقال : اعتضدت بفلان أى استعنت ، وعاضدنى : اعاننى ، والمعاضدة : المعاونة .. والعُضود : كالأعضاد ، قال الراجز :

فَارْفَتَ عُقْر الحوضِ والعُضود من عَكَراتٍ وَطْؤها وئيدُ

العكراتُ : جماعات الابل .. وعضد الركائب : أتاها من قِبَل أعضادِها ، فضَمَّ بعضها الى بعض ، قال الفَقْعَسِى :

ياليت لى بصاحبَىَّ صاحبا اذا مشى لم يَعْضِدِ الركائبا

قال الطبرى : معنى الآية : ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام : سنشُد عضدك ، أى نقويك ونعينك بأخيك . تقول العرب اذا أعَزَّ رجلٌ رجلاً ، وأعانه ومَنَعَه ممن أراده بظُلْم : قد شدَّ فلان على عضُدِ فلان . ومنه قول ابن مُقْبِل :

عاضدتُها بعَنُودٍ غيرِ مُعْتَلِثٍ كأنه وَقْفُ عاجٍ باتَ مَكْنونا

يعنى بذلك قوسا عاضدها بسَهْمٍ .

قال ابو تراب : وفى ديوانه : (تَرِنُّ منه مُتونٌ حين يَجْرِينَا)

وغير مُعْتَلِثٍ ، أى لم يُصَنَّعْ فى بَرْيِه ، لجودة عُودِه ، ووقْفُ عاج أى سِوارٍ من عاج ، ورواية الديوان : « عارضتها » بدل عاضدتها . وأنشده أبو عبيدة فى المجاز ج ٢ ص ١٠٥ وقال : معتلث يعنى القدح ، العنود السهم ، والمعتلث تكون السهام من قنا فيكون فيها السهم من غير قنا فذاك المعتلث ، وكذاك

الخشب ، وقف عاج : موقَف فيه طرائق من حسنه والمعتلث يقـال : امتلث وافتلث ، واسم علاثة مشتق منه ، وفلان يأكل العليث اذا أكل خبز الشعير والحنطة وافتلث واعتلث واحد . وهو المختلط يعنى قوساً انه عاضدها بسهم وقال فى معنى الآية : أى سنقويك به ونُعينك به ، يقال إذا أعز رجل رجلاً ومنعه قد شد فلان على عضد فلان وهو من عاضدته على أمره أى عاونته وآزرته عليه .

وقال القرطبى : « سَنَشُدُّ عَضُدك بأخيك » أى نُقَوّيك به .. وهذا تمثيلٌ ، لأن قوة اليد بالعضد ، قال طَرَفة بن العَبْدِ البكرى :

أَبَنِى لُبَيْنَى لَسْتُمو بِيَدٍ   الاَ يدا ليست لها عَضُدُ

ونسبه الطبرى فى تفسيره الى أَوْس بن حَجَر .

ويقال فى دعاء الخير : شدَّ الله عَضُدك ، وفى ضِدّه : فَتّ الله فى عَضُدكِ .

وأنشد الزمخشرى قول طَرَفَة وقال : فاما ان يكون ذلك لأن اليد تَشْتَدُّ بشدة العضُد ، والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور ، وإما لأن الرجل شُبّه باليد فى اشتدادها باشتداد العَضُد ، فجُعل كأنه يد مُشْتَدّةٌ بعَضُدٍ شديد .

وقال الراغب : يُستعار العضد للمعين كاليد ، وأعضاد الحوض جوانبه تشبيها بالعضد .

قال أبو تراب : ومن شواهده قول الراجز :

سَاقَتُها أربعةٌ بالأشطانْ   يَعْضِدُها آثنانِ ويتلوها آثنانْ

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فنَجّيناه وأهلَه أجمعين ، الاَ عجوزا فى الغابرين » ؟ قال : « فى الغابرين » فى الباقين قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص وهو يقول :

ذهبوا وخَلّفنى المُخَلّفُ فيهمو   فكأننى فى الغابرين غريبُ

قال ابـو تراب : لم اجـد هذا البيـت فى ديوانـه ، وقـد تكررت كلمـة « الغابرين » فى القرآن ، ففى سورة الشعـراء والصافـات : « الاّ عجـوزا فى الغابرين » وفى مواضع اخرى من القرآن : « كانت من الغابرين » ومعناها : من الباقين ، ولم يَقُل « الغابرات » لأنه أريد أنها ممن بقى من الرجال فى عذاب الله .

قال ابو جعفر : فلما أبى قوم لوط مع توبيخه إياهم وإبلاغه رسالة ربّه الاّ التمادى فى غَيهِم أنجى الله لوطا وأهله المؤمنين به الاّ امرأته فانها كانت خائنةً كافرة .

وشاهد « الغابرين » فى قوله تعالى فى قصة لوط عليه السلام وامرأته العجوز ، مع من بقى من الرجال فى عذاب الله ، قولُ الأعشى :

عَضَّ بما أبْقى المَواسِى له من أُمِّه فى الزَّمنِ الغابرِ

وهذا البيت فى ديوانه (ص ١٠٦) ومجاز القرآن لأبى عبيدة ، (ج ١ ص ٢١٩) وقال يزيد بن الحكم بن العاصى الثقفى :

وأبِى الذى فتح البلادَ بسيفِه فأذَلَّها لِبَنى الزَّمانِ الغابرِ

يعنى الباقى ـ والمعنى : ان امرأته كانت من الباقين قبل الهلاك ، والمعمرين الذين أتى عليهم دهر كبير ، ومر بهم زمن كثير ، حتى هَرِمَتْ فيمن هَرِم من الناس ، فكانت ممن غَبر الدهر الطويل قبل هلاك القوم فهلكت مع من هلك من قوم لوطٍ ، حين جاءهم العذاب .

وقال القرطبى : « من الغابرين » أى الباقين فى عذاب الله ، قاله ابـن عباس وقتادة ، وغَبَر الشيء ، اذا مضى ، وغَبر : إذا بقى ، وهو من الأضداد ، وقال قوم : الماضى عابر ، والباقى غابر ، حكاه ابن فارس فى المجمل ، وقال الزجاج : من الغابرين ، أى من الغائبين عن النجاة ، وقيل : لطول عمرها ، قال النحاس : وأبوعبيدة يذهب الى أنها قد هَرِمَتْ ، والأكثر فى اللغة ان يكون الغابر الباقى ، قال الراجز :

فما وَنَــى محمــدٌ مُذْ أنْ غَفَرْ   له الآلــه مامَضَى وماغَبَرْ

وفى مجاز القرآن انه للعجاج ، وكذلك فى الأضداد لأبى الطيب ، (ج ٢ ص ٥٢٩) .

وفى تفسير الطبرى : وقد قيل : إنها كانت من الغابرين ، لأنها لم تهلك مع قومها فى قريتهم ، وإنما أصابها الحجر بعد ماخرجتْ عن قريتهم مع لوط وٱبنتيه ، فكانت من الغابرين بعد قومها ، ثم اهلكها الله ، بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة .

وقال الراغب : الغابر الماكث .

وفى كتاب الأضداد لأبى الطيب ، (ج ٢ ص ٥٢٧) قال ابو حاتم : الغابر الباقى وهذا الأكثر الأعرف ، والغابر ايضا : الماضى ، وغابر كل شىء : بقيته ، والغُبَّرُ : بقية اللبن فى الضرع .

وأنشد لأبى ذؤيب الهُذلى :

مُتَفَلِّــقٌ أنْساؤهــا عن قانِىءٍ   كالقُــرْطِ ضاوٍ غُبْــرُهُ لايُرْضَعُ

وفى رواية ابى هلال فى معجم البقايا ، (ص ١٢٨) : (صاوٍ) وهى رواية الديوان .

قال أبو تراب : وهو فى صفة فرس .. والأنساء : جمع نسا ، وهو عِرْقٌ فى الفخذ والوِرك ، والمعنى ان هذه الفَرَسَ ٱنْشَقَّ لحمُ فَخِذِها من السُمْنَةِ ، حتى بدا العِرْق بين الشِقَّينْ . والقانِىءُ : الضَرْع الأحمر ، شبَّهه بالقُرط ، لصغره وضموره .

وأنشد ابو الطيب قول ابى كبير الهُذَلىِّ :

ومُبَــرأٍ من كلِّ غُبَــرِ حَيْضَةٍ   وفســادِ مُرْضِعَــةٍ وداء مُغْيِلِ

قال : غُبَّرُ الحَيْضِ باقِيهْ . وغُبْر الليل : بقايا ظلامه ، وذكر قول غَنْم بن حبيب ، حين تزوج رقاشَ بعد ما أسَنَّ ، فقال : لعلىَّ أتَغَبَّر منها وَلَـدا ، أى أُبْقى ، فولدتْ له ابنا ، فسمّاه « غُبَر » وهو ابو حَىٍّ من العرب .

وقال فى اللغتين جميعا : الأغلب العِجْلى او العجّاج كما فى ديوانه :

أغابــران نحــنِ فى الغُبّارِ أم غابــران نحــنِ فى الغُبّار

وفى رواية الديوان : أعابران ، بالمهملة فى الأولى ، ام غابران بالمعجمة ، يريد .. أذاهبان فيمن ذهب ، ام باقيان فيمن بقى ، وقال ابو ذؤيب الهذلى :

فغبــرْتُ بعدهمــو بعيش ناصبٍ وإخــال أنّــى لاحــق مُستَتْبِعُ

أي : فبقيت بعدهم .

وفى اضداد ابن الأنبارى (ص ١١١) : أنشد الفرّاء :

مخافــة ان لايجمــع الله بيننا ولابينهــا أخــرى الليــالى الغوابر

وقال الآخر :

تَعــزَّ بصبــرٍ لاوَجــدَك لن ترى سنام الحِمَى أخـرى الليـالى الغوابر

كأن فؤادى من تذكُره الحِمَى وأهلَ الحِمـى يهفـو به ريش طائر

وفى معجم بقايا الأشياء لأبى هلال (ص ١٢٦) قال ابن حِلِّزَة :

لاتَكْسَــعِ الشُّــولَ بأغبارِها انَّــك لاتــدرى من الناتِجُ

الكَسْعَ : أن يُنْضَحَ ضرع الناقة بالماء البارد ، ويُضرب باليد ليرتفع لَبَنُها ، والشُّوْل : الابل التى شَالَتْ ألبانُها .

وفى اللسان : يقال : عِزُّ أغْبَرُ ، أى ذاهب دارس ، قال المُخَبَّل السعدى :

فأنْزلهــم دار الضيــاع فأصبحوا على مَقْعَـدٍ من موطـن العِـزّ أغْبرا

وفى الأساس : يقال : هو غابر بنى فلان ، أى بَقِيَّتُهم ، قال عبيد الله بن عمر رضى الله عنهما :

أنــا عبيــد الله يَنمِيْنــى عُمَرْ خــيرُ قريش مَنْ مَضَى ومَــنْ غَبَرْ

وغُبَّر اللبن : بقاياه ، قال :

وأَحْمَدْتَ إذْ نَجَّيْتَ بالأمْسِ صرِمَةً لهــا غُبَّــراتٌ واللَّواحــقُ تَلْحَقُ

قال ابن فارس : غُبَّر المرض : بَقِيَّتُه ، قال ابن مُقْبِل :

فان سَأَلَتْ عنّـى سُلَيْمَـى فقُـل لها به غُبَّــرٌ من دائِــه وهــو صالحُ

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فلا تَأْسَ على القوم الفاسقين » ؟ قال : لا تَحْزَنْ . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم . اما سمعت قول امرىء القيس :

وقوفاً بهـا صَحْبِـى علىَّ مَطِيُّهم يقولـون لا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ

قال ابو تراب : هذا البيت من معلّقته المشهورة (قفا نبك) ومن التوارد الغريب ان يأتى بيت من معلّقة طَرَفَة . على هذا اللفظ والتركيب . ولايختلف الاّ فى القافية . فهو يقول :

وقوفاً بهـا صحبـى علىّ مَطِيُّهم يقولـون لا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَلَّدِ

والأسى فى اللغة هو الحزن . يقال : أَسِيْتُ على الشىء . أى حزنت عليه ومن كلامهم . إنّ الأُسَى تَدْفَعُ الأَسَى . والأُسَى من المؤاساة جمع الأُسْوة . وكتابتها بالألِف أصَحُّ .

ويقال : رجل آسٍ وأَسْيَانٌ . وأَسْوان . أى حزينٌ . وأنشد الأصمعى لرجل من الهُذَليّين :

ماذا هُنـالِكَ من أَسْـوانَ مُكْتَئِبٍ وسـاهِفٍ ثَمِـلٍ فى صَعْـدةٍ حَطِمِ

الساهف : الهالك المُتَشَحّط فى نَزْعِه . والصَّعْدة : الحَطِمُ . القناة المتكسرّة ..

وقال آخر :

أَسْوانُ أنـت لأنَّ الحَـىَّ موعدهم أُسْـوانُ كلّ عذابٍ دُونَ عَيْذابِ

وفى حديث أُبىِّ بن كعب : والله ماآسى عليهم . ولكنْ آسى على من أَضَلّوا .

وقال الحارث بن خالد المخزومى :

مَرَّ الحُمـولُ فما سَأَوْنَـك نَقْرةً ولقـد أُراكَ تُسـاءُ بالاظعانِ

ما سَأَوْنَك : أى ما أسوْنَك على المقلوب . ونَقْرَةٌ : أى أدْنَى شىء . وقـال الشاعر :

وإن الأُلى بالـطَّفِ من آل هاشم تآسـوا فسَنّـوا للـكرام التآسِيا

الطَّفُّ : موضع قُرْبَ الكوفة ، قال ابن بَرّى : وهذا البيت تَمَثَّل به مُصْعَبُ يوم قُتل ، وتآسَوْا فيه ، من المؤاساة كما ذكر الجوهرى ، لا من التَأَسِّى كما ذكر المبَرّد ، فقال : تآسَوْا : بمعنى تَأَسَّوْا ، وتَأَسَّوا بمعنى تَعَزَّوا ، ومن شواهد الآسِى وهو المعالج قول الحُطيئةِ :

هم الآسُونَ أُمَّ الرَّأسِ لَمّا تَوَاكَلَها الأَطِبَّةُ والإساءُ

الاسَاء: العلاج ، والأَسْوُ : علاجُ الجُرح ، وقد جعل الأعشى واوه أَلِفا فقال :

عنده البِرُّ والتُقى وأسَا الشَقِّ وحَمْلٌ لِمُضْلِعِ الأثقالِ

والأَسِّى : المأسُوُّ ، قال أبو ذؤيب :

وصَبَّ عليها الطَيبَ حتى كأنها أَسِّى على أم الدّماغ حَجيجُ

وحَجيجُ : من قولهم : حَجَّه الطبيب ، اذا سَبَر الشَجَّةَ ، وقال آخر :

وقائلةٍ أَسِيتَ فقلتُ جَيْرِ أَسِّى اننى من ذاكِ انّى

جَيْرِ : كلمةُ جوابٍ بمعنى نعم ، وشاهد المؤاساة قوله :

فان يك عبدالله آسَى ابْنَ أُمه وآبَ بأسْلابِ الكمىَّ المُغاوِرِ

والأُسوة : مايتعزّى به الحزين ، وجمعُها أُساً ، قال حُريث بن زيد الخيل :

ولولا الأُسا ماعشت فى الناس ساعة ولكنْ اذا ماشئتُ جاوَبَنِى مِثْلَى

وقالت الخنساء :

ولولا كثرةُ الباكينَ حَوْلِى على إخوانهم لَقَتَلْتُ نفسى
ومايبكونَ مِثْلَ أخى ولكنْ أعَزِّى النفسَ عنهم بالتَأَسِّى

ثم سُمِّى الصَبْرُ أُسا ، وأْتَسَى به ، أى اقتدى به ، ويقال : لا تَأْتَسِ بِمَنْ ليس لك بأُسْوَةٍ ، أى لا تَقْتَدِ بمن ليس لك بقُدوة ، وتقول العرب : آسِ فلاناً بخيرٍ ، أى أصِبْهُ . وفى الحديث : ماأحَدٌ عندى أعْظَم يداً من أبى بكر ، آسانى بنفسه وماله .

وقال الطبرى فى تفسيره : قوله تعالى : « فلا تَأْسَ » أى فلا تحزنْ ، يقال منه : أَسِىَ فلانٌ ، يَأْسَى على كذا ، أَسًى ، وقد أَسِيْتُ من كذا ، أى حَزِنْتُ ، ومنه قول امرىء القيس :

(يقولون لا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ) يعنى لاتَهْلِكْ حُزْناً ، قال السُدّى : ندم موسى ﷺ لّما ضُرب عليهم التِيْهُ ، فأوحى الله اليه : « فلا تَأْسَ على القوم الفاسقين » فلم يَحْزَنْ .

وقال الطبرى فى قوله تعالى : « فلا تَأْسَ على القوم الكافرين » يعنى لا تَحْزَنْ يامحمد على تكذيب هؤلاء الكفار ، فان مثل ذلك عادة وخلق منهم فى الأنبياء ، ومنه قول الراجز :

(وأنْحَلَبَتْ عيناه من فَرط الأَسى)

قال أبو تراب : ذكره ابو عبيدة فى المجاز ج ١ ص ١٦١ ، ١٧١ ، ٢٢٢ ، والمبرِّد ، وهو فى ديوانه (ص ٣١) واللسان والقُرطبى ، (ج ٦ ص ٢٤٥) وأوَّلُه :

ياصاح هل تعرف رَسْماً مُكْرِسا قال نَعَمْ أعْرِفُه وأَبْلَسا

ومعنى : « انحلبت عيناه أسى » سال دمعها وتتابع وأورده أبو عبيدة ج ١ ص ١٩٢ .

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ١٤٢ « فلا تأس » أى لا تحزن .

قال القرطبى : وهذه تسلية للنبى ﷺ ، وليس بنهى عن الحزن ، لأنه لايَقْدِرُ عليه ، ولكنه نهىٌ عن التعرض للحزن .

قال أبو تراب : والبيت أنشده الطبرى فى قوله تعالى : « فاذاهم مُبْلِسُونْ » ونسبه للعجّاج .

ومعنى « مُبْلِسون » فى الآية : أنهم آيسون من الخير ، نادمون حزنا ، ومعنى أَبْلَسَ الرجل : سَكَت غَماّ ، وانكسر ، وتَحَيرَّ ولَمْ ينطِقْ ، وفى هذا المعنى قوله

تعالى : « ولا يحزُنْك الذين يسارعون فى الكفر ، أنهم لن يَضرُّوا الله شيئا ، يريد الله أن لا يجْعَل لهم حَظًا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم » قال القُشيرى : الحُزْنُ على كفر الكافر طاعة ، ولكن النبىّ ﷺ كان يُفرِط فى الحزن على كفر قومه ، فنُهِى عن ذلك ، قال تعالى : « فَلاَ تَذْهَبْ نَفسك عليهم حَسرَاتٍ » وقال : « فلعلّك باخعٌ نَفْسَك على آثارهم إنْ لم يؤمنوا بهذا الحديث أسَفا » .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « أُنْظُرْ كيف نُصرِّفُ الآيات ثم هم يَصْدِفون » ؟ قال : (يَصْدِفون) يُعْرِضُون عن الحق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول ابى سفيان :

عَجِبْتُ لِحِلْمِ الله عنّا وقد بدا ... له صَدْفُنَا عن كلّ حقٍ مُنَزَّلِ

قال أبو تراب : فى المقاييس : يدل الصَّدْف على الميل ، كقولهم : صَدَفَ عن الشىء اذا مال عنه ، ووَلىّ ذاهبا ، قال الله تعالى : « سنَجْزِى الذين يصدفون عن آياتنا » والصَّدَفُ من البعير أن يَمِيْلَ خُفُّه من اليد أو الرجْل الى الجانب الوَحْشِى .

وفى كتاب الأفعال لابن القطاع : اذا كان المَيَلُ الى الجانب الانْسِى فهو الأَنْقَدُ .. ويقال للابل التى تقف عند اعجاز الابل على الحوض ، تنتظر انصراف الشاربة لِتَدْخُلَ هى : الصَّوادفُ ، قال يَصِفُها :

لارِىً حتى تَنْهَلَ الروادفُ ... الناظراتُ العُقَبَ الصَّوادفُ

والصدف : جانب الجبل ، وانما سُمّى به لِمَيله الى إحدى الجهتين .

وفى الأساس : صَدَفَ عن الشىء صدوفا ، أعرض عنه ، وفلان فيه صدوف عن الفحشاء ، وامرأة صَدوفٌ ، تَصِدُّ عن الريبة ، ومن الكناية : رجلٌ صَدوفٌ :

أى أَبْخَرُ ، لأنه كلما حدَّث صَدَف بوجهه ، لئلاَّ يُوجَد بَخَرُه . ومن شواهد هذه المادّة فى اللسان : قول مَليحٍ الهُذَلىّ :

فلماَ اَسْتَــوَتْ أحمالُهــا وتَصَدَّفَت بشُــمَ المراقِــى باردات المداخِل

قال السكرى فى شرحه : تَصَدَّفتْ : أى تعرضت . وقال الأعشى :

ولقــد ساءهــا البيــاضُ فلَطَّتْ بحجــابٍ من بيننــا مَصْدوف

قيل : هو بمعنى مَسْتور . قال أبو عبيد : صدف ونكب ، اذا عدل .

قال الطبرى فى معنى الآية : انه تعالى يقول لنبيّه : انظـر كيف نُصرّف الآيات ، أى كيف نُتابع عليهم الحُجَج ، ونَضرْبُ لهم الأمثال والعِبَر ليَعْتَبِروا ، ويذَّكروا فيُنِيْبُوا ، ثم هم يَصْدِفون ، أى يُعرضون عن الادّكار والاعتبار مع متابعة الحُجَج ، والتنبيه بالعِبر . يقال : منـه صَدَف فلان عنّـى بوجهـه ، أى عَدَل وأعْرض . ومنه قول ابن الرِقاع (وذكره القرطبى ايضا) :

اذا ذكرنَ حديثــا قُلْنَ أَحْسَنَه وهـنَ عن كلَ سوءٍ يُتَّقَــى صُدُفُ

وقال لبيد بن ربيعة العامرى :

يَرْوِى قَوامِـحَ قبـل الليـل صادِفة أشبـاهَ جنٍ عليهـا الرَيْــطُ والأُزُرُ

قال أبو تراب : القوامح : العِطاش من الابل . وقيل : يعنى القِيان التى معه ، وقيل : هم الرجال لايشربون نهاراً .

قال القرطبى : « ثم هم يَصْدِفون » أى مائلون مُعْرضون عن الحُجـج ، والدَّلالاتِ ، وصادفته مصادفة ، أى لقيته عن إعراض عن جهته .

وقال الراغب : صَدَف عنه : أعْـرَض إعراضـا شديـدا ، يجـرى مَجْـرَى الصَّدَفِ : أى الميل فى أرجل البعير ، او فى الصلابة كصدف الجبل اى جانبه ، او الصدف الذى يخرج من البحر . قال تعالى : « فمَنْ أظْلم ممّن كَذَّب بآيات الله وصَدَف عنها » .

وقال ابن القطاع فى كتاب الأفعال : صَدِف الانسان والدواب : اعْوَجَّتْ أيْديها صَدَفا .

وقال ابو عبيدة فى مجاز القرآن ج ١ ص ١٩٢ ، ٤١٤ : « ثم هم يَصْدِفون » أى يُعرضون ، وقال « بين الصَّدَفينِ » مابين الناحيتين من الجبلين ، ويُضَمُّ ويُفتح وتحُرّك الدال .. قال :

قد أخَذَتْ مابين عَرْضِ الصُّدْفَينْ ناحِيَتهـا وأعـالى الرُّكْنَينْ

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ١٥٤ « يصدفون » ، يعرضون ، صدف عنى وصَدَّ : أعرض .

وقال الزمخشرى : فى « حتى إذا ساوى بين الصَّدَفينْ » بين رأسى الجبلين المتقابِلَينْ .

وقال ابن دريد : هما جانبا الجبل اذا تحاذيا لِتَصادُفِهما ، ومنه صادفت فلانا أى لاقيته .

وقال الزمخشرى : معناه : يُعرضون عن الآيات بعد ظهورها .

وقال الفخر : والمراد من تصريف الآيات : إيرادُها على الوجوه المختلفة المتكاثرة ، بحيث يكون كل واحد منها يقوّى ماقبله فى اقيصال الى المطلوب ، فَذَكر تعالى ان مع هذه المبالغة فى التفهيم والتقرير والايضاح والكشف انظُرْ يامحمد انهم كيف يَصْدِفون ويُعْرضون .

وفى المحكم لابن سيدة : صدف عنه ، أى عدل ، وأصدفه عنه ، أى عدل به ، وصدف عنَى ، أى أعرض ، وقوله تعالى : « سنَجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون » أى يُعرضون ، والصَّدَف عَوَج فى اليدين . وقيل : مَيَلٌ فى الحافر ، وقيل : هو من عيوب الخيل التى تكون خِلْقَةً ، وهو تدانى العُجايَتَينْ ، وتباعُد الحافرين فى التواء من الرُّسغَين .

قال ابو تراب : العُجايتان عَصَبَتان فى باطن يَدَىِ الفَرس وأسفل منهما هَنَات كأنها الأظفار ، تُسَمَّى السَّعْدانات .

والصَّدَفُ : كل شىء مرتفع عظيم ، كالهَدَف ، ومُنْقطع الجبل ، ومابين

الجبلين ، وناحية الشِعْب ، والصَدَفان جبلان مُتلاقيان .. بيننا وبين يأجوج ومأجوج .

وفى الحديث : ان النبى ﷺ كان اذا مرَّ بصَدَفٍ أو هدف مائل ، أسرع المَشْى ، قال ابن الأثير : قال ابو عُبيد : الصَدَف والهدف واحد ، وهو كلُّ بناء مُرتفِع عظيم .

قال الأزهرى فى تهذيب اللغة : هو مِثْلُ صَدَفِ الجبل ، شبَّهه به ، وهو ماقابلك من جانبه ، والصَدفتان النُقْرتانِ اللتان فيهما مَغْرِزُ رأسى الفخِذَيْن ، وفيهما عَصَبَةٌ الى رأسهما .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وذَكِّر به أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِما كسبَتْ » ؟ قال : (أن تُبْسَلَ) أن تُحْبَس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول زهير بن ابى سُلْمَى :

وفارَقتْك بِرَهْنٍ لافَكاكَ له يومَ الوَداعِ فقلبى مُبْسَلٌ غَلِقَا

قال ابو تراب : البيت فى الديوان برواية : (فأمْسَى رَهْنُها غَلِقا) وهو من قصيدة له يمدح بها هَرِمَ بن سِنانٍ مطلعها :

إنَ الخليط أجَدَّ البَيْنَ فانْفَرَقا وعُلِّقَ القلب من أسماء ماعَلَقِا

قال الأَعْلم الشَنْتَمْرى : كان أهل الجاهلية اذا ارْتَهَنَ الرجل منهم رَهْنا الى أجَلٍ فأتى الأجل ولم يَفُكَّ الرَهْنَ صاحبهُ ، استوجبه المُرْتَهِنُ عِوَضا من حقّه ، ولم يكن لصاحبه أن يفُكّه أبدا ، فلذلك ضرب به زُهير المثل . وقال ثعلب : غَلِق ، أى لافكاك له ، لايَقْدِر أن يفكه ، يقال :- هَلُمَّ فكاك رَهْنِك ، والرَّهْنُ ههنا : القلب ، يريد : رَهْنُهُ عندها قد غلق .

قال الراغب : البَسْلُ ضمُّ الشيء ومَنْعه ، ولتَضمُّنه لمعنى الضَمّ : استُعير لتقطيب الوجه ، فقيل : هو باسِلٌ وبُتَسِلُ الوَجْهِ ، ولتَضَمُّنه لمعنى المَنْع قيل للمحرَّم والمُرْتَهَنِ : بَسْلٌ ، وقوله تعالى : « وذَكِّرْ به أن تُبْسَل نَفْسٌ بما كَسَبَتْ » أى تُحْرَمَ الثواب ، والفرق بين الحرام والبسل : ان الحرام عامٌّ فيما كان ممنوعا منه بالحُكم والقهر ، والبسل : هو الممنوع منه بالقهر ، قال الله عز وجل : « اولئك الذين أُبْسِلوا بما كَسَبُوا » أى حُرموا الثواب وفُسر بالارتهان لقوله : « كل نفسٍ بما كسبتْ رهينة »

قال الشاعر : (وإبْسالى بَنِىَّ بغير جُرْم) .

قال ابو تراب : وذكره فى النوادر (ص ١٥١) ومجاز القرآن (ج ١ ص ١٩٤) والطبرى ، والمعانى الكبير (ص ١١١٤) والقرطبى (ج ٧ ص ١٦) وشواهد الكشاف (ص ٢٠٠) وقال آخر(يعنى زهيراً) : (فانْ تُقْوِيا منهم فانهما بَسْلُ) أقْوى المكان اذا خلا ، وقيل للشَّجاعة : البسالة ، إمَّا لِمَا يُوصف به الشجاع من عُبوسِ وجهه (أو) لكون نفسه مُحَرَّما على أقرانه لشجاعته (أو) لمنعه لما تحت يده عن اعدائه ، وأبْلست المكان : حفظته ، وجعلته بَسْلاً على مَنْ يُريده .

وقال ابن فارس : البَسْل : المنع والحَبْسُ ، وكل شىء امتنع فهو بَسْلٌ ، قال زهير بن ابى سُلْمَى :

بلادٌ بهـــا نادمتهـــم وعرفتهم فانْ تُقْوِيـــا منهـــم فانهما بَسْلُ

قال ابو تراب : يعنى بهما موضعين بعَيْنِهما هما مُحَجَّر ، وجِزْعُ الحِسَا ، وفى المقاييس ضبط عبدالسلام هارون (فانهمو بَسْـلُ) وهـى روايـة الأنبـارى والواحدى بلفظ (فانْ أوحشتْ منهم) ومنه أَبْسَلْتُ ولدى ، أى رَهَنْتُه ، قال الله تعالى : « أُبْسِلوا بما كَسَبوا » وقال عوف بن الأحوص ، كما فى المجاز لأبى عبيدة وغريب ابن قتيبة ، أو هو لعبدالرحمن بن الأحوص :

وإبْسالِىَ بَنِىَّ بغير جُرْمٍ   بَعَوْنَاه ولا بِدَمٍ مُراقِ

بَعَوْناه : أى اجترمناه واكتسبناه ، قال ابن دُريد فى الجمهرة : (ج ١ ص ٣١٧) : يَصِف فى هذا البيت انه رَهَنَ بَنِيه فى حَرْب .

وفى الأساس : أُبْسِلَ بعمله : أُفْضِح ، واستبسل للموت : استسلم ، وأنشد الكسائى :

اذا جاء ساعٍ لهم فاجرُ   تَجَهَّمنا قبلَ أن يَنْزِلاَ
وأَوْعَدَنا قَبْلَ عَيْرٍ وما   جَرَىَ كَىْ نَذِلَّ ونَسْتَبْسِلا

ويوم باسل . قال الأخطل التغلبى :

نفْسى فداء أميرِ المؤمنين اذا   أبْدَى النواجذَ يومٌ باسِلٌ ذَكَرُ

وقال الحسن فى قوله تعالى : « اولئك الذين أُبْسِلُوا بما كَسَبوا » أىْ أُسلموا بجرائرهم ، وقيل : اُرْتُهِنوا ، وقيل : أُهْلِكوا ، وقال مجاهد : فُضِحوا ، وقال قتادة : حُبِسُوا .

وقوله تعالى : « أنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بما كسبتْ » أى تُسْلَمَ للهلاك ، وقيل : تُجْزَى ، قال ابو منصور : معناه : لئلاّ تُسْلَمَ نفس الى العذاب بعملها ، قال النابغة الجعدى : وذكره القرطبى ومعجم البلدان والمجاز .

ونحن رَهَنَّا بالأفاقة عامراً   بما كان فى الدَّرْدَاءِ رَهْناً فأُبْسِلاَ

والدرداء : كتيبة كانت لهم ، والأفاقة موضع قُرْبَ الكوفة .

ومن شواهد هذه المادّة فى اللسان قول أبى ذُؤَيْبٍ يَصف قبرا :

فكنتُ ذَنُوبَ البئر لَمّا تَبَسَّلَتْ   وسُرْبِلْتُ أكفانى ووُسِّدْتُ ساعِدِىْ

لَمّا تَبَسَّلتْ أى كَرُهَتْ ، ورُوى : لَمّا تَنَسَّلَتْ .

وقال كعب بن زُهير :

اذا غَلَبَتْه الكأسُ لامُتَعَبِّسٌ   حَصُورٌ ولا من دونها يَتَبَسَّلُ

وقال الحُطَيْئَةُ :

وأحْلَى من التَمْر الحَلِىِّ وفيهمو   بَسَالةُ نفس إنْ أُرِيد بَسَالُهَا

وباسل القول : شديده ، وكريهه ، قال ابو بُثَيْنَة الهُذلى :

نُفَاثَـةَ أَعْنِـى لا أُحـاول غيرَهم   وباسِـلُ قولى لاينـال بنـى عَبْدِ

والمُبَسَّلُ : ماتُكَرّه طَعْمُه ، وأنشد ابن الأعرابى :

بِئْسَ الطعـامُ الحَنْظَـلُ المُبَسَّلُ   تَيْجَـعُ منـه كَبِـدى وأكْسَلُ

والمُسْتَبْسِل الذى يقع فى مكروهٍ ، ولامَخْلَصَ له منه ، فيَسْتَسلم موقِنا للهَلَكَةِ ، قال الشَنْفَرَى ـ أو هو لتِأبَط شرا ، وأنشده ابو عبيدة فى كتاب مجاز القرآن ج ١ ص ١٩٥ .

هنـالك لا أرجـو حيـاةً تَسُرُّنى   سمـيرَ الليـالى مُبْسَـلاً لجرائرى

وهو فى الطرائف الأدبية (ص ٢٥) والمُفَضَّليات (ص ١٩٧) والشعراء والطبرى والأغانى (ج ٢١ ص ٨٩) ومُبْسَلاً لجرائرى ، أى مُسْلما .

والبَسْـل من الأضـداد ، فهـو بمعنـى الحـرام والحـلال ، ذكره الأنبـارى والسَجِسْتانى وابو الطيب فى كتابه وأنشد :

حَنَّت الى نخلة القُصْوى فقلت لها   بَسْـلٌ عليـكِ ألا تلك الدَهاريسُ

وقال الأعشى فى المعنى الأول :

أجارَتُـكم بَسْـل علينـا مُحَرَّمٌ   وجارتُنـا حِلٌ لكم وحليلُها

وقال ضَمْرةُ النَهْشَلىُّ ، وذكره فى الأمالى (ج ٢ ص ٢٧٩) والوَحْشِيات (٤٢٤) :

بَكَرَتْ تَلُومك بعـد وَهْـن فى النَدى   بَسْـلٌ عليـكِ ملامتـى وعتابى

وهذا البيت فى الأزمنة والأمكنة (ج ١ ص ١٦٠) والنـوادر (ص ٢) والشعراء (ص ٢٥٠) والأنبارى والسجستانى .

وقال ابن همّام فى المعنى الثانى :

أيَثْبُـتُ مازدتـم وتُلْغَـى زيادتى   دَمـى إنْ أُحِلَّـت هذه لكمـو بَسْلُ

وذكره غير واحد ، وبَسْلُ فى الدعاء : بمعنى (آمين) ، وكان عمر يقوله ، قال المُتَلمّس :

لا خاب مِنْ نَفْعِــك مَنْ رجاكا بَسْــلا وعــادى الله مَنْ عاداكا

وقال الفراء فى المعانى ج ١ ص ٣٣٩ : « أن تبسل نفسى » أن ترتهـن والعرب تقول : هذا عليك بَسْل أى حرام ولهذا قيل : أسد باسل أى لا يقرب ، والعرب تقول : أعط الراقى بُسلَته وهو أجر الرقية .

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ١٥٥ : « أن تبسل » أى تسلم للهلكة .

ومعنى الآية : ذرْ يامحمد هؤلاء الذين اتخذوا دين الله ، وطاعته لَعِبا ولهوا ، على اغترارهم بزينة الدنيا ، ونسيانهـم الآخـرة ، وذَكِّرْ بالقـرآن هؤلاء الذيـن يخوضون فى آياتنا ممن سلك سبيلهم ، كَيْلا تُبْسَل نفسٌ بذنوبها وكفرها بربها ، وتُرْتَهَن ، فتَغْلَق بما كسبتْ من أجرامها فى عذاب الله ولاشفيع لها .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : اخبرنى عن قوله تعالى : « فلمآ أفلَتْ قال : ياقوم انّى برىء مّما تُشركون » ؟ قال : (أفَلَتْ) زالت الشمس عن كَبِد السماء ، قال : أو تعرف العربُ ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول كعب بن مالك :

فتَغَــيرَ القمــرُ المنــيرُ لِفَقْدِه والشمس قد كُسِفَتْ وكادتْ تأفُلُ

قال ابو تراب : هذا البيت من قصيدة له فى وفاة رسول الله ﷺ فى سيرة ابن هشام (ج ٤ ص ٢٨) ، والأفول يدل على الغيوب ، يقال : أفَلتِ الشمس أى غابت ، ونجوم أُفَّل ، وكلُّ شىء غاب فهو آفل ، قال :

فدَعْ عنك سُعْدى انما تُسْعِفُ النَّوى قِرانَ الثُريَّــا مرةً ثم تَأْفُلُ

ومن محاوراتهم : فلان كعبه سافـل ، ونجمـه آفـل ، وأفَلَـتِ الشـمس : غربت .

وفى تهذيب اللغة للأزهرى : اذا غابت فهى آفلة ، وآفل ، وكذلك القمر يأفُلُ اذا غاب ، وكذلك سائر الكواكب ، قال الله تعالى : « فلما أفل قال : لا أحب الآفلين » .

وفى نوادر أبى زيد :

ابـو شتيمَـينِ من حَصَّـاءَ قد أفَلَتْ   كأنّ أطْبَاءَهـا فى رُفغِهـا رُقَعُ

قال ابو الهيثم : قد أفَلَت : أى ذَهَبَ لَبَنُها ، والرُّفْغ مابين السُرَّة الى العانة ، والحصَّاء التى انْحَصَّ وبَرها ، وقيل : الرُّفْغ : أصل الفخذِ والابط .

قال ابو تراب : والشتيم : العابس ، ولهذه المادة أصل آخر بمعنى صغار الابل ، ومنه الأفيلُ بمعنى الفصيل ، والجَمْعُ إفالٌ ، قال زُهير :

فأصبح يجُـرى فيهمـو من تِلادكم   مغانـم شتـى من إفـالٍ مُزَنَّمِ

المُزَنَّمُ : صغار الابل .

ومن محاورتهم : القَرْمُ من الأفِيْل ، أى الكبير من الصغير ، وتقول :

ما الشيوخ كالأطفال ، ولا البُزْل كالافال ، البُزْل : هى الابل التى انشقَّ نابُها بدخولها فى السنة التاسعة ، والافال صغارها ، قال الفَرَزْدَقُ :

وجـاء قَريـعُ الشَّـوْلِ قبـل إفالِها   يَزِفُّ وجـاءتْ خَلْفَـه وهـى زُفَّفُ

قال الأصمعى : الأفيلُ : ابن المَخاضِ ، وابن اللَّبون ، فاذا ارتفع عن ذلك ، فليس بأفيل ، وقال إهاب بن عمير :

ظَلَّـتْ بِمُنْـدَحَ الرَّجـا مُثولُها   ثامنـةً   ومُغْـوِلاً أفيلُها

ثامنة : أى واردة ثِمْنا ، والثِمْن بالكسر : ظِمْءٌ من أظْماء الابل وهى ان تَرِد يوما ثم تُحْبَس عن الماء ستة أيام ، وتَرِد فى الثامن ، ومُثولها : أى قيامُها ماثلة ، وفى المثل: انما القَرْم من الأفِيْل ، أى أنَ بَدْءَ الكبير من الصغير .

قال الميدانى فى مجمع الأمثال : هذا المثل يُضرب لمن يَعْظُم بعد صِغَرِهِ .

وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ١ ص ٨) قول الراجز :

قد يُلْحَـقُ الصغـيرُ بالجليلِ وانمـا القَـرْم من الأَفِيْلِ
وسُحُوقُ النَّخْل من الفَسِيْلِ

سحُوقُ النخل : باسقُها ، وطويلها ، والفسيل جمع الفَسيلة ، وهى النخلة الصغيرة تُقطع من الأُمّ وتُغترس .

وقال الطبرى : معنى قوله : « فلماّ أفَـلَ » أى غاب وذهب ، قال ابن اسحاق : الأفول الذهاب ، يقال : منه : أَفَلَ النجم اذا غاب ، ومنه قول ذى الرُمَّة :

مَصابيحُ ليستْ باللواتى تقودها نجومٌ ولا بالآفلاتِ الدَّوالكِ

ويقال : أين أفَلْتَ عنّا ، بمعنى أين غبت عنا .

قال ابو تراب : ذكر الأستاذ محمود شاكر : ان هذا الاستعمال لاتكاد تجده فى كتاب غير تفسير ابى جعفر الطبرى ، وقد وجدته فى كتاب مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المُثَنَّى ، (ج ١ ص ١٩٩) ، والبيت المذكور ذكره ابو عبيدة ايضا وهو فى ديوانه (ص ٤٢٥) وكتاب الأزمنة (ج ٢ ص ٤٥) وكتاب القُرطَين لابن مُطَرِّفِ (ج ١ ص ٢٦١) واللسان ، وهو من قصيدة طويلة وصف بها الابل ، وهذا البيت من صفتها ، فمصابيح جمع مصباح ، وهى التى تُصْبِح فى مَبْركها ، لا تَرْعَى حتى يرتفع النهار ، وهو مما يُسْتَحَبُّ من الابل ، وذلك لقوتها وسِمنها ، يعنى انها ليست نجوما آفلات ، ولكنها إبل . عَلّقه محمود شاكر على تفسير الطبرى .

وقال ابن قتيبة فى تأويل المُشْكِل ، (ص ٢٦١) : « فلما أفَـلَ قال : لاأُحب الآفلين » ، كان القوم يعظّمون النجوم ، فأراهم النقص الداخل على النجم بالأفول ، وذلك بعد استدراجهم ، لأنه ليس ينبغى لآله أن يزول ، ولا ان يغيب حتى تَبَينَّ للقوم ماأراد من غير جهة العِناد ، والمُبادَأة بالتَنَقُّص والعيب ، وفى كتاب ابى عبيدة من شواهد الأفول قوله :

(اذا ماالثريا أحَسَّتْ أفولا)

أى غَيْبُوبةٌ .

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ١٥٦ : « أفلت » غابت .

قال الراغب : الأفول غيبوبة النَيرّات كالقمر والنجوم .

وقال ابن القَطَّاع فى كتاب الأفعال : أَفَل الشىء : غاب ، وأفلت اللَّبُوْة : قل لبنها .

وقال جار الله : معنى قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : « لا أُحب الآفلين » أى لاأحب عبادة الأرباب المتغيرين من حالٍ الى حال ، المتنقلين من مكان الى مكان ، المُحْتَجِبِينْ بستر ، فان ذلك من صفات الأَجْرام ، فانّى برىءٌ مما تشركون من الأجرام التى تجعلونها شركاء لخالقها وهو مُدَبّر طلوعِها وأُفولِها ، وانتقالها وسيرها وسائر أحوالها .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحتْ كالصرًيم » ؟ قال : (الصرًيم) الذاهبُ .. قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر : (قلت : هو زهير بن أبى سُلْمَى) :

غدوتُ عليــه غُدْوَةً فوجدتُه قُعــودا لديــه بالصريــم عواذلُهْ

قال ابو تراب : ذكروا فى معنى قوله تعالى : « فأصبحتْ كالصرًيم » انها اصبحت كالأشجار الصريمة ، أى المصروم حَمْلُها ، وقيل : أصبحت كالليل ، لأن الليل يقال له الصرًيم ، أى صارت سوداء كالليل ، لاحتراقها ، والصِرْمُ : القطيعة ، والصريم : قطعة مُنْصرَمة عن الرمل .

وقوله : « إذْ أقسموا لَيصرِمُنَّها مُصْبِحينْ » أى يجْتَنُونها ويتناولونها ، قال : « فتَنَادوا مُصبِحين ، أنِ آغدُوا على حَرْثِكم إن كنتم صارمين » .

وقال أبو عبيدة فى المجاز ج ٢ ص ٢٦٥ : « فأصبحت كالصريم » الصَّرْمُ فى الليل ، وهو الليل ، وكلُّ رملة انصرمت من مُعْظَم الرمل : فهى الصريمة .

وقال الفراء فى المعانى ١٧٥/٣ كالصريم كالليل المسودّ .

وفى الكشاف : يعنى كالمصرومة : لهلاك ثمرها ، وقيل : الصرَّيم الليل ، أى احترقتْ فاسْوَدَّتْ ، وقيل : النهار ، أى يَبِسَتْ وذهبتْ خُضرْتُها ، أو لم يَبْقَ شىء فيها ، من قولهم : بَيَّض الاناء : اذا فرَّغه ، وقيل : الصرَّيم : الرمال ، وقوله : « صارمين » أى حاصدين ، وكان الغُدُوُّ على الحَرْثِ لِيَصرِمُوه ، أى يقطعوه .

وقال ابن قتيبة فى كتاب المُشْكِل (ص ١٤٣) : يُسَمَّى المُتضادان باسم واحد ، والأصل واحد ، فيقال للصبح : صرَيمٌ ، ولِلَّيْل صريم ، قال الله تعالى : فأصْبَحَتْ كالصريم ، أى سوداء كالليل ، لأن الليل يَنْصرِم عن النهار .

وقال فى تفسير الغريب (ص ٤٧٩) « كالصرَّيم » أى سوداء كالليل مُحترقة ، والليل هو الصريم ، والصبح ايضا صريم ، لأن كل واحد منهما يَنْصرَم من صاحبه ، ويقال : أصبحتْ وقد ذهب مافيها من الثمر ، فكأنه صرِمَ أى قُطِعَ وجُذَّ .

قال ابو تراب : لذلك فَسرَّه ابن عباس بالذاهب ، لأنه ذهب ثَمَرُها .

وفى التنوير ص ٣٦٤ عنه « كالصريم » كالليل المظلم « صارمين » جاذِّين .

وقال الطبرى : قوله تعالى : « إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنَة إذْ أقْسموا لَيصرِمُنَّها » أى ليجُذُّنَّ ثمرتها ، ومنه قول امرىء القيس :

صرَمَتْك بعد تواصُلٍ دَعْدُ وبَدَا لِدَعْدِ بعضُ مايبدو

فطَرَق جنة هؤلاء القوم ليلاً طارق من أمر الله وهم نائمون ، فأصبحت الجنة كالصريم ، واختلفوا فى معناه ، فقال بعضهم : عَنَى به الليل الأسود وقال بعضهم : معنى ذلك فأصبحتْ جَنَّتُهم محترقة سوداء كسواد الليل المُظْلِم البهيم ، وقال آخرون : أصبحتْ كأرضٍ تُدْعَى بهذا الاسم باليَمَنِ ، يقال لها : ضَرَوان .

وأنشد فى الصريم بمعنى الليل ، قول أبى عمرو ابن العلاء :

ألا بَكَرتْ وعاذِلَتى تلوم تُهَجِّدُنى وما انْكَشَفَ الصريمُ

وقال ايضا

تَطَاول ليلك الجَوْنُ البهيم فما يَنْجابُ عن صُبْحٍ صرَيمُ
اذا ماقلت أَقْشَعَ أو تَناهى جَرَتْ من كلّ ناحيةٍ غيومُ

الجَوْنُ : الأسود ، وأنشده القرطبى ايضا ، وهو فى اللسان .

وفى جامع أحكام القرآن : أصبحت تلك الجنة كالليل المظلم عقابا لهم ، واحترقت فصارت كالليل الأسود ، وعن ابن عباس : كالرَّماد الأسود ، والصريم فى لغة خُزيمة : الرماد الأسود . وقال التَوَّزِىُّ : كالزرع المحصود ، فالصريمُ بمعنى المصروم ، أى المقطوع مافيه . وقال الحسن : صرِم عنها الخير أى قُطع ، وقال المُؤَرّجُ : كالرَّمْلَةِ انصرمت من مُعْظَم الرَّمل ، فالرملة لاتُنْبِتُ شيئا ينتفع به . وقال الأخفش : أصْبَحَتْ كالصُبح انصرم من الليل .

وقال المبرد : أى كالنهار ، فلا شىء فيها . وقال شَمِرُ : الصريم : الليل والصريم النهار ، أى ينصرم هذا عن ذاك ، وذاك عن هذا . وقيل : سُمى الليل صريما لأنه يَقْطَعُ بظُلْمتِه عن التصرُّف . قال القشيرى : وفى هذا نظر ، لأن النهار يُسمى صريما ، ولايَقْطَع عن تصرُّف .

قال ابو تراب : لم يذكر ابن سلاّم ، الصريم فى لغة خُزيمة فى كتاب لغات القبائل فليُسْتَدرك .

وأمَّا البيت الذى انشده ابن عباس لنافع بن الأزرق فى جوابه : فهو لزهير .. ذكره ابن الانبارى فى الأضداد ، وابن السِكّيت ايضا فى الأضداد ، وابو الطيب ايضا فى الأضداد ، وانشد :

عَلاَمَ تقول عاذلتى تلوم تُؤَرِّقُنى اذا انْجَابَ الصرَّيمُ

وهو لابن الحُمَيرَ ، وأنشد لعدىّ بن الرِقَاع فى الليل اذا انصرم من النهار :

فلماّ اَنْجَلى عنها الصرَّيمُ وأبْصَرَتْ هِجاناً يُسامى الليلَ أبيضَ مُعْلَما

وقال بِشرْ بن ابى خازم :

فبات يقول : أصْبِحْ لَيْلُ حتى تَجَلىَّ عن صرَيمتِه الظَّلامُ

قال ابو تراب : فسرَ هذا بالصبح ، وفسرَ الشيبانى وابن السِكّيت قول زُهير بالليل ، وأنشده ابن عباس فى تفسيره إياه بالذاهب ، ذلك لأن الليلَ ينصرم ويذهب عن النهار ، فاذا كان المعنى الأرضَ المحصود زَرْعُها فهو على الأصل ، لأن الصَرْمَ : القَطْعُ ، قال لبيد بن ربيعة العامرى :

فَاقْطَعْ لُبانَة منْ تَعَرَّض وَصْلُه ولَشرُّ واصِل خُلَّةٍ صرَّامُها

وانشد ابن الأعرابى :

صَرَمَتْ ولم تَصرِمْ وأنت صرَومُ وكيف تصَابِى مَنْ يقالُ حَليمُ

وقال النابغة يريد بالصريم الليلَ المُظْلم :

أو تَزْجُروا مُكْفَهِرًا لاكِفاءَ له كالليل يَخْلِطُ أصرْاما بأصرْامِ

وأنشد ابن الأنبارى فى الأضداد (ص ٧٠) قول الشاعر :

بَكَرَتْ علىّ تلومنى بصريم فلقد عَذَلْتِ ولُمتِ غيرَ مُليم

قال : أراد بليلٍ . وأنشد الزمخشرى فى الصريم بمعنى الرَّمْلة المنصرمة ذات الشجر :

ظَلَّتْ تلوذ أمسِ بالصريم وصِلّيانٍ كَسِبال الرُّومِ

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « قالوا : تالله تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يوسُفَ حتى تكون حَرَضا أو تكون من الهالكين » قال : (تَفْتَأُ) لاتزال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

لَعَمْرُك لم تَفْتَأْ تَذَكَّرُ خالداً وقد غاله ماغال مِنْ قَبْلُ تُبَعا

قال ابو تراب : مافَتِىء معناه : مازال ومابرِح ، ولايُسْتَعْمَلُ الاّ فى النفى ، ولايُتكلَّم به الاّ مع الجَحْد ، فان استعمل بغير (ما) ونحوها فهى مَنْوِيَّةٌ على حسب ماتجىء عليه أخواتها ، وربما حَذفت العرب حرف الجَحْد من هذه الألفاظ . كقوله تعالى : « قالوا تالله تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يوسف » أى لاتَفْتَأُ وقال ساعدة بن جُؤَية :

أنَدَّ من قارِبٍ دَرْجٍ قوائمه صُمَّ حوافِرُهُ مايَفْتأُ الدَّلجَا

وفى التاج : (أَقَدَّ) بدل (أَنَدَّ) .. وفى اللسان : (روحٍ) بدل (دَرْجٍ) قال : إنه أراد : مايَفْتَأُ من الدَّلَج ، وقال فى المقاييس : « تَفْتَأُ تَذْكُرُ » أى لاتزال تَذْكُرُ . وأنشد الزمخشرى لأوسٍ بن حَجَر قوله فى الأساس :

ومافتِئَتْ خيلٌ تثوب وتدّعى ويَلْحَقُ منها لاحقٌ وتُقَطَّعُ

ورُوى بالثاء ، وأنشده ايضا الطبرى والزمخشرى فى الكشاف ، وابن قتيبة فى الغريب ص ٢٢١ وانظر الجمهرة ج ٣ ص ٢٨٧ .

أمّا فَتَأَ بمعنى أطفأ وكسرَ فهى تامّة ، ذكرها ابن مالك فى كتاب جمع اللغات المُشْكلة عن الفَرّاء ، وأخطأ ابو حيّان النحوى فى تغليطه ايّاه ، فقد أوردها ابن القُوطِيّة ، وابن القطّاع ، ونَبَّه عليها الفيروز ابادى فى القاموس ومعنى « تفتأ تَذْكُرُ » أى لاتزال تذكر ، كما فى تأويل المُشْكِل لابن قتيبة (ص ١٧٤) واللغويون قَدَّروا (ماتزال) وهو غلط ، لأن من شروط حذف النافى تقديره عند النحاةِ بـ « لا » .. وهكذا قدّره ابن قتيبة وابو عبيدة ، وأنشد قول أوسٍ المذكور (انظر ج ١ ص ٣١٦) .

قال الفراء فى المعانى ج ٢ ص ٥٤ : « تالله تفتأ » معناه لاتزال تذكر يوسف و(لا) قد تضمر مع الأيمان ، لأنها اذا كانت خبرا لايضمر فيها (لا) لم تكن الا بلام ، ألا ترى انك تقول : والله لآتينك ، ولايجوز ان تقول : والله آتيك الاّ ان تكون تريد (لا) فلما تبين موضعها وقد فارقت الخبر أضمرت . قال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

قال وأنشد بعضهم :

فلا وأبى دهماء زالت عزيزة على قومها ما بَتَل الزند قادح

يريد : لا زالت .

وشاهد هذا الحذف من هذه الأفعال فى الشواهد الكبرى للعَيْنىَ (ج ٢ ص ٦٤) ومجاز أبى عبيدة وقولُ خِدَاش بن زُهير :

وأبْرحُ ماأدام الله قومى بحمد الله مُنْتَطِقاً مجَيدا

معنى هذا (لا أبْرَحُ): (لاأزال) ، وأنشد الطبرى ايضا قولَ أوسٍ :

فما فَتِئَتْ حتى كأنَ غُبارَها سرُادق يومٍ ذى رياحٍ تُرَفَّعُ

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ولا تقتلوا اولادكم خشية إملاقٍ » ؟ قال : مخافة الفقر ، أما سمعت قول الشاعر :

وإنّى على الاملاق ياقومِ ماجدٌ أُعِدُّ لأضيافى الشِواءَ المُصَهَّبا

قال ابو تراب : الشِواء المُصَهَّب ، هو المختلط بالشحم ، وفى رواية : المُضَهَّبُ ، وهو الذى لم يَنْضَجْ ، ويعنى بقوله : « خَشْيَةَ إملاقٍ » خوفَ إقتارٍ وفقر ، وانما قال ذلك للعرب ، لأنهم كانوا يقتلون الاناث من اولادهم ، خوفَ

العَيْلَةِ على أنفسهم ، بالانفاق عليهن ، فأخبرهم بقوله : « نحن نَرْزُقُهم وايّاكم »
والامْلاق هو فناء الزاد ، وذهاب المال ، والافلاس ، هكذا فى تفسير الطبرى ،
وفى تفسير القرطبى : الاملاق الفقر ، وحَكَى النَقَّاش عن مُوَرّج قال : الاملاق :
الجوع بلغة لَخْمٍ ، وذَكر مُنْذِر بن سعيد : ان الاملاق : الانفاق ، يُقال : أمْلَقَ
ماله بمعنى أنْفَقه ، وذكر ان عليّا قال لامرأته : أمْلِقِيْ من مالك ماشئت ، وُذكرَ
ذلك عن ابن عباس ايضا .

ورجل مَلِق يُعطى بلسانه ماليس فى قلبه ، فالمَلَق لفظٌ مُشْترك .

قال ابو تراب : ذَكر ابن سلاّم فى كتاب لغات القبائل : الاملاق بلغة لَخْمٍ
بمعنى الجُوع ، ويقال : أمْلَقَ الرجل أى لم يَبْقَ له الاّ الملقات ، وهى الحجارة
العِظام المُلْس ، قال الهُذلى (قلت : هو صَخْر الغَىّ) يصف صائدا :

أُتيح لها أُقَيْدِرُ ذو حَشيفٍ اذا سامتْ على المَلَقات ساما

الواحدة : مَلَقَةٌ ، والأُقَيْدِرُ : تصغير الأقدر ، وهو الرجل القصير ، والحَشيف
من الثياب : الخَلَقُ ، وسامَتْ : مرت ، وقال اوس بن حَجَر :

ولّما رأيتُ العُدْمَ قَيّد نائلى وأمْلَقَ ماعندى خطُوبٌ تَنَبّلُ

أى أفقرته الخطوب .

وقال ابو عبيدة ج١ ص ٢٠٨ و ٣٧٥ فى قوله تعالى : « ولا تقتلوا اولادكم
من إملاق » أى من ذهاب مافى ايديكم ، يقال : أمْلَقَ فلانٌ ، أى ذهب ماله
واحتاج ، وأقْفَر : مثلها .

وقال ابن قتيبة : فلان مُمْلِقٌ ، اذا افتقر .

قال ابو تراب : والغريب ان الراغب الأصفهانى أغْفل هذه المادّة من كتاب
المفردات ، وسبحان الذى لايعتريه نسيان .

ومن شواهده قول الشاعر :

ايّاك أدعو فتَقَبّلْ مَلَقِى واغفرْ خطاياى وثَمّر وَرَقى

وفرسٌ مَلِقٌ : يقفز ويضرب الأرض بحوافره ، ولاجَرْىَ عنده ، قال الجَعْدىّ :

ولامَلِقٌ يَنْزو ويُنْذِرُ رَوْثه   أُحَادَ اذا فَأْسُ اللِجام تَصَلْصَلا

وهذه المادة تدل على تجرُّد فى الشىء ، ولِينٍ ، كما فى المقاييس ، ويقال : الاملاق : اتلاف المال حتى يُحُوِجَ ، كأنه تجرّد عن المال ، وانْمَلَق ساعد الرجل : انْسحَجَ من تحملُ الأحمال ، قال الراجز :

وحَوْقَلٍ ساعدُه قد انْمَلَقْ   يقول قَطْباً ونعِمّا إنْ سَلَقْ

أمّا قوله :

لاهُمَّ ربَّ البيت والمشرَّقِ   ايّاك أدعو فتقبَّلْ مَلَقِى

فالملق هنا : الدعاء والتضرع ، والملق زيادة التودد ايضا ، وإظهار ماليس فى القلب ، قال المُتَنَخّل فى هذا المعنى :

أرْوَى بِجِنَ العهد سَلْمَى ولا   يُنْصِبْكَ عَهْدُ المَلِقِ الحُوَّلِ

بجِنَ العهد : أى سقاها الله بحِدْثان العهد ، لأنه يثبت ويدوم ، وجِنُّ الشباب أوّله ، ولايُنْصِبْكَ عَهْدُ المَلِق ، أى مَنْ كان مَلِقا ذا حُوَّل فصَرَمك ، فلا يُنصِبْكَ صَرْمُه .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وأنزل لكم من السماء ماء فأنْبَتْنا به حدائق ذات بهجة » ؟ قال : الحدائق : البساتين ، قال : هل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

بلاد سقاها الله أمَّا سهولُها   فقَضْبٌ وَدرٌّ مُغْدِقٌ وحدائق

قال ابو تراب : القَضْبُ كل شجرة طالَتْ ، وسَبِطَتْ اغصانها ، والمراد بالدَّرِ المُغْدِقِ المطر فى هذا البيت يعنى هى فى خصب وماء كثير .

ومن كلام البلغاء : ورد عليّ كتابك فتنزّهتُ فى أنَقِ رياضِه ، وبهجة حدائقه ، واشتقاق الحديقة من الحَدَق ، لأن الأشجار تُحْدِقُ بها من كل جهة .

قال ابن فارس : الحاء والدال والقاف ، أصل واحد ، وهو الشيء يحيط بشيء ، يقال : أَحْدَق القومُ بالرجل ، وحَدَقُوا ، قال الأخْطَلُ :

المُطْعِمون بنو حَرْب وقد حَدَقَتْ بِىَ المَنِيَّة واستَبْطَأْتُ أنصارى

وحَدَقة العين من هذا ، وهى السَّوادُ ، لأنها تحيط بالصَّبِىّ - والصبى ناظر العَينِ - قال أبو ذُؤيب :

فالعين بعدهمو كأن حِداقُها سُلِمَتْ بِشَوكٍ فهى عُورٌ تَدْمَعُ

وفى رواية : (سُمِلَتْ بشوك) ومعنى سُلِمَتْ : لُدِغَتْ .

قال الزمخشرى : وتكلّمتُ على حَدَقِ القوم ، أى وهم ينظرون الىّ ، قال ابو النجم :

وكلْمَةِ حَزْمٍ تُغِصُّ الخطيبَ على حَدَقِ القوم أمْضَيْتُها

وقال ابن منظور : حَدَقَ وأحدق به استدار ، قال ساعدة :

وأُنبئتُ ان القوم قد حَدَقُوا به فلا ريب أن قد كان ثَمَّ لَحِيْمُ

وكل شيء استدار بشيء ، فقد أَحْدَقَ به ، وتقول : عليه شامة سوداء قد أَحْدَقَ بها بياضٌ .

والحديقة من الرياض ، كل ارضٍ استدارت ، وأَحْدَق بها حاجز او ارض مرتفعة ، قال عنترة بن شداد :

جادَتْ عليها كلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ فتركنَ كلَّ حديقةٍ كالدِرْهَمِ

والمراد بالبِكْر الحُرّة : السحابة ، وشبه الحديقة بالدرهم فى الصفاء .

وقيل : الحديقة ، كل أرض ذات شجر مُثْمِرٍ ونَخْل ، وقيل : الحديقة البستان والحائط ، وخَصَّ بعضهم به الجنة من النخل والعنب ، قال :

أَعْطَيْتُ فيها طائعا أو كارها حديقة غَلْبَاء فى جِدارها

اراد انه اعطاها نخلا ، وكَرْما مُحْدَقا عليها ، وذلك أفخم للنخل ، والكَرْم ، لأنه لايُحْدَق عليه الاّ وهو مَضْنونٌ به ، مُنْفِسٌ ، وانما أراد انه غالىَ بمهرها .

وقيل : الحديقة حُفْرةٌ تكون فى الوادى تَحْبِسُ الماء ، وكل وَطِىء يَحْبِس الماء فى الوادى . وإن لم يكن الماء فى بطنه فهو حديقة ، والحديقة اعمق من الغدير .. والحديقة : القطعة من الزرع ، وكلُّه فى معنى الاستدارة .

وفى التنزيل : « وحدائق غُلْبا » وكلُّ بستان كان عليه حائط فهو حديقة ومالم يكن عليه حائط لم يُقَلْ له حديقة . قال الزجّاج : الحدائق : البساتين والشجر الملتف ، وحديقُ الروض : ماأَعْشَبَ منه وٱلْتَفَّ . يقال : روضة بنى فلان ماهى الاّ حديقة ، مايجوز فيها شيء ، وقد أُحْدِقَتِ الروضة عُشْبا . واذا لم يكن فيها عشب فهى روضة .

وفى الحديث : سمع من السحاب صوتا يقول : اِسْقِ حديقة فلان .

والحَدَقَةُ : السواد المستدير وسَطَ العَينِ . والتحديق : شدة النظر بالحدقة ، وقول مُلَيْحِ الهذلى :

أبى نَصَبَ الرايات بين هَوازنٍ ... وبين تميمٍ بعد خوفٍ مُحَدَقِ

اراد أمرا شديدا تُحَدِّقُ منه الرجال .

قال الطبرى : يعنى سبحانه وتعالى فأنبتنا بالماء الذى أُنزِل من السماء حدائق وهى جمع حديقة ، والحديقة : البستان ، عليه حائط مُحوَطٌ ، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة ، وذات بهجة ، أى منظر حسن . وقال ايضا : تُسَمَّى الحديقة : لاحداق الحيطان بها ، وإحداقُها بها ، اْشتمالُها عليها .

وقال الفرّاء فى المعانى ج ٢ ص ٢٩٧ : الحديقة ، البستان المُحْظَرُ عليه حائط ، وإن لم يكن حائط فهو بستان ، وليس بحديقة .

وقال قتادة وعكرمة : الحدائق النخل ذات بهجة والبهجة الزينة يُبْهَج به مَنْ رآه .

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ٣٢٦ الحدائق البساتين لأنه يُحدق عليها أى يُحظر عليها حائط ، ومنه قيل : حدّقت بالقوم اذ أحطت بهم .

وقال ابو عبيدة فى المجاز ج ٢ ص ٩٥ : أى جنانا من جنان الدنيا واحدتها حديقة .

وقال الراغب فى المفردات : « حدائقَ ذات بهجة » جمع حديقة ، وهى قطعة من الأرض ذات ماء سُمَيتْ بها ، تشبيها بِحَدَقةِ العَينْ فى الهَيْأة ، وحصول الماء فيها .

قال فى الكشاف فى قوله تعالى : « فأنْبتْنا به حدائق ذات بهجة ، ماكان لكم ان تُنْبِتوا شجرَها أإله مع الله بل هم قوم يَعْدِلون » عَدَّدَ سبحانه وتعالى الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمتِه وفضله ، ثم قال : هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء . وفى الآية المذكورة تأكيد معنى الاختصاص .. والايذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حُسْنِها ، وبهجتها بماء واحد ، لايَقْدِرَ عليه الاّ هو وحده .

قال الفَخْر : هذه هى الحكمة فى الالتفات فى قوله : « فأنْبَتنا » أزال به توهُم الانسان ، لأنه يأتى بالبَذْر ، والكَرْب ، ويقوم بالسَقْى ِ ، والتَشْمِيْس ، لكنّه ليس مُنْبِتا ، لأنه لايأتى على وَفْق ِ مرادِه ، ومايقع على وفق مراده ، فهو جاهل بطبعه ، ومقداره ، وكيفيته ، فلذلك حَسُنَ الالتفات ، وصرِفَ الضمير ، فقال : « فأنْبَتْنَا » .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وكان الله على كل شىء مُقيتا » ؟ قال : قادرا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر أُحَيْحَة الأنصارى :

وذى ضِغْنٍ كففَتُ النفس عنه ... وكنتُ على مَساءِتِه مُقيتا

قال ابو تراب : هذا البيت نسبه السيوطى فى الاتقان والدُرّ المنثور (ج ٢ ص ١٨٧) الى أُحيحة بن الجُلاح الأنصارى ، ونسبه الطبرى والقرطبى (ج ٥ ص ٩٦-) الق الزبير بن عبدالمطلب ، وهو فى طبقات الشعراء لابن سلاّم (ص ٢٤٣) لأبى قيس ابن رِفَاعة ، واستشهد به الزمخشرى وابو حيّان ، والطبرسى فى تفاسيرهم .

واختلفوا فى معنى المُقيت ، فق ل بعضهم معناه : وكان الله على كل شىء حفيظا وشهيدا وحسيبا ، وقال آخرون : المُقيت : القائم على كل شىء بالتدبير ، وقال آخرون : هو القدير .

قال ابن جرير : والصواب من هذه الأقوال ، ان معنى المقيت : القدير بلغة قريش .

قال ابو تراب : فى لغات القبائل لابن سلام : انها لغة مذحج .

وأنشد للزُبير بن عبدالمطلب عمّ رسول الله ﷺ : (وكنتُ على مَساءتِه مُقيتا) أى قادرا . وقد قيل : إنّ منه قول النبى ﷺ : « كَفَى بالمَرْء إثما أن يُضَيّعَ مَنْ يُقيْتُ » فى رواية مَنْ روها (يُقِيْتُ) يعنى مَنْ هو تحت يديه وفى سلطانه من اهله وعياله ، فيَقْدِر له قُوْتَه .

قال أبو تراب : والحديث رواه الامام احمد فى المُسْنَد ، والحاكم فى المستدرك (ج ١ ص ٤١٥) وأما المُقيت فى شعر اليهودى ـ السَّمَوْأل بن عادِياء ـ يقول فيه :

ليت شِعْرى وأَشْعُرَنَّ اذا ما   قَرَّبوها منشورةً ودُعيتُ
ألِى الفضلُ أم علىَّ اذا حُوْ   سِبْتُ إنّى على الحساب مُقيتُ

فان معناه : فانى على الحساب موقوف ، وهو من غير هذا المعنى .

قال ابو تراب : يذكر فى هذا الشعر حساب الآخرة وصحف الأعمال المنشورة ويروى : (ربّى على الحساب مقيت) أى مقتدر .

وذكره الجُمَحِيُّ فى طبقات الشعراء (ص ٢٣٦) وابو عبيدة (ج ١ ص ١٣٥) وهو فى الأصمعيات (ص ١٥) .

وقال القرطبى : « مقيتا » معناه مقتدرا ، وانشد قول الزبير المذكور .. فالمعنى ان الله يعطى كل انسان قوتَه . وقال ابو عبيدة : المقيت الحافظ ، وقال الكسائى : المقيت المقتدر ، وقال النحاس : وقول ابى عبيدة أولى لأنه مشتق من القَوْتِ ، والقُوت معناه مقدار مايحفظ الانسان .

وقال الفراءفى المعانى ج ١ ص ٢٨٠ : المُقيت الذى يعطى كل رجل قوته . وحكى ابن فارس فى المُجْمَل ، المقيت : المقتدر ، والمقيت : الحافظ والشاهد ، وماعنده قيت ليلة ، وقوت ليلة . ورواية البيت عند الصاغانى ، وابن سلام : (وكنت على إساءته أقيت) وأورد فى شرح شواهد الكشاف بعده بيتين آخرين هما :

يَبِيْتُ الليلَ مرتفقا ثقيلا على فَرْش الفتاة وماأبيتُ
يَطِنَ الىّ منه مؤذياتُ كما تُؤذى الجذاميرَ البروتُ

البروت : جمع البَرْتِ وهو الفأس ، والجذامير : السعف .

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ١٣٢ « مقيتاً » أى مقتدرا ، أقات على الشىء اقتدر عليه ، وأورد البيت الشاهد ثم قال : والمقيت ايضا الشاهد للشىء الحافظ له وأورد بيت السؤل .

وقال الزمخشرى فى الكشاف : « مقيتا » أى شهيدا حفيظا، وقيل : مقتدرا ، واشتقاقه من القوت ، لأنه يمسك النفس ويحفظها .

وقال الراغب : « مقيتا » حقيقته (قائما) عليه يحفظه ويقيته ، والقُيْتَةُ : الطُّعمة ، قال فى صفة النار ـ يعنى ذا الرُمة ـ :

فقلتُ له آرْفَعْها اليك وأحْيِها بروحك وآقْتَتْهُ لها قِيتَةً قَدْرا

قال الزمخشرى : يعنى : تَرَفَّقْ فى نُصحك ، واجعله شيئا مُقدرا .

وقال ابن القطاع فى الأفعال : أقات على الشيء : حفظه وقدر عليه وايضا شهده .

وقال ابن فارس فى المقاييس: القاف والواو والتاء أصل صحيح يدل على امساك وحفظ وقدرة على الشيء ، من ذلك قوله تعالى : « وكان الله على كل شيء مقيتا » أى حافظا له شاهدا عليه ، وقادرا على ماأراد ، وأنشد بيت الزبير بن عبدالمطلب المذكور آنفا ، وأنشده ايضا ابن سِيْدة فى المُخصص بدون عَزْوٍ (ج ٢ ص ٩١) وكذلك الجوهرى .

ومن الباب القوت : مايمسك الرمق ، وانما سُمى قوتا لأنه مِساك البدن ، وقُوَته ، ويقال : اقْتَتْ لنارك ، أى اطعمها الحطب .

وفى اصلاح المنطق لابن السِكّيت (ص ٣٠٧) يقال : أقات على الشيء يُقيت إقاتة ، اذا اُقتدر عليه .

قال ابو تراب : وانشد ابن السكيت قول السموأل : (إنّى على الحساب مقيت) على ان معناه : الحافظ الشاهد للشيء ، وكذلك أنشده غيره ، لكن الامام الطبرى ذكر فى تفسيره انه من غير هذا الباب خارج عنه ، ومعناه الوقوف على الحساب ، ونقله عنه القرطبى ، والله اعلم .

وانشد فى اللسان بمعنى المقتدر قول الآخر :

ثم بعد المات يَنْشرُني مَنْ   هُوَ على النَشرِ يابُنيَّ مُقيتُ

وأقات الشيء ، وأقات عليه أى أطاقه ، انشد ابن الأعرابى :

وبما أستَفيد ثم أقيتُ المـ   ـال إنى اَمْرُؤٌ مقيتٌ مُفيدُ

وقوله : (يقتات فضل سنامها الرَحْلُ) يعنى يأخذ الرحل وأنا راكبه شحم سنام الناقة قليلا قليلا ، حتى لايبقى منه شيء لأنه يُنضيها .

وهو قول طُفيل ذكره ابن سِيْدَة ، قال : عندى أن (يقتات) هنا بمعنى يأكله فيجعله قُوتا لنفسه ، وأما ابن الأعرابى فقال : معناه : يذهب به شيئا بعد شيء ،

قال : ولم اسمع هذا الا فى هذا البيت وحده ، فلا أدرى أتأول منه ، أم سماعُ سَمِعَه .

قال أبو تراب : وجعله الزمخشرى مجازا سائغا يقال : فلان يقتات الكلام اذا أقله ، قال ذو الرمة :

وغبْراء يَقْتات الأحاديث رُكْبُصا ولايَختطِيها الدهرَ الاّ مُخاطِرُ

والحرب تقتات الابل ، اى تعطى فى الديات ، قال ابو دؤاد :

إنها حَرْبٌ عَوانٌ لقِحتْ عن حيالٍ فهى تقتاتُ الابِلْ

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وسع كرسيّه السموات والأرض ولايؤوده حفظهما » ؟ قال : ولايؤوده » لايُثقله .

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

يُعْطى المئين ولايؤودُهُ حَمْلُها مَحْضُ الضرائب ماجدُ الأخلاقِ

قال ابو تراب : جاء فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ١ ص ٧٨) : « ولايؤوده » ولا يثقله ، تقول : لقد آدنى هذا الأمر ، ومآدك فهو لى آئِدٌ ، أى ماأثقلك فهو لى مُثقِلٌ ، قال الكميت :

علينا كالنِّهاءِ مضاعَفاتٌ من الماذىِّ لم تُؤدِ المُتونا

قال ابو تراب : النهاء الغُدران تُشبّه بها الدُروع ، والماذىُّ هنا كلُّ سلاح من الحديد ، والمعنى علينا سلاحٌ مضاعَفٌ لم يثقل المتون حمله .

والبيت ذكره ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير (ص ١٠٣١) .

وقال الراغب فى المفردات : قوله عز وجل : « ولا يؤوده حفظهما » أى

لايثقله وأصله من الأَوْدِ ، فتحقيق (آدَهُ) عَوَّجه من ثِقَله فى ثَمَره .

وقال ابن القوطية فى أبنية الأفعال : آدَ الشىء : أَثْقَلَ .

وقال ابن القطّاع فى تهذيب الأفعال : آد ايضا : مال ، وعطف .

وقال الطبرى : يعنى عز وجل بقوله : « ولا يؤوده حفظهما » ولايشق عليه ولايثقله .

يقال : منه : قد آدَنى هذا الأمر فهو يَؤودُنى أودا وإيادا .

وعلق محمود شاكر على هذا (ج ٥ ص ٤٠٣) من جامع البيان بقوله : إيَادٌ مصدرٌ لم أجِدْهُ فى كتب اللغة ، زادناه الطبرى .

قال ابو تراب : بلى ذكره الراغب فى المفردات .

وقال القرطبى : « يؤوده » يثقله ، يقال : آدنى الشىء أى تحمّلت منه المشقة ، وبهذا فسر اللفظة ابن عباس ، والحسن وقتادة وغيرهم .. قال الزجّاج : فجائز ان يكون الضمير فى « ولايؤوده » للهِ عز وجل ، وجائزٌ أن يكون للكرسّى وهو من أمرِ الله .

وفى الكشاف : معناه : لايُثقله ، ولايشق عليه حفظُ السموات والأرض ، وهو العلىُّ الشأنِ ، العظيم المُلْكِ والقدرة .

وقال ابن فارس : الهمزة والواو والدال أصل واحد ، وهو العطف والانثناء ، يقال : أُدْتُ الشىء ، عَطَفْته ، وتأوّد النَّبْتُ : مثل تعطف وتعوج . وأنشد ابن فارس قول الأعشى وذكره ابن رشيق فى العمدة (ج ٢ ص ٤٩):

فلو أنَّ ماأبقيت منى مُعَلَّقٌ بعُود ثُمامٍ ماتَأَوَّد عُودُها

وهذا فى باب الغُلو ، والثُمام نَبْتٌ .

والى هذا يرجع : آدنى الشىء ، يؤودنى ، كأنه ثَقُلَ عليك حتى ثَناك وعَطَفَك .

وقال فى الأساس : آده الحِمْلُ أى أثقله ، وآدت الخيلُ الأرضَ بكثرتها ، وآد العُود ، اعتمد عليه فثَناه ، وآنآد ، انعطف ، وتقول : رجعت منه بالداهية النآد ،

وبالصُلْبِ المُنْآد ، وأوِدَ الشيء وتأوّد ، وفيه أَوَدٌ ، أىْ عَوِجٌ . ويقال : آدنى هذا الأمر أى بلغ منى المجهود والمشقة وآد الفيء : انْثَنَى ورجع ، وآد العَشِّى ، قال المُرَقّشُ :

والعَــدْوَ بــين المجلسَــينْ اذا آد العَشِّى وقــد تنــادى العَمَ

ويقال : آدتْ ضيافته ، قال الشاعر يمدح امرأة مضيافةً ، مالتْ عليها المِيرْة بالتَّمْر :

رأيتــكِ للــزُوّارِ كالمَشْرَب الذى اذا عَطِشُوا يومــاً فمــن شاء أوْردا
جُذاميَــةٌ آدَتْ لهــا عَجْــوَة القِرَى فتأكصُــل بالمأقــوطِ حَيْســا مُجَعَدا

قال ابو تراب : العجـوة نوع من التمـر الجيـد ، والقِـرى : الضيافـة ، والمأقوط : الطعام المعمول بالأقط ، وهو الجُبْنُ المُتّخذ من اللبن الحامض ، والحيس تَمْرٌ يُخْلَط بسَمن وأقِط ، فيُعجن ويُدْلَكُ شديدا حتى يمتزج ، ثم يُنْدَرُ بعد ذلك نَواهُ ، وقد يُجْعَلُ فيه سويقٌ ، والحيس المُجعَّد هو الغليظ ، والمعنى منْصَبٌّ لنَعْتِ الضيافة ، وضُبط فى اللسان : « خُذامية » وضبط فى الطبعة الأخيرة « عجـوة القُرى » وخذامية .. وهو خطأ .

وقال اهل التفسير واللغة معا : معنى قولـه : « ولايـؤوده » : ولايَكْرِثُـه ، ولايُثْقِله ولايشق عليه . وفى اللسان قوله : (اذا ماتَنُوء به آدها) .
وأنشد ابن السكيت :

الى ماجدٍ لايَنْبَـحُ الكلـبُ ضيفَه ولا يتــآدَاهُ اَحتِمالُ المَغَارمِ

وقال طَرفة بن العَبْد البكرى :

(أَلَسْت ترى أن قد أتيت بمُؤْيِدِ)

أى الأمر العظيم . وتأَوّد العود ، اذا تَثَنّى ، قال الشاعر :

(تَأَوّد عُسْلُوجُ على شَطّ جعفرِ)

قال ابو تراب : العُسْلوج نَبْتٌ على شاطىء الأنهار ، يميل من النعمة وهو

اول ماينبت من قضبان الشجر ايضا ، والجعفر : النهر الصغير والانئياد : الانحناء ، قال العجّاج :

مِنْ أنْ تَبَدَّلْتُ بآدِي آدا لم يكُ يَنْآدُ فأمسى انْآدا

أى قد انْآدَ ، فجعل الماضى حالا باضمار (قد) كقوله تعالى : « أوجاءوكم حَصِرَت صدورهم » والنهار يؤود ، كقوله :

ثمّ يَنُوش اذا آدا النهارُ لها بعد الترقُّبِ من نِيْمٍ ومن كَتَمِ

وقال ساعدة بن العَجْلان يصف انه لقى رجلا من خصومه ففر منه ، واستَتَر فى موضع نهارَه الى قريب من آخره ، ثم أسرق فى الفرار :

أقمتُ بها نهارَ الصيفِ حتى رأيتُ ظلال آخرِه تَؤُودُ

غداةَ شُواحِطٍ فنجوتُ منه وثوبك فى عَباقِيَةٍ هَرِيدُ

شواحط : اسم موضع ، وعباقية : شجرة ، وهريد : اى مشقوق ، أما قول امرىء القيس يصف نخيلا :

فأثَّتْ أعاليه وآدتْ أصولُه ومال بِقِنْوانٍ من البُسرْ أحمرا

فمعنى آدتْ : أى قَوِيَتْ ، وقد ذكرناه فى قوله تعالى : « والله يؤيِّد بنصره من يشاء » وفى غريب ابن قتيبة ص ٩٣ « ولا يؤوده » ولا يثقله والوأد الثقل .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فناداها من تحتها أن لاتَحْزَنى قد عل ربُّ تحتك سرِيّا » ؟ قال : السرِيُّ : النهر الصغير ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

سَهْلُ الخليقة ماجدٌ ذو نائلٍ مِثْلُ السرَىَ تُمِدُّه الأنهارُ

قال ابو تراب : وأنشد ابو عبيدة وابن دريد فى الجمهرة (ج ٢ ص ٣٦٢) وأورد ابن حجر فى فتح البارى (ج ٦ ص ٣٤٤) والطبرى والقرطبى ، قول

لبيد بن ربيعة فى السرى بمعنى النهر ، وهو :

فرمى بها عُرْضَ السرَىّ فغادرا   مسجورةً متجاوراً قُلأَّمُها

قال ابو عبيدة : مسجورة اى مملوءة ، القُلأَّم شجرٌ يشبه القَاقُلىّ ، وهى نبت كالأُشْنَانِ وقال ابن دريد : هذا يعنى عَيْنا فى فضاء او سفحٍ حولها القُلأَّم ، وهو ضَرْبٌ من الحَمْض .

وفى غريب ابن قتيبة ص ٢٧٤ السرىّ النهر ، وكذلك فى معانى الفراء ج ٢ ص ١٦٥ .

وفى مفردات الراغب : أن قوله تعالى : « قد جَعَل ربُّك تحتك سريا » يعنى نهرا يَسْرِى ، وقيل : بل ذلك من السَّرْوِ ، أى الرفعة ، يقال : رجل سَرْوٌ ، وأشار بذلك الى عيسى عليه السلام ، وماخَصَّه به من سَرْوِهِ .

وقال ابن فارس : السين والراء والحرف المعتل باب متفاوت جدا ، لاتكاد كلمتان منه تجتمعان فى قياس واحد . فالسَّرْوُ السخَاءُ فى مروءة والسَّرْوُ كَشْفُ الشيء عن الشيء ، قال ابن هَرْمَة :

سَرَى ثوبَه عنك الصبَا المُتَخَايلُ   وقَرَّبَ للبَينْ الحبيبُ المُزايِلُ

والسارية : الاسطوانة ، والسُّرى : سيرُ الليل ، قال حسان :

حَىّ النضيرة ربَّة الخِدْرِ   أَسرَتْ اليك ولم تكن تَسرِى

وسراة النهار : ارتفاعه .

قال ابو تراب : لعلّ السرُّى مأخوذ من قولهم : سرَى عِرْقَ الشجرة فى الأرض سَرْيا ، أى مضى فيها ، ذكره ابن القوطية فى كتاب الأفعال ، وسَرْىُ العِرق خفىٌّ فى الأرض ، وكذلك السرُّى بالليل ، وكذلك النهر سمى بالسرىّ لجريانه ، وشاهد السرىّ قول الشاعر :

تَلْقى السرَىَّ من الرجال بنفسه   وابنُ السرِىّ اذا سَرَا أسرْاهما

أى اشرفهما ، وشاهد السراة قوله :

أَتَوْا نارى فقلت مَنُونَ قالوا   سَراةُ الجنّ قلتُ عِمُوا صباحا

ويُــروى : سرُاة الجــن ، (ومنــون) أى مَنْ أنتـم
ى لغة ، وعموا صباحا : تحيةُ أهْل الجاهلية ، وقال آخر :

من سرَاةِ الهِجــانِ صَلَّبَهــا العُضُّ ورَغْـــىُ الحِمَـــى وطُــولُ الحِيالِ

العُضُّ : نوع من العَلَف .

وشاهد السرُّى قول النَمر بن تَوْلَبٍ :

وقــد رَمَــى بسرُاة اليــومَ مُعْتَمِدا فى المَنْكِبَــينْ وفى الساقــين والرَّقَبَةْ

وقال آخر :

وكيف تراهــن بذِى أُرَاطِ وهــن أمثــالُ السرُى المِراطِ

وقال ابن ابى الحقيق يصف الدروع :

تَنْفِى السرُّى وجِيــادَ النَبْــلِ تَتْرُكُهُ من بــين مُنْقَصِفٍ كسرْا ومَفْلولِ

وسراة كل شىء : أعلاه ، وظهره ، ووسطه ، قال حميد بن ثور :

سراة الضحى مارِمْنَ حتى تَفَصَّدتْ جِبــاهُ العــذارى زعفرانــا وعَنْدَما

العَنْدَمُ نبت أحمر ، وقال البُريق الهُذلىّ :

مقيما عنــد قبــر أبــى سباع سراةَ الليــل عنــدك والنهار

وسرَاةُ الفرس أعلى مَتْنِه ، قال :

وُقُــوفُ فوقَ عِيْسٍ قد أُمِلَّتْ بَراهُــنَ الاناخــةُ والوَجيفُ
صرَيفُ ثم تكليفُ الفَيافىْ كأنَّ سرَاة جِلْتِهــا الشُفوف

وشاهد السرْو بمعنى الكشف قول الكُميت يذكر فرسه :

فَسرَوْنَــا عنــه الجــلالَ كما سُلَّ مبيــعِ اللَّطيمــةِ الدَّخْدارُ

الجِلالُ : جمع جُلٍّ ، والدَّخْدار ثوبُ ابيض او اسود ، قال الكميت فى وصف السحاب :

(تجْلُو البوارق عنها صَفْحَ دَخْدارِ)

وقال بعض الأغفال :

حتـــى اذا أنْفُ العُجَـيرْ جُلّق   بُرُقَعَــه ولــم يُسَرّ الجُلاً

وفى اللسان : قال ثعلب : السرى : النهر : وقيل : الجدول ، وقيل : النهر الصغير كالجدول يجرى الى النخل ، والجمع أسرِيَةٌ ، وسُرْيانٌ : حكاها سيبويه ، وقوله عز وجل : « قد جعل ربك تحتك سريا » رُوى عن الحسن انه كان يقول : كان والله سريا من الرجال ـ يعنى عيسى عليه السلام ـ فقيل له : إن من العرب من يسمى النهر سريا ، فرجع الى هذا القول .

وروى عن ابن عباس انه قال : السرِىُّ الجَدْوَل ، وهو قول أهل اللغة ، وأنشد ابو عبيد قول لبيد يصف نخلا نابتا علس ماء النهر :

سُحُــقٌ يُمَتّعُهــا الصفــا وسَرِيُّه   عُمٌّ نَواعِــمُ بينهــنَّ كُرومُ

قال الطبرى : اختلفوا فى معنى السرى فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عَنَى به النهر الصغير ، وقال آخرون : عَنَى به عيسى عليه السلام ، ورَجَّح ابو جعفر القول الأول ، وأنشد بيت لبيد المتقدم .

وقال القرطبى : « سرَيًا » يعنى عيسى عليه السلام ، والسرىُّ من الرجال العظيم الخصالِ السَيّدُ . وقال الجمهور : أشار لها الى الجدول الذى كان قريبَ جِذْع النخلة . وقال ابن عباس : كان ذلك نهراً قد انقطع ماؤه ، فأجراه الله تعالى لمريم عليها السلام ، والنهرُ يُسمَى سرِيا كأن الماء يَسرْى فيـه ، قال الشاعر :

سَلْــمٌ تَرَى الــدَّالىَ منــه أزْوَرا   اذا يَعَــبُّ فى السرَىّ هَرْهرا

قال ابو تراب : السَلْم : الدَلْوُ بعروة واحـدة ، والـدَّالى : المُسْتقـى ، والهرهرة : صوت الماء الجارى .

وفى تخريج احاديث الكشّاف للحافظ ابـن حجـر (ص ١٠٥) : رَوى الطبرانى فى الصغير عن البراء عن النبى ﷺ فى قوله تعالى : « قد جعل ربك تحتك سريا » قال : السرِىُّ : النهر ، ذكره البخارى تعليقا ، وأخرجه الحاكم

وعبدالرزاق موقوفا . وفى الباب عن ابن عمر قال : إنّ السرىَّ نهر أخرجه الله لتشرب منه .

وفى كتاب لغات القبائل لابن سلاّم : ان السرِىَّ يوافق السُرْيانية .

قال ابو تراب : ذكره مجاهد والضحاك ، وقال ابن جُبير : انها بالنَّبطية ، وقال قتادة : بلغة اهل الحجاز ، وستأتى شواهد هذه المادّة فى الاسراء .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ان للمتقين مفازا ، حدائقَ وأعنابا ، وكواعبَ أترابا ، وكأساً دِهاقا » ؟ .. قال : (دهاقا) : مَلأَىَ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، اما سمعت قول الشاعر :

أتانَـا عامـرٌ يرجـو قِرانا فأتْرَعنْـا له كَأسـا دِهاقَا

قال ابو تراب : قائله خِداشُ بن زهير ، ذكره القرطبى فى تفسيره (ج ١٩ ص ١٨١) وفيه : (يَبْغِى قِرانا) بدل : يرجو قِرانا ، أى يريد ضيافتنا .

قال الطبرى : « وكأسا دهاقا ، أى كأسا مَلأَى متتابعة على شاربيها بكثرة وآمتلاء ، وأصلُه من الدَّهْق ، وهو متابعة الضغط على الانسان بشدة وعنف ، وكذلك كأسُ الدِهاق متابعتُها على شاربيها بكثرة وآمتلاء .

وقال ابن عباس لغلامه :اسقني دِهاقا ، فجاء بها الغلام مَلأَىَ ، فقال ابن عباس : هذا الدِهاق ، وعن ابى هريرة فى قوله : « دهاقا » قال : دَمَادِمْ

وفى الدرّ المنثور للسيوطى : دَمَادِمُ : لفظ فارسى ، بمعنى متتابعة .

قال ابـو تراب : لم يذكره الجواليقي فى المُعـرَّب ، ولا المُطَـرَّزىُّ ، والدَّمادِمُ فى اللغة روابٍ من الأرض سهلةٌ ، فكأنَ إتراعَها شُبّه بها .

وقال آخرون : الدِهاقُ الصافية ، وقال آخرون : بل هى المتابعة .

وفى تفسيرِ القرطبى : أدْهَقْتُ الكأسَ أى مَلأتها ، وكأسٌ دهاق ، أى ممتلئة ، قال :

(مِن مائها بكأسِكَ الدِهاقِ)

والى هذا المعنى ذهب الحسن ، وقتادة ، وابه زيد ، وابن عباس ، وقال سعيد ، وعكرمة ، ومجاهد ، وابن عباس ايضا : متتابعة ، يَتْبَعُ بعضُها بعضا . ومنه ادَّهَقَتِ الحجارةُ ادّهاقا ، وهو شدة تَلاَزُبِها ، ودخول بعضها فى بعض ، فالمتتابع كالمُتداخل ، وعن عكرمة ايضا وزيد : صافية ، ق ل الشاعر :

لأنت الى الفؤاد أحَبُّ قربا من الصَّادِىْ الى كأسٍ دِهاقِ

وفى صحاح الجوهرى : أدْهَقْتُ الماء ، أى أفرغتُه .

وفى الكشاف : « وكأسا دهاقا » الدِهاق : المُتْرَعَةُ ، وأدْهَقَ الحوض : مَلأه حتى قال : قَطْنِى ـ يعنى : حَسْبِىْ .

وفى كتاب الغريب لابن قتيبة ص ٥١٠ : « دهاقا » مترعة ، مَلأى ، ومثله فى كتاب أبى عبيدة ج ٢ ص ٢٨٣ومثله فى تفسير ابن عباس الذى جمعه المجد ص ٣٧٩ .

وفى المفردات للراغب : « دهاقا » أى مُفْعَمَة ، ويقال : دَهَقَ لى من المال دَهْقَةً ، كقولك قَبَض قبضةً .

وفى الأفعال لابن القطّاع : دَهَقْتُ الماء ، صَبَبْته ، والكأسَ مَلأْتُها ، وقال ابن القوطية : أدْهَقْتُ الكأس ملأتها ، وأدْهَقْتُ الماء : أفرغته إفراغا شديدا .

وفى المقاييس : الدهق يدل على امتلاء فى مجىء وذهاب واضطراب ، يقال : أدْهَقْتُ الكأسَ ، أى ملأتُها ، قال الله تعالى : « وكأسا دهاقا » والدَهْدَقَةُ : دَوَران البُضْعَةِ الكبيرة فى القِدْرِ ، تعلو مرة ، وتَسْفُل أخرى .

ومن محاوراتهم فى الأساس : تقول : عُنُقه فى وَهَق ، ورِجْلُه فى دَهَق .

قال ابو تراب : الوهق حَبْلٌ فى طرفيه أُنْشوطة يطرح فى عنق الدابّة حتى تؤخذ ، يقال : صادَه بالوهق وبالأوهاق .

وقال فى لسان العرب : الدَّهْق : شدة الضغط ، والدَّهْقُ ايضا متابعة الشدً ، ودهق الماء ، وأدهقه : أفرغه إفراغا شديدا فهـو إذن من الأضـداد ، وأَدْهَـقَ الكأسَ : شدَ مَلأُهَا ، وهى دِهاقٌ ، مُتْرعة ممتلئة ، ويقال : أَدْهَقْتُها الى أصْبارِها أى مَلأتُها الى اعاليها .

وقال الأزهرى فى التهذيب : معنى قوله تعالى : « دِهاقـا » متتابعـة على شاربيها من الدَّهْق ، الذى هو متابعة الشدّ ، وقيل : صافية ، وأنشد :

(يَلَذُّهُ بكأسِه الدِهاق)

وأَدْهَقتِ الحجارةُ : اشتد تلازُبها ، ودخل بعضها فى بعض مع كثرة ، وأنشد :

(يَنْصاحُ من جَبْلَةَ رَضْمٌ مُدْهِقْ)

أى ينشقَّ من جَبْلَة وهى قرية رَضْمٌ متراكم ، وفى نسخة اللسان ههنا فى ضبط اسم القرية اضطراب ، أهى بالحاء ام بالجيم والأولى فى عسقلان ، والثانية بين عَدَن وصنعاء ، وضبطت فى الطبعة الأخيرة بالجيم .

والدُِّهْقان : التاجر ، وهم الدهاقنة والدهاقين ، قال :

اذا شئـتُ غَنَّتْنِــى دهاقــينُ قرية   وصَنَّاجَــةٌ تَحْــدُو على كل مَنْسِمِ

والدَهَق : ضَرْبٌ من العذاب ، ودَهَقْـتُ الشيء كسَرْتُـه وقطعتُـه ، وكذلك دَهْدَقْتُه ، وأَنْشَدَ لِحُجْر بن خالدٍ أحدِ بنى قيس بن ثعلبة :

نُدَهْدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ للبَاعِ والنَدى   وبعضُهمــو تَغْلى بِذَمٍّ مَنَاقِعُهْ

ونَحْلُبُ ضِرْسَ الضَّيفِ فينا اذا شَتا   سَديفَ السَنـامِ تَشتريــه أصَابِعُهْ

المناقُع : القُدور الصِغار ، واحدها مَنْقَعٌ ، ومَنْقَعةٌ ـ وأنشد ابن برى لأبى النَّجْم :

(قَدِ اسْتَحَلُّوا القتلَ فَـاقْتُلْ وأَدْهَقِ)

وأنشد فى الدهدقة ـ وهى دوران البِضَع الكثيرة فى القِدْرِ اذا غلَتْ ، تراها تعلو مرةً وتَسْفُل أخرى ـ قوله :

تَقَمَّصَ دَهْداق البَضيعِ كأنه رُؤوسُ قَطاً كُدْرٍ دِقاقِ الحناجرِ

قال ابو تراب : لم يذكر ابو الطيب الدَّهْق من الأضداد ، ولا ابن الانبارى فليستدرك ، وانما ذكر ابو الطيب : المُدَهْمَقَ ، وهو القِدْحُ الرَّدىءُ ، والجَيِّد معا ، قال الراجز فى الجيّد :

لقد رَبَطْنا للجِياد السُبَّقِ وَرْداً كقِدْحِ النَّبْعَةِ المُدَهْمَقِ

وقال الآخر فى الرَّدىء :

اذا أردت عملا سُوقيا مُدَهْمَقا فادْعُ له سِلْمِيًا

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « إنَّ الانسان لربّه لكَنود » ؟ قال : كفورٌ للنِعَم ، وهو الذى يأكل وَحْدَهُ ، ويمنع رِفْدَهُ ، ويجيع عَبْدَه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

شكرتُ له يوم العُكاظ نوالَه ولم أكُ للمعروفِ ثَمَّ كَنُودا

قال ابن جرير : يقول الله تعالى : ان الانسان لكفورٌ لِنَعمِ ربّه ، والأرض الكَنُود : التى لاتُنبت شيئا ، قال الأعشى :

أحْدِثْ لها تُحْدِثْ لِوَصْلِك انها كُنُدٌ لِوَصْلِ الزائر المُعتادِ

وهكذا ذكره ابو عبيدة فى المجاز ج ٢ ص ٣٠٧ وابن قتيبة فى الغريب ص ٥٣٦ وقيل : انما سُمّيتْ كِنْدَةُ لِقَطْعِها أباها .

قال أبو تراب : هذا البيت نسبه القرطبى الى كُثيرّ وليس فى ديوانه بل هو فى ديوان الأعشى .

وقال الزمخشرى : الكنود : الكفور ، وكند النعمة كنودا ، وعن الكلبى : الكنود بلسان كِنْدَة : العاصى ، وبلسان بنى مالك : البخيل ، وبلسان مُضرَ وربيعة الكفور ، يعنى انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لأن تفريطه فى شكر نعمةِ غير الله ، تفريطٌ قريب لمقاربة النعمة ، لأن أجلّ ماأُنعم به على الانسان من مثله نعمة أبويه ، ثم إن عُظْماها فى جنب أدْنى نعمة الله ، قليلة ضئيلة ، وان الانسان على كنوده لشهيد ، لايقدر ان يجَحَده لظهور أمره .

قال ابو تراب : ذكر ابن سلاّم فى لغات القبائل : ان كنودا بمعنى كفور للنعم بلغة كنانة ، ورواية الكلبى التى أوردها الزمخشرى فائدة لغوية يجب قيدُها . وروى مثله عن ابن عباس ايضا كما سيأتى .

وفى كتاب المعانى للفراء ج ٣ ص ٢٨٥ زعم الكلبى انها فى لغة كندة وحضرموت « لكنود » لكفور بالنعمة

وفى الجامع لأحكام القرآن : قوله تعالى : « إنَ الانسان لربّه لكنود » أى طُبع الانسان على كفران النعمة . قال ابن عباس : « لكنود » لكَفورٌ جَحُودٌ لنعمة الله ، وكذلك قال الحسن ، وقال : الانسان يذكر المصائب ، وينسى النِعم ، اخذه الشاعر فنَظَمه :

ياأيها الظالم فى فِعْلِه والظُلْمُ مردود على من ظَلَمْ
الى متى انت وحتى متى تشكو المُصيبات وتَنْسَى النِعَمْ

وروى ابو أمامة الباهلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكَنود هو الذى يأكل وحده ، ويمنع رِفْدَه ، ويَضرِبُ عبدَه ، أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول .

وقد روى عن ابن عباس ايضا انه قال : الكنود بلسان كِنْدة وحضرموت : العاصى ، وبلسان ربيعة ومُضرَ : الكَفُور ، وبلسان كِنانَة : البخيل السىء المَلَكة ، وقال مقاتل بن سليمان : وقال الشاعر :

كَنُودٌ لِنَعْماءِ الرجال ومَنْ يكنْ كَنُوداً لِنَعْماءِ الرجالِ يُبَعَّد

أى كفور ، ثم قيل : الكنود : الذى يكفر اليسير ، ولايشكر الكثير ، وقيل : هو الجاحد للحق ، وقال ابراهيم بن هَرْمَةَ :

دَعِ البُخَـلاء إنْ شَمخُـوا وصَدُّوا   وذكرى بُخْـلِ غانيـةٍ كَنُودِ

وقيل : الكنود من كَنَد اذا قَطَع ، كأنه يقطع ماينبغى ان يواصله من الشكر ويقال : كَنَد الحَبْلَ اذا قطعه ، قال الأعشى :

أمِيْطِـى تُميطِـىْ بصُلْـبِ الفؤادِ   وَصُـولِ حبـالٍ وكَنَادِها

فهذا يدل على القطع ، ويقال : كند كُنودا ، أى كفر النعمة ، وجحدَها ، وقال المبرّد : الكَنود : المانع لِما عليه . وقال ابو بكر الواسِطى : الكَنود الذى يُنفق نعم الله فى معاصى الله .

وقال ابو بكر الورّاق : الكنود : الذى يرى النعمة من نفسه وأعوانه .

وقال الترمذى : الكنود الذى يرى النعمة ولايرى المُنْعِم .

وقال ذو النون المصرى : الهَلُوع والكَنُود هو الذى اذا مسَّه الشرُّ جَزُوع ، واذا مسَّه الخيرُ مَنوعُ ، وقيل : هو الحَقُود الحَسود وقيل : هو الجهولُ لِقدره .

قال ابو تراب : هذه الأقوال كلها ترجع الى معنى الكفران والجحود .

قال القرطبى : وقد فسرَّ النبى ﷺ معنى الكنود بخصال مذمومة .. واحوال غير محمودة ، فانْ صَحَّ فهو أعلى مايُقالْ ، ولايَبْقى لأحد معه مقال .

وقال ابن فارس : هذا اللفظ يدل على القَطْع ، والكَنُود : الكفور للنعمة ، يقطع الشكر ، والأرض الكَنُود : لاتُنْبِتُ .

وقال ابن سِيْدَةْ : لاأعرف له أصلا فى اللغة ولايسوغ مع قوله لربّه ، يعنى تفسيره بالذى يأكل وحده ، ويمنع رِفْدَه ، ويضرب عبدَه .

وفى لسان العرب : كَنَد كفر النعمة ، ورجل كنّاد ، وكَنُود ، وقوله تعالى : « ان الانسان لربّه لَكَنُود » قيل : هو الجحود . وقال الكلبى والزجّاج معناه : لكفور بالنعمة . وقال الحسن : لَوَّام ، وامرأة كَنُود كَفُور للمُواصَلَةِ ، قال النَّمِرُ بن تَوْلَب يصف امرأته :

كَنُــودٌ لاتُمــنُّ ولاتُفادِىْ اذا عَلِقَــتْ حبائلُهــا بِرَهْنِ

وفى التفسيرِ الكبير : قال الواحِدىّ : أصل الكنود مَنْع الحـق والخـير ، والكنود ، الذى يمنع ماعليه . ثم للمفسرين فى ذلك عبارات . واْعْلَمْ أن معنى الكُنود لايخرج عن ان يكون كُفرا أو فِسْقا ، وكيفما كان فلايُمكن حَمْلُه على كل الناس ، فلابد من صَرْفِه الى كافرٍ مُعَينً ، أو إنْ حَمَلْناه على الكُلّ لكن المعنى ان طَبْعَ الانسان يَحْمِلُه على ذلك ، الاّ اذا عصمه الله بلطفه وتوفيقه .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فسُيُنْغِضُونَ اليك رؤوسهم ويقولون متى هو » ؟ قال : يحرّكون رؤوسهم استهزاء بالناس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أمَا سمعتَ قول الشاعر :

أتُنْغِضُ لى يومِ الفِجار وقد تَرى خيـولاً عليهـا كالأُسـودِ ضَوارِيَا

قال أبو تراب : يومِ الفِجار من الأيام المشهورة وهى اربعة فى الأشهر الحرم وفى بعض نسخ الاتْقان للسيوطى : يومَ الفَخار .

وقد فسر ابو عبيدة فى المجاز ج ١ ص ٣٨٢ قوله تعالى : « فسَيُنْغِضون » قال : فسيرفعون ، ويحرّكون رؤوسهم استهزاء منهم ، ويقال : قد نَغَضَتْ سِنٌ فلانٍ ، اذا تحرَكتْ ، وارتفعت من أصلها ، قال :

(ونَغَضَتْ من هَرَمٍ أسنانها)

وقال :

(لَمَا رأتنِى أنْغَضَتْ لى ِ الرَّأسا)

وقال ذو الرُمة :

ظعائـنُ لم يَسْـكُنَّ أكنـافَ قريةٍ بِسـيْفٍ ولـم تُنْغِضْ بهـن القناطِرُ

قال ابو تراب : المِصْراعان قبل هذا البيت : ذكرهما الطبرى ، والقرطبى والأول للراجز ، والنغض فى كلام العرب انما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض ، او انخفاضٍ ثم ارتفاع ، ولذلك سُمّى الظَّليم نَغْضا ، لأنه اذا عجّل المشى ارتفع وانخفض وحَرَّك رأسه ، كما قال الشاعر :

(أسَكَّ نَغْضا لايَنى مُسْتَهْدِجا)

قال ابو تراب : الأَسَكُّ قصير الأذن ، ضيّقُ صِماَخِها والسين والصاد واحد والاستهداج : المشى فى ارتعاش .

ويقال : نَغَضَتْ سِنُّه : اذا تحركت وارتفعت من اصلها ، ومعنى الآية : انهم يهزأون ويحرّكون رؤوسهم ، ويقولون : متى البعث وفى أى حال ووقت يُعيدنا خَلْقا جديدا ، كما كنّا اول مرة ، قال الله تعالى لنبيه : « قل عسى أن يكون قريبا » .

وفى المعانى للفراء ج ٢ ص ١٢٥ : يقال : أنغض رأسه اى حركه الى فوق والى اسفل ، قال ابن الجهم : وأرانا ذلك ابو زكريا فقال برأسه فألصقه بحلقه ثم رفعه كأنه ينظر الى السقف ، والرأس ينغُض وينغِض ، والثنية اذا تحركت قيل : نغضت سنه ، وانما يسمى الظليم نغضا لانه اذا عجّل مشية ارتفع وانخفض ، وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ٢٥٧ أى يحركونها كما يحرك اليائس من الشيء المستبعد له رأسه .

وقال القرطبى : « فسيُنْغِضون اليك رؤوسهم » أى يحرّكونها استهزاء ، وأنْغَضَ رأسه : أى حرّكه كالمتعجب من الشيء ، قال الراجز :

(أنْغَضَ نحوى رأسه وأقْنَعا)

ونَغَضَتْ سنه : اى انقلعت ، قال الشاعر :

لاماء فى المَقْراةِ إن لم تَنْهَضِ بِمَسَدٍ فوقَ المَحَال النُغَّضِ

المحال : جمع المحالةِ وهى البَكْرةُ العظيمة التى يَسْتقى بها الابل ، والمَقْراةُ :

ما اجتمع فيه ماء المطر من كل جانب ، والمَسَد الحبل المضفور المُحْكَم الفتل من ليف وغيره .

وقال الزمخشرى : الانغاض هنا : تعجب واستهزاء .

وقال الراغب : الانغاض : تحريك الرأس نحو الغير ، كالمتعجب منه .

وقال ابن القطّاع فى كتاب الأفعال : نَغَضَ الشىء نَغَضانا : تحرك ، ونَغَض الغيمُ : سار .

وقال ابن فارس فى المقاييس : هذا اللفظ يدل على هزّ وتحريك ، من ذلك النَغَضان : تحرُّك الأسنان ، والانغاض : تحريك الانسان رأسه ، قال الله تعالى : « فسيُنْغِضون اليك رؤوسهم » والنَّغْضُ الظَّليم لاضطراب رأسه عند مَشْيِه ، قال ابو النَجْم العِجْلى :

(والنَغْضُ مِثْلُ الأَجْربِ المُدَجَّلِ)

قال ابو تراب : المُدَجَّل هو المطْلىُّ بالدُّجَيْل ، وهو القَطِرانُ ، يُداوى به الأجرب .

والنُغْض : غضروف الكَتِف سُمَّى به لاضطرابه ، والنَغُوض : الناقة العظيمة السنام ، واذا عَظُم اضطرب .

وفى الأساس : إبلٌ نَغَّاضة برحالها ، ونَغَضوا الى العدوّ : نهضوا اليه ، قال الكميت :

(حتى اذا نَغَض العدوّ وتَمَّ خَصْلُك من تخُاصِلْ)

ونَغَض الغَيْم حيث تراه يتمخض متحيرا لايسير .. قال الشاعر :

أَرَّق عينَيْــك عن التَغْماضِ   بَرْقٌ سَرَى فى عارضٍ نَغَّاضِ

قال ابو تراب : ورواية اللسان والديوان :

أَرَّق عينيــك عن الغماضِ   برق ترى فى عارض نغاضِ

وهومطلع قصيدة يمدح بها رؤبة بلال بن أبى بردة .

وقال ابن بَرّى :(فى عارضٍ نهاضِ)

وفى اللسان : تَنَغُّضُ الرأس والأسنان ارتجافها ، ومنه النَغْضُ الذى يحرك رأسه ويَرْجُفُ فى مِشْيته ، وكلُّ حركة فى ارتجاف نَغْضٌ . قال العجّاج يصف الظَّليمَ :

واستَبْدَلَتْ رسومُهُ سَفَنّجا أصَكَّ نَغْضا لايَنِى مُسْتَهْدِجَا

وفى المُحكم (أَسَكُّ) بالسين والمعنى واحد . والنَّغْضَةُ فى شعر الطِرِمّاحِ يصف ثورا :

بات الى نَغْضَةٍ يَطوفُ بها فى رأسِ مَتْنٍ أبْزَى به جَرَدُهْ

هى الشجرة فيما فسره به ابن قتيبة ، وفَسرَّ غيرُه النَغْضة فى البيت بالنعامة .

قال ابو تراب : والشجرة سُمّيت نَغْضَةً لتحركها .

وفى النهاية لابن الأثير : قال عثمان : نَغَضَتْ أسنانى ، أى قَلِقَت وتحرَكت .
وفى الحديث : وأخذ يُنغض رأسه كأنه يَستفهم مايقال له ، أى يحرّكه ، ويميل اليه . قال الفراء : أنغض رأسه إذا حركه الى فوق وإلى أسفل . وقال ابو الهيْثم : يقال للرجل اذا حَدّثَ بشىء فحرّك رأسه إنكاراً له : قد أنْغَضَ رأسَه .

وفى حديث عبدالله بن سَرْجِسٍ قال : نظرت الى ناغِض كَتِفِ رسول الله ﷺ الأيمن والأيسر . فاذا كهيأة الجُمْع عليه الثآليلُ .

وفى حديث ابن الزُبير : إن الكعبة لمّا احترقت نَغَضَتْ . أى تحركت ووهت . وفى حديث سَلْمان فى خاتم النبوة : واذا الخاتم فى ناغض كتفه الأيسر ـ وهو أعلى الكتف ـ وفى صفته عليه الصلاة والسلام من حديث على بن ابى طالب : أنه كان نَغَّاضَ البطن فقال له عمر : مانَغَّاضُ البطن ؟ فقال : مُعَكَّنُ البطن ، وكانت عُكَنُه أحسن من سبائك الذهب والفِضّة .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وجاء قومه يهُرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات » ؟ قال : (يهُرعون) يقبلون عليه بالغضب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت قول الشاعر :

أتونا يهُرعون وهم أسارى نسوقُهمو على رغم الأنوف

قال ابو تراب : قائل هذا البيت مهلهل ، واستشهد به الطبرى والطبرسى والقرطبى وابو حيان فى تفاسيرهم .

وقال ابو عبيدة فى المجاز ج ١ ص ٢٩٤ وج ٢ ص ١٧١ : « يهُرعون » يُسْتَحَثُّون من خَلْفهم ، ويُعْطَف أوائلُهم ، وأنشد للراجز قوله : (بمُعْجَلاتٍ نحوَهُ مَهارِعُ) وأورده الطبرى والقرطبى . وقال ابو جعفر : معناه يُسْتَحَثُّون ، ويُرعَدون ، مع سرعة المشى ، وهو مُهْرَعُ ، اذا كان مُعْجَلاً حريصا .

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ٢٠٦ اى يسرعون اليه ، يقال : أهرع الرجل على لفظ ما لم يسم فاعله ، كما يقال : أرعد ويقال : جاء القوم يهرعون ، وهى رعدة تحل بهم حتى تذهب عندها عقولهم من الفزع والخوف اذا اسرعوا .

وقال فى جامع أحكام القرآن (ج ٩ ص ٧٥) : قال الكسائى والفرّاء وغيرهما من اهل اللغة : لايكون الاهراع الاّ إسراعا مع رِعْدَةٍ ، يقال : أُهْرع الرجل إهراعا ، أى أسْرَع فى رِعْدةٍ من بَرْدٍ أو غضب أو حُمّى ، وهو مُهْرَع ، وهذا مِثْلُ أُولع فلان بالأمر ، وأُرعد زيد ، وزُهِىَ فلان ، ولاتستعمل الاّ على هذا الوجه .

قال ابو تراب : يعنى : المسموع من باب مالم يُسَمَّ فاعله ، وقد عقد له السُيوطى فى كتاب المُزْهِرِ فصلا ، كما صنع ابن قتيبة ، فى أدب الكاتب .

وقيل : أُهرع أى أهرعه حرصُه ، وعلى هذا : يهُرعون ، أى يُسْتَحَثُّون عليه ، ومَنْ قال بالقول الأول قال : لم يُسمع الاّ أُهرِع الرجلُ ، أى أُسرِع على لفظ مالم يُسَمَّ فاعلُه .

قال ابن القُوطية : هُرِع الانسان هَرَعًا ، وأُهرع سِيْقَ واستُعْجَل .

وقال الهَرَوىُّ : يقال : هُرِع الرجل : أى استُحِثَّ .

قال ابن عباس وقتادة والسُدّىُّ : (يهُرعون) يُهَرْوِلُون ، وقال الضحّاك : يَسْعَوْن . وقال ابن عُيَيْنَة : كأنهم يُدْفَعُون .

وقال شَمِرُ بن عطية : هو مَشْىٌ بين الهَرْوَلَة والجَمَزَى .

قال ابو تراب : الجمزى نوعٌ من العَدْوِ .

وقال الحسن : الاهراع : مَشْى بين مَشْيَيْنِ .

قال ابو تراب : وهذه الأقوال معانيها متقاربة ، فلا خلاف حينئذ . وقال الزمخشرى : يُهْرَعون : كأنما يُدْفَعُون دفعا .

وفى المفردات : يقال : هَرِعَ وأَهْرَعَ ، ساقه سوقا بعُنْفٍ وتخويف ، قال الله تعالى : « وجاء قومُه يهُرعون اليه » وهَرَّعَ بُرمحِه فتَهَرَّعَ ، اذا أشرعه سريعا ، والهَرِعُ : السريع المشى والبَكَاء .

وقال ابن فارس : الهاء والراء والعين تدل على حركة واضطرابٍ وأُهْرِع الرجلُ : ارتعد فَرَقا ـ أى خوفا ـ وسُمّى الأحمق هَيْرَعا : لاضطراب رأيه ، ويمكن ان الهاء فيه زائدة فيكون من باب يَرَعُ .

ويقال : الهِرْياعُ : سفيرُ وَرَقِ الشجر لأنه مضطرب تحمله الريح من موضع الى موضع .

قال ابو تراب : سفير ورق الشجر : ماتُسقطه الريح .

ومن الباب : الهَرِعُ : الدمع او الدم الجارى ، وتَهَرَّعت الرماحُ : أقبلت شوارعَ ، وهم يهُرعون اليه ، أى يساقون .

وقال الزمخشرى : أُهْرِع الرجل إهراعا ، وهو إسراعٌ فى رِعْدَةٍ ، ويقال : أقبل الشيخ يُهْرَع ، وفلان يهُرع من الغضبِ والبَرْدِ والحُمَّى .. ويقال للمجنون والمصروع : مهروع ، ومنه قوله تعالى : « فهم يهُرعون » .

وفى لسان العرب : الهَرَع ، والهُراع ، والاهراع شدة السوق وسرعة العَدْو ، أورد ابن برّى للشاعر قوله :

كأن حُمولَهم متتابعات رعيلٌ يهرعون الى رعيل

واستُهرعت الابل : أسرَعَتْ الى الحوض ، وأُهرِع الرجل ، خَفَّ وأُرْعِدَ من سرعةٍ أو خوف أو غضب أو حُمّى ، وفى التنزيل : « وجاءه قومُه يُهرعون اليه » كأنّه يحث بعضهم بعضا ، وتَهَرَّع اليه : عَجِل ، قال ابو العباس : الاهراع : اسراع فى طمأنينة ، ثم قيل له : إسراع فى فَزَعٍ ، فقال : نعم . وقال الليث فى تفسير بيت المُهَلْهِل : (يُهرعون وهم أُسارى) يساقون ويُعْجَلُون . وقال ابو عبيد : أهرع الرجل اذا اتاك وهو يُرْعَدُ من البرد والمُهْرَعُ ايضاً كالحَريصِ .

وقوله تعالى : « وهم على آثارهم يُهرعون » أى يَسْعون عِجالا ، والهَيْرَعُ أيضا : الجبان الضعيف الجزوع ، قال ابن احمر :

ولستُ بهَيْرَعٍ خَفِقٍ حشاه اذا ماطَيَّرَتْه الريحُ طارا

وشاهد الهَرِع بمعنى الجارى ، قول الشماخ يذكر الناقة :

عُذَافِرَةٌ كأنَّ بذِفْرَيَيْها كُحَيْلاً بَضَّ من هَرِعٍ هَمُوعِ

قال ابو تراب : العُذافرة : الناقة الشديدة ، والذِفْرى : عَظْمٌ خَلْفَ الأُذن ، يقول : كأن خَلْفَ أُذُنَيْها كُحْلا يسيل من المقلة الدامعة وأنشد شَمِرٌ لابن أحمَرَ يصف الريح :

أَرَبَّتْ عليها كلُّ هَوْجَاء سَهْوَةٍ زَفوفِ التَوالى رَحْبَةِ المُتَنَسَّمِ
إبَارِيَّةٍ هوجاء موعدُها الضحى اذا أَرْزَمَتْ جاءتْ بِورْدٍ غَشَمْشَمِ
زَفوفٍ نيافٍ هَيْرَعٍ عَجْرَفِيَّةٍ تَرى البِيدَ من إعصافِها الجَرْىَ تَرْتَمى

أراد بالوِرْد : المطر ، والسَهْوة : السريعة ، والإبَارِيَّة : التى تُعَفّى بالتراب .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « وأُتبِعُوا فى هذه لعنةً ويومَ القيامة بِئْسَ الرِفْدُ المرفود » ؟ قال : معناه بئس اللعنة بعد اللعنة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

لا تَقْذِفَنّـــى بِرُكنٍ لا كِفـــاءَ له ... وإن تَأثَّفَـــكَ الأعـــداءُ بالرِفَدِ

قال ابو تراب : قائل البيت هو النابغة يخاطب النعمان ، وهـو فى ديوانـه وأساس البلاغة . ومعنى قوله : (تَأَثَّفَـك الأعـداء) ، أى اجتمعـوا حولك ، والرِفَدُ : جماعات الناس ، قال الراعى :

مُسَـــألٌ يبتغـــى الأقـــوام نائلهَ ... من كلّ قومٍ قَطـــينٍ حولَـــه رِفَدُ

وتفسير ابن عباس قوله : « بئس الرفد المرفود » أى بئس اللعنة بعد اللعنة هو تفسير المراد من هذا اللفظ ، لأنه فى مقام الذمّ ، لأن الرِفْدَ بمعنى العـون والعطاء ، فلما كان عطاؤهم لعنة فى الدنيا والآخرة بيّنَ مقامَها فى الذم .

حكى الكِسائى وابو عبيدة : رَفَدْتُه : أى أعَنْتُه ، وأعطيته ، واسم : العَطِيّة : الرِفْدُ ، أى بئس العطاء والاعانة ، قال الجوهرى : والتقدير بئس الرِفْدُ رِفْـدُ المرفود .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة ج ٢ ص ٢٩٨ « الرفد المرفود » مجازه مجاز العون المُعان يقال : رفدته عند الأمير أى أعنته ، وهو من كل خير وعون وهو مكسور الاول ، فاذا فتحت أوله فهو القدح الضخم ، قال الأعشى :

ربّ رَفْـــد هرقتـــه ذلك اليوم ... وأسرى من معشر أقتال

وقال ابن قتيبة فى غريب القرآن ص ٢٠٩ الرفد العطية يقال : رفدته أرفده اذا أعطيته وأعنته والمرفود المعطى كما تقول : بئس العطاء والمعطى .

وذكر الماوردى : الرَّفْدَ بفتح الراء وهو القَدَحُ ، والرِفْدُ بكسرها مافى القَدَح من الشراب ، حكى ذلك عن الأصمعى ، فكأنه ذَمَّ بذلك مايُسْقَوْنَه فى النار .

وقيل : إنّ الرِفْدَ : الزيادة ، أى بئس مايُرْفَدون به ، بعد الغَرَق : النارُ ، قاله الكلبى ، ونقله القرطبى .

وقال الراغب : الرِفْد : المعونة والعطية ، والرَّفْد : مصدر ، والمِرْفَد : مايُجْعَل فيه الرِفد من الطعام ، ولهذا فُسرَ بالقَدَح ، وقد رَفَدْتُه : أَنَلْتُه بالرِفْد ، قال تعالى : « بئس الرِفْدُ المرفود » وأَرْفَدتُه : جعلت له رِفْدا ، يتناوله شيئا فشيئا ، وقول الشاعر :

وأَطْعَمْتَ العراقَ ورافِدَيْهِ فَزاريا أَحَذَّ يَدِ القميصِ

يعنى دِجْلَة والفُرات ، والرَّفود : الناقة التى تملأ المِرْفد لبنا ، والمرافيد من النُوقِ والشاء ، مالاينقطع لبنه صيفا وشتاء ، وترافدوا : تعاونوا ، والرفادة كانت معاونة الحاج من قريش .

قال ابو تراب : البيت المذكور للفَرَزْدَق ، أورده اللسان ، وهو يعاتب يزيد بن عبدالملك فى تقديم ابى المُثنى عمر بن هُبيرة الفزارى ، على العراق ويهجوه ، ونصّه عنده :

بعثتَ الى العراق ورافِدَيْه فَزاريا أَحَذَّ يَدِ القميص

أراد به : خفيف الكُمّ ، والمراد : خِفّة مايشتمل عليه وهو اليد ، وأراد بخفتها السرِقة ، ونسبه الى الخيانة .. نسأل الله السلامة .. وذكره الجرجانى فى الكنايات (ص ٧٤) والمبرّد فى الكامل (ص ٤٧٩) والجاحظ فى الحيوان (ج ٥ ص ١٩٧) والحُصرُى فى زَهر الآداب (ج ١ ص ٢١) وابن فارس فى المُجْمَل وغيرُهم .

فمعانى الرفد كلها تدور حول العطاء والعون .

قال ابن فارس : الرفد أصل واحد مُطَّرِد مُنْقَاسٌ ، وهو المعاونة والمظاهرة بالعطاء وغيره . وفى الحديث : « يكون الفيء رفدا » أى يكون (مال الغنيمة) صِلاتٍ ، لايُوضَع مواضعه ، والرافد : المُعين ، والروافد : خُشُب السَقْف ، لأنه يُرْفَد بها السقف ، قال :

روافده أكرمُ الرافدات بَخٍ لك بَخٍ لبحرٍ خِضَمّ

وفى اساس البلاغة للزمخشرى : فلان نِعْمَ الرافد ، اذا حَلَّ به الوافد ، ويقال : هو كثير الأرفاد والمرافد ، وعظيم الرِفْد والمِرْفَد ، قال :

رَفَدْتُ ذوى الأحساب منهم مَرافدى وذا الذَّحْل حتى عاد حُرًّا سَنيدُها

أى دَعِيهُا ـ والذَّحْل الحِقْدُ ـ وآرتفدتُ مالا : اكتسبته ، قال الطرمّاح :

عجبا ماعَجِبْتُ للجامع الما ل يُباهى به ويَرْتَفِدُهْ

ويُضيع الذى قد أوْجَبه الله عليه فَليس يَعْتَهِدُهْ

أى يتعهده .

ويقال : مَدَّ فلان بأرفادى ، أى نصرنى وأعاننى ، قال :

اذا خَطَرتْ حولى سَلامانُ بالقنا ومَدَّ بأرفادى عَدِىُّ الأراقِم

ويقال : هُريق رِفَد فُلان ، اذا قُتل ، كما يقال : صَفِرَتْ وِطابُه ، وكُفِئَتْ جَفْنَتُه . ورَفَد الجِدارَ : أى دَعَمَه ، قال :

تَفَرَّعْتَ من هاشمٍ منزلا جسيمَ العِمادِ أمينَ الدِعَمْ

روافده أكرمُ الرافدات بَخٍ لك بَخّ لبحرٍ خِضَمّ

وفى الحواشى لابن بَرّى : قال دُكَيْنُ :

خيرُ آمرىءٍ قد جاء من مَعَدِّهْ من قبلِه أو رافدٍ من بَعْدِهْ

وفى حديث حَفْر زمزم :

ألم نَسْقِ الحَجيجَ ونَنْحَرِ المِذْلاَقَة الرُفُدا

المدلاقة : النُوق التى تخرج شِقْشِقتها ، والرُفُد : جمع رَفُودٍ وهى التى تملأ القدَح فى حَلْبَةٍ واحدة . وورد فى اللسان : (المذلاقة) وهو خطأ .

وقال أُمية بن ابى عائذ الهذلى يذكر ناقته :

وإنْ غُضَّ من طرفها رَفَّدَتْ رَسيماً وألْوَتْ بِجَلْسٍ طُوالْ

قال ابو تراب : غُضَّ : أى كُفَّ . ورفَّدت المَشْى : أتبعت بعضه بعضا والرسيم : مثل الخَبَبِ ، والجَلْسُ : أصل الذنب .

وقال الطبرى فى معنى قوله تعالى : « وأتبعوا فى هذه لعنةً ويوم القيامة بئس الرفد المرفود » : يقول الله تعالى : واتبعهم الله فى هذه الدنيا مع العذاب الذى عجّله لهم فيها من الغَرَق فى البحر ، لعنته ، وفى يوم القيامة أيضا ، يُلْعنون لعنة أخرى . وعن مجاهد : « بئس الرفد المرفود » اللعنة فى إثر اللعنة ، أُرفدوا يوم القيامة بلعنة أخرى زِيْدُوهَا ، قال : وقوله : « بئس الرفد المرفود » يعنى بئس العونُ المُعان ، اللعنة المزيدة فيها أخرى منها ، والرِفْدُ : القَدَحُ الضخم ومنه قول الأعشى :

رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتُه ذلك اليو مَ وأسْرَى من مَعْشَرٍ أَقْتَالِ

أى أشباه غير اعداء ، وفى بعض النسخ (أَقْيال) وهو غلط .

وعن ابن عباس قال : « بئس الرفد المرفود » لعنة الدنيا والآخرة وقال قتادة : ترادفت عليهم اللعنتان ، وقال الضَحّاك : أصابتْهم لعنتان رَفَدَتْ إحداهما الأخرى .

وفى حديث الزكاة : أعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه ، معناه ان تُعينه نفسه على ادائها .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وماظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما أغْنَتْ عنهم آلهتهم التى يَدْعون من دون الله من شيء لمّا جاء أمر ربك ومازادوهم غير تتبيب » ؟ قال : (تتبيب) : تخسير ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، اما سمعت قول بِشرْ بن أبى خازم :

همو جَدعُوا الأنوف فأوعبوها وهم تركوا بنى سعدٍ تبابا

قال ابو تراب : فى مختارات ابن الشجرى (ج ٢ ص ٣٣) ورغبة الآمل (ج ١ ص ٢٢٤) : « يبابا » بدل « تبابا » ورواية « تبابا » هى الصحيحة

لأنه وقع بها الاستشهاد ، والمعنى واحد ، لأن اليباب : الخراب ، والتباب : الهلاك .

قال ابن فارس : التباب : الخُسران ، وتبًا للكافر ، أى هلاكا له ، وقال تعالى : « ومازادوهم غير تتبيب » أى تخسير .

وفى تفسير القرطبى : « غير تتبيب » أى غير تخسير ، قاله مجاهد وقتادة ، وقال لبيد بن ربيعة العامرى :

فلقد بَلِيتُ وكلُّ صاحبِ جِدّةٍ لِبِلىً يعود وذاكم التتبيب

والتباب : الهلاك والخسران ، أى مازادتهم عبادة الأصنام غير خسران يعنى ان عبادتهم اياها ، قد خَسرَّتْهم ثواب الآخرة .

وفى تفسير ابن جرير : يقول تعالى : وماعاقبنا أهل هذه القُرى التى اقتصصنا نبأها عليك يامحمد بغيرِ استحقاق منهم ، ولكن ظلموا أنفسهم وأوجبوا لها بمعصيتِهم وكفرِهم ، العقوبة والعذاب ، فما أغنتْ عنهم آلهتهم التى يَدعون من دون الله من شىء ، ولا دفعت عنهم عقاب الله وعذابه ، ولا ردّتْ شيئا منه لمّا جاء أمر ربك يامحمد ، وقضاؤه بعذابهم ، فحَقَّ عليهم عقابُه ، ونزل بهم سَخَطه ، ومازادوهم غير تتبيب يعنى مازادتهم آلهتهم غير تدمير وتخسير وإهلاك .

قال جرير :

عَرَادَةُ من بقيّة قومِ لوطٍ ألاَ تَبًّا لِمَا فعلوا تبابا

وفى بعض النسخ : (عُرابَة) وهو خطأ .

قال الطبرى : وهذا الخبر من الله تعالى ، وان كان خبرا عمّن مضى من الأمم قبلنا فانه وعيدٌ من الله جل ثناؤه لنا أيّتُها الأمة ، انّا إنْ سلكنا سبيل الأمم قبلنا فى الخلاف عليه وعلى رسوله سَلَك بنا سبيلهم فى العقوبة وإعلام منه لنا أنه لايظلم أحدا مِنْ خلقه ، وان العباد هم الذين يظلمون انفسهم .

وقال الفخر فى قوله تعالى : « ومازادوهم غير تتبيب » .. والمعنى ان الكفّار كانوا يعتقدون فى الأصنام انها تُعين على تحصيل المنافع ودفع المضارّ فأخبر الله

انهم عند مِساس الحاجة الى المُعين ، ماوجدوا منها شيئا لاجَلْبَ نفع ، ولادَفْعَ ضَرٍّ ، بل وجدوا ضِدّه ، وهو ان ذلك الاعتقاد جَلَبَ لهم مضار الدنيا والآخرة ، فكان ذلك من اعظم موجبات الخسران .

وفسر ابو عبيدة البصرى فى المجاز ج ١٢/١ ،٣١٥/٢ ، ٢٩٩/١ ، ٩٤/٢ « التتبيب » بالتدمير والاهلاك ومنه « تَبَّتْ يدا أبى لهب » وقوله تعالى : « وماكَيْدُ فرعون الاّ فى تَباب » وانظر غريب ابن قتيبة ص ٢٠٩ .

قال الراغب فى المفردات : التباب الاستمرار فى الخسران ، ولتَضَمُّن الاستمرار قيل : استَتَبَّ لفلان كذا ، اى استمر ، وقوله : « تَبَّتْ يدا أبى لهب » اى استمرت فى خسرانه .

قال ابو تراب : جعل ابن فارس لهذه الكلمة وجهين : الخسران ، والاستقامة ، يعنى التباب والاستتباب ، والصواب ماذكره الزمخشرى قال : تَبَّ الرجل ، اذا شاخ ، وكنت شابا فصرتُ تابًا ، شُبِّه فقدُ الشبابِ بالتباب ، واستَتَبَّ الطريق : ذَلَّ وانقاد ، كما يقال : طريق مُعَبَّد ، واستَتَبَّ له الأمر ، ويجوز ان يقال للاستقامة والتّمامِ : الاستتباب ، أى طلبُ التَباب ، لأن التَباب يَتْبَع التّمَامَ .

وفى لسان العرب : استتبَ الأمر تَهَيّأ وأستوى ، واستتب أمر فلان اذا أطرد ، واستقام ، وتبين ، وأصل هذا من الطريق المُسْتَتِبَ ، وهو الذى خَدَّ فيه السيارة خدودا وشرَكا ، فوضَحَ واستبان لِمَنْ يسْلُكه ، كأنه تُبِّبَ من كثرة الوَطْء ، وقُشر وجهه فصار ملحوبا بيّنا ، من جماعة ماحَوالَيْه من الأرض ، فشبه الأمر الواضح البَينَ المُسْتقيمُ به .

وأنشد المازنى فى المعانى :

ومَطِيّـة مَلَـثَ الظَّـلامِ بَعَثْتُه   يَشْكُو الـكَلالَ الىَ دامِـى الأَظْلَلِ
أوْدَى السُرَى بِقِتالِـه ومِراحِه   شهـراً نَواحِـىَ مُسْتَتِـبَ مُعْمَلِ
نَهْـجٍ كَأنْ حُرُثَ النَبيـطِ عَلَوْنَه   ضاحِـى المَوارِدِ كالحَصيـر المُرْمَلِ

شَبَّه مافى هذا الطريق المُسْتَتِبَ من الشرَك والطُرُقات بآثار السِنَ ، وهو الحَديدُ الذى يُحْرَثُ به الأرض .

وقال آخر فى مثله :

أنْضَيْتُها من ضُحاها أو عَشِيَتِها   فى مُسْتَتِبَ يَشُقُ البِيْدَ والأُكُماَ

أى فى طريق ذى خدود ـ أى شقوق ـ مَوْطُوءٍ بَيِنَ .

وقوله تعالى : « تَبَتْ يدا أبى لهب » أى ضَلَّتا وخسرتا ، قال الراجز :

أخْسرِ بها من صَفْقَةٍ لم تُستَقَلْ   تَبَتْ يدا صافِقِها ماذا فَعَلْ

قال أبو تراب : ومعنى قوله : (ومطيَّةٍ مَلَث الظَّلامِ بَعَثْتُه) أى أنْهَضْتُ بعيرى حين اختلط الظَلامُ ، وقوله : (يَشْكو الكلالَ الىَ دامِى الأظْلَلِ) أى يشكو التعبَ والاعياء ، وهو يَدْمَى باطنُ مِنْسَمِه ، من طول السير على الحصا ، وقوله : (أوْدَى السرُى بِقِتالِه ومِراحِه) (شهرا نواحِىَ مُسْتَتِبَ مُعْمل) يعنى أوْدَى به السرُى فى نواحى الطريق الذى خَدَتْ فيه الرواحل ثم وصف الطريقَ فقال : (كَأنَ حُرُثُ النَبيطِ عَلَونَه) يعنى كأنَ السِكَكَ التى تَحْرُثُ بها الأرضُ : تعلوه ، وهو : (كالحصير المُرْمَلِ) أى المنسوج .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فأسرِ بأهْلِك بِقِطْعٍ من الليلِ ولا يَلْتَفِتْ منكم أحَدٌ » ؟ قال : ماالقِطْعُ ؟ قال : آخر الليل سَحَرا . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت قول مالك بن كِنَانة :

ونائحةٍ تقوم بقِطْعِ ليلٍ   على رَجُلٍ أصابتْه شَعوبُ

أى أصابته داهية .

قال أبو تراب : هذا البيت استشهد به أبو حيّان فى البحر المحيط ، وعجز البيت عنده (على رَجُلٍ بقارعة الصعيد) واستشهد به القرطبى (ج ٩ ص ٨٠) .

وفى تفسير الطبرى : قالت الملائكة لِلُوط عليه السلام كما قال لقومه : لو أن لى بكم قوة ، أو آوى الى ركن شديد ، ورأوا مالَقِى من الكرب بِسَبَبِهم : يالُوط انّا رُسُل ربكِ ، أُرسلنا لاهلاكهم ، وانهم لن يَصِلوا اليك والى ضيفك بمكروه ، فهَوِّن عليك الأمر ، فأسرِ بأهلك بِقِطْعٍ من الليل ، أى فاخرج من بين أظْهُرِهم أنت فى بقيةٍ من الليل ، يقال : سَرَى وأسْرَى ، اذا سار بليلٍ ، ولا يَلْتَفِتْ منكم الاّ امرأتك فانه مُصِيبُها من العذاب ما أصابهم .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : « فأسرِ بأهلِك بقطْعٍ من الليل ، قال : بطائفةٍ من الليل ، وعنه في رواية أخرى : جوفِ الليل وعن الضّحاك : ببقيةٍ من الليل ، وقال قتادة : بعد مُضِى صَدْرٍ من الليل ، وقال الأخفش : بعد جُنْحٍ من الليل ، وقيل : بظُلمةٍ من الليل ، وقيل : بعد هَدْءٍ من الليل ، وقيل : هَزِيعٍ من الليل ، وكلها مَعانٍ متقاربة ، وقيل : إنه نصفُ الليل ، مأخوذ من قَطْعِه نِصْفَينِ .

والحكمة في قوله تعالى : « بقطْعٍ من الليل » مع أن السرُى لايكون الاّ بالليل انه لو لم يقل ذلك لجاز أن يكون أولَ الليل ، فهذا القَيْدُ حَدَّد المعنى .

قال الراغب ، قِطْعٌ من الليل قطعةٌ منه .

وفي التفسير الكبير : قوله : « لا يَلتفتْ منكم أحد » الالتفات نظر الانسان الى ماوراءه ، والظاهر أن المراد أنه كان لهم في البلدة أموالٌ وأقمشةٌ ، وأصدقاءُ فالملائكة أمروهم بأن يخرجوا ويتركوا تلك الأشياء ، ولا يلتفتوا اليها البتة ، وكأن المرادَ منه قَطْعُ تعلُّقِ القلب عن تلك الأشياء ، وقد يراد منه الانصرافُ أيضاً كقوله تعالى : « قالوا : أجئتنا لِتَلْفِتَنا » أى لتصرفنا ، وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله : « ولا يَلتفتْ منكم أحد » النهى عن التخلُّف .

قال ابن فارس : القِطْع من الليل : الطائفةُ من الليل ، كأنه قطعة ، وهذه المادّة تدلّ على صرْمٍ وإبانةِ شيءٍ من شيءٍ ، ومنه القطيعةُ الهِجرانُ ، وبَعثتُ الى فلانٍ بأُقطوعةٍ ، وهى شيء تَبعثُه اليه علامةً للصريمة ، وقَطَعَتِ الطيرُ قُطوعاً ، إذا اخرجت من بلاد البرد الى بلاد الحرّ ، أو من تلك الى هذه ، والقَطيع السَّوْطُ ، قال الأعْشَى :

تَرى عينَها صَغْواءَ في جَنْبِ مُوْقِها   تُراقِبُ كَفّى والقَطيعَ المُحرّما

والأَقْطُع جمع قَطيعٍ ، وهو قَضيبُ الشجرة تُبْرىَ منه السِهام ، قال ابو ذؤيب الهُذَلىّ :

ونَميمةً من قانصٍ مُتَلَبِّبٍ   فى كفّه جَشْءٌ أَجَشُّ وأقْطُعُ

وضُبط في أقرب الموارد (أَقْطَعُ) وهو خطأ ، والجشْءُ القضيبُ الذى تُعمل منه القوس ، ومُقَطّعة النِياطِ هى الأرنب لأنها تَقْطع نِيَاطَ مايتبعها من الجوارح في طلبها ، ويقال : النِيَاطُ بُعْد المفازة .

وفي بعض كتب التفسير في قوله تعالى : « فَلْيَمْدُدْ بسببٍ الى السماء ثم لْيَقْطَعْ » أنه الاختناق ، والقياسُ فيه صحيح ، ويقال : فلان مُنْقَطعُ القَرينِ في السخاء أو غيره ، والقطيعُ القِطعةُ من الغنم ، ومقاطع الأوديةِ مآخيرُهَا . ويقال : أصاب بئرَ فلانٍ قُطْع ، اذا نَقَص ماؤها ، والقِطْع الطِنْفِسَةُ تُلقى على الرَّحْل وكأنها سمّيت بذلك لأن ناسِجَها يَقْطعها من غيرها عند الفراغ والجمعُ قُطوع ، قال عبدُ الرحمن بن الحَكَم بن أبى العاصِ :

أَتَتْك العِيْسُ تَنفُخ في بُراها   تَكَشّفُ عن مناكبها القُطوعُ

قال ابو تراب : ويُنسب هذا البيتُ لزيادٍ الأعجم والأعشى ، والبُرا جمع بُرَةٍ ، وهى حَلْقة تجعل في أنف البعير من صُفْرٍ وغيره .

وشاهد الأقطوعة بمعنى علامةِ القطيعة قولُه :

وقالتْ لجارِتَيهَا اذهَبا   اليه بأُقطوعةٍ إذْ هَجَرْ

وشاهد القَطيع بمعنى السوط قول الشمّاخ :

مَروحٌ تَغْتَلى البيداءَ حَرْفُ تَكاد تَطيرُ من حِسّ القَطيع

الحَرْفُ الناقة الضامرة الصُّلبَة ، شُبِّهتْ بحَرْفِ الجبلِ في شدتها والمَروح النشيطة .

وفى معانى الفراء ج ٢ ص ٢٤ : « بقطع » بظلمة من آخر الليل ، وفى غريب ابن قتيبة ص ٢٠٧ أى ببقية تبقى من آخره .

وفي لسان العرب : القِطْع القطعةُ ، والقَطيع ، والقِطاع ، والقِطَع طائفة من الليل تكون من أوله الى ثُلُثِهِ ، وقيل للفَزارىَ : ما القِطَع من الليل ؟ فقال : حُزْمةٌ تَهوُرُها ، أى قطعةٌ تَحْزُرُها ، ولا تدرى كم هى ؟ والقِطْع ظُلمة آخِرِ الليل ، ومنه قوله تعالى : « فأَسرِ بأهلِك بِقطْعٍ من الليل » قال الأخفش : بسوادٍ من الليل ، قال الشاعر :

افتحى البـاب فانظـرى في النجوم كم علينـا من قِطْـعِ ليلٍ بهَيم

وفي التنزيل : « قِطَعـاً من الليل مُظْلماً » وقُـرىء « قِطْعـاً » أيضـاً وفي الحديث : إن بين يَدَىِ الساعةِ فِتَناً كقِطَع الليل المظلم ..

قال ابن الأثير في غريب الحديث : قِطْعُ الليل طائفةٌ منهُ ، وقطعةٌ ، وجَمْعُ القِطْعة قِطَعٌ ، أراد فتنةً مظلمةً سوداء تعظيماً لشأنها ، وقوله تعالى : « قُطِّعَتْ لهم ثياب من نار » أىْ خِيطَتْ ، وسُوِّيَتْ ، وجُعِلَتْ لَبوساً لهم .

وستأتي شواهد هذه المادّة في قوله تعالى : « وقطّعناهم في الأرض أُمماً » .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس أخبرنى عن قوله تعالى : « وراودتْه التى هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبوابَ وقالت هَيْتَ لك قال معاذ الله » ؟ قال : (هَيْتَ لك) يعنى تَهيأت لك ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول أُحَيْحة بن الجُلاحِ الأنصارى

به أحمِـــي المُضــافَ إذا دعانى إذا ما قيل للأبطـــال هَيْتَا

قال أبوتراب : وفي تفسير الطبرى : (هَيْتَ لك) بمعنى هَلُمَّ لك ، وأَدْنُ ، وتَقَرَّبْ ، كما قال الشاعر في أمير المؤمنين على بن أبى طالب :

أبلــغ أمـــير المؤمنين أخـــا العـــراق إذا أتيتا
أن العـــراق وأهلهَ سِلْـــمٌ اليك فَهَيْتَ هَيْتَا

يعنى : تعالَ واقْرُبْ .

وروى عن ابن عباس ، وزِرِّ بن حُبَيْشٍ ، والحسن ، والسُدِّىّ وابن زيد ، والثورى أنهم قالوا : معنى (هَيْتَ لك) هَلُمَّ لك ، وقرأ جماعةٌ (هِئْتُ لك) بمعنى تَهَيَّأْتُ لك ، ورُوى ذلك عن ابن عباس أيضا وعكرمة ، وأبى عبدالرحمن السُلَمى وغيرِهم ، وأنشد بعضهم بيتاً لِطَرَفة بن العَبْد في (هَيْتُ) بضم التاء :

ليس قومـــى بالأبعـــدينَ اذا ما قال داعٍ من العشـــيرة هَيْتُ

وذكر ابو عبيدة فى المجاز ج ١ ص ٣٠٥ : ان العربَ لاتُثَنّى (هَيْتَ) ولا تَجمعَ ولا تُؤنِّث ، وأنها تُصوّره في كل حال ، وانما يتبينَ العدد بما بَعْدُ ، وكذلك التأنيث والتذكير ، تقول للواحد : هَيْتَ لك ، وللاثنين : هَيْتَ لكما ، وللجمع : هَيْتَ لكم ، وللنساء : هَيْتَ لَكُنَّ .

وقال القُرطبىَ : (هَيْتَ لك) أى هَلُمَّ ، وأَقْبِلْ ، وتَعالَ ، ولا مصدَر لهُ ، ولا تصريفَ ، قال النحّاس : فيها سبع قراءاتٍ ، ورَوى الزَجّاج بيتَ طَرَفَة المذكور بفتح الهاء والتاء .

قال أبو تراب : وأنكر أبوعُبيدة والكسائـى (هِئـتُ) بمعنـى تَهَيَّأْتُ قال النّحاس : وهى جيّدة عند البصريين .

قال ابو عبيدة : وشهدت أبا عمرو وسأله ابو احمد أو احمد وكان عالما بالقرآن وكان لأ لاء ثم كبر فقعد فى بيته فكان يؤخذ عنه القرآن ويكون مع القضاة فسأله عن قولْ من قال : هِئِت فكسر الهاء وهمز الياء فقال أبو عمرو : نَبْسّى (أى

باطل) جعلها قلت من (تهيأت) فهذا الخندق ، واستعرض العرب حتى تنتهى الى اليمن هل يعرف أحد (هِئتُ) كان خندق كسرى الى هَيت حين بلغه أن النبى ﷺ يخرج وخاف العرب فوضع عليه المراصد وصوامع وحرسا ودون ذلك مناظر .

ونقله عنه القرطبى ج ٩ ص ١٦٤ والحافظ ابن حجر فى الفتح ج ٨ ص ٢٧٤ وفى غريب ابن قتيبة ص ٢١٥ « هيت لك » أى هلم لك ، وأنشد قوله (قد رابنى) الخ الذى فى الصحاح واللسان .

وفى معانى القرآن للفراء ج ٢ ص ٤٠ عن ابن مسعود قال : أقرأنى رسول الله ﷺ (هَيْتَ) وعن على وابن عباس أنهما قرآ (هِئْتُ) يراد بها تهيأت قال : ويقال انها لغة لاهل حوران يعنى (هَيْت) سقطت الى مكة فتكلموا بها ، وأهل المدينة يقرأون (هِيْت) بكسر الهاء ولايهمزون .

وفي كتاب لغات القبائل لابن سلاّم : أن (هَيْتَ) وافقَتِ النَّبَطِيَّةَ .

قال أبو تراب : وروى الطبرى عن ابن عباس ، والحسن أنها بالسرُيانية تدعوه الى نفسها . وقال السُدّى : معناها بالقِبْطِيَة : هَلُمَّ لك ، قال أبوعُبيد : كان الكسائى يقول : هى لغة لأهل حَوْرانَ ، وقعتْ لأهل الحجاز ، معناها : تعال ، فسألتُ شيخاً عالماً من حَورانَ فقال : إنها لغتُهم ، وبه قال عكرمة ، وقال مجاهد وغيره : هى عربية تدعوه بها ، وهى كلمةُ حَثٍّ وإقبالٍ على الاشياء .

قال الجوهرى : يقال : هَوَّتَ بهِ ، وهَيَّتَ به ، اذا صاح به ، ودعاه ، قال :

قد رابَنِــى أن الــكَرِيَّ أسْكَتَا   لو كان مَعْنِيًّا بهــا لَهَيَّتَا

أى صاح ، وقال آخر :

تَرْمــى الأمــاعيزَ بمُجْمَرَاتِ   وأرْجُــلٍ رُوْحٍ مُجَنَّباتِ

يَحْدو بها كلُّ فتىً هَيَاتِ

قال ابن فارس في المقاييس : كلمة (هَيْتَ) تدلّ على الصيحة ، يقولون : هَيَّت بِهِ إذا صاح ، ويقولون : معنى (هَيْتَ لك) هَلُمَّ ، وأنشد ابن سِيدَةْ في المُخَصَّصِ (ج ٢ ص١٣٤) قولَه :

(لو كان مَعْنِيًّا بها لَهَيَّتَا)

وقال الزمخشرى : رجل هَيَّات أى صَيَّاح .

وفي الكشّاف : هَاءَ يهِيءُ كجَاءَ يجِيءُ إذا تَهَيَّأَ ، واللام من صلة الفعل ، وأمّا في الأصوات فللبيان .

وقال الراغب في المفردات : (هَيْتَ) قريبٌ من هَلُمَّ .

وفي لسان العرب : أن العرب تقول إذا أغْرَوا الكلب بالصيد هَيْتَاهْ هَيْتَاهْ ، قال الراجز يذكر الذئب :

جَاءَ يُدِلُّ كرِشاءِ الغَرْبِ فقلتُ هَيْتَاهُ فتَاهَ كَلْبِى

والهِيْتُ الهُوَّة القَعرة من الأرض ، وبها سُمّيَت بلدةٌ على شاطىء الفُراتِ أصلُها من الهُوَّة ، قال :

طِرْ بجناحَيْك فقد دُهِيْتَا حَرَّانَ حَرَّانَ فهِيْتَا هِيْتَا

وقيل : معناه : اذهبْ في الأرض ، قال رُؤْبَةُ :

(والحُوتُ في هِيْتَ رَدَاها هِيْتُ)

قال الأزهرى في تهذيب اللغة : وانما قال رُؤْبَةُ بن العجّاج :

وصاحبُ الحوتِ وأين الحوتُ في ظلماتٍ تحتهن هِيْتُ

قال ابن الأعرابى : أى هُوَّةٌ من الأرض ، ويقال لها : الهُوْتَةُ ، وقال بعض الناس سُمّيت (هِيْتُ) لأنها في هُوَّةٍ من الأرض .

قال أبو تراب : ونُقل ذلك عن ابن السِكّيت أيضاً ، والصواب ماذكره ياقوت عن أهل الأثر في معجم البلدان : أنها سُمّيت باسم بانيها ، « هِيْتِ بنِ السَّبَنْدَى » .

قال ابن منظور (هَيْتَ) تعجُبٌ تقول العرب : هَيْتَ للحُلُم ، وهَيْتَ لك ، أى أَقْبِلْ ، وهى بالفتح بمنزلة الأصوات ، ليس لها فعل يتصرّف منها وكأنّ زَلِيْخَا قالت ليوسف عليه السلام « دعائى لك » .

وذكر ابن جنّى : أن (هَيْتَ) فى قول الشاعر لعلىّ بن أبى طالب :

ان العراقَ وأهلَه سِلْمٌ اليك فهَيْتَ هَيْتاَ

بمعنى أسرِعْ وفيه أربع لغاتٍ : هَيْتَ ، هِيْتَ ، هَيْتُ ، هِيْتُ ، وقال الفراء فى المصادر : إنها لغةٌ لأهل حَوْرانَ سقطتْ الى أهل مكةَ ، فتكلّموا بها ، وروى الأزهرى عن أبى زيد أنها بالعبرانية : (هَيْتَالَجْ) أى تعالَ ، أعْرَبَه القرآن .

وفى الحديث : أنه لما نزل قوله تعالى : « وأَنْذِرْ عشيرتك الأقربين » بات النبى ﷺ يُفَخِّذُ عشيرتَه فقال المشركون : لقد بات يُهَوِّت أى ينادى عشيرته ، والتَهْيِيتُ الصوتُ بالناس ، ويقال : هَوَّتَ بالقوم ، وهَيَّت بالقوم ، اذا ناداهم ، وهَيَّت النَذيرُ ، والأصل فيه ، حكايةُ الصوت ، كأنّهم حكَوا فى (هَوَّتَ) : هَوْتَ هَوْتَ ، وفى (هَيَّتَ) هَيْتَ هَيْتَ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ولّما جاءت رسُلُنا لوطاً سِيءَ بهم ، وضاق بهم ذَرْعاً ، وقال هذا يوم عصيب » ؟ قال : (عصيبٌ) شديدٌ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول الشاعر :

هُمو ضرَبُوا قوانِسَ خيل حِجْر بِجَنْبِ الرَّدْهِ فى يومٍ عصيبِ

قال ابو تراب : القوانس ، جمع قَوْنَسٍ ، وهو أعلى الرأس ، والرَّدْهُ ، موضعٌ دُفِنَ فيه بشر بنُ ابى خازم ، وقال وهو يجود بنفسه :

فَمنْ يكُ سائلاً عن بيتِ بِشْرٍ فانَّ له بَجنْب الرَّدهِ بابا
ثَوَى فى مضجعٍ لابُدَّ منه كفى بالموت نأياً واغترابا

وذكره ياقوت فى البلدان . ويقال له الرَّدُّ ايضا .

قال ابن جرير : وأمَّا قوله تعالى : « هذا يوم عصيب » فمعناه يوم شديد شَرُّهُ . عظيم بلاؤه . ومنه قول عدىّ بن زيد

وكنتُ لِزَازَ خصمِكَ لم أُعَرِّدْ وقد سَلَكُوكَ فى يومٍ عصيبِ

قال ابوتراب : عَرَّدَ عن خصمه أى أحجم . ونَكَص . وهذا من قصيدة قالها وهو فى حبس النُّعمان بن المنذرِ . وذكره ابو عبيدة فى المجاز وقال : « هذا يوم عصيب » أى شديد يعصب الناس بالشرّ

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ٢٠٦ : « هذا يوم عصيب » أى شديد يقال يوم عصيب وعَصَبْصَبٌ .

ومنه قول الراجز ـ وهو فى مجاز القرآن لأبى عبيدة . (ج١ ص ٢٩٤)

يومٌ عصيبٌ يَعْصِبُ الأبطالا عَصْبَ القَوىّ السَلَم الطِوالاَ

وقول الآخر : وهو فى المجاز لأبى عبيدة ايضاً :

وإنك إنْ لا تُرضِ بكر بن وائل يَكُن لك يوم بالعراق عَصيب

وقال كعب بن جُعَيْلٍ :

ويُلبُّون بالخَضيضِ فئامٌ عارفاتٌ منه بيومٍ عصيبِ

قال ابوتراب : ألَبَّ بالمكان اذا لزمهُ ولم يفارق .

قال القُرطبى : يومٌ عصيبٌ . وعَصَبْصَبٌ . أى مكروهٌ . مُجْتَمِعُ الشرّ . وقد عَصِبَ . أى عَصَبَ بالشرّ عصابةً . ومنه قيل : عُصبة وعصابة . وعَصَبَةُ الرجل المجتمعون معه فى النَسَبْ . وتَعَصَّبْتُ لفلانٍ . ورجل معصوب أى مُجْتَمِعُ الخَلْقِ .

وقال الزمخشرى : يوم عَصيبٌ . وعَصَوْصَبٌ . اذا كان شديداً .

وقال الراغب : يوم عصيب . شديد . يَصحّ ان يكون بمعنى فاعل . وأن

يكون بمعنى مفعول ، أى يومٌ مجموعُ الأطراف ، كقولهم : يومٌ كَكُفَّةِ حابـلٍ ، وحَلْقَةِ خاتَم .

وقال ابن فارس : العَصْب يدلّ على رَبْطِ شىء بشىء ، مستطيلاً أو مستديراً ، ثم يُفرّع ذلك فروعاً ، وكلُّه راجعٌ الى قياسٍ واحد .

ومن ذلك ، رجلٌ معصوبُ الخَلْقِ ، كأنّما لُوِىَ لَياً ، قال حسانُ بن ثابت الأنصارى ـ وهو فى المُخصَّص لابن سيدة ج ٣ ص ١٠٧

ذَرُوا التَخَاجُؤَ وٱمْشُوا مِشْيَةً سُجُحاً   إن الرجال ذوو عَصْبٍ وتذكير

ومنه قولهم : فلانٌ اعتصب بالعمامة ، قال ابن قيسِ الرُقَيَّاتِ ، وهـو فى الكامل للمُبَرِّد ص ٣٩٨

يَعْتَصِـبُ التــاجَ بــين مَفْرِقه   على جبــينٍ كأنــه الذَهَبُ

وكان يقال لسعيد بن العاص بن أُمَيَّة : « ذو العصابة » أىِ العمامة ، لأنه كان اذا ٱعْتَمَّ ، لم يَعْتَمَّ قُرَشِّى ، إعظاماً له ، ويُنْشِدون :

ابــو أُحَيحــةَ مَنْ يَعْتَــمَّ عِمَّتَه   يُضْرَبْ وإنْ كان ذا مالٍ وذا عَدَدِ

وقال المبّرد : ان هذا باطل .

والعَصَّابُ ، الغَزَّال ، لأنَ الخيط يُعْصَبُ به ، قال رُؤْبَةُ :

طَاوِينَ مجهـول الخُـروق الأجدابْ   طَىَّ القَسَامِــىَّ بُرودَ العَصَّابْ

القَسَامِىُّ الذى يَطوى الثيابَ . والعصائب التى تعصـبُ الشجـرة ، قال الحجَاجُ فى خطبته المشهورة فى أهل العراق : « لأعْصِبَنَّكم عَصْبَ السَلَمة ، وقال الشاعر :

مَطاعيـم تغـدو بالعبيــط جفانهم   اذا القُر ألـوت بالعضـاه عصائبه

العبيط اللحم الطرى ـ

وقال ابن أحمر :

ياقــومِ ماقومــى على نأيهم   اذا عَصَــبَ النــاسَ جَهــامٌ وقُرّ

أى جمعهم ، وضَمَّهم ، ويَعصبُ فَخِذَ الناقة لتدر اللبن ، قال :

وأخلاقُنــا إعطاؤنــا وإباؤنا اذا ما أَبَيْنــا لا ندر لعاصب

أى لا نعطى على القَسرْ ، ويُقال : عُصِبَ الفَمُ ، وهو رِيْقٌ يجتمع على الأسنان من غبار او شدة عَطَشٍ ، قال الفقعسى :

يَعْصِــبُ فَاهُ الريــقُ أىَّ عَصْب عَصْــبَ الجُبــاب بِشِفِــاهِ الوَطْبِ

والعصائب الجماعات ، قال النابغة :

اذا ماالْتَقَى الجَمْعَان حَلَّق فوقهم عَصائـبُ طَــيرٍ تَهتــدى بعصائبِ

والعصائب العمائم ، قال الفَرَزْدَق :

وركْبٍ كأنَ الريـح تطلــب منهمو لهـا سَلَبــا من جَذْبهــا بالعصائب

وناقة عَصوبٌ لا تدر الا على ذلك قال :

فإنَ صَعُبَــتْ عليــكم فَاعْصِبُوها عِصابــاً تُسْتَــدَرُّ به شديدا

وقال الحُطيئة :

تَدِرُّون إنْ شدَّ العِصــابُ عليكمو ونَأْبَــى إذا شُدَّ العِصــابُ فلا نَدِرَ

وانشد ابن الأعرابى :

يُدْعَى المُعصَّـبَ من قلـتْ حَلُوبُته وهـل يُعَصَّـبُ ماضى الهَــمَ مِقدامُ

ويقال : عَصَبَ الريقُ بفيهْ ، قال اشرسُ بُن بَشَّامَةَ الحَنْظلىُّ .

وإن لَقِحـتْ أيْـدى الخُصــوم وجدتنى نَصورا اذا ما استيبس الريقَ عاصبهُ

وقال ابن أحمر :

يُصَلىِّ على من مات منــا عَريفُنا ويَقْرَأُ حتى يَعْصِـبَ الريـقُ بالفَمِ

والعَصْبُ ، ضَرْبٌ من البُرود ، يُعْصَبُ غَزْله ، قال :

يَبْتَــذِلْنَ العَصْــبَ والخَــزَّ معــاً والحَبِراتِ

وستأتى شواهده فى قوله تعالى : « ما إنَ مفاتِحَه لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ »

❋ ❋ ❋

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة ، عليهم نار مؤصدة » ؟ قال (مُؤْصَدَةٌ) أى مُطْبَقَةٌ ، قال : وهل تعرف العرب هذا ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول الشاعر :

تحِنُّ الى أجْبالِ مكة ناقتى ومن دُوننا أبوابُ صَنْعاءَ مُؤْصَدَةْ

قال ابوتراب : هذا البيت استشهد به الزمخشرى فى الكشاف ، وابو حيان فى البحر المحيط ، والشوكانى فى فتح القدير ، والقرطبى فى جامع الأحكام ،

ودِلالةُ هذه الكلمة كما ذكر ابن فارس على ضمّ شيء الى شيء ، ومنه أوْصدت الباب ، اى اغلقته والوصيد ، النَّبتُ المتقارب الأصول والوصيد الفناء وذلك لاتصاله بالرَّبعْ ، والمُوصَد المُطْبقَ قال الله تعالى : « انها عليهم مُؤْصَدَةٌ » .

وقوله تعالى : « باسطٌ ذراعَيْه بالوصيد » قال الزمخشرى : أى بالفناء وقيل : بالباب : قال مُزَرِّد :

حملتُ عليه الهَمّ والليل جانح تِمامُ ولم يُفْتَحْ لحِيٌ وصيدُها

ومنه : أوْصَدَ القِدْرَ اى اطبقها ، وأوْصَدوا ، وآستوصدوا أى اتخذوا وصيدة للغنم ، يعنى حظيرةً ، ويقال : غَنَمهم فى الوصائد ، ومن محاورتهم : أوْصَدوا على فلان ، أى ضَيَّقُوا عليه ، وأرهقوه ، وهو مُوصَد عليه ، والمُوصَّد الخِدْر . انشد ثعلب قول الشاعر :

وعُلِّقتُ ليلى وهى ذاتُ مُوَصَّد ولم يَبدُ للأتراب من ثديها حَجْمُ

قال الفراء فى المعانى ج ٢ ص ١٣٧ فى قوله تعالى : « باسط ذراعيه بالوصيد » الوصيد والأصيد لغتان مثل الوكاف والأكاف ومثل ارخت الكتاب وورّخته ووكدت الامر ، وأكدته ، ووضعته يتنا وأتنا ووتنا يعنى الولد تخرج رجلاه قبل يديه .

وهما اى الوصيد والأصيد الفناء قال ذلك يونس والأخفش والوصيد بيت يتخذ من الحجارة للمال فى الجبال والوصاد المطبق وآصد الباب اغلق فهو موصد وكذلك أوصد مثل اوجعه فهو موجع ذكره فى لسان العرب

وفى النهاية لابن الأثير : فى حديث اصحاب الغار :

فوقع الجبل على باب الكهف فأوصده اى سَدَّه ، من أوصدتُ الباب اذا أغلقته ، ويروى : فأوطده .

وقوله عز وجل : « انها عليهم مُؤصدة » وقرىء (مُوْصَدَةٌ) بغير همزة .

قال ابو عبيدة فى المجاز ج ٢ ص ٢٩٩ : آصدتُ وأوصدتُ ، اذا اطبقت ، ومعنى موصدة ، اى مطبقة عليهم ، وقال الليث : الاصاد والاصيد هما بمنزلة المطبق يقال اطبق عليهم الاصاد والوصاد والاصيدة والوصيدة كالحظيرة تُتَّخَذُ للمال ، الا انها من الحجارة ، والحَظيرة من الغِصَنَة ، تقول منه : استوصدت فى الجبل اذا اتخذته ، ووَصَد النَسَّاجُ بعض الخيط فى بعض ، ووصّده يعنى أَدْخل اللُّحْمَةَ فى السَدَى ، والوَصَّاد الحائك .

وفى النوادر : وَصَدْتُ بالمكان ، ووَتَدْتُ اذا ثَبتَ ويقال : وَصَد الشىءُ ووَصَبَ اى ثبت ، فهو واصدٌ وواصب ، ووَصَّده اغراه ، والتوصيد التحذير .

قال ابوتراب : ولم يذكر ابو الطيّب فى كتاب الابدال : وَصَـدْتُ بالمكان ووَتَدْتُ أى ثَبَتُّ ، فليُستدرك ، ولاذكر الزَجَّاجُى فى كتاب المعاقبة والنظائر : وَصَدَ الشىءُ ووَصَبَ أى ثَبَتَ وللالحاق للباحث مجال اذا تَقَصَّى ، وبالله التوفيق .

وفَسرَّ الراغب (الايصادَ) بالأطباق ، والاحكام فى قولـه : « عليهـم نارٌ مُؤْصَدَة ».

وقال ابوعُبيدة فى المجاز ج ١ ص ٣٩٧ « باسط ذراعيه بالوصيد » على الباب ، وبفناء الباب جميعاً لأن الباب يُوصَدُ أى يُغلق والجميع وصائد ، ووُصُد ، و « نار مؤصدة » مُطْبَقَة ، آصدتُ ، وأوصدتُ ، وهو أطبقتُ .

وقال ابن قُتيبة فى الغريب (ص ٥٢٩) : « نار مؤصدة » مُغْلقة .

وقال الفراء فى المعانى ج ٣ ص ٢٦٦ الموصدة تهمز ولا تهمز وهى المطبقة وقال فى ص ٢٦٤ : والوصيد الفناء ويقال عتبة الباب ، وهذا اعجب الى لأنهم

يقولون : اوصد بابك اى اغلقه ومنه : « انها عليها مؤصدة » اى مطبقة مغلقة واصله ان تلصق الباب بالعتبة اذا اغلقته

ومما يوضح هذا انك إنْ جعلت الكلب بالفناء كان خارجاً من الكهف ، وان جعلته بعتبه الباب امكن ان يكون داخل الكهف ، والكهف وإن لم يكن له باب وعتبة فانما اراد ان الكلب منه بموضع العتبة من البيت فاستعير على ما اعلمتك من مذاهب العرب فى كتاب المُشْكِلِ (انظر ص ١٠٢) وقد يكون الوصيد الباب نفسه فهو على هذا كانه قال وكلبهم باسط ذراعيه بالباب قال الشاعر :

قال ابوتراب : هو عبيد بن وهب العبسى كما فى سيرة ابن هشام ، والبيت الشاهد الآتى اورده القرطبى وابو حيان غير منسوب .

بأرض فضـــاء لايُسَــدُّ وصيدُها عليّ ومعــروفى بهـــا غـــير مُنْكرِ

وقال القرطبى : « مؤصدة » قيل : مُبْهَمةٌ ، لا يُدْرَى ما داخلها وأهل اللغة يقولون : أوصدتُ البابَ ، وآصدته ، أى أغلقتهُ .

فَمْن قال : أوصدته فالاسمُ الوِصاد ، ومن قال : آصدتُه فالاسم الإصاد .

وفى تفسير الفخر : قال مقاتل : « عليهم نار مؤصدة » يعنى أبوابها مُطْبَقة ، فلا يُفتح لهم بابُ ، ولا يخُرج منها غَمّ ، ولايدخُل فيها رَوْح أبَدَ الآباد ، وقيل : المرادُ إحاطة النيران بهم كقوله : « أحاط بهم سرُادقُها» والمُؤْصَدَة هى الأبواب ، وقد جَرَتْ صفةً للنارِ على تقدير : عليهم نارُ مؤصدةُ الأبواب .

وقال الطبرى : معنى الآية : والذين كفروا بأدلتنا وأعلامنا وحُجَجنا من الكتب والرسل وغير ذلك هم أصحاب المَشْأَمة أى أصحاب الشمال يوم القيامة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال عليهم نار جهنم يومَ القيامة مُطْبَقَة .

وقال قتادة : نار مُطْبَقَة أطبقها الله عليهم ، فلا ضوء فيها ولا فَرَجَ ولا خروجَ منها آخر الأبد وقال الضحاك : هى مُغْلَقة عليهم ، وأصحابُ المَشْأمِة هم

أهل النار . يؤخذُ بهم ذات الشمال اليها والعربُ تسمّى اليد اليُسرْى الشُؤْمَي ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

فَأنحى على شُؤْمَي يَديْه فذَادَها بِأَظْمَأَ من فرع الذُؤابة أَسْحَما

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « فان استكبروا فالذين عند ربّك يُسَبّحون له بالليل والنهار وهم لايَسْأَمون » ؟ قال : (لايَسْأَمُون) أى لاَيفتُرونَ ، ولا يملون ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعَت قول الشاعر :

من الخوفِ لاذو سَأْمَةَ من عبادة ولا هو من طول التَعَبُد يَجْهَدُ

قال ابو تراب : السَأمة فى هذا البيت معناها المَلَل والسآمةُ مثُلها وهذه المادَة تدل على الضَجر ، والعجبُ أن ابن فارس لم يَعْقد لها باباً فى كتاب مَقاييس اللغة .

وذكر الزمخشرى فى أساس البلاغة من محاوراتهم : فلان يغضب غَضَبَ سَؤُوم ، ويَقْضى قَضاءَ سَدوم .

قال ابو تراب : سَدوم هى قرية قوم النبى لوطٍ عليه السلام ويقال : سَذُوم ومعنى الآية كما ذكر الطبرى : فان استكبر يامحمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركى قريش وتَعَظَّمُوا عن أن يسجدوا لله الذى خلقهم وخلق الشمس والقمر فان الملائكة الذين عند ربك لايستكبرون عن ذلك ، ولايَتَعَظَّمُون عنه ، بل يُسبّحون لهُ ، ويصلّون ليلاً ونهاراً ، وهم « لايسأمون » أى لايَفْتُرون عن عبادته ، ولايَمَلُّون الصلاة له .

قال ابو تراب : وللسأم شاهد آخر من قول زهير بن أبى سُلْمى استشهد به القرطبيُّ وهو قوله :

سَئِمْتُ تكاليف الحياة ومَنْ يَعشْ ثمانين حولا لا أبالكِ يَسْأمِ

وفى الكشّاف : « فان استكبروا » ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبَوْا إلا الواسطةَ فدَعْهم وشأنَهم فان الله عز سلطانه لايَعْدَمُ عابداً ولا ساجداً بالاخلاص وله العبادُ المقربون الذين يُنزّهونه بالليل والنهار عن الأنداد ، وقوله (عند ربك) عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة .

قال ابو تراب : ووَرَد لفظ السأم فى حديث عائشة رضى الله عنها ان اليهود دخلوا على النبى ﷺ فقالوا : السَّامُ عليك فقالت : عليكم السَّأمُ والذأمُ واللعنة .

قال ابن الأثير فى النهاية فى غريب الحديث : هكذا جاء فى رواية مهموزاً من السأم ، ومعناه : أنكم تَسْأمُون دينكم ، والمشهور فيه ترك الهمز ، ويَعْنُونَ بالسام الموت .

وفى حديث الدعاء والتوبة كلما أذنب العبد : (إن الله لايَسْأم حتى تسأموا) يقول لملائكته : أعَلِمَ عبدى أنَّ له رباً يأخذ بالذنب ويقبل التوبَ اعلموا أنى غفرت له ، وفى رواية : ان الله لايملُ حتى تملُّوا .

وفى حديث أُمِ زَرْع : زوجى كَلَيلِ تهامة ، لاقُرٌ ولا سآمة أى أنه طَلْقٌ معتدل فى خُلُوه من أنواع الأذى والمكروه ، فلا يَضْجَرُ منّي فيمل صحبتى ..

وقال الراغب فى المفردات : السَّآمة المَلالةُ مما يكثُر لُبْثُهُ فعلا كان أو انفعالا .

قال الله تعالى : « لايَسْأَمُ الانسان من دعاء الخير وإن مَسَّه الشرُّ فيؤوس قنوط »

وفى كتاب الأفعال لابن القطّاع : سَئِم الشىء سآماً أى مَلَّه .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وأَرْسَلَ عليهم طيراً أبابيلَ » ؟ قال : ذاهبة وجائيةً ، تنقل الحجارة بمناقيرها وأرْجُلها ، فتُبلْبِلُ عليهم فوق رؤوسهم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

وبالفوارسِ من ورقاءَ قد علموا   أحلاسِ خيلٍ على جُرْد أبابيلِ

قال ابو تراب : ذكر أبو عُبيدة فى كتاب المجاز ج ٢ ص ٣١٢ : « طيراً أبابيل » أي جماعاتٍ فى تفرقة ، جاءت الطير أبابيلَ من هاهنا وهاهنا قال : ولم نر أحداً يجعل لها واحداً .

وقال الزمخشرى : « أبابيل ، حَزائق ، الواحدة إبَّالَة » وفى أمثالهم : ضِغْثٌ على إبّالة ، وهى الحُزْمة الكبيرة ، شُبّهتِ الحِزْقةُ من الطير فى تَضَامّها بالابالة .

قال ابو تراب : ذكر ابن دريد الأبابيلَ فى الجمهرة فى باب ماجاء على لفظ الجمع ولا واحد له ، ونقله السيوطى فى المُزهر . وذكر عن أبى جعفر الرُؤاسِي أن واحدها إبّولٌ على وزن عِجَّول ، ونقل عنه الطبرى انه قال : واحدها إبَّالَةٌ ، وعن الكسائى انه سمع أن واحدها إبّيلٌ .

وقال الفرّاء فى المعانى ج ٣ ص ٢٩٢ : إنه لم يسمع فى توحيدها شيئاً مثل الشماميط والعباديد والشعارير كل هذا لا يفرد له واحد ، وزعم لى الرؤاسى وكان ثقة مأمونا انه سمع واحدها إبالة ولقد سمعت من العرب من يقول : ضغث على إبّالة يريدون : خصب على خصب وأما الايبالة فهى الفضلة تكون على حمل الحمار أو البعير من العلف فهو مثل الخصب على الخصب وحمل فوق حمل فلو قال قائل واحد الابابيل إيبالة كان صوابا كما قالوا دينار ودنانير وقد قال بعض النحويين وهو الكسائى كنت اسمع النحويين يقولون : أبوك مثل العِجّول والعجاجيل .

قال النحّاس : هذه الأقوال متفقة والحقيقة أنها جماعات عظام .

قال ابن جرير : وأرسل عليهم ربك طيراً متفرقة يتبع بعضها بعضاً من نواح شتى وهى جمع لا واحد لها واختلفوا فى صفتها .

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ٥٣٩ : (أبابيلَ) يعنى جماعاتٍ متفرقة .

وقال الراغب فى المفردات : أى قطعاتٍ متفرقة كالابل .

وقال ابن سيْدَهْ فى المُحْكم : الابَيْلُ ، والإبَّول ، والابَّالة القطعة من الطير ، والخيل ، والابل ، قال الشاعر :

(أَبَابيلُ هَلْطَى من مُراحٍ ومهُمَلِ)

قال ابو تراب : الهَلْطَي هى المسترخية البطون ، والأبابيل فى البيت الذى أنشده ابن عباس وصَفَ بها الخيل ، لأنها تقع صفةً عليها كما تقع على الابل .

قال الأخفش : يقال : جاءت إبلكُ أبابيلَ أى فرقاً وقال الشاعر :

كادتْ تُهدُّ من الأصوات راحلتى ... إذْ سالتِ الأرض بالجُرد الأبابيل

قال ابو تراب : وهذا البيت فى السيرة فى قصة تعقُب رسول الله ﷺ أبا سفيان بعد وقعة أُحُد حتى بلغ حمراء الأسَد وهو من شعر معبد بن أبى معبد الخزاعى انظر السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٩٩ .

وفى تهذيب اللغة للأزهرى : لو قيل : واحد الأبابيل إبْالة كان صواباً ، كما قالوا : دينار ودنانير . وقال الزجاج فى قوله تعالى : « طيراً أبابيل » أى جماعات من ههنا ، وجماعات من ههنا وقيل : يَتْبع بعضها بعضاً قطيعاً خَلْفَ قطيع ، إبّيلا إبيلا .

وقال الجوهرى فى الصحاح : لم أجد العربَ تعرف له واحداً .

وفى لسان العرب : الابَّوْلُ طائر ينفَردُ من الرَّفَ وهو السطر من الطير ، ذكره ابن الأعرابى .

قال ابو تراب : ومن شواهد ذلك قول رؤبة :

ولعبتْ طير بهم أبابيلْ ... فصُيِّروا مَثَلا كعَصْفٍ مأكولْ

وفى تفسير الثعلبى لامرىء القيس - وليس فى ديوانه -

تراهم الى الداعى سراعاً كأنهم أبابيلُ طير تحت دَجْنٍ مُسَخَّرِ

وقال الأعشى :

طريقٌ وجُبَّارٌ رُواءٌ أصوله عليه أبابيل من الطير تَنْعَبُ

قال ابو تراب : الجُبار النخلة الباسقة والبيت ذكره القرطبى ، والدَّجْنُ السحابُ وتَنْعَبُ أى تَنْعَقُ .

وفى اللسان : قيل : إبَّالة وأبَابيلُ ، وإبَالة - أى بالتخفيف . وقيل : إبَّوْلٌ وأبابيلُ مثل عجَّوْل وعجاجيل ، ولم يقل أحد منهم إبّيْلٌ على فعّيل لواحد أبابيل . وقال الأخفش : أبابيل فى معنى التكثير وهو من الجمع الذى لا واحد له .

وشاهد الابالة مخفّفا من الابّالة قول أسْماء بن خارجة :

لِيَ كلَّ يومٍ من ذُؤَالَهْ ضغثٌ يزيد على إبَالهْ
فَلأحشأنَّكَ مِشْقَصاً أوْساً أُوَيسُ من الهبالهْ

وكانوا يُسَمون عيسى عليه السلام أبْيلَ الأبِيلْيْنَ ، والأبيلُ هو الراهب سُمَى به لتأبُّله عن النساء ، وتنسكه .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « واَقتلوهم حيث ثقفتموهم » ؟ قال حيث وجدتموهم قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أمَا سمعت قول حَسان :

فامَّا تَثْقفنَّ بَني لُؤَيَّ جَذيمةَ إنَّ قتْلهم دواء

قال ابو تراب : ورواية الديوان (ص ٩) : (شِفاءُ) بدل : (دواءُ) والثاء والقاف والفاء تدل على إقامة دَرء الشيء كما فى المقاييس . يقال : ثَقَفْتُ القناةَ اذا أقمت عَوجَها ، قال :

نَظَرَ المُثقّف فى كُعوب قناته حتى يُقيم ثقافه مُنْآدها

وثقفْتُ هذا الكلام من فلان ، ورَجُل ثَقِف لقف ، وذلك أن يُصيب عِلْمَ مايسمعه على استواء ، ويقال : ثَقفْتُ به اذا ظفرتَ به ، قال :

فامّا تَثْقَفُوني فاقتلوني وإن أُثْقَفْ فسوفَ تَرَونَ بَالِى

قال ابن فارس : فانْ قيل : فما وَجْهُ قُرْب هذا من الأوَّل ؟ قيل له أليس اذا ثَقفه فقد أمْسَكه ، وكذلك الظافر بالشيء يُمسكُه فالقياس بأخذهما مأخذاً واحداً .

وفى لسان العرب : ثَقِفَ الرجلَ : ظَفِر به ، وثَقفتُه ثَقْفاً مثال : بلعتُه بَلْعاً ، أى صادفتُه ، وثَقفْنا فلانا فى موضع كذا ، أى أخذناه ، ومصدره الثقْف ، وفى التنزيل : « واقتلوهم حيث ثَقفْتُموهم ».

وفى مُستدرك تاج العروس . الثقاف والثقافة العمل بالسيف يقال : فلان من أهل المثاقفة ، وهو مُثاقِف حسن الثِقافة بالسيف قال :

وكأنَ لَمعَ بروقها فى الجَوّ أسيافُ المُثاقِفْ

والثقاف ماتُسَوى به الرماح ، ومنه قول عمرو :

اذا عَضَّ الثقافُ بها اشْمأزَتْ تَشُجُ قَفَا المُثَقّف والجبينَا

وثقيف ابو قبيلة من هوازن قال ابو ذُوَيْب :

تُؤَمّلُ أن تُلاقى أُمَ وَهْب مُحَلّفَةً اذا اجتمعتْ ثَقيفُ

وفى حديث الهجرة : وهو غلام ثَقِف لَقِنٌ ، أى ذو فِطْنةٍ وذكاء ، والمُرادُ انه ثابت المعرفة بما يحتاج اليه . وفى حديث أم حكيم بنت عبد المطلب : إنى حَصَانٌ فما أُكلَّم ، وثَقَافٌ فما أُعلَّمُ وفى حديث عائشة تَصِفُ أباها وأقام أَوَده بِثقِافِه ، الثِقَاف ماتُقَوم به الرِماحُ تُريد انه سَوّي عَوَجَ المسلمين .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ١ ص ٢٤٨) : « فامّا تَثْقفَنَّهم فى الحرب » مجازُه مجازُ : فانْ تَثْقَفَنَّهم « فَشَرِّدْ بهم مَنْ خَلْفَهم» مجازه فَأَخِفْ واطْرُدْ بهؤلاء الذين تَثْقَفَنَّهم الذين بعدهم ، وفَرِّقْ بينهم .

وفى غريب ابن قتيبة ص ٧٦ : حيث وجدتموهم ..

وفى تفسير ابن جرير : (ج ٣ ص ٥٦٤ ط المعارف) فى قوله تعالى : (واقتلوهم حيث ثَقِفْتُموهم » يعنى تعالى ذكرُه بذلك : واقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين حيث أصبْتم مَقَاتلهم ، وأمكنكم قَتْلُهم وذلك هو معنى قوله : (حيث ثَقِفْتموهم) ومعنى الثِقفة بالامر : الحِذْقُ به والبَصرَ يقال : انه لثَقِف لقف اذا كان جَيِّد الحَذَر فى القتال بصيراً بمواقع القَتْل ، وأمَّا التثقيفُ فمعنى غيرُ هذا وهو التقويم فمعنى واقتلوهم حيث ثَقِفْتُموهم : اقتلوهم فى أى مكان تَمَكَّنْتُم من قَتْلِهِم وأبصرتم مقاتِلهم .

قال ابو تراب : وفى هذا مبحث قَتْل الأسير وليس هذا موضع ذكره وانما موضعه مجال الفقه والمذاهب .

قال الراغب فى مفردات القرآن : الثَقْفُ الحِذْقُ فى إدراك الشيء ، وفِعْلِهِ ، ومنه استُعير المثاقفة ، ورُمحٌ مُثقف أى مُقَوّمٌ ، وما يَثقُفُ به الثقافُ ، ويقال : ثَقِفْتُ كذا : اذا أدركته ببصرك لِحِذْق فى النظر ، ثم يُتَجوّزُ به ، فيُسْتَعْمَلُ فى الادراك وإن لم تكنْ معه ثَقَافَة قال الله تعالى : (واقتلوهم حيث ثَقِفْتُموهم) وقال عز وجل :

«فاما تَثقَفَنهم فى الحرب) وقال عز وجل : (مَلْعُونين أُينما ثُقفُوا أُخذُوا وقُتلَوا تقتيلا .

وفى كتاب الوجوه والنظائر للفقيه الدامغانى : (ص ٩٢) : أن الثَقْفَ فى القرآن على ثلاثة أوجه ، فوجه منها (ثُقفوا) بمعنى وجدوا فى قوله تعالى : (ضرُبتْ عليهم الذلة أينما ثُقفوا) أى الجِزْيةُ أينما وجدوا (إلا بحبل من الله وحبْل من الناس) أى لايقدرون أن يقوموا مع المؤمنين الاّ بحبل من الله وهو حبل

الايمان ، كقوله تعالى فى سورة البقرة : (واقتلوهم حيث ثَقِفْتموهم) أى وجدتموهم .

والثانى : (يثقفوكم) أى يغلبوكم ، فى قوله تعالى : (إنْ يثْقفُوكم) أى يغلبوكم (يكونوا لكم اعداء) أى فى القتل .

والثالث : ثَقِفَ أسَرَ كما فى قوله تعالى : (فامّا تَثْقَفَنَّهم فى الحرب) يعنى بنى قُريظة (فشرِّد بهم مَنْ خَلْفَهم) يعنى من وراءهم .

قال ابو تراب : ولم يذكر هذا ابن الجوزى فى نزهة الاعين والنواظر ..

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (فأثَرنَ به نَقْعاً) ؟ قال : النَقْع مايَسَطَعُ من حوافر الخيل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول حَسَّان :

عَدِمنا خَيْلنا إنْ لم تروها تُثير النَقْع موعدها كَداءُ

قال ابو تراب : البيت فى الديوان (ص ٤) واستشهد به الشوكانى فى فتح القدير .

والنقع يدل على استقرار الشىء كالمائع فى قراره ، وعلى صوت من الأصوات فهما الأصلان الصحيحان اللذان أشار اليهما ابن فارس فى المقاييس قال :

فالأول : نَقَع الماءُ فى مَنْقَعِه : استَقَرَّ ، واستَنْقَع الشىء فى الماء ، والنَّقوع ما نُقِعَ فى الماء كدواء أو نبيذ والمِنْقع ذلك الاناء كالقُديرة للصَبى يُطرح فيه اللبنُ ويُطعمهُ ويقال له : مِنِقَعُ البُرم ويكون من حجارة ، والنَّقيع شراب يُتخذ من زبيب كأنَّ الزبيب يُنْقع له والنَّقيع الحْوضُ يُنْقَعُ فيه التمر ، والنقيع والنقعُ الماء الناقع وماء ناقع كالنَّاجع كأنه استَقَر قرارَهُ ، فكَسرَ الغُلَّةَ ، وكذلك النَّقوعُ والنقيع البئر الكثيرة الماء .

ونَقْع البئر الذى جاء فى الحديث : ماؤها ، كأنه كان قراراً له والانقوعة وقْبَةُ الثريد ، وقولهم : « هو شرَّاب بأنْقُع» أى معاود للأمر مرةً بعد مرة ، كذا يقولون ، ووجهه عندنا ان الطائر الحَذِرَ لايرد المشارع حَذَراً على نفسه ، لكنّه يأتى المناقع ، يَشرَبُ لِيسْلَمَ ، وكذلك الرجل الكَيِّس الحذِر لاَ يتقَحَّم الامواضع السلامة من أموره .

والنقيعة المحْضُ من اللبن .

فأما النُقَيعة فقال قوم : مايُحْرَزُ من النَّهْبِ قبل القسم قال الشاعر :

أنّا لنضرْب بالسُيوف رؤوسهَم   ضَرْبَ القُدار نَقيعَة القُدامِ

ويقال : بَلِ النَّقيعة ، الطَّعامُ يتخذ للقادم من السفر كأنه اذا أُعد له فقد نُقعَ أى أُقر قال ابن فارس : وهذان الوجهان أحسن ماقيل فى ذلك ، لأنهما أَقْيسُ ، ويقولون : النَقيعة الجزُور تُنقَع عن عدةِ إبل ، كالفَرَعة تُذْبحُ عن غَنَمٍ .

قال : وأما الأصل الآخر فالنقيع الصرُاخ وهو النَّقْع ايضاً ، ونقع الصوتُ ارْتَفع قال :

فمتى ينْقَعْ صرُاخٌ صادقاً   يحْلبُوها ذاتَ جَرْس وزَجَلْ

ويقال : النَّقْع صوتُ النعامة ، والنَقَّاعَ الرجلُ يَتَكَثَّر بما ليس عنده كأنه يَصيح به ، وأمَّا قولهم : انْتُقَع لونُه ، فهو من الابدال ، والأصل : (امتُقِعَ) .

قال ابو تراب : وليس هذا فى كتاب الواحدى فليُستدرك وبالله تعالى المعُونة .

والنقع رفع الصوت ، وبه فُسر قول عمر بن الخطاب حين قيل : إنَ النساء قد اجتمعن يبكين على خالد بن الوليد فقال وما على نساءِ بنى المُغيرة أن يَسفكْن من دموعهن على أبى سليمانَ وهن جُلوس مالم يكن نَقْعٌ ولا لَقْلَقة وقيل : عَنَى بالنَّقْع أصواتَ الخُدود اذا لُطِمتْ .

وقيل : النَّقْع شَقُ الجَيْب ، شاهدُه قولُ المُرار بن سعيد :

نَقَعْــنَ جُيوبَهــن علىَ حَياً وأعْــدَدْن المراثــى والعويلا

ويُروى (نَزَفْن دموعهنَ) قال الزبيدى فى التاج : وهذه الرواية أكثر وأشهر وبه فُسر ايضاً قول سيدنا عُمر السابق .

والنَّقْع الغُبار السَاطعُ المرتفع قال الله تعالى : « فأَثرن به نقْعاً» وأنشد الليث للشُويعر :

فَهُــنَّ بهــم ضَوامٍ فى عجاج يُثــرن النَقْــع أمثــال السرِاجِ

والجمع نقاع ونُقوع ، كحبل وحبال وبَدْر وبدور . قال القَطامُي يصفُ مهاة سُبُعَ وَلَدها :

فسَاقَتْــه قليــلا ثم وَلتْ لهــا لَهَــبُ تُثْــيرُ به النقَّاعاَ

وقال المُرار بن سعيد :

فما فاجأنهَــم الا قريباً يُثــرْن وقــد غشِينَهــم النَقوعاَ

قال ابو عبيدة فى المجاز ٣٠٧/٢ « فأثرن به نقعاً » فرفعن به غباراً ، النقع الغبار .

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ٥٣٦ النقع الغبار ، ويقال : التراب ، ومثله قال الفراء .

قال ابو تراب : وكلا القولين أوردهما الطبرى عن قتادة وعكرمة والاول عن عطاء وابن زيد وقال الفراء فى المعانى ج ٣ ص ٢٨٤ : « فأثــرن به » يريد بالوادى ولم يذكره قبل ذلك وهو جائز لأن الغبار لا يثار الا من موضع وان لم يذكر واذا عرف اسم الشيء كُنىِ عنه وان لم يجر له ذكر ..

والنقع موضع قُرب مكة فى جَنَبات الطائف وفيه يقول العَرْجُى :

لِحَيْنــى والبــلاء لَقيتُ ظُهراً بأعْلى النَقْــع أُخــتَ بنــى تميم

وسُم ناقع ، أى بالغ ثابت مُجتمع ، قال النابغة الذبيانى :

فَبِــتُ كأنــىَ ساورتْنــى ضئيلةٌ   من الـرُقش فى أنيابهـا السُـمُّ ناقعُ

ونقاعة كل شيء : الماء الذى ينقع فيه كنقاعة الحناء كما قال ابن دُريد

ومنه الحديث فى صفة بئر ذروان التى سَحَرتْ فيها اليهود رسول الله ﷺ وكأنَ ماءَها نقاعة الحنَاء ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين ، وقال الشاعر :

به من نَضَـاح الشَـــول رَدْعٌ كأنّه   نُقَاعــة حنّــاء بمــاء الصَّنَوبَر

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (فى سواء الجحيم) قال : فى وَسْطِ الجحيم ، قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول الشاعر :

رَمَاهَا بِسَهْـمٍ فاسْتَـوى فى سَوائِها   وكان قبـولا للهـوَى ذى الطَّوارقِ

قال فؤاد عبد الباقى فى معجم غريب القرآن إنه فى النسخـة المخطوطـة (للهوادى) والمطبوعة الأخرى (للهواذى) قلتُ : وكله خلطٌ وتصحيف .

وفى كتاب الوجوه والنظائر للفقيه الدَّامغانى : سواء : عَدْلٌ وَسْطٌ أمْر بَين ، شَرَعُ وتَساوٍ قَصْد ، سواء بعينه ، فوجه منها (سواءٍ) يعنى عَدْلاً قال تعـالى : (يا أهل الكتاب تَعَالَوا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم) يعنى عَدْلاً كقوله تعالى : (واهدِنَا الى سواء الصراط) يعنى عَدْل الطريق كقوله تعالى : « سَواءً للسائلين » يعنى عَدْلاً عن طلب الرزق .

والثانى : « سَواءٍ » يعنى وَسْطاً ، فى قوله تعالى : « فاطَّلـع فرآه فى سواء الجحيم يعنى فى وَسْطِ الجحيم .

والثالث : « سواءٍ » يعنى أمراً بيّناً ، فى قوله تعالى : (فَانْبذ اليهم على سواء) يعنى على أمْرٍ بَينٍ كقوله تعالى : (فقل آذنتكم على سواء) يعنى امراً بيّناً .

والرابع : « سواءُ » يعنى شرَعاً فى قوله تعالى : (سواء العاكفُ فيه والبادِ) وقوله تعالى : (وَدُّوالو تكفرون كما كفروا فتكونون سَواء) يعنى شرَعاً وقوله تعالى : (فما الذين فُضلوا برادّي رزقهم على ماملكُت أيمانُهم فهم فيه سَواء) يعنى شرَعاً متساوين .

والخامس : « سواءٍ » يعنى قصد السبيل فى قوله تعالى : (وضَلوا عن سواء السبيل) يعنى قَصْدَ الطريق .

والسادس : « سواءُ » بعينه أى (يستوى) فى قوله تعالى : (سواءُ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنْذِرْهم) .

وقد مر هذا فى قوله : « الى كلمة سواء » من قبل وذكر ذلك ابن الجوزى فى نزهة الأعين ج١ ص ١٣٨ .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة ج٢ ص ١٧٠ قال سمعت عيسى بن عمر يقول : كنت وأنا شاب أقعد بالليل فأكتب حتى ينقطع سوائى أى وسطى .

قال ابن قتيبة فى الغريب ص ٣٧١ وتأويل المشكل ص ٣٩٧ سواء الجحيم وسطها .

وقال ابن فارس فى المقاييس : السين والواو والياء أصل يدلُّ على استقامة واعتدال بين شيئين ، يقال : هذا لايُساوى كذا ، أى لايُعادله وفلان على سَوية من الأمر أى سَواء ، ومكان سُوى ، أى مَعْلَم ، قد علِمَ القومُ الدخولَ فيه والخروجَ منه ، ويُقال : أسْوَي الرجلُ اذا كان خَلَفُه وولَدُهُ سَوياً .

وعن الكسائى قال : يقال : كيف أمسيتم ؟ فيقال : مُسْتوونَ صالحون ، يريدون : أولادنا وماشيتنا سوية صالحة .

ومن الباب : السِّي : الفضاءُ من الأرض فى قوله :

كأنَّ نَعـــامَ السِّى باض عليهِمُ   فأحداقُهـــم تحـــت الحَديـــد خَوازِرُ

قال ابو تراب : وهذا البيت لزيد الخيل كما فى حيوان الجاحظ (ج ٤ ص ٣٣٩) والشعر والشعراء فى اثناء ترجمة الأعشى ، ونقد الشعر (ص ٣٩) وروى ايضاً من قصيدة لمُعقَّر البارقى فى الأغانى (ج ١٠ ص ٤٤)

قال ابن فارس : والسِّى المِثْلُ ، وقولُهم سِيَّانِ أى مثْلان ، ومن ذلك قولهم : لاسِيما أى لامِثْل ما ، كما يقال : ولا سواء ، وهو من السين والواو والياء ، والدليل على ان السِّي المْثلُ قولُ الحُطَيْئة :

فاياكم وحَيَّةَ بَطْـــنِ وادٍ   هَمُـــوزِ النـــاب ليس لكم بِسِّى

قال ابو تراب : وهو فى الديوان (ص ٦٩) ولسان العرب .

قال ابن فارس : وأمَّا قولهم : هذا سِوَى ذلك ، أى غَيرهُ فهو من الباب ، لانه اذا كان سواهُ فهما كل واحد منهما فى حَيزه على سَواء والدليل على ذلك مَدُّهم السِواء بمعنى سِوَى قال الأعشى :

تَجَـــانَفُ عن جُلِ اليمامِـــة ناقتى   وماعَدَلَـــتْ عن أهْلهـــا لسوائكا

ويقال : قصدتُ سِوى فُلانٍ ، كما يقال : قصدتُ قَصْدَهُ وأنشد الفراء :

فَلأصرِفَـنَّ سوى حُذيفَـــة مِدْحَتى   لِفَتـــى العشّي وفـــارس الأجرافِ

وقد ذكر عبد السلام بن هارون.فى حاشية المقاييس : أن هذا البيت من فَائية فى الأغانى منسوبة الى رجل من بنى الحارث بن الخزرج ، أو الى حَسَّان بن ثابت ، وفى اللسان (ج١٩ ص ١٤٣) (فارس الأحزاب) بدلا من (فارس الأجراف) وأشار اليه فى التنبيه البكرى (ص ٦٧)

ومن شواهد سواء الشىء أيْ مُثله ما أنشد اللحْيانُي .

ترى القــومَ أسـواءً اذا جلسُـوا معاً   وفى القوم زَيْف مثل زيف الدراهم

وأنشد ابن برى لرافع بن هُريم :

هَلاَّ كوصــل ابــن عَمَّارٍ تُواصلُنى ليس الرجــالُ وإنْ سُوُّوا بأسْواءِ

وقال الآخر :

(الناس أسواء وشَتَّى فى الشّيَمْ)

وقال جران العود فى صفة النساء :

ولَســن بأســواءٍ فمنهــن روضة تهيــج الريــاحُ غيرهــا لاتُصَوحُ

وقال ابو عمرو : هم سَواسِيَة اذا استووا فى اللؤم والخسة والشر وأنشد .

وكيف تُرجَيهــا وقــد حال دونها سَواسِيــة لاتغفــرون لهــا ذَنْبا

قال ابو تراب : وشواهد هذا الباب كثيرة نستوفيها عند ايراد هذه المادة فيما يأتى واما الآن فنحن بصدد مسائل نافع بن الأزرق وحسبنا هذا التعليق هنا .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (فِي سِدْرٍ مَخْضُود) ؟ قال : الذى ليس له شَوك . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم . أمَا سمعت قول أمية بن ابى الصَّلتِ :

إن الحدائــق فى الجِنــانِ ظليلةٌ فيهــا الكَواعــبُ سِدْرُهــا مخضودُ

قال ابو تراب : البيت فى الديوان (ص ٢٦) واستشهد به ابو حيّان ، (ج ٨ ص ٢٠٨) والقرطبى (ج ١٧ ص ٢٠٧) والشوكانى (ج ٥ ص ١٥٢) وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ٢ ص ٢٥٠) : (سِدْر مخضودٍ) لاشوك فيه . ومثلـه فى غريب ابن قتيبة ص ٤٤٧ ومعانى الفراء ج٣ ص ١٢٤ .

وفى المفردات للراغب (ص ١٤٩) (فى سِدْر مخضود) مكسور الشوك . يقال : خَضَدْته فانْخَضَـد فهـو مَخْضُـودٌ ، وخَضِيْدٌ . والخضـد المَخْضُـودُ كالنَقْض ِ فى المنقوض . ومنه استُعير خَضَد عُنُقَ البَعير . أى كَسرَ .

وفى المقاييس لابن فارس (ج ٢ ص ١٩٤) : الخاء والضاد والدال أصْلُ واحد مُطَّرِدْ ، وهو يدلُ على تَثَنّ فى شىء لَيِنّ . يقال : انْخَضَد العُودُ انْخضَاداً ، اذا تَثنىَّ من غيرِ كَسرٍ ، وخَضَدْته ثَنَيته وربما زادوا فى المعنى فقالوا خَضَدْت الشجرة اذا كَسرَتَ شوكتها ونبات خضيد والأصل هو الأول ، لأن الخضيد هو الرَيان الناعمُ الذى يَتَثَنى للينه فأما قول النابغة :

يمُدّه كلُّ وادٍ مُتْرَعٍ لجَبٍ فيه رُكام مِنَ الينَبُوتِ والخَضَدِ

فانه يقال : الخَضَد ماقُطِع من كلّ عودٍ رطْب ، ويقال : خَضَدَ البعيرُ عنقَ البعير اذا تَقَاتَلا ، فثَنَى أحدُهما عُنُقَ الآخر .

وقول النابغة فى ديوانه (ص ٢٦) ولسانِ العرب ، قال : والخَضَد وجع يُصيب الانسانَ فى أعضائه لايَبْلُغ أن يكون كَسراً ، قال الكُمَيْتُ :

حتى غدا ورُضابُ الماءِ يَتْبعُه طَيَّانَ لاسَأْم فيه ولا خَضَدُ

قال الليثُ : والفَحْلُ يَخْضِد عُنُقَ البعير اذا قاتله ، قال رُؤْبَة :

(ولَفْتَ كَسَّارٍ لهن خَضَّادْ)

والخَضْدُ الأكل الشديد قال امرؤ القيس :

ويَخضِدُ فى الآرِيَ حتى كأنَّما به عُرَّة أوطائفُ غيرُ مُعْقب

وخَضَد الفرسُ خَضْداً أكلَ ، قال :

أوَيْنَ الى ملاطِفَةٍ خَفُودٍ لِمأكَلِهنَ طَفْطَافَ الرُّبُولِ

وفى تعليق المجمع اللغوى على اللسان : أورده ابن منظور شاهداً (على) الخَضْد بمعنى الخَضْمِ الذى هو الأكل بملء الفم أو نحوه ولم يذكر الصحاح ولا شرحُ القاموسِ ولاغيرهما شاهد الخَضْد بهذا المعنى بل الشاعر يصف قَطَاةً تَكْسرِ لأولادِها أطراف الشجر كما نَبَّه عليه الصحاح فى غير موضع ، والمناسبُ أن يكون شاهِدَ الخَضْدِ بمعنى كَسرَ .

قال فى اللسان : والخَضَد القَطْع وكذلك التخضيد قال طرفة :

كأنَّ البُرِينَ والدَّماليجَ عُلِّقتْ على عُشَرٍ أو خِرْوَعٍ لم يُخَضَّد

والخَضَد كلُ ما قُطع من عُود رَطْب ، قال الشاعر :

أوْجَـرْتُ حُفْرتــه خِرصـاً فمال به كماَ انْثَنى خَضَدٌ من ناعـم الضَّالِ

وفى قول الأحْنَف بن قيس حين ذكر الكوفة وثمار أهلها : تأتيهم ثمارهم لم تُخْضَدْ أراد أنها تأتيهم بطراءتها لم يُصبها ذُبول ولا انعصار لأنها تُحْمَلُ فى الأنهار الجارية فتؤديها اليهم وقيل : صوابُه لم تَخْضَدْ بفتح التاء ـ على أن الفعل لها ، يُقال : خَضِدتَ الثمرة تَخْضَدُ اذا غَبَّت أياماً ، فضَمَرتْ وانزوتْ .

والخَضْد : الأكل الشديد ، وقيل لأعرابى وكان مُعْجباً بالقثاء : مايُعْجبك منه ؟ قال : خَضْدُه ، ورجل مِخْضَد ، وفى الخبر : أن معاوية رأى رجـلا يجُيد الأكل فقال : انه لمخْضَد ، الخَضْد شدة الأكل ، ومِخْضَد مفْعل منه كأنه آلـة للأكل ، ومنه حديث مَسْلَمة بن مَخْلد انه قال لعمرو بن العاص ، إن ابن عمك هذا لَمِخْضَد أى يأكل بجفاء وسرُعة وفى حديث ظَبْيانَ : يُرَشحُون خَضيِدَها أى يُصلِحُونه ويقومون بأمره والخَضيد فعيل بمعنى مفعول وفى اسلام عروة بن مَسْعُود : ثم قالوا : السَفَرُ وخَضْدُهُ أى تَعَبُه وما أصابه من الاعياء وأصل الخَضْد كَسْرُ الشيء اللَيِنَ من غير إبانة له ، وقد يكون بمعنى القَطْع ، ومنه حديث الدعاء : (يُقْطَع به دَابرهم ، ويخُضد به شوكتهم) .

وفى حديث على : حَرامُها عند أقوام بمنزلة السِدر المخضـود الـذى قُطع شوكه .

وفى حديث أمية بن أبى الصلت : بالنعَم محفود وبالذنب مخضود ، يريد به ههنا أنه منقطع الحُجَّة كأنه منكسر .

قال فى الأساس : انخضدت الفواكه وتخضدت : حمُلتْ من موضـع الى موضع فَتَكَسرَتْ ، وقد خَضَدها الحَمْلُ وقيـل لأعرابـى كان يعجبـه القثـاء : مايعجبك منه ؟ قال : خَضْده أى تكسرُه ، ومنه قول صبيان مكة فى ندائهم على القثاء : العَثَرى العَثَرى ، عَثِر فتَكَسر .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى: (وزُروع ونَخْل طَلْعُها هضيم) ؟ قال : مُنْضَمٌ بعضُه الى بَعْض قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول امرىء القيس :

دار لِبَيْضـاء العَـوارضِ طَفْلَة　　مَهْضُومَـةِ الكَشْحَـينْ رَيَّا المِعْصَمِ

قال ابو تراب : هذا البيت ليس فى الديوان .

والهَضْم فى اللغة شَدْخُ مافيه رَخَاوَة يقال : هضمته فانهضم .

قال الراغب : وذلك كالقَصَبة المهضومة التى يُزَمَّر بها ومِزْمار مُهْضَم قال : (ونَخْل طَلْعُها هَضيمْ) أى داخل بعضُه فى بعض كأنما شُدخ .

والهاضوم مايَهْضم الطعام ، وبطْنٌ هضُوم وكَشْحٌ مُهَضَّمٌ ، وامـرأةٌ هَضِيمَـة الكَشْحَين واستعير الهَضْم للظُلم قال تعالى : (فلا يخاف ظُلماً ولا هَضْماً) .

قال ابو تراب : وغَفَل الدَّامَغَانى ولا أوردها ابن الجوزى عن هذه المادّة وسُبحان من لايسْهُو ولايغفل .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ٢ ص ٣١ و ٨٨) : (ولاهَضْماً) أى ولانقيصة قال لبيد :

ومُقَسِـمٌ يعطـى العشـيرةَ حَقَّها　　ومُغَذمِـر لحقوقهـا هَضَّامُها

يقال : هَضَمَنى فلان حَقى ، ومنه هَضْمُ الكَشْح أى ضامرُ البطْن ومنه : (طَلْعُها هَضيم) قد لزق بعضه ببعضٍ وضَمَّ بعضُه بعضاً ، ويقال : هَضَمَنِي طعامى ، ألا ترى أنه قد ذهب وهو فى قول أحْسَنَ : أكيل هَضُومٌ مُطْعَمٍ قد أمْكَنَ أن يؤْكلَ .

(ونَخْل طَلْعُها هَضيم) أى قد ضَمَ بعضَه بعضاً وهى النخل وهو النخل يُذَكَّر وُيؤنثُ وفى آية أخرى (أعجازُ نَخْلٍ مُنْقَعرٌ) .

وفى أساس الزمخشرى : هَضَم الشيء الرِخْو شَدَخه وكَسرَه ، وسقطت الثمرة من الشجرة فَانْهَضَمَتْ ، وتَهَضَّمَتْ ، وهَضَمْتها بيدى ، وقَصَب مهضوم ومُهَضَّم .

غُمِزَ حتى كاد يَنْشرِخُ وقيل : المزمارُ المُهَضَّم ، أكْسار يُضَم بعضها الى بَعْض .

وقال ابن السِكِّيت : هو النَّرْمْ نَايٌ ، قال لبيد :

يُرَجِّـعُ فى الصُّـويَ بِمُهَضَّماتٍ يجُبِّـنَ الصـدرَ من قَصَـبِ العوالى

ونزلنا فى أهضام الوادى : فى بطونه المطمئنّة وفى مثل : (الليلَ وأهضـام الوادى) أى لاتَسرْ فيها لاينلْكَ مكروه ، وتبخَّرْ بالأهضام وهو ضرب من البخور .

ومن المجاز : كشح مهضوم ، ومُهَضَّم ، وهَضيم ، وأَهْضَمُ وفى كشحه هَضَم قال :

(لَفَّاءُ عَجْزاءُ وفى الكَشْح هَضَمْ)

وطَلْعٌ هضيمٌ ، ورأيته متهضما متكسر الوجه من الحزن ، وهضم الهاضـوم الطعام فانهضم وطعامٌ بطىء الهَضْم ، ومَعِدةٌ هَضُومٌ ، ورجل هَضُوم الشتاء ، يكسر فيه ماله وينفقه قال الأعشى :

هَضُـومُ الشِتـاء اذا المُرْضعا تُ جَالَـتْ جَبائـرُ أعضادِها

وقال آخر : (سَمْحاً هَضُوماً فى الشتاء الأَزْوقِ) .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الهاء والضاد والميم أصْلٌ صحيح يدلّ على كَسرْ وضَغْطٍ ، وتداخل ، وهَضَمْتُ الشيء هَضْماً كسرتُه ، والهاضوم الذى يهْضم الطعام ، وأراه مُوَلداً ، وامرأة هَضيمِة الكَشْحَينْ لطَيفتها ، كأنهما ضُغِطا ، والهَضَم انضمام أعْلىَ البَطْن ، وهو فى الخيل عَيْبٌ ، قال الأصمعى : لم يَسْبِقِ الحَلَبَةَ فَرَس أهْضَمُ قَطُّ .

قال الظاهرى ذكره الجاحظ فى الحيوان (ج ١ ص ١٠٤) . والطَّلْع الهَضيم الداخلُ بعضُه فى بعضٍ ، وهَضَمْتُ لك من حَقّى طائفة ، تركتُه ، والمُتَهَضّـم الظالم . والأَهْضَامُ بطون من الأودية سُمّيت بذلك لغموضها ، الواحد هِضْم .

وفى المُجْمَـل لابـن فارس : والأهضـام البخـور ، واحدتُهـا هَضْمَـة قال الأعشى :

وإذَا ما الدُخَـانُ شُبِّـه فى الآ نُف يومـاً بشَقْـوةٍ أهْضاماً

وفى لسان العرب : الهَضَّام المُنْفق لمالِه وهو الهَضُوم ايضاً والجَمْعُ هُضُم ، قال زياد بن مُنْقِذٍ :

ياحَبــذا حــين تُمسى الريــح باردةً وادِىْ أُشَيِّ وفتيانٌ به هُضُمُ

ويد هَضُوم ، تجود بما لديها ، تُلْقيه فما تُبْقيهْ ، قال الأعشى :

فأمــا اذا قَعَــدوا فى النَدِىَ فأحْــلاَمُ عادٍ وأيْدٍ هُضُمْ

وبطن هَضيم ومهضوم وأَهْضم ، قال طرفة :

ولاخــير فيــه غــير أنَّ له غِنى وأنَّ له كَشْحــاً اذا قام أَهْضَماَ

والهَضَم استقامة الضلوع ودخول أعاليها ، وهو من عيوب الخيل التى تكون خِلْقَة قال النابغة الجَعْدىُ :

خِيْطَ على زَفْــرةٍ فتــم ولم يَرْجِــعْ الى دِقــةٍ ولا هَضَمِ

يقول : ان هذا الفرس لِسَعَة جوفه ، وإجْفارِ مَحْزِمه كأنه زَفَرَ فلّما اغْتَرَق نَفَسُه بُنى على ذلك فلزمته تلك الزفرة ، فصِيْغَ عليها لايفارقُها ومثله قول الآخر : (بُنيت مَعَاقمها على مُطَوانها) أى كأنها تمطَّت فلّما تناءت أطرافها ورَحُبتْ شَحْوتُها صِيغَت على ذلك .

قال ابن قتيبة فى الغريب ص ٣١٩: الهضيم : الطلع قبل ان تنشق عنه القشور وتَنْفتح يريد انه منضمّ مكتنز ، ومنه قيل : أهضم الكشحين اذا كان منضمَهما .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) قال : قولا عدلا حقاً ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول حمزة :

أمــين على ما استــودع الله قَلْبه فان قال قولا كان فيــه مُسَددا

قال الراغب : السَّداد والسَّدَد الاستقامة . والسِداد ما يسد به الثلمة والثغر ، واستُعير لما يُسدُّ به الفقر . والسَدُّ والسُدُّ واحد وقيل : بالضم ماكان خِلْقَة ، وبالفتح ماكان صنعة ، وأصل السَّد مصدر سَدَدْته ، قال تعالى : (على أن تجعل بيننا وبينهم سَدًّا) ، وشُبه به الموانُع نحْوُ : (وجعلنا من بين أيديهم سَدًّا ومن خلفهم سَدًّا) والسُدَةُ كالظُلَّة على الباب تقيه من المطر ، وقد يُعبَر بها عن الباب كما قيل : « الفقير الذى لايفتح له سُدَدُ السُلطان » .

قال ابو تراب : ولم يورد الراغب « فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » ولا التى ذكرناها من قبل .

قال ابو تراب : وفات الفقيه الدامغانى وابن الجوزى ذكر هذه المادة فليستدرك ايضاً .

وقال ابن فارس فى المقاييس : السين والدال أصل واحد ، وهو يدلّ على رَدْم شيء وملاءمته من ذلك سَدَدْتُ الثُلْمة سَدًّا ، وكل حاجز بين الشيئين سَدّ ، ومن ذلك السَّديد ذو السَداد ، أى الاستقامة ، كأنه لاثُلْمَةَ فيه ، والصوابُ ايضاً سَداد ، يقال : قلتُ سَداداً ، وسَدده الله عز وجل ، ويقال : أَسَدَّ الرجلُ اذا قال السَّداد . ومن الباب « فيه سِداد من عَوَزٍ » بالكسرة وكذلك سِداد الثُلمة والثَغر ، قال (العَرجْى) .

أضاعونى وأى فَتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِداد ثَغْرِ

والسُدَّةُ كالفناء حول البيت ، واستد الشىء اذا كان ذا سَداد ، ويقال : السُدةُ الباب ، وقال الشاعر :

ترى الوفود قياماً عند سُدَّتِه يَغْشَون باب مَرورٍ غير زَوّارِ

والسُدَادُ داء يأخذ فى الأنف يمنع النَسيم ، والسَّدُّ والسُّدُّ جراد يملأ الأُفُق ، وقولهم : السُدَّةُ البابُ لأنه يُسَدُّ . وفى الحديث فى ذكر الصعاليك : (الشُعُث رؤوساً الذين لايُفتح لهم السُدَدُ) .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ٢ ص ١٤١) : « وقولوا قولا سديداً) : قَصْداً قال أوْسُ بن حَجَر :

وما جَبُنوا انى أسُد عليهم ولكن لَقُوا ناراً تحُسُ وتَسْفَعُ

ويُروى : (ناراً تحُش) تُوقد ، وتَحُسُ تَستأصِلُ ، أسُدُّ : أقول عليهم السَّداد ، يقال : أسْدَدْتُ بالقوم : اذا قلتَ عليهم حقاً وسَدَداً .

قال ابو تراب : وفى مطبوعة المجاز : (ناراً تُحَشُّ) وهو غلط ، والبيت رواه اللسان بلفظ : (أنَا نَسُدُّ عليهمو) .

وفى غريب ابن قتيبة ص ١٢١ : « سديداً » من السداد وهو الصواب والقصد فى القول .

وفى أساس البلاغة للزمخشرى : أتتنا الريح من سَدادِ أرضهم : من قَصْدها ، قال :

اذا الريح جاءتْ من سَدادِ بلادها أتانا بها مِسْك ذكى وعَنْبرُ

وجَراد سُدُ : يَسُدُّ الأفُق من كثرته ، قال العَجاج :

سَيْلُ الجَراد السُدَ يَرتاد الخُضَرْ آواهُ ليلٌ غَرِضاً ثم ابْتكرْ
وفَثأتْ عنه ضُحى الشرّقِ الخَصَرْ فَمدَّ أعرافَ العَجاج وانْتَشَرْ

أى غَرِض بمكانه يريد الانتشار ومع الجراد تَهيج غَبرة اذا طار ، شَبَّه به الجيش .

قال ابو تراب : (غَرِضاً) اى مقيما ، والخَصرَ البَرْدُ وفَثَأتْ أى كَسرَتْ بَرْدَه بالدفء قال الزمخشرى : وهو على سَداد من أمره ، وسَدَدٍ وقلت له سَداداً من القول ، وسَدَداً : صواباً ، قال كعب .

ماذا عليها وماذا كان ينْقُصها يوم التَرحُلِ لو قالت لنا سَدَدا

قال ابو تراب : ونسبه فى اللسان الى الأعشى .

ومن المجاز : فلان برىء من الأسِدَّةِ وهى العيوب ، يقال : مابه سداد أى

عيب يَسُدفاه فلا يتكلم وهو يَسُدُ مَسَدَ أبيه وهم يَسُدُّون مَساداً أسلافهم .

وفى اللسان من شواهد هذه المادة : استدَّ الشيء اذا استقام قال :

أُعَلِّمُــه الرمــاية كل يوم فلما استــدَّ ساعــدُه رمانى

قال الأصعمى : (اشتد) بالشين المعجمة ليس بالشيء . قال ابن بَرّي : هذا البيت ينسب الى مَعْن بن أوْس قاله فى ابن أختٍ له ، وقال ابن دُريد : هو لمالك بن فَهْمٍ الأزدى ، وكان اسم ابنه سُلَيْمَة رماه بسهم فقَتَله فقال البيت ، قال ابن بَرى : ورأيته فى شعر عُقيل بن عُلَّفة فى ابنه عُمَلَّس حين رماه بسهم وبعده .

فلاظَفِــرتْ يمينُــك حــين تَرْمى وشَلَّــتْ منــك حاملــةُ البنانِ

وقول الآخر : (ضَرُبتْ عليّ الأرضُ بالأسدادِ) يقول : سُدَّت على الطريق أى عَمِيتْ على مذاهبى ، ويقال : لاتجعلنّ بجنبك الأسِدَّةأى لاتضيقن صدرك فتسكت عن الجواب كمن به صَمَمْ وبكم ، قال الكُميت :

ومابجنبــىَ من صَفْــح وعائدةٍ عنــد الأسِـدَّة إنّ العِـىَّ كالعَضَبِ

يقول : ليس بى عى ولابكم عن جواب الكاشح ، ولكنى أصفح عنه لان العى عن الجواب كالعَضْب ، وهو قَطْع يدٍ أوذهابُ عُضوٍ ، والعائدة : العَطْف .

والمُسَدّ موضع بمكة عند بُستان ابن عامر وذلك البُستان مأسَدة وقيل : هو موضع بقرب مكة شرفها الله تعالى ، قال ابو ذؤيب :

ألفيــتُ أغْلَــبَ من أُسْــد المُسَدّ حَديدَالنّــابِ أخْذَتُــه عَفْرٌ فَتَطريحُ

قال الأصمعى : سألتُ ابن أبى طَرفة عن المسُدّ فقال : هو بستان ابن مَعْمَر الذى يقول له الناس بستان ابن عامر .

قال ابو تراب : وذكر الزمخشرى من المجاز يقال هو من أُسُدِ المُسَدّ وهو بستان بنى معمر .

قال فى اللسان : والسُّدُّ الظلُ عن ابن الأعرابى وأنشد :

قَعَــدْتُ له فى سُدِ ظلّ مُعَوَدٍ لذلك فى صحــراءَ جِذْمٍ دَرينُها

أى جعلته سُتْرة من أن يرانى ، وقولهُ : (جِذْمٍ دَرِينُها) أى قديم لأن الجذْم

الأصل ، ولا أقدم من الأصل ، والدَّرين من النبات الذى قد أتى عليه عام

ويقال : أسِدْ يارجل ، قال الأسود بن يعفر :

أسِدّى يامَنِىُّ لحِمْيرى يُطوّف حولَنا وله زئير

يقول : اقصدى له يامَنِية حتى يموت .

وقد قرىء « تَجْعل بيننا وبينهم سَدّاً » و « سُدّاً » والجمع أسِدّة ، وسُدودٌ ، فأمّا أسِدَّةٌ فشاذٌ ، قال ابن سِيْدةٌ : وعندى أنه جمع سِداد ، والسُدُّ ذهاب البصر ، والسُدُّ السحاب المرتفع السادُّ الأُفقِ ، والجمع سُدود قال :

قَعدتُ له وشَيَّعنى رجال وقد كثر المخَايِلُ والسُدودُ

وقال ابن الأعرابى : رَماهُ فى سَدّ ناقته ، أى فى شَخْصِها قال : والسَّدُّ والدَّرِيئة والذَّريعة الناقة التى يَسْتَتِرُ بها الصائدُ وَيخْتِلُ ليرمَى الصَّيْدَ . وقال ابو سعيد : يقال : ما بفلانٍ سِدادة ، تَسُدُّفاه عن الكلام ، أى مابه عيب وضُبط فى اللسان بفتح السين وهو غلط ويقال : قل قولاً سَدَداً وسَداداً وسديداً ، أى صواباً ، وقد أسْدَدْتَ ماشئتَ أى طلبت السدادَ والقَصْدَ ، أصَبْتَه أو لم تُصِبْهُ .

وفى حديث أم سلمة أنها قالت لعائشةَ لماّ أرادت الخروجَ الى البصرة : إنكِ سُدَّة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته ، أى بابٌ ـ فمتى أُصيبَ ذلك البابُ بشىء فقد دُخِل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حريمِه وحوزته ، واستُبيح ماحَمَاهُ فلا تكونى أنت سبب ذلكَ بالخروج الذى لايجب عليكِ فتحوجى الناسَ الى أن يفعلوا مِثْلك .

وفى حديث أبى بكر أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإزار فقال : سَدِّدْ وقَارِبْ ، قال شَمِرٌ : سَدّدْ من السَداد ، وهو المُوَفَّق الذى لايُعاب ، أى اعَملْ به شيئاً لاتُعاب على فعله ، فلا تُفرِطْ فى إرساله ولا تشميره ، قال الأزهرى : معنى قوله : قارِبْ أى لاتُرْخِ الإزار فتُفرِطَ فى إسباله ، ولاتُقَلّصه فتُفرِطَ فى تشميره ولكنْ بين ذلك .

وفى الحديث أيضاً : قاربوا وسَدِّدوا ، أى اطلبوا بأعمالكم السَداد والاستقامة وهو القَصْد فى الأمر والعَدْلُ فيه .

ومنه الحديث انه قال لعلى بن أبى طالب كَرَّمَ الله وجهَه : سَلِ الله السَّدادَ واْذكُرْ بالسَّداد تسديدَك السهمَ ، أى إصابة القَصْدِ به .

وفى صفة مُتَعَلِّمِ القرآن يُغفر لأَبَوَيْه اذا كانا مُسَدَّدَيْنِ ، أىْ لازِمَىِ الطريقة المستقيمة ، ويُروى على الفاعل والمفعول بكسر الدال وفتحها ، وفى الحديث : مامن مؤمن يؤمن بالله ثم يُسَدِّد أى يَقتصد فلا يَغْلو ولايسرْف .

وفى حديث الشَعبى انه قال : ماسَدَدْتُ على خَصْمٍ قَطُ ، أى ماقطعتُ عليه فأسُدَّ كلامَه . قال شَمِرٌ : زعمه العِتْرِيفىُّ ، قال أبو عدنان قال لى جابر : البَذِخ الذى اذا نازع قوماً سَدَّدَ عليهم كلَّ شىء قالوه ، قلتُ : وكيف يُسَدِّدُ عليهم ؟ قال : يَنْقُضُ عليهم كلَّ شىء قالوه .

ويقال : اللهم سَدِّدنا للخير أى وَفِّقْنَا له ، والوَفْقُ المقدار وسَدِّد وقارِبْ فى الحديث من السَّدادِ وهو المُوَفَّق الذى لايُعابُ .

قال الفَراَّء : الوَدَسُ والسَدُّ بالفتح العيبُ .

وفى كتاب الأفعال لابن القطاع : سَدَّ الشىء سَداداً وسدوداً كان صواَباً ، والبابَ والخَرْق سَدّاً أغْلَقَه ، والثَغْرَ بالرجال والخيل سِداداً حَصَّنَه ، وأَسَدَّ الرجل : جاء بالسَداد فى قول أو فعل .

وفى الحديث : كان له قوس تُسَمَّى السَداَدَ ، سُمِّيت به تفاؤلاً باصابة مارُمِىِ عنها ، وفى الحديث أيضاً فى السؤال أنه قال : لاتَحِلُّ المسألة الاّ لثلاثة فذكر فيهم رجلاً أصابته جائحة فاجتاحت ماله فيسأَلُ حتى يصيبَ سِداداً من عيش أو قِواماً ، أى مايكفى حاجتَه . قال أبوعبيدة : سِداداً أى قِواماً بكسر السين ، وكل

شيء سَدَدْتَ به خَلَلاً فهو سِداد ، ولهذا سُمّي سِدادُ القارُورة ، وهو صِمامُها ، لأنه يَسُدُّ رأسَها ، وقال أبوزيد : عين سادّة وقائمة اذا ابْيَضَّتْ لاُيْبِصرْ بها صاحِبُها ولم تَنْفَقِئْ بَعْدُ .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « لاَيْرقُبون فى مؤمن إلاًّ وذِمَّة » ؟ قال : الاِلُّ القرابة ، والذِمَّة العَهْدُ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول الشَاعر :

جَزَى الله إلاًّ كان بينى وبينهم　　جزاءَ ظَلومٍ لاُيؤَخِّر عاجِلاً

قال أبو تراب : وفى مجاز القرآن لأبى عُبيدة (ج ١ ص ٢٥٣) : مجازُ الاِلّ : العَهْدُ والعَقْد واليمين ، ومجاز الذمة التَذَمُّم ممن لا عهد له ، والجميع ذِمَمٌ .

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ١٨٣ الاِلّ العهد ويقال : القرابة ويقال : الله جل ثناؤه والذمة العهد .

وقال الراغب : الاِلّ كل حالةٍ ظاهرة من عَهْدِ حَلِفٍ وقَرابةٍ ، تَئِلُّ تَلْمَعُ ، فلايمكن إنكاره ، قال تعالى : « لايَرْقُبون فى مؤمن إلاًّ ولاذمة » وألَّ الفرسُ أى أسرع ، حقيقته : لَمَعَ ، وذلك استعارة فى باب الإسراع نحو بَرَق وطار ، والألَّة الحَرْبَةُ اللامعة ، وألَّ بها : ضرب .

وقيل : إلٌّ ، وإيْلٌ اسم الله تعالى ، وليس ذلك بصحيح .

قال أبو تراب : ذكره ابن سِيْدَهْ قال : (الاِلُّ) الله عز وجل وقد ردّ على ذلك الفَرَّاء وقال : ليس هذا بالوجه . وأثبته الطبرى فى تفسيره وابن قتيبة وابن فارس .

قال الراغب : وأُذُن مُؤَلَّلَةٌ ، والألَّلاَن صَفْحَتَا السِكّين .

وفى المفردات : الإلال صفحتا السكين وهو تصحيف والصواب كما ذكرنا : الألَلاَنِ ، .

وقال الزمخشرى فى الأساس : « إلاً ولا ذمةً » أى قرابةً ، وعجِب ربكُم من ألِكُمْ وقنوطكم أى من جُؤاركم ، يقال : ألَّ فى دعائه يَؤُلُّ ألاًّ ، وألَلا ، وألِيْلاً : اذا جأر ، وباتَ له ألِيْلٌ كأنه أبِيْلٌ ، ومَرَّ وفى يده ألَّةٌ أى حَرْبةٌ ، ومنها قولهم : أُذُن مُؤَلَّلَةٌ أى محَدَّدةٌ وألَّهُ طعنَه بالألَّةِ ، ومنه قول الأعرابية فى خاطبها : أُلَّ وغُلَّ .

وفى لسان العرب : الألُّ السرعةُ ، والألُّ الإسراع ، وألَّ فى سَيرِه ومَشْيه يَؤُلُّ ويَئِلُّ ألاًّ ، اذا أسرع واهتزَّ ، فأمّا قوله أنشده ابن جنِىَ :

(وإذْ أؤُلُّ المَشْى ألاً ألاً)

فقال ابن سِيْدَةْ : إمّا أن يكون أراد أؤُلُّ فى المشى ، فحذَفَ وأوْصَلَ ، وإمّا أن يكون (أؤُلُّ) متعدياً فى موقعه بغير حرف جَرٍ ، وفَرَسٌ مِئَلٌّ ، أى سريع ، وقد ألَّ يَؤُلُّ ألاًّ بمعنى أسرع ، قال أبو الخِضرْ اليربوعى يمدح عبدالملك بن مَرْوانَ ، وكان أجرى مُهْراً فسَبَق :

مُهْـرَ أبــى الحَبْحــابِ لاتَشَلِىَ بارك فيــكَ الله من ذى ألِّ

أى من فرس ذى سرعة .

قال أبو تراب : الياء فى (لاتَشَلِىَ) للاشباع ، وأصله : (لاتَشَلِ) وألَّتْ فرائصهُ تَئِلُّ : لَمَعَتْ فى عَدْوٍ ، قال :

حتـى رميـتَ بهــا يَئِــلُّ فرَيصُها وكأنَّ صَحْوَتَهــا مَداكُ رخَامِ

وأنشد الأزهرى لأبى دُوادٍ يصف الفرسَ والوَحْش :

فَلَهَــزْ تُهُــنَّ بهــا يَؤُلُّ فَريصُها من لَمعِ رايتِنِــا وهــنَّ غوادى

وفَرق بعضُهم بين الألَّة والحَرْبةِ فقال : الألَّةُ كلهُا حديدة ، والحَرْبة بعضُها حديدٌ وبعضُها خشب ، والألَّة الحربةُ العظيمُة النَصْل سُمِّيـت بذلك لبريقهـا ولَمعانِها ، والجمع آلّ ، وهى حَرْبَةٌ فى نَصلها عِرَضٌ .

قال الأعشى :

تُداركَه فى مُنْصِلِ الألّ بعدما　　مَضَى غيرَ دَأْدَاءٍ وقد كاد يَعْطَبُ

ويُجمع أيضاً على إلاَلٍ ، مثلُ جَفْنَةٍ وجِفانٍ .

قال ابن بَرّى : يقال : ماله أُلَّ وغُلَّ ، أى دُفع فى قَفاهُ وجُنَّ والمِئَلُّ القرن الذى يُطعن به ، وكانوا فى الجاهلية يتّخذون أسِنَّةً من قرون البقر الوحشّى . قال الأزهرى : والمِئَلاّنِ القَرْنانِ ، قال رؤبة يصف الثور :

اذا مِئَلاً قَرْنه تزعزعا　　للقصد أو فيه انحراَفُ أوجعا

قال أبوعمرو : المِئَلُّ حَدُّ رَوْقِه ، وهو مأخوذ من الأَلّة وهى الحَرْبةُ . وأَلَلْتُ الشىء تأليلاً ، أى حَدَدْتُ طَرَفَهُ ، ومنه قول طَرَفَةَ بن العَبْد يَصِفُ أُذُنَىْ ناقتِه بالحِدَّة والانتصاب :

مُؤَلَّلَتانِ يُعرفُ العِتقُ فيهما　　كسامِعَتَىْ شَاةٍ بَحِومَلَ مُفْرَدِ

أمَّا ماروى من ان صلى الله عليه وسلم قال : « عَجِب ربكم من أَلِّكُمْ وقُنوطكم ، وسرعة إجابته اياكم » فقال أبوعُبيد فى غريب الحديث ج٢ ص ٢٦٩ رواه المحدّثون من (إلّكِم) بالكسر ، والمحفوظ عندنا من (أَلّكِم) بالفتح ، وهو أشبه بالمصادر كأنه أراد من شدة قنوطكم ، ويجوز أن يكون من قولك : أَلَّ يَئِلُّ ألاًّ وأَلَلاً ، وأليلاً ، وهو أن يرفع الرجل صوتَه بالدعاء ويَجْأَرُ ، وقال الكميت يصف رجلاً :

وأنت ما أنت فى غبْراءَ مُظْلمةٍ　　اذا دَعَتْ أَلَلَيْها الكاعبُ الفُضُلُ

قال : وقد يكون (أَلَلَيْها) أنه يريد الأَلَلَ المصدرَ ، ثم ثَنَّاهُ ، وهو نادر كأنه يريد صوتاً بعد صوتٍ ، ويكون قوله : (أَلَلَيْها) أن يريد حكاية أصوات النساء بالنَبَطِّية اذا صَرَخْنَ . وقال ابن بَرى : قوله فى (غبراءَ) فى موضع نصبٍ على الحال والعامل فى الحال مافى قوله : (ما أنت) من معنى التعظيم كأنه قال : عَظُمْتَ حالاً فى غبراء وانظر النهاية ج١ ص ٦١ والفائق ج١ ص ٥٢ وقال

أبو أحمد العسكرى فى كتاب التصحيقات ج١ ص **٣٩٢** الألف من « ألكم » مفتوحة وترويه العامة بالكسر وترويه « من أزلكم » يذهبون الى الشدة فكأنه أراد من شدة يأسكم وقنوطكم .

وقال الأزهرى فى تهذيب اللغة : الأَليلُ ، الأنينُ ، قال الشاعر :

(أمَا ترانى أشتكى الأَلِيْلاَ) وفى المقاييس : (إمّا تَرينى) وقال أبو عمرو : يقال : له الوَيْلُ والأَلِيْلُ ، والأَلِيْلُ ، الأنين ، وأنشد لابن ميّادة :

وقُولا لهـا مَاتأمريـن بوامقٍ ... له بعد نَوْمـاتِ العيـون أليلُ ؟

أى توجُّعُ وأنينُ ، قال ابن بَرى : فَسرَّ الشَيْبانى الأَليلَ بالحنين ، وأنْشَد المَرَّارُ :

دَنَـوْنَ فكُلهـنَ كذاتِ بَوٍ ... اذا حُشِيَـتْ سمعـتَ لهـا أَلِيلاَ

والأليلُ والأليلةُ ، الثُكْل ، قال الشاعر :

فَلىَ الأليلـةُ إنْ قَتَلْـتُ خُؤولتى ... ولىَ الأليلـة إنْ همـو لم يُقْتَلُوا

وقال آخر :

يا أيهـا الذِئـبُ لك الأليلُ ... هل لك فى باعٍ كما تقولُ

وفى شرح القاموس للزبيدى : (هل لك فى راعٍ) ومعناه كما فى اللسان : ثَكِلَتْك أُمُك هل لك فى باعٍ كما تحِبُ ، قال الكُميتُ :

وضيـاء الأمـور فى كَلِ خَطْبٍ ... قيـل للأمّهـاتِ منـه الأليلُ

أى بكاءْ وصياحُ من الأَللِ ، وقال الكُميتُ أيضاً :

بِضرْب يُتْبَـعُ الأَللُ منه ... فتـاةَ الحَـىَ وَسْطَهـم الرَّنينا

وفى المقاييس :

وطَعْـنٍ تُكْثِـرُ الأَلَلَـينِ منه ... فتـاةُ الحَـىَ تُتْبِعُـه الرنينا

وفى حديث عائشة : أن امرأة سألتْ عن المرأة تَحْتَلِمُ فقالت لها عائشة : تَرِبتْ يداكِ ، وأَلّتْ ، وهل ترى المرأة ذلك ؟ (أَلّتْ) أى صاحتْ لِمَا أصابها من

شدة هذا الكلام ، ويُروى (أُلَتْ) على المجهول ، أى طُعنت بالأَلَّةِ وهى الحَرْبة .

قال ابن الأثير فى غريب الحديث : وفيه بُعْدٌ لأنّه لايُلائم لفظ الحديث :

قال الأزهرى فى التهذيب : قال عبدالوهاب : ألَّ فلان فأطال المسألة اذا سأل ، وقد أطال الألَّ اذا أطال السؤال ، وقول بعض الرُجَّاز :

قام الى حمراءَ كالطِربالِ فهَمَّ بالصَّحْنِ بِلاَ ٱئْتِلالِ
غمامةً تَرْعُد من دَلالِ

يقول : هَمَّ اللَّبنَ فى الصَّحْن ، وهو القَدَح ، ومعنى (هَمَّ) حَلَبَ ، وقولُه : (بلا ٱئْتِلالِ) أى بلا رِفْقٍ ، ولا حُسْنِ تَأتٍ للحَلْب ، ونَصبَ الغمامة بهَمَّ ، فشَبَّه حَلْبَ اللَّبَن بسحابةٍ تُمْطِرُ .

وعن اللِّحيانى : فى أسنانه يَلَلٌ وأَلَلٌ ، وهو أن تُقبل الأسنان على باطن الفم . والإلُّ الحِلْفُ والعَهْد ، وبه فَسرَّ أبوعُبيدة قوله تعالى : « لايَرقُبون فى مؤمنٍ إلاًّ ولا ذِمَّةً » وفى حديث أُمِّ زَرْعٍ : « وَفِىُّ الإلّ ، كريُم الخِلّ » أرادت أنها وَفِيَّةُ العهد ، وانَّما ذُكِر لأنه انما ذُهِبَ به الى معنى التشبيه ، أى هى مِثْلُ الرجل الوفىِّ العهد ، والإلُّ القَرابُة .

وفى حديث علىّ : يَخُون العهد ، ويَقطع الإلَّ . قال ابن دريد : وقد خَفَّفَتِ العربُ الإلَّ ، قال الأعشى :

أبيضُ لايَرْهَبُ الهُزالَ ولا يَقْطَعُ رُحْماً ولايَخُونُ إلاَّ

قال أبو سعيد السيرافى : فى هذا البيت وَجْهُ آخر ، وهو أن يكون (إلاَ) فى معنى نعمة ، وهو واحدُ آلاء الله ، فان كان ذلك فليس من هذا الباب ، وقال حسانُ بن ثابت فى الإلّ بمعنى القرابة :

لَعَمْرُكَ إنَّ إلَّكَ من قريش كَالَّ السَقْبِ من رَأْلِ النَّعامِ

وقال مجُاهد والشعبى : « لايَرْقُبون فى مؤمن إلاًّ ولاذِمَّةً قيل : الإلُّ العَهْدُ ، والذِمَّةُ ، مايُتَذَمَّمُ به . وقال الفرّاء : الإلُّ ، القَرابُة ، والذِمّةُ والعهد ، وقيل : هو

من أسماء الله عز وجل ، قال : وليس هذا بالوجه ، لأن أسماء الله تعالى معروفة ، كما جاءت فى القرآن وتُلِيَتْ فى الأخبار قال : ولم نَسمع الدّاعى يقول فى دعائه . (يا إلُّ) كما يقول : يا الله ويارحمن ، ويارحيم ويامؤمـن يامُهَيْمِـنُ ، قال : وحقيقة الإلّ على ماتُوجِبُه اللغةُ تحديد الشَىء فمن ذلك الأَلَّة ، الحَرْبَة ، لأنها مُحَدَّدَةٌ ، ومن ذلك أذن مُؤَلَّلَة اذا كانت مُحَدَّدةً ، فالإلُّ يخُرج فى جميع مافُسرَ من العهد والقرابة والجِوار على هذا اذا قلتَ فى العهد بينهما الإل ، فتأويله أنهما قد حَدَّدا فى أَخْذِ العَهْدِ واذا قلتَ فى الجوار بينهما إلٌّ ، فتأويلُه جوارٌ يحُادُّ الإنسانَ ، واذا قلتَه فى القرابة ، فتأويلُه القرابة التى تحُادُّ الإنسانَ ، والإلُّ الجار .

قال أبو تراب : وقد ذكر ابن سِيْدَة : القيلَ الذى جاء من أن (الإلَّ) الله عز وجلَّ ، وقد مضى الردُّ عليه وأثبته الامام الطَبرى وفى حديث أبى بكر : لمّا تُلِىَ عليه سَجْع مُسَيْلِمةَ ، إنّ هذا الشىء ماجاء من إلّ ولابِرّ ، فأين ذُهب بكم ، أى من رُبوبّيةٍ ، وقيل : الإلُّ الأصل الجَيد ، أى لم يجِئْ من الأصل الذى جاء منه القرآن ، وقيل : الإلُّ النسب والقرابة فيكون المعنى : أن هذا كلامٌ غير صادرٍ من مُنَاسَبَةِ الحقِ والإدلاء بسَبَبٍ بينه وبين الصّديق ، وفى حديث لقَيطٍ : أُنبئك بمثل ذلك فى إلّ الله ، أى فى رُبوبّيته وإلهِيّته وقدرته ، ويجوز ان يكون فى عهد الله من الإلّ بمعنى العهد ، وفى التفاسير أن يعقوب بن اسحاق عليهما السلام قال له المَلَكُ : (إسرَائِلُ) و (إلّ) اسم من أسماء الله عز وجل بلغتهم ، و « إسْرَ » بمعنى شدةٍ ، وسمىّ يعقوب (إسرَائِلّ) بذلك ، ولمّا عُرّب قيل : اسرائيل ، وقال ابن الكلبى كل اسم فى العرب آخره (ال) أو (إيل) فهو مضاف الى الله عز وجل ، وهذا ليس بقوىَ إذْ لو كان كذلك لَصرُف جبريلُ وما أشبهه ، هكذا فى اللسان قال ابو تراب : ولى فيه نظر .

قال أبو تراب : والأُلُّ بالضم الأَوَّلُ فى بعض اللغاتِ وليس من لفظ الأَوَّل .
قال امرؤ القيس :

لِمَنْ زُحْلُوقَـةٌ زُلٌّ بهـا العَنيـانِ تَنْهَلُّ
ينـادى الآخِـرَ الأُلُّ ألا حُلُّـوا ألا حُلُّوا

قال فى لسان العرب : وإنْ شئتَ قلتَ : انما أراد الأَوَّلَ فبَنَى من الكلمة على مثال فُعْل ، فقال : (وُلّ) ثم هَمَزَ الواو لأنها مضمومة ، غير أنا لم نسمعهم قالوا : (وُلْ) .

وقال المُفَضَّل فى قول امرىء القيس : (ألا حُلُّـوا) : هذا معنـى لُعبـةٍ للصبيانِ يجتمعونَ فيأخذونَ خشبةً فيضعونها على قَوْزٍ من رَمْلٍ ، ثم يجلس على أحد طَرَفَيْها جماعةٌ ، وعلى الآخر جماعة ، فأىُّ الجماعتين كانت أَرْزَنَ ارتفعت الأخرى ، فيُنادون أصحاب الطرف الآخَر : (ألاحُلُّوا) أى خَفِّفُوا عن عَدَدِكم حتى نُساوِيَكم فى التعديـل ، قال : وهـذه التـى تُسَمِّيهـا العـرب الـدَّوْداةَ ، والزُّحْلُوقَةَ ، وتُسَمَّى أُرْجُوحَةَ الحَضرَ المُطوِحَة .

والإلُّ ، الحِقْد ، قال ابنُ سِيدَهْ : وهو الضَّلالُ بنُ الأَلاَلِ بنِ التَّلالِ وأنشد :

أصبحتَ تَنْهَضُ فى ضلالك سادراً إنَّ الضَـلالَ ابـنُ الأَلاَلِ فاَقْصرِ

وإلاَل وألال ، جبل بمكة ، قال النابغة :

بمُصْطحبَـاتٍ من لَصـافٍ وثَبْرَةٍ يَزُرْنَ أَلاَلاً سيرُهـنَ التدافُع

والأَلاَل بالفتح : جبل بعرفات .

قال ابن جِنِّى : قال ابن حبيب : الإلُّ حَبْلٌ من رَمْلٍ به يَقفِ الناس من عرفاتٍ عن يمين الإمام ، وفى الحديث ذِكْرُ إلال ، جَبَلٌ عن يمين الإمام بعرفة .

قال أبو تراب : وَوَهِّم الفيروزابادىُّ من قال فى جبل عرفة : إلٌّ ، واستغربهَ منه الزبَّيدى مع وروده فى الحديث ، وأقرّه ياقوت فى معجم البلدان ، وهو الذى يقال له إلال بالكسر والفتح ، وعناه الرضى الموسوى بقوله :

فأُقْسِـم بالوقـوف على إلالٍ ومـن شهـد الجمار ومـن رماها
وأركانِ العتيـق ومـن بناها وزمـزمَ والمقـامِ ومـن سقاها
لأنـتِ النَفسَ خالصـة فان لم تكونيهـا فأنـت إذن مناها

قال أبو تراب : والقسم هنا بغير الله منكر دَرَج عليه الشعراء وغيرهم وليس بجائز شرعاً وهم قلماً يراعون أمر الدين فى قيلهم ، والله حسيبُهم .

وقال ابن فارس : فى (ألَّ) ثلاثة أصول : اللَّمعَانُ فى اهتزاز ، والصوت ، والسَبَبُ يُحَافَظُ عليه . ويقال للحربة الأَليلُ والأَلْيَلَةُ لِلَمعَانِها قال :

يُحامــى عن ذِمــار بنــى أبيكم ويَطعــن بالأليلــة والأليلِ

وقيل لامرأةٍ من العرب قد أُهْتِرتْ : إن فلاناً أَرْسَل يَخْطُبُكِ فقالت : أَمُعْجِلِى أن أَدرِىَ وأَدَّهِنَ ، ماله غُلَّ وأُلَّ .

قال أبو تراب : تعنى أنه طُعِن بالأَلَّة وهى الحربة ، و (أَدَّرِىَ) أى استعملَ المِدْرَى لتسريح الشعر .

قال ابن فارس : وأذن مألولة قال :

(مألولة الأُذُنَينِ كحلاء العَيْنْ)

ويقال : يوم أَلِيلٌ ، لليوم الشديد . قال الأَفْوَهُ الأَوْدِىُّ :

بكل فتــىً رحيــب البــاع يسمو الى الغــارات فى اليــوم الأَليلِ

وقد ذكر ابن فارس قول المفسرِّين فى قوله تعالى : « لاَيرْقُبون فى مؤمنٍ إلاًّ ولاذمةً » إنَّ (الاِلَّ) الله عز وجل .

قال ابو تراب : وقد مَضَى الردُّ عليه وإقرار الطبرى له وقال قوم هى قربى الرَّحِمِ ، قال : :

همــو قطعــوا من إلِّ ماكان بيننا عُقوقــاً ولـم يُوفُــوا بعَهْــدٍ ولاذِمَمْ

قال الطبرى ج١٠ ص ٦٠ الإلّ اسم يشمل على معان ثلاثة وهى العهد والعقد والحلف والقرابة وهو أيضا بمعنى (الله) فاذا كانت الكلمة تشمل هذه المعانى الثلاثة ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى فالصواب ان يعم ذلك كما عمّ بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة فيقال لايرقبون فى مؤمن : الله ، ولاقرابة ولاعهداً ولاميثاقاً .

ومن شواهد التأليل بمعنى التحديد فى تاج العروس ، قولُ خَلفَ بن خليفة :

لَهُ شَــوْكةٌ أَلَّلَتْها الشِفــارُ يُؤَلِّفِ قَرداً الى قَرْدِهِ

والإلال الحِرابُ ، كالجِفان ، قال لبيدٌ :

يُضِىءِ رَبَابُــه فى المُزْنِ حُبْشاً قيامــاً بالحِــرابِ وبالإلالِ

قال أبو تراب :

الرباب ، السحابُ تراه كأنه مُتَدَلٍ ، شَبَّه انكشاف البرق عن سوادِ الغيم بحُبْشانٍ بأيديهم حراب .

هذا وأما الذمة فى الآية : « لايرقبوا فيكم إلاً ولاذِمَّة » فقد قال الطبرى : ج ١٠ ، ص ٥٣ : وقد زعم بعض من نُسب الى معرفة كلام العرب من البصريين - يُريد أبا عُبيدة - أنَ الإلَّ والعهَد والميثاقَ واليمين ، واحد ، والذمُة فى هذا الموضع ، التَذَمُّم ممن لاعهد له والجميع ذِمَمٌ .

وفى المقاييس : الذال والميم فى المضاعف ، أصل واحد يدلُّ كلهُ على خلاف الحمد ، يقال : ذَمَمْتُ فلاناً أذُمُّه فهو ذميمُ ومذموم ، اذا كان غير حميد ومن هذا الباب الذَّمَّةُ ، وهى البئر القليلة الماء ، وفى الحديث « أنه أتَى على بئرٍ ذَمَّةٍ ، وجمعُ الذَمَّة ذِمام ، قال ذَو الرُمَّة يصف إبلاً غارت عيونها من الكلال .

على حِمْيَرِيَــاتٍ كأن عُيونهَا ذِمــامُ الرَكايــا أنْكَزَتْهــا المَواتِحُ

أنكَزَتْها ، أى أذهَبَتْ ماءَها ، والموانح ، المُستَقِية ، قال فى اللسان : يقول : غارتْ عيونهُا من التَعَب فكأنها آبار قليلة الماء .

فأمّا العَهْد ، فانه يُسَمَّى ذِمَاماً لأن الإنسان يُذَمُّ على إضاعتهِ منه ، وهذه طريقة للعرب مستعملة ، وذلك كقولهم : فلان حامى الذِمار ، أى يَحْمِى الشىءَ الذى يُغْضِبُ ، وحامى الحقيقة ، أى يَحْمِى مايَحِقُّ عليه أن يَمْنَعَه وأهل الذِمَّة ، أهل العَقْد ، قال أبوعُبيد : الذِمَّةُ الأمَانُ فى قوله صلى الله عليه وسلم : ويَسْعَى بِذِمَّتِهِم أدناهم ، ويُقال : أهل الذِمَّة ، لأنهم أَدَّوا الجِزْيَةَ فأمِنوا على دمائهم

وأموالهم . ويقال فى الذِمام . مَذَمَّة ومَذِمَّة . بالفتح والكسر وفى الذمّ مَذَمَّة بالفتح . وبئرٌ ذميم وهى مثل الذَمَّةِ قال المَرَّار يصف قَطَاةً .

مُواشِكةٌ تَستعجلُ الرَّكْضَ تَبْتَغى ... نَضائضَ طَرْقٍ ماؤهنَ ذَميمُ

قال فى اللسان : مُواشِكةٌ : مسرعة وركضها ضربُها بجناحها ، والنَّضائض ، بقية الماء ، الواحدة نضيضُة ، والطَّرْقُ المَطرُ .

وجاء فى الحديث : أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم : مايُذْهِبُ عنّى مَذَمَّةَ الرَّضاع ؟ فقال : غُرَّةٌ ، عَبْدٌ أو أَمَةٌ . يعنى بمَذَمَّة الرَّضاع ، ذِمامَ المُرْضِعِة ، وكان النَّخَعُّى يقول فى تفسير هذا الحديث : إنهم كانوا يَستحبّون أنْ يَرْضَخُوا عند فصِال الصبىّ للظِّئْرِ بشيء سوى الأجْر . فكأنه سأله : مايُسقط عنىّ حَقّ التى أرْضَعَتْنى حتى أكونَ قد أدَّيْتُ حَقَّها كاملاً . قال ابن فارس حدثنا بذلك القَطَّانُ عن المُفَسرِ عن القُتَيْبى . والعرب تقول : أذْهِبْ مَذَمَّتَهم بشيء ، أى أعْطِهم شيئاً ، فانَ لهم عليك ذِماماً . ويقال : افْعَلْ كذا وخَلاك ذَمٌ ، أى ولاذَم عليك .

قال أبو تراب : وهذه المادة أيضاً من فوات الدامغانى فَلْتُسْتَدركْ كذلك . ولم يذكرها ابن الجوزى .

وفى مفردات الراغب : يقال : ذَمَمْتُه أذُمُّه ذَمًّا فهو مذموم وذميم ، قال تعالى : « مذموماً مدحورا » ، وقيل : ذَمَتُّهُ ، أذُمُّه على قلب إحدى الميمين تاءً ، والذِمام ، مايُذَمُّ الرجل على إضاعته من عَهْدٍ ، .

وكذلك الذِمّة والمَذَمَّة ، وقيل : لى مَذَمَّةٌ فلا تَهْتِكْها ، وأذْهِبْ مَذَمَّتهم بشيء ، أى أعْطِهم شيئاً لِمَا لَهُمْ من الذِمام ، وأذَمَّ بكذا ، أضاع ذِمامَه ، ورجلٌ مِذَمٌّ ، لاحِراك به ، وبئر ذَمَّةٌ ، قليلة الماء ، قال الشاعر :

وتَرى الذميَم على مَرا سِنهمْ ... يومَ الهِياج كمازِنِ النَّمْل

قال أبو تراب : ويُروى : (على مناخرهم) ويروى أيضاً : (كمازن الجثل) وهو ضرب من النمل كبار ، وقائله الحادِرةُ ، قال الراغب : والذَّميمُ شيْبه بُثُور صغار ، قال ابن فارس هو يقرب من قياسه ان كان صحيحاً : وهذا البَثْر ، يخرج على الأنف ، وفى اللسان : هو من القَشَفِ .

وفى أساس البلاغة للزمخشرى : يقال : اياك والمَذامَّ والمَلاوِمَ ، وأردتُ ضَرْبَه ثم تَذَمَّمْتُ من أجل حقٍ أو حُرْمةٍ ، أى ذَمَمْتُ نفسى وانتهيت ، ويقال : تَذَمَّم منه : استنكف واستحيا ، وانى أتَذمَّمُ من القوم أن أتَحَول من عندهم الى غيرهم ، ولم أر منهم الاّ ما أُحِبُّ ، واستَذَمَّ الى فلان ، فَعَل مايَذُمُّه عليه ، ولفلان ذِمَّة وذِمام ومَذَمَّة : عَهْدٌ يَلْزَمُ الذَمُّ مُضَيِّعَهُ ، ووَفى فلان بما أذَمَّ ، أى بما أعْطَى من الذِمَّةِ .

قال المُسَيَّبُ :

أنت الوَفىُّ بما تُذَمُّ وبعضهم   تُودِى بِذمَّتهِ عُقابُ مَلاعِ

وللجار عندك مُسْتَذَمٌ ومُتَذَمَّمٌ ، قال فائد بن الحبيب الأسدىُّ :

فنعشتَ قومَك والذين تَذَمَّموا   بك غيرَ مُحْتشِعٍ ولا مُتضائلِ

وهذا مكان مُذَمَّمَ : مُحَرَّم له ذمةٌ وحرمة .

ومن المجاز : أذَمَّتْ ركابُ القوم ، تَأخَّرتْ كَلالاً ، قال ابن ميادة :

وحتى حملنا رَحْلَ كلَ مُذِمَّةٍ   وكلَ مُذِمَ بالفلاة وزاحفِ

كأنها أتَتْ بما تُذَمُّ عليه ، أو قَلَّتْ قُوَتُها على السير من الرَكِيَّةِ الذَّمَّةِ والرَّكايا الذِمامِ ، وهى القليلة الماء ، وأذَمَّ المكانُ ، أجْدَبَ ، وقَلَّ خيرُهُ . وفلانٌ يُذَامُّ عَيْشَه ، يُزَجِّيهِ مُتبلِّغاً به ، وذا مِمَّه أُذامُهُ ، وهو من معنى القِلّةِ ، ورجلٌ ذَمٌ وحَمْدٌ ، وأتينا منزلاً ذَماً وحَمْداً ، وَصْفٌ بالمصدر .

قال ابن منظور : قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابيا يقول : لم أر كاليوم قط ، يُدْخَلُ عليهم مثلُ هذا الرُّطب لايُذِمُّون ، أى لايَتَذَمَّمون ولاتأخذُهم

ذِمامةٌ حتى يهْدوا لجيرانهم ، ويقال : لو لم أترك الكذب تَأَثُّماً ، لتركتُه تَذَمُّماً ، والذُموم ، العيوب ، أنشد سيبويه لأُمية بن أبى الصَّلْتِ :

سلامَــك ربَّنــا فى كُلِ فَجْرٍ بَريئــاً ماتَعَنَّتْــك الذُموم

فأمّا قول الشاعر :

نُرَجِّــى نائــلاً من سَيْــبِ ربٍ له نُعْمَــى وذَمَّتُــه سِجالُ

فقال ابنُ سِيْدَهْ : قد يجوز أن يَعنى به الغزيرةَ والقليلةَ الماء ، أى قليلُه كثير ، وأَذَمَّ به بعيرُه ، أعْيَا وتَخَلَّفَ وتَأَخَّر عن جماعة الإبل ولم يلحق بها ، .

قال ابن سِيْدَهْ : أنشد أبو العلاء :

قومٌ أذَمَّــتْ بهــم ركائبهم فَاستَبْدَلــوا مُخْلِــقَ النعــال بها

وفى حديث حَليمَة السَّعْدية : فخرجــتُ على أتانــى تلك ، فلقــد أذَمَّــتْ بالركب ، أى حَبَسَتْهم لضعفها ، وانقطاع سيرها . ومنه حديثُ المِقْداد حين أحْرزَ لِقاحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : واذا فيها فَرَسٌ أذَمُّ ، أى كالٌّ قد أعْيَا فوقف . وفى حديث أبى بكر : قد طَلَعَ فى طريقٍ مُعْوِرَةٍ حَزْنَةٍ وإنّ راحلتَه أذَمَّتْ ، أى انقطع سيرها ، كأنها حَمَلَتِ الناس على ذَمِّها . وفى حديث على بن أبى طالب « ذِمَّتى رَهينُه ، وأنابه زعيم » أى ضَمانى وعهدى ، رَهْنٌ فى الوفاءِ به ، والذِمام والذِمامة ، الحُرْمَةُ قال الأخطل :

فلا تَنْشُدونــا من أخيــكم ذِمامةً ويُسْلِــم أصْــداءَ العَويــرِ كفيلُها

والذِمام ، كلُّ حُرْمةٍ تُلْزِمُك اذا ضَيَّعْتَها المَذَمَّةَ ، ومن ذلك يُسَمَّى أهْل العَهْد ، أهلَ الذِمَّةِ ، وهم الذين يُؤَدُّون الجِزْية من المشركين كلهم ، ورجلٌ ذِمِّيٌّ ، معناه رجلٌ له عَهْدٌ ، والذِمَّةُ ، العهد منسوبٌ الى الذِمَّة .

قال الجوهرى : الذِمَّة ، أهل العقد ، وقال أبوعبيدة : الذِمَّة ، الأمان ، وقوم ذِمَّةٌ معاهَدون أى ذوو ذِمَّةٍ ، وهو الذِمُّ ، وأذَمَّ له أخَذَ له الذِمَّةَ .

والذَّمامة والذِمامة ، الحَقُ ، كالذِمَّة ، قال ذو الرُمَّة :

تكنْ عَوْجَــةً يجزيــكُما الله عندها بها الأَجْرَ أو تُقْضَى ذِمامــة صاحبِ

ذِمامةٌ ، حرمةٌ وحَقٌ ، وفى الحديث ذِكْرُ الذِمَّةِ والذِمام ، وهما بمعنى العهدِ والأمانِ ، والضَمانِ والحُرْمِة والحَقَ ، وسُمَّى أهلُ الذِمَّة ذِمَّـة لدخولهـم فى عهـد المسلمـينَ وأمانهم .

وفى الحديث فى دعاء المسافر : اقْلِبْنَا بذمَّةٍ ، أى آرْدُدْنا الى أهْلينا آمنين ومنه الحديثُ : فقد برئَتْ منه الذِمَّـة ، أى أن لكلّ أحـدٍ من الله عَهْـداً بالحفـظ والكَلاءة ، فاذا ألقى بيده الى التهلكة ، أو فَعَل ماحُرّم عليه ، أو خالف ما أُمر به ، خَذَلَتْه ذِمَّة الله تعالى :

قال أبو عبيدة فى المجاز ج ١ ص ٢٥٢ : الذِمَّة ، التَذمُّم ممّن لاعَهْدَ له . وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : المسلمون تتكافأ دماؤهـم ، ويسعـى بذِمَّتهِم أدناهم ، قال : الذِمَّةُ ، الأمانُ ههنا يقول : اذا أعطى الرجلُ من الجيشِ العَدُوَّ أماناً ، جاز ذلك على جميع المسلمين وليس لهم أن يُخْفِروهُ ، ولا أن ينقضوا عليه عهده ، كما أجاز عمر بن الخطاب أمانَ عَبْدٍ على أهل العسكر جميعهِم ، قال : ومنه قول سَلْمانَ : ذِمَّةُ المسلمين واحدة ، فالذِمَّة هى الأمان ، فلهذا سُمِّى المُعَاهَدُ ذِمّيا ، لأنه أُعطى الأمانَ على ذِمَّةِ الجِزْيةِ التى تؤخذ منه .

وفى التنزيل : « لايَرْقُبون فى مؤمنٍ إلا ولاذِمَّةً ، قال : الذِمَّةُ ، العَهْـدُ ، والإِلُّ ، الحِلْفُ (عن قتادة) . وفى الغريب لابن قتيبة ص ١٨٣ الذمة العهد .

وفى حديث يونسَ عليه السلام : أنَّ الحوتَ قَاءَهُ رَذِياً ذَمًّا ، أى مذموماً شِبْهَ الهالك ، وفى الحديث أيضاً : أُرِىَ عبدالمطّلب فى منامه : إحْفِرْ زَمْزَمْ ، لاتُنْزَفُ ولاتُذَمَّ ، قال أبوبكر : فيه ثلاثة أقوال ، أحدها ، لاتعاب من قولك ذممتُه اذا عبته ، والثانى : لاتُلفَى مذمومة يقال : أذْمَمْتُه اذا وجدتَه مذمومـاً ، والثالـث : لايوجد ماؤها قليلاً ناقصاً ، من قولك ، بِئْرٌ ذَمَّةٌ ، اذا كانت قليلة الماء .

وفى الحديث : خِلالُ المكارم كذا وكذا ، والتَذمُّم للصاحب ، هو أن يحفظَ ذِمامَه ويَطرحَ عن نفسهِ ذَمَّ الناس لهُ إن لم يَحْفَظْه ، وفى حديث موسى والخَضرِ

عليهما السلام ، أخذَتْه من صاحبه ذَمامةٌ ، أى حياءٌ وإشفاقٌ من الذَمّ واللَّوم ، وفى حديث ابن صيَّاد : فأصابتْنى منه ذَمامةٌ .

وفى حديث الشُؤْم والطِيرةِ : ذَروها ذميمةً ، أى مذمومةً ، فعيلةٌ بمعنى مفعولة ، وانما أمَرَهُم بالتحُّول عنها إبطالاً لِمَا وقع فى نفوسهم ، من أنَّ المكروه انمّا أصابهم ، بسبب سُكْنَى الدار ، فاذا تَحَوَّلوا عنها انقطعت مادّةُ ذلك الوهم ، وزال ماخامرهم من الشُبْهة .

والذَّميم ، البياض الذى يكون على أنف اَلجْدى (عن كُراعٍ) ، قال ابُن سِيْدَهْ فأمَّا قولُه ـ أنْشَدَناه أبو العلاء لأبى زبيد :

ترى لأخفافهـــا من خلفهـــا نَسَلاً مثـــلَ الذَميـــم على قُزْم اليعامير

فقد يكون البياضَ الذى على أنف الجَدْى ، فأمّا أحمد بن يحيى فذهب الى أن الذَّميم ، مايَنْتَضح على الضروع من الألبان ، واليعامير عنده ، الجِـداءُ ، واحدها يَعْمورٌ وقُزْمُها ، صغارها ، والذَميم ، مايَسيل على أنوفها من اللبن ، وأمّا ابن دريد فذهب الى أن الذَميم ههنا النَدىَ واليَعامير ، ضَرْب من الشجر . وقال ابن الأعرابى : الذَميم والذَّنينِ ، مايَسيل من الأنف ، والبولُ الذى يذمُّ ويَذنُّ من التيْسِ ، وكذلك اللبَن من أخلاف الشاة ، وأنشد بيت ابى زُبيد والذميم ايضا شىء يخرج من مَسَامّ المَارِنِ كبَيْض النمل ، وذكر بيتَ الحادرةِ المتقدم ، الذى أورده الراغب فى المفردات .

وفى المقاييس : قال الشيبانى : لا أعرف اليعامير وسألتُ فلم أجد عند أحد بها علماً ويقال : هى صغار الضأن .

قال الإمام الطبرى : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى : « لايرقبوا فيكم إلاًّ ولاذمةً » فقال بعضهم : معناه لايرقبوا الله فيـكم ولاعهـداً ، ورواه الطبرى عن مجاهد وأبى مجلز وقال آخرون : الإلُّ ، القرابة ، ورواه الطبرى عن ابن عباس ، والضحاك والسُدِّى ، وقال آخرون : معناه الحِلْفُ ، ورواه الطبرى عن قتادة .

وقال آخرون : هو العهد ولكنه كُرِّر لمّا اختَلَفَ اللفظان ، وان كان معناهما واحداً ورواه الطبرى عن مجاهد وابن زيد . ثم قال الطبرى ، وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، أن الله تعالى ذِكْرهُ أَخْبَر عن هؤلاء المشركينَ الذين أمَر نبيَّه والمؤمنين بقَتْلهم بعد انسلاخ الأشهر الحُرُم ، وحصرِهم والقعودِ لهم على كل مَرْصَد أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم إلاً ، ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القرابة ، قول ابن مقبل :

أَفْسَـد النـاسَ خُلـوف خَلَفُوا قَطَعُـوا الإلَّ وأعـراقَ الرَّحِمْ

بمعنى قطعوا القرابة ، وأورد قول حسان المتقدمِ ثم قال : وأما معناه اذا كان بمعنى العهد فقول القائل :

وجدناهمـو كاذبـاً إلُّهُمْ وذو الإلِّ والعَهْـدِ لايَكْذِبُ

وكان ابن اسحاق يقول : عَنَى بهذه الآية ، أهلَ العهدِ العام .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين » ؟ قال : « خامدين » ميتـين ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول لبيد :

خَلَّـوا ثيابَهـم على عَوْراتِهمْ فهمـو بأفنيـة البيـوت خُمُودُ

قال ابو تراب : البيت فى الديوان ص ٣٤ ط الكويت بلفظ (همود) ولم يذكر شارحه هذه الرواية .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة ، (ج ٢ ص ٣٦) مجاز الخامد ، مجاز الهامد ، كما يقال للنار اذا طَفِئَتْ : خَمَدتِ النار .

وفى غريب ابن قتيبة ص ٢٨٤ « خامدين » قد ماتوا فسكنوا وخمدوا .

وقال الراغب : « خامدين » كناية عن موتهم ، من قولهم : خَمَدتِ النار خُموداً ، طَفِىء لَهَبُها ، وعنه استعير خَمَدتِ الحُمىً : سكنتْ ، وقوله تعالى : « فاذا هم خامدون » .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الخاء والميم والدال ، أصل واحد يدل على سكون الحركة والسقوط ، يقال : خَمدتِ النار خموداً اذا سكن لَهَبُها ، وخَمَدتِ الحمىً ، اذا سَكَن وَهَجُها ، ويقال للمُغْمىَ عليه : خَمَد .

وفى المُجْمَل : وخَمَدَ الرجل : مات أو اغمى عليه .

وفى أساس البلاغة : نار خامدة ، وقد خَمَدَتْ خموداً ، سكن لَهَبُها ، وذهب حَسيسُها ، وللنار وَقْدَةٌ ثم خَمْدةٌ ، ومن المجاز ، خَمَدتِ الحُمىً : سَكَنتْ ، وخَمَد فلان ، ماتَ أو أُغمى عليه ، (فاذا هم خامدون) .

وفى لسان العرب : خَمَدت النار تَخْمُد خُموداً ، سَكنَ لَهَبُها ، ولم يَطْفَأْ جَمْرُها وهَمَدتْ هُموداً ، اذا أُطْفِىء جَمْرُها البَتَّة ، وأَخْمَدَ فلان نارهُ ، وقوم خامدون ، لاتَسْمع لهم حِسًّا ، من ذلك ، وفى التنزيل العزيز : « إنْ كانت الاّ صيحةً واحدة فاذا هم خامدون » قال الزجّاج : فاذا هم ساكنون قد ماتوا ، وصاروا بمنزلة الرَّمادِ الخامدِ الهامد قال لبيد :

وجدتُ أبى ربيعاً لليتامى   وللضَيفانِ إذْ خَمَد الفَئِيدُ

الفَئيدُ ، النار ، أى سَكَن لَهَبُها بالليل لئلاّ يَضْوِى اليها ضيفٌ أو طارق ، وفيه : « حتى جعلناهم حَصيداً خامدين » ، والخَمُّود على وزن التَّنُّور موضع تُدفن فيه النارُ حتى تَخْمُد ، وخَمَدَتِ الحُمىَ سكن فَوْرانُها ، وخَمِد المريضُ : أُغمى عليه أو مات . وفى نوادر الأعراب : تقول : رأيُته مُخْمِداً ومُخْبِتاً ومُخْلِداً ومُخْبطاً ومُسْبِطاً ومُهْدِياً ، اذا رأيته ساكناً لايتحرك ، والمُخْمِد ، الساكنُ الساكتُ ، قال لبيد :

(مِثْلُ الذى بالغِيْلِ يَقْرُو مُخْمِدا)

قال : مُخْمِدٌ ، ساكنٌ قد وطَّن نفسَه على الأمر .

قال أبو تراب : هذا من قصيدة له فى ديوانه (ص ١٦٤) أولها :

انْعَ الكريمَ للكريم أرْبدا انْعَ الرئيسَ واللطيف كَبِدا

والبيت فى الديوان بعد قوله : (ويملأ الجَفْنَة مَلأً مَدَدَا) :

رِفْهاً اذا يأتى ضَرِيكٌ وَرَدَا مِثْلُ الذى فى الغِيْل يقرو جُمُدا

قال شارحه الخُشَنِى .. (رِفْهاً) أى يفعل ذلك دائماً كل يوم ، والضريك : الفقير ، و (مِثْل الذى فى الغِيل) ، يعنى الأسد والغِيْلُ ، موضعه ، (يقرو) ، يتتبع ، و (جُمُد) اسم جبل ، ومن رواه (جَهَدا) فهو من الجَهْدِ ، وهو الطاقة . شَبَهَ أَرْبَدَ بالأسدِ المُخْدِرِ الذى يَصْعَد فى جُمُدَ فقال : هو مثلُه ، واذا قلتَ (مُخْمِدا) عَنَيْتَ ساكناً قد وَطَّنَ نفسه على الأمر ، يقول : لايَرُدُّه الوعيد .

قال أبو تراب : وضُبط (الغِيْل) فى المطبوعة الكويتية بالفتح وهو خطأ أمّا قوله : (وجدت أبى ربيعاً لليتامى) المتقدم ، فرواية الديوان بعده ،

(وللأضياف إذْ حُبَّ الفَئِيدُ)

وأشار الشارح الى أنه يُروى : (وللضيفان) ويروى (حياةً لليتامَى) ، قال : والفَئيدُ : الخبز المَليلُ ، وهو المَلَّة ، ويقال : إنَّ الفَئيد هو الشواء .

قال أبو تراب المَليل : الخبز واللحم المُدْخَل فى المَلَّة ، وهى الرماد الحارُّ أو الحُفرة نفسها .

قال اللغويون ولايقال : أطْعمنا ملَّة ، وأنما يقال : أَطْعِمنا خُبْزَ مَلَّةٍ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « آتونى زُبَرَ الحديد » ؟ قال : « زُبَرَ الحديد » قطَعَ الحديد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول كعب بن مالك :

تَلَظَّى عليهم حينَ أنْ شَدَّ حَمْيُها بِزُبْرِ الحديدِ والحجارةِ ساجِرُ

قال أبو تراب : البيت فى سيرة ابن هشام (ج ٣ ص ١٥) ويُروى :

(تَلَظَّى عليهم وَهْىَ قد شَبَّ حَمْيُها)

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ١ ص ٤١٤) : « زُبَرَ الحديد » ، أى قِطَعَ الحديد واحدتُها زُبْرَةٌ ، وانظر غريب ابن قتيبة ص ٢٧٠ .

وقال الدامغانى فى الوجوه والنظائر (٢١٦) : (زُبُر) على خمسة أوجه فوجه منها : الزُبُر ، حديث الأولين وامرهم الذى كان فى الكتب ، كقوله « بالبيّنات والزُبُر » يعنى حديث الماضين ، الثانى : الزُبُر ، الكتب « وانه لفى زُبُر الأولين » الثالث : الزُبُر ، يعنى اللوحَ المحفوظ « وكل شىء فَعَلَوهُ فى الزُبُرْ » الرابع : الزُبَر ، يعنى القِطع ، « آتونى زُبَر الحديد » وقوله : « فتَقَطَّعُوا أمرهم بينهم زُبَرا » أى قِطَعاً .

الخامس : زَبورُ داوود عليه السلام ، « وآتينا داوود زَبُورا » . ومثله فى نزهة الأعين لابن الجوزى ج ١ ص ٢٢١ .

وقال الراغب فى المفردات : الزُبْرة قطعة عظيمة من الحديد جمعه زُبَر قال : (آتونى زُبر الحديد) وقد يقال : الزُبْرة من الشَعر جمعُه زُبُر واستُعير للمُجَزَأ قال (فتَقَطَعُوا أمرَهم بينهم زُبُرا) أى صاروا فيه أحزابا وزَبَرْتُ الكتاب كتبتُه كتابةً عظيمة وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له : زَبُور ، وخُص الزَّبور بالكتاب المنزَّل على داوود عليه السلام قال : (وآتينا داوود زبورا) وقال (ولقد كتبنا فى الزَّبور من بعد الذكر) ، وقرىء «زُبورا» بضم الزاى ، وذلك جَمْعُ زَبورٍ كقولهم فى جمع ظريف ظروف أو يكون جَمْعَ زِبْرٍ وزِبْر مصدر سُمّى به كالكتاب ثم جُمع على زُبُر كما جُمع كتاب على كُتُبٍ ، وقيل : بل الزَّبورُ كل كتاب صَعُبَ الوقوف عليه من الكتب الآلهية قال : (وانّه لفى زُبر الأولين) وقال : (والزُبُر والكتاب المنير) وقال : (أم لكم براءة فى الزُبُر) وقال بعضهم : الزَّبُورُ اسم للكتاب المقصور على الحِكَم العقلية دُون الأحكام الشرعية والكتاب لما يَتَضَمنُ الأحكام والحِكَم ويدل على ذلك ان زبوَر داوود عليه السلام لايتضمن شيئا من الأحكام .

وزِئبِرُ الثوب معروف ، والأَزْبَرُ ماضَخُم زُبْرَةً كاهلِه ، ومنه قيل : هاج زَبْرَوْهُ : لَمن يَغضب .

وفى مقاييس اللغة : أن الزَّبْرَ أصْلانِ أحدُهما يدلّ على إحكامِ شيء وتوثيقه والآخر يدلّ على قراءةٍ وكتابةٍ وما أشبه ذلك . فالأول . قولهم زَبَرْتُ البئرَ اذا طويتَها بالحجارة ، ومنه زُبْرَة الحديد ، وهى القطعة منه والجمع زُبَر ، ومن الباب : الزُبْرة الصَدْرُ وسمى بذلك لأنه كالبئر المزبورة أى المطوِيّة بالحجارة ، ويقال : إنّ الزُبْرة من الأسد مجتمع وَبَرِه فى مِرْفَقَيْه وصدره ، وأسَد مَزْبَرانى أى ضَخْمُ الزُبْرة .

قال أبو تراب : ردّه ابن سيده وقال : الصواب المَرْزُبانّى ومن الباب الزَّبير وهى الداهيةُ ومن الباب : أَخَذَ الشيء بَزَوْبَره أى كُلِّهِ ومنه قول ابنِ أحمر :

(عُدَّتْ علىَ بِزَوْبَرا) .

قال أبو تراب : البيت التام فى اللسان :

وإنْ قال عَاوٍ من مَعَدّ قصيدة ... بهـا جَرَبٌ عُدَّت علىَ بِزَوْبَراَ

وفى صحاح الجوهرى : (اذا قال غَاو من تَنُوخ قَصيدةً) وأفاد الزَّبيدى فى شرح القاموس أنَّ هذا من شعر ابن أحمر والأولُ تَنَحَّله الفرزدق وغفل عن هذا محققو لسان العرب فى المجمع اللغوى القاهرى وعبدالسلام هارون فى تعليقه على المقاييس لابن فارس .

قال أبو تراب : و (زَوْبَرٌ) احدى الكلمات التى لم تسمع الاّ فى شعر ابنِ أحمر ، وقال ابُن فارس فى معنى المصراع (عُدَّتْ على بزوبرا) يقال : إن معناه : نُسِبَتْ الىَ بكمالِها وفى اللسان : أى قامَتْ علىّ بداهيةٍ ومن الباب مالفلانٍ زَبْرٌ أى ماله عقلٌ ولاتماسُك ومنه ازْبَأَرَّ الشعر اذا انتفش وتقوى والأصل الآخر : زبرت الكتاب اذا كتبته ، ومنه الزبور وربما قالوا : زبرتُـه ، اذا قرأتَـه ويقولـون فى الكلمة : أنا أعرف تَزْبَرِتى أى كتابتى .

قال أبوتراب : فى اللسان : أنا لا أعرف تَزْبَرتى ، ولعلّ الصواب أنا أعْرفِ بزِبْرَتى .

وفى أساس الزمخشرى : زبرتُ الكتاب بالمِزْبَر ، أى بالقلم قال :

(قد قُضى الأمر وجَفّ المِزْبَرُ)

وكتاب مزبور ، وقد نطقت به الزُبُر ورأيت فى يده زِبْراً وزُبوراً وأنا أعْرَفُ بزِبْرتى أى بكِتْبتى ، وعنده زُبْرة من حديد وزُبَر ، وأسد ضخم الزبرة ، وهى الشعر المجتمع على كاهله ومِرْفقَيهْ ، ومنها قولهم ازْبَأَرّ شَعْرُه اذا انتفش ، وزَابَر الثوبَ ، وجزّ شَعْرَه فَزَبرهُ اذا لم يُسوّه وكان بعضه أطولَ من بعضٍ ، وزَبَرْتُه : زَجَرْتُه ، وأخَذ الشىء بِزَوْبَرِهِ : بأجمعه ، وغَرّته الدنيا بِزَبْرِجها : بزُخْرُفها .

ومن المجاز : ماله زَبْرٌ ، عقلٌ وتماسُك قال ابن أحمر :

وَلَهَـتْ عليـه كـلُّ مُعْصِفةٍ   هَـوْجَـاء ليس لِلُبّهازَبْـرُ

وذهبت الأيامُ بطراءته ، ونَفَضَتْ زِئْبَرَهُ : اذا تقادم عهده .

قال ابن منظور : استعار ابن أحمر الزَّبْرَ للريح وانما يريد انحرافَها وهُبوبَها ، وأنها لاتستقيمُ على مَهَبّ واحدٍ فهى كالناقة الهوجاء وهى التى كأنّ بها هَوَجاً من سرعتها .

قال : وزَبَر البئر زَبْراً : طواها بالحجارة ، وقد ثَنّاه بعض الأغفال وإنْ كان جِنْساً فقال :

حتـى اذا حَبْـلُ الـدِلاءِ انْحَلاً   وانْقَـاضَ زَبْـرا حالِـه فَابْتَلاً

والزَّبور : الكتاب المزبور ، والجمع زُبُر ، كما قالوا رسولٌ ورسُلٌ ، وانما مَثّلْتُه لأن زَبوراً ورسولاً فى معنى مفعول ، قال لبيد :

وجَلاَ السُيـولُ عن الطلـول كأنها   زُبُـرٌ تُخِـدّ متونَهـا أقلامُها

ويقال : شَدّ للأمر زُبْرَته ، أى كاهلهَ وظَهرهُ ، وقول العَجّاج :

(بها وقد شَدُّوا لها الأزبارَا)

قيل فى تفسيره : جَمْعُ زُبْرةٍ ، وغيرُ معروفٍ جَمْعُ فُعْلةٍ على أفعالٍ .

قال ابن منظور : وهو عندى جمع الجمع ، كأنه جَمَع زُبْرةً على زُبرٍ وجمع زُبَراً على أزبارٍ أو يكون جَمْعَ زُبْرةٍ على إرادة حذف الهاء .

والزِبِرُ من للرجال الشديدُ القوى ، قال ابو محمدٍ الفقعسى :

(أكون ثَمَّ أسَداً زِبِرَا)

والزِبْرُ الكتابُ ، والجمع زُبُور مثلُ قِدْرٍ وقُدور ومنه قرأ بعضهم : « وآتينا داوود زُبُورا » وقد غَلَب الزَّبور على صحف داوود عليه السلام وكل كتابٍ زَبورٌ قال الله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزَّبور من بعد الذِكر » .

قال أبو هريرة : الزَّبور ما أنزل على داوود عليه السلام من بعد الذِكْر : من بعد التوراة ، وقرأ سعيد بن جُبير : « فى الزُّبور » بضَم الزاى وقال : الزُّبـور التوراةُ والانجيلُ والقرآن قال : والذِكر الذى فى السماء . وقيل : الزبور فعول ، بمعنى مفعول كأنّه زُبر ، أى كتب .

والمِزْبَر القلم وفى حديث أبى بكر أنه دعا فى مرضه بدواة ومِزْبَرٍ فكتب اسم الخليفة بعده . وفى الحديث أيضاً اذا رددتَ على السائل ثلاثاً فلاعليك أن تَزْبُرَهُ ، أى تَنْهَرَهُ ، وتُغْلِظَ له فى القول والردّ .

والأَزْبَرُ والمَزْبَرانُى الضَخْمُ الزُبْرةِ ، قال أوس بن حجر :

ليـــثٌ عليـــه من البَـــرْدِىَ هِبْرِيةٌ   كالمَزْبِرانـــىَ عَيَـــالٌ بِأَوْصَالِ

هذه رواية خالد بن كلثوم ، قال ابن سِيْدَه : وهى عنـدى خطـأ وعنـد بعضهم ، لأنه فى صفة أسَدٍ والمْزبَرانيُّ الأَسَدُ والشىء لا يُشَبَّه بنفسـه ، وانمـا الرواية كالمَرْزُبَانّىِ .

وزُبْرَةُ الحديد القطعة الضخمة منه ، والجمع زُبَرٌ ، قال الله تعالى : « آتونى زُبَرَ الحديد » وزُبُرٌ ايضاً . قال تعالى : « فتَقَطَّعُوا أمرهم بينهم زُبُرا » أى قِطَعاً قال الفَرَّاء فى المعانى ج ٢ ص ٢٣٧ : من قرأ بفتح الباء أراد قِطَعاً مثل قوله : « آتونى زُبَرَ الحديد » والمعنى فى زُبُر وزُبَر واحد . وقال الزَجّاج : من قرأ زُبَرا أراد قِطَعاً جمع زُبَرَةٍ ، وإنّما أراد تفرقوا فى دينهم . قال ابن بَرّى : من قرأ زُبُراً فهو

جَمْعُ زَبور لا زُبْرَةٍ ، لأن فُعْلَةً لا تجُمع على فُعُلٍ ، والمعنى جعلوا دينَهم كتباً مختلفةً ، ومن قرأ : زُبَراً وهى قراءة الأعمَش فهى جمع زُبْرَةٍ بمعنى القطعة ، أى فتَقَطَّعوا قِطَعاً ، وقد يجوز ان يكون جَمْعَ زَبور ، وأصلُه زُبُرٌ ثم أُبْدِل من الضَّمَّةِ الثانية فَتْحَة كما حكى أهل اللغة أن بعض العرب يقول فى جمع جديدٍ جُدَدٌ ، وأصلُه وقياسُه جُدُدٌ ، كما قالوا : رُكَبَاتٌ ، وأصلُ رُكُباتٌ مثلَ غُرُفاتٍ وقد أجازوا غُرَفاتٍ ايضاً .

ويُقَوِّى هذا أن ابن خَالَويهِ حكى عن أبى عمرو أنه أجاز أن يقرأ : زُبُراً ، وزُبْراً ، وزُبَراً فزُبْراً بالاسكان هو مخفَّفٌ من زُبُرٍ كعُنْق مخفَّف من عُنُق ، وزُبَر بفتح الباء مخفَّف ايضاً من زُبُرٍ بردَ الضمَّة فتحةً كتخفيف جُدَدٍ من جُدُدٍ .

والزَبيرُ الحَمْأَةُ قال الشاعر :

وقــد جَرَّب النـــاس آل الزُبير فذاقــوا مِنَ آلِ الزُبــير الزَّبيرا

وأخَذَ الشيءَ بِزَبَرِه ، وزَوْبَرِه ، وزَغْبَره وزابِرِه ، أى بجميعه فلم يَدَعْ منه شيئاً قال ابن أحمر :

وإن قال عاوٍ من مَعَــدٌ قصيدةً بهــا جَرَبٌ عُدَّت على بِزَوْبَرا

أى نُسبت الىّ بكما لها ولم أَقُلْها ، وقال ابن بَرّى : أى قامت علىَّ بداهية .

قال أبو تراب : وقد مضى القول بأن هذا اللفظ ليس لابن أحمر وانما هو للفرزدق ، ولفظه : (غاوٍ من تنوخ) .

قال ابن جِنّى : سألْتُ أبا علىٍّ عن ترك صرف زَوْبَر ههنا فقال : عَلّقه عَلَماً على القصيدة ، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث كما اجتمع فى سُبْحانَ التعريفْ وزيادة الألف والنون ، وقال محمد بن حبيب : الزَّوْبَرُ الداهية ، قال ابن بَرّى : الذى مَنَع زَوْبَرَ من الصرف أنه اسمُ عَلَمٍ للكَلْبَةِ مُؤَنَّثٌ . قال : ولم يُسْمَعُ بِزَوْبَرَ هذا الاسم الاَّ فى شعره .

ورَوى شَمِرٌ حديثاً لعبد الله بن بِشرٍ انه قال : جاء رسول الله ﷺ إلى دارى فوضعت له قطيفةً زبيرةً .

وأَزْبَأَرَّ الشَّعَرُ والوَبَرُ والنباتُ طَلَع ونبت ، وأَزْبَأَرَّ الشَّعْر انْتَفَشَ قال امرؤ القيس :

لهـا ثُنَنٌ كخـوَا فى العُقَا ب سُودٌ يَفِـينَ اذا تَزْبَئِرّ

وأزبأَرَّ للشرِ تَهَيَّأَ ، ويوم مُزْبَئِرٌّ : شديد مكروه . وأَزْبَأَرَّ الكلبُ تَنَفَّشَ ، قال الشاعر يصف فَرَساً وهو المَرَّار بن مُنقذ الحَنْظَلِىُّ :

فهـو وَرْدُ اللـون فى آزْبئرارِهِ وكُميتُ اللَّـونِ ما لم يَزْبَئِرّ

قد بلونـاه على عِلاَّته وعلى التيسـير منـه والضُّمُرْ

الوَرْد بين الكُميتِ وهو الأحمر وبين الأشقر . يقول اذا سكن شَعْرُهُ استبان أنه كُميتٌ ، واذا آزْبَأَرَّ استبان اصولُ الشَّعَر ، وأصولهُ أَقَلُّ صِبْغاً من أطرافه ، فيصير فى آزْبئرارِهِ وَرْداً ، والتيسير هو أن يَتَيَسَّرَ الجَرْىُ ويَتَهَيَّأَ له .

وفى حديث صفية بنت عبد المطلب :

كيف وجدتَ زَبْرا أَأَقِطاً أم تمرا أو مُشْمَعِلاً صَقْرا .

الزَّبْر بالفتح والكسر هو القَوىُّ الشديد وهو مُكَبَّر الزُبير ، تَعْنِى ابنَها ، أى كيف وجدته ؟ كطعامٍ يُؤكل ، أو كالصَّقْر ؟

والزَّبير اسم الجبل الذى كَلَّم الله عليه موسى عليه السلام .

وزَبْراءُ اسم امرأة ، وفى المَثَل : « هاجت زَبْراءُ » وهى ههنا اسم خادمٍ كانت للأحنف بن قيس ، وكانت سليطة فكانت اذا غضبَت قال الأحنف : هاجت زبراء ، فصارت مثلاً لكل أحد حتى يُقالُ لكل انسان اذا هاج غضبه ، هاجت زَبْراؤُهُ .

قال أبو تراب : والمثل ذكره الميدانى فى مجمع الأمثال (ج ١ ص ٢٣٨) .

وفى تاج العروس للزبيدى : تَزَبَّر الرجلُ اذا انتسب الى الزُبير كتَقَيَّس ، قال مقاتل بن الزُبير :

وَزَبَّـرَتْ قيسٌ كأنَّ عيونَها حَدَقُ الـكلاب وأظهـرتْ سِيماهَا

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس أخبرنى عن قوله تعالى : « فاعترفوا بذنبهم فسُحْقاً لأصحاب السعير » ؟ قال : « سحقاً » بُعْداً ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول حسانَ بن ثابت :

ألاَ مَنْ مُبْلِغٌ عنّى أبَياً   لقد أُلقيتَ فى سُحْقِ السعيرِ

قال أبو تراب : البيت فى سيرة ابن هشام (ج ٣ ص ٩٠) .

وقال الراغب : السَحْقُ تفتيتُ الشَىء ، ويُستعمل فى الدواء اذا فُتِّتَ يقال : سَحَقْتُه فَانْسَحَقَ . وفى الثوب اذا أخْلَقَ يقال : أسْحَقَ . والسَّحْقُ الثوب البالى ، ومنه قيل : أسْحَقَ الضَّرْعُ أى صار سَحْقاً لذهاب لَبَنِه ، ويَصِحُ أن يُجْعَل اسحاقُ منه فيكونَ حينئذ منصرفاً .

قال أبو تراب : هذا وهم فإسحاقُ اسمْ أعجمىٌ اتفق لفظه مع الصيغة العربية وسيأتى كلامُ سيبويه فيه .

وقيل : أبعَده الله وأسْحَقَه ، أى جعله سحيقاً ، وقيل : سَحَقَه أى جعله بالياً ، قال تعالى : « فسُحْقاً لأصحاب السعير » وقال تعالى : « أو تَهْوِى به الريح فى مكان سحيق » ودَمٌ مُنْسَحِقٌ ، وسَحُوقٌ مُستعارٌ كقولهم مَزْرُورٌ .

قال ابو تراب : وأهمل هذه المادّة الدامغانى فى كتاب الوجوه والنظائر .

قال ابنُ فارسٍ فى المقاييس السين والحاء والقافِ أصلانِ أحدهما : البُعْد والآخَر إنهاك الشىء حتى يُبْلَغ به الى حال البِلىَ . فالأولُ السُحْقُ وهو البُعد قال الله جل ثناؤه : « فسُحْقاً لأصحاب السعير » . والسَحوق النخلة الطويلة ، وسُمَيت بذلك لبُعْد أعلاها عن الأرض .

والأصل الثانى : سَحَقْتُ الشىءَ أسْحَقُه سَحْقاً . والسَّحْقُ الثوب البالى ، ويقال : سَحَقَه البِلىَ فانْسَحَقَ ، ويُستعار هذا حتى يقال : إن العين تَسْحَق الدمعَ سَحْقاً وأسْحَقَ الشىءُ اذا انْضمَر وانْضَمَّ وأسْحَقَ الضَرْع اذا ذهب لبنُه ، وبَلىَ .

وقال الزمخشرى فى الأساس : سَحَق الدواءَ ، ومِسْكٌ سحيقٌ ، وبَلَدٌ

سحيق ، وسُحْقاً له وأسْحَقَه الله ونخلة سحوق ونخيل سُحُق وثوب سَحْق ورأيت عليه سَحْقَ بُرْدٍ ، وسَحْقَ عمامةٍ وأسْحَقَ الضرعُ : ذهب لبنُه .

ومن المجاز : سَحَقتِ الرياحُ الأرضَ قَشَرَتْها بشدة هُبوبِها ، وسَحَقَه البِلَى ومَحَقَه فانْسَحَق ، ولعن الله السَحّاقاتِ وقد سَحَقَتْها وساحَقَتْها ، وهما تَتَساحَقانِ ، وسَحَقَتِ العينُ الدَمع سَحَّتْه ودموعٌ مساحيق ، وجرت من عينهِ مساحيق الدموع .

وقال ابن منظورٍ فى اللسان : سَحَق الشىءَ يَسْحَقُه سَحْقاً دَقَّه أشَدَّ الدَقِّ ، وقيل السَّحْقُ الدَّقُّ الرقيقُ ، وقيل : هو الدَقُّ بعد الدَقِّ ، وقيل السَحْقُ دون الدَقِّ ، والسَّحْق الثوب الخَلَق البالى قال مُزَرِّدٌ :

وما زَوَّدُونى غير سَحْقِ عمامة وخَمْسِ مِيءٍ منها قَسِىٌّ وزائفُ

وجمعُه سُحوق .

قال الفرزدق :

فإنك إنْ تهجو تميماً وتَرْتَشِى بتأبينِ قيسٍ أو سُحوقِ العمائِم

قال أبو تراب : هكذا فى اللسان والصواب : (تَبَابِينَ قيسٍ أو سحُوقَ العمائِم) كما فى المُحْكَم لابن سِيْدَهْ ، وديوان الفرزدق .

وسَحَقه البِلَىَ سَحْقاً . قال رؤبة :

(سَحْقَ البِلَىَ جِدَّتَه فأنْهَجَا)

وفى حديث عمرَ أنه قال : مَنْ زَافَتْ عليه دراهمُه فليأتِ بها السُوقَ ولْيَشْتَرِ بها ثوبَ سَحْقٍ ، ولا يحالفِ الناسَ أنها جيادٌ .

وأنْسَحق الثوبُ أى خَلَق ، قال أبو النجم :

(مِنْ دِمْنَةٍ كالمِرْجَلِ المِسْحَقِ)

والاسحاقُ ارتفاعُ الضرعِ ، ولُزوقُه بالبطن ، وأسْحَقَ الضَرْعَ : يَبِسَ وبَلِىَ ، وارتفع لبنُهُ ، وذهب ما فيه ، قال لبيدُ (يصف مهاةً) :

حتى اذا يَبِسَتْ وأَسْحَقَ حالقٌ   لم يُبْلِه إرضاعُها وفِطامُها

والسَّحْقُ فى العَدْوِ دونَ الحُضرِ ، وفوقَ السَحْجِ ، قال رُؤْبَةُ :

فَهْيَ تُعاطَى شَدَّهُ المُكَايَلاَ   سَحْقاً من الجِدِّ وسَحْجاً باطلاَ

وأنشد الأزهرى للآخر :

كانت لنا جارة فأزعجها   قاذورةٌ تَسْحَقُ النَوى قُدُما

وسَحَقتِ العينُ الدمعَ فانسَحَق حَدَرَتْهُ ، ودموع مساحيقُ ، وأنْشَدَ :

(قِتْبُ وغَرْبُ اذا ما أُفْرِغَ انْسَحَقا)

والسُحُق البُعْد وكذلك السُحْقُ مثل عُسرْ وعُسرُ وقد سَحُقَ الشيءُ بالضمّ فهو سحيقٌ أى بعيدٌ قال ابن بَرّى : ويقال : سحيقٌ وأُسْحَقُ ، قال أبو النجم :

(تَعْلُو خَناذِيذَ البعيدِ الأسحقِ)

وفى الدعاء سُحْقاً له وبُعْداً نصبوه على إضمار الفعلِ غير المستعملِ إظهارُهُ .

قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (ج ١ ص ٢٩٨) : هم ينصبون المصادر التى فى مواضع الفعل كقولهم : بُعْداً وسُحْقاً ورَعْياً لك ، وأهلاً وسهلاً . والسحيق البعيد وهو من قولهم : أسحق منه واسحقته الريح ، ويقال بعُد وسحُق .

قال ابن منظور : وسَحَقَه الله وأسْحَقَه الله أى أبْعَده ، وعنه قوله :

كانت لنا جارةٌ فأزعَجها   قاذورةٌ تَسْحَقُ النَوى قُدُمَا

قال ابو تراب : أنشده ابو عبيدة فى المجاز ج ٢ ص ٥٠ والطبرى ج ١٧ ص ١٠٩ وهو لابن قيس الرقيات . وقال ابن قتيبة ص ٤٧٤ : فسحقاً أى بُعْداً

وأسْحَقَ هو وانْسَحَقَ ، بَعُدَ ، ومكان سحيق بعيد ، وفى التنزيل : « أو تهوى به الريح فى مكانٍ سحيقٍ » ويجوز فى الشعر ساحقٌ .

وسُحُق ساحق على المبالغة ، فإن دعوتَ فالمختارُ النَّصْب .

قال الازهرى لغة اهل الحجاز : بُعْدٌ له وسُحْقٌ له يجعلونه اسما والنصب على

الدعاء عليه يريدون به أَبْعَدَهُ الله ، وأَسْحَقَه سُحْقاً وبُعْداً ، وإنه لبعيد سحيق .

وقال الفَرَّاءُ فى قوله تعالى : « فسُحقاً لأصحاب السعير » اجتمعوا على التخفيف ولو قُرِئَتْ : « فسُحُقاً » كانت لغةً حسنةً .

قال ابو تراب : رويت هذه القراءة عن على وقرأ الكسائى وابو جعفر انظر القرطبى ج ١٨ ص ٢١٣ .

قال الزجّاج : « فسُحْقاً » منصوبٌ على المصدر ، أَسْحَقَهم الله سُحْقاً أى باعدهم من رحمته مباعدةً .

وفى حديثَ الحوض : فأقول : سُحْقاً سُحْقاً ، أى بُعْداً بُعْداً ، ومكان سحيقٌ بعيد ، ونَخْلَةٌ سَحُوقٌ : طويلة ، وأنشد ابن برّى لِلْمُفَضَّل النَّكْرِىَ :

(كانَ جِذْعٌ سَحُوقُ)

وفى حديث قُسٌ : كالنخلة السَحوقِ أى الطويلة التى بَعُدَ ثَمَرُها على المجْتَنِى ، قال الأصمعى : لا أدرى لعلَّ ذلك مَعَ انْحِناءٍ يكون ، والجَمْعُ سُحُقٌ ، فأمّا قول زُهير :

كأن عَيْنَىَّ فى غَرْبَىْ مُقَتَّلَةٍ   من النَّواضح تَسْقِى جنَّةً سُحُقاً

فانّه أراد نَخْلَ جَنَّةٍ فحذَفَ ، ألاّ أن يكونوا قد قالوا : جَنَّةٌ سُحُقٌ كقولهم : ناقةٌ عُلُطٌ ، وامرأة عُطُلٌ . وقال الأصمعى : اذا طالت النخلة مع انْجرادٍ فهى سَحوقٌ . وقال شَمِرٌ : هى الجرداء الطويلة التى لا كَرَب لها ، وأنشد :

وسالفةٌ كسَحوق اللِّيا   نِ أضرم فيها الغَوِىُّ السُّعُرْ

شَبَّه عُنُقَ الفَرَس بالنخلةِ الجَرْداءِ ، وأنشد للبيد فى صفة النَّخْل :

سُحُقٌ يُمَتِّعِها الصَفَا وسَرِيُّهُ   عُمٌّ نَواعِمُ بينهنَّ كُرومُ

واستعار بعضهم السَحوق للمرأة الطويلة ، وأنشد ابن الأعرابى :

تُطيف به شَدَّ النهارِ ظعينةٌ   طويلةُ أنْقاءِ اليدَيْنِ سَحوقُ

والسَوْحَقُ الطويلُ من الرجال ، قال ابن برى : شاهدُه قَولُ الأخْطَلِ :

اذا قُلتُ نالتْه العوالى تقاذَفَتْ   به سَوْحَقُ الرِجْلَينِ سانحةُ الصدْرِ

وإسحاقُ اسمُ أعْجَمِيٌّ ، قال سيبويه : الحقوه ببناء إعصارٍ ، فإن أردتَ به الاسم الأعجمى لم تَصرِفْه فى المعرفة ، لأنَّه غُيرّ عن جهته ، فوقع فى كلام العرب غيرَ معروفِ المذهب ، وإن أردت المصدر من قولك : أسْحَقَه السفرُ إسحاقاً ـ أى أبْعَدَهُ ـ صَرَفْتَ لأنه لم يُغَيَّرْ قال ابن برى : والسِّمْحاقُ أثر الخِتانِ وشاهدُه للراجز فى شعره ذكره اللسان فلينظر ثمة .

والسَّحْق فى العَدْو فوق المشى ودون الحُضرْ . ومن شواهده فى العُباب فى شعر رؤبة يذكر الكامِلَ فَرَسَ ميمونِ بنِ موسى المُرِّى :

كيف ترى الكامِلَ يَقْضِى فَرَقَا ‏ ‏ الى مدى العُقْبِ وشَداً سَحْقَا

والسَّحْقَ الثوب البالى سُمّى بالمصدر لأنه الذى سَحَقَه مَر الزمان سَحْقاً حتى رقَّ وبَلِى ، قال أعشى همدان :

وليس عليك الاَّ سَحْقُ بَتٍّ ‏ ‏ نَصِيبِىٌّ وإلاَّ جَرْدَنيمُ

وأنْسَحَقَ : اتَّسَعَ ، وعنه المُنْسَحِق للمُتَّسِع ، قال رؤبة يصف حماراً وأُتُنَه

حتى اذا قَحَّمَها فى المُنْسَحَقْ ‏ ‏ وأنْحَسَرَتْ عنها شِقابُ المُخْتَنَقْ

وقال الامام ابن جرير فى تفسيره (ج ٢٩ ص ٤) : « فسُحْقاً لأصحاب السعير » يقول : فبُعْدَاً لأهل النار ، ورواه عن ابن عباس ، وروى عن سعيد ابن جُبير قال : « سُحْقاً » وادٍ فى جهنم .

قال الطبرى : والقرّاء على تخفيف الحاءِ من السُحْقِ ، وهو الصوابُ عندنا لأن الفصيحَ من كلام العربِ ذلك ، ومن العرب من يحرّكها بالضَمّ .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « إنِ الكافرون إلاّ فى غُرور » ؟ قال : « فى غُرور » فى باطل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول حسانَ بنِ ثابتٍ الأنصارى :

تَمَنيكَ الأمانى من بعيدٍ ‏ ‏ وقولُ الكُفْرِ يَرجِعُ فى غُرورِ

قال أبو تراب : أورده ابن هشام في السيرة (ج ٣ ص ٩٠) .

وفى مجاز ابى عبيدة ج ٢ ص ١٢٩ « ولايغرنكم بالله الغرور » مجازه أن كل من غركَ من أمر الله أو من غير ذلك فهو غرور شيطان كان أو غيره تقديره فعول من غررت تغر .

وفى مفردات الراغب : قال : غَرَرْتُ فُلاناً ، أى أصبتُ غِرَّتَه ، ونلْتُ منه ما أريده ، والغِرَّةُ غَفلةٌ فى اليقظة ، والغِرار غفلةٌ مع غَفْوةٍ ، وأصل ذلك من الغُرّ وهو الأثرُ الظاهرُ من الشيء ، ومنه غُرَّةُ الفرس ، وغرارُ السيفِ أى حَدُّه ، وغَرُّ الثوب أثرُ كَسرِه ، وقيل : اَطْوِهِ على غَرِّهِ ، وغَرَّه كذا غُروراً ، كأنما طَواهُ على غَرِّهِ . قال : « ما غَرَّك بربك الكريم » وقال « لا يَغُرَّنَّك تَقَلُّبُ الذين كفروا فى البلاد » وقال « يوحى بعضهم الى بعض زُخرفَ القول غُرورا » وقال « ما الحياة الدنيا الاّ متاع الغرور » وقال : « وغرّتهم الحياة الدنيا » وقال « ما وعدنا الله ورسوله الاّ غُرورا » وقال : « ولا يَغُرَّنَّكم بالله الغرور » فالغرور كلُّ ما يَغُرُّ الانسان من مالٍ وجاهٍ وشهوةٍ وشيطان .

وقد فسر بالشيطان إذْ هو أخبث الغارّين ، وبالدنيا لما قيل : الدنيا تغُرّ وتضرّ ، وتمر والغَرَر الخَطَر وهو من الغَرّ والغرير الخُلق الحسن اعتباراً بأنه يُغَرُّ ، وقيل : فلان أدبر غَريرُه وأقبل هَريرُه فباعتبار غرّة الفرس وشهرته بها قيل فلان أغَرُّ اذا كان مشهوراً كريماً وقيل الغُرَرَ الثلاث ليالٍ من أول الشهر لكون ذلك منه كالغُرَّة من الفرس ، وغِرار السيف حَدُّه ، وغارتِ الناقة قَلَّ لبنُها فكأنها غَرّتْ صاحبها .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الغين والراء أصولٌ ثلاثة صحيحة . الأول : المثال ، والثانى : النُقصان ، والثالث : العِتْق والبياض والكرم .

فالأول الغِرار : المِثالُ الذى يُطبع عليه السِهامُ ، ويقال : ولدتْ فلانةُ اولادها على غِرارٍ واحدٍ ، أى جاءتْ بهم واحداً بعد واحدٍ على مثالٍ واحد ، وأصْلُ هذا الغَرُّ وهو الكَسْرُ فى الثوب ، يقالُ : اَطْوِ الثوبَ على غَرِّهِ أى كسرْه

ومثاله الأول . والغُرَّةُ سُنَّةُ الانسان وهى وجهُه ، ثم يُعَبَّرُ عن الجسم كلّهِ به ، من ذلك : « فى الجنينِ غُرَّةٌ ، عبدٌ أو أمَةٌ » أى عليه فى دينه نَسَمَةٌ ، عبدٌ أو أمَةٌ ، قال :

كلُّ قتيلٍ فى كُليبٍ غُرَّهْ حتى ينال القتْلَ آلُ مُرَّهْ

قال : لبيت المُهَلْهِلِ كما فى الأغانى (ج ٤ ص ١٤٤) وأنشده فى اللسان بدون نِسْبة وتفسيره عنده : أنهم ليسوا بكُفْءٍ لكُليبٍ انما هم بمنزلة العبيد والاماء إنْ قَتَلْتُهم حتى أقتل آل مُرَّةَ فانهم الأكفاء حينئذ ومن الباب الغَريرُ وهو الضمينُ ، يقال : أنا غَريرُك من فلانٍ ، أى كفيلك . وانما سُمّى غريراً لأنه مثال المضمون عنه يؤخذ بالمال مثلما يؤخذُ المضمونُ عنه ومُحْتَمِلٌ أن يكونَ غِرارُ السيف وهو حَدُّه من هذا وكلُّ شيء له حَدٌّ فحَدّ غِرارٌ . لأنه شيء اليه انتهى طَبْع السيف ومثالُه .

وأمّا النُقصانُ فيقال : غَارَتِ الناقة تُغَارُ غِراراً ، اذا نَقَص لَبَنُها . وفى الحديث : « لا غِرارَ فى صلاةٍ ولا تسليم » فالغِرارُ فى الصلاة ألاّ يُتمَّ ركوعَها أو سجودَها ، والغِرارُ فى السلام : أن يقول : السلام عليك ، أو يَرُدَّ فيقول : وعليك ومنه الغِرارُ وهو النوم القليلُ .

قال الشاعر :

إنَّ الرَّزِيَّة من ثقيفٍ هالكٌ تَرَكَ العُيونَ فنومُهنَّ غِرارُ

قال أبو تراب : البيت للفرزدق يرثى الحجّاج وهو فى ديوانه (ص ٣٦٥) . وقيل فى « لا غرار فى صلاة ولا تسليم » ايضا : إنه النومُ وردُّ السلام فهما لا يصلُحان فى الصلاة .

وقال ابو احمد العسكرى فى التصحيفات ج ١ ص ٣٢٠ روى بعضهم : « لا إغرار » مصحفا فالغرار هنا النقصان .

وقال جرير : ـ انظر الديوان ص ٢٢٦ ـ

ما بالُ نومِك فى الفِراشِ غِرارا لو كان قلبُك يستطيع لَطَارا

ومن الباب بيعُ الغَرَر ، وهو الخطَر ، الذى لا يُدرى أيكون أم لا ، كبيع العبد الآبقِ ، والطائر فى الهواء ، فهذا ناقص لايَتِمُّ البيع فيه أبداً . وغَرَّ الطائرُ فَرْخَه اذا زَقَّه ، وذلك لقلته ونُقصان ما معه .

والأصل الثالث : الغُرَّةُ ، وغُرَّةُ كلِّ شيء : أكرمُه ، والغُـرَّةُ البياضُ وكلُّ أبيضَ أغَرُّ ، ويقال لثلاث ليال من أول الشهرِ غُرَّة .

ومن الباب الغَرير ، وهو الخُلُق الحسن ، يقولون للشيخ : أدبر غَريرُهُ وأقبل هَريرُهُ ، وممّا يقارب هذا : الغَرارةُ ، وهى كالغفلة وذلك انها من كَرَم الخُلُق ، قد تكون فى كل كريم ، فأمّا المذموم من ذلك فهو من الأصل السابق لأنه من نقصان الفِطْنَة .

ومّما شَذَّ عن هذه الأصول إنْ صَحَّ شيءُ ذكره الشَيْبانى : أن الغِرْغِرَ دجَاجُ الحَبَش ، واحدتُها غِرْغِرَةٌ ، وأنشد :

ألفُهمـــو بالسيف من كل جانبٍ كما لَفَّـــتِ العِقبـــانُ حِجْلَى وغِرغِرا

قال أبو تراب : أنشده ثعلب فى مجالسهِ ، وابنُ منظور فى اللسان .

وفى اساس البلاغة للزمخشرى : تَغرَّر الفرس وتَحَجَّلَ ، وبِمَ غُرِّر فَرَسُك ؟ وصَبَّحَهم الجيش وهم غارُّونَ أى غافلون . ويقال : « أغَرُّ من ظَبْىٍ مُقْمِر » لأنه يخرج فى الليلة المُقْمِرةِ يَرى انه النهارُ فتأكلُه السباع . واَغْتَرَّه الأمر أتاه على غِرَّةٍ قال :

اذا اَغْتَـرَّهُ بـــين الأحبَـــة لم تكن له فَزْعَـــةٌ الاّ الهـــوادجُ تُخْدَرُ

أى تُجَلَّلُ ، ولم يزل يطلب غِرَّته حتى صادفها ، وأصاب منه غِرَّةَ فبَطَش به وما غَرَّك به ؟ أى كيف اجترأت عليه و « ما غَرَّك بربك الكريم » ، ومَنْ غَرَّك منه أى مَنْ أوْطَأكَ عَشوْةً فيه . وأنا غَريرُك من هذا الأمر أى إن سألتنى على غِرَّةٍ أجبْك به لاستحكام علمى بحقيقته ، وتقول إيّاك والتَغِرَّة ،والهجوم على غِرَّهْ ، من غَرَّك بنفسه ، اذا أخْطَرها تَغِرَّةً ، وهو على غَرَرٍ : خَطَرٍ ، ونهى عن بيع الغَرَرِ ، وقال النَمِرُ .

تصابَــى وأمْسَى علاه الكِبَرْ وأمسى لجَمْــرَةَ حَبْــلٌ غَرَرْ

أى غَير موثوق به ، واْطوِه على غُرورِه ، أى على مكاسِرِهِ .

ومن المجاز يومٌ أَغَرُّ مُحَجَّلٌ ، قال ذو الرُمَّةِ :

كيوم ابـن هنـدٍ والجِفــارِ وقَرْقَرىَ ويومٍ بذى قارٍ أغــرَّ مُحَجَّلِ

ويومٌ أغَرُّ شديد الحَرِ ، وهاجرةٌ غَرَّاءُ ، قال ذو الرُمَّة :

ويومٍ يُزيرُ الظبــىَ أقْصَى كناسه وتنــزو كنَــزْوِ المُعْلِقــات جنادبُه

أغـرَّ كَلَـوْنِ المِلْـحِ ضَاحِــى تُرابه اذا استَوْقَــدَتْ حِزَّانُــه وسَباسِبُهْ

قال أبو تراب :

وفى اللسان : (اذا استودقت) و (ضَيَاهِبُهْ)

وقال :

وهاجــرةٍ غرّاءَ ساميتُ حرَّها اليــك وجَفْــنُ العــين فى الماء سابِحُ

وعيشٌ غريرٌ ، كما يقال ، عيشٌ أبْلَهُ ، وغُرَّةُ المالِ : الجمالُ والخيلُ والعَبِيدُ ، أى خِيارُهُ . وقَرَحَتْ سِنُّ الصَبِىِّ اذا هَمَّتْ بالنبات ، وغَرَّرَتْ خرجت من القَرحة والغُرَّة . وأقبل السيل بِغُرَّاتِه ، وهى نُفَّاخاتُهُ . ورَضِىَ أعرابىٌّ امرأةً فقال : هى الغَرَّاءُ بنت المخَضة ، شَبَّهَها بالزُبْدَةِ ، ويقال : للسوقِ دِرَّةٌ وغرارٌ ، أى نَفاقٌ وكسادٌ .

و « سَبَقَتْ دِرَّتُه غِرارَهُ » كقولهم : « سَبَقَ سَيْلُك مَطَرَكَ » وما قعدتُ عنده الاّ غِراراً ، و « لا غِرارَ فى الصلاة » وأصلُه غَارَتِ الناقةُ غِراراً اذا نقَصَ لَبَنُها ، وفلان مُغَارُّ الكفِّ : للبخيل ، ومنه : ما أذُوقَ النومَ غِراراً ، وتقول : نَقْدُ الغِرار أهونُ عليه من وقْعِ الغِرار ، وتقول : ان الجلوس على الأسِرَّة تحت الأسنَّة والأغِرَّةْ .

وفى لسان العرب : غَرَّه يَغُرُّه غَراًّ وغروراً وغِرَّةً (الأخيرة عن اللحيانى) فهو مغرور وغرير : خَدَعَهُ ، وأطمعه بالباطل ، قال :

إنّ امْــرَأً غَرَّه منــكنَّ واحدةٌ بعـدى وبعـدكِ فى الــدنيا لمغرورُ

أراد : لمغرورٌ جداً ، أو لمغرور جِدَّ مغرورٍ ، وحَقَّ مغرور ، ولولا ذلك لم يكن فى الكلام فائدة . لأنه قد عُلم ان كُلَّ من غُرَّ فهو مغرور ، فأى فائدة فى قوله : لمغرور إنما هو على ما فُسرَ .

وفى الحديث : « المؤمن غِرٌّ كريم » أى ليس بذى نُكْرٍ ، فهو ينخدع لانقياده ولينه ، وهو ضِدُّ الخَبِّ ، يقال : فتى غِرٌّ ، وفتاة غِرٌّ ، وقد غَرِرْتَ تَغَرُّ غَرارةً ، يريد أن المؤمن المحمود مَنْ طبعهُ الغَرارة ، وقلّةُ الفطنة للشرِ ، وتركُ البحث عنه وليس ذلك منه جهلاً ولكنّه كَرَمٌ وحسنُ خُلُقٍ ومنه حديث الجَنَّة . يَدْخُلُنى غِرَّةُ الناس ، أى البُلْهُ الذين لم يجربوا الأمور فهم قليلو الشرِّ مُنْقادون ، فإنَّ مَنْ آثر الخمولَ وإصلاحَ نفسه والتزوُّدَ لِمَعادِه ، ونَبَذ أمورَ الدنيا فليس غِراً فيما قصَدَ له ، ولا مذموماً بنوعٍ من الذمِّ ، وقولُ طَرَفة :

أبا مُنْذِرٍ كانت غُروراً صحيفتى
ولم أُعطِكم فى الطَّوع مالى ولاعِرْضى

انما أراد : ذاتَ غُرور ، لا تكون الاّ على ذلك ، قاله ابن سِيْدَهْ ، قال : لأن الغُرور عَرَضٌ ، والصحيفةُ جوهر ، والجوهر لا يكون عَرَضاً .

والغَرورَ ما غَرَّك من انسان وشيطان وغيرهما ، وخَصَّ يعقوبُ به الشيطانَ . وقوله تعالى : « ولا يَغُرَّنكم بالله الغَرور » قيل : الغَرورُ الشيطانُ ، قال الزجّاج : ويجوز الغُرور بضم الغين ، وقال فى تفسيره : الغُرور الأباطيل ، ويجوز أن يكون الغرور جَمْعَ غَارٍّ مثلُ شاهدٍ وشهودٍ ، وقاعدٍ وقُعود ، والغُرور بالضَمِّ ما اغْتُرَّ به من متاع الدنيا وفى التنزيل العزيز : « لا تَغُرَّنَّكم الحياة الدنيا » يقول لا تَغُرَّنَّكم الدنيا فان لكم حَظاً فيها يَنْقُص من دينكم فلا تؤثروا ذلك الحَظَّ ، ولا يَغُرَّنَّكم بالله الغَرور ، والغَرور الشيطانُ يَغُرُّ الناسَ بالوعدِ الكاذبِ والتمْنِيَةِ ، وقال الأصمعى : الغَرور الذى يَغُرُّكَ ، والغُرور بالضمّ الأباطيل كأنها جَمْعُ غَرّ مصدرُ : غَرَرْتُه غَراً ، وقال : وهو أحسن من أن يجُعل غَرَرْتُ غُروراً ، لأن المتعدَىَ من الأفعال لا تكاد تقع مصادرها على فُعولٍ الاّ شاذاً .

وقد قال الفَرَّاء : فى المعانى ج٢ ص ٣٣٠ غَررتُه غُروراً ، قال وقوله تعالى : « ولا يَغُرَّنَّكم بالله الغَرور » يريدُ به زينة الأشياء فى الدنيا ، والغَرور : الدنيا صفةٌ غالبةٌ .

وقال أبو اسحاق فى قوله تعالى : « يا أيها الانسان ما غَرَّك بربك الكريم » أى ما خَدَعَك وسَوَّل لك حتى أضَعْتَ ما وجب عليك ، وقال غيره : ما غَرَّك أى ما خَدَعَك بربّك وحَمَلَك على معصيتهِ ، والأَمْنِ من عقابه ، فزَيَّنَ لك المعاصى والأمانِيَّ الكاذبةَ فارتكبت الكبائرَ ، ولم تَخَفْهُ وأَمِنْتَ عذابَه ، وهذا توبيخٌ وتبكيتٌ للعبدِ الذى يَأْمَنُ مَكْرَ الله ولا يخافُه .

وقال الأصمعىُ : ما غَرَّك بفلانٍ أى كيف اجترأت عليه ، وأنشد ابو الهيثم :

أغَـرَّ هشامــاً من أخيه ابــنِ أُمِّه　　قوادمُ ضأنٍ يَسرَتْ وربيعُ

قال : يريد : أجْسرَه على فراق أخيه لأمهَ كثرة غنمه وألبانها .

قال : والقوادمُ والأواخرُ فى الأخْلافِ لا تكون فى ضروع الضأن ، لأنَّ للضأنِ والمَعَزِ خِلْفَينْ مُتحاذِيَينْ ، وما له أربعة أخلافٍ غيرُهما ، والقادمان الخِلْفانِ اللذان يَليانِ البطنَ ، والآخرانِ اللذانِ يَلِيَانِ الذَنَب ، فَصَيَّرَهُ مثلاً للضأنِ ، ثم قال : أغَرَّ هشاماً قوادمُ لضأنٍ له يَسرَتْ ، وظنَّ أنه قد استغْنَى عن أخيه .

وفى حديث سارقِ أبى بكر : عجبتُ من غِرَّتهِ بالله عز وجَلَّ أى اغترارِه .

وفى حديث عمر : أيُّما رجلٍ بايع آخر على غير مَشُورةٍ فإنَّه لا يُؤَمَّرُ واحدُ منهما تَغِرَّةَ أن يُقْتَلا ، التَغِرَّةُ مصدرُ غررتُه . اذا ألقيته فى الغَرَر وهو من التغرير ، كالتَعِلَّةِ من التعليل .

قال ابن الأثير : وفى الكلام مضاف محذوفُ تقديره : خوفَ تَغِرَّةٍ فى أن يُقْتَلا . أى خوفَ وقوعهما فى القتل ، ويجوز ان يكون قوله : « أن يُقْتَـلا » بدلاً من « تَغِرَّة » ويكونَ المضاف محذوفاً كالأول ، ومن أضاف « تغِرَّةَ » الى « أن يُقْتَلا » فمعناه خوفَ تَغِرَّةِ قتلهما .

وقال الأزهرى : ونَصَبَ « تَغِرَّةَ » لأنه مفعول له ، وقوله : « أن يُقتلا » أى حِذارَ أن يُقْتَلا ، وكراهةَ أن يُقْتَلا ، وقد فَسرَّ الأزهرىُ هذا الحديث أدَقَّ تفسير فانظرهُ فى التهذيب والغَريرُ الكفيل ، وأنشد الأصمعى فيما رواه ثعلبُ عنه قال :

أنــت لِخَــيْرِ أمــةٍ مُجيرُها وأنــت ممــا ساءهــا غريرُها

ونهى رسول الله ﷺ عنبيع الغَرَر ، وهو مغ كان له ظاهرٌ يَغُرُّ المشترىَ وباطنٌ مجهول ، يقال : اياك وبيع الغَرَر ،وهو أن يكون على غير عُهْدةٍ ولا ثقةٍ ، قال الأزهرى : ويدخل فى بيع الغَرَر البيوع المجهولةُ التى لا يحيط بكُنْهِها المتبايعانِ حتى تكونَ معلومةً .

وفى حديث مُطَرِّفٍ : إنَّ لى نفساً واحدةً ، وإنّى أكره أن أُغَرِّر بها ، أى أحملها على غير ثقةٍ ، قال : وبه سُمّى الشيطانُ غَروراً لأنه يحمل الانسان على مَحَابِّه ووراء ذلك ما يَسُوء كفانا الله فتنتَه .

وفى الحديث : لأن أغْتَرَّ بهذه الآية ولا أقاتلَ أحبُّ إلى مَن أنْ أغْتَرَّ بهذه الآية . يريد قوله تعالى : « فقاتلوا التى تبغى حتى تَفىء إلى أمر الله » وقوله تعالى : « ومن يَقْتُلْ مؤمناً متعمداً » والمعنى : أن أخاطرَ بتركى مقتضى الأمر بالأولى أحَبُّ الى من ان أخاطر بالدخول تحت الآية الأخرى .

وفى حديث على بن أبى طالب : اقتلوا الكلب الأسود ذا الغُرَّتَينْ ، الغُرَّتان النكْتَتَان البيضاوانِ فوقَ عينَيْه .

ورجلُ أغَرُّ الوجه اذا كان أبيض الوجه من قومٍ غُرٍّ وغُرَّانٍ .

قال امرؤ القيس :

ثيابُ بنــى عوفً طهــارَى نَقِيَّةٌ وأوجُهُهُــم بيضُ المَسَافِــرِ غُرَّانُ

وقال أيضاً :

(اولئك قومى بهَاليلُ غُرّ)

قال ابن بَرّى : المشهور فى بيت امرىء القيس :

(وأوجُههم عند المشاهدِ غُرّانُ)

أى اذا اجتمعوا لغُرْم حمالةٍ ، أو لادارة حَرْبٍ وجدت وجوههم مُسْتَبْشرةً غير مُنْكَرَةٍ ، لأنَ اللئيم يَحْمَرُّ وجههُ عند ما يُسائِله السائل ، والكريم لا يَتَغَيَّرُ وجههُ عن لونه ، قال : وهذا المعنى هو الذى أراده مَنْ رَوَى (بِيْضَ المسَافِر) وقوله : (ثيابُ بنى عوفٍ طَهَارَى) يريد بثيابهم قلوبَهم ، ومنه قوله تعالى : « وثيابك فطَهر » .

قال أبو تراب :

فى هذه الآية أقوال سنوردها فى موضعها ان شاء الله .

وفى الحديث : « غُرّ مُحَجَّلُونَ من آثار الوضوء » الغُرُّ جمع الأغَرَ من الغُرَّةِ بياض الوَجْهِ ، يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة ، وقول أم خالدٍ الخَثْعَمِيَّة :

لِيشرَبَ منه جَحْوشُ ويَشِيْمَهُ بعَيَنْى قطَامَى أغَرَّ شآمِيْ

يجوز أن تعنى قُطامِياً أبيضَ ، وإنْ كان القُطامىُّ قَلَّما يوصف بالأغَرّ ، وقد يجوز أن تعنى عُنُقَه فيكون كالأغَربين الرجال ، والأغَرُّ من الرجال الذى أخذت اللحية جميع وجهه الاّ قليلاً كأنه غُرَّةٌ ، قال عَبيدُ بن الأبرص :

(ولقد تُزانُ بك المجالِسُ لا أغَرّ ولا عُلاَكِزْ)

وفى الحديث : ما أجِدُ لِمَا فَعَل هذا فى غُرَّةِ الاسلام مَثَلاً الاّ غنَماً وردتْ ، فرُمِىَ أولُها ، فنَفَر آخِرُها ، وغُرَّةُ الاسلام أوَّلُه ، وغُرَّة كل شىء أوله .

وفى الحديث : فى صوم الأيام الغُرّ ، أى البيض الليالى بالقمر ، قال الأزهرى : وأمّا الليالى الغُرّ التى أمر النبى ﷺ بصومها فهى ليلة ثلاثَ عَشرْة ، وأربعَ عَشرْةَ ، وخَمْسَ عَشرْة ، ويقال لها البيض ، وأمر النبى ﷺ بصومها لأنه خَصَّها بالفضل .

قال ابن منظور : وفى قول الأزهرى : (الليالى الغُرّ التى أمَر بصومها) تَنقدٌ وكان حَقُّه أن يقول : بصوم أيامِها فإن الصيام انما هو للأيّام لا لليالى .

ويقال : وديقةٌ غراء وهاجرةٌ غراء شديدة الحَرّ ، وأنشد أبو بكر :

من سَمومٍ كأنها لَفحُ نارٍ شَعْشَعَتْها ظهيرةٌ غَرّاءُ

وفى حديث ظَبْيانَ : أن ملوك حِمْيَرَ ملكوا معاقل الأرض وقرارها ، ورؤوسَ الملوك وغِرارَها ، الغِرارُ والأغرار جَمْعُ الغِرّ . وفى الحديث : المؤمن غِرٌّ كريم والكافر خَبٌّ لَئِيمٌ ، معناه أنه ليس بذى نَكْراءَ ، فالغِرُّ الذى لا يَفْطَن للشرّ ويَغْفُل عنه ، والخَبُّ ضِدُّ الغِرّ ، وهو الخَدَّاع المُفْسد . وفى حديث ابن عمر : انك ما أخذتها بيضاءَ غريرةً ، هى الشابّة الحديثة التى لم تُجَرِّبِ الأمور ، ولم تكن تعلم ما يعلم النساء وهى ايضاً : غِرٌ بغير هاء ، قال الشاعر :

(ان الفتاة صغيرة ، غِرٌّ فلا يُسْرَى بها)

وغَرُّ السيف حَدُّه ، ومنه قول هِجْرِسِ بن كُلَيْبٍ حين رأى قاتل أبيه : أمَا وسيفى وغَرَّيْهْ ، أى وحَدَّيْهْ .

وفى الحديث : « لا تُغَارُّ التحية ، أى لا يُنْقَصُ السَّلامُ . وغَارَّتِ السوقُ تُغَارُّ غِراراً : كسدَتْ ، ودَرَّتْ دَرَّةً نَفَقَتْ ، وقول أبى خراش :

فغارَرْتَ شيئا والدَّريسُ كأنَّما يُزَعْزِعُه وَعْكٌ من المُومِ مُرْدِمُ

قيل معنى غاررتَ : تَلَبَّثْتَ ، وقيل ، تَنَبَّهْتَ .

قال الزبيدى ، فى التاج : هكذا ذكره اللسان هنا ، والصواب ذِكْرُهُ فى العين المهملة . ويقال : ضَرَب نِصَالَه على غِرارٍ واحدٍ ، قال الهُذَلىُّ يصف نَصْلاً :

سَديدُ العَيْرُ لم يَدْحَض عليه الْغِرارُ فَقِدْحُهُ زَعِلٌ دَرُوجُ

قوله : « سديد بالسين ، أى مستقيم ، قال ابن بَرّى : البيت لعمرو بن الداخل وقوله : « سديد العَيرْ » أى قاصدٌ ، والعَيرْ الناتِى فى وَسْطِ النصل و « لم يَدْحَضْ » أي لم يَزْلَقْ عليه الغرار ، وهو المثال الذى يُضرب عليه النَصْل فجاء مِثْلَ المِثالِ و « زَعِلٌ » نشيطٌ ، و « دَروجٌ » ذاهب فى الأرض .

وفى الحديث « لا غِرارٍ فى صلاة ولا تسليمٍ » أى لا نقصانَ قال ابو أحمد العسكرى فى كتاب التصحيفات ج١ ص ٣٢٠ : رُوى لا إغرار مصحفا . قال

أبو عُبيد : الغِرارُ فى الصلاة النقصان فى ركوعها وسجودها وطُهورها ، وهو أن لا يُتَم ِ ركوعَها وسُجودَها ، فمعنى الحديث : لا يُنْقَص من ركوعها ولا من سجودها ولا أركانها كقول سَلْمانَ : الصلاة مكيال فمن وَفىَّ وُفىَ له ومن طَفَّفَ فقد علمتم ما قال الله تعالى فى المُطَفَفين

وأمّا الغِرارُ فى التسليم فنراه أن يقول له السلام عليكم ، فيَرُدُّ عليه الآخر : وعليكم ولا يقول : وعليكم السلام ، ذكره الأزهرى فى التهذيب . وقال ابن سِيْدَهْ : وأمّا الغِرار فى التسليم فنراه أن يقول : سلامٌ عليك أو يَرُدَّ فيقولَ : وعليك ، ولا يقول وعليكم وقيل : لا غرار فى الصلاة ولا تسليم فيها أى لا قليلَ من النوم فى الصلاة ولا تسليم أى لا يُسَلِّمُ المصُلىِ ولا يُسَلَّمُ عليه . وقال ابن الأثير : المعنى لا نَقْصَ ولا تسليم فى صلاة لأن الكلام فى الصلاة بغير كلامها لا يجوز .

قال أبو تراب :

أمّا قول ابن سِيدة : لا يُسَلَّمُ على المصلىَ فهو خطأ فقد كان يُسَلِّم على رسول الله وهو يُصَلىَ فيردُّ إشارةً بيده ، وهذا معروف عند المحدّثين وفيه ردّ على كلامه وبالله التوفيق .

والغِرارة الجُوالق واحدة الغرائر قال الشاعر :

(كأنه غِرارةُ مَلأى حَثَى)

قال ابو تراب : الحَثَى دقِاق التِبن . وغَرَّ الطائر فَرْخَه اذا زَقَّه ، وفى حديث معاوية : كان النبى ﷺ يَغُرُّ علياً بالعلم ، أى يُلْقمه اياه ، يقال : غَارَّ القُمْرِي أنثاه اذا زقها وفى حديث علىَ : من يُطع الله يَغُرهَ كما يَغُرُّ الغرابُ بُجَه أى فَرْخَه وفى حديثُ ابن عمر وذَكر الحسن والحسينَ فقال : إنما كانا يُغرانِ العْلمَ غَراً وجمعه غرور قال عوف بن ذِرْوَةَ فاستَعمله فى سير الابل :

اذا احْتَسى يومَ هجير هائفِ غُرور عِيْديَاتِها الخوانفِ

يعنى أنه أجهدها فكأنه احتَسى تلك الغرور، وغَرَّر السِقاء اذا ملأه قال حُميد :

وغــرَّرَهُ حتــى استَــدارَ كأنه   على القَرْو عُلْفُوفٌ من التُرْك راقِد

يريد مَسْكَ شاةٍ بُسِط تحت الوَطْب، وفى تهذيب الأزهرى : وغــرْتُ الأساقي : ملأتُها قال الراجز :

فظِلْــتَ تَسْقِــى الماء فى قِلاَتِ   فى قُصُــبٍ يُغَــرُّ فى وَأْبَاتِ
غرَّك فى المِرارِ مُعْصَماتِ

القُصْبُ : الأمعاء والوَأْبَاتُ الواسعاتُ . وفى حديث عمر أنه قَضَى فى ولد المغرور بغُرَّة هو الرجلُ يتزوّج امرأة على أنها حُرَةً فتظهر مملوكة فيَغْرَمُ الزوجُ لمولى الأمِة غُرَّةً عبداً أو أمةً ، ويرجعُ بها على من غَرَّهُ ويكون ولدُه حُرّاً وفى الحديث أن حَمَل بن مالك قال للنبى ﷺ : إنّى كنت بين جاريتَينْ لى ، فضربتْ إحداهما الأخرى بِمسْطَح ، فألْقَتْ جنيناً مَيّتاً وماتتْ ، فقَضَي رسول الله ﷺ بِديِة المقتولةِ على عاقلة القاتلة وجعل فى الجنين غُرَّة عبداً أو أَمَةً . ورُوى عن أبى عمرو بن العلاء انه قال فى تفسير الغُرَّةِ : الغُرةُ عبد أبيض ، أو أمَة بيضاء .

وفى تهذيب اللغة للأزهرى : لاتكون الغُرةُ الاَبِيْضَ الرقيق .

قال ابنُ الأثير فى النهاية : ولايُقبل فى الدية عبدٌ أسودُ ولاجارية سوداء وليس ذلك شرطاً عند الفقهاء وانما الغُرةُ عندهم مابلغ ثمنُها عُشر الدية وانما تجب الغُرة اذا سقط الجنين ميتاً فان سقط حَياً ثم مات ففيه الدية كاملة ، وقد جاء فى بعض روايات الحديث : بغُرة عبد أو أمَةٍ أو فرس أو بغل وقيل : ان الفرس والبغل غلط من الراوى .

وفى الحديث : اياكم ومُشارّة الناس ، فانها تَدفِنُ الغُرة وتظهر العُرَّة ، الغُرةُ ههنا الحَسَنُ والعمل الصالح شَبَّهَه بغُرة الفرس وكلُ شيء تُرفع قيمتُه فهو غُرة وقوله فى الحديث : عليكم بالأبكارِ فانهن أغرَّ غُرَّةً يحتمل أن يكون من غُرَّة البياض وصفاء اللون ، ويحتمل ان يكون من حُسْنِ الخُلُق والعِشْرة ويؤيده

الحديث الآخر عليكم بالابكار فانهن أغَرُ أخلاقاً أى إنهَن أبعد من فطنة الشرّ ومعرفته من الغِرةِ الغَفْلةِ وكل كَسرٍ مُتثنّ فى ثوب أو جِلْدٍ غَرّ ، قال :

قد رجع المُلْكُ لِمستَقَرهْ ولاَنَ جِلْدُ الأرضِ بعد غَرّهْ

وجمعه غرور ، قال أبو النجم :

حتى اذا ماطَارَ من خبيرها عن جُدَدٍ صُفر وعن غُرورها

وغَرُ الظهر ثَنِيُ المَتْن قال :

كأن غَرَّ مَتْنِه إذْ تَجْنُبُهْ سَيرُ صَناعٍ فى حَريرٍ تَكْلُبُهْ

قال الاصمعى : الغُرور : مكاسر الجِلْدِ وفى حديث عائشة تصف أباها فقالت : رَدَّ نَشرَ الإسلام على غَرّهِ أى طَيِّهِ وكَسرْه ، أرادت تدبيرَه أمْرَ الرِدَةِ ، ومُقَابَلةَ دائها بدوائها ، والغَرُّ ، النَهْر ، وأنشد ابن الأعرابى : (سَقِيَّةُ غَرٍ فى الحجال دَموجِ) هكذا فى المُحْكَم ، وأورده الأزهرى فقال : أنشدنَيه ابن الأعرابى فى صفة جاريةٍ ، يعنى أنها تُخْدم ولاتَخْدُم . وقال ابن السكيت فى تفسير قوله : (كأنَ غرَمَتْنه إذْ تَجْنُبُهْ) غَرُ المَتْن ، طريقُه ، يقول دُكَينٌ : طريقتُه تَبْرُقُ كأنها سَيرٌ فى خريز ، والكَلْبُ أن يُبقَى السَيرُ فى القِربةِ وهى تَخْرُزُ ، فتُدْخِلُ الجاريةُ يدها وتجعلُ معها عُقْبَةً أو شَعْرةً ، فتُدخِلُها من تحتِ السَيرِ ، ثم تَخْرِق خَرْقاً بالإشْفَى فتُخرجُ رأسَ الشعرة منه ، فاذا خرج رأسُها جَذَبَتْها فاستخرجتِ السَيْرَ . وقال أبو حنيفة : الغَرّانِ ، خَطّانِ يكونان فى أصْلِ العَيرْ من جانَبيْه ، قال ابن مَقْرومٍ وذَكر صائداً :

فأرسلَ نافِذَ الغَرَيْن حشراً فَخَيَّبَهَ من الوتَر انقطاعُ

والغِرْغِرُ ، من عُشْب الربيع ، وهو محمود ، ولاينْبُت الاّ فى الجبل ، له ورق نحوُ ورقِ الخُزامى ، وزهرتُه خضراء ، قال الراعى :

كأن القَتودَ على قارحٍ أطاع الربيعَ لهُ الغِرْغِرُ

أراد أطاع زمنَ الربيع ، واحدتُه غِرْغِرَةٌ . وغَرْغَرَ اللحم على النار . اذا صَلَيْتَه فسمعتَ له نَشيشاً ، قال الكُميتُ :

ومَرْضُوفَةٍ لم تُؤْنِ فى الطبخ طاهياً ... عَجِلْتُ الى مُحْوَرِها حين غرْغرا

والغَرْغَرَة ، صوت القِدْر اذا غَلَتْ ، وقد غَرْغَرَتْ ، قال عنترة :

إذْ لاتزال لكم مُغَرْغِرَةٌ ... تَغْلى وأعْلىَ لونِها صَهْرُ

أى حارٌ ، فوضع المصدر موضع الاسم ، وكأنه قال : أعلى لونها لون صَهْرٍ .

والغَرْغَرَةُ ، كَسْرُ قَصَبة الأنف ، وكسرُ رأسِ القارورة ، وأنْشَدَ :

وخَضراءُ فى وَكْرَيْنِ غَرْغَرْتُ رأسَها ... لأُبْلىَ إنْ فارقتُ فى صاحبى عُذْرا

والغُرَيْرُ ، فَحْلٌ من الإبل ، وهو ترخيم تصغيرِ أغَرّ ، كقولك فى أحمدَ حُمَيد والإبل الغُرَيْرِيَّة منسوبة اليه ، قال ذو الرُمَّة :

حَراجيج مِمّا ذَمَّرَتْ فى نتاجها ... بناحية الشَحْرِ الغُريرِ وشَدْقِمَ

يعنى أنها من نتاج هذين الفحلَينْ ، وجعل الغُريرَ وشَدْقَماً ، اسمَينْ للقَبيلتَينْ .

وقول الفرزدق يصف نساءً :

عَفَتْ بعد أترابِ الخَليطِ وقد نَرى ... بها بُدَّناً حُوراً حِسانَ المدامعِ

اذا ما أتاهنَّ الحبيب رَشَفْنَه ... رشيفَ الغُرَيْرِيَاتِ ماءَ الوقائعِ

والوقائع ، المناقع ، وهى الأماكن التى يُستنقع فيها الماء ، وقيل فى رشَفْ الغُرَيْرِياتِ إنها نُوقٌ منسوبات الى فَحْلٍ ، قال الكميت :

غُرَيْرِيَةُ الأنسابِ أو شَدْقَمِيَةٌ ... يَصِلْنَ الى البِيْدِ الفَدافِدِ فَدْفَداَ

وفى الحديث : أنه قاتَلَ مُحاربَ خَصَفَةَ ، فرأوا من المسلمين غِرَّةً فصلىّ صلاةَ الخوفِ . الغِرَّة ، الغَفْلةُ ، أى كانوا غافلين عن حفظ مُقامهم ، وماهم فيه من مقابلة العدّو . ومنه الحديث : أنه أغار على بنى المصطَلِق وهم غارُّونَ ، أى غافلون ، وفى حديث عمر أنه كتب الى أبى عُبيدة ألاَّ يُمْضَى أمْرَ الله تعالى إلاّ بَعيدُ الغِرَّةِ ، حَصيفُ العقدة ، أى منَ بعُدَ حِفْظُه لغَفْلة المسلمين ، وفى حديث عمر : لاتَطْرقوا النساءَ ولاتَغتروهنَّ ، أى لاتدخلوا اليهن على غِرَّةٍ .

قال ابن الأثير : وفى حديث حاطبٍ : كنتُ غَريراً فيهم ، أى مُلْصَقاً ملازماً لهم ، قال بعض المتأخرين ، هكذا الرواية ، والصوابُ : كنت غَرِيّاً أىْ مُلْصَقاً يقال : غَرِىَ فلانٌ بالشىء ، اذا لزمه ، ومنه الغِراءُ الـذى يُلصَـقُ به ، وذكره الهَرَوى فى العين المهملة : كنت عَريراً وهذا تصحيف منه .

قال ابن الأثير ، أمّا الهَرَوى فلم يُصَحِّفْ ، ولاشَرَح الاّ الصحيح ، فان الأزهرىَّ والجوهرىَّ والخَطَّابى والزمخشرى ، ذكروا هذه اللفظة بالعين المهملة فى تصانيفهم ، وشرحوها بالغريب ، وكفاك بواحدٍ منهم حُجَّةً للهَـروَىَ فيما رَوَى وشَرَح والله تعالى أعلم .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « أَنَّ الله يُبَشِّرُكِ بِيَحْيَى مُصَدِقاً بكلمةٍ من الله وسَيِّداً وحَصُورا » ؟ قال : (الحصور) الذى لايأتى النساء ، قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمّا سمعتَ قول الشاعر :

وحَصـوّر عن الخَنَـا يأمُـرُ النا   سَ بفعـلِ الخـيرات والتشميرِ

قال أبوتراب :

وفى مجاز القرآن لأبى عُبيدة (ج ١ ص ٩٢) : الحَصور له غير موضع ، والأصل واحد ، وهو الذى لايأتى النساءَ ، والذى لايُولد له ، والذى يكونُ مع النَّدامَى فلا يُخرج شيئاً .

قال الأخطل :

وشـاربٍ مُرْبِـحٍ للـكأس نادَمَنى   لا بالحَصـورِ ولا فيهـا بِسَوَّارِ

الذى لايُساور جليسَهُ كما يُساور الأسَدُ ، والحَصورُ أيضاً ، الذى لايُخرِجُ سرًّا أبداً ، قال جرير :

ولقد تُسَقِّطُني الوُشاةُ فصادفوا حصِراً بسِرِّكِ يا أُمَيْم ضَنِيْنَا

قال أبو تراب :

بيت الأخطل أورده الطبرى (ج ٣ ص ١٥٨) والقرطبى (ج ٤ ص ٧٨) واللسانُ وهو فى ديوانه ، (ص ١١٦) وبيت جريرٍ فى جمهرة ابن دريد (ج٢ ص ١٣٤) والطبرى (ج ٣ ص ١٦٠) واللسانِ وهو فى ديوانه ، (ص ٥٧٨) .

وقال الدامغانى فى الوجوه والنظائر ، (ص ١٣٤) : الحَصرْ على ثلاثة أوجه ، الضيق ، الحَبْسُ ، الذى لايأتى النساء ، فوَجْه منها الحَصرْ ، الضيق ، قوله تعالى : « أو جاءوكم حَصِرَتْ صدورهم » ، أى ضاقت .

الثانى : الحَصرْ الحَبْسُ ، قولُه تعالى : « فان أُحْصِرْتُم » يقول : حُبِسْتُم كقوله تعالى : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » .

الثالث : الحَصور الذى لايأتى النساء ، قولُه تعالى : « وسَيِّداً وحَصوراً » ، يعنى لم يكن له شهوة فى النساء .

قال ابو تراب :

وأغفل ابن الجوزى رحمه الله هذه المادة فلم يذكرها فى نزهة الأعين والنواظر ولعلّ عذره أن صيغَها مختلفة .كما هو حالة فى أكثر ما استدركنا به على الدامغانى .

وفى مفردات الراغب : الحَصر ، التضييق ، قال عز وجل : « واحْصُرُوهم » أى ضيّقوا عليهم ، وقال عز وجل : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » ، أى حابِساً . قال الحسن : معناه : مِهاداً ، كأنه جعله الحَصير المَرْمُولَ ، فان الحَصير سُمِّى بذلك لِحَصرِ بعض طاقاتِه على بعضٍ ، وقال لبيد ، (انظر ديوانه ص ٢٩) :

ومَعالـمٍ غُلْبِ الرِقـابِ كأنهم جِنٌّ لدى باب الحَصير قيامُ

أى لدى سُلْطانٍ ، وتسميتُه بذلك ، إمّا لكونه محصوراً نَحْوَ مُحَجَّب ، وإمّا لكونه حاصراً أى مانعاً لمن أراد أن يمنعه من الوصول اليه . وقوله عز وجل :

« وسيّداً وحَصوراً ، فالحَصور ، الذى لايأتى النساء ، إمَّا من العُنَّةِ ، وإما من العفة والاجتهاد فى إزالة الشهوة ، والثانى اظهر فى الآية لأنّ بذلك يَسْتَحِقُّ المَحْمَدَة . والحَصرُ والإحْصارُ ، المَنْع من طريق البيت ، فالإحصار يقال فى المنعِ الظاهرِ كالعدّو ، والمنعِ الباطنِ كالمَرَضَ ، والحَصرُ لايقال الاّ فى المنعِ الباطن ، فقوله تعالى : « فان أُحْصِرْتُمْ ، فمحمول على الأمْرَيْن ، وكذلك قولُه : « للفقراء الذين أُحْصِرُوا فى سبيل الله » ، وقوله عز وجل : « جاءوكم حَصرَتْ صدورهم » أى ضاقَتْ بالبُخْلِ والجُبْنِ ، وعُبِّر عنه بذلك كما عُبِّر عنه بضيق الصدر ، وعن ضِدِهِ بالبّر والسَعَة .

وروى أبوعُبيدٍ عن أبى عمرو : حَصرَنى شىء وأحْصرَنى ، اذا حَبَسَنى وذَكر قولَ ابنِ ميّادة :

ومـا هَجْـرُ ليلى أن تكونَ تباعدتْ عليــكَ ولا أنْ أحْصَرَتْــك شُغولُ

ذكره ابن فارسِ فى المُجْمَلِ والمقاييس ، وابُن منظور فى اللسان .

وقال ابن فارس فى الحَصرْ : هو أصل واحد ، وهو الجمعُ ، والحَبْسَ ، والمَنْع ، قال أبو عمرو : الحَصِيرُ الجَنْبُ . قال الأصمعى : الحَصير مابين العِرْق الذى يظهر فى جَنْب البعيرِ والفَرَس معترضاً ، فما فوقَه الى منقَطع الجنب ، فهو الحَصيرُ وأىَّ ذلك كان ، فهو من الذى ذكرناه من الجَمْع ، لأنه مُجْمَع الأضلاع .

والحَصرِ : العِيَىُّ ، كأنَ الكلام حُبس عنـهُ ، ومُنـع منـه ، والحَصر ضيـق الصدر ، ومن الباب الحُصرْ ، وهو اعتقال البطن ، يقال : منه حُصِرَ وأُحْصِرَ . والناقة الحَصور ، وهى الضَيِّقة الإحليل ، والقياس واحد ، فأمّا الإحصارَ ، فأن يُحْصرَ الحاجُّ عن البيت بمرضٍ أو نحـوه ، ونـاسٌ يقولـون : حَصرَه المرض ، وأحْصَرَهُ العدو .

قال : والكلام فى حَصرَه وأحصره مُشْتَبِه عندى غاية الاشتباه ، لأن ناساً يَجْمَعُون بينهما ، وآخرونَ يَفْرِقُون ، وليس فَرْقُ من فَرَق بين ذلك ولاجَمْعُ من جَمَع ، ناقضاً القياسَ الذى ذكرناه ، بل الأمر كلُّـه دالٌ على الحَبْسِ ، ومـن

الباب ، الحَصور الذى لايأتى النساءَ . فقال قوم : هو فعول بمعنى مفعول ، كأنه حَصِر أى حُبِس ، وقال آخرون : هو الذى يَأْبَى النساءَ كأنه أحْجَم هو عنهنّ ، كما يقال : رجل حَصورٌ : اذا حَبَسَ رِفْدَهُ ، ولم يُخْرِجْ مايُخْرِجُه النَّدامَى . ومن الباب ، الحَصر بالسرّ ، وهو الكَتوم له . والحَصير فى قوله عز وجل : « وجعلنا جهنم للكافرين حَصِيرا » ، هو المَحْبِس والحَصير فى قول لبيد :

ومقامــةٍ غُلْــبِ الرِقــابِ كأنهم جِنٌ لدى طَرَفِ الحَصــير قيامُ

هو المُلْكُ ، والحِصار وسادةٌ تُحشى وتُجعل لِقادِمَةِ الرَّحْل ، يقال : احْتَصَرْتُ البعيرَ احتصاراً .

قال ابو تراب : وفى اللسان : (وقِما قمٍ غُلْبٍ) فى شعر لبيد .

وفى مجاز أبى عبيدة ج١ ص ٦٩ « فان أحصرتم » أى ان قام بكم بعير ، أو مرضتم ، أو ذهبت نفقتكم ، أو فاتكم الحج ، فهذا كله مُحْصرَ ، والمحصور الذى جُعل فى بيت أو دار أو سجن .

وقال أيضاً : ج١ ص ١٣٦ « حصرت صدورهم » من الضيق وهى من الحصور .

وقال أيضا : ج١ ص ٣٧١ « حصيراً » من الحصر والحبس ، فكان معناه : مَحْبِسا ، ويقال للملك حصير لأنه محجوب ، وأنشد بيت لبيد : (ومقامة غلب) الخ وهو فى السمط ص ٩٥٥ والطبرى والقرطبى .

قال أبو عبيدة : والحصير أيضاً البساط الصغير فيجوز أن تكون جهنم لهم مهاداً بمنزلة الحصير .

ويقال للجنبين حصيران يقال : لأضربنّ حصيريك وصُقْليك .

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ٧٨ الإحصار هو أن يعرض للرجل مايحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر أو عدوّ ، يقال : أحصر الرجل فان حبس قيل حُصِرَ .

وفى أساس البلاغة للزمخشرى : حَصَرْتَهم حَصراً ، حبستَهم ، والله حاصر الأرواحِ فى الأجسام ، وأُحْصِرِ الحاجُ ، اذا حُبِسُوا عن المُضِى بمرضٍ أو خوفٍ أو غيرهما ، « فإن أُحْصِرْتُمْ » ، وحُصِرِ الرجل وأُحْصِرِ ، أُعْتُقل بطنُه ، وبه حُصْرٌ ، وأعوذ بالله من الحُصرِ والأُسرِ ، وحاصرهم العدوّ حِصاراً ، وبَقِينا فى الحصِار أياماً ، أى فى المحاصرةِ أو فى مكانها ، وحوصروا مُحاصرًاً شديداً ، وحَصر صدرُهُ ، وحَصر لسانُه وحَصر فى كلامِه ، وفى خُطبتهِ ، عَىَّ ، ونعوذُ بالله من العُجْب والبَطَرِ ، ومن العِىّ والحَصرَ ، ورجل حَصورٌ : لايرغب فى النساء ، وهو بخيل حَصورٌ ، وحَصِرٌ ، وقد حَصرَ على قومِهِ ، وفى قلبِهِ ولسانِهِ ويديه حَصَرٌ أى ضيقٌ ، وعِىٌ ، وبُخْلٌ ، وهو حَصِرٌ بالأسرار ، لايُفْشِيهْا .

وأنشد بيت جرير المتقدم ثم قال : وغضب الحَصيرُ على فلانٍ أى المَلِكُ ، سُمّىِ لاحتجابه ، وخَلَّد الحَصيرُ فى الحَصيرِ أى فى المَحْبِس ، « وجعلنا جهنم للكافرين حَصيرا » ، ودابَّة عريضُ الحَصيرَين أى الجَنْبَينْ ، وأوجع الله حَصِيرَيْهِ اذا ضرُب ضرباً شديداً ، قال الطِرِمّاحُ .

تَقَلْقَلَ شهراً دائماً كلَّ ليلةٍ تَضُمُّ حَصِيْرَيْهِ عُرىً ونُسوعُ

واذا استحيا الرجل من شىء فتركه ، أو دخل بامرأة فعجز عنها ، أو تَعَذَّر عليه الوصولُ الى مراده ، قيلَ : قد حُصِرِ عنهُ ، وحُصِر دونه ، قال لبيد :

أَسْهَلْتُ وٱنْتَصَبَتْ كجِذْعِ مُنيفةٍ جَرْداءَ يُحْصَرُ دونهَا جَرّامُها

وامرأة حَصْراء : رَتْقَاء .

قال فى اللسان : كلُّ من بَعلِ بشِىء ، أو ضاق صَدْرُهُ بأمرٍ ، فقد حَصِرَ ، ومنه قول لبيد يصف نخلةً طالتْ ، فحَصِرَ صَدْرُ صارم ثمرها حين نَظَر الى أعاليها ، وضاق صدرُه أن رَقِىَ اليها لطولها : (أعْرَضْتُ وانتصبت) الخ والحِصار : الموضع الذى يُحْصَرَ فيه الإنسان ، تقول : حَصرَوه حَصراً ، وحاصروه ، وكذلك قولُ رؤبة : (مِدْحَةَ محصورٍ تَشَكىَّ الحَصرا) ، قال : يعنى

بالمحصور المحبوس . والحَصير ، الطريق ، والجَمْعُ حُصُرٌ ، عن ابن الأعرابى ، وأنشد :

لمّا رأيتُ فجاجَ البيد قد وضَحَتْ   ولاح من نُجُدٍ عاديّةٌ حُصُرُ

نُجُدٌ جمع نَجْدٍ ، وعاديّة : قديمةٌ ، وقولُ أبى ذُؤيب يصف ماءً مُزج به خَمْرٌ .

(تَحَدَّر عن شاهقٍ كالحَصيرِ مُسْتَقْبِلَ الريح والفيءُ قَرّ)

يقول : تَنَزَّلَ الماء من جبل شاهقٍ له طرائق كشُطَبِ الحَصير ، والحَصُير البساطُ الصغيرُ من النَّبات .

وأمّا قول الهُذلىّ :

وقالوا تركنا القومَ قد حَصرَوا به   ولاغَرْوَ أنْ قد كان ثَمَّ لَحِيْمُ

فقد قالوا : معنى حَصرَوا به ، أى أحاطوا به ، وحَصيرا السيف ، جانباه ، وحَصيرُهُ ، فِرَنْدُهُ الذى تراه كأنه مَدَبُّ النَّمْلِ قال زُهيرٌ :

بَرجْمٍ كوَقْعِ الهُنْدُوانِىّ أخْلَصَ   الصَّيَاقلُ منه عن حَصيرٍ ورونَقٍ

وقوله عز وجلّ : « سيداً وحَصوراً » يُقال : إنه المُحْصرَ عن النساءَ لأنها عِلّةٌ فليس بمحبوسٍ ، فعلى هذا فَابْنِ ، وقيل : سُمّىِ حَصوراً ، لأنه حُبسِ عما يكون من الرجال . وفى حديث القِبْطِىِّ الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًا بقتلهِ قال : فرفَعَتِ الريح ثوبَه فاذا هو حَصورٌ ، أى مجبوب ، قال ابن الأعرابى : « وسيداً وحصوراً » ، هو الذى لايشتهى النساء ولايقربهن . وقال الأزهرى : رجل حَصور اذا حُصر عن النساء فلايستطيعُهن .

وقال فى اللسان : واذا ضاق المرءُ عن أمر قيل : حَصرِ صدر المرء عن أهله يَحْصَر حَصَراً ، قال الله عز وجل : « الاّ الذين يَصلِون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ، أو جاءوكم حَصرِتْ صدورهم أن يقاتلوكم » ، معناه : ضاقت صدورهم عن قتالكم وقتالِ قومهم . قال ابن سِيْدَةْ : وقيل : تقديُره : وقد حَصرَتْ صدورهم ، وقيل : تقديرُه : أو جاءوكم رجالاً أو قوماً فحَصرتْ صدوُرهم الآن . فى موضع نصبٍ لأنه صفة حلّتْ محَلَّ موصوفٍ منصوبٍ على الحال .

وقال الفَرّاء فى المعانى ج١ ص ٢٨٢ « أو جاءوكم حَصِرتْ صدورهم » : العربُ تقول : أتانى فلانٌ ذهب عقلهُ ، يريدون : قد ذهب عقله ، قال : وسمع الكسائى رجلاً يقول : فأصبحتُ نظرتُ الى ذات التنانير ، وقال الزجّاج : يجعل الفراءُ قولَه : « حَصِرَتْ » حالاً ، ولايكون حالاً الاّ بَقِد ، وقال بعضهم : « حَصِرتْ صدورهم » خَبَرٌ بعد خَبَرِ ، كأنه قال : أو جاءوكم ، ثم أخبر بَعْدُ ، قال : حَصِرتْ صدوُرهم أن يقاتلوكم .

وقال أحمد بن يحيى : اذا أضمرتَ (قد) ، قَرُبَتْ من الحال ، وصارت كالاسم وبها قرأ من قرأ : « حَصِرَةً صدوُرهم » ، قال أبوزيد : ولايكون جاءنى القوم ضاقت صدورهم الاّ أن تصله بواوٍ أو بِقَدْ ، كأنك قلتَ : جاءنى القوم وضاقتْ صدورهم ، أو قد ضاقت صدورهم . وانظر غريب ابن قتيبة ص ١٣٤ .

قال الجوهرى : وأمّا قولُه : « أو جاءوكم حَصِرَتْ صدورهم » ، فأجاز الأخفش والكوفيون أن يكون الماضى حالاً ، ولم يُجِزْهُ سيبويهِ الاّ مع (قد) ، وجَعَل « حَصِرَتْ صدوُرهم » ، على جهة الدعاء عليهم .

وفى حديث زواج فاطمة : فلماّ رأتْ عليًّا جالساً الى جنب النبى صلى الله عليه وسلم حَصِرَتْ وبَكَتْ ، أى استَحَتْ وانقطعت ، كأن الأمر ضاق بها كما يضيق الحَبْسُ على المحبوس . ويقال للناقة : انها لَحَصِرةُ الشَخْبِ ، نَشِبَةُ الدَّرِ ، والحَصرَ ، نَشَبُ الدِرَّةِ فى العروق ، من خُبْث النفسِ وكراهةِ الدِرَّةِ ، وحَصَره يَحْصُره حَصراً ، فهو محصور وحصير ، وأحْصَرهُ ، كلاهما حَبَسَه عن السفر ، وأحْصرَه المرض : منعه من السفرِ ، أو من حاجةٍ يُريدها ، قال الله عز وجل : « فان أُحصرتم » والحَصِير ، المَحْبِسُ ، وفى التنزيل : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » ، وقال القُتيبيُّ هو من حَصَرْتُه أى حَبَسْتُه ، فهو محصور ، وهذا حَصيرُهُ أى مَحْبِسُه ، وحصره المرض : حَبَسَه ، على المَثَل . وقال الأصمعى واليزيدى : الحُصرُ من الغائط ، والأُسرُ من البول ، وقال ابن بُزُرجٍ . وقد أخذه الحُصُر ، وأخذه الأُسُر ، شيء واحد .

وفى حديث ابن عباس : ما رأيت أحداً أخْلقَ للمُلْكِ من معاوية ، كان الناس يَرِدُونَ منه أرجاءَ وادٍ رَحْبٍ ، ليس مِثْلَ الحَصِر العَقِصِ ، يعنى ابن الزبير . الحَصِر ، البخيل ، والعَقص ، المُلْتوى الصَّعْبِ الأخلاق ، والحَصُور ، الهَيُوبُ المُحْجِمُ عن الشيء ، وعلى هذا فَسَّرَ بعضُهم بيت الأخطل : (وشاربٍ مُرْبحٍ) الخ ، (وقد تقدم ذكره) ، والحَصور أيضاً ، الذى لا إِرْبَةَ له فى النساءَ ، وكلاهما من ذلك ، أى من الإمساك والمنع . قال الأزهرى : رجل حَصُورٌ ، اذا حُصِرَ عن النساء فلايستطيعُهن ، والحصُور ، الذى لايأتى النساء . لأنه حُبس عن النكاحِ ومُنع . وهو فَعولٌ بمعنى مفعولٍ ، وأمّا العاقر ، فهو الذى يأتيهن ولايولد له ، وكلُّه من الحَبْسِ والإحتباس .

وقوم مُحْصَرُونَ : اذا حوصروا فى حِصْنٍ ، وكذلك هم مُحْصَرونَ فى الحَج ، قال الله عز وجل : « فانْ أحصرْتم » والإحصارُ ، أن يُحْصَرَ الحاجُّ عن بلوغ المناسكِ بمرضٍ أو نحوه .

قال الفرآء فى المعانى ج١ ص ١١٨ : العربُ تقول للذى يمنعه خوفٌ أو مرضٌ من الوصول الى تَمامِ حَجِه أو عُمْرتهِ ، وكلّ مالم يكنْ مقهوراً كالحَبْسِ والسِجْنِ وأشباهِ ذلك . يقال فى المرض : قد أُحْصِرَ ، وفى الحَبْس اذا حَبَسَه سلطان أو قاهرٌ مانع قد حُصِرِ ، فهذا فَرْقٌ بينَهما . ولو نويتَ بقهر السلطان أنها علة ولم تذهبْ الى فعل الفاعل ، جاز لك أن تقول : قد أُحْصِرَ الرجل ، ولو قلتَ فى أُحْصِرَ من الوجع والمرَضَ : إنَّ المرضَ حَصَرَهُ ، أو الخوفُ ، جاز أن تقول حُصِرَ . « وسيّداً وحَصوراً » ، سُمِيَ حَصوراً لأنه حُبِسَ عمّا يكون من الرجال وهى علة وليس بمحبوس فعلى هذا فأْبنِ .

قال ابو تراب : فى اللسان : كالحبس والسحر وهو تصحيف لم يصححه محققو اللسان فى الطبعة الأخيرة بدار المعارف .

وقال ابن قتيبة فى الغريب ص ١٠٥ : الحصور الذى لايأتى النساء وهو فعول بمعنى مفعول كأنه محصور عنهن ، أى مأخوذ محبوس عنهن ، وما جاء فيه

فعول بمعنى مفعول : رَكوب بمعنى مركوب وحلوب بمعنى محلوب وهيوب بمعنى مهيب .

وقال أبو اسحاق النحوى : الرواية عن أهل اللغة أن يقال للذى يمنعه الخوف والمرض ، أُحْصِرَ ، وللمحبوس ، حُصِرَ . وروى ذلك عن يونس ، وأبى عبيدة ، وابن السكّيت . وانما كان ذلك كذلك ، لأن الرجلَ اذا امتنع من التصرف فقد حَصرَ نفسَه . فكأنّ المرضَ أحْبَسَه ، أى جعله يَحْبِس نفسَه ، وقولك حَصَرْتُه ، انما هو حَبَسْتُه ، لا أنّه أحْبَسَ نفسه ، فلايجوزُ فيه ، أُحْصِرَ .

قال الأزهرى : وقد صَحّتِ الرواية عن ابن عباس أنه قال : لاحَصْرَ الاّ حَصْرُ العدّو ، فجعله بغير ألفٍ جائزاً بمعنى قول الله عز وجل : « فان أُحْصِرْتم فما اَسْتَيْسرَ من الهَدْى » وقال الله عز وجل : « للكافرين حصيراً » ، أى مَحْبساً ومَحْصِراً ، وفى الحديث أنه قال لأزواجه : هذه ثم لزومُ الحُصُرِ ، أى انكن لاتَعُدْن تخرجن من بيوتكُن وتلزمن الحُصُرَ ، وتُضَمُّ الصاد وتُسَكَّنُ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخَبرنى عن قوله تعالى : « انّا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا » ؟ قال : (قمطريرا) الذى ينقبض وجهُه من شدة الوجع ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

ولايومَ الحسابِ وكان يوماً عبوساً فى الشدائد قَمطريرا

قال أبو تراب :

قائله أميةُ بن أبى الصَّلْت ، قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (ج ٢ ص ٢٧٩) العَبوسُ والقَمطرير والقُماطر والعَصيب ، أشدُّ مايكون من الأيام وأطْوله فى البلاد ، ونقله البخارى فى الصحيح . وفى تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص

٥٠٢) : القمطرير : الصعب الشديد ، يقال : يوم قَمطريرٌ وقُماطِرٌ اذا كان صعباً شديداً أشد مايكون من الأيام وأطوَلَه فى البلاء ، ويقال : المُعَبّس الوجه .

قال أبو تراب :

ذكر الرازى أن القول الأول للفراّء والمبرّد والكلبى أيضاً ، والقول الثانى للزجّاج ، ونسبه القرطبى الى مجاهد وأبى عبيدة أيضاً ، وذكر ذلك الطبرى وابو حيان .

وفى مفردات الراغب : « عبوساً قمطريراً » أى شديداً يقال : قمطرير وقَماطير .

قال أبو تراب :

هكذا فى المطبوعة الحلبية ، والصواب : قُماطِرٌ ، والراء زائدة ، والأصل ، القَمْطُ ، لذلك ذكره الزمخشرى فى القَمْط قال فيه : واقْمَطَرَّ يوْمنا ، ويومٌ قَمْطريرٌ ، « يوماً عبوساً قمطريرا » .

وقال ابن فارس : القمطرير الشديد ، وهذا ممّا زيدت فيه الراء وكُرّرتْ تأكيداً للمعنى ، والأَصْلُ قَمْطٌ ، ومعناه الجَمْع ، ومنه قولهم بعيرٌ قِمَطْرٌ ، مُجْتَمعِ الخَلْق ، والقياسُ كلُّه واحد . والقاف والميم والطاء ، أُصَيْلٌ يدلّ على جَمْعٍ وتجمُّعٍ ، من ذلك القَمطُ شَدُّ أعصاب الصبىَ بِقِماطِهِ ، ومنه قُمط الأسير اذا جُمع بين يديه ورجلَيْه بَحبْلٍ ، ووقعتُ على قِماطِه ، معناه على عَقْدِ أمْرِه ، كيف عَقَدهُ ، وكذلك اذا فَطِنْتَ له ، ومَرَّ بنا حولٌ قَميطٌ ، أى تامٌ جميعٌ ، وسِفادُ الطائِر ، قَمْطٌ أيضاً ، لجَمْعِهِ ماءه فى أنثاه .

وقال الزمخشرى فى الأساس : قَمَط الأسيرَ : جَمَع بين يديه ورِجْلَيْه بالحَبْل ، وهو القِماطُ ، وقَمَط الصبىَّ بقِماطه ، وهى الخرقة العريضة التى تُلَفُّ عليه فى المَهْد ، وشَدَّ الخُصَّ بالقُمُط ، وهى الشُرُطُ ، وشَدَّهُ بالقِماط والمِقَاطِ ، وهو حَبْلٌ قصير مُغَارُ الفَتْل ، وأتانى القَمَّاط بشاةٍ فاشتريتُها ، وهو الذى يأخذ الشاة فى دار الجَلَبَ ، فيَقْمُطُها لِيَعْرِضَها على المشترى .

ووضع الكتابَ فى القَمِطْرَةِ ، وله قَماطِرُ من الكتب ، ومن المجاز : قَمَط الطائر أنثاه ، فَعَل بها ، وقَمَط الابلَ : قَطرها ، ووقعتُ على قماطِه فَطِنْتُ له .

وفى لسان العرب : القَمْطُ شَدٌّ كشَدّ الصبى ِ فى المهد وفى غير المَهْدِ اذا ضُمَّ اعضاؤه الى جسدِه ثم لُفَّ عليه القماط . قال ابن سِيْدَةْ : قَمَطَهَ يَقْمُطهُ ، ويَقْمِطُه قَمْطاً ، وقَمَّطَه : شَدَّ يديه ورِجَلَيْه ، واسم ذلك الحَبْل ِ القماط ، والقماط حَبْلٌ يُشَدُّ به قوائم الشاةِ عند الذَّبْح ، وكذلك مايُشَدُّ به الصَبِىُّ فى المَهْدِ ، ولايكونُ القَمْط الاّ شَدَّ اليدين والرجلين معاً .

والقُماطُ ، اللصوص ، والواحد قَماطٌ ، والقَمْط ، الأَخْـذ ، ووقـع على قماط فلانٍ ، فَطِن لهُ تُؤَدَةً . وقال الأزهرى فى التهذيب . وقعتُ على قماط فلان ، أى على بُنودِهِ ، وجَمْعُه القُمُط ، ويقال : مَرَّ بنا حولٌ قميطٌ ، أى تامٌ ، وأنشد صاعِدٌ فى النُصوص لأَيْمَنَ بن خُريم يذكر غزالةَ الحَرورية :

أقامــت غزالــةُ سوقَ الضراب   لأهــل العِراقَــينْ حولاً قَميطَا

ويُروى : (شهراً قميطا) ، وغزالة اسم امرأة شَبيبِ الخارجىَ . وفى حديث ابن عباس : فمازال يسأله شهراً قميطـاً ، أى تامّـاً كامـلاً ، وأَقَمْـتُ عنـده شهراُقميطاً ، وحولاً قميطاً ، أى تامّاً . وسِفادُ الطَّيرْ كلِهِ قماطٌ ، وقَمطَ الطائـر الأنثى ، سَفَدها ، وكذلك التَيْسُ (عن ابن الأعرابى) ، وقال مرةً : تَقَامَطتِ الغَنَمُ ، فَعَمَّ به ذلك الجِنْسَ ، وتَراصَعَتِ الغَنَمُ وتَقَامَطَتْ وانه لَقَمَطِىٌّ ، أى شديد السِفاد .

ورَوى الحَرّانى عن ثابت بن أبى ثابت قال : قَفَطَ التَيْسُ يَقْفُطُ ويَقْفِط اذا نزا ، وقال الأصمعى : يقال للطائر : قَمَطهـا ، وقَفَطَهـا . والقمـط ماتُشَـدُّ به الأخصاص ، ومنه مَعاقِدُ القِمِطِ . وفى حديث شرُيحٍ أنه اختصم اليه رجلان فى خُصٍ . فقَضَى بالخُصّ للذى تليه القُمُط ، وذلك أنه احتكم اليه رجلانِ فى خُصَ أدَّعَياهُ معاً ، وقُمُطُه ، شرُطُه التى يُوثَق بها ويُشَدُّ بها ، من لِيْفٍ كانت أو من خُوصٍ ، فقَضَى به الذى تَلِيْهِ المَعاقد دُون من لاتَلِيْهِ مَعاقِدُ القُمُط ، ومعاقـد

القُمُط ، تَلى صاحبَ الخُصَ ، والخُصُّ البيت الذى يُعمل من القَصَب ، قال الهروى : القُمُط بالضمّ ، وقال الجوهرى : القمط بالكسر كأنه عنده واحد .

قال ابن منظور : والقِمَطْر ، الجَمَل القوىُّ السريع ، وقيل : الجَمَل الضخم القوىُّ ، قال جميلٌ :

قِمَطْـرٌ يلـوحُ الـوَدْعُ تحـت لَبانِه إذا أَرْزَمَتْ من تحته الريـح أرْزَمَا

قال مُحَقِقو لسان العرب بدار المعارف : نسبة هذا البيت الى جميل خطأ ، فهو لحُميد بن ثَوْرٍ كما فى ديوانه ، (ص ١٥) وكما نُسب لحميدٍ فى التهذيب للأزهرى قال ابو تراب : وكأنه تصحيف ، فجميل وحميد متقاربان فى الخط العربى ، وما أهْوَنَ طُرآنَ التصحيف فى مثل ذلك .

قال ابن منظور : ورجل قِمَطْرٌ : قصير أنشد ابوبكر لعُجَيْرٌ السَلولىّ : (قَمِطْرٌ كحُوَاز الدَّحاريج أبْتَرُ) والقِمَطْرُ والقِمَطْرِىُّ ، القصير الضخم ، ومَرْأةٌ قِمَطْرَةٌ : قصيرة عريضة ، (عن ابن الاعرابى) وأنشد :

وهبتُــه من وَثَبِــى قِمَطْرَهْ مصرورةَ الحَقْوَيْــن مِثْــلَ الدَّبْرَهْ

والقمِطْرُ والقَمِطْرَة ، شِبْهُ سَفَطٍ يُسَفُ من قَصَبٍ . وذئبٌ قِمِطْرُ الرِجْلِ شديدُها ، وَكلْبٌ قِمَطْرُ الَرِجْل ، اذا كان به عُقَّالٌ من اعوجاجِ ساقيه ، قال الَطِرِمّاح يَصفُ كلباً .

مُعيـدٌ قِمَطْـرُ الرِجْـلِ مُخْتَلِفُ الشَبا شَرَنْبَثُ شوكِ الـكَفِ شَثْـنُ البَراثن

وشرَ قِمَطْرٌ ، وقُماطِرٌ ، ومُقْمَطِرٌ . واقْمَطَرَّ عليه الشىء ، تزاحم ، واقْمَطرَّ للشرِّ ، تَهَيّأ ، ويقال : اقْمَطَرَّت عليه الحجارة ، أى تراكمتْ وأَظَلَّتْ .

قالت خَنْسَاءُ تَصِفُ قبراً : « مُقْمَطِرَّاتٌ وأحجار » . والمُقْمَطِرُّ ، المُجْتَمِعُ ، واقْمَطَرَّتِ العقربُ ، اذا عَطَفَتْ ذَنَبَها وجَمعتْ نَفْسها .

وقَمْطَرَ المرأةَ ، وقَمْطَر جاريتَه قَمْطَرَةً : نكحَهـا ، وقَمْطَـرَ القِرْبـةَ . شَدَّهـا بالوِكاءِ ، وقَمْطَر القِرْبَةَ أيضاً ، ملأها ، (عن اللحيانى) وقَمْطَرَ العَدُوُّ أى هَرَبَ ، (عن ابن الأعرابى) .

ويوم مُقْمَطِرٌ ، وقُماطِرٌ وقَمطريرٌ ، مُقَبِّضُ مابين العينَينْ لِشِدّتهِ وقيل : إذا كان شديداً غليظاً ، قال الشاعر :

بَنــى عَمِنــا هل تذكرون بلاءنا   عليــكم اذا ماكان يومُ قُماطِرُ

وهذا البيت فى معانـى الفـراء ج١ ص ٢١٦ والطبـرى ج٢٩ ص ٢١١ والقرطبى ج١٩ ص ١٣٣ .

قال الفراء : القمطرير الشديد ويوم قماطر وقال ابـن قتيبـة فى الغريـب ص ٥٠٢ القمطرير الصعب الشديد ، ويقال المعبّس الوجه .

واقْمَطَرّ يومُنا : اشتَدّ ، وفى التنزيل : « إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوسـا قمطريرا » وفى التفسير أنه يُعَبّس الوَجْهَ ، فيجْمعُ مابين العينَينْ ، وهذا شائع فى اللغة ، وشرٌّ قمطريرٌ ، شَديد ، وقـال الليـث : شَرٌّ قُماطِـرٌ ، وقِمَطْـرٌ (وقِمْطَـرٌ وأنشد) :

وكنـتُ اذا قومـى رَمَوْنـى رَمَيتُهمْ   بِمُسْقِطَـةِ الأحمْـالِ فَقْماءَ قِمْطَرِ

ويقال : اِقْمَطَرّتْ الناقةُ ، اذا رفعتْ ذَنَبها وجَمَعتْ قُطْرَيها ، وزَمّتْ بأنفِها .

والمُقْمَطِرُّ ، المُنْتَشرِ ، واقْمَطَرّ الشيء ، انتَشرَ ، وقيل : تَقَبَّضَ كأنه ضِدٌّ قال الشّاعر :

(قد جَعَلَتْ شَبْوَةُ تَزْبَئِرّ) ، وفى آخر المصراع الثانى (لَحماً وتَقْمَطِرُّ) قال الأزهرى فى التهذيب : ومن الأحاجى ، ما أبيضُ شَطْراً ، أسْوَدُ ظَهْـراً ، يَمشى قَمِطْراً ، ويبول قَطْراً ، وهو القُنْفُذُ ، وقوله : « يمشى قَمِطْراً » ، أى مُجْتَمِعاً ، وكل شيء جمعتَه ، فقد قَمْطَرْتَه ، والقِمَطْر والقِمَطْرَةُ : ماتصان فيه الكُتُب . قال ابُن السِكّيتِ : لايقال بالتشديد ، ويُنْشدُ :

(ليس بعِلْــمٍ ما يَعــى القَمِطْرُ   ما العلــمُ الاّ ماوَعَــاهُ الصَدْرُ)

والجَمْعُ قَماطِرُ .

وفى تنوير المقباس للفيروز ابادى (ص ٣٧٦) عن ابن عباس : « يوماً عبوساً » ، كَلوحاً ، « قَمطريرا » ، شديداً .

يقول : شديدَ عذابِ ذلك اليومِ ، وهولَه ، ويقال : هو تَعَبُّسُ الوَجْهِ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « إنّ الينا إيابهم » ؟ قال : الإيابُ ، المَرْجِعُ . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أمَا سمعتَ قول عَبيدِ بنِ الأبْرَصِ :

وكلُّ ذى غَيْبـــةٍ يؤوبُ وغائـــب الموتِ لا يؤوبُ

قال أبو تراب :

البيت فى الشعر والشعراء لابن قتيبة فى ترجمته ، (ج١ ص ٢٢٦) من قصيدته التى هى إحدى السَّبْعِ كما قال ابنُ قتيبة ، وقال الشيخ احمد شاكر وهو يريد ـ والله أعلم ـ أنها احدى المُعَلَّقات ، ولم يذكر أحد أنها منها غيره ، وانما ألحقها التبريزى بها فذكرها آخرَ القصائد العشر التى شرح ، وأدخلها صاحب جمهرة أشعار العرب ، فى المُجَمْهَراتِ التى ذكرها بعد المعلّقات ، والموضع جدير بالتحقيق . (انظر المجمهرات (ص ١٠٠) والديوان ج ١ ص ٥) ومنتهى الطلب (ص ١٣١) .

قال ابن قتيبة فى الغريب ص ٥٢٥ « إيابهم » رجوعهم وفى كتاب معانى القرآن ج٣ ص ٢٥٩ سئل الفرآء عن « إيأبَهم » فقال : لايجوز على جهة من الجهات .

قال ابو تراب : قرأ ابو جعفر بها وانظر الاتحاف ص ٤٤ وليس هذا الحرف فى مجاز أبى عبيدة .

وانما فى المجاز لأبى عبيدة : المآب والأوّاب والتأويب .

وفى مفردات الراغب : الأَوْبُ ، ضرب من الرجوع ، وذلك أن الأوب لايقال الاّ فى الحيوان الذى له إرادة ، والرجُوع ، يقال فيه وفى غيره ، يقال : آب أَوْباً وإياباً ومآباً . قال الله تعالى : « إنَّ الينا إيابهم » وقال : « فمن شاءَ اتَّخَذَ الى ربه مآباً » والمآب ، مصدر منه ، واسم الزمان والمكان . قال الله تعالى : « والله عندهُ حُسْن المآب » والأَوَّابُ كالتَّوَّاب ، وهو الراجع الى الله تعالى ، بترك المعاصى ، وفِعْلِ الطاعات ، قال تعالى : « أَوَّابٍ حفيظ » وقال : « انه أوّاب » ، ومنه قيل للتوبة أَوْبَةٌ ، والتأويبُ ، يقال فى سير النهار ، وقيل :

(آبَتْ يَدُ الرامى الى السَهْمِ)

وذلك فِعْلُ الرامى فى الحقيقة ، وإنْ كان منسوباً الى اليد ، ولايَنْقُضُ ماقَدَّمْناهُ من أن ذلك رجوعٌ بارادةً واختيار ، وكذا ناقةٌ أَوُوبٌ ، سريعةُ رَجْعِ اليَدَيْنِ .

وقال ابن فارسٍ فى المقاييس : الهمزة والواو والباء أصل واحد ، وهو الرجوع ثم يُشتق منه ما يَبْعُد فى السَمْع قليلاً ، والأصل واحد ، قال الخليل : آب فلان الى سيفه ، أى رَدَّ يَدَهُ لِيَسْتَلَّه والأَوْبُ : ترجيع الأيدى والقوائم فى السير قال كعبُ بن زُهير : (انظر شرح البُردة لابن هشام « ص ٦٤ ») :

كأنَّ أوبَ ذِراعَيْها وقد عَرِقَتْ ... وقد تَلَفَّع بالقُورِ العساقيلُ
أَوْبُ يَدَىْ فاقدٍ شَمْطَاءَ مُعْوِلَةٍ ... باتَتْ وجاوَبَها نُكْدٌ مَثاكيلُ

والفعل منه التأويب ولذلك يسمون سير النهار تأويباً وسير الليل إسْآداً . قال (سلامة بن جندل كما فى المُفَضَّلياتِ (ج ١ ص ١٨٨) :

يومانِ يوم مقاماتٍ وأنْدِيَةٍ ... ويوم سَيرٍ الى الأعداء تأويبِ

قال : والفَعْلَةُ الواحدة تأويبة ، والتأويب التسبيح فى قوله تعالى : « يا جبال أَوِّبى معه والطيرَ » قال الأصمعى : أَوَّبْتُ الابلَ اذا روَّحْتَها الى مباءَتِها ،

ويقال : تَأَوَّبَنِى أى أتانى ليلاً قال (امرؤ القيس كما فى ديوانه ص ١٤ وأساس البلاغة) :

تَأَوَّبَنِى دائى القديمُ فَغَلَّسَا   أُحَاذِرُ أن يَرْتَدَّ دائى فَأُنْكَسَا

قال أبو حاتم : وكان الأصمعى يُفسرُ الشعر الذى فيه ذكر الاياب أنه مع الليل ويحتج بقوله : (تَأَوَّبَنِى داءٌ مع الليل مُنْصِبُ) وكذلك يفسر جميع ما فى الأشعار فقلت له : انما الاياب الرجوعُ ، أىَّ وقتٍ رَجَع ، تقول : قد آب المسافر ، فكأنه أراد أن أوضح له فقلت له : قولُ عَبيد بن الأبرص :

وكلُّ ذى غَيْبَة يَؤُوبُ   وغائب الموتِ لا يَؤُوبُ

أهذا بالعَشِى ؟ فسكت ، فذهب يكلّمنى فيه فقلت له : فقول الله تعالى : « إنَّ الينا إيابَهم » أهذا بالعشى ؟ فسكَتَ ، قال أبو حاتم : ولكن أكثر ما يجىء على ما قال رحمنا الله وإيّاه .

والمآبُ المرجع ، قال ابو زياد : أُبْتُ القومَ ، أى إلى القوم ، قال :

(أَنَّى ومِن أينَ آبَكَ الطَّرَبُ)

قال أبو عُبيد : يُسَمَّى مَخرج الدقيق من الرَّحَى المآبَ ، لأنه يؤوب اليه ما كان تحت الرَّحَى . قال الخليل : وتقول : آبتِ الشمس إياباً ، اذا غابت فى مآبها أى مَغيبها ، قال أُمَيَّةُ :

فرأى مغيبَ الشمسِ عند إيابها   فى عَينٍ ذى خُلُبٍ وثَأطٍ حَرْمَدِ

قال أبو تراب : نسبه فى اللسان تارةً إلى تُبَّع ، وتارة الى أُمَيَّةَ كما ذكر ابن فارس وهو فى ديوانه (ص ٢٦) .

قال النَّضرُ : المُؤَوِّبةُ الشمس وتأويبُها ما بين المشرق والمغرب تَدْأَبُ يومَها ، وتَؤُوبُ المغربَ . ويقال : « جاءوا من كل أوبٍ ، أى ناحيةٍ ووَجْهٍ ، وهو من ذلك ايضاً ، والأَوْبُ النَّحْل ، قال الأصمعى : سُمِّيَتْ لانْتيابها المباءةَ ، وذلك أنها

تؤوب من مَسَارحها ، وكأنَّ واحدَ الأَوْبِ آيب ، كما يقال : آبك الله : أبعدك الله ، قال :

فآبَــكَ هَلاً والليالى بِغِرَّةٍ تزور وفى الأيام عنــكَ شُغولُ

قال أبو تراب :

وقد نسبه الزمخشرى فى الأساس الى رجل من بنى عُقَيل ، وفى روايته :

(وفى الأيام عنكَ غفُول) .

وقال الزمخشرى : تَهْنِئُكَ أَوْبَةُ الغائب ، وفلانُ أَوَّاهُ أَوَابُ توّاب ، أى رجّاع الى التوبة ، وآبت الشمس غابت وفى الحديث : شَغَلونا عن الصلاة الوسطى حتى آبت الشمس ، ملأ الله قلوبهم ناراً ، وغابت الشمسُ فى مآبها ، أى فى مغربها ، وآب بيده الى سيفه لِيَسْتَلّه ، والى سَهْمِه لِيَرْمِىَ به والى قوسه لِيَنْزِعَ فيها ، وأَوَّبُوا تأويباً : ساروا النهار كلّه ، ولهم إسْآدٌ وتأويب ، وما أعجبَ أَوْبَ يَدَيْهَا ، أى رَجْعَها فى السير ويقال للمُسْرِع فى سيره : الأَوْبُ أوبُ نعامةٍ ، وقال كعب : (كأن أَوْبَ ذراعَيْهـا اذا عَرِقَـتْ) الـخ ، وهـذا كلام ليس له آيبـةٌ ولا رائحةً ، أى مرجوعُ وفائدة ، وأُبْتُ بَنِى فلانٍ ، وتأَوَّبْتُهـم : جئتُهـم ليلاً . وأنشد بيتَ امرىء القيس (تأَوَّبَنِى الدَّاءُ القديمُ فغَلَّسا) الخ . وآبَكَ ما رابك ، دعاء سوءٍ ، وتقول لمن أمرْتَه بخُطَّةٍ فعصاك ثم وقع فيما يَكْرَهُ : آبَكَ أى آبَكَ ما تَكْرَهُ ، قال رجل من بنى عُقَيْل :

أخبَرْتَنـى يا قلـبُ أنــك ذو غرىً بليلى فذُقْ ما كنــت قَبْــلُ تقولُ
فآبَــكَ هَلاً والليالى بغرَّةٍ تُلِـمُّ وفى الأيام عنــكَ غفُولُ

وجاءوا من كلّ أوبٍ أى من كل وَجْهٍ ومرْجعٍ ، ورَمَيْناً أَوْباً وهو الرِّشْقُ ، وهما شاطئنا الوادى ، وأَوْبَـاهُ ، وكنـت على صَوْبِ فلانٍ وأَوْبِـه ، أى على طريقتـه ووجهه ، وما يُدْرَى فى أىِّ أَوْبٍ هو ومازال هذا أوبه أى طريقته وعادته .

وفى لسان العرب : وَأْتَابَ : مثلُ آبَ ، فَعَل وافتعل بمعنى قال الشاعر :

ومَــنْ يَتَّــقْ فانّ الله مَعْهُ ورزقُ الله مُؤْتَــابٌ وغادى

وقولُ ساعدةَ بن عَجْلانَ :

ألاَ يا لَهْفَ أفْلَتَنِــى حُصَيْبٌ فقلبــى من تَذَكُّرِهِ بَليدُ

فلــو أنــى عرفتُــك حــين أرمِى لآبــك مُرْهَفٌ منهــا حَديدُ

يجوز أن يكون آبك متعدياً بنفسه ، أى جاءك مُرْهَفٌ نَصْلٌ مُحَدَّدٌ ويجوز ان يكون أراد : آب اليك ، فَحَذَف وأوصل .

وآبت الشمس تؤوب إياباً ، وعن سيبويه : أُيُوباً ايضاً أى غابت فى مآبها ، أى مغيبها ، كأنها رجعتْ الى مبدئها ، وشاهده فى لسان العرب لابن منظور قولُ عُتيبة بن الحارث اليربوعى ، وفى معجم ياقوت أنه لأُمَيَّةَ بنتِ عتيبةَ ترثى أباها ، وذكر أبياتاً منها ما ذكره اللسان وهو :

تَرَوَّحنــا من اللِّعْبــاءِ عَصراً وأعْجَلْنــا الالاهــةَ أن تَؤُوبَا

أراد قبل أن تغيب الشمس .

قال أبو تراب :

والبيت يدل على انهم كانوا من عَبَدة الشمسِ والكواكب كقوم ابراهيم عليه السلام .

وقال آخر : (**يُبادرُ الجَوْنَةَ أن تؤوبا**) .

وأُبْتُ الماء ، وتأَوَّبْتُه ، وأَتَبْتُه وردتُه ليلاً ، قال الهُذَلىُّ :

أَقَــبَّ رَبــاعٍ بِنُــزْهِ الفَلا ةِ لا يَرِدُ الماءَ الاَّ أتِيابا

ومن رواه : (أَنْتيابا) فقد صَحَّفه .

والآيبة : أن ترِدَ الابِلُ الماء كلَّ ليلةٍ ، أنشد ابن الأعرابى :

لا تَرِدَنَّ الماءَ الاَّ آيِبَهْ أخْشى عليك معشراً قَراضِبَهْ

سُودَ الوجوه يأكلون الآهِبَهْ

الآهِبَةُ : جَمْعُ إهابٍ .

والأَوْبُ سرعةُ تقليب اليدين والرجلَينْ فى السير قال :

كأن أوْبَ مائحٍ ذى أوْبِ   أوْبُ يَدَيْها بِرَقاقٍ سَهْبِ

أورد الجوهرى المصراع الثانى من هذا الرجَز ، قال ابن بَرّىٍّ : صوابه أوْبُ بضمّ الباء لأنه خبر (كأن) والرَّقاقُ أرض مستوية لَيِّنَةُ التراب ، صُلْبَةُ ما تحت التراب ، والسَهْبُ الواسعُ ، وَصفَه بما هو اسم الفلاةِ وهو السَهْبُ . والمُآوَبَةُ : تبارى الرِكابِ فى السير ، وأنشد :

(وإن تُؤاوِبْهُ تَجِدْهُ مِئْوَبا)

وجاءوا من كل أوب أى من كل طريق ووَجْهٍ وناحيةٍ ، وقال ذو الرُمَّةِ يَصِفُ صائداً رَمَى الوَحْشَ :

طَوَى شَخْصَه حتى اذا ما تَوَرَّفَتْ   على هِيْلَةٍ من كلِّ أوْبٍ نِفَالُها

على هِيْلَةٍ أى على فَزَعٍ وهَوْلٍ لِمَا مَرَّ بها من الصَّائِد مرةً بعد اخرى ، من كل أوبٍ أى من كل وَجْهٍ لأنه لا مَكْمَنَ لها من كلِّ وجهٍ عن يمينها وعن شمالها ومن خَلْفِها .والأَوْبُ النَّحْل . وهو اسمُ جَمْعٍ كأن الواحد آيبٌ ، قال الهُذَلىُّ :

رَبَّـاءُ شَمَّاءُ لا يَأْوِى لِقُلَّتِها   الاَّ السَّحَابُ والاَّ الأَوْبُ والسَبَلُ

وقال أبو حنيفة : سُمِّيَتْ أَوْباً لإيابها الى المَبَاءَةِ ، وهى لا تزال فى مسارحها ذاهبةً وراجعةً حتى اذا جَنَح الليل آبت كلُّها حتى لا يَتَخَلَّفُ منها شيء .

وآبَكَ الله أى أبْعَدَكَ . قال الشاعر :

فآبَكِ ألاَّ كنت آليتِ حَلْفَةً   عليه وأغْلَقْتِ الرِتاجَ المُضَبَّبا

ويقال لمن تَنْصَحُه ولا يقْبَلُ ، ثم يقع فيما حَذَّرتَه منه : آبَكَ ، مثل وَيْلَكَ ، وأنشد سيبويه :

آبَكَ أَيِّهْ بِىَ أو مُصَدِّرِ   من حُمُرِ الجِلَّة جَأْبٍ حَشْوَرِ

وكذلك آبَ لك .

وقال ابن الأعرابى : يقال : أنا عُذَيْقُها المُرَجَّبُ وحُجَيْرُها المُأَوَّب : المُدَوَّر المُقَوَّرُ المُلَمْلَمُ ، وكلها أمثال ، قال المُتَنَخِّلُ :

قد حال بين دَرِيسَيْهِ مُؤَوِّبَةٌ   مِسْعٌ لها بعضاه الأرض تهزيزُ

قال ابن بَرّيَ : مُؤَوِّبة : ريح تأتى عند الليل .

ومآب اسم موضع من أرض البَلْقاءِ . قال عبد الله بنُ رواحة :

فلا وأبى مآبُ لَنَأْتِيَنْهَا   وإن كانت بها عَرَبٌ ورُومُ

وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : أنه كان اذا اقبل من سفر قال : آيبون ، تائبون ، لربنا حامدون ، وهو جَمْعُ سلامةٍ لآيبٍ .

وفى التنزيل العزيز : « وإنَّ له عندنا لزلفى وحُسْنَ مآب » أى حُسْنَ المَرْجِعِ الذى يصير اليه فى الآخرة . وفى دعاء السفر : تَوْباً لِرَبنا أَوْباً أى تَوْباً راجعاً مُكَرَّراً ، وفى التنزيل : « إنَّ الينا ايابهم » وإيَّابَهم ، أى رجوعهم وهو فِيْعالٌ من (أَيَّبَ) : فَيْعَلَ . وقال الفراء : هو بتخفيف الياء والتشديد فيه خطأ ، وقال الزَجَّاج قُرِىء « إيَّابَهم » بالتشديد ، وهو مصدر أَيَّبَ إيَّاباً على معنى : فَيْعَلَ فِيْعَالاً من آب يؤوب ، والأصل : إيواباً ، فأدغمت الياء فى الواو ، وانقلبت الواو الى الياء ، لأنها سُبقت بسكونٍ . وقال الأزهرى : لا أدرى من قرأ « إيَّابَهم » بالتشديد ، والقُرَّاءُ على (إيابَهم) مخففاً .

قال ابو تراب : قرأ بالتشديد ابو جعفر كما فى الاتحاف ص ٤٣٨ .

وفى مجاز أبى عبيدة ج١ ص ٨٩ : المآب المرجع من آب يؤوب وفى ج١ ص ٣٣٠ « وحسنُ مآب » أى منقلب وفى ج١ ص ٣٧٤ : « للأوَّابين » أى للتوابين من الذنوب . وفى ج٢ ص ١٤٢ : « أَوِّبى » مجازه مجاز المختصر الذى فيه ضمير ، وقلنا : ياجبال أَوِّبى معه ، والتأويب أن يبيت فى أهله قال سلامة بن جندل :

يومان يوم مقامات وأندية   ويوم سير الى الاعداء تأويب

أى رجوع ، وفى ج٢ ص ١٧٩ « أواب » الأوّاب الرجّاع وهو التوّابُ مخرجها من آب الى أهله أى رجع قال يزيد بن ضَبَّة الثقفى والبيت لعَبيد بن الأبرص :

وكل ذى غيبةٍ يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

أى لايرجع .

وقوله عز وجل : « يا جبالُ أَوِّبى معه » ويُقرأ « أُوْبِى » فمن قرأ « أَوِّبى معه » فمعناه : يا جبال سَبِّحِى معه ورَجِّعى التسبيحَ . لأنه قال : « سَخَّرنا الجبال معه يُسَبِّحْنَ » ومن قرأ : « أُوْبِى معه » فمعناه : ارجعى معه فى التسبيح كلما عاد فيه .

وقال الله تعالى : « لكلِّ أوَّاب حفيظ » هو كثير الرجوع الى الله عز وجل من ذَنبه ، والأوبة الرجوع كالتوبة . والأوّاب التائب .

قال أبو بكر : فى قولهم رجلٌ أوّاب سبعة أقوال ، فقال قوم : الأوّاب الراحم ، وقال قوم : الأوّاب التائب ، وقال سعيد بن جُبيرٍ : الأوّاب المُسَبِّحُ . وقال ابن المُسَيِّب : الأوّاب الذى يذنبُ ثم يتوب ثم يذنبُ ثم يتوب . وقال قتادة : الأوّاب : المطيع ، وقال عُبيد بن عُمير : الأواب الذى يذكر ذنبه فى الخَلاءَ فيَستغفر الله منه ، وقال اهل اللغة : الأوّاب الرجّاع الذى يرجع الى التوبة والطاعة .

وفى التنزيل العزيز : « داوودَ ذا الأَيْدِ انه أوّاب » وفى الحديث : صلاةُ الأوّابين حين تَرْمَضُ الفِصال ، يريد صلاة الضحى عند ارتفاع النهار وشدة الحر .

وفى الحديث : « شَغلونا عن صلاة الوسطى حتى آبت الشمس » ملأ الله قلوبهم ناراً ، أى غربتْ من الأوْب الرجوع لأنها ترجع بالغروب الى الموضع الذى طلعتْ منه ، ولو استعمل ذلك فى قلوبهم لكان وَجْهاً لكنَه لم يُستَعْمل .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالَهم الى اموالكم انه كان حُوباً كبيراً » ؟ قال : « حُوباً » إثْماً بلغة الحبشة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

وإنِّــى ومــا كَلَّفْتُمونـــى ورَبِكَم　　لأعْلَــمُ مَنْ أمْسَى أعَــقَّ وأحْوَبا

قال أبو تراب :

البيت فى كتاب الحيوان للجاحـظ (ج ١ ص ١٩ و ٣٠١) وفى نسخـة الاتْقان للسيوطى المطبوعة بمطبعة حجازى بالقاهرة .

فإنِّــى ومــا كَلَّفْتمونـــى مِنَ اَمْرِكُمْ　　لِيُعلَــم من أمْسَى أعَــقَّ وأحْوَبا

وهو خطأ . وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ١ ص ١١٣) : « انه كان حوباً كبيراً » أى إثماً ، قال أُمَيَّةُ بنُ الأَسكَرِ الليثىّ :

وإنَّ مُهاجِــرِينِ تَكَنَّفاهُ　　غداة إذِ لقــد خَطِئَــا وحابَا

قال أبو تراب :

هذا البيت من قصيدة له ذكرها غير واحد قالها فى ابنه كلاب وأخيه كانا مع سعد بن أبى وقاص فى غزوةٍ ، وكان أبوهما شيخاً كبيراً خَرِفاً فبكاهما بأشعار منها هذا فردّهما عليه عمرُ بن الخطاب ، وذكره الحافظ ابن حجر فى الاصابة (ج ١ ص ٧٨) والطبرى (ج ٤ ص ١٥٤) وغيرهما . وقال الهُذَلىّ :

ولا تخنــوا علىّ ولا تَشِطُّوا　　بقــول الفخــر ان الفخــرَ حُوبُ

قال أبو تراب :

قائله أبو ذؤيب ، وهو فى شعر الهذليين (ج ١ ص ٩٨) والأضداد لابن الأنبارى (١١٠) وفى غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١١٨) : الحُوبُ الاثم وفيه ثلاثُ لغات : حُوب ، وحَوْب ، وحابُ .

وقال الفراء فى المعانى ج١ ص ٢٥٣ : الحوب الإثم العظيم ، ورأيت بنى أسد يقولون : الحائب القاتل . وقد حاب يحوب . وقرأ الحسن . « حَوْبا » .

وفى تنوير المقباس للفيروز ابادى عن ابن عباس : « حُوباً كبيراً » ذنباً عظيما عند الله بالعقوبة .

قال ابو تراب : ولم يذكر ابن سلام « الحوب » فى لغات القبائل فليلحق .

وفى مفردات الراغب : الحُوب الاثم ، وقال عز وجل : « انه كان حوباً كبيراً » والحَوْبُ المصدر منه ، ورُوى : طَلَاقُ أمّ أيُّوبَ حُوبٌ ، وتسميته بذلك لكونه مزجوراً عنه من قولهم : حاب حُوباً ، وحَوْباً ، وحِيَابةً ، والأصل فيه حَوْبَ لزَجْرِ الابل

قال أبو تراب :

فَسرَّ الهَرَوىُّ قوله ﷺ لأبى أيوب الأنصارى « إنَّ طلاق أم أيوب لَحُوب » وكان قد ذهب الى طلاقها بأنه وحشة وقال ابن الأثير : أو إثم ، وإنّما أثّمه بطلاقها لأنها كانت مُصْلِحَةً له فى دينه . وفلان يَتَحَوَّبُ من كذا أى يَتَأَثَّمُ ، وقولهم : أَلْحَقَ الله به الحَوْبَةَ أى المَسْكَنَةَ والحاجة ، وحقيقتُها هى الحاجة التى تَحْمِلُ صاحبها على ارتكاب الاثم ، وقيل : بات فلانٌ بِحِيبَةِ سَوْءٍ والحَوْباءُ ، قيل : هى النفس ، وحقيقتها هى النفس المرتكبة للحَوْب ، وهى الموصوفة بقوله تعالى : « إن النفس لأمّارة بالسوء » .

وفى المقاييس : الحَوْبُ أصلٌ واحدٌ يَتَشَعَّبُ الى إثم ، أو حاجةٍ أو مَسْكَنَةٍ ، وكلها متقاربة ، فالحُوبُ والحَوْبُ الاثم ، قال تعالى : « انه كان حوباً كبيراً » و « حَوْباً كبيراً » .

قال أبو تراب :

قرأ الجمهور بالضم ، والحسنُ بالفتح ، والحَوْبَةُ ما يَأْثَمُ الانسان فى عقوقِه ، كالأُمّ ونحوها ، وفلان يَتَحَوَّبُ من كذا أى يَتَأَثَّمُ .

وفى الحديث : ربَّ تَقَبَّلْ توبتى ، واغفر حَوْبَتِى ، ويقال : التَحَوُّبُ التَوَجُّعُ ، قال طُفيل (انظر ديوانه « ص ١٤ » والمُجْمَل واللسان) :

فذوقوا كما ذقنا غداة مُحَجَّرٍ   من الغيظ فى اكبادنا والتَحَوُّبِ

فان قيل : فما قياس الحَوْباء ، وهى النفس ؟ قيل له : هى الأصل بعينه لأنَ إشفاقَ الانسانِ على نفسه أغلبُ وأكثر .

فأمّا قولهم فى زَجْر الابـل : حَوْبُ وحـوبَ وحـوبِ . فإنّ هذه الأصـوات والحكايات ليست مأخوذةً من أصل ، وكل ذى لسانٍ عربىّ فقد يمكنه اختراع مثل ذلك ، ثم يكثُر على ألْسِنَةِ الناس . (**وانظر شرح المفصّل لابن يعيش**)

وقال الزمخشرى فى الأساس : فيه حَوْبٌ كبير ، واللهم اغفر لى حَوْبَتِى . وهو يَتَحَوَّبُ من القبيحِ : يتحرّج منه ، وحَرسَ الله حوباك ، وفعلتُ كذا لحَوْبَةِ فلانٍ ، أى لحُرْمَته وحقه ، وما يَأْثَمُ الرجل إنْ لم يُراعِه .

قال الفرزدق :

فهَـبْ لى خُنَيْساً واتّخـذ فيه مِنَّةً لحَوْبَـةِ أُمٌ ما يَسُـوغُ شرابُها

قال أبو تراب :

هذا من أبيات شَفع بها الفرزدقُ الى قائدٍ حَبَسَ ابنَ امرأةٍ عجوزٍ جاءتْ الى الفرزدق تَستشفع به فيه ، فأطلقه الأمير واطلق بسببه أناسـاً آخـرينَ حـينَ احتملت الكتابة اسماءً كثيرة مُصَحَّفَةً . ذكره أبو أحمـد العسـكرى فى كتـاب التصحيف (ص ١٣) .

والحَوْبة والحِيْبَةُ الهَمُّ والحاجة قال ابو كبير الهُذلىّ :

ثم انصرفـتُ ولا أَبُثُّـك حِيْبَتى رَعِشَ البنَـانِ أطِيْشُ مَشْى الأصْوَرِ

والحَوْبُ الجَهد والحاجة ، أنشد ابن الأعرابى :

وصُفَّاحـةٍ مِثْـلِ الفَنيقِ مَنَحْتُها عيال ابـن حَوْبٍ جَنَّبَتْـه أقارِبُه

ابن حَوْبٍ رجل مجهود محتاج ، لا يعنى رجلا بعينه ، انما يريد هذا النوع

والحُوْبُ الهلاكُ قال الهُذَلىُّ :

وكلُّ حِصْـنٍ وإن طالـتْ سلامتُه يومـاً ستُـدركه النَـكراء والحُوْبُ

أى يَهْلِكُ وقيل : أى الوحشة .

قال ابو تراب :

هذا البيت اختلف فى عَزْوه . فقيل هو لأبى دُواد الإِيادى والحُوبُ والحَوْبَ الحُزْنُ ، وقيل : الوحْشَة ، قال الشاعر :

(إنّ طريق مِثْقَبٍ لَحُوبُ)

أى وَعْثٌ صَعْبٌ ، والتحوُّب ايضاً البكاء فى جَزَعٍ وصِياحٍ ، وربما عَمَّ به الصياح قال العجّاج :

وصَرَّحَتْ عنه اذا تَحَوَّبَا رواجبُ الجوفِ السَّحِيْلَ الصُّلَّبا

ويقال : تَحَوَّبَ اذا تَعَبَّد ، كأنه يُلْقى الحُوبَ عن نفسه ، كما يقال : تَأَثَّمَ ، وتَحَنَّثَ ، اذا القى الحِنْثَ عن نفسه بالعبادة ، وقال الكميت يذكر ذئبًا سَقَاهُ وأَطْعَمَه :

وصُبَّ له شَوْلٌ من الماءِ غائِرٌ به كفَّ عنه الحِيْبَةَ المُتَحَوِّبُ

والحِيْبَةُ ما يُتَأَثَّمُ منه . ويقال : سمعتُ من هذا حَوْبَيْنِ ، ورأيت منه حَوْبَيْنِ ، أى فَنَّيْنِ وضَرْبَيْنِ ، وقال ذو الرُمَّةِ :

تَسْمَعُ من تَيْهائِهِ الأفْلالِ حَوْبَيْنِ من هماهِمِ الأغْوالِ

وبات فلانٌ بِحِيْبَةِ سُوءٍ وحَوْبَةِ سُوءٍ أى بحالِ سُوءٍ ، وقيل اذا بات بشدةٍ وحال سيئةٍ ، لا يقال الا فى الشر ، وقد استعمل منه فعل قال :

(وإنْ قَلُّوا وحَابُوا)

والحَوْباءُ النفس ، ممدودة ساكنة الواو ، والجمع حوباوات ، قال رؤبة :

وقاتلٍ حَوْباءَهُ من أجْلى ليس له مِثْلى وأين مثْلى

والحَوْباء : رُوْعُ القلبِ وقال : (ونَفْسٍ تجودُ بِحَوْبائِها)

والحَوْبُ بالفتح لأهل الحجاز ، والحُوب بالضم لِتَميمٍ ، والحَوْبَة المَرَّةُ للواحدة منه قال المُخَبَّل :

فلا يَدْخُلَنَّ الدَهر قَبْرَك حَوْبَةٌ يقوم بها يوماً عليك حَسِيْب

ويقال : حُبْتُ بكذا ، أى أثِمْتُ تَحُوبُ حَوْباً ، وحَوْبة وحِيَابَةٌ ، قال النابغة ، ويُعْزَى لِنَهِيْكَةَ الفرازيُّ :

صَبْراً بغيضُ بنَ رَيْثٍ انهـا رحمٌ حُبْتَـم بهـا فأناختْـكم بجَعْجاع

وقال الليث : الحَوْب الضَّخْم من الجمال ، وأنشد :

(ولا شرِبَتْ فى جِلْدِ حَوْبٍ مُعَلَّبِ)

قال : وسمى الجمل حَوباً بزجره كما سُمِّى الغُرابُ (غاقاً) بصوته ، والبَغْلُ عَدَساً بزجره وحَوَّب الابلَ قال لها : حَوْبِ ، والعرب تَجُرُّ ذلك ولو رفع أو نُصب لكان جائزاً لأن الزجرَ والحكاياتِ تُحَرَّكُ أواخرها على غير اعراب لازم ، وكذلك الأدوات التى لا تتمكن فى التصريف ، فإذا حُوِّلَ من ذلك الشيء إلى الأسماء حُمِلَ عليه الألف واللام فأُجرِىَ مُجْرَى الأسماء ، كقوله :

(والحَوْبُ لَمَّا يُقَلْ والحَلُ)

وفى الحديث : أنه كان اذا قدم من سَفَرٍ قال : آيبون تائبون لربنا حامدون حَوْباً حَوْباً قال : كأنه لما فرغ من كلامه زجر بعيره ، والحَوْبَ زَجْرٌ لذكور الابل مثل (حَلْ) لاناثها وتُضَمُّ الباء وتُفتح وتُكسر ، واذا نكِّرَ دخله التنوين فقولُه : حوْباً حَوْباً بمنزلة قولك سيراً سيراً . فأما قوله :

هى ابنـةُ حَوْبٍ أُمُّ تِسْعِـينَ آزَرَتْ أخاثقـةٍ تَـمْـرِى جَبَاهـا ذَوائِبُهْ

فإنّه عَنَى كنانةً عُمِلَتْ من جِلْدِ بعير ، وفيها تسعون سَهْماً فجعلهـا أُمـاً للسهام لأنها قد جَمَعتْها ، وقوله : أخاثقةٍ يعنى سَيْفاً ، وجَباهَا حَرْفُها ، وذَوائِبُهْ حمائله ، أى إنه تَقَلَّدَ السيفَ ، ثم تَقَلَّدَ بعده الكِنانةَ تَـمْرِى حَرْفَها يريد حَرْفَ الكنانة .

والحَوْبُ والحَوْبَةُ الأبوان والأختُ والبنت ، وقيل : لى فيهم حَوْبَةٌ وحُوْبَةٌ وحِيْبَةٌ ، أى قرابةٌ من قِبَل الأمِّ ، وكذلك كل ذى رَحِمٍ مَحْرَمٍ ، وإنّ لى حَوْبَةً أعُولُها أى ضَعَفَةً وعيالاً .

قال ابن السِكّيت : لى فى بنى فلان حَوْبةٌ ، وبعضهم يقول : حِيْبَةٌ فتذهب الواو اذا انكسر ما قبلها ، وهى كلُ حُرْمةٍ تضيع من أُمٌ أو أُخْتٍ أو بنتٍ أو غير ذلك من كل ذاتِ رَحِمٍ مَحْرَم .

وفى الحديث : اتقوا الله فى الحَوْباتِ يريد النساءَ المحتاجاتِ اللاتى لا يَستغنين عمّن يقوم عليهنّ ، ويتعهّدهن ولابد فى الكلام من حذف مضافٍ تقديره : ذات حَوْبَةٍ وذات حُوْباتٍ .

والحَوْبَةُ الحاجة ، وفى حديث الدعاء : اليك ارفع حَوْبَتِى ، وحَوْبَةُ الأُمِّ على وَلَدِها ، وتَحَوُّبها رِقَّتُها وتَوَجُّعُها وفى الحديث : مازال صَفْوانُ يَتَحَوَّبُ رحالنا منذ الليلة ، التَحَوُّبُ صوت مع تَوَجُّعٍ ، أراد به شدة صياحِه بالدعاء ، ورحالنا منصوبٌ على الظرف ، والحَوْبَةُ والحِيْبَةُ الهمُّ والحُزْنُ وفى حديث عُرْوَةَ لمّا مات أبو لَهبٍ : أُرِيَهُ بعضُ أهلِه بِشَرِّ حِيْبَةٍ أى بشرِّ حال .

وكلُ مأتمٍ حُوْبُ وحَوبُ والواحدة : حَوْبَةٌ ، ومن الحديث أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال : إنّى أتيتُك لأُجاهد معك فقال : أَلَكَ حَوْبَةٌ ؟ قال : نعم ، قال : ففيها فجاهِدْ . قال أبو عُبيد : يعنى ما يأثم به ان ضَيّعهُ من حُرْمَةٍ ، قال بعضُ أهل العلم يَتَأَوَّلُه على الأم خاصةً ، قال : وهى عندى كلُّ حرمة تَضيع إنْ تركها من أمٍ أو أختٍ أو ابنةٍ أو غيرها .

وفى حديث النبى ﷺ : اللهم اقبلْ توبتى ، وارحم حَوْبَتِى ، فحوبتى يجوز ان تكون هنا : تَوَجُّعى ، وأن تكون تَخَشُّعِى ، وتَمَسْكُنِى لك ، وفى روايةٍ : رب تقبل توبتى ، واغسِلْ حوبتى .

وفى حديث أبى هريرة : الربا سبعون حَوْباً ، قال الزجّاج : الحُوبُ الاثم ، والحَوْبُ فعل الرجل تقول حاب حوباً كقولك : قد خان خَوْناً .
وقال شَمِرُ : سبعون حوباً كأنَّه سبعون ضَرْباً من الاثم .

وعن قتادة فى قوله تعالى : « انه كان حُوباً » قال : أى ظلماً . وفى الحديث : كان اذا دخل الى اهله قال : تَوْباً تَوْباً لا يغادر علينا حَوْباً ، ومنه الحديث : إن الجفاءَ والحَوْبَ فى أهل الوَبَر والصُّوف .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ذلك لِمَنْ خَشِىَ العَنَتَ منكم » ؟ قال : العَنَتُ : الاثم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

رأيتُك تَبْتغى عَنَتِى وتَسْعَى مع الساعى علىّ بغير دَخْلِ

قال أبو تراب :

وفى بعض النسخ من الاتقان : (بغير دَخْلِ)

قال أبو عُبيدة فى المجاز (ج ١ ص ١٢٣ و٧٣) : « لأَعْنَتَكم » أىْ لأَهْلَكَكُمْ من العَنَتِ ، وقال : « العَنَتَ » كلَّ ضَرَرٍ ، تقول : أَعْنَتَنِى .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ١٢٤) « ذلك لِمَنْ خشى العَنَتَ منكم » أى خَشِىَ على نفسه الفُجورَ ، وأصل العَنَتِ الضررُ والفساد .

وفى تنوير المقباس (ص ٥٥) عن ابن عباس : « العَنَتَ » الزَّلَّةَ والفجورَ .

قال الراغب فى المفردات : المعانتة كالمعاندة ، لكنّ المعانتةَ أبلغُ لأنها معاندةٌ فيها خوفٌ وهلاكٌ ، ولهذا يقال : عَنِتَ فلان اذا وقع فى أمرٍ يُخاف منه التَلَفُ يَعْنَتُ عَنَتاً ، قال : « لِمَنْ خَشِىَ العَنَتَ منكم » وقال : « وَدُّوا ما عَنِتّم » وقال : « عزيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ » وقال : « ولو شاء الله لأَعْنَتَكم » يقال : أَعْنَتَه غيرُه ويقال للعَظْم المجبور اذا أصابه أَلَمٌ فهاضَه : قد أَعْنَتَه .

قال أبو تراب :

وذكر الراغب ههنا قوله تعالى : « وعَنَتِ الوجوهُ للحىّ القيوم » أى ذَلَّتْ وخَضَعَتْ ، وليس هذا موضعَ ذكره ، فانه مِنْ عَنا يَعْنُو ، ناقصٌ واوىٌّ ، وليس من

عَنِتَ يَعْنَتُ . فهذا من أوهام الراغب فَقَيَدْهُ وضَبط محمد كيلانى محقق المفردات المادة : عَنَتَ يَعْنُت وهو خطأ والصوابُ : عَنِتَ يَعْنَتُ .

قال ابن فارس : العين والنون والتاء أصل صحيحٌ يدلُ على مَشَقَّةٍ وما أشْبَه ذلك ولا يدلُّ على صحة ولا سهولة . قال الخليل : العَنَتُ المَشَقَّةُ تدخل على الانسان تقول : عَنِتَ فلان ، أى لَقِيَ عَنَتاً ، يعنى مَشَقَّةَ ، وأَعْنَتَه فلانٌ ، إعْنَاتاً : اذا أدخل عليه عَنَتاً ، وتعَنَّتَه تَعَنُّتاً ، اذا سأله عن شيء أراد به اللَّبْسَ عليه والمَشَقَّة . قال ابنُ دريد : العَنَتُ : العَسْفُ والحَمْل على المكروه ، أعْنَتَه يُعْنِتُه إعناتاً .

ويُحْمَل على هذا ويُقاسُ عليه ، فيُقال للآثم : عَنِتَ عَنَتاً ، اذا اكْتَسَبَ مَأثَماً . قال الفَرَّاءُ فى المعانى ج١ ص ٢٦١ فى قوله تعالى : « ذلك لِمَنْ خَشِيَ العَنَتَ منكم » أى يُرَخِّصُ لكم فى تزويج الاماء اذا خاف أحدكم أن يَفْجُرَ . قال الزجّاج : العَنَتُ فى اللغة : المَشَقَّةُ الشديدةُ ، يُقال : أَكَمَةٌ عَنُوتٌ : أى شاقَّةٌ . قال المُبَرِّد : العَنَتُ ههنا : الهَلاكُ . وقال غيره : معناه : ذلك لِمَنْ خاف أن تَحْمِلَه الشهوةُ على الزنا ، فيَلْقَى الاثمَ العظيمَ فى الآخرة .

وفى أساس الزمخشرى : وقع فلان فى العَنَتِ أى فيما شَقَّ عليه ، وعَنِتَ العَظْمُ : انكسر بعد الجَبْر ، وأعْنَتَه : هَاضَهُ ، وأعْنَتَ الطبيب المريض اذا لم يَرْفُقْ به فَضَرَّه ، وتَعَنَّتَنِي : سألنى عن شيء أراد به اللَّبْسَ علىَّ والمَشَقَّةَ .

وفى الحديث : لا تَسُبُّنَّ أصحاب رسولِ الله ﷺ فإن سَبَّهم مَعْنَتَةٌ أى مأثم ، وأَكَمَةٌ عَنُوتٌ ، طويلة شاقَّةُ المَصْعَدِ .

قال أبو تراب :

ومن شواهد هذه المادة بمعنى الهَلاك قوله :

(أحاول إعناتى بما قال أو رجا)

أى أحاول إهلاكى .

وعَنِتَتْ يدُه أو رِجْلُه أى انكسرت ، وكذلك كلُ عَظْمٍ قال الشاعر :

فَدَاوِ بها أضلاعَ جَنْبَيك بعد ما عَنِتْنَ وأعْيَتْك الجبائر من عَلُ

ويقال : عَنِتَ العَظْمُ عَنَتاً ، فهو عَنِتٌ ، وهَىَ وانكسر ، قال رُؤْبَةُ :

فأرغم الله الأنوف الرُّغَمَا مَجْدُوعَها والعَنِتَ المُخَشَّمَا

والعُنْتُوتُ : جُبَيْلٌ مُسْتَدِقٌ فى السماء ، وقيل : دُوَيْنَ الحَرَّةِ قال :

أدركتها تَأْفُرُ دُونَ العُنْتُوتْ تلك الهَلُوكُ والخَريعُ السُّلْحُوتْ

الأَفْرُ : سَيْرٌ سريعٌ .

وفى لسان العرب : والعَنَتُ الزنا ، وفى التنزيل : « ذلك لِمَنْ خشى العَنَتَ منكم » يعنى الفُجورَ والزنا ، وقال الأزهرى : نزلت هذه الآية فيمن لم يستطع طَوْلاً ، أى فَضلْ مالٍ يَنْكِحُ به حُرَّةً فله أن يَنْكِحَ أَمَةً ، ثم قال : « ذلك لِمَنْ خَشِىَ العَنَتَ منكم » ، وهذا يوجِبُ أن من لم يَخْشَ العَنَتَ ولم يجِدْ طَوْلاً لِحُرَّةٍ أنه لا يَحِلُّ أن يَنْكِحَ أَمَةً ، قال : واختلف الناس فى تفسير هذه الآية فقال بعضهم : معناه ذلك لمن خاف ان يَحْمِلَه شِدَّةُ الشَبَقِ والغُلْمَةِ على الزِّنَى ، فَيَلْقَى العذاب العظيم فى الآخرة ، والحَدَّ فى الدنيا ، وقال بعضهم معناه أن يَعْشَقَ أَمَةً ، وليس فى الآية ذِكْرُ عِشْقٍ ، ولكنَّ ذا العِشْقِ يَلْقَى عَنَتاً . وقال أبو العباس محمد بن يزيد الثُمالىُّ : العَنَتُ ههنا : الهَلاكَ وقيل : الهلاك فى الزِّنَى ، وأنشد : (أحاول إعْنَاتِى بما قال أو رجا) أراد : أحاول إهلاكى . وروى المنذرى عن أبى الهَيْثَم انه قال : العَنَتُ فى كلام العرب : الجَوْر والاثم والأذى قال : فقلت له : التَعَنُّتُ من هذا ؟ قال : نعم يقال : تَعَنَّت فلانٌ فلاناً اذا أدخل عليه الأذى .

وقال أبو اسحاق الزجّاجَ العَنَتُ فى اللغة المَشَقَّة الشديدة ، والعَنَتُ الوقوع فى أمرٍ شاقٍ ، وقد عَنِتَ وأَعْنَتَه غيرُه . قال الأزهرى : هذا الذى قاله أبو اسحاق صحيح فإذا شَقَّ على الرجال العُزْبةُ ، وغَلَبَتْه الغُلْمَةُ ولم يجد ما يتزوج به حُرَّةً فله أن ينكح أَمَةً ، لأن غلبةَ الشهوة واجتماع الماءَ فى الصُّلْبِ ربما أدَّى إلى العِلَّةِ الصَّعْبَةِ . والله أعلم .

وفى الحديث : الباغونَ البُرَآءَ العَنَتَ . قال ابن الأثير : العَنَتُ ، المشقة

والفسادُ والهلاك والإثْمُ والغَلط والخَطَأُ والزِنَى ، كل ذلك قد جاء ، وأطلق العَنَتُ عليه ، والحديثُ يحتمل كلهَّا ، والبُرَآءُ ، جمع بَرِىءٍ ، وهو والعَنَتُ ، منصوبانِ مفعولانِ للباغين ، يقال : بَغَيْتُ فلاناً خيراً ، وبَغَيْتك الشيء ، طلبتُه لك ، وبَغَيْتُ الشيء ، طَلَبْتُه ، ومنه الحديث : فَيُعْنِتوا عليكم دينكَم ، أى يُدْخِلُوا عليكم الضَرَرَ فى دينكم ، وفى الحديث الآخَر : حتى تُعْنِتَه ، أى تَشُقَّ عليه .

وفى الحديث : أيُّما طبيب تَطَبَّبَ ، ولم يعرف بالطِبِّ فأعْنَتَ ، فهو ضامنٌ ، أى اَضَرَّ المريضَ ، وأفْسَدَهُ . وفى حديث عمر : أردتَ أن تُعْنِتَنى ، أى تَطْلُبَ عَنَتِي وتُسْقِطَنى .

وقوله عز وجلّ : « واعلموا أنَ فيكم رسولَ الله لو يُطيعكم فى كثير من الأمر لَعَنِتُّمْ ، أى لو أطاع مِثْلَ المُخْبِر الذى أخْبَرهُ بما لا أصْلَ له ، وقد كان سعى بقوم من العرب الى النبى صلى الله عليه وسلم أنهم ارتدّوا ، لَوَقَعْتُمْ فى عَنَتٍ أىْ فى فسادٍ وهلاك ، وهو قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا إنْ جاءكم فاسقٌ بِنَبَإٍ فتبَيَّنُوا أن تُصِيبُوا قوماً بجهالةٍ فتُصْبِحُوا على مافعلتم نادمين » .

وفى التنزيل العزيز أيضاً : « ولو شاء الله لأعْنَتَكم » ، معناه : لو شاء لَشَدَّدَ عليكم ، وتَعَبَّدَكُمْ بما يَصْعُبُ عليكم أداؤهُ كما فَعلَ بمَنْ كان قبلكم . وقد يوضعُ العَنَتُ موضعَ الهلاكِ ، فيجوز أن يكون معناه : لو شاء الله لأعْنَتَكم أى لأهْلكَكَمْ بِحُكْمٍ يكون فيه غيرَ ظالمٍ .

قال ابن الأنبارى : أصْلُ التَعَنُّت ، التشديد ، فاذا قالت العربُ : فلان يَتَعَنَّتُ فلاناً ، ويُعْنِتُه ، فمرُادُهم : يُشَدّدُ عليه ، ويُلْزِمُه بما يَصْعُب عليه اداؤه ، قال : ثم نُقِلَتْ الى معنى الهلاك ، والأصل ، ماوصفنا .

وقال ابن الاعرابى : الإعناتُ ، تكليفُ غيرِ الطاقة .

وقال الجوهرى : العَنَتُ ، الإثم ، وقد عَنِتَ الرَجُلُ ، قال تعالى : « عزيز عليه ماعَنِتُّم » . قال الأزهرى : معناه عزيز عليه عَنَتُكم ، وهو لقاء الشدّة والمَشَقّة . وقال بعضهم : معناه عزيز أى شديدٌ ما أعْنَتَكم ، أى أوردكم العَنَتَ

والمَشَقّة وقال الليث : الوَثْءُ ، ليس بعَنَتٍ ، لايكون العَنَتُ الاّ الكَسْرَ ، الوَثْءُ الضَّرْبُ حتى يَرْهَصَ الجِلْدَ واللَّحْمَ ، ويَصِلَ الضَرْبُ الى العَظْمِ من غيرِ أنْ يَنْكَسِرَ ، ويُقال : أعْنَتَ الجابُر الكسيرَ ، اذا لم يَرْفُقْ بهِ ، فزاد الكسرَ فساداً ، وكذلك راكبُ الدابّةِ ، اذا حَمَله على مالايحتمله من العُنْفِ حتى يَظْلَعَ ، فقد أعْنَتَه ، وقد عَنِتَت الدابَّةُ ، وجُمْلَةُ العَنَتِ : الضَرَرُ الشاقُّ المُؤذى .

وفى حديث الزُهرى : فى رجل أنْعَلَ دابةً فَعَنِتَتْ ، قال القتيبى والأوَّلُ أحبُّ الوَجْهَينِ الىَّ . والعُنْتُوتُ الحَزُّ فى القوسِ الذى تُدْخِلُ فيه الغانَة ، والغانةُ ، حَلْقةُ رأسِ الوَتَرِ .

قال الامام الطبرى فى التفسير : (ج ٨ ص ٢٠٤) : « ذلك لمن خشى العنت منكم » اختلف أهل التأويل فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو الزِنَى ، وقال آخرون : معنى ذلك العُقوبَة التى تُعْنِتُه وهى الحَدُّ ، قال الطبرى : والصواب من القول : ذلك لمن خاف منكم ضرراً فى دينه وبَدنَهِ ، وذلك أن العَنَتَ هو ماضَرَّ الرجلَ ، يقال منه : قد عَنِتَ فلان ، فهو يَعْنَتُ عَنَتاً ، اذا أتى مايَضُرُّه فى دين أو دنيا ، ومنه قوله تعالى : « وَدُّوا ماعَنِتُّمْ » ، ويقال : قد أعْنَتَنِى فلانٌ ، فهو يُعْنِتُنِى ، اذا نالنى بمَضَرَّةٍ ، وقد قيل : العَنَتُ ، الهَلاكُ ، فالذين وَجَّهُوا تأويلَ ذلك الى الزنا قالوا ، الزنا ضَرَرٌ فى الدين ، وهو من العَنَتِ ، والذين وجّهوه الى الإثم قالوا : الآثام كلهُّا ضَرَرٌ فى الدين ، وهى من العَنَتِ ، والذين وجّهوه الى العقوبة التى تُعْنِتُهُ فى بدنه من الحَدّ فانهم قالوا : الحَدُّ مَضَرَّةٌ على بدن المحدود فى دنياه ، وهو من العَنَتِ وقد عَمَّ الله بقوله : « لِمَنْ خشِىَ العَنَتَ منكم » ، جميعَ معانى العَنَتِ ، ويَجْمَعُ جميعَ ذلك الزنا ، لأنه يوجب العقوبة على صاحبهِ فى الدنيا ، بما يُعْنِتُ بدنَه ، ويكتسب به إثماً ومضرة فى دينه ودنياه ، وقد اتفق أهل التأويل الذين هم أهلُه على أن ذلك معناه ، فهو وإنْ كان فى عَيْنه لذةٌ وقضاءَ شهوةٍ ، فانه بادائه الى العَنَتِ منسوب اليه موصوف به إذْ كان للعَنَتِ سَبباً .

***

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس ، أخبرني عن قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين يُزَكُّون أنفسهم بَلِ الله يُزَكِّى مَنْ يشاء ، ولايُظْلَمُون فتيلاً » ؟ قال : « فتيلاً » ، الذى يكون فى شَقّ النَواة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول النابغة :

يَجْمَعُ الجيشَ ذا الألوفِ ويَغزو ثم لايَرْزَأُ الأعادِيْ فَتيلاَ

قال أبوتراب : البيت فى الديوان ، (ص ٩٠) بلفظ : (لايَرْزَأُ العدَو) واستشهد به الطَّبَرسُى فى مجمع البيان ، وهو فى كتاب الحيوان (ج ٤ ص ٣٧٩) منسوباً الى عبدالقيس بن خُفَاف البُرْجُمِى وكذلك فى الأغانى (ج٩ ص ١٥٨) ونَسَبَه فى الشعراء (ص ١١٢) الى النابغة .

قال أبوعبيدة فى المجاز ، (ج١ ص ١٢٩ و ٣٨٦) « ولايُظْلَمون فتيلاً » وهو المتفِتّل الذى فى شقّ بطن النواة .

وفى تنوير المقباس (ص ٦١) رُوى عن ابن عباس : « ولاتُظلمون فتيلا » لاينقص من حسناتهم قَدْرُ فَتيلٍ ، وهو الشيء الذى يكون فى شَقّ النواة ، ويقال : هو الوَسَخُ الذى يكون بين أصابعك اذا فَتَلْتَ .

وفى غريب القرآن لابن قتيبة ، (ص ١٢٩) : الفتيل : القشرةُ فى بطن النواة ، ويقال : هو مافَتَلْتَه بأصبعيك من وسَخ اليد وعَرَقِها . ومثله فى معانى الفراء ج١ ص ٢٧٣ .

وقال الراغب الأصفهانى فى المفردات : فَتَلْتُ الحبلَ فَتْلاً ، والفَتيلُ المفتول ، وسُمّى مايكون فى شَقّ النواة فَتيلاً ، لكونه على هَيْأتِهِ ، قال تعالى : « ولايُظلمون فَتيلا » ، وهو ماتَفتِلُه بين أصابِعك من خيطٍ أو وَسَخٍ ، ويُضرب به المَثل فى الشيء الحقير . وناقةٌ فَتْلاءُ الذراعَينِ : مُحْكَمةٌ .

وقال ابن فارسٍ فى المقاييس : الفاء والتاء واللام ، أصْلُ صحيح يدلُّ على لَيّ شيء ، من ذلك : فَتَلْتُ الحَبْلَ وغيرَه ، والفَتيل : مايكون فى شَقّ النَواة ، كأنه قد فُتِل ، قال :

يَجْمَعُ الجيشَ ذا الألوفِ ويغزو ثم لايَرْزَأُ العدوَّ فَتيلاَ

ويقال : بل الفتيل مايُفْتَل بين الإصْبَعَينِ ، والفَتَل تباعُد الذراعَينْ عن جَنْبَي البعير ، كأنهما لُوِيَا لَيّاً ، وفُتِلاَ حتى لُوِيَاً ، قال طَرَفَةُ :

لهــا عَضُدانِ أفتلانِ كأنّما تَمُرّ بِسَلْمَى دالجٍ مُتَشَدِّدِ

وفى رواية : (كأنما أُمِرَّا) بدل (كأنما تمرّ) ، كما فى اللسان .

ومن أمثالهم : فلان يَفْتِل فى ذِرْوَةِ فلانٍ ، أى يدور من وراء خَديعتهِ .

وفى الأساس للزمخشرى : تقول : بنو فلان قوم فُتُل ، يَذْهبُ فى جِراحتهم الزيتُ والفُتُل ، قال الأعشى :

هل ينتهون ولن يَنْهىَ ذَوىِ شَطَطٍ كالطَّعْن يَذْهَبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ

ومن المجاز : رجل مفتول الساعد ، كأنه فُتِل فَتْلاً لِقُوّته ، وناقةٌ فَتْلاءُ الذراعَينْ ، وفى ذراعَيْها فَتَلٌ ، وهو تباعُدهما عن الجَنْبَينْ ، كأنهما فُتِلا عنهما . ومايُغْنىِ عنك فتيلاً وفَتْلَةً ، و « فُتِل منه فى الذِروة والغارب » ، وجاء فلان وقد فُتِلَتْ ذُؤابتُه ، أى خُدِع وصرِف عن رأيه ، وفَتَلْتُه عن حاجتهِ ، صَرَفْتُه ، فَانْفَتَل ، وانْفَتَل عن الصلاة .

وفى لسان العرب : فَتَلَ الشىء يَفْتِل فَتْلاً ، فهو مفتول وفتيل ، وفَتَّله ، لوَاهُ ، أنشد أبو حنيفة .

لونُهــا أحْمَــرُ صــافٍ وهــى كالمِسْـكِ الفَتيلِ

ويُروى : كالمسك الفَتيت ، قال أبوحنيفة : وهو كالفتيل . وقال أبو الحسن : وهذا يدلّ على انه شعر غيرُ معروف ، إذْ لو كان معروفاً لما اختُلف فى قافيتهِ ، فتَفَهَّمْهُ جِدّاً . وناقة فَتْلاَءُ ، اذا كان فى ذراعها فَتَل وبُيُونٌ عن الجنب ، قال لبيد : (حَرَجٌ فى مِرْفَقَيْها كالفَتَلْ) ، وفَتَل ، قَلْبُ : لَفَتَ ، وفَتَل وجهَه عن القوم ، صرَفَه ، كلَفَتَه .

والفَتيل : حبل دقيق من خَزَم أو عرق أو لِيْفٍ أو قِدّ يُشَدُّ على العِنان ، وهى الحَلْقة التى عند مُلْتَقَى الدُّجْرَيْنِ .

والفَتيل ، السَّحَاةُ فى شَقِّ النواة ، وما أغْنَى عنه فتيلاً ولافَتْلَةً ولافَتَلَةً ، الإِسكان عن ثعلب ، والفتح عن ابن الأعرابى ، أى ما أغْنَى عنه مِقْدارَ تلك السَّحاة التى فى شَقِّ النواة .

وفى التنزيل العزيز : « ولايُظلمون فتيلا » قال ابن السِكِّيت : القِطْمِيرُ القِشْرَةُ الرقيقة على النواة ، والفَتيلُ ماكان فى شَقِّ النواة ، وبه سُمِّيت فتيلةً ، والنَّقيرُ ، النُكْتَةُ فى ظهر النواة .

قال أبو منصور : وهذه الأشياء تُضرب كلُها أمثالاً للشىء التافِهِ الحَقيرِ القليل ، أى لايظلمون قَدْرَها .

والفَتيلة ، الذُبَالة ، وذُبالٌ مُفَتَّل ، شُدِّدِ للكثرة ، وفى حديث الزُبير وعائشة : فلم يَزَلْ يَفْتِل فى الذِروة والغارب ، وهو مَثَلٌ فى المخادعة ، وورد فى حديث حُيَى بن أخْطَبَ أيضاً : لم يزل يَفْتِلُ فى الذِرْوة والغارب .

والفَتْلة ، وعاءُ حَبِّ السَّلَمِ والسَّمُرِ خاصةً ، وهو الذى يُشْبِه قرونَ الباقِلاّ ، وذلك أولَ مايَطْلُع ، وقد أفْتَلَتِ السَّلَمةُ والسَّمُرَةُ ، وفى حديث عثمان : ألستَ تَرْعَى مَعْوَتَها وفَتْلَتَها ؟ الفَتْلَةُ ، واحدة الفَتْل ، وهو مايكون مفتولاً من ورق الشجر ، كوَرَقِ الطَّرْفاءِ والأثْلِ ونحوهما ، وقيل : الفَتْلَة ، حَمْل السَّمُر والعُرْفُطِ ، وقيل : نَوْرُ العِضاهِ اذا تَعَقَّدَ . وقد أفْتَلَتْ إفتالاً ، اذا أخرجت الفَتْلَةَ .

والفَتْلة ، شدة عَصَب الذِراع ، والفَتَل أيضاً ، اندماج فى مِرْفَقِ الناقة ، وبُيونٌ عن الجنب ، وهو فى الوظيف والفِرْسِنِ عيبٌ ، ومِرْفَقٌ أفْتَل ، بيِّن الفَتْل .

وقال الجوهرىَ : الفَتَل بالتحريك ، مابين المِرْفَقَينْ عن جَنْبَىِ البعير وقوم فُتْل الأيدى ، قال طرفة .

لهــا مِرْفَقَــانِ أفتــلان كأنَّما أُمِــرَّا بِسَلْمَــىْ دالــجٍ متشدِّد

وفَتِلَتِ الناقة فَتَلاً ، اذا امَّلَسَ جِلْدُ إبْطها ، فلم يك فيه عَرَكٌ ولاحازٌّ ولاخالعٌ ، وهذا اذا استرخى جِلْدُ إبْطِها وتَبَخْبَخَ .

والفَتْلَة ، نَوْرُ السَّمُرَةِ ، وقال أبو حنيفة : الفَتَلُ ماليس بورقٍ الاّ أنه يقوم مقام الورق ، وقيل : الفَتَل مالم يَنْبَسِطْ من النَّباتِ ، ولكن تَفَتَّل فكان كالهَدَبِ ، وذلك كهَدَبِ الطَّرْفاءِ والأَثْل والأَرْطَى . وقال ابن الأعرابى : الفَتَّال ، البُلْبُلُ ، ويقال لصِياحِه الفَتْل ، فهو مَصْدَرٌ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « والذين تَدعون من دونه مايَمْلِكون من قِطْمير » ؟ قال : الجِلْدةُ البيضاء التى على النواة ، قال : وهل تعرف العربُ ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول أمية بن أبى الصَّلْتِ :

لم أَنَــلْ منهمــو فَسيطاً ولا زُبْــداً ولا فُوفَــةً ولا قِطْميرا

قال أبو تراب : البيت فى ديوانه ، (ص ٣٦) والفُوفَةُ ، القِشْرةُ التى تكون على النواة دون لَحْمَةِ الثمر ، وهى الحَبَّة البيضاء فى باطن النواة التى تنبت منها النخلة والفَسيطُ ، الثُفْروقُ وهو عِلاَقَةُ قِمْعِ التَّمْرةِ ، والجِلَّةِ التمـر قِمْعـاَنِ وهما ثَفِنِتاها أى زاويتاها السُفْلَيَانِ ، والجُلَّة ، قُفَّةٌ كبيرة للتمر .

قال أبوعبيدة فى مجاز القرآن : (ج ٢ ص ١٥٣) : « مايملكون من قِطْمير » وهو الفُوفَةُ التى فيها النواة . وفى النسخة المطبوعة التى ضبطها فؤاد سزكين : (الفوقة) وهو غلط .

وقال ابن قتيبة فى غريب القرآن ، (ص ٣٦٠) : القِطْمِيرُ ، الفُوفَةُ التى تكون فى النواة ، وفى التفسير أنه الذى بين قِمْعِ الرُّطَبَةِ وبين النواة ، وهو من الاستعارة فى قلة الشيء وتحقيره ، وفى تأويـل المشـكل لابـن قتيبـة : (ص ١٠٥) : هو الفُوفَةُ التى فيها النواة ، يريد مايَملكون شَيئاً .

وفى تنوير المقباس ، (ص ٢٧٠) عن ابن عباس : لايَقْدِرُون أن يفعلوا من ذلك قَدْرَ قِطْمِير ، وهو الشىء الذى يتعلق به النواةُ مع القِمْع .

وقال الراغب فى المفردات : « مايملكون من قطْمِير » ، أى الأثرِ فى ظهر النواة ، وذلك مَثَل للشىء الطَّفيف .

وقال ابن فارس فى المقاييس : القِطْميرُ : الحَبَّة فى بطن النواة .

قال أبو تراب : ولم يذكر الزمخشرى هذه اللفظة فى أساس البلاغة ، وانما فسرها فى الكشاف .

قال فى لسان العرب : القِطْمير والقِطْمارُ : شَقُّ النواة .

وفى صحاح الجوهرى : القِطمير ، الفُوفَة التى فى النواة ، وهى القشرة الدقيقة ، التى على النواةِ بين النواةِ والتمر ، ويقال : هى النُكْتَة البيضاء التى فى ظهر النواة التى تنبتُ منها النخلة ، وما أصَبْتُ منه قِطْميراً ، أى شيئاً .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فمالكم فى المنافقين فِئَتَينِ والله أرْكَسَهُمْ بما كَسَبُوا » ؟ قال : « أرْكَسَهم » حَبَسَهم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول أمية بن أبى الصَّلْتِ :

فأُرْكِسُوا فى حَمِيمِ النارِ إنّهمو كانُوا عُصاةً وقالوا الإفكَ والزُّورا

قال أبو تراب : البيت فى ديوانه ، (ص ٣٦) واستشهد به الطَّبرىُ ، والطَّبَرْسِّى وأبوحيّانَ فى تفاسيرهم ، وهذه رواية الطبرى لِنَصّ البيت ، وليس هو كذلك فى ديوانه ، بل النص فى الديوان من بحرٍ آخر ، فهو فيه :

أُرْكِسُوا فى جَهَنَّمٍ إنهم كا نوا عُتَاةً تقولُ إفْكاً وزورا

وهذا النص هو المُثْبَتُ فى الاتقانِ للسيوطى ، وعَدَل عنه فؤاد عبدالباقى فأَثْبَتَ

نَصَّ الطبرىَّ فى رسالِة مسائِل نافعِ بنِ الأزرقِ من مُعْجم غريبِ القرآن ، ولم يُنَبّهْ على هذا التصرفِ والاختيارِ ، مع سلامةِ نص الديوانِ والاتقان ، وقال الأستاذ محمود شاكر فى حاشية الطبرى ، انه لم يجد رواية الطبرى فى مكانٍ آخر .

قال أبو تراب : ووجدته أنا برواية الطبرى فى أبى حيانَ وتفسيرِ أبى جعفرِ الطُوسّى ، والدرِ المنثور ، وفى لفظِ الدُرّ ، خطأ بزيادة كلمة فى الشطر الأخير ، فقد جاء :

أُرْكسُوا فى جهنَمٍ أنهم كانواعتاةً
تقول مَيْناً (وكذبا) وزورا

فكلمة « وكذبا » مقحمة ، وجاء فيه : (يقولوا) ، والصواب : (تقول) .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة : (ج١ ص١٣٦) : « والله أَرْكَسَهم » أى نَكَّسَهم ورَدَّهم فيه . وقال ابن قتيبة فى غريب القرآن ، (ص ١٣٣) أى نكسَّهم وردّهم فى كفرهم وفى قراءة عبدالله بن مسعود « رَكسَهم » ، وهى لغتان ، رَكَسْتُ الشىء وأرْكَسْتُهُ .

قال أبو تراب : وضبطه مُحَقّقُه السيد احمد صقر « رَكَّسَهم » بالتشديد وهو خطأ . وفى كتاب الأفعال لابن القوطية : رَكَسَه وأَرْكَسَهُ لغتان وقرِئ بهما وانظر معانى الفراء ج ١ ص ٢٨١ .

وفى تنوير المقباس للفيروزابادى (ص٦١) عن ابن عباس قال : « والله أَرْكَسَهم » ردّهم الى الشركِ بنفاقهِم وخُبْثِ نياّتهِم .

وقال الراغب : الرَّكسُ قلب الشىء على رأسِهِ ، وردُّ أوله الى آخره ، يُقال : أَرْكَسْتُه فَرُكِسَ ، وارْتكَسَ فى اَمْرِه ، قال تعالى : « والله أَرْكَسَهم بما كَسَبوا » أى ردّهم الى كفرهم .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الراء والكاف والسين ، أصل واحد ، وهو قلْبُ الشىء على رأسِهِ ، ورَدُّ أوله على آخره ، قال الله جَلَّ ثناؤه : « والله أَرْكَسَهُمْ بما

كَسَبُوا » أى ردّهم الى كفرهم ، ويقال : ارْتَكَسَ فلانٌ فى أمرٍ قد كان نَجاَ منه . والرُّكوسِيَّةُ ، قوم لهم دينٌ بين النصارى والصابئين . وأُتِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين طلبَ أحجاراً للاستنجاء بَروْثةٍ فرمَىَ بها . وقال : انها رِكْسٌ ، ومعنى ذلك أنها ارتكست عن أن تكون طعاماً الى غيره .

وقال الزمخشرى فى الأساس : أَرْكَسَه ورَكَسَه : قَلَبَه على رأسِه ، وهو منكوسٌ مركوس ، وأَرْكَسَه فى الشرّ ، ردّه فيه « كلماً رُدَوا الى الفتنة أُرْكِسُوا فيها » وأركس الله عَدُوَّك : قَلَبه على رأسه ، أو قلب حالَه ، وارْتكَسَ فلانٌ فى أمْرٍ كان نَجَا منه .

وفى الحديث : والفِتن تَرْتكسُ بين جَراثيم العرب ، يَرْتكَسُ أهْلها فيها أو هى تَرَتُّد بعد أن تذهب وأَرْكس الثوبَ فى الصِبْغ أعِدْهُ فيه ، وشَعْرٌ مُتَراكِسٌ مُتَراكِب ، وشَدَّ دابَّته الى الرِكاسَةِ ، وهى الآخِيَّةُ ، وهذا رِكْسٌ : رجْسٌ وبناءٌ ركسٌ ، رُمَّ بعد الانهدام .

وفى لسان العرب : الرِكْسُ الجماعة من الناس ، وقيل الكثير من الناس ، والرِكْسُ شبيهٌ بالرَّجيع ، وفى الحديث : أن النبى صلى الله عليه وسلم أُتِىَ بِرَوْثٍ فى الاستنجاء فقال : انه رِكْسٌ . قال أبوعبيدٍ : الرِكْسُ شبيه المَعْنَى بالرَّجيع ، يقال : رَكسْتُ الشىء وأَرْكَسْتُه اذا رَدَدْتَه ، ورَجَعْته ، وفى رواية : إنه ركيسٌ ، فعيلٌ بمعنى مفعول ، ومنه الحديث : اللهم أرْكسْهما فى الفتنة رَكْساً والرَّكْسُ قَلْبُ الشىء على رأسِهِ ، أو ردُّ أوَّله على آخره ، رَكَسَهَ يَرْكُسُه رَكْساً ، فهو مركوسٌ ورَكِيسٌ ، وأَرْكَسَه فارْتَكَسَ فيهما وفى التنزيل : « والله أركسهم بما كسَبَوا » قال الفراء : يقول : رَدَّهم الى الكفر . قال : ورَكَسَهَم لغةٌ ويقال : رَكَسْتُ الشىء وأَرْكَسْتُه لغتان ، اذا رَدَدتَه .

والارتكاسُ الارتداد ، وقال شَمِرُ : بلغنى عن ابن الأعرابى أنه قال : المنكوسُ والمركوسُ المُدْبِر عن حاله ، والرَّكْسُ رَدُّ الشىء مقلوباً . وفى الحديث : الفِتَن تَرْتَكِسُ بين جَراثيم العرب ، أى تَزدحم وتتردّد ، والرَّكيْسُ أيضاً : الضعيف المُرْتَكِسُ ، (عن ابن الأعرابى) .

وارْتَكَسَتِ الجاريةُ ، اذا طَلَع ثَدْيُها ، فاذا اجتمع وضَخُم فقد نَهَدَ والراكِسُ ، الهادى ، وهو الثَور الذى يكون فى وَسَط البَيْدَرِ عند الدِّيَاسِ والبَقَرُ حولَه تدور ، ويَرْتَكِسُ هو مكانَه ، والانثى رَاكِسَةٌ .

واذا وقع الانسانُ فى أمْرٍ بعد مانَجاَ منه ، قيل : ارْتَكَسَ فيه .

قال الجوهرى فى الصحاح : ارْتَكَسَ فلانٌ فى أمرٍ كان قد نجا منه .

وفى حديث عدىَّ بن حاتم أنه أتَى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أنك من أهل دينٍ يقال لهم الرُّكُوسِيَّةُ . ورُوى عن ابن الأعرابى انه قال : هذا من نَعْتِ النصارى ، ولايُعَرَّبُ .

والرِكْسُ بالكسر ، الجِسْرُ . وراكسٌ فى شعر النابغة :

وَعَيـدُ أبـى قابـوسَ فى غـيرِ كُنْهِه   أتانِـى ودُونـى راكِسٌ فالضواجعُ

اسمُ وادٍ ، وقولُه : « فى غير كُنْهِه ، أى لم أكن فعلتُ مايوجبُ غَضَبَه علىَّ فجاء وعيدُه فى غيرِ حقيقةٍ ، أى على غير ذنبٍ أذْنَبْتُه ، والضواجع : جمع ضاجعةٍ ، وهو مُنْحَنَى الوادى ومُنْعَطَفُه .

قال أبو تراب : وله شاهد آخر فى تاج العروس هو قول ضيعان بن عباد النميرى :

بَزِوْدِ بُراقِ الخيلِ أو بَطْنِ راكس   سقاهـا بِجَـوْدٍ بعـد عَقْـرٍ لجَيمُها

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « واذا اردنا ان نُهلك قريةً امرنا مترفيها ففسقوا فيها » قال : « أَمَّرْنَا مُتْرَفِيْهَا » سَلَّطْنَا قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول لبيد :

إنْ يُغْبَطـوا يَهْبِطـوا وإن أَمِرُوا   يومـاً يَصـيروا للهُلْك والنَكَدِ

قال أبو تراب : وفى رواية : (والنَفَدِ) وفى ابن هشام (ج ٤ ص ٢١٦) : (فَهُمْ للهَلاكِ والفَنَدِ) ، ويروى : (يُغْبَطُوا) والبيت فى أساس الزمخشرى والديوان (ص ١٦٠) واللسان ومقاييس اللغة والأغانى ج ١٥ ص ٢٣٣ والقرطبى والمجاز والتاج .

وفى الاتقان للسيوطى : (ج١ ص ٢١٩) : (إن يُغْبَطوا يَيْسرَوا) ، وفيه (والفَقَد) .

وفى مجاز القرآن لأبى عُبيدة (ج١ ص ٣٧٢) : « آمرنا مُتْرَفيها » أى أكثرنا مُتْرَفيها وهى من قولهم : قد أَمِرَ بنو فلانٍ ، أى كَثُروا ، فخرج على تقدير قولهم : عَلِمَ فلان ، وأَعْلَمْتُه أنا ذلك ، وأنشد بيتَ لبيدٍ المارَّ آنفاً . قال : وبعضُهم يقرؤها : « أَمَرْنا مُتْرَفِها » على تقدير أخذنا ، وهى معنى أكثرنا ، وآمْرنا ، غير أنها لغةٌ ، أَمَرْنا ، أكثرنا ، تُرِكَ المَدُّ ، ومعناه آمرنا ، ثم قالوا : مأمورةٌ من هذا ، فان احتَجَ مُحْتَجٌ فقال : هى من أَمِرَتْ ، فقُلْ : كان ينبغى ان يكون آمرة ولكنهم يَتْركون احدى الهمزتين ، وكان ينبغى أن يكون : آمرة ، ثم طَوَّلوا ، ثم حَذَفُوا « ولأُمُرَنهم » فلم يَمُدُّوها .

قال الأَشْرَمُ : وقول أبى عُبيدة فى « مأمورةٍ » لغةٌ ، وقول أصحابنا قياس . وزعم يونس عن أبى عمرو انه قال : لايكون هذا ، وقد قالت العرب : خير المال نخلةٌ مأبورة ، ومُهْرَةٌ مأمورة ، أى كثيرة الوَلَد ، وله موضع آخر ، مجَازُهُ : أمَرنا ونَهَيْنا فى قول بعضهم ، وثَقَّله بعضهم فجعل معناه أنهم جُعلوا أُمَراءَ .

قال الطبرى : اختلف القراء فى قراءة قوله : « أَمَرْنَا مُتْرَفيها » فقرأ عامَةُ قراءِ الحجازِ والعراق : « أمرْنا » بقصر الألف دون مَدّها ، وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : قد يَتَوَجَّه معناه اذا قُرِىء كذلك الى معنى (أكثرنا مترفيها) ويحتج لتصحيحه ذلك بالخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : خير المال مهرة مأمورة ، أو سِكَّةٌ مأبورة ، ويقول : إن

معنى قوله : « مأمورة » كثيرة النَسْل ، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين ينُكر ذلك من قيلْه ، ولا يجيز : « أمَرْنا » بمعنى أكثرنا .

قال أبو تراب : يجوز أن تكون مأمورة ، قد جاءت لِمُشاكِلة المأبورة والآ فحقها على هذا التخريج ان تكون (مُؤْمَرَة) .

وفى غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٢٥٣) : « أمَرْنا مُتْرَفيها » أى أكثرنا مُتْرَفيها ، يقال : أمَرتُ الشىء وآمَرْتُه ، أى كثَّرتُه ، تقديرُ فعَلتُ وأفْعَلْتُ ومنه قولهم : مُهرةٌ مأمورةٌ ، أى كثيرةُ النتاج . ويقال : أمِرَ بنو فلانٍ يأْمَرُون أمْراً اذا كَثُروا وبعض المفسرّين يذهب الى أنه من الأَمْرِ يقول : نأمرهم بالطاعة ، ونَفْرِضُ عليهم الفرائض فاذا فسقوا حَقَّ عليهم القول ، أى وَجَب ، ومن قرأ « أمَّرنا » فهو من الإمارة أى جعلناهم أمَراء وقرأ أقوامٌ « آمرنا » بالمدّ وهى اللغة العالية المشهورة أى كثّرنا .

وقال الطبرى : وأولى القراءات عندى بالصواب : قراءة مَنْ قرأ : « أمَرْنا » بقصر الألف وتخفيفه للميم للإجماع وفى تشكيل كلام ابن قتيبة فى النسخة التى حققها السيد احمد صقر خطأ لعلّه من التطبيع .

وفى كتاب الوجوه والنظائر للدامغانى (ص ٤١) « واذا أردنا أن نهلك قريةً أمَرْنَا مُتْرفِيِها ففسقوا فيها » أمَرْنا بالتخفيف ، وأَمَّرْنَا بتشديد الميم ، وآمرنا بالمدّ : أكثرنا ، وأمَّرْنَا مُشدَّداً : سَلّطنا جَبَابِرَتها ، وقيل : جعلناهم أُمَرَاء ، وفى كتاب نزهة الاعين للحافظ ابن الجوزى (ج ١ ص٨٦) : والأَمْرُ الكثرةُ . « أمَرْنَا مُتْرَفيها » أى كثَرناهم ، وألحْقه بعضهُم بقسم الأَمْرِ الذى هو استدعاء الفعل ، فقال : معناه أمَرْنا مُتْرَفيها بالطاعةِ ففسقوا فيها .

وفى تنوير المقباس للفيروزابادى (ص ١٧٧) : « أمَرْنا مترفيها » بالطاعة إنْ قرأت بنَصْبِ الألف مخففًا ، ويقال : كثّرنا رؤساءها وجَبَابرتَها وأغنياءها إنْ قرأت بفتح الألف ممدوداً ويقال : سَلَّطْنا جبابرتَها ورؤساءها ، إنْ قرأت بفتح الألف وتشديد الميم .

وقال الراغب فى المفردات : وقوله تعالى : « أَمَرْنا مُتْرفيهـا » أى أمرناهـم بالطاعة ، وقيل : معناه كَثَّرناهم ، وقال أبوعمرو : لايقال : أَمَرْتُ بالتخفيف فى معنى كَثَّرْتُ ، وانما يقال : أَمِرْتُ وآمَرْتُ . وقـال أبوعُبيـدة قد يقـال : أَمَـرْتُ بالتخفيف ، نحو : خير المال مُهْرَةٌ مأمورة ، وسِكَّةٌ مأبورة . وفِعْلُـه : أَمَـرْتُ . وقرىء « أَمَّرْنَا » أى جعلناهم أمراء وقرىء آمَرْنَا بمعنى أكثرنا .

قال أبو تراب : مذهب أبى عبيدة كما يلوح من كلامـه فى المجـاز ، أن « أَمَرْنا » بمعنى كثّرنا ، أصلُه : (آمرنا) بمعناه ، فتُركتْ احدى الهمزتين ، وجُعلتْ « مُهْرَةٌ مأمورة » أى كثيرة النَسْل ، من هذا الفعل بعد ترك الهمزة ، والاّ فهى مُؤْمَرَةٌ ، وكونَ (أَمَرْتُ) مخففًا بمعنى كَثَّرْتُ هو الذى يخالفه أبو عمرو ، فيقول : هو (آمَرْتُ) بهذا المعنى على التعدية ، و (أَمِرْتُ) مُخففاً أى كَثُرْتُ على اللازم . وروى عن أبى زيد أن (أمِر) بكسر الميم كأمر بفتحها بمعنى أكثر وانظر البحر ج ٦ ص ٢٠ . هذا وفى تشكيل كلام الراغب فى نسخة المفردات التى ضَبَطها محمد سيد كيلانى خطأ لا أدرى أهو منه قصور أم من عُمّاَل المطبعة ، والله أعلم على انّ هذه القراءاتِ لم يذكرها الجَزَرىُّ فاعرفْ ، وانما ذكرها الطبرى وغيره من العلماء المفسرّين .

وقال الفراء فى المعانى ج ٢ ص ١١٩ : قرأ الأعمش وعاصم ورجال من المدينة (أمرنا) خفيفة ، ومثله عن مجاهد وفسر بعضهم (أمرنـا) بالطاعـة (ففسقوا) أى ان المترف اذا أمر بالطاعة خالف الى الفسوق ، وقرأ الحسن (آمرنا) وروى عنه (أمِرنا) ولاندرى أنهـا حفظـت عنـه ، لأنـا لانعـرف معناهاههنا ، ومعنى (آمرنا) بالمد أكثرنا وقرأ ابو العالية : (أمّرنا) وهو الموافق لتفسير ابن عباس وذلك انه قال : سلطنا رؤساءها ففسقوا فيها .

قال ابو تراب : وفى نسخة اللسان المطبوعة بدار المعارف بمصر بتصحيح نفر من الاساتذة خطأ فى تشكيل قراءة الحسن الثانية ، وفى مطبوعة معانى الفراء لم ترد كلمة (أمِرنا) بمعنى أكثرنا من كلامه الذى نقله ابن منظور فليتنبه .

وفى مقاييس اللغة لابن فارس : الأَمَرُ ، النماءُ والبركة ، بفتح الميم ، ونَقَله عن الخليل ، وامرأة أَمِرَة ، أى مباركة على زوجها ، وقد أَمِرَ الشىء أى كَثُر ، تقول العرب .. من قَلَّ ذَلَّ ، ومن أَمِرَ فَلَّ ، أى من كَثُر غَلَب وتقول : أَمِرَ بنو فلانٍ أَمَرةً ، أى كَثُروا ، ووَلَدَتْ نَعَمُهم ، وأنشد بيت لبيدٍ المتقدم ، ونَقَل عن الأصمعى .. يقول العرب : خير المالِ سِكَّةٌ مأبورة ، أو مُهْرَةٌ مأمـورة ، وهـى الكثيرةُ الوَلَدِ المباركةُ ، ويقال : أَمَر الله مالَه ، وآمره ، ومنه : « مُهْرَةٌ مأمورة » ومن الأول : « أمَرْنا مترفيها » ، ومن قرأ : « أَمَّرْنَا » فتأويله : وَلَّيْنَا .

وفى لسان العرب لابن منظور : « أمَرْنَا مترفيها » قرأ أكثر القُرَّاء : (أَمَرْنَا) وروى خارجةُ عن نافع : (آمرنا) بالمدّ ، وسائر أصحـاب نافـع رووه عنـهُ مقصوراً . ورُوِىَ عن أبى عَمْرو : (أَمَّرْنَا) بالتشديد وسائـر أصحابـه رووهُ بتخفيف الميم والقصر . ورَوى هُدْبةُ عن حمـاد بن سَلَمـة عن ابـن كثـير : (أمَّرْنَا) ، وسائر الناسِ رووهُ عنه مخففًا .

وقال أبو اسحقَ نَحْوا مما قال الفرآء : قال : مَنْ قرأ « أَمَرْنَا » بالتخفيف ، فالمعنى : أَمَرْنَاهم بالطاعة ففسقوا .

فان قال قائل : ألستَ تقول أَمَرْتُ زيداً فضرب عَمْراً ؟ والمعنى أنك أَمَرْتَه أن يَضرِبَ عمرواً فضربه ، فهذا اللفظ لايَدُلُّ على غيرِ الضرب ، ومثلُه قولُه : « أمَرْنا مُتْرَفيها » أمرتُك فعصيتَنى ، فقد عُلِمَ أن المَعْصِيةَ مخالفةُ الأمر ، وذلك الفِسْقُ مخالفَةُ أمر الله : وقرأ الحسَن (أمِرْنَا) على مثال : عَلْمِنَـا ، قال ابـنُ سِيْدَهْ : وعسى أن تكونَ هذه لغةً ثالثة . قال الجوهرى : معناه أَمَرْناهَم بالطاعةِ فعَصَوْا ، قال : وقد تكون من الإمارة ، وقد قيل : إنّ معنى (أمِرْنا مُتَرفيها) ، كَثَّرْنَا مُتْرَفيها ، والدليل على هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : خَيْرُ المال سِكَّةٌ مأبُورَة أو مُهْرَةٌ مأمورة ، أى مُكَثَّرة والعرب تقول : أَمِرَ بنو فلانٍ أىْ كَثُرْوا ، قال مُهاجر عن على بن عاصم ، مُهْرَةٌ مأمورة ، أى نتوجُ ولود ، وأنشد بيت لبيدٍ المتقدم . وقال أبوعُبيد : إنها الكثيرةُ النِتاجِ والنَسْل ، وفيها لغتان : قد أَمَرها الله

فهى مأمورة ، وآمرها الله فهى مُؤْمَرَةٌ ، وقال غيره : انما هو مُهْرَةٌ مأمورة للازدواج ، لأنهم أتبعوها مأبورة فلما ازدوج اللفظان جاءوا بمأمورة على وزن مأبورة . كما قالت العرب : انّى آتيه بالغَدايا والعَشايا ، وانما تُجمع الغداة على غَدَوات ، فجاءوا بالغدايا على لفظ العشايا تزويجاً لِلَّفْظَينْ ولها نظائر .

قال الجوهرى : والأصل فى « مُهْرَةٌ مأمورة » مُؤْمَرَةٌ على مُفْعَلَةٍ كما قال ﷺ : اِرْجعْن مَأْزُوراتٍ غير مأجوراتٍ ، وانما هو (موزوراتٍ) من الوِزْرِ ، فقيل : مأزوراتٍ على لفظ مأجورات لِيَزْدَوِجَا .

وقال ابو زيد : مُهْرَةٌ مأمورة ، هى التى كَثُر نَسْلُها ، يقولون : أَمَرَ الله المُهْرَة أى كثَّر وَلَدَها ، وأَمِرَ القومُ أيْ كَثُروا ، قال الأعشى :

طَرِفُونَ وَلأَدونَ كلَّ مُبَارَكٍ أَمِرُونَ لاَيرِثُونَ سَهْمَ القُعْدُدِ

ويقال : أمَرَهم الله فأَمِروا ، أى كثروا ، وفيه لغتان : أمَرَها فهى مأمورة ، وآمرها فهى مُؤْمَرَة . ومنه حديث أبى سفيان : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبى كبشة وارتفع شأنه يعنى النبى ﷺ . ومنه الحديث : أن رجلا قال له : مالى أرى أَمْرَك يأْمَرُ ؟ فقال : والله ليَأْمَرَنَّ ، أيْ يزيد على ما ترى ومنه حديثُ ابنِ مسعود : كنّا نقول فى الجاهلية . قد أَمِرَ بنو فلانٍ أى كَثُروا ، وأَمِرَ الرجُلَ فهو أَمِر : كَثُرَتْ ماشيتُه ، وآمره الله كثَّر نَسْلَه وما شيتَه ، ولايقال أمَرهُ ، فأمّا قولهُ : ومُهْرَةَ مأمورة فعلى ماقد أُنِسَ به من الاتباع ، ومثلُه كثير ، وقيل : آمَرَهُ وأَمَرَهُ لغتان ،

قال ابو عُبيدة : آمَرْتُه بالَمدّ وأَمَرْتُه لغتان ، بمعنى كَثَّرتُه ، وأَمِرَ هو أى كَثُر ، فخُرِّجَ على تقدير قولهم : عَلِمَ فُلانُ ، وأَعْلَمتُه أنا ذلك ، قال يعقوب : ولم يقله أحد غيره ، قال ابو الحسن : أَمِرَ مالُه بالكسرِ ، أى كَثُر ، وأَمِرَ بنو فلانٍ إيماراً ، كثرتْ أموالهم . ورجل أَمُور بالمعروف .

وفى اللسان ايضاً : أَمِرَ الشىء أَمَراً وأَمَرَةً فهو أَمِرٌ : كَثُر وتَمَّ ، قال :

(أُمٌ عِيالٍ ضَنْؤُها غيرُ أَمِرْ)

والاسم الإمْر ، وزَرْعٌ أَمِر كثير (عن اللّحيانى) ورجل أَمِر : مباركٌ يُقبل عليه المالُ ، وامرأة أَمِرَة ، مباركة على بَعْلها ، وكلّه من الكثرة . وقالوا : فى وَجْه مالِكَ تعرفُ أَمَرَتَهُ ، وهو الذى تعرف فيه الخيرَ من كل شىء ، وأَمَرَتُه زيادتُـه وكثرتُه ، وما أحسن أَمَارتَهم : أيْ مايَكثُرونَ ، ويكْثُر أولادهُم وعددُهم .

قال الفَرَاّء : تقول العرب : فى وَجْهِ المالِ تعرف أَمَرَتَهُ أى زيادته ونماءَه ونفقتَه تقول : فى إقبال الأمر تعرف صلاحَه ، والأَمَرَة الزيادةُ والنماءُ والبركة ، ويقال : لاجعل الله فيه أَمَرَةً ، أى بركةً من قولك أَمِرَ المال اذا كثر ، قال : ووَجْهُ الأمر أولُ ما تراه وبعضهم يقول : تَعرفُ أَمَرتَهُ من أَمِرَ المال اذا كثر .

وقال ابو الهيثم : تقول العرب : فى وَجْهِ المالِ تعرف أَمَرَتَه أى نُقصانَه

قال ابو منصور : والصوابُ ما قال الفراّء فى الأَمَر انه الزيادة .

قال ابن بُزُرْجَ : قالوا فى وَجْهِ مالكَ نعرف أَمَرَتَه أى يُمْنَه ، وأَمَارتُه مثلهُ ، وأَمْرَتُه . ورجل أَمِرٌ ، وامرأة أَمِرَةٌ اذا كانا ميمونَيْنِ .

وقال الزمخشرى فى الأساس : يقال : قلَّ بنو فلان بعدما أَمِروا ، أى كثرُوا وأَمَرهم الله تعالى وتقول العرب : الشر أَمِر ، وفى مَثَلٍ ، من قَلَّ ذَلَّ ومن أمِر فَلَّ ، وتقول : انّ ماله لأَمِر وعهدى به وهو زَمِر .

قال ابن فارس : الهمزة والميم والراء أصول خمسة : الأَمْر من الأمور ، والأَمْرُ ضِدُ النهى ، والأَمَرُ النماء والبركة ، والمَعْلَم ، والعَجَب .

وذَكر فى الواحد من الأمور المَثَلَ الذى فيه : « أَمْرٌ ما أَتي بك » ومن ذلك ايضاً المَثَلُ : « لأَمْرٍ ما يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ » وهو فى شعر أَنَس بن مُدركَة الخَثْعَمى ، قال :

عزمْـت على إقامــة ذى صباحٍ لأمــرٍ ما يُسَــوَّد من يَسُودُ

ذَكره فى الحيوان (ج٣ ص ٨١) والخزانة (ج١ ص ٤٧٦) ومجمعِ الأمثال (ج ٢ ص ١٢٠) وهو من شواهد سيبويه (ج١ ص ١١٦) .

وذَكر فى الأمر الذى هو نقيضُ النهى قول الأصمعى ، يقال : لى عليك أَمْرَةٌ

مُطَاعة أي لى عليك أن آمرك مرةً واحدةً فتُطيعَنى . وقال الكسائى : فلان يُؤامِر نَفْسَيْهِ ، أىْ نفسٌ تأمره بشيء ، ونفسٌ تأمره بآخر : وقال : إنه لأمُور بالمعروف نَهُوٌّ عن المنكرِ من قومٍ أُمُرٍ . وذكره الزمخشرى وابن منظور وفى المقاييس : نَهِيّ عن المنكر قال ابُن بَرّيَ وهو القياس ، لأن الواو والياء اذا اجتمعتا وسُبِق الأولُ بالسكون قُلبتِ الواو ياءً .

قال ابن الأعرابّي : أمَّرْتُ فلاناً أى جعلتُه أميراً ، وأمَرْتُه وآمرتُه كلهن بمعنىً واحدٍ وعلّق عليه عبد السلام هارون قال المعروف فى هذا المعنى التشديد فقط .

قال ابو تراب : هذا قصور ، فقد سبق الكلام فى تجويز ذلك .

وقال ابنُ الأعرابى ايضاً : أمَر فلان على قومه : اذا صار أميراً . وقال الأصعمى : الإِمَّرُ الرجل الضعيف الرأيِ الأحمقُ الذى يسمع كلام هذا وهذا فلايدرى بأى شيء يأخذ . وذكر بيت آمْرِيء القيسِ ، وهو فى اللسان وديوانه (ص ١٥٦) وأمالى ثعلب (٤٥) :

ولستُ بذى رَثْيةٍ إمَّرٍ اذا قِيْدَ مُسْتَكْرَهاً أصْحَبا

وتقول العرب : اذا طلعت الشِعْرىَ سَحَرا ، ولم تَرَ فيها مطرا ، فلا تُلْحِقَنَّ فيها إمَّرَةً ولا إمَّرا ، يقول : لاتُرسلْ فى إبلك رجلاً لا عقل له .

وأمَّا المَعْلَمُ والموعد فقال الخليل : الأمارة الموعد ، قال العَجاج ، وهو فى اللسان ايضاً وديوانه (ص٦) :

إذْ ردَها بِكَيْدِهِ فَارْتَدَتِ الى أمَارٍ وأمَارِ مُدَّتيِ

وقال الأصمعُى : الأمارة العلامة ، تقول : أجعل بينى وبينك أمارةً وأمَاراً ، قال وهو فى اللسانِ والأساس :

اذا الشمسُ ذَرَتْ فى البلاد فانها أمارةُ تسليمى عليكِ فَسَلّمي

والأمَارُ أمَارُ الطريق مَعَالِمُهُ ، الواحدةُ أمَارَةٌ ، قال حُميد بن ثور وهو فى اللسان

بسَـــواءِ مَجْمَعَـــةٍ كأن أَمَارَةً فيهـــا اذا بَرَزَتْ فَنيْق يخطُرُ

والأَمَر واليأمُور العَلَم ايضاً .

قال ابو تراب : وفى القاموس : التُؤمور ، قال : والتآمير الأعلامُ فى المفاوز وليس فى اللسان ، وفيه : التامور بمعانٍ أُخَر .

وأمَّا معنى العَجَب فى هذه المادة فقول الله تعالى : « لقد جئت شيئاً إمْراً»

وفى أساس البلاغة للزمخشرى : أمرتُ فلانًا أَمْرَهُ ، أى أمرتُه بما ينبغى له من الخير ، قال بشرُ بُن سَلْوَةَ :

ولقـد أمـــرتُ أخـــاكِ عَمْـــراً أَمْرَهُ فعَصَى وضَيَّعـــه بذاتِ العُجْرُمِ

وقال دُريد :

(أمَرْتُهمو أمْري بمُنْعَرَجِ اللّوِيَ)

أى ماينبغى لى أن أقوله ، وأَمْرٌ إمْرٌ : أى عَجَبٌ ، ، ويقَال : فلان لاَيأْتَمِرُ رَشَداً . أى لايأتى بَرشَدٍ من ذاتِ نفسِه ، وأنْشَد للنَّمِرِ بن تَوْلَبٍ كما نسبه ابو عبيدة ونسبه الجوهرى الى امرىء القيس :

أحَـــارِ بنَ عَمـــرْو فؤادى خَمِرْ ويَغْـــدو على المرء مَاَ يأْتَمِرْ

والخَمِرُ الذى خَالطـه داء أو حُبٌ . ومُرْنـي بمعنـى أَشرِْ عليَّ ، قال بعضُ فُتَّاكِهم :

ألـــم تَرَ انّـــى لا أقـــول لصاحب اذا قال مُرْنيِ أنتَ ما شئتَ فَافْعَلِ

ولكنّنـــى أَفْـــرى له فأُرِيحُهُ بِبَـزْلاَءَ تُنْجِيهِ من الشَـــك فَيصَلِ

وتقول : فلان بعيد من المِئمَرِ ، قريب من المِئبَر ، وهو المَشُورة ، مِفْعَلٌ من المؤامرة ، والمِئبَر النَّميمة . ويقال : إجْعَلْه فى تَامُورِك ، وهو تَفعولٌ من الأمر وهو القلب والنفس لأنها الأمَّارة ، وما فى الدار تامور أى أحَدٌ ، وما فى الرَّكيِةِ تَأْمُور أى ماءٌ ، وهذا كما قيل له النفسُ ، قال :

أتجْعَـــل النفسَ التـــى تُديُر فى جِلْـــدِ شَاة ثم لاتَسيرُ

والتامور له معانٍ أُخَرُ فى اللسان ، منها التامورةُ الابريقُ . قال الأعشى :

واذا لهـــا تامـــورةٌ مرفـوعـــة لشـــرابهـــا

وقيل : أصل هذه الكلمة سرِيَانَية .

قال الزمخشرى : ويقولون : ألقى الله فى مالِك الأَمَرَةَ ، وهى البركةُ والزيادةُ ومن المجاز : مهرة مأمورة : كثيرة النتاج ، كأنها أُمِرَتْ بذلك ، وقيل لها : كونى نثوراً فكانت .

قال ابن منظور : وقوله (ورَبْرَبٍ خِمَاصٍ يأمُرنَ بـاْقتناصٍ) انمّا أراد أنهنَ يُشَوِّقْنَ من رآهنَ الى تَصَيدها واقتناصها ، والاّ فليس لهن الأمر وقوله عز وجل : « وأُمِرْنا لنُسْلِمَ لرب العالمين » العربُ تقول : أمرتك أن تَفْعَلَ ، ولتَفْعَلَ ، وبأن تَفْعَلَ ، فمن قال : أمَرْتُك بأن تفعل فالباء للالصاق والمعنى وقع الأمر بهذا الفعل ، ومن قال : أمرتُك أن تفعل فعلى حذف الباء ومن قال : أمرتك لتِفْعل فقد أخبرنا بالعِلة التى لها وقع الأمر ، والمعنى أُمِرْنا للاسلام .

وقوله عز وجلّ : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه» قال الزجّاج : أمْرُ الله ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم من أصناف العذاب ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « حتى اذا جاء أمرنا وفار التَنُورُ» أى جاء ما وعدناهم به وكذلك قوله تعالى : (أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيـداً) وذلك أنهـم استعجلـوا العذابَ ، واستَبْطَئُوا أمْر الساعةِ ، فأعْلَمَ الله أن ذلك فى قُربِه بمنزلة ما قد أتَى ، كما قال تعالى : (اقتربت الساعة وانْشَقَّ القمر) ، وكما قال تعالى : (وما أمْرُ الساعة الاّ كَلَمْحِ البصر) والأمر الحادثة ، والجمع أمـور ، لأُيكَسرَّ على غـيرِ ذلك . وفى التنزيل العزيز : « ألا الى الله تصير الأمـور) وقولـه عز وجـل : (وأوحى فى كل سماءٍ أمْرَها) قيل : مايُصْلِحُها ، وقيل : ملائكتَها ، كلُ هذا عن الزجّاج وتَأمّروا على الأمر ، وأْتمروا ، تمَارَوْا وأجْمَعُوا آراءهم وفى التنزيل :

« ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » قال ابو عبيدة : أى يتشاورون عليـك ليقتلوك وأحتج بقوله : (ويَعْدو على المرء لا يأتمر) كما تقدم .

وقال غيره : أى يَهُمّون بك وأنشد :

إعْلَمَــنْ أن كلَّ مُؤْتَمِرٍ مُخْطــئٌ فى الــرأى أحياناً

قال : وقوله : « وائتمروا بينكم بمعروفٍ» أى هُمُّوا به واعتزموا عليه ، ولو كان كما قال ابو عبيدة لقال : يَتَأَمَّرُونَ . وقال الزجّاج : معنى قوله : « يأتمرون بك» يَأْمُر بعضهم بعضاً بقتلك ، وقال ابو منصور : معناه : يؤامر بعضهم بعضاً بقتلك وفى قتلك ، وجائز أن يقال : أُتَمَر فلانٌ رأيَه ، اذا شاور عَقْلَه فى الصواب الذى يأتيه ، وقد يصيب الذى يَأْتَمِرُ رأيَه مرةً ويخْطِىء أخرى ، قال : فمعنى قوله : (يأتمرون بك) أى يؤامر بعضهم بعضاً فيك أى فى قتلك أحسَنُ من قول القُتيبى إنّه بمعنى يَهُمُّون بك ، وأمّا قُوله : « وائْتَمِروا بينكم بمعروفٍ» فمعناه والله أعلم ليأْمُرْ بعضكُم بعضاً بمعروف .

قال ابو تراب : وجاءت تصاريف مادة الأمر فى القرآن على سبعة عشر وجهاً كما ذكر الدامغانى (ص ٣٨) وفى نزهة الأعين لابن الجوزى (ج ص ٨٣) تسعة عشر وجهاً .

ومن شواهده فى اللسان فى الأمير ذى الأمر :

والنــاس يَلْحَــونَ الأمــيرَ اذا همو خَطِئُــوا الصــوابَ ولايُلامُ المُرْشِدُ

وقال العَجاج فى الأئتمار :

(لَمّا رأى تلبيس أمر مُؤْتَمَرْ)

وشاهد الأئتمار بمعنى التشاور قول الأعشى :

فعــادا لهــنَ وزادا لهن واشتــركا عمــلاً وأْتمارا

قال شَمِرُ : ومنه قوله :

(لايدْرِى المكذوب كيف يأتِمِرْ)

أى كيف يَرْتَئِى رأيا ، ويشاور نفسه ويعقد عليه ، وقال ابو عُبيدة فى قوله :

(و يعدو على المرء ما يأْتِمِرْ)

معناه : الرجُل يعمل الشيء بغير رَوِية ولاتَثَبُتٍ ولانظر فى العاقبة فيَنْدَمُ عليه

وقال الجوهرى : أى ماتأمره به نفسه فيرَى أنه رَشَد فربما كان هلاكُه فى ذلك

وفى اللسان : قد أمِرَ فلان ، وأَمُرَ ، أى صار أميراً ، والأنثى بالهاء ، قال عبد الله بن هَمَّام السَلُولي :

ولــو جاءوا بِرَمْلَــةَ أو بهندٍ ، لبايعنــا أمــيرةَ مؤمنينا

وأميرُ الأعْمى قائده ومنه قول الأعشى :

اذا كان هادى الفتــى فى البِلا دِ صَدْرَ القنــاةِ أطــاع الأميراَ

والأَمَرُ الحجارة ، واحدتُها أَمَرَةٌ ، قال ابو زُبيد من قصيدة يرثى فيها عثمان بن عفان

ياَلهَف نَفْسى إن كان الــذى زعموا حَقــاً ، ومـاذا يَرُدُّ اليـومَ تَلهيفي

إن كان عثمان أمسْى فوقــه أَمَرٌ كراقبِ العُـونِ فوقَ القُبـةِ المُوفي

والعُونُ جمع عانَةٍ وهى حُمُر الوَحْشِ ، وشبه الأَمَرَ بالفَحْل يرقُبَ عُونَ أُتنه

وشاهد الأمْرِ بمعنى العَجَبِ المُنكَرِ قول الراجز .

قد لقــى الأقــرانُ منّــى نُكْرا داهِية دَهْياء إدّاً إمْراَ

وسِنانُ مُؤمَّرٌ : أى مُحَدَّدُ ، قال ابن مُقْبل :

وقـد كان فينــا مَنْ يحُــوطُ ذِمارَنا ويحُـذِى الكمِــىَّ الزَّاعبــىَّ المُؤَمرَّا

وآمِرُ السادس من أيام العجـوز ، ومُؤْتِمـر السابـع منهـا ، قال ابـو شِبْـل الأعرابى :

كُسِــعَ الشِتــاءُ بِسَبْعــة غُبْرِ بالصِــنَ والصَنَّبْــر والوَبْرِ

وبآمِــرٍ وأخيه مُؤْتَمِــرٍ ومُعَلِّلٍ وبمُطفــيء الجمر

كأن الأول منهما يأمر الناس بالحذر ، والآخَر يشاورهم فى الظَّعنِ أو المُقام ، قاله البُسْتى ، وقال الأزهرى : هذا خطأ ، وانما سُمّى آمراً لأن الناس يُؤامُر فيه بعضهم بعضاً للظعن أو المُقام ، فجعل المؤتَمَرَ نعتا لليوم ، والمعنى أنه يُؤْتَمرُ فيه ، كما يقال : ليل نائم يُنام فيه ، ويوم عاصف تَعْصِفُ فيه الريح . ونهار صائم اذا كان

يصوم فيه ، ومثله كثير فى كلامهم ، ولم يقُل أحد ولا سُمِعَ من عَرَبي : أئتمرتُه أى آذنته ، فهو باطل .

ومُؤْتِمِرٌ والمُؤْتمرُ المُحَرَّمُ ، أنشد ابن الأعرابى :

نحـــن أجَرْنــا كل ذَيّالٍ قَترْ   فى الحــجّ من قَبْــل دَآدِي المُؤْتَمِرْ

أنشده ثعلب ، وقال : القَتِر المُتَكبّر .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعـالى : (فليس عليكم جناح ان تَقْصرُوا من الصلاة إن خفْتُم أن يَفْتنكم الذين كفروا) ؟ قال : (يَفْتنكم) يُضلِكم ، بالعذاب والجَهد بلغة هَوازنَ ، قال : أو تَعْرِفُ العربُ ذلك ؟ قال : نعم اما سمعت قول الشاعر :

كلُ امْرِىء من عبـاد الله مُضْطَهدٌ   ببَطْــنِ مكَة مَقْهــور ومَفْتُونُ

قال ابو تراب : وفى تنوير المقباس (ص ٦٣) عن ابن عبـاس : (أن يفتنكم) أن يقتلكم ، وفَسرَّ ابو عبيدة فى المجاز الفتنة فى مواضع من القرآنِ الاَ هذا الموضع وكذلك ابن قتيبة فى الغريب وذكر ابن سلام فى لغات القبائل ص ١٢٩ لغة هوازن .

وقال الدامغانى فى الوجوه والنظائر (ص ٣٤٧) : الفتنة فى القرآن على أحد عشر وجهاً : الشرك ، الكفر ، العذاب ، الابتلاء ، الاحراق بالنار ، القتـل ، الصَّد ، الضلال ، المعذرة ، الفتنة بعينها ، الجنون .

وأورد فى كل ذلك آياتِ التنزيل العزيز ، وفى الوجه السادس وهو القتل ذكر قوله تعالى : (إنْ خفتم أن يَفْتنَكم الذين كفروا) قال : أى يَقْتُلكُم كقوله تعالى : (على خوفٍ من فرعون ومَلَئِهمْ أن يَفْتنَهم) يعنى أن يَقْتُلَهُمْ .

وفى نزهة الأعين لابن الجوزى : أن الفتنة فى القرآن على خمسة عشر وجهاً وذكر منها القتل وأورد الآية المذكورة فى النساء ، مع آية يونس السالفة

وقال الراغب فى المفردات : أصُل الفَتْنِ إدخال الذَهَبِ النارَ لتظهرَ جودتُه من رداءته ، واستعمل فى إدخال الانسانِ النارَ ، وفيما يحصل عنه من العذاب ، وفى الاختبار ، وفى البلاء بالشدة والرخاء ، واستشهد الراغب على كل بشواهد الآيات من التنزيل ، ولم يورد الآية التى نحن بصددها ، ثم قال : والفتنة من الأفعال التى تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة ، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة ومتى كان من الانسانِ بغير أمر الله يكون بضدَ ذلك ، ولهذا يَذُمُ الله الانسانَ بأنواع الفتنة فى كل مكان نحو قوله : (والفتنة أشد من القتل) وقوله : (ان الذين فَتَنُوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) وقوله : (ما أنتم عليه بفاتنين) أى بمُضلّين .

وفى المقاييس فى هذا اللفظ : انه أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار يقال : فَتَنْتُ أفْتِنُ فَتْناً ، وفَتَنْتُ الذهب بالنار ، اذا امتحنته ، وهو مفتون وفتين والفتان الشيطان ، ويقال : فتنه وأفْتَنَه وأنكر الأصمعى (أفْتَنَ) وأنشدوا فيه :

لئن أفْتَنَتْنى لهِى بالأمس أفْتَنَتْ سعيداً فأضحى قد قَلىَ كل مُسْلمِ

ويقال : قلب فاتن ، أى مفتون ، قال :

رَخيمُ الكَلامِ قطيعُ القيام أضْحَى فؤادى به فاتنا .

قال الخليل : الفَتْنُ : الاحراق ، وشىء فتين : أى مُحْرقٌ ، ويقال للحَرَّةِ فَتينٌ ، كأن حِجارَتها مُحْرَقَة .

قال ابن فارس : وشَذَّ عن هذا الأصل : الفِتَانُ : جِلْدَةُ الرَّحْلِ وقولهم : العيش فِتنْانِ ، أى لونانِ ، وهذه يجوز أن تُحْمَلَ على القياس لأنه يقول : (والعيشُ فتْنانِ فحُلْو ومُرُّ) ويمكن أن يُخْتَبَر ابن آدم بكل واحد منهما

وفى اللسان : الفَتْنُ الاحراق ، ومن هذا قوله عز وجل : (يوم هم على النار يُفْتَنُون) أى يحُرقون بالنار ، وقيل : يُقررَّون بذنوبهم .

قال ابن سِيْدَة والفتنة الخِبْرةُ وقوله عز وجل : (إنّا جعلناها فتنة للظالمين) أى خبِرةً ومعناه : أنهم أُفْتِنُوا بشَجَرة الزَّقّوم ، وكذّبوا بكونها ، وذلك أنهم لّما سَمِعُوا أنها تَخْرُجَ فى أصل الجحيم ، قالوا : الشَجَر يحترق فى النار ، فكيف ينبت الشجر فى النار ؟ فصارت فتنة لهم . وقوله عز وجل : (ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين) يقول : لاتُظْهِرهم علينا فيُعْجَبوا ، ويَظُنوا أنهم خير منّا ، فالفتنة ههنا اعجاب الكفار بكفرهم ويقال : فُتن الرجل بالمرأة ، وافْتَتَنَ ، وأهل الحجاز يقولون : فَتَنَتْه المرأة اذا وَلَّهته وأحَبها ، وأهل نجد يقولون : أفْتَنَتْه ، قال أعْشَى همدان فجاء باللغتين :

لئـن فَتَنَتْنِـى لَهْـىَ بالأمس أفْتَنَتْ سعيــداً فأمسى قد قَلِيَ كلَّ مُسْلِم

قال ابن بَرى : قال ابن جنى : ويقال هذا البيت لابن قيس ، وأجاز ابو زيد : (أفْتَنَ) وقال : هو فى رَجَزِ رؤبة يعنى قوله :

(يُعْرِضْنَ إعراضاً لدين المُفْتِن)

وقوله ايضاً :

إنِّـى وبعضَ المُفْتَنِيـنَ داوُدْ ويـوسف كادتْ به المكاييدْ

وفُتن الرجل اذا أصابته فتنة الاختبار ، قال تعالى : (وفَتَنّاك فتونا) وقوله تعالى (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) قال ابو اسحاق : معنى المفتـون الذى فُتنَ بالجنون . وقال ابو عبيدة : معنى الباء الطَّرح ، كأنه قال : أيكُم المفتونُ ، قال ابو اسحاق : ولايجوز أن تكون الباء لَغواً ، ولا ذلك جائـز فى العربية وفيه قولان للنحويّين أحدهما : أن المفتون ههنا بمعنى الفُتون ، مَصْدر . على المفعول ، كما قالوا : ماله معقول ، ولا معقود ؛ رأى ، وليس لفلانٍ مَجْلُودٌ ، أى ليس له جَلَدٌ ، ومثله الميسور والمعسور. كأنه قال : بأيكم الفُتونُ ، وهـو الجنون .

والقول الثانى : فستُبصر ويُبصرون فى أيَ الفريقين المجنونُ ، أيْ فى فِرْقَة الاسلام ، أو فى فرقة الكفر ، أقام الباء مُقامَ (فى) .

وفى صحاح الجوهريَ : إنَّ البَاءَ فى «بأيّكم المفتون» زائدة كما زيدتْ فى قوله تعالى : « قُلْ كفى بالله شهيداً» ، قال : والمفتون الفتنةُ ، وهو مصدرٌ كالمَحْلُوفِ والمعقول ، ويكون : (أيُكم) الابتداءَ (والمفتون) خبرَه وقال المازنى : المفتون هو رَفْعٌ بالابتداء ، وماقبلَه خَبَرُهُ ، كقولهم : بِمَنْ مُرورُكَ ، وعلى أيهِم نُزولُك ، لأن الأول فى معنى الظرف .

قال ابُن بَرَيَ : اذا كانت الباء زائدة فالمفتونُ الانسان ، وليس بمصدر فانْ جُعلتِ الباء غيرَ زائدة فالمفتون مصدر بمعنى الفتون .

وفى حديث قَيْلَةَ : المُسْلِمُ أخو المُسْلم يسعُهما الماءُ والشجر ويتعاونان على الفَتَانِ ، الفَتَّانُ الشيطان الذى يفِتنُ الناس بخداعه وغروره ، وتزيينه المعاصى ، فاذا نهى الرجُل أخاه عن ذلك فقد أعانه على الشيطان وجَمْعُ الفَتانِ فُتَّانٌ ، والحديث يُروى بالفتح والضَمَ فمن رواه بالفتح فهو واحد ، وهو الشيطان لأنه يَفْتن الناس عن الدين ، ومن رواه بالضمَ فهو جَمْعُ فاتنٍ أى يُعاونُ أحدهما الآخر على الذين يُضلُون الناس عن الحق ويفْتنُونهم وفَتَّانٌ من أبْنية المبالغة فى الفتنة ، ومن الأول قوله ﷺ : (أفتّان انت يامُعاذُ) .

وروى الزجّاج عن المفسرين فى قوله تعالى : (فَتَنْتُم أنفسَكم وتَرَبصتم) استعملتموها فى الفتنة ، وقيل : أثمْتُموها .

وقوله عز وجل : (وفَتَنَاك فتوناً) أى أخلصناك إخلاصاً .

وقوله عز وجل : (ومنهم من يقولُ أئذن لى ولا تَفْتنى) أُى لاتُؤثمنى بأمرك إياي بالخروج وذلك غير مُتَيسرَ لى فآثَمُ . قال الزجّاج : وقيل : إنَّ المنافقين هَزَءُوا بالمسلمين فى غزوة تبوك ، فقالوا : يريدون بنات الأصفَر فقال : لاتفْتنّي ، أى لاتَفْتنّى ببنات الأصفر ، فأعْلَمَ الله سبحانه وتعالى أنهم قد سَقَطُوا فى الفتنة ، أى فى الاثم .

وفَتَن الرجلَ : أى أزاله عَمّا كان عليه ، ومنه قوله عز وجل : (وإنْ كادوا لَيَفْتنونك عن الذى أوحينا اليك) أى يُميلونكَ ويُزيلونك .

وقال شَمِر : كلُ ما غَيرتْه النار عن حاله فهو مفتون ويقال للأمِة السوداء مفتونة ، لأنها كالحَّرة فى السواد كأنها مُحْتَرِقة ، وقال ابو قيس بن الأسْلتِ

غِراسٌ كالفتائــن مُعْرَضاتٌ على آبارهــا أبــداً عُطونُ

وكأن واحدة الفتائن فَتينة ، وقال بعضهم : الواحدة فتينة وجْمعُها فتين قال الكُميت :

ظعائـن من بنـــى الحُــلاَّفِ تَأْوِي الى خُرُسٍ نواطــقَ كالفَتينا

فحذَفَ الهاء وتَركَ النونَ منصوبةً ، ورواه بعضهُم (كالفِتينًا) ، ويقـال : واحدة الفِتينَ فْتِنَة ، مثْلُ عِزَةٍ وعِزينَ ، وحكى ابن بَرِيّ : (فِتـونَ) فى الرفـع و(فتِينَ) فى النصب والجَرّ . وأنشد بيت الكميتِ المذكور .

قال ابو تراب : كيف يستقيم هذا والنون فى (الفتين) أصيلة فى (عِزينَ) نون الجمع ، اللهم الاّ اذا كان لمجرّد المشابهة ، ولم أر من نَبَّه على ذلك وكان هذا سائغاً لو كان جَمْعَ احدى صِيَغِ الفتوّة بعد حذف ناقصها ، ككُرةٍ وبُرَةٍ وعزَة ، ثم لم يكن هذا موضع ذكره لأنا بصدد الحرف الصحيح وهذا حرف ناقص ، ولعل فى قول ابن برّى : (واحدة الفِتينَ فتنةٌ) تصحيفاً والصواب : (فِتَةٌ) والهاء عوضٌ عن الواو ، والأصل والأصل فِتوَةٌ ، وهذا مما غفل عنـه أعضاء المجمع اللغوى بالقاهرة فلم يصحح النص فى اللسان محققوه فى الطبعة الأخيرة بدار المعارف .

وقوله عز وجل : (ما أنتم عليه بفاتنين الاّ من هو صالِ الجحيم) فَسَّرْه ثعلب فقال : لاتقدرون أن تفتنوا الآمن قُضى عليه أن يدخل النار ، وعَدَّى بفاتنينَ بِعَلَىَ لأن فيه معنى قادرين ، فعدّاه بما كان يُعدى به (قادرينَ) لو لُفظ به ، وقيل : الفتنة ، الاضلال فى قوله : (ما أنتم عليه بفاتنين) يقول : ما أنتم بمضلين الاّ من أَضَلَّهُ الله ، أى لَسْتُم تُضلُّون الاّ أهل النارِ الذين سَبَق علْمُ الله فى ضلالهم .

قال الفَرَاء فى المعانى ج ٢ ص ٣٩٤ : أهُل الحجاز يقولون : ما أنتم عليه بفاتنين ، وأهل نجْد يقولون : بمُفتِنِينَ ، من أفْتَنْتُ .

وقوله تعالى : (والفتنة أشدُ من القتل) معنى الفتنة ههنا الكفر ، كذلك قال أهل التفسير . قال ابن سِيْدَة : والفتنة الكفر . وفى التنزيل العزيز : (وقاتلوهم حتى لاتكون فتِنَة) والفتنة الفضيحُة ، وقوله عز وجل : (ومن يُرد الله فتِنَتَه) قيل : معناه فضيحتَه ، وقيل : كُفْرَه ، قال ابو اسحاق : ويجوز أن يكون اختباره بما يظهر به أمْرُه .

والفتنة القتل ، ومنه قوله تعالى : (إنْ خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) وكذلك قوله : (على خوف من فرعونَ ومَلَئهم ان يَفْتنهم) أى يقتُلهم . والفتنة الاختبار ، وقوله عز وجل : (أو لايرون أنهم يُفتنُون فى كل عام مرة او مرتين ، قيل : معناه يُخْتَبَرُون بالدعاء الى الجهاد ، وقيل : يُفْتَنُونَ بانزال العذاب والمكروه .

وأما قول النبى ﷺ : إنى أرى الفِتَن خلال بيوتكم ، فانه يكون القتل والحروبَ والاختلاف الذى بين فِرق المسلمين اذا تَحَزبوا ، ويكونُ مايُبلَونَ به من زينة الدنيا وشهواتها ، فيُفتنون بذلك عن الآخرة والعمل لها .

وقوله عليه السلام : ماتركت فتنة أضَرَّ على الرجال من النساء ، يقول : أخاف ان يُعجبوا بهن ، فيشتغلوا عن الآخرة والعمل لها .

وقوله عز وجل : (إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا) أى أحْرقوهم فى النارِ المُوقَدَة فى الأخدود ، يُلقون المؤمنين فيها ليصدّوهم عن الايمان . قال الحسن : فتنوهم بالنار ، أى امتحنوهم وعذّبوهم ، وقد جعل الله امتحانَ عَبيده المؤمنين باللّأواء لِيبلُو صَبْرهم فُيثيبهم ، أو جزعهم على ما ابتلاهم به فَيجْزيهم ، وجزاؤهم فتِنْة قال الله تعالى : (آلم أحَسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لايُفْتَنُون) جاء فى التفسير : وهم لايبتلون فى أنفسهم وامواهم ، فيعْلم

بالصبر على البلاء الصادق الايمان من غيره ، وقيل : وهم لايمتحنون بما يبين به حقيقة ايمانهم .

وكذلك قوله تعالى : (ولقد فَتَنا الذين من قبلهم) أى اختبرنا وابتلينا وقوله عز وجل مخبراً عن الملكين هاروت وماروت : (انّما نحن فتنة فلا تكفر) معناه انما نحن ابتلاء واختبارلكم .

وفى الحديث : المؤمن خُلق مُفَتَّناً أى مُمْتَحَناً يمتحنه بالذنب ثم يتوب ، ثم يعود ثم يتوب . قال ابن الاثير : وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه ، ثم كَثُر حتى استعمل بمعنى الاثم ، والكفرِ والقتال والاحراق والازالة ، والصرف عن الشيء .

وفى حديث الكسوف : وانكم لتفتنون فى قبوركم ، يُريد مُساءلة مُنْكَرٍ ونكيرٍ وقد كثرتْ استعاذته من فتنة القبر ، وفتنة الدَجَّال وفتنة المَحيا والمَمات وغير ذلك ، وفى الحديث : فَبيْ تُفْتَنُونَ ، وعَنى تُسألون ، أى تمتحنون بى فى قبوركم ، ويُتعرَفُ ايمانكم بُنبوّتى .

وفى حديث عمر بن الخطاب : أنه سمع رجلا يتعوذ من الفِتَنِ فقال : أَتسأل ربكَ ألا يَرزُقَك أهلاً ولا مالاً ؟ تأوّلَ قوله عز وجل : (إنما أموالكم وأولادكم فتْنة) ولم يُردْ فتن القتال والاختلاف .

وهما فَتْنَانِ ، أى ضربان ولونانِ ، قال نابغة بنى جَعْدة :

هما فَتْنَانِ مَقضِيٌّ عليه لساعته فآذَنَ بالوداعِ

الواحد فَتْن ، وروى ابو عمرو الشيبانى قول عُمر بن أَحْمَرَ الباهلى :

إمّا على نفسى وإمّاها والعيش فِتنانِ فَحُلْو ومُرّ

قال ابو عمرو : الفِتْنُ الناحيةُ ، ورواه غيرُه : (فَتْنَانِ) بفتح الفاء أى حالانِ وفَنَّانِ ، قال ذلك ابو سعيد ، قال : ورواه بعضهم فَنأَنِ ، أى ضربان .

والفِتانُ بكسر الفاء غشاء يكون للرَّحْل من أدم قال لبيد :

فَثَنَيْتُ كفّــي والفِتــانَ ونُمْرُقيِ ومكانهُــن الــكور والنِسْعَانِ

والجَمْعُ الفُتُنُ .

وزاد فى التكملة : الفَتْنَانِ الغدوة والعشّى تثنية فَتْنٍ والفَيتن النجّار ومثله فى القاموس للفيروز ابادى .

وفى الأساس : أعوذ بالله من الفتّان وهو الشيطان ، وٱسْتَغْوتْهم الفُتّانُ أى الشياطين ، وهو مفتون بالدنيا ومُفْتِنٌ ومُفْتَتن ، وقد فَتَنَتْهُ الدنيا وأَفْتَنَتْه وبينهم فتنة أى حرب ، وبنو ثقيف يتفاتنون أبداً أى يتحاربون ، ودينار (مفتون) فُتِنَ بالنار ، وكلُ شىء أُدخل النار فقد فُتِن . قال الحارثى :

تَثَعْلَبْتَ لى أن خِلْتنــى بك واقعاً وقـد يُفتَـنُ المكواةُ والعَـيْرُ يَضرِطُ

والناس عبيد الفَتانَين ، وهما الدرهم والدينار . وفى الحديث : (أُبتُليتم بفتنة الضراء فصَبَرْتُم ، وستُبَلَونَ بفتنة السَرَّاء) أراد فتنة السيف وفتنة النساء وتقول : ان كنتَ من أهل الفِطَنْ ، فلا تَدُر حول الفِتَنْ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : (الذيـن كذّبوا شُعيباً كان لم يَغْنَوا فيها) ؟ قال : (كأن لم يَغْنَواْ) كأن لم يَسْكُنوا . قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمّا سمعت قول لبيد بن ربيعة العامرى :

وغَنِيْتُ سَبْتـاً قَبْـل مُجْـرى داحسٍ لو كان للنفس اللَّجــوج خُلودُ

قال ابو تراب : رَوى هَذا البيتَ السُهيلى فى الروضِ الأنُفِ (ج ١ ص ٢٨٣) قال : ورُوى (حَرْساً) بدل (سبتاً) والمعنى واحد ، يعنى وقتاً من الدهر واستشهد بهذا البيت ابو حيان فى البحر المحيط .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ١ ص ٢٢١) : (كأن لم يَغْنوا فيها) أى لم ينزلوا فيها ، ولم يعيشوا فيها ، قال مُهَلهِلٌ (انظر كتاب البسوس « ص ٧٨») وهو فى التاج واللسان .

غنِيتْ دارنـــا تهامـــةَ فى الدَّهْــر وفيهـــا بنومَعَـــدَّ حُلُولاَ

وقولهم مغانى الديار منها ، قال (وذكر فى فتح البارى « ج ٨ ص ٢٢٦») :

(أتعرفُ مغْنى دِمنَةٍ ورسوم ٍ)

وفى غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٧٠) : (كأن لم يَغْنَواْ فيها) أى لم يُقيموا فيها ، يقال : غَنِينا بمكان كذا : أقَمنَا ، ويقال للمنازل : مَغَانٍ ، واحدها مَغْنى .

وفى تنوير المقباس للفيروزابادى (ص ١٠٥) عن ابن عباس : (كأن لَمَ يغْنوا فيها) كأن لم يكونوا فى الأرض .

قال ابو تراب : ولم يذكر هذه المادة ابن الجوزى فى نزهة الأعين ولا الدامغانى فى النظائر ، مع أن لها وجوهاً فى القرآن ، أحدها عدم الحاجة ، كقوله تعالى : (ان الله لهو الغنى الحميد) وثانيها : قِلَّتُها لقوله تعالى : (ووجدك عائلا فأغنى) . والثالث : كثرة القَنِيَّات كقوله تعالى : (ومن كان غَنِياً فَلْيستعْففْ) وكقوله (الذين يستأذنونك وهم أغنياء) وكقوله : (قالوا انّ الله فقير ونحن أغنياء) وكقوله تعالى : (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعَفُّف ـ والرابع الكفاية كقوله تعالى : (ما أغْنَى عنه ماله) وكقوله : (لن تُغْنــى عنهــم أموالهــم ولا أولادهم) وقال : (ما أغْنى عنّى مالِيهْ) وقال (ولايُغْنى من اللَّهَبْ) وقال : (وما أغْنَى عنهم ماكانوا يُمَتعون) وقال : (لاتُغْن ِ عنى شفاعتهم) والخامس المُقامُ قال تعالى : (كأن لم يَغْنوا فيها) أى لم يقيموا .

قال الراغب فى المفردات : غَنِيَ فى مكان كذا اذا طال مُقَامُه فيه مُسْتَغْنياً به عن غيره بغنىً والمغْنَى يقال للمصدر وللمكان .

قال ابو تراب : الاّ أنّ ابن فارس قال فى هذه المادة انها : أصلان صحيحان أحدهما : يدل على الكفاية ، والآخر الصوت .

قال ابو تراب : فعلى هذا ترجع الوجوه التى ذكرناها الى الأصل الأوّل .
فالأول الغِنَى فى المال ، يقال : غنى يَغْنى غِنًى والغَنَاءُ بفتح الغين والمدّ الكِفايةُ ، يقال : لايُغْنى فلان غَنَاءَ فلانٍ أى لايكفى كفايته وغَنِيَ عن كذا فهو غَانٍ ، وغنى القوم فى دارهم : أقاموا كأنهم استَغْنَوا بها ، ومغانيهم منازلهم . والغانية المرأة ، قال قوم : معناه أنها استغنتْ بمنزل أبويها ، وقال آخرون : استغنت ببعْلها ، ويقال : استَغْنَتْ بجمالها عن لُبْسِ الحَلْىْ ، قال الأعشى (انظر الديوان ص ٢١٥)

ولكن لايَصيدُ اذا رماها ولاتُصطَادُ غانيةٌ كَنُودُ

والغُنْيَانُ الغِنَى ، قال قيس بن الخَطيم (انظر الديوان «ص ٧») وأنشده فى اللسان

أجَدَّ بِعَمْرَةَ غُنْيَانُها فتَهْجُرَ أم شأنُنا شأنُها

ويقال : تَغَنَّيْتُ بكذا ، وتغانيتُ به ، اذا أنت استَغْنَيْتَ به ، قال الاعشى وهو فى ديوانه (ص٢٢) واللسان والمخصص لابن سِيْدَة (ج ٦ ص ١٤٣)

وكنت امرأً زَمَناً بالعِراقِ عفيفَ المُناخِ طويلَ التَغَنّ

وقال فى التَّغانى (قائله المغيرة بن حَبْناءَ كما فى اللسان) :

كلانا غنِىٌّ عن أخيه حياتَه ونحن اذا مُتْنا أشدُّ تَغَانِيا

الأصل الآخر : الغِناء من الصوت ، والأغنِيةُ اللونُ من الغِناء

قال أبو تراب : فيها أربع لغات : الأغْنيَةُ ، والأغْنِيَة ، والأُغْنِيَّةُ ، والإغْنِيَّةُ وضبط الكيلانى فى المفردات : غَنَيْتُ بكذا غِنياناً وغِناءً وهو خطأ لعَله من قصور الطباعة والصواب : غَنِيْتُ غُنْيَاناً وغَناءً .

وفى اللسان : الغَنَاءُ بالفتح النفع ، والغِناء بالكسر من السماع ، والغِنَى

مقصور : اليَسارُ . قال ابن سِيْدَةُ : وهو ضِدُ الفقر ، فاذا فُتح مُدّ فأمّا قوله :

سيُغْنينـــي الــذى أغنـــاك عنى فلا فَقْـــر يدوم ولاغَنَاءُ

فانه يُروى بالفتح والكسر ، فمن روى بالكسرِ أراد مصدرَ غانيتُ ، ومَنْ رواه بالفتح أراد الغِنَى نفسَه . قال ابو اسحاق : انما وجهُه (ولاغَنَاءُ) لأن الغَنَاءَ غيرُ خارج عن معنى الغِنَى ، قال : وكذلك أنشده من يُوثَق بعلمه .

وقول أبى المُثَلَّم :

لعمـــرك والمنـــايا غاليات ومـــا تُغْنـــى التمياتُ الحِمامَا

أراد (من الحمام) فحذَفَ وعَدَّى .

وذكر محقّقُ لسان العرب عبد الله الكبير بدار المعارف بالقاهرة : انه ليس لأبى المُثَلَّم وانما هو لصَخْر الغَيّ فى رثاء ابنه ، وقوله (والمنايا غاليات) كذلك هو فى طبعاتِ اللسانِ ، والُمحكَمِ ايضــاً ، والصـواب : (والمنـايا غالبـات) والغنـىُّ والغانى : ذو الوَفْرِ ، أنشد ابُن الأعرابى لِعَقيل بن عُلَّفَةَ قال :

أرى المال يَغْشى ذا الوُصُومِ فلا تُرى ويُدْعَــى من الأشراف من كان غانيا

وقال طَرَفَة : (وإنْ كنتَ عنها غانياً فـاَغْنَ وأزْدَدِ) .

والغَنِيُّ من اسماء الله عز وجلّ قال ابن الأثير : هو الذى لايحتاج الى أحَدٍ وكلّ أحدٍ محتاج اليه ، وهذا هو الغنَى المُطْلَق ، ولايشارِك الله تعالى فيه غَيرُه ، ومن اسمائه المُغْنِى سبحانه وتعالى ، وهو الذى يُغْنى من يشاء من عباده .

وفى الحديث : خير الصدقة ما أبْقَتْ غِنًى ، وفى رواية : ماكان عن ظهر غنى ، أى ما فَضَل عن قوت العِيال وكفايتهم ، فاذا أعطيتها غَيرك أبقيتَ بعدها لك ولهم غِنًى ، وكانت عن استغناءٍ منك ومنهم عنها . وقيل : خير الصدقة ما أغنيتَ به من أعطيتَه عن المسألة ، قال : ظاهر هذا الكلام انه ما أغْنَى عن المسألة فى وقته أو يومه ، وأمّا أخْذُه على الاطلاق ففيه مَشَقَّة للعجز عن ذلك .
وفى حديث الخيل : رجل رَبَطها تَغَنِياً وتَعَفُفاً ، أى استغناءً بها عن الطَّلب من الناس . وفى حديث الجمعة : من استَغنى بلَهْو أو تجارةٍ استَغْنَى الله عنه ، والله

غَنى حميد ، أى اطَّرحه الله ورَمَى به من عَينِه فِعْلَ مَنِ استغنى عن الشىء فلم يلتفتْ اليه . وقيل : جزاه جزاء استغْنائه عنه كقوله تعالى : (نَسُوا الله فنَسِيَهم) .

وفى الحديث : ليس منّا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن . قال ابو عُبيد : كان سفيانُ بن عُيَيْنة يقول : ليس منا من لم يَسْتَغْنِ بالقرآن عن غيره ، ولم يذهب به الى الصوت ، قال ابو عبيد : وهذا جائز فاشٍ فى كلام العرب ، تقول : تَغَنَّيْتُ تَغَنّياً بمعنى استغنيتُ ، وتغانيت تغانياً ايضاً ، قال الأعشى :

وكنت امرأً زَمَنَاً بالعراقِ عفيفَ المُناخ طويلَ التَغَنْ

يُريد الاستغناء . وقيل : أراد من لم يجهر بالقراءة .

قال الأزهرى : وأمّا الحديث الآخر : ما أذِن الله لشىء كإذْنِه لِنَبيٍ يَتَغَنَّى بالقرآن . يجهر به ، ورَوي عن الشافعى انه قال : معناه تحسينُ القراءة وترقيقُها ، قال : وممّا يحقّق ذلك الحديثُ الآخر : زَيّنُوا القرآن بأصواتكم ، قال : ونَحْوَ ذلك قال ابو عُبيد . وقال ابو العباس : الذى حَصَّلناه من حفّاظِ اللغة فى قوله ﷺ : كإذْنه لِنبيَ يَتَغَنَى بالقرآن أنه على مَعْنَيَينِ على الاستغناء وعلى التطريب ، قال الأزهرى : فمن ذهب به الى الاستغناء فهو من الغنى ، مقصور ومن ذهب به الى التطريب فهو من الغِناء الصوتِ ، ممدودٌ .

قال أبو تراب : قيل للإمام أحمد : ما معنى قوله ﷺ : « من لم يَتَغَنَّ بالقرآن » الخ

قال : يرفع صوته به ، وهكذا قال الشافعى . وقال الليث : يتحزّن بِه ويتخشّع بِه ويتباكى بِه ، وقال ابن عُيَيْنة وعمرو بن الحارثِ ووكيعْ : يستغنى به .

قال ابن قدامة فى المغنى (ج ١٢ ص ٤٧) : فأما القراءةُ بالتلحين فان لم يُفْرِطْ فى التمطيط والمَدّ وإشباع الحركاتِ فلا بأس به ، فان النبى ﷺ قد قرأ ورَجّع ورفع صوتَه . وقال القاضى : هو مكروه على كل حال ، ونحوُه قولُ أبى

عبيد ، وقال : معنى قوله : ليس منّا من لم يتغنَّ بالقرآن ، أى يستغنى به ، قال : ولو كان من الغناء بالصوتِ لكان : مَنْ لم يُغَنْ بالقرآن ليس من النبى ﷺ ، ورُوى نحوُ هذا التفسير عن ابن عينية . وقال القاضى أحمد بنُ محمد البرنى : هذا قول من أدْركنا من أهلِ العلم وقال الوليد بن مسلم : يَتَغَنَّى بالقرآن ، يجهر به ، وقيل يحسّن صوتَه به .

قال ابنُ قدامة : والصحيح أن هذا القدرَ من التلحين لا بأس به ، لأنه لو كان مكروهاً لم يفعله النبى ﷺ ، ولا يَصحُّ حَمْلُ التَغَنّى على الاستغناء ، لأن معنى : (أذِنَ) فى الحديث : (استَمَعَ) وانما تُسْتَمَعُ القراءة ، ثم قال : (يَجْهرُ به) والجَهْرُ صفةُ القراءة لا صفةُ الاستغناء . فأمّا إن أفرط فى المَدِّ والتمطيط وإشباع الحركاتِ بحيثُ يجعلُ الضَمَّة واواً ، والفتحة ألفاً والكسرة ياءً ، كُره ذلك ، ومن أصحابنا مَنْ يُحَرِّمُهُ ، لأنه يُغيِّرَ القرآنَ ، ويُخْرِجُ الكلماتِ عن وَضْعِها ، ويجعلُ الحركاتِ حروفاً . واتفق العلماء على أنه تُستحب قراءةُ القرآن بالتحزينِ والترتيلِ والتحسين .

وفى الحديث : لقد أوتى ابو موسى مزماراً من مزامير آل داوود ، واستمع عليه السلامُ لقراءةِ سالمٍ مولى أبى حذيفةَ فقال : الحمدُ لله الذى جعل فى أمتى مثل هَذا .

وقالت عائشة : لم أسمع أحداً يقرأ أحسنَ منه . وسمع النبى ﷺ أبا موسى يقرأ فقال ابو موسى : لو أعلم أنك تسمع لَحَبَّرتُه لك تحبيراً .

وقال ابن الأعرابى : كانت العربُ تَتَغَنَّى بالرُّكبانى اذا رَكبَتِ الإبلَ ، وإذا جَلَسَتْ فى الأفنيةُ ، وعلى أكثرِ أحوالها ، فلماّ نزل القرآن أحبَّ النبى ﷺ أن يكون هِجّيْرَاهُمْ بالقرآنِ مكانَ التَغَنّى بالرُّكْبَانى .

وفى حديث عائشة قالت : وعندى جاريتان تُغنّيان بغناء بُعاثٍ ، أىْ تُنشدان الأشعار التى قيلت يومَ بُعاثٍ ، وهو حَرْبٌ كانت بين الأنصار .

ولم تُرِدْ الغِنَاءَ المعروف بين أهل اللهو واللعب . وقد رَخَّص عمرُ فى غناءِ الأعراب وهو صوتٌ كالحُداءِ .

وقال الغزالى فى الاحياء : (انظر شرح الزبيدى ج ٧ ص ٥٥) وقراءة القرآن مع التمديد والألحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد الترتيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف .

وفى الدعاء : اللهم انى أستَغْنِيْكَ عن كل حازم ، وأستَعينُك على كل ظالم . أى أسألك أن تُغْنِيَنى ، قال ابو عُبيد : أغْنَى الله الرجلَ حتى غَنِيَ غِنًى ، أى صار له مال ، وأَقْنَاهُ حتى قَنِيَ قِنًى ، وهو أن يَصير له قِنْيَةٌ من المال قال الله عز وجل : « وأنَه هو أغْنَى وأقْنَى » .

وفى حديث عثمانَ : أن علياً بعث اليه بصحيفةٍ فقال للرسول : أغْنِها عنّا ، أى اصرِفْها وكُفَّها ، كقوله تعالى : « لن يُغْنُوا عنك من الله شيئاً » وحديث ابن مسعود : وأنا لا أُغْنِي لو كانت لى مَنَعةٌ ، أى لو كان معى مَنْ يمْنَعُنى لكَفَيْتُ شرَّهم وصَرَفْتُهم .

وغَنِيَ به أى عاش ، وغَنِي القوم بالدار غِنيً : أقاموا ، وغِنِــى بالمكان : أقام ، قال ابنُ بَرِّى : تقول : غَنِيَ بالمكانِ مَغْنًى ، وغَنِيَ القوم فى ديارهم ، إذا طال مُقامُهم فيها ، قال الله عز وجل : « كأن لم يَغْنَوْا فيها » أى لم يقيموا فيها ، وذَكر بيتَ مُهَلْهِلٍ الذى أسلفناه .

وقال الليث : يقال للشيء اذا فَنِيَ : كأنْ لم يَغْنَ بالأمْسِ ، أى كأن لم يكن ، وفى حديث علىٍّ : ورجلٌ سمّاه الناس عالماً ، ولم يَغْنَ فى العلم يوماً سالماً ، أى لم يلبث فى أخذ العلم يوماً تامّاً ، من قولك غَنِيْتُ بالمكان أغْنَى ، اذا أقمتَ به .

والمغانى المنازل التى كان بها أهلوها ، واحدها مَغْنًى ، وقيل : المَغْنَى المنزل الذى غَنِيَ به أهلهُ ، ثم ظَعَنُوا عنه . وغَنِيْتُ لك منّى بالبّر والمودة ، أى بقيتُ ،

وغَنِيَتْ دارُنا تهامةَ ، أى كانت دارُنا تهامةَ ، وأنشد بيت مُهَلْهِلٍ المذكور وقال تميم بن مُقْبل :

أأُمَّ تميــمٍ إنْ تَرَيْنــىِ عَدُوَّكم   وبيتى فقد أغْنَى الحبيبَ المُصافياَ

أى أكونُ الحبيب .

قال الأزهرى : وسمعت رجلاً من العرب يُبَكِّتُ خادماً له يقول : أغْنِ عنّى وَجْهَك ، بل شَرَّك ، بمعنَى اكْفِنِى شرَّكَ ، وكُفَّ عنى شَرَّك ، ومنه قوله تعالى : « لكلِّ امْرِىءٍ منهم يومئذ شأن يُغْنِيهِ » ، يقول : يكفيه شغلُ نفسهِ عن شغلِ غيره .

والغِناء من الصوت ، ما طُرِّب به ، قال حُمَيد بنُ ثور :

عجبــت لهــا أنَّــى يكونُ غِناؤها   فصيحــاً ولـم تَفْغَــرْ بمنطقِهــا فَماَ

وقد غَنَّى بالشعر وتَغَنَّى به ، قال :

تَغَــنَّ بالشعــر إمّــا كنــتَ قائلَه   ان الغِنــاء بهــذا الشعــر مِضْمارُ

أراد التَغَنِىَ فوضعَ الاسمَ موضعَ المصدر . فأمّا ما أنشده ابنُ الأعرابى من قول الشاعر :

ثم بَدَتْ تَنْبِضُ أحرادُها   إنْ مُتَغَنّــاةً وإن حادِيَهْ

فانه أراد : إن مُتَغَنِّيَةَ ، فأبْدَلَ الياء ألفاً ، كما قالوا : النَّاصَاةُ فى الناصية والقَاراةُ فى القارِيَةِ . وغَنَّى وتَغَنَّى ، وغَنَّى بالرجلِ وتَغَنَّى بِه . مدحه أو هجاه ، وفى الخبر أن بعض بنى كُليبٍ قال لجرير : هذا غَسّانُ السَلِيْطِىّ يَتَغَنَّى بنا ، أى يهجونا ، وقال جرير :

غَضِبتُــمْ علينــا أم تَغَنَّيْتُمــو بنا   أنِ اخْضَرَّ من بَطْنِ التِلاع غميرُها

قال ابن سِيْدَهْ : وعندى أنَّ الغزلَ والمَدْحَ والهجاءَ انما يقال فى كل واحدٍ منها : غَنَّيْتُ وتَغَنَّيْتُ بعد أن يُلَحَّنَ فيُغَنَّى به .

والمُغَنّى الفَصيلُ الذى يَصرِف بنابِه ، قال :

(يا أيُّها الفُصَيّلُ المُغَنّى)

قال الزمخشرى فى الأساس : : تقول : لأُغْنِيَنَّ عنك مُغْنَاهُ ، وَلأُكْفِيَنَّكَ ماكفاه ، قال تعالى : « وما يُغنى عنه ماله » ، وغَنُوا فى ديارهم ، ثم فَنُوا ، وخَرِبَتْ مبانيهم ، وخَلَتْ مغانيهم ، قال تعالى : « كأن لم يَغْنَوْا فيها » « وهو أغْنَى عنه من الأقرع عن المُشْط » وقال بِشْرٌ :

وقد تَغْنَى بنا حينا ونَغْنَى بها والدهرُ ليس له دوام

أى تَلْزَمُ صُحبَتنا ونلزم صُحْبَتَها ، ومنه قوله ﷺ : « ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن » وتقول : كان أُمْنِيَّةٌ من أمانيه ، أن يسمع أُغْنِيَّةً من أغانيه ، وهذا غِناءٌ ما فيه غَنَاءٌ .

ومن المجاز : تَغَنَّتْه القيُود ، وقال عُتيبةُ بنُ الحارثِ اليربوعيُّ :

قَاظَ الشَرَبَّةَ فى قيدٍ وسلسلةٍ صوتُ الحديد يُغَنِّيه اذا قاما

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « اليوم تُجْزَوْنَ عذاب الهُونِ بما كنتم تقولون على الله غيرَ الحق » ؟ قال : « عذابَ الهُونِ » ، الهَوانِ ، قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ الشاعر يقول :

إنا وجدنا بلاد الله واسعةً تُنجِى من الذُلِّ والمَخْزاةِ والهُونِ

قال ابو ترابٍ : وكذلك قال ابن قتيبةَ فى غريب القرآن (ص ١٥٦) ، وفى تفسير ابن جرير (ج ٧ ص ١٨٣) : والعربُ اذا أرادت بالهُونِ معنى الهوان ، ضَمَّتِ الهاء ، واذا أرادت به الرِفْقَ والدَعَةَ وخِفَّةَ المَؤُنة ، فتحت الهاء .

ومثلُهُ فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ١ ص ٢٠٠) قال : « عذابَ الهُونِ » مضموم ، وهو الهوان ، واذا فتحوا أولَه فهو الرفق والدَعَةُ . وقال فى موضع آخر : (ج ١ ص ٣٦١) : « أَيُمْسِكُه على هُوْنٍ » أى هَوانٍ ، وفى قوله : « فأَخَذَتْهم صاعقةُ العذاب الهُونِ » ، (ج ٢ ص ١٩٧) : أى الهَوانِ .

وهذه المادة فى القرآن على خمسةِ أوجهٍ كما ذكر الدامغانى فى النظائر (ص ٤٧٨) : التواضع ، الضعيف ، الذل ، السهل ، الصغير ، ومن الهَوانِ الذُلّ : « ومن يهُنِ الله فما له من مُكْرِمٍ » كقوله : « أيُمْسِكهُ على هُوْنٍ » مثلها فى كثير من النظائر ، و « عذابٌ مُهين » ، أى ذو إهانة . ومن الهَون التواضع ، « الذين يمشون على الأرض هَوْناً » والمَهَينُ ، الضعيفُ كقوله : « ألم نخلقكم من ماءٍ مهين » ، والهَيّنُ السهل ، كقوله : « هو علىّ هَيّنٌ » ، وقوله : « وهو أهون عليه » والهَيِّنُ ، الصغير كقوله : « وتَحْسبُونَه هيِّناً وهو عِنْد الله عَظِيم » .

قال أبو تراب : ولم يذكر ابن الجوزى فى نزهة الأعين المعنى الأول من هذه المعانى (ج ٢ ص ٢١٧) وهو التواضع .

وفى تنوير المقباس للفيروز ابادى (ص ٩٢) : عن ابن عباس فى قوله تعالى : « اليوم تُجْزَون عذاب الهُونِ » ، الشديد .

وفى مفردات الراغب : الهَوانُ على وجهين ، أحدهما : تذلُّلُ الإنسان فى نفسهِ لِمَا لا يُلْحِقُ به غضاضةً فيُمدح به ، نَحْوُ قولهِ تعالى : « وعباد الرحمن الذين يَمْشُون على الأرض هوناً » ، ونحو ما رُوى عن النبى ﷺ : المؤمن هيّنٌ ليّنٌ .

الثانى : أن يكون من جهةِ مُتَسَلِّط مُسْتَخِفٌ بهِ ، فَيُذَمُّ به ، وعلى هذا الثانى ، قولُه تعالى : « فاليوم تُجْزَوْنَ عذابَ الهُونِ » ، وقولُه : « فأخذتْهم صاعقةُ العذابِ الهُونِ » ، وقوله : « وللكافرين عذاب مُهين » وقولُه : « فأولئك لهم عذاب مُهين » ، وقولُه : « ومَنْ يهُنِ الله فما له من مُكْرِمٍ » ، ويقال : هان الأمر على فلان ، سَهُلَ ، قال تعالى : « هو علىّ هَيِّنٌ » وقال : « وهو أهْوَنِ عليه » ، وقال : « وتَحْسَبُونَه هَيِّناً » ، والهاوونُ فاعولٌ من الهَوْنِ ، ولا يُقال : هاوُنٌ ، لأنه ليس فى كلامهم فاعُلٌ .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الهاء والواو والنون ، أُصَيْلٌ يدلُّ على سُكونٍ ، أو سَكينةٍ أو ذُلٍّ . من ذلك الهَوْنُ : السَّكينةُ والوقَارُ ، قال الله تعالى : « يمشون على الأرض هَوْناً » ، والهُونُ : الهَوانُ ، قال الله عز وجل : « أيُمْسِكُه

على هُونٍ » ، والهاوون : الذى يُدَقُّ به ، عربى صحيح ، كأنه فاعولٌ من الهَوْنِ .

وفى اللسان : الهُوْنُ الخِزْىُ ، قال تعالى : « فأخذتهُم صاعقة العذاب الهُونِ » ، أى ذى الخِزْىِ ، والهُونُ ، الهوانُ ، وهما نقيض العِزِّ ، هَانَ يَهُونُ هَواناً ، وهو هَيْنٌ وأَهوَنُ ، وفى التنزيل العزيز : « وهو أهْوَنُ عليه » ، أى كلُّ ذلك هَيْنٌ على الله ، وليست للمفاضلة ، لأنه ليس شىء أَيْسَرَ عليه من غيره ، وقيل : الهاء هنا راجعة الى الانسان ، ومعناه أن البعثَ أَهْوَنُ على الإنسان من إنشائه ، لأنه يقاسى فى النَّشء ما لا يُقاسِيْهِ فى الإعادةِ والبعث . ومثلُ ذلك قولُ الشاعر :

لَعَمْرُكَ ما أدرى وإنّى لأَوْجَلُ   على أيِّنا تَعْدُوْ المَنِيَّةُ أَوَّلُ

وفى الحديث : ليس بالجافى ولا المهَين ، يُرْوَى بفتح الميم وضمِّها ، فالفتح من المَهَانَةِ وفِعْلُه : (مَهُنَ) والضَمُّ من الإهانةِ : الاستخفافِ بالشىء والاستحقارِ ، والاسم الهوان ، قال ابن بَرّى : المهَانة من الهَوانِ مَفعلة منه ، وميمها زائدة ، والمهانة من الحقارة فَعَالةٌ مصدر مَهُن مهانةً إذا كان حقيراً . وقولُه :

ولا تُهِينَ الفقيرِ عَلَّكَ أن   تَركعَ يوماً والدهرُ قد رَفَعَهْ

أراد لا تُهِيْنَنْ فحذف النون الخفيفة لَمّا استقبلها ساكنٌ ..

والهَوْنُ : الرفقُ ، قال :

مررتُ على الوديعة ذاتَ يوم   تَهادَى فى رداءِ المِرْطِ هَوْنَا

وقال امرؤ القيس :

(تميلُ عليه هُونَةٌ غيرُ مِعْطالِ)

قال : (هُونَةٌ) ضعيفةٌ من خِلْقَتِها ، لا تكون غليظةً كأنها رَجلٌ ، ورُوى : (هَوْنَةٌ) أى مُطاوِعةٌ . وقال جَنْدَلُ الطُّهَوىُّ :

داويتُهم من زَمَنٍ الى زَمَنْ   دواءَ بُقْيا بالرُّقَى وبالهُوَنْ

وبالهُوَيْنَا دائباً فلم أَوَنْ

(بِالهُوَنْ) يُريد بالتسكين والصُلْح .

قال الفَرَّاء فى المعانى ج ٢ ص ١٠٦ فى قوله تعالى : « أَيُمْسِكُه على هُونٍ » قال : الهُونُ فى لغة قريش ، الهَوانُ ، وبعضُ بنى تميم يجعل الهُونَ مصدراً للشىء الهَينَ .

قال ابو تراب : لم يذكر ابن سلام فى لغات القبائل لغة قريش .

قال الكِسائى : واذا قالت العربُ : أقبل يمشى على هَوْنه ، لم يقولوه إلاّ بالفتح ، قال الله تعالى : « الذين يَمْشُونَ على الأرض هَوْناً » ، قال عكرمة ومجاهد : بالسَكينة والوقار ، وقال الكُميتُ :

شُمٌّ مَهاوينُ أبدانِ الجَزور مَخَا ... مِيصُ العَشِيَّاتِ لا خُورٌ ولا قُزُمُ

قال ابن سِيْدَهْ : يجوز أن يكون مَهاوينُ جَمْعَ مِهْوَنٍ ، ومذهب سيبويه ، أنه جمع مِهْوانٍ ، وأصابه هُونٌ شديد ، أى شِدّةٌ ومَضَرَّةٌ وعَوَزٌ .

قالت الخَنْساء :

(تُهينُ النفوسَ وهُونُ النفوسْ)

تريد إهانة النفوس ، قال ابن بَرّى : الهُونُ بالضمّ ، الهَوانُ ، قال ذو الإصبع :

إذهبْ اليك فما أُمّى براعيةٍ ... تَرْعَى المخاضَ ولا أُغْضِى على الهُونِ

والهَوْنِ ، الرفْقُ ، قال الشاعر :

هَوْنَكُماَ لا يَرُدُّ الدَهْرُ ما فاتا ... لا تَهْلِكا أسَفاً فى إثْرِ مَنْ ماتا

وفى صفته ﷺ : يَمْشِى هَوْناً ؛ الهَوْنُ ، الرِّفق واللِّينُ والتَثَبُّتُ ، وفى روايةٍ : كان يَمْشِى الهُوَيْنَى ، تصغيرُ الهُونَى ، تأنيثُ الأهْوَنِ ، وهو من الأَول .

وفَرَق بعضهم بين الهَينَ والهَينِ فقال : الهَيْنُ من الهوانِ ، والهَيِّنُ من اللِّينْ ، وامرأة هَوْنَةٌ وهُونةٌ : مُتَئِدَةٌ ، أنشد ثعلب :

تَنُوءُ بِمَتْنَيْها الروابى وهوْنَةٌ ... على الأرض جَمّاءُ العظام لَعوبُ

وفى الحديث : أنه سار على هِينَتِه ، أى على عادته فى السكون والرفق ، يقال : إمْشِ على هَيْنَتِك أى على رِسْلِك . وجاء عن علىُّ : أحْبِبْ حبيبَك هَوْناً مَا ، أى حُبّاً مقتصداً ، لا إفراطَ فيه ، وإضافةُ (ما) اليه تُفيد التقليلَ ، يعنى لا تسرف فى الحبِّ والبغضِ ، فعسى ان يصير الحبيب بغيضاً ، والبغيض حبيباً ، فلا تكون قد أسرفتَ فى الحب فتندم ، ولا فى البُغض فتستحى .

وفى الحديث : المسلمون هَيْنُونَ لَيْنُونَ ، جعله مَدْحاً لهم ، قال ابن الأعرابى : العرب تمدح بالهَينِ اللَينِ ، مُخَفَّفُ ، وتَذُمُّ بالهَيِّنِ اللَيِّنِ ، مُثَقَّلُ ، وقال غيره : هَيِّن وهَيْنٌ ولَيِّنٌ ولَيْنٌ بمعنى واحد ، والأصل : هَيِّنٌ فخُفِّفَ فقيل : هَيْنٌ ، وهينَ : فَيْعِلُ من الهَوْنِ ، وهو السكينة والوقار والسهولة وعينُه واو ، وفى حديث عمر بن الخطاب : النساء ثلاث ، فهَيْنَةٌ لَيْنَةٌ عفيفةٌ .

وفى النوادر : هُنْ عندى اليومَ ، وتفسيره : أقِمْ عندى ، واستِرحْ واستَجِمَّ .

وأهْوَنُ : اسم يوم الاثنين فى الجاهلية ، قال بعض شعرائها :

أُؤَمِّلُ أن أعيش وأن يومى بأوَّلَ أو بأهْوَنَ أو جُبَارِ
أو التالى دُبارِ أمْ فيَوْمِى بمُؤنسٍ أوْ عَروبةَ أو شِيارِ

قال ابن برى : ويقال ليوم الاثنين ايضا : أوْهَدُ من الوَهْدة وهى الانحطاط لانخفاض العدد من الأول الى الثانى .

وذكر الزمخشرى ـ وهو مَثَلٌ ـ : « هان على الأمْلَسِ مالاقى الدَّبر » وقولهم وهو أيضا مَثَلٌ : « أهْوَنُ من قُعَيْسٍ على عَمَّتِه » والمثَل : « اذا عَزَّ أخوك فهُنْ » ويقال : هو يهُاون نفسه ، أى يَرْفُقُ بها ، قال الشَمَرْدَل بن شرَيك اليربوعى :

دَخَلَتْ هَوادِجهُنَّ كلُّ رِبَحْلَةٍ قامتْ تُهاونُ خَلْقَها المَمْكُورا

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون نَقيرا » ؟ قال : النَّقير ما فى شَق النواة ، ومنه تَنْبُتُ النَّخْلَةُ قال : أوتعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

وليس النـــاسُ بعــدك فى نقيرٍ   وليســوا غــير أصــداء وهَامِ

قال ابو تراب : البيت للبيد كما فى اللسان ولم يطلع عليه فؤاد عبدالباقى فى معجم غريب القرآن . فقد أعلم عليه بنجمة وهو فى ديوانه ص ٢٠٩ ط الكويت . وفى مجاز القرآن (ج ١ ص ١٣٠) : « نقيرا » النُقْرة فى ظهر النواة .

وذكر ابن قتيبة هذه اللفظة فى الغريب ص ١٢٩ فقال : النَّقير النُقطة التى فى ظهر النواة يقول : لا يعطون الناس من شىء ولا مقدار تلك النقطة . وانظر معانى الفراء ج١ ص ٢٧٣ .

وفى تنوير المقباس للفيروز آبادى (ص ٥٨) : « نقيرا » قَدْرَ النَقير وهو النُقرة التى على ظهر النواة .

قال ابو تراب : ولم يذكر الدامغانى ولا ابن الجوزى هذه المادّة فى كتابيهما فلتستدرك .

وقال الراغب فى المفردات : النَقير : وَقْبَةٌ فى ظهر النواة ، ويُضرب به المثل فى الشىء الطفيف ، قال تعالى : « ولا يُظلمون نقيرا » والناقور : الصُّور ، قال : « فاذا نُقِر فى الناقور » .

وقال الزمخشرى فى الأساس : « نُقِر فى الناقور » نُفِخَ .

وقال ابن فارس فى المقاييس : النون والقاف والراء أصل صحيح يدل على قَرْعِ شىء حتى تُهْزَمَ فيه هَزْمَة ، ثم يُتوسَّع فيه ، منه منقار الطائر ، لأنه يَنْقُر به الشىء حتى يُؤثِّرِ فيه ، ونَقَرتُ الرَّحَى بالمنقار ، وهى تلك الحديدة .

ومن الباب : نَقَّرتُ عن الأمر حتى عَلِمتُه ، وذلك بَحْثُك عنه ، كأن عِلْمكَ به نَقْرٌ فيه ، ونَقَرْت الرجلَ : عِبْتُه ، كأنك قَرَعْت بشىء فأثَّرْت فيه ، وقالت امرأة

لِبَعْلِها « مُرَّ بى على بنى نَظَرَى ، ولا تُمُرَّ بى على بناتِ نَقَرَى » أى مُرَّ بى على الرجال الذين ينظروننى ، ولا تمر بى على النساء اللواتى يَغْتَبْنَنى ، والنُقْـرةُ : موضع يَبْقى فيه ماء السَّيْل ، كأنه قد نُقِرَ نقراً فهُزِمَ .

وواحد المَناقِرِ مِنْقَرٌ ، وهى آبار صغار ضَيِّقَةُ الرؤوسِ كأنها قد نُقِـرَتْ فى الأرض نَقْراً ، ونُقْرَة القفا ، الوَقْبَةُ فيه . والنَّقير ، نُكْتَةٌ فى ظهر النواة ، والنَّقير ، أصلُ شجرةٍ يُنْقَرُ ويُنْبَذُ فيه ، وهو الذى جاء النهى فيه ، وفلان كريم النَّقير ، أى الأصْلِ ، كأنه المكانُ الذى نُقِر عنه حتى خرج منه ، وقولهم : دعاهم النَّقَرى : أن يَدْعُو جماعةً ويَدَعَ آخرين من لُؤْمِه ، وهو قياس صحيح ، لأنه لايناديهـم أجْمَعَ ، لكن يأتى المَحْفِل فيُوحى الى واحدٍ كأنه يَنْقُره ، أو يَنْقُره بيده ليقوم معه . والناقور ، الصور الذى يُنْفُخ فيه المَلَكُ يوم القيامة ، وهو يَنْقُر العالَمِين بِقَرْعِه .

ومن الباب : نَقَرْتُ عن الأمرِ اذا بَحَثْتَ عنه ، ومِمّا شَذ عن الأصل ، قولُهم : أنْقَر عن الشىء إنقارا : أقْلَعَ ، وفى الحديث : ماكان الله لِيُنْقِرَ عن قاتل المؤمن ، كأنه لا يُقلِعُ عن تعذيبه ، قال :

(وما أنَا عن أعداءِ قومى بمُنْقِرِ)

قال أبو تراب : هذا الشطر من بيت لِذُوَيب بن زُنيم الطُّهَوى وأوله :

(لَعَمْرُك ماوَنَيْتُ فى وُدَ طِيِّىٍء)

وقد شُكِّل فى اللسان فى الطبعة الأولى والطبعة التـى صححهـا أساتـذة المعارف بمصر (وَنِيْتُ) وكذلك هو فى إصلاح المنطق لابـن السِكِّيـت (ص ٢٥٩) وهو خطأ والصواب (وَنَيْتُ) أو وانَيْتُ ، وضبطه بالتضعيف الشرتونى فى نوادر ابى زيد (ص ١١٩) .

وفى المفردات : النَقْر : قرعُ الشىء المُفْضى الى النَقْب ، وعُبِّر به عن البحثِ فقيل : نَقَرْتُ عن الأمر ، واستُعير للاغتياب فقيل : نقرتُه ، وقالت امرأة : مُرَّ بى على بنى نَظَرٍ ، ولاَ تُمُرَّ بى على بنات نَقْرٍ ، ونَقَرْتُ الرجل : اذا صَوَّتَ له بلسانك ،

وذلك بأن تُلْصِقَ لسانك بنُقْرَةِ حَنَكِكَ ، ونَقَرْتُ الرجل اذا خَصَصْتَه بالدعوة ، كأنك نَقَّرتَ له بلسانك مُشيرا إليه ، ويقال لتلك الدعوة النَقَرى .

قال أبو تراب : وشَكَّله الكيلانى : النَقْرَى وهو خطأ ، فليُتَنَبَّهْ .

وفى لسان العرب لابن منظور : النِقْرُ والنُقْرة والنَقير ، النُكتة فى النواة ، كأن ذلك الموضع نُقِر منها ، وفى التنزيل العزيز : « فإذاً لايؤتون الناسَ نقيراً » وقال أبو دَهْبَلٍ أنشده أبو عمرو بن العلاء :

واذا أردنــا رِحلــةً جَزِعَتْ وإذا أقمنــا لم تُفِــدْ نِقْرا

ومنه قول لبيد يرثى أخاه أربَد ـ كما تقدم ـ وقال العجاج :

(دافعت عنهم بنَقيرِ مَوْتَتِى)

قال ابنُ برّى : البيت مُغَيرٌ ، وصوابُ إنشاده : (دافع عنّى بنقيرٍ) وفى (دافع) ضمير يعود على ذِكْرِ الله سبحانه وتعالى ، لأنه أخبر أنّ الله عز وجل أنقذه من مرضٍ أشْفَى به على الموت ، وبعده : (بعد اللُّتَيَّا واللَّتَيا والَّتى) ، وهذا مما يُعَبَّر به عن الدَّواهى .

وقال ابن السِكّيتِ فى قوله تعالى : « ولا يُظلمون نقيرا » : النَقير النكتة التى فى ظهر النواة . ورُوى ذلك عن أبى الهَيْثَم أيضاً ، قال : منهـا تنبـت النخلة ، والمِنْقر : المِعْوَلُ ، قال ذو الرُمَّةِ :

(كأَرْجَاءِ رَقْدٍ زَلَّمَتْها المَنَاقِرُ)

وفى الحديث انه نهى عن نَقْرة الغراب ، يريد تخفيف السجود وأنه لايمكث فيه إلا قَدْرَ وَضْع الغراب مِنْقَاره فيما يريد أكْلَه ، وفى الحديث ايضا : عن أبى ذَرٍّ : فلماّ فرغوا جَعَل يَنْقُر شيئا من طعامهم ، أى يأخذ منه باصبعه .

وفى حديث عمر : على نقيرٍ من خشب ، هو جذْعٌ يُنْقَرُ ، ويُجْعَلُ فيه شِبْهُ المَراقِى ، يُصْعَد عليه الى الغُرَفِ .

وفى تهذيب الأزهرى : النَقير أصل النخلة يُنْقَر فيُنْبَذُ فيه ، ونهى النبى ﷺ عن الدُبَّاءِ والحَنْتَم والنَّقير والمُزَفَّتِ . قال أبو عُبيد : أمّا النَقيرُ فانَّ أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة ، ثم يَشْدَخون فيها الرُّطَبُ والبُسْرَ ، ثم يَدعُونَه حتى يَهْدِرَ ، ثم يموت .

قال ابن الأثير : النقير أصل النخلة ، يُنْقَر وَسَطُه ، ثم يُنبذ فيه التمر ويُلقى عليه الماء فيَصيرُ نبيذا مُسْكِراً ، والنهى واقع على مايُعمل فيه لا على اتخاذه فيكون على حذف المضاف ، تقديره : عن نبيذ النَقير ، وهو فعيل بمعنى مفعول .

وقال فى موضع آخر : النقير : النخلة تُنْقَرُ فيُجعلُ فيها الخَمْرُ ، وتكون عروقها ثابتة فى الأرض ، ونَقَر الطائر فى الموضع : سَهَّلَه ليبيض فيه ، قال طَرَفةُ :

يالَكِ مِنْ قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ خَلاَ لك الجَوُّ فبيْضِى واصفرى
ونَقِّرِى ما شئتِ أن تُنَقِّرِىْ

وقيل : التنقير مثل الصفير ، ويُنْشَدُ هذا البيتُ ، والنُقْرةُ مبيضه قال المُخَبَّل السَعْدِىُّ :

لِلْقارِيات من القَطَا نُقَرٌ فى جانبَيْه كأنها الرَّقْمُ

وفى حديث ابن عباس فى قوله تعالى : « ولا يُظلمون نَقيراً » وَضَع طَرَف إبْهامِهِ على باطن سَبَّابتِه ثم نَقَرها ، وقال هذا التفسير ، والمِنْقَر : بئر كثيرة الماء بعيدة القعر ، وأنشد الليث فى المِنْقَر :

أصدَرها عن مِنْقَرِ السَّنَابِرْ نَقْدُ الدَّنانيرِ وشُرْبُ الحازِرْ

وجاء فى الحديث : مَتَى مايكْثُرْ حَمَلةُ القرآن يُنَقِّرُوا ، ومتى مايُنَقِّرِوا يختلفوا التنقير : التفتيش ، ويقال للرجل اذا لم يَسْتَقِمْ على الصواب ، أخْطأتْ نواقره ، قال ابن مُقْبِل :

وأهْتَضِمُ الخالَ العزيزَ وأنْتَحِى عليه اذا ضلّ الطريقَ نَواقِرُهْ

وأنشد ابن الأعرابى فى النواقر من السهام :

(خَواطِئاً كأنها نواقِر)

أى لم تخطىء الاّ قريبا من الصواب ، وفى حديث ابن المسيب بَلَغَهُ قول عِكْرِمة فى الحِينْ أنه ستةُ أشهرٍ ، فقال : انتقرها عكرمة ؟ أى استنبطها من القرآن .

ودعاهم النَقَرَى ، اذا دَعَا بعضا دون بعضٍ ، يُنَقِّرِ باسم الواحد بعد الواحد .

وقال الأصمعى : اذا دَعا جماعتهم قال : دعوتُهم الجَفَلى ، قال طَرَفَةُ :

نحن فى المَشْتَاةِ نَدْعو الجَفَلَى لاترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

والنَقْر : صوتُ اللسانِ ، وهو إلزاق طرفه بمَخرج النون ، ثم يُصَوِّت به فينْقُر بالدابة لتسير ، وأنْشَد :

وخانقٍ ذى غُصَّةٍ جِرياضِ رَاخَيْتُ يومَ النَقْرِ والانْقاضِ

وأنشده ابن الاعرابى : (وخانِقَىْ ذى غُصَّة جَرَّاضٍ) وقيل : أراد بقوله (وخانِقَىْ) هَمَّينِ خَنَقَا هذا الرجلَ ، وراخيتُ : أى فرّجت .

وفى الصحاح للجوهرى : نَقَر بالفرس ، قال عُبيد بن ماويَّة الطَّائى :

أنا ابن ماويَّة إذْ جَدَّ النَقُرْ وجاءتِ الخيلُ أثَابِىَّ زُمَرْ

أراد النَقْر بالخيل ، فلماّ وقف نَقَل حركة الراء الى القاف ، وهى لغة لبعض العرب . تقول : هذا بَكُرْ ، ومررتُ بِبِكِرْ ، وقد قرأ بعضُهم : « وتَواصَوْا بِالصَّبِرْ » والأثابِىُّ : الجماعات ، الواحد : أُثْبِيَّةٌ ، ويقال : أنْقَرَ الرجل بالدابّة ، وأنْشَد :

طَلْحٌ كأنَّ بَطْنَه جَشيرُ اذا مَشَى لِكَعْبِه نقير

ويقال : ما أثابه نَقْرَةً ، أى شيئا ، لا يستعمل الاّ فى النفى ، قال الشاعر :

وهُنَّ حَرىً أن لا يُثِبْنَك نَقْرَةً وأنت حَرىً بالنار حين تُثيبُ

وقوله تعالى : « فاذا نُقِر فى الناقور » قيل : الناقور : الصور الذى ينفخ فيه

للحشر ، أى نُفخ فى الصور ، وقيل : إنه يعنى به النفخة الأولى ، وعن ابن الأعرابى : الناقور : القلب .

وقال الفراء فى المعانى ج٣ ص ٢٠١ : يقال : إنها أول النَّفْخَتَينْ ، والنَقِرُ : الغَضْبَانُ ، قال المَرَّار العدوىُّ :

وحَشَــوْتُ الغَيْــظَ فى أضلاعِهِ فهــو يَمْشِى خَظَلاَنــا كالنَقِرْ

والأَنْقِرَةُ : جمع نقِير ، وهو حفرة فى الأرض ، قال الأسود بن يعفر :

نزلــوا بِأَنِقْــرَةٍ يسيــل عليهمو ماء الفــرات يجــىء من أطواد

وفى أساس الزمخشرى : نَقَرتِ الخيلُ بحوافرها : احتفرت بها ، واستَنْقَع الماء فى النُقْر والنُقَر ، واحتجم فى نُقْرة القَفَا ، وله إبريق من النُقرة ، وهى الفِضَّـة المذابة .

قال أبو تراب : وهذا معنىً نادر .

ومن المجاز : نقرْته : عِبْتُه وغِبْتُه ورميته بناقرةٍ وبنواقِرَ ، وبينهما مناقـرةٌ . مراجعة كلام ، ونَقَرْتُ عن الخبر ونَقَّرت عنه : بحثت ، ونَقَرْتُ بالرجلِ وانتقرت به ، دعوته من بين القوم ، وهى النَقَرى ، وهو يُصلىَ النَقَرى ، اذا نَقَر فى صلاته نَقْر الديك ، ونَقَر باسمه اذا سمّاه بين الناس ، وسهم ناقر ، أصاب عين الرُقْعَةِ ، وسهام نواقر . قال :

رميــتُ بالنواقــر الصِيَابِ أعــداءكم فناهــم ذُبابى

أىْ حَدّى أو شرّى ، وما أغْنَى عنّى نَقْرَةً ، أى أدنى شىء ، ولم يكترث لى بمقدار نَقْرَة إصبعٍ ، قال جميل :

بالله ربَــكِ أنْ سألتُــكِ فاصْدُقِى لا تكتمينــى نَقْــرةً وفتيلا

وقال آخر :

رأيتــكِ لا تُغنــين عنّــى نَقْرَة اذا ابتدرونــى بالهــراوى الدَّمالك

وما أثابنى نقيرا ، ونَقَر بدابته وأنْقر : اذا ضرب بطرف لسانه مخرج النون وصَوَّت ، وكذلك اذا ضَمَّ إبهامه الى طرف الوسطى ، وصوّت بها ، وخُفُّ له منقار ، ونَقَر فى الحجر : كَتَب .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « انها بقرةٌ لا فارضٌ ولا بِكْرٌ عَوانٌ بين ذلك » ؟ قال : « لا فارض » الهَرِمَة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

لعمرى لقد أعطيت ضيفك فارضاً تُساق اليه ماتقوم على رِجْلِ

قال أبو تراب : قائله خُفَاف بن نُدْبَة ، واستشهد به الزمخشرى فى الكشاف ، والطبرسى فى مجمع البيان ، وابو حيان فى البحر المحيط ، وغَفِل محمد فؤاد عبدالباقى عن أن ابن منظور نسبه فى اللسان الى علقمة بن عوف كما سيأتى .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة : (ج ١ ص ٤٣) : « لا فارضٌ » : مُسِنَّةٌ « ولا بِكْرٌ » : صغيرةٌ بين ذلك ، والعرب تقول : لا كذا ولا كذا ، ولكن بين ذلك ، فمجاز هذه الآية : بين هذا الوصف ، ولذلك قال : « بين ذلك » وقال رُؤبَة : (فيها خُطوط من سَوادٍ وبَلَقْ) فالخطوط مؤنثة والسواد والبلق اثنان ، ثم قال : (كأنه فى الجِلْدِ توليعُ البَهَقْ) .

قال ابو عبيدة : فقلت لِرُؤْبَة : إنْ كانتْ خطوط فقل : « كأنها » وإن كان سوادٌ وبَلَقٌ فقل : « كأنهما » فقال : كأن ذاك ويلك توليعُ البَهَقْ ، ثم رجع الى السواد والبَلَقِ والخطوط فقال : (يُحْسَبْنَ شاماً أو رِقاعا من بَنَقْ) جماعةُ شامةٍ .

وفى غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٥٢) : « لا فارض » أى لا مُسِنَّة . يقال : فَرَضَتِ البقرة فهى فارضٌ ، اذا أسَنَّتْ ، قال الشاعر :

يارُبَّ ذى ضِغْنٍ وضَبَّ فارضٍ   له قُرُوُ كقُروءِ الحائِضِ

أى ضِغْنٌ قديمٌ ، « ولا بكر » أى ولا صغيرة لم تلدْ ، ولكنها « عوانٌ » بين تَيْنِكَ ، ومنه يقال فى المثل (العوان لا تُعلَّم الخِمْرَةَ) يُراد أنها ليست بمنزلة الصغيرة التى لاتحسن أن تَخْتَمِرَ .

قال أبو تراب : وأنشد هذا الشاهد ابن قُتيبة فى المعانى الكبير (ج ٢ ص ٨٥٠/ ١١٤٣) :

يارُبَّ مولىً حاسدٍ مُباغِض   علىَ ذى ضِغْنٍ وضَبُّ فارضٍ

وقال فى شرحه : « فارض » ضخم ، قال الله تبارك وتعالى : « لا فارضٌ ولا بِكرٌ » « له قُروءُ » أى أوقاتٌ تَهيج فيها عداوته ، وأنشده الجاحظ فى الحيوان (ج ٦ ص ٦٦) نقلا عن ابن الأعرابى ، ونقل عنه ايضا فى اللسان ، وفى مجالس ثعلب ، (ج ١ ص ٣٦٤) واستشهد به الطبرى والقرطبى وابو حيان أفاده السيد احمد صقر قال : والضَبُّ : الضِغْن والعداوة كما فى اللسان .

قال ابو تراب : وفى معانى القرآن للفراء ج١ ص ٤٤ العَوان ليس بنعتٍ للبكر ، لأنها ليست بهرِمة ولا شابة والعَوان يقال منه : قد عَوَّنت ، والفارض قد فَرَضَتْ وبعضهم : قد فَرُضَتْ وأمّا البكر فلم نسمع فيها بفعل والبِكر يكسر أولها إذا كانت من النساء ، ومفتوح أوله من بكارة الإبل .

قال أبو تراب : ولم يذكر ابن الجوزى فى نزهة الأعين ولا الدامغانى فى الوجوه والنظائر (الفارض) فى معانى مادة (فَرَضَ) فى القرآن ، فَليُستدركْ .

وفى تفسير ابن عباسٍ الذى جمعه الفيروز ابادى : « لا فارضٌ » لا كبيرةُ « ولا بِكرٌ » ولا صغيرة « عَوانٌ بين ذلك » نَصَفٌ أى وَسَطٌ بين الصغير والكبير .

وقال الراغب فى المفردات : والفارضُ المُسِنُّ من البقر ، وقيل : إنما سُمّى فارضاً لكونه فارضاً للأرض أى قاطعاً لِما يُحَمَّلُ من الأعمال الشاقة وقيل : بل لأن فريضة البقر اثنان : تَبيعٌ ومُسِنَّةٌ ، فالتبيعُ يجوز فى حالٍ دون حالٍ ، والمُسِنَّةُ

يَصِحُّ بَذْلُها فى كل حال ، فسُمِّيَت المُسِنَّةُ فارضةً لذلك فعلى هذا يكون الفارض اسماً اسلامياً .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الفاء والراء والضاد ، اصل صحيح يدل على تأثير فى الشيء من حَزٍّ أو غيره ، فالفَرضْ الحَزُّ فى الشيء ، يقال : فَرَضْتُ الخشبة ، والحَزُّ فى سِيَةِ القوس فَرْضٌ ، حيث يقع الوَتر ، والفَرْضُ الثَّقْبُ فى الزَّنْدِ فى الموضع الذى يُقْدَحُ منه ، والمِفْرَضُ الحديدة التى يُحَزُّ بها .

ثم ذكر ما اشتُق من هذه المادة الى أن قال : ومِمّا شَذَّ عن هذا الأصل الفارض المُسِنَّةُ فى قوله تعالى : « لا فارضٌ ولا بِكْرٌ» قال . والفَرْضُ ما كان للمكافأة وأنشد قول الحكم بن عَبْدلِ الأسدى فى المُجْمَل والمقاييس كما هو فى أمالى القالى (ج ٢ ص٢٦١) :

ومـا نالهـا حتـــى تَجَلَّــتْ وأسْفَرَتْ   أخو ثقـة منـى بقـرض ولا فَرْضِ

وقال أبو بكر السجستانى فى غريب القرآن : « انها بقرةٌ لا فارضٌ » أى لا مُسِنَّةٌ ، وفى تفسير ابن صُمادِح الأندلسى : « فارض » مُسِنَّة هَرِمَةٌ .

وقال فى اللسان : والفارضُ الضخم من كل شيء ، الذَّكَرُ والأنثى فيه سواءٌ ولا يقال : فارضةٌ ، ولحيةٌ فارضٌ وفارضةٌ : ضخمةٌ ، وشِقْشِقةٌ فارضٌ ، وسِقاءٌ فارضٌ كذلك ، وبقرةٌ فارضٌ : مُسِنَّةٌ ، وفى التنزيل « انها بقرةٌ لا فارضٌ ولا بِكْر » قال الفرّاء : الفارضُ الهَرِمَةُ ، والبِكْرُ الشابّة وقد فَرَضَت البقرة تَفرِض فُرُضاً أى كبرتْ وطعنتْ فى السن ، وكذلك فَرُضَتْ البقرةُ ، بالضمّ فَراضَةً ، قال علقمة بن عوف وقد عَنَى بقرةً هَرِمَةً :

لعمرى لقد اعطيتَ ضيفَك فارضاً   تُجَــرُّ اليه ما تقــوم على رِجْلِ
ولـم تُعْطِــه بِكْراً فــيَرْضَى سمينةً   فكيف يُجــازى بالمودّة والفِعْلِ

وقال أُمَيَّةُ فى الفارضِ ايضاً :

كُميتٍ بهَيم اللــونِ ليس بفارضٍ   ولا بِخَصيفٍ ذاتِ لونٍ مُرَقَّمِ

وقد يستعمل الفارضُ فى المُسِنّ من غير البقر ، فيكون للمذكر والمؤنث ، قال :

شَوْلاءُ مَسْكُ فارضٍ نَهِيّ   من الكِباشِ زامرٍ خَصِى

وقومٌ فُرَّضٌ ضخام وقيل : مَسَانٌ قال رجل من فُقَيْمٍ :

شَيَّبَ أصداغى فرأسى أبيضُ   محَاملٌ فيها رجالٌ فُرَّض
مثلُ البراذينِ اذا تأرّضُوا   أو كالمِراضِ غيرَ أن لم يَمْرَضُوا
لو يَهْجَعُون سَنَةً لم يَغْرَضُوا   إنْ قلتَ يوماً للغَداءِ أعْرَضوا
نَوْماً وأطرافُ السِبالِ تَنْبِضُ   وخُبِىءَ المَلْتُوتُ والمُحَمَّضُ

واحدهم فارضٌ ، ورَوَى ابنُ الأعرابى : (محَاملُ بيضٌ وقومٌ فُرَّضُ) قال : يريد أنهم ثقال كالمحاملِ قال ابن بَرّى : ومثله قولُ العَجّاجِ :

فى شعْشَعانٍ عُنُقٍ يَمْخُورْ   حابى الحُيُودِ فارض الحُنْجورْ

وقال الفَقْعَسِى يَذْكر غَرْباً واسعاً : (والغَرْبُ غَرْبٌ بَقَرِىٌّ فارضُ)

وقال الأزهرى فى التهذيب : ويقال من الفارض فَرَضَتْ وفَرُضَتْ ولم نسمع بِفَرِضَ وقال الكسائى : الفارض الكبيرة العظيمة ، وقد فَرَضَتْ تَفرِضُ فُروضاً . وقال ابن الأعرابى : الفارضُ الكبيرة ، وقال ابو الهَيْثَم : الفارضُ المُسِنَّةُ . وقال أبو زيد : بَقَرةٌ فارضٌ ، وهى العظيمة السَّمينة ، والجمع فَوارضُ ، وبَقَرةٌ عَوانٌ من بَقَرٍ عُوْنٍ ، وهى التى نُتِجَتْ بعد بطنها البِكْرِ . وقال قتادة : « لا فارضٌ » هى الهَرِمَةُ .

قال ابن الأعرابى : الفَرْضُ الحَزُّ فى القِدْحِ والزَّنْدِ ، وفى السَّيْرِ وغيره ، وفُرْضَةُ الزَّند الحَزُّ الذى فيه .

وفى حديث عُمر : اتخذ عامَ الجَدْبِ قِدْحاً فيه فَرْضٌ ، الفَرْضُ الحَزُّ فى الشىء والقَطْعُ ، والقِدْحُ : السَّهْمُ قبل أن يُعمل فيه الريشُ والنَصْلُ . وفى صفة مريم عليها السلام : لم يَفْتَرِضْها وَلَدٌ ، أى لم يُؤثِّر فيها ، ولم يحُزَّها يعنى قبل المَسيح .

قال : ومنه قوله تعالى : « لأتخِذَنَّ من عبادِك نَصيباً مفروضاً » أى مُؤَقتاً ، قال الزجّاج وفى الصحاح : أى مقتطعاً محدوداً .

وفى حديث طَهْفَةَ : لكم فى الوظيفةِ الفَريضةُ ، الفريضةُ الهَرِمَةُ المُسِنَّةُ وهى الفارضُ ايضاً ، يعنى هى لكم لا تؤخذ منكم فى الزكاة ، ويُروى : عليكم فى الوظيفة الفَريضةُ ، أى فى كل نِصابٍ ما فُرِضَ فيه ، ومنه الحديث : لكم الفارضُ والفَريضُ . الفَريضُ ، والفارضُ المُسِنَّةُ من الابل ، وقد فَرَضَتْ فهى فارضٌ وفارضةٌ وفريضةٌ ومثله فى التقدير : طَلَقَتْ فهى طالقٌ ، وطالقةٌ ، وطَليقةٌ ، قال العَجَّاجُ :

نَهْـرُ سَعيدٍ خَالصُ البياضِ مُنْحَـدِرُ الجِـرْيَةِ فى اعتراضِ
هولٌ يَدُقُّ بُكَمَ العِراضِ يجـرى على ذى ثَبَـجٍ فِرْياضِ
كأن صوتَ مائـه الخَضْخَاضِ أجْـلابُ جنٌ بِنَقـاً مِغْياضِ

وقوله تعالى : « سورةٌ أنزلناها وفَرَضْنَاها » ويُقْرَأُ : « وفَرَّضْناها » فمَنْ قرأ بالتخفيف فمعناه : ألزمناكم العملَ بما فُرِض فيها ، ومَنْ قرأ بالتشـديد فَعلى وجهين أحدهما على معنى التكثير على معنى : انّا فرضنا فيها فروضاً ، وعلى معنى بَيَّنَّا وفَصَّلْنا ما فيها من الحلال والحرام والحدود .

وقوله تعالى : « قد فَرَضَ الله لكم تَحِلَّةَ أيمانكم » أى بيَّنَها وافترضه كفَرِضَهُ والاسم الفريضة ، وفرائض الله حدوده التى أمـر بهـا ونهـى عنهـا ، وكذلك الفرائض بالميراث ، والفارض والفَرَضِّى والفَريضُ .

وفى أساس الزمخشرى : الفَرَّاضُ ايضاً الذى يعرف الفرائض ، ويُسمَّـى العلم بقسمة المواريث فرائضَ وفى الحديث : أفْرَضُكم زيد ، والفَرْضُ السُنَّةُ ، فَرَضَ رسول الله ﷺ أى سَنَّ وقيل : أى أوجب وجُوباً لازماً ، وهذا هو الظاهر ، والفَرْضُ ما أوجبه الله عز وجلّ سُمّى بذلك لأن له معالم وحدوداً ، وقوله عز وجلّ : « فمَنْ فَرَضَ فيهن الحَجَّ » أى أوجبه على نفسه بإحرامه ، وقال ابنُ عَرَفَةَ : الفَرْضُ التوقيت ، وكلُّ واجب مُؤَقَّتٍ فهو مفروض ، وفى حديث ابن عمر

العلم ثلاثة منها فريضة عادلة يريد العدل فى القسمة بحيث تكون على السهام والانصباء المذكورة فى الكتاب والسُنَّة ، وقيل أراد أن تكون مستنبطة من الكتاب والسنّة وان لم يَرِدْ بها نصٌ فيها فتكون معادلة للنصّ وقيل : الفريضة العادلة كما اتفق عليه المسلمون .

قال ابن فارس : الفَرْضُ التُرْس ،وسمّى بذلك لأنه يُفْرَضُ من جوانبه وقال (صخرُ الغَىّ الهذلى) :

أرِقْـتُ له مثـلَ لَمْـعِ البشير قَلَّـبَ بالـكفّ فَرْضـاً خفيفا

قال أبو عبيد : ولا تقل : فُرضاً خفيفا ، والفَرْض ايضا ضرب من التمر قال راجزٌ من أهل عُمان :

اذا أكلـتُ سَمَـكاً وفَرْضا ذهبـتُ طُولاً وذهبـت عَرْضا

قال أبو حنيفة : وهو من أجود تمر عُمان هو والبَلْعَقُ . قال : وأخبرنى بعضُ اعرابها قال : اذا أرطبتْ نخلتُه ، فتُؤُخَّرَ عن اخترافها تساقط عن نواةٍ فبقيت الكِباسَةُ ليس فيها الاّ نَوىً مُعَلَّقٌ بالتفاريق .

وقال الأصمعىُ : فَرَضَ مِسْواكه فهو يفرضُه فَرْضاً اذا حَزَّه بأسنانه والفَرْضُ اسم الحَزِّ والجمع فروض وفِراضٌ قال :

من الرَّصَفـات البيض غـيرَّ لونها نباتُ فِراض المَرْخ واليابسِ الجَزْلِ

وقال الليث : التقريض فى كل شىء كتقريض يدَى الجُعَلِ وأنشد :

اذا طَرَحـا شأواً بأرضِ هَوَىً له مُقَـرَّضُ أطـرافِ الذراعَـينْ أفْلَحُ

قال الأزهرى : هذا تصحيف ، وانما هو التفريض بالفاءِ من الفرض وهو الحَزُّ وقولهم : الجُعْلانَةُ مُفَرَّضَةٌ كأنّ فيها حُزوزاً ، وهذا البيت رواه الثقاتُ ايضاً بالفاء « مُفَرَّضُ أطرافِ الذراعَينْ » وهو فى شعر الشَماَّخِ ، وأراد بالشَأْوِ ما يلقيه العَيرْ والأَتَانُ من أرواثها ، وقال البـاهلىُّ : أراد الشماّخ بالمُفَـرَّضِ المُحَـزَّزَ ـ يعنـى الجُعَلَ ـ والفِراضُ فوهة النهر قال لبيد :

تجـرى خزائنـه على من نابَه جَرْىَ الفُـراتِ على فِراضِ الجدول

والفَرْضُ القِدْحُ ، قال عبيد بن الأبرص يصف بَرْقاً :

فهـو كنِبراسِ النَّبيط أو الفَرْ ضِ بكفُ اللاَّعِب المُسْمِرِ

والمُسْمِرُ الذى دخل فى السمر . وفى حديث ابن الزبير : واجعلوا السيوف للمنايا فُرَضاً أى اجعلوها مشارعَ للمنايا وتَعَرَّضُوا للشهادة

وفى أساس الزمخشرى : فُرِض لفلانٍ فى الديوان : اذا أُثبت رزقه فيه ، وأبْلَى إياسُ بن حُصينٍ فى قتال الخوارج فقال الحجّاج : افْرِضُوا له فى ثلاثمئةٍ فقال إياس :

ما فى ثلاثٍ ما يجهِّز غازياً وما فى ثلاث مُتْعَةٌ لِفقيرِ

فقال افْرِضُوا له فى الشرف ، ففَرَضُوا فى ألفين . وافْتَرَضَ الجندُ ارتزقوا وعنده مئة من الفَرْضِ أى من الجند المفروض لهم ، وجمعُه فُروضٌ . وما طلبتُ قَرْضاً ولا فَرْضاً . وهو العطاء ، قال :

ألا ليس فَتَى الفِتْيَا نِ بالرَّخْصِ ولا البضَّ

ولكن مُبْتَنِى العُرفِ بقَرْضٍ كان أو فَرْضِ

وأوْقِعِ الوَتَرَ فى فَرْضِ قوسِك وفُرْضَتِها ، وهو الحَزُّ فى سِيَتِها ، وفَرَض قوسَه ، وفَرَّضَ قِسِيَّهُ ، قال :

(شَخْتُ الجُزارة فى ساقَيْه تفريضُ) أى تَحْزيزٌ . ومَكَّنَ الزَّنْدَ فى فَرْضِ الزَّنْدَةِ وهو الثَّقْب الذى يجُعل فيه رأسُه ثم يُفْتَل عند القَدْح ، ويُسَمَّى الوَكْرَ . وسَهْمٌ فريضٌ ، فُرِضَ فُوقُه ، ووسَّع فُرْضَةَ الباب وفُرْضَةَ الدَّواة ، ومن المجاز : لِحْيَةٌ فارضٌ : كبيرة ضَخْمَةٌ تقول : قَلَّتِ السعادة فى اللِّحْيَةِ الفارضِ ، الثقيلة على العوارض ، وأبْسَرَتِ النخلة بُسراً فوارضَ ، وهذه بُسْرَةٌ فارضٌ .

قال ابو تراب : ان لم تكن السعادة فى اتباع واجب الأمر النبوى فى اعفاء اللحية ففيم تكون يا هذا . ولكن هكذا قيل والله المستعان .

وفى نزهة الأعين والنواظر لابن الجوزى ج٢ ص ٧٤ : الفَرْضُ فى القرآن على خمسة أوجه أحدها الالزام ، ومنه قوله تعالى : « فمن فَرَض فيهنَّ الحجَّ »

وقوله : « فنصفُ ما فرضتم » وقوله : « قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم » .

قال الدامغانى : يعنى ما أوجبنا والثانى : الاحْلال : ومنه قوله تعالى : « ما كان على النبى من حَرَجٍ فيما فرض الله له » والثالث : البيان ، ومنه قوله تعالى : « سورةٌ أنزلناها وفرضناها » وقوله : « قد فَرَضَ الله لكم تحِلَّةَ أيمانكم » .

والرابع : الانزال : ومنه قوله تعالى : « ان الذى فَرضَ عليك القرآن لرادُّك الى معاد»

والخامس : القِسمْة : ومنه قوله تعالى : « فريضةً من الله » أى قِسْمَةً وقيل : هو من الفَرْضِ الذى هو قرين الوجوب .

قال ابو تراب : قائله الدَّامَغَانُى فى الوجوه والنظائر .

قال ابن قتيبة : ويجوز أن تكون هذه الأقسام كلها من الالزام والايجاب .

وقال الدامغانى ص ٣٥٥ : ليس فى القرآن آيةٌ لا مكية ولا مدنيةٌ غير : « إن الذى فَرَضَ عليك القرآن لرادُّك الى معاد » نزلت بالجُحْفَة .

قال أبو تراب : ليس هذا بذاك ، فمن القرآن ما نزل فى بعض أسفار رسول الله ﷺ وليس هو فى المدينة ولا بمكة ، كبعض الآيات التى وردت بها الروايات فى وقت نزولها ومكانه ، ومنها ما يصحّ ، وقد ذكرها السيوطى فى الاتقان وذلك كأول الأنفال نزل ببدر عقب الواقعة ، كما فى مسند أحمد عن ابن أبى وقاصٍ ، وفى مستدرك الحاكم أن سورة الفتح نزلت بين مكة والمدينة كما فى حديث المسوًر بن مخرمة ومروان ، وانه بكُراع الغَميم كما فى حديث مُجَمِّع بن جارية ، ومنها آيةُ الامتحان نزلت بأسفلِ الحديبية وسورة المنافقين فى تبوك أو بَنِى المصطلق وغيرها وليس هذا موضعَ تَقَصِّى ذلك كلِّه .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « وكُلوا واشربوا حتى يتبينً لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود » ؟ قال : « الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود » بياض النهار من سواد الليل ، وهو الصبح اذا انفلق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أُميَّة بن أبى الصَّلْت :

الخَيْطُ الأبيض ضوء الصبح مُنْفَلِقٌ   والخيط الأسود لونُ الليل مَكْمُومُ

قال أبو تراب : البيت فى ديوانه (ص ٥٩) واللسان بلفظ : مركوم ومكتوم .

وفى تفسير ابن عباس الذى جَمَعَهُ الفيروزابادى فى معنى الآية : يعنى حتى يتبين لكم بياض النهار من سواد الليل .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنّى فى مجاز القرآن (ج ١ ص ٦٨) : الخيط الأبيض هو الصبح المُصَدَّق ، والخيط الأسود هو الليل ، والخيط هو اللون .

وفى غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٧٤) : « الخيطُ الأبيض » وهو بياض النهار « من الخيطِ الأسود » وهو سواد الليل ، ويتبين هذا من هذا عند الفجر الثانى .

قال الطبرى : فتأويله على قول قائلى هذه المقالة : وكلوا بالليل فى شهر صومكم واشربوا وباشروا نساءكم مُبْتَغِينَ ما كتب الله لكم من الوَلَدِ من أول الليلِ الى أن يقع لكم ضوء النهارِ بطلوع الفجرِ من ظلمة الليل وسواده .

وفى غريب السجستانى (ص ٩٢) : « الخيط الأبيض » بياض النهار ، والخيط الأسود سواد الليل .

قال الراغب فى المفردات (ص ١٩١) : الخَيْطُ معروف وجمعُه خيوطٌ ، وقد خِطْتُ الثوبَ أَخِيطُهُ خِياطَةً وخَيَّطْتُه تخييطاً ، والخِياطُ الابْرَةُ التى يُخاطُ بها ، قال تعالى : « حتى يَلِجَ الجمل فى سَمِّ الخِياطِ » وقال : « حتى يَتَبَيَّنَ لكم الخيط

الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » أى بياض النهار من سواد الليل ، والخَيْطَةُ فى قول الشاعر :

(تَدَلىَّ عليها بين سِبٍ وخَيْطَةٍ)

فهى مُستعارةٌ للحَبْل أو الوَتِد .

قال أبو تراب : وضُبط فى المفردات بتحقيق الكيلانى : (سَبٌ) وهو خطأ وكذلك الوتِدُ هو بكسر التاء وسكونها ، وضبط بفتحها فى المفردات خطأ .

وروى أن عدىَّ بن حاتم عَمَد الى عِقالَيْنِ أبيض وأسود فجعل ينظر اليهما ويأكلُ الى أن يَتَبيَّنَ أحدهما من الآخر فأخْبَر النبى ﷺ بذلك فقال : إنك لَعَرِيْضُ القَفَا ، إنما ذلك بياض النهار وسوادُ الليل . (انظر البخارى فى الصوم وفى التفسير) .

وخِيْطَ الشيبُ فى رأسه : بَدَا كالخَيْطِ ، والخَيْطُ النَعام ، وجمعه خِيطانٌ ، ونعامَةٌ خيطاء : طويلةُ العُنُقِ . كأنما عُنُقُها خَيْطُ .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الخاء والياء والطاء أصْلٌ واحد يدلُّ على أمتداد الشىء فى دِقَّةٍ ، ثم يُحمل عليه فيُقالُ فى بعض ما يكون مُنْتَصِباً ، فالخَيْطُ معروف والخيط الأبيض : بياض النهار ، والخيط الأسود : سواد الليل ، قال الله تعالى : « حتى يَتبيَّنَ لكم الخيط الأبيض من الخَيْطِ الأسود من الفجر » ويقال لِمَا يَسيلُ من لُعابِ الشمس : خَيْطُ باطلٍ ، قال :

غَدَرْتُمْ بعَمْرٍو يا بَنِى خَيْطِ باطلٍ ومِثْلُكُمو يَبْنِى البيوتَ على غَدْرِ

فأمَّا قولهم : لِلَّذى بَدَا الشَّيْبُ فى رأسه خُيِّط فهو من الباب كأن البادىَ من ذلك مُشَبَّهٌ بالخُيوطِ ، قال الهُذَلىّ قال ابو تراب : هو بدرُ بن عامرٍ الهُذلىّ كما فى شرح السُكَّرى لشعر الهُذَليّين (ص ١٢٨) ، ونسخة الشنقيطى (ص ٩٨) واللسان) :

(حتّى تَخَيَّطَ بالبياضِ قُرونى)

قال ابو تراب : وصدره كما فى الديوان وغيره : (تـالله لا أنْسَى منيحـة واحدٍ) قال : ويقال : نعامةٌ خيطاءُ ، وخَيَطُها طولُ عُنُقِها ، والخياطة معروفةٌ فأمّا الخِيْطُ بالكسر فالجماعة من النَّعام ، وهو قياسُ الباب ، لأن المُجْتَمِعَ يكون كالذى خِيطَ بعضُه الى بعضٍ ، وأمّا قولُ الهُذلىّ ـ قال ابو تراب : هو أبو ذُؤيبٍ كما فى ديوانه (ص ٧٩) واللسان ـ :

تَدَلىَّ عليهـا بـين سِبٍّ وخَيْطَةٍ بجرداء مِثْلِ الـوَكْفِ يَكْبُـو غُرابُهَا

فقد قيل : ان الخَيْطَةَ الحَبْلُ ، فإنْ كان كذا فهو القياس المُطَّرِدُ ، وقد قيل : الخَيْطَةُ الوتِدُ ، وقد ذكرنا أن هذا مما حُمِلَ على البـاب ، لأن فيه امتـداداً فى انتصابٍ . وأنشده الأزهرى :

تَدَلىَّ عليهـا بـين سِبٍّ وخَيْطة شديدُ الوَصـاةِ نابـلٌ وابـنُ نابلِ

وفى أسـاس البلاغـة : خاط الثـوبَ ، وخَيَّطـه ، وسـلك الخَيطَ فى الخِياط والمِخْيَطِ ، ومن المجاز : أخذ الليل فى طىّ الرَّيْط ، وتَبَيَّنَ الخَيْطُ من الخَيْط ، وهو أَدَقُّ من خيط باطلٍ ، وهو الهباءُ المُنْبَثُّ فى الشمس ، وقيل : لُعَابُ الشمس ، وقيل : الخيط الخارج من فم العنكبوت الذى يقال له : مُخاط الشيطان ، وقال شيخٌ من دوس لعبد الله بن الزبير :

أتَطْمَـعُ أن تَحْـوى الخلافـةَ ساءَما غُرِرْتَ لقد أصبحت فى خيط باطلِ

وجاحَشَ فلانٌ عن خيط رقبته ، وهو النخاع ، ورأيت خَيْطاً من النعام وخِيْطاً بالكسر وهو جمع خَيْطَاءَ . وخَيْطُ النعامة طولُ قَصْبِهـا وعنقهـا ، كأنهـا خيوط ممدودة ، وقيل : هو ما فيها من بياضٍ فى سوادٍ ، وخَيَّطَ الشيبُ فى رأسه ولحيته : جعل فيها شِبْهَ الخيوط ، وخُيِّط شعرُه بالبياض ، وأنشد قول بدرٍ المتقدم وخَيَّط رأسُه ، كقولك نَوَّر الشجر ووَرَّد ، وخاط فلان خَيْطَةً : امتد فى السير لا يَلْوى على شىء . وخاط الى مقصده ، وهذا مَخِيطُ الحَيَّةِ : لِمَزْحَفِها وقد خاطت الحَيَّةُ ، قال ذو الرُمَّةِ :

وبينهما ملْقـى زمـامٍ كأنه مَخِيْطُ شُجاعٍ آخِـرَ الليل الليل ثائرِ

وخاط فلان بعيراً ببعير اذا قرن بينهما ، تقول : خِطْ هذا بذاك قال الرَّكَّاض الدُبَيْرِيُّ :

بَليدٌ لم يَخِطْ حَرْفاً بعَنْسٍ ولكنْ كان يختاط الخفاءَ

وفى لسان العرب : وقوله تعالى : « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » يعنى بياضَ الصبح وسواد الليل ، وهو على التشبيه بالخيط لدقته ، وقيل : الخيط الأسود الفجر المستطيل ، والخيط الأبيض الفجر المعترض ، قال ابو دُوَادِ الايادىّ :

فلمّا أضاءتْ لنا سُدْفَةٌ ولاح من الصبح خَيْطٌ أنارا

قال أبو اسحاق : هما فجران ، أحدهما يبدو أسودَ معترضاً ، وهو الخيط الأسود ، والآخر يبدو طالعاً مستطيلاً يملأ الأفق فهو الخيط الأبيض وحقيقتُه حتى يتبين لكم الليل من النهار ، وقول أبى دُواد : (أضاءت لنا سُدْفَةٌ) هى ههنا الظُّلْمَةُ (ولاح من الصبح) أى بدا وظهر ، وقيل : الخيط اللَّونُ ، واحتج بهذه الآية . قال أبو عبيد : يدل على صحة قوله ما قاله النبى ﷺ فى تفسير الخيطَينْ : انما ذلك سواد الليل وبياض النهار .

وفى الحديث : ان عدىَّ بن حاتمٍ أخذ حبلاً أسود وحبلاً أبيض وجعلهما تحت وِسادِهِ لينظر اليهما عند الفجر ، وجاء الى رسول الله ﷺ فأعلمه بذلك فقال : انك لَعَريضُ القفا ، ليس المعنى ذلك ، ولكنه بياض الفجر من سواد الليل .

وفى النهاية لابن الأثير : ولكنه يريد بياض النهارِ وظلمة الليل . ومن شواهد الخيطِ فى اللسان قول ابن مُقْبل :

قريساً ومَغْشِياً عليه كأنه خُيوطةُ ماريّ لواهُنَّ فاتِلُهْ

والخُيوطة كفُحولةٍ زادوا الهاء لتأنيث الجمع . ويقال فيه : مَخِيْطٌ ومخيوطٌ كمكيلٍ ومكيول مُعَلَّلاً وتاماً . وقول المُتَنَخِّل الهُذَلىّ :

كأن على صَحَاصِحِـه رياطاً منشرَّةً نُزعـنَ من الخِياطِ

وقال :

فهـنَ بالأيـدى مُقَيَّساتُـهْ مُقـدَّراتُ ومُخَيْطاتُـهْ)

والخِياطُ الابرة ومنه قوله تعالى : « حتى يلج الجَمَل فى سَمّْ الخِياط » أى فى ثُقْب الابرة . وفى الحديث : أَدُّوا الخِياطَ والمِخْيَط أى الخيط والابرة .

وخيطُ باطلٍ : الضوء الذى يدخل من الكُوَّةِ ، وقيل ، هو الذى يقال له لُعابُ الشمسِ ومخاطُ الشيطان ، وكان مروانُ بن الحكم يُلَقَّبُ بذلك لأنه كان طويلاً مضطرباً ، قال الشاعر :

لَحَـى الله قومـاً مَلَّـكُوا خَيْطَ باطل على الناسِ يُعْطِى مَنْ يَشاءُ ويَمْنَعُ

والخَيْطُ جماعة النعام وقد يكون من البقر ، قال لبيد :

وخَيْطـاً من خَواضِـبَ مؤلفاتٍ كأنَّ رِئالَهـا وَرَقُ الإفالِ

ونسبه ابن برّى لِشُبَيْلٍ .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ولَبِئْسَ ما شَرَوْا به أنفسهم لو كانوا يعلمـون » ؟ قال : « شروا به أنفسهـم » : باعـوا نَصيبَهم من الآخرة بطمعٍ يسير من الدنيا ، قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سَمعتَ قول الشاعر :

يُعْطَـى بهـا ثَمَنـاً فيمْنَعُها ويقـول صاحبُهـا الا تَشرِى

قال أبو تراب : البيت للمُسَيَّب بن عَلَسٍ ، واستشهد به الطبرى ، وهو فى ديوانه ص ٣٥٢ (من ملحق ديوان الأعشى) وكتاب الأضداد لابن السكيت (ص ١٨٥) وابن الأنبارى ، والسجستانى ص ١٠٧ والخزانه ج١ ص ٥٤٤

وشرح المقامات ج١ ص ١٣٩ وأضداد الحلبى ج١ ص ٣٩٤ ، ويُروى للأعشى أيضاً ، ونسبه الجاحظ للمسيّب فى البيان (والتبينَ) ج١ ص ٧٨ .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ١ ص ٤٨) : « ولبئس ماشروْا به أنفسهم » أى باعوا به أنفسهم ، وقال ابن مُفَرِّغ الحِمْيَرِىّ :

وشريتُ بُرْداً ليتنى من بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامةْ

أى بعته (وهذا البيت فى الأضداد لابن السكيت (ص ١٨٥) والكامل للمبرّد (ص ٢١١) والأمالى الصُغرى للزَجّاجىّ (ص ٣٠) والأغانى (ج ١٧ ص ٥٥) والخزانة للبغدادى (ج ٢ ص ٢١٢) وشواهد الكشاف (ص ٢٧٢ ، ٣٢٥) واللسان والتاج ، وطبقات فحول الشعراء (ص ٥٥٥) وتفسير الطبرى)

قال أبو تراب : وفى تفسير ابن عباس للفيروز آبادى (ص ١٢) : « ولبئس ما شروا به أنفسهم » : ما اختاروا به السحرِ أنفسَهم يعنى اليهود .

وفى تفسير ابن صُمادِحِ الذى اختصره من الطبرى : « ما شروا » : ما باعوا .

وقال ابن قتيبة فى غريب القرآن (ص ٦٠) : « شروا به أنفسهم » أى باعوها ، يقال : شريتُ الشىء ، وأنت تريد : اشتريته ، وبعته وهو حرف من حروف الأضداد .

وفى تفسير الطبرى (ج ٢ ص ٣٤١ ط المعارف) : قال : والعرب تقول : شريته بمعنى بعتُه ، « واشتروا » فى قوله : (بئسما) اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً) افتعلوا من شريت ، وكلام العرب فيما بلغَنَا أن يقولوا : شريت بمعنى بعت ، واشتريت بمعنى ابتعت ، وقيل : انما سُمّى الشارى شاريا لأنه باع نفسه ودنياه بآخرته ، ثم أنشد الطبرى بيت ابن مُفْرِّغ وبيت ابن عَلَس المتقدمين ثم قال : يعنى به بعتُ برداً ، وانما استعمل اشتريت بمعنى بعت وشريت فى معنى ابتعت والكلام المستفيض فيهم هو ما وصفت .

قال أبو تراب : وفى غريب السجستانى (ص ١٣٢) : « شروا به أنفسهم » أى باعوا به أنفسهم ، ومنه قوله تعالى : « شروه بثمن بَخْسٍ » أى باعوه . وذكره فى الأضداد أبو الطيب الحلبى (ج ١ ص ٣٩٢) وأبو حاتم (ص ١٠٦) والصغانى (ص ٢٣٤) وابن السكيت (ص ١٨٥) وابن الأنبارى (ص ٦١) والسجستانى (ص ١٠٧) .

قال أبو حاتم فى الأضداد (ص ١٠٦) : يقال : بعتُ الشيء وأخرجت ثَمَنَه ، أى أخرجتُه من يدى ، وبعض العرب يقول : بعتُ الشيء أى اشتريته ، قال :

تلك لو بِيْعَ قُرْبُهَا بعتُه بالحرائبِ

وقالوا : اشتريتُ الشيء وأعطيتُ ثَمَنَه ، وقد يقال : اشتريت الشيء اذا بعته ، وقالوا : شريتُ الشيءَ بعتُه واشتريتُه ، وبعتُه أوضحُ الوجهين وفى القرآن « الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، أى يبيعون ، ومن يَشْرِى نفسه يَبيعها ومن ذلك سُمِّى الشَّارِىْ والشُراةُ من الخوارج ، قال المُسَيَّب :

يُعْطَى بها ثمناً فيمنعُها ويقولُ صاحبُه ألاَ تَشْرِى

وقال أبو ذؤيب فى معنى اشتريت :

فإنْ تَزْعُمينى كنتُ أجْهَلُ فيكمو فانى شَرَيْتُ الحِلْمَ بعدك بالجهل

يقول : اشتريت ، وقال طَرَفة فى بعت بمعنى اشتريت :

و يأتيكَ بالأخبار من لم تَبِعْ له بتاتاً ولم تَضرِبْ له وقتَ موعدِ

أى لم تَشْتَرِ له متاعاً لسفره ، ويقال : بَتَتُّ فلاناً اذا كسوتَه وأعطيته متاعاً ، ويكون البائعُ المشترىَ ، والمُشْتَرِى البائعَ ، والشارى المشترىَ ، والبائع على نحو ما ذكرنا .

وفى أضداد ابن السكيت (ص ١٨٥) : قال الله عز وجل : « ومن الناس من يَشْرِى نفسه » أى يبيعُها ، وقال الشمّاخ وذكر رجلاً باع قوساً :

فلمّا شَرَاها فاضت العَينُ عَبرةً وفى النفس حَزَّازٌ من اللوم حامِزُ

حامزٌ قابضٌ ، وأنشد بيت المسَيَّب المذكور ، وبيت ابن مُفَرَّغٍ وأبى ذؤيب .

وفى أضداد ابن الأنبارى (ص ٦٠) : قال جماعة من المفسرين : معنى قوله تعالى : « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » باعوا الضلالة بالهدى . وقال بعض أهل اللغة : كل من آثر شيئاً على شيء فالعرب تجعل الأشياء له بمنزلةِ شرائه ، واحتجوا بقول الشاعر :

أخذتُ بالجُمَّة رأساً أزعرا وبالثنايا الواضحاتِ الدُّرْدُرا
وبالطويلِ العُمْرِ عُمْراً أنزرا كما اشترى المسلم إذْ تَنَصرًا

قال أبو تراب :

هذا موافق لتفسير ابن عباس المتقدم ، وهو : لبئس ما اختاروا به السِّحْرِ أنفسَهم وأورد ابنُ الأنبارى قول الشاعر :

فان كان رَيْبُ الدهرِ أمْضَاكَ فى الألَى شَرَوْا هذه الدُّنْيا بجنَّاتِه الخُلْدِ

أراد باعوا هذه الدنيا ، وأورد بيتَ الشمَّاخ والحِمْيَرِىِّ المتقدمَيْنْ وقال الآخر فى معنى ابتعت :

إشْرُوْا لها خَاتِناً وأَبْغُوا لخاتِنِها معاولا سِتَّةً فيهن تَذْريبُ

قال ابو تراب : وفى اضداد أبى الطيب : « لِخُنْتَبِها » .

وأورد بيت طرفة والمُسَيَّب وقال قُطْرُب : شريتُ بمعنى بِعْتُ لغة لِغاضِرَةَ ، وأنشد بيت أبى ذؤيب . وقال الآخر : قال ابو تراب : هو النَمِرَ بن تعلب

وإنِّى لأسْتَحْى الخليلَ وأتَّقِى تُقَاىَ وأشرِى من تِلادِىَ بالحَمْدِ

وقال الآخر :

شريت غلاماً بين حِصْنٍ ومالكٍ بأصواع تَمْرٍ إذْ خشيتُ المهالكا

أراد بعت غلاماً وفى الحديث عن حذيفة انه قال عند موته : بيعوا لى كفناً أى اشتروه ، وقال الشاعر :

اذا الثريّا طلعتْ عشاءَ فبعْ لراعى غنمٍ كساءَ

وقال آخر :

اذا الثريّا طلعتْ غُدَيَّةْ   فبِعْ لراعى غنمٍ كُسَيَّةْ

أراد فاشتر ، وقال كُثَيِّرٌ :

فياعَزَّ ليت النَّأىَ إذْحال بيننا   وبينك باعَ الودَّلى منكِ تاجرُ

وقال أوْسٌ :

قد قارفتْ وهى لم تجْرَبْ وباع لها   من الفَصَافِصِ بالنُمَّىْ سِفْسِيرْ

الفصافص الرَّطْبَةُ والنُمِّىُّ الفلوسُ والسفسير القَهْرمانُ ، وقال آخر :

وباع بنيه بعضُهمْ بِخُشارةٍ   وبعتُ لِذُبيانَ العَلاءَ بمالكا

وفى أضداد الحَلَبى (ج ١ ص ٣٩٢) : قال الأصمعى : اشتريت الشىء على وجهين ، وشريته ايضا على وجهين ، وأوضح الوجهين فيه معنى البيع ، وأنشد للأسود بن يَعْفُر :

فآليتُ لا أشْرِيه حتى يَمَلَّنى   وآليت لا ألقاه حتى يفارقا

وقال ابن مُفَرِّغٍ الحِمْيرىّ :

شريتُ بُرْداً ولولا ما تَعَرَّضَ لى   من الحوادث ما فارقتهُ أبداً

وبُرْدٌ اسمُ غلامٍ ، وأنشد بيت الشماخ وأبى ذؤيب ، وأنشد :

شريتُ بكَبْشٍ شِبْهَ ليلى ولو أبَوْا   لأعطيت مالى من طريفٍ وتالدِ

وأنشد الفرَّاء :

شريتُ لهم نفسى بِقَفْرَة بعدما   دنا الموتُ حتى صار بين الجوانح

قال : شريتُ ههنا بمعنى ابتعت ، وقَفْرَةُ ناقته ، يعنى انه نحرها لمّا جَهِدَهُ العطشُ فى الفلاة ، وافْتَضَّ كَرِشَها ، وشرب ما فيه .

وفى كتاب الوجوه والنظائر للفقيه الدَّامَغَانى (ص ٢٦٣) فى مادة الشراءِ : انه على ثلاثة أوجهٍ ، فَوَجْهٌ منها : الشراء الاختيارُ ، كقوله تعالى : « اشْتَروا الضلالةَ بالهدى » يعنى اختاروا الضلالة بالهدى . ومنه : « اشْتَروا الحياة الدنيا

بالآخرة » ومنه : « ويشترون به ثمناً قليلا » ومنه : « ومن الناس من يشترى لَهْوَ الحديث » يعنى يختار .

الثانى : الاشتراءُ الابتياعُ ، كقوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم » يعنى ابتاع ، أى (قَبِل ورَضِى) .

الثالث : الاشتراء البيعُ بعينه ، كقوله تعالى : « بئسما اشتروا به أنفسهم » يعنى باعوا أنفسهم ، قال : وليس مثلَها ، وعَلَّق على هذا القول عبد العزيز سيّد الأهل بأنه تجاوز منه لأن اختيار الضلالة بالهدى بيعٌ للنفس كذلك .

قال أبو تراب : هذا تحامل على الدامغانى ، لأن ما اعترض به على سبيل المجاز ، وبمثل ما ذكر الدامغانى ذكر ابن الجوزى فى النزهة (ج ١ ص ٢٥٠) .

وفى مفردات الراغب « وشَرَوْهُ بثمن بَخْسٍ » أى باعوه ، وكذلك قوله : « يشترون الحياة الدنيا بالآخرة » ويجوز الشراء والاشتراء فى كل مايَحْصلُ به شىء نحو : « يشترون بعهد الله » « لايَشترون بآيات الله » « اشتَرَوُا الحياةَ الدنيا » « اشْتَرَوُا الضلالة » وقولُه : « ان اللّه اشترى من المؤمنين » فقد ذُكرَ ما اُشْتُرِىَ به وهو قولُه : « يُقاتِلون فى سبيل اللّه فَيَقْتُلون » ويُسَمَّى الخوارجُ بالشُّرَاة مُتَأوِّلِينَ فيه قوله : « ومن الناس من يَشرِىْ نَفسه ابتغاءَ مَرْضَاة اللّه » فَمعنى يَشرِى يَبيع فصار ذلك كقوله : « ان اللّه اشترى » الآيَة .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الشين والراء والحرفُ المُعْتَلُّ أصول ثَلاثَة : أحدها يدل على تعارضٍ من الاثنين فى أمرين أخذاً وإعطاءً مماثلةً ، والآخَر نَبْتٌ ، والثالثُ هَيْجٌ فى الشىء وعُلُوٌّ فالأول قولهم : شريتُ الشىء واشتريته ، اذا أخذتَه من صاحبه بثمنه ، وربما قالوا : شريتُ اذا بعتَ ، قال اللّه تعالى : « وشَرَوْهُ بثمن بَخْسٍ » ومما يدل على المماثلة قولهُم : هذا شَرْوَى هذا ، أى مثلُه ، وفلان شَرْوَى فلان .

ومن حديث شرُيح فى قوسٍ كَسرَها رجلٌ لرجل فقال شرُيح : شَرْوَاها ، أى مثلَها ، وأشراءُ الشىء نواحيه ، الواحدُ شَرًى ، وسُمّى بذلكَ لأنه كالناحية

الأخـرى ، والشرَى مقصورٌ ، ويقـال : شَرَى الشيءَ شرِىً ، وأمّـا النَبْـتُ فالشَرْىُ ، يقال : إنه الحَنْظَلُ ، ويقولون : الشَرْيَةُ النخلةُ التى تنبت من النواة قال رؤبة : « وشَرْيَةٍ فى قَرْيَـةْ » والشرَى موضع كثـير الدغـل والأُسْد قال الأشَهبُ بن رُمَيْلَةَ .

أسوُد شرىً لاقَـتْ أسودَ خَفِيَة تَسَاقَـوا على حَرْدٍ دمـاءَ الأسَاوِدِ

والشرَيانُ من شجر القِسِى

والأصل الثالث : قولُهم شرَى الرجل شَرَىً اذا استطير غضباً ويقـال : شرِىَ البعير فى سيره اذا أسرع ، وشرِىَ البرقُ اذا استطار قال الشاعر :

أصاحِ تَرَى البـرقَ لم يَغْتَمِضْ يَمـوتُ فُواقًـا ويَشْرَى فُواقا

ويقال استَشرى الرجلُ ، اذا لَجَ فى الأمر ، ويقال : شرِىَ زمـام الناقـة يَشْرَى شَرَىً ويقولون « كلُّ مُجْرٍ فى الخَلاء يَشْرَى » .

قال ابو تراب : فى كتاب الحيـوان للجاحـظ (ج١ ص٨٨ و ج ٤ ص ٢٠٧) « كلُّ مُجْرٍ فى الخلاء يَسرِ » وفى أساس الزمخشرى : هو وهى وهما وهم وهن شرواك قالت الخنساء .

(أخوان كالصقرين لم يَرَ ناظرٌ شَرْواهما) .

ورأيتُ سرِيّاً ، ركب شريًا ، أى فرساً مختاراً ، وهو أحْلَى من الأرْى ، وأمرٌ من الشَرَىِ وكأنهم أسودُ الشرَى وهو جانب الفرات ، ودخلوا أشراء الحرم ، أى نواحِيَه ، وأصابه الشَرَى ، وقد شرِىَ جِلْدُهُ ، وشرِىَ غضبًا ، أى استشاط ، وهما يتشاريان : يتغاضبان ، وشرِى الفرس فى لجامه ، والبعيرُ فى زمامه مَدّه وَجَذَبَه ، وشرِى البرقُ كثُر لَمعانُه ، وشرِىَ الشر بينهم ، وأغريتُ بين القومِ وأشرَيْـتُ واستَشْرَى البَعُير عَرًا ، واستَشْرَى فى الأمر وفى العَدْوِ لَجَ فيه ، ومن المجاز : « اشتَرَوُا الضلالة بالهدى ، استبدلوه » « يَشْرُون الحياة الدنيا بالآخرة » .

وفى لسان العرب قال أبو اسحاق : ليس هنا شراء ولا بيع ، ولكنْ رغبتُهم

فيهِ بتمسكهم به كرغبة المشترى بماله مايرغبُ فيه ، والعرب تقول لكل من ترك شيئاً وتمسك بغيره قد اشتَراه قال ابن بَرى وفى المثل : « لا تَغْتَرَّ بالحُرَّةِ عامَ هدائِها ، ولا بالأمة عام شرائها » .

وقال الفراء فى قوله تعالى : « ولبئسما شَرَوْا به أنفسهم » بئسما باعوا به أنفسهم ، وفى حديث الزُبير قال لابنه عبدالله : والله لا أشرِى عملى بشىءٍ ، وللَدُنْيا أهْوَنُ علىَ من مِنْحَةٍ ، ساحَةٍ لا أشرى أى لا أبيع ، وقال السيرافى : يقال : هذا شَرْوَاهُ وشَرِيُه أى مِثْلهُ وأنشد :

وتَــرى هالكــاً يقــول ألا تبصر فى مالكٍ لهــذا شَرِيًا

وكان شرُيح يُضَمَنُ القَصَّار شرواه أى مثلَ الثوب الذى أخذه وأهلكه ، ومنه حديث علىَ : ادفعوا شَرْواها من الغَنم أىْ مِثلِهَا وفى حديث عمر فى الصدقة فلا يأخذ الا تلك السِنَّ من شَرْوَى إبِلِه أو قيمةَ عَدلٍ ، أى من مثل ابله ، وفى حديث أم زَرْعٍ فنكحتُ بعده رجلا سرِيَاً ، وركب شرِيًا وأخذ خطّياً ، وأراح على نعَماً ثَريا ، قال ابو عبيد : أرادت بقولها : ركب شرِياً أى فرساً يَستشرى فى سيره أى يَلجُ ويمضى ويجَدُّ فيه بلا فتور ولا انكسار ومن هذا يقال للرجل اذا لَجَ فى الأمر قد شرِىَ واستشرى ، وشَرَى الفرات ناحيتهُ ، .قال القُطامى :

لُعنَ الكواعــبُ بعـد يومَ وصَلْننى بِشرَى الفـراتِ وبعـد يوم الجوسق

وفى حديث ابن المُسَيَّب قال لرجل : انزلْ أشرْاءَ الحرم أىْ نواحيهَ وجوانبه وفى حديث عائشة فى صفة أبيها : ثُم استَشرْى فى دينه ، أى لجَ وتمادى وقَوِىَ وجَدَّ وأهتم به ، وقيل : هو من شرِىَ البَرْقُ واستَشْرَى اذا تتابع لَمعانُه ، وأنشد ابن بَرى لابن أحمَر شاهداً لمعنى الغضب .

باتــتْ عليــه ليلــةُ عَرشيةُ شرِيَتْ وبـات على نَقًــى مُتَهَدِمِ

والشرُاةُ الخوارج سُمُّوا بذلك لأنهم غضبوا ولجُوا ، وأمَّاهم فقالوا نحن الشرُاة لقوله عز وجل : « ومن الناس من يَشرِْى نفسه ابتغاءَ مرضاة الله » أى يبيعها ويبذلها فى الجهاد ، وثمنها الجنة ، وقوله تعالى : « إن اللَّهَ اشترى من المؤمنين

أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ولذلك قال قَطَرِىُّ بن الفُجاءة وهو خارجىٌّ :

رأتْ فئةً باعوا الآلهَ نفوسَهم بجَنّاتِ عَدْنٍ عنده ونعيم

وفى حديث ابن عمر أنه جمعَ بنيه حِين أشْرَى أهل المدينة مع ابن الزُبير وَخَلعَوا بيعة يزيد أى صاروا كالشُراةِ فى فعلهم وهم الخوارج وخروجهم عن طاعة الامام ، والشرِى يكون بيعاً قال الشاعر :

(فلئن فَرَرْتُ من المنية والشِرى)

وفى حديث السائب : كان النبى ﷺ شريكى فكان خير شريك لايُشارى ولا يُمارى ولا يُدارى ، المشاراة المُلاَجَةُ ، ومن الحديث الآخَر : لا تُشَارِ أخاك ، قال :

وانى لأستبقى ابنَ عمى وأتَّقى مُشاراتَه كى مايَرِيعَ وَيعْقلاَ

وأنشد ثعلب :

اذا أوقدتْ نارٌ لَوَى جِلْدَ أنفهِ الى النار يَسْتَشرِى ذَرى كلِ حاطبِ

وفى الحديث حتى شرِى أمرُها أى عَظُم وتفاقم ولُجوا فيه .

وإبل شَراةٌ أى خيارٌ قال ذو الرُمَّة .

يَذُبُّ القضايا عن شرَاةٍ كأنها جَماهيرُ تحتَ المُدجِنات الهَواضِبِ

وأشراه ناحية كذا أماله قال :

الله يَعلمُ أنَا فى تَلَفُتِنا يوم الفِراقِ الى أحبابنا صُوُرُ

وإننى حَوْثُما يُشرِى الهَوى بصرى من حيث ماسلكوا أدْنُو فأنظور

يريد أنظر فأشبع الضمَّة فنَشَأتْ عنها واو . والشرْى الحَنْظَل . قال رُؤبَةُ :

(فى الزَرْبِ لو يبصقُ شَرْياً ما بصَقْ) وقال الأعلم الهذلى فى شجر الحنظل .

على حَتّ البُرايةِ زَمْخَرِىّ السواعد ظلّ فى شرْى طِوالِ

وفى حديث أنسٍ : فى قوله تعالى : « كشجرة خبيثة » قال هو الشرْيان قال الزمخشرى : الشرْيانَ والشرْى الحنظل ونحوها الرهْوان والرَهْوُ للمطمئنَ من الأرض .

والشَّرْيانُ شَجَرٌ من عضاه الجبال يعمل منه القِسِى واحدته شريانة وقال ابو زياد : تصنع القِياسُ من الشريان وقوس الشريان جيدة الا انها سوداء مشربة حمرة وهو من عُتُق العِيدان وزعموا أن عُودَهُ لا يكادُ يَعْوجُ ، وأنشد ابن بَرى لذى الرمّة :

وفى الشمال من الشَّرْيَــان مُطْعَمةٌ   كَبْــدَاءُ فى عُودهــا عَطْفٌ وتقويمُ

وقال الآخر :

سَيَاحِفُ فى الشرْيــانِ يأمــل نَفْحَها   صحابــى وأولى حَذَهــا من تَعَرَّما

وأشْرَىَ جفانَه اذا ملأها للضِيفان ، وأنشد ابو عمرو :

نَكُــبُّ العشِار لأذْقَانِها   ونُشرِى الجفــان ونَقْــرى النَّزيلا

قال المبرّد : النَّبْع والشَّوْحَطُ والشرِيان شجرة واحدة ولكنها تختلف أسماؤها وتكرُمُ بمَنابتها فما كان منها فى قُلَّة الجبل فهو النَّبْع وما كان فى سفحه فهو الشريان وما كان فى الحضيض فهو الشَّوْحَطُ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالي : « فَعَسَي ربّي أن يُؤتَينِ خيراً من جنتك ويُرْسل عليها حُسْباناً من السماء »؟ قال : « حسبانا من السماء ».. ناراً من السماء . قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أمَا سمعت قول حسان بن ثابت :

بَقَيةُ مَعْشَرٍ صُبَّـتْ عليهم   شآبيبُ من الحُسْبَـانِ شُهُبُ

قال ابو تراب : ليس البيت في ديوانه المطبوع . وفي تنوير المقباس في تفسير هذه الكلمة مثل ماهنا ، قال (ص ١٨٥) حسبانا ، ناراً .

وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (ج ١ ص ٤٠٣) : « حُسْباناً من السماء » مجازها : مرامَي ، وواحدتها حُسْبَانَةُ ، أي ناراً تحرُقها .

ومثله في غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٢٦٧) قال : « حُسْباناً من السماء » أي مَرامَيٍ ، واحدُها حُسْبَانَةٌ .

وفي كتاب الوجوه والنظائر للدامغاني (ص ١٢٨) : هذه المادّة في القرآن علي عشرة أوجه فالحساب الكثير : كقوله تعالي : « جزاء من ربك عطاءً حسابا » والحساب الجزاء والثواب : كقوله تعالي : « إنْ حسابُهم الا علي ربّي لو تَشْعُرون » والحسابُ والحُسبان العذاب : كقوله تعالي : « إنهم كانوا لايرجون حسابا » أي لايخافون عذاباً ، وكقوله تعالي : « ويرسل عليها حسبانا من السماء » يعني عذاباً من السماء ، والحسيب الحافظ كقوله تعالي : « إن الله كان على كل شيء حسيباً » والحسيب الشهيد كقوله تعالي : « كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا » أي شهيداً بما عملت . والحساب هو العَرْضُ على الله تعالي كقوله تعالى : « ويوم يقوم الحساب » يعني العَرْضَ ، وكقوله : « فسوف يحاسَب حسابا يسيراً » وهو العَرْض للحساب والحساب العدد كقوله تعالى : « ولِتعلموا عدد السنينَ والحساب » يعني عدد الأيام وكقوله : « وقَدَّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » يعني عدد الأيام والشهور والحساب التقتير والمِنَةُ كقوله تعالي في المؤمن : « فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » يعني بلا تقتير ولا فَوْتٍ ومثُلها في آل عمران والحُسْبان يعني المنازل كقوله تعالي : « الشمس والقمر بحُسْبانٍ » اي بحساب في منازل ، والحساب الظن كقوله تعالي : « ولاتحسبن الذين كفروا » أي لاتَظُنَّنَّ وكقوله تعالي : « يَحْسَبُهم الجاهل أغنياء من التَعَفُّفِ » ومثلها « يحسبون كل صَيحة عليهم » وكقوله : « وهم يَحْسَبُون أنهم يُحْسِنُون صُنْعاً » .

وفي نزهة الأعين لابن الجوزي (ج١ ص ١٤٥) : ذكر أهل التفسير أن الحساب في القرآن علي خمسة اوجه : العدد ، الكثير الكافي ، المحاسبة ، التقتير ، الجزاء ، وذكر شواهد كل هؤلاء كما أسلفنا آنفاً .

وقال مقاتل : وكل شيء في القرآن : « حسباناً » « ويحسبون » يعني حساباً غير واحد في الكهف يعني عذاباً من السماء .

وفي مفردات الراغب (١١٦) : الحساب استعمال العدد يقال : حَسَبْتُ أحْسُبُ حِساباً وحُسْباناً قال تعالي : « لتعلموا عدد السنين والحساب » وقال تعالي : « وجاعلُ الليلِ سَكَناً والشمس والقمر حُسْباناً »، وقيل : لايعلم حُسْبانه الاّ الله ، وقال عز وجل : « ويُرسْل عليها حسبانا من السماء » قيل : ناراً وعذاباً ، وانما هو في الحقيقة ما يُحاسب عليه ، فيجازي بحَسَبه . وفي الحديث أنه قال ﷺ : اللهم لاتجعلها عذاباً ولا حُسْباناً ، وقال : « فحاسبناها حسابا شديداً » اشارة الي نحو ما رُوي : من نوقش في الحساب مُعَذَّب وقال : « اقترب للناس حسابهم » نحو : « وكفي بنا حاسبين » وقوله عز وجل : « ولم أدْر ما حسابيه » « أى ظننت أنى ملاقٍ حسابِيَهْ » فالهاء منها للوقف نحو : مَالِيْه ، وسُلطانيهْ وقوله تعالي : « ان الله سريع الحساب وقوله : « جزاءً من ربك عطاءً حسابا » فقد قيل : كافياً ، وقيل : ذلك إشارة الى ماقال « وأن ليس للانسان الاّ ماسَعَي » وقوله : « ويرزق من يشاء بغير حساب » ففيه أوجه ، الأول : يُعطيه أكثر ممّا يستحقه ، والثاني : يعطيه ولايأخذه منه ، والثالث : يعطيه عطاء لايمكن للبشر إعطاؤه كقوله الشاعر :

(عطاياه يُحْصَي قبل إحصائها القَطرُ)

والرابع يعطيه بلا مضايقة من قولهم : حَاسبته اذا ضايَقْته والخامس يعطيه أكثر مما يحَسبُه ، والسادس أن يعطيه بحسب مايعرفه من مصلحته لاعلى حسب خيالهم ، وذلك نحو مانبه عليه بقوله تعالى : « ولو لا أن يكون الناس أمةً واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن » الآية . والسابع يُعطي المؤمن ولايحاسبه عليه ، ووجه ذلك ان المؤمن لايأخذ من الدنيا الاّ قدر مايجب وكما يجب وفي وقت مايجب ، ولايُنفق الا كذلك ويحُاسب نفسه . فلا يحاسبه الله حسابا يضرُّه كما روي من يحاسب نفسه في الدنيا لم يحاسبه الله يوم القيامة . والثامن : يقابل الله المؤمنين

يوم القيامة لا بقدر استحقاقهم بل بأكثر منه كما قال عز وجل : « من ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » وعلى نحو هذه الدرجة قوله تعالى : « فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » وقوله تعالى : هذا عطاؤنا فأمْنُنْ أو أمسك بغير حساب » وقد قيل فيه : تَصرَّفْ فيه تصرُّفَ من لايُحاسَبُ أي تناولْ كما يجب وفي وقت مايجب وعلى مايجب وأنفقه كذلك .

والحسِيْب والمحاسِبُ من يحاسبك ، ثم يُعَبر به عن المكافي بالحساب ، وحَسْبُ يُستعمل في معني الكفاية ، « حسْبُنا الله » أي كافينا هو ، « حَسْبهم جهنم » « وكفي بالله حسيبا » أي رقيباً يحاسبهم عليه ، وقوله : « ماعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء » فنحو قولـه : « عليكم أنفسَـكم لايَضرُكم من ضل اذا اهتديتم » ونحوه : « وما علمي بما كانـوا يَعملـون إنْ حسابهم الا علي ربّي » وقيل : معناه : مامن كفايتهم عليك بل الله يكفيهم وإياك من قوله : « عطاءً حساباً » أيْ كافياً من قولهم : حَسْبي كذا ، وقيل : أراد منه عملهم ، فسّاه بالحساب الذي هو منتهي الأعمال . وقيل : احتسب ابناً له ، اي اعتدّ به عند الله ، والحِسْبَة فعل مايحتسب به عند الله تعالى : « الم أحَسِبَ الناس » « أم حَسِبَ الذين يعملون السيئات » « ولاتَحْسَبن الله غافلا عَما يعمل الظالمون » « فلا تحسبن الله مُخْلِفَ وَعْدِه رسُله » « أم حسبتـم أن تدخلوا الجَنة » وكل ذلك مصدرُه الحِسْبانُ والحِسْبَانُ أن يحْكُمَ لأحَدِ النَّقيضَينْ من غير أن يَخْطُرَ الآخُر بباله ، فيحْسبُه ويعقد عليه الأصْبُع ، ويكون بعرض ان يعتريَه شك ، ويُقاربُ ذلك الظنَّ ، لكن الظنَّ أن يُخْطِرَ النَّقيضينِ بباله فُيغلّب أحدهما علي الآخر .

وفي مجاز القرآن (ج١ص١٣٥) : « على كل شيء حسيبا » أي كافياً مقتدراً : أحسبني هذا أي كفاني .

وقال في موضع آخر (ج١ص٢٠١) : « والشمس والقمر حُسْباناً » وهو جميع حساب ، فخَرَج مَخْرَج شهاب ، والجميع شُهبانُ ، وكذلك قال في سورة الرحمن

« الشمسُ والقمرُ بحُسْبانٍ » جميع حساب مثُل شهبانٍ وشهاب .

وقال ابن قتيبة في سورة الرحمن : أي بحسابٍ ومنازل لايعْدونها . وقال في موضع آخر من الأنعام : والحُسْبَانُ الحسابُ يقال : خُذْ كلَّ شيءٍ بِحُسْبَانِه أي بحسابه .

وقال ابن صُمادح الأندلسي في سورة الكهف : «حسباناً» عذاباً من السماء تُرمي به رَمْياً .

وفي غريب السجستاني : حُسْبان أي حساب ، ويقال هو جمع حساب مثل شهاب وشُهبان ، وقوله تعالي : « ويُرسِلَ عليها حسباناً من السماء » أي مَرامِيَ واحدها حُسْبَانَةٌ .

وقال ابن فارس في المقاييس : الحاء والسين والباء أصول أربعة فالأولي العَدُّ ، تقول : حَسَبْتُ الشيء أَحْسُبهُ حَسْباً وحُسْباناً ، قال الله تعالي : « الشمسُ والقمُر بحُسْبان » ومن قياس الباب : الحِسْبانُ الظَنُّ ، وذلك أنه فُرِق بينه وبين العَدِّ بتغيير الحركة والتصريف ، والمعني واحد ، لأنه اذا قال : حَسِبْتـه كذا ، فكأنه قال : هو في الذي أعُدُّه من الأمور الكائنة . ومن الباب الحَسَبُ الذي يُعَدُّ من الانسان قال أهل اللغة : معناه أن يَعُدَّ آباءً أشرافاً . ومن هذا الباب قولهم : احتسب فلان ابنه ، اذا مات كبيراً ، وذلك أن يَعُدَّه في الاشياء المذخورة عند الله تعالى .

قال ابو تراب :واذا فقد ابنه صغيراً لم يبلغ الحُلُم قيل : افترطه افتراطاً .

قال في المقاييس : والحِسْبَةُ احتسابُك الأجر ، وهذا ايضاً من الباب ، لأنه إذا كان حَسَنَ التدبير للأمر كان عالماً بِعِـدادِ كل شيء وموضعـه من الـرأي والصواب ، والقياس كله واحد .

والأصل الثاني : الكفاية ، تقول : شيء حِساب ، أي كافٍ .

قال ابو تراب : وبه فُسرّ قوله تعالي : « عطاءً حساباً » كما قدّمنا .

قال في المقاييس : ويقال : أَحْسَبْت فلانا ، اذا أعطيته مايرضيه وكذلك حَسَّبْتُه ، قالت امرأة (من بني قُشير كما في اللسان) :

ونُقْفي وليد الحيّ إن كان جائعاً ونُحسِبُه إن كان ليس بجائع

والأصل الثالث : الحُسْبَانُ ، وهي جمع حُسْبَانَةٍ ، وهي الوسادة الصغيرة ، وقد حَسَّبْتُ الرجلَ ، أُحَسِّبُه ، اذا أجْلَسْته عليها ووسَّدْتَه ايّاها ، ومنه قول القائل :

(غداة ثَوي في الرَّمل غيرَ مُحَسَّب)

وقال آخر :

ياعامِ لو قَدرتْ عليك رماحُنا والراقصاتِ الي منىً فالغَبْغَبِ
لَلَمَسْتَ بالوقْعَاءِ طَعْنَةَ ثائرٍ حَرَّانَ أو لَثَوَيْتَ غير مُحَسَّبِ

قال ابو تراب : قائله نَهِيكُ الفَزاري يخاطب عامر بن الطُفيل كما في اللسان ومعجم ياقوت .

قال في المقاييس : ومن هذا الأصل الحُسْبانُ : سهامٌ صغار يُرمي بها عن القِسِيّ الفارسية ، الواحدةُ حُسْبانَةٌ ، وانما فُرِّق بينهما لصِغَر هذه وكبر تلك ، ومن قولهم أصاب الأرض حُسْبَانٌ أي جَرادٌ ، وفُسرِّ قوله تعالي : « أو يُرسل عليها حُسْباناً من السماء » بالبَرَد .

والأصل الرابع : الأحْسَبُ الذي ابيضت جِلْدتُه من داءٍ ففسدت شَعْرَتُه كأنه أبْرَصُ .

قال (امرؤ القيس كما في ديوانه واللسان) :

ياهندُ لاتنكِحَي بُوْهَةً عليه عَقيقتُه أحْسَبا

قال وقد يتفق في أصول هذه الأبواب هذا التفاوُت الذي تراه في هذه الأصول الأربعة .

وفي تفسير القرطبي (ج١ ص٤٠٨) : « ويرسل عليها حسباناً » أي مرامِيَ من السماء ، واحدها حُسبَانَة ، قاله الأخفش ، والقُتبي ، وابو عُبيدة ، وقال ابن

الأعرابي : والحُسْبانَةُ سحابة ، والحُسْبانَة الوسادة والحُسْبَانةُ الصاعقـةُ ، وقـال الجوهري : والحُسْبان بالضمّ : العذاب ، وقال ابو زياد الكلابي : أصاب الأرض حُسْبان أي جراد ، والحُسبانُ ايضاً الحِسابُ ، قال الله تعالي : « الشمسُ والقمرُ بحُسْبان » وقد فُسرَ الحُسْبانُ هنا بهذا ، قال الزَجاج : الحُسْبانُ من الحساب ، أي يرسل عليها عذاب الحساب ، وهو حسابُ ما اكتسبت يداك ، فهـو من باب حذف المضاف والحُسبانُ ايضاً سهام ، قصار ، يُرمَي بها في طَلْقٍ واحد ، وكان من رَمْيِ الأكاسرة ، والمَرامْيِ من السماء عذاب .

وقال الامام الطبري في جامع البيان (ج ١٥ ص ١٦٢) : يقول تعالي ذكره مُخبراً عن قيلِ المؤمن الموقنِ للمعادِ الى الله للكافر المرتاب في قيام الساعة إن تَرَني أيها الرجلُ أنا أَقَلَّ مالاً وولداً في الدنيا فعسي ربّي أن يرزقني خيراً من بستانك هذا ، ويرسل عليها ـ يعني علي جَنَّة الكافر التي قال لها : ما أظن أن تَبِيدَ هذه أبداً ـ حُسْبَاناً من السماء يقول : عذاباً من السماء تُرْمَـي به رَمْياً ، وتُقْذَف والحُسْبانُ جمع حُسْبَانةٍ ، وهي المَرامِيْ ، قال : وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل ورَوي في ذلك عن قتادة وابن زيد وابن عباس .

وفي لسان العرب : في أسماء الله تعالي الحَسيبُ ، هو الكافي ، فعيل بمعني مُفْعِل من أحْسَبَني الشيء اذا كفاني . والحَسَب الفَعال الصالح فهو حَسيب ، أنشد ثعلب .

وربَّ حسيبِ الأصل غيرُ حَسيب

أي له آباء يفعلون الخير ، ولايفعله هو ، وفي الحديث : حَسَبُ الرَّجُل خُلُقُه وكرمه ودينه .

والحديث الآخر : حَسَب الرجل نَقَاءُ ثوبَيْه ، أي انه يُوقَّر لذلك حيث هو دليل الثروة والجِدَه . وفي الحديث تُنكح المرأة لمَالها وحَسَبها ومْيسمها ودينها فعليك بذات الدّين تَربت يداك .

قال ابن الأثير : قيل : الحَسَب ههنا الفَعـال الحَسَـن . قال الأزهـري :

والفقهاء يحتاجون الي معرفة الحَسَب، لأنه مّما يُعتبر به مَهْر مثل المرأة اذا عُقد النكاح علي مَهْرٍ فاسدٍ. وقال شَمِر في كتابه المُؤَلَفِ في غريب الحديث: الحَسَب الفعال الحَسَن له ولآبائه، مأخوذ من الحساب، اذا حَسَبوا مناقبهم، وقال المُتَلمِّسُ:

وَمَن كان ذا نَسَب كريم ولم يكن   له حَسَبٌ كان اللئيمَ المُذَمَّما

فَفَرقَ بين الحَسَب والنَسَب، فجعل النَسَب عدد الآباء والامهات الي حيث انتهي، والحَسَبَ الفعالَ، مثل الشجاعة، والجُودِ، وحُسْنِ الخُلُقِ والوفاء، قال الأزهري: وهذا الذي قاله شَمِر صحيح، وانما سُميت مساعي الرجل ومآثر آبائه حَسَباً، لأنهم كانوا اذا تفاخروا عَدَّ المُفاخِرُ منهم مناقبه ومآثر آبائه، وحَسَبها، فالحَسْب: العَدُّ والاحصاء، والحَسَبُ ماعُدَّ، وكذلك العَدُّ مصدر عَدَّ يعُدُّ، والمعدود عَدَدٌ.

وفي حديث عمر قال: حَسَبُ المرء دينه، ومُروءته خُلُقُه، وأصله عقله.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: كرم المرء دينُه، ومُروءته عقله، وحَسَبُه خُلُقه، ورجل شريفٌ، ورجل ماجدٌ: له آباء متقّدمون في الشرَف، ورجل حَسيبٌ، ورجل كريم بنفسه.

قال الأزهري: أراد أن الحَسَب يحصل للرجل بكرم أخلاقه وان لم يكن له نسب، واذا كان حسيب الآباء فهو أكرم له.

وفي حديث وَفْدِ هوازن قال لهم: اختاروا إحدى الطائفتين: إمّا المالَ، وإمّا السَبْي؟ فقالوا: أمّا إذْ خيّرْتَنا بين المال والحَسَب فانّا نختار الحَسَب، فاختاروا ابناءهم ونساءَهم، أرادوا أن فكِاك الأسرْى، وإيثارَه علي استرجاع المال حَسَبٌ وفَعالٌ حَسَنٌ، فهو بالاختيار أجْدَرُ. وقيل: المراد بالحَسَب هنا عَدَد ذوي القرابات، مأخوذ من الحِساب، فالحَسَبَ العَدُّ، والمعدود، والحَسَب والحَسْب قَدْر الشيء كقولك: الأجر بحَسَب ماعملتَ، وبِحَسْبه أي قَدْرِه، وكقولك: علي حَسَب ما أسديت اليّ شكري لك، تقول: أشكرك على حَسَب بلائك عندي أي

على قَدْر ذلك . وأنشد ابن السكيت :

ولـم يكن مَلَكٌ للقـوم يُنزلهم ... الأ صَلاصِلُ لاتُلْوِيَ علي حَسَب

أي يُقْسَم بينهم بالسَوِيّة ، لايُؤْثَرُ به أحد ، وقيل : لاتُلْوي على الكفاية لِعَوَزِ الماء وقلته . وقال الفراء في قوله : « يا أيها النبي حَسْبُك الله ومن اتبعك من المؤمنين » يكفيك الله ويكفي من اتَّبَعَك ، ومثله قال المبَرد ، وقيل فيه قولان ، أحدهما حَسْبُك الله ومن اتبعك من المؤمنين كفاية اذا نصرهم الله ، والثاني : حسبك الله وحَسْبُ من اتبعك من المؤمنين ، أي يكفيكم الله جميعاً . وقال الشاعر :

اذا كانت الهيجاء وأنشقت العصا ... فحسبك والضَحاك سيف مُهند

وقال ابو اسحاقَ في قوله عز وجلَ : « وكفي بالله حسيبا » يكون بمعني محاسباً ، ويكون بمعني كافياً . وقال في قوله تعالي : « إن الله كان على كل شيء حسيباً » أي يعطي كل شيء من العلم ، والحفظ ، والجزاء ، مقدار مايُحْسِبُه أي يكفيه . تقول : حَسْبُك هذا اي اكتفِ بهذا .

وفي حديث عبد الله بن عمرو قال له النبي ﷺ : يُحْسِبُك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، أي يكفيك .

قال ابن الأثير : ولو رُوي بِحَسْبِك أن تصوم أي كفايتك أو كافيك ، كقولهم : بِحَسْبِك قول السوء ، والباء زائدة ، لو روي كذا لكان وجهاً .

والإحساب الإكْفاءُ ، قال الراعي :

خَراخِرُ تُحْسِبُ الصَقَعيَ حتي ... يَظَلُ يَقُرُهُ الراعي سِجَالاَ

وإبل مُحْسِبة ، لها لحم وشحم كثير وأنشد :

ومُحْسِبة قد أخطأ الحقُ غيرها ... تَنَفسَ عنها حَيْنُها فهي كالشَوِيْ

يقول : حَسْبُها من هذا ، قد أخطأ الحقُ غيرها من نظرائها ، ومعناه انه لايُوجِبُ للضيوفِ ولايقوم بحقوقهم الاّ نحن ، يريد : تَنَفُسَ منها حَيْنُهُا قبل الضيف ، ثم نحرناها بَعْدُ للضيف ، والشَوِيُ المَشْوِيُ والكاف زائدة ، وانما أراد

فهي شَوِيٌّ ، أي فريق مَشْوِيٌ أو مُنْشَوٍ وأراد : وطبيخٌ ، فاجتزأ بالشَوِيّ من الطبيخ .

قال ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن قول عروة بن الوَرْد : (ومُحْسِبة) الخ فقال : المُحْسِبةُ بمعنيين ، من الحَسَب وهو الشَرَف ومن الاحساب وهو الكفاية ، أي أنها تُحْسِبُ بَلَبنها أهلها والضيف و (ما) صلة ، والمعني انها نُحرتْ هي وسَلِمَ غيرها .

والحساب الكثير ، وفي التنزيل : « عطاءً حساباً » أي كثيراً كافيا ، وكل من أُرْضي فقد أُحْسِب ، وشيء حساب أي كافٍ ، ويقال : أتاني حساب من الناس أي جماعة كثيرة ، وهي لغة هُذيلٍ ، وقال ساعدة بن جُؤَيَّةَ الهُذَلي :

فلم يَنْتَبِهْ حتي أحاط بظهره حسابٌ وسِرْبٌ كالجراد يَسُومُ

وحَسَب الشيء يحسُبه بالفم حَسْباً وحساباً وحسابة عَدَهُ ، أنشد ابن الاعرابي لمنظور بن مَرْثَدٍ الأسَدىّ :

ياجُمْلُ أُسْقيتِ بلا حسِابه سُقْيا مليكٍ حَسَن الرِّبَابَهْ

قَتَلْتني بالدَلّ والخِلابَهْ

أي أُسقيت بلا حساب ولا هِنْدازٍ ، وأورد الجوهري هذا الرجَزَ (ياجُمْل أسقاكِ) والصواب (أُسقيتِ) وكذلك هو في رَجَزه ، والرِّبابة القيام علي الشيء باصلاحه وتربيته ، ومنه مايقال : رَبَّ فلانٌ النعمةَ يَرُ بهُا رَباً ورِبابةً .

وحَسَبَه أيضا حِسْبةً مثل القِعْدة والرِكْبَة قال النابغة

فَكَملَتْ مئةً فيها حَمامتُها وأسرْعَتْ حِسْبةً في ذلك العَدَدِ

وحَسَبَه حُسباناً : عَدَّهُ ، وحُسْبانُك على الله أي حسابُك قال :

على الله حُسْبَاني إذا النفس أشْرَفتْ علي طَمَعٍ أو خاف شيئاً ضميرُها

وقوله : « والله سريع الحساب » اى حسابه واقع لامحالة .

وكل واقع فهو سريع ، وسرعةُ حساب الله أنه لايشْغَلُه حسابُ واحدٍ عن محاسبة الآخر ، لأنه سبحانه لايَشْغُله سَمْع عن سَمْعٍ ، ولا شأنٌ عن شأنٍ ،

وقوله عز وجل : « كفي بنفسك اليومَ عليك حسيبا » أي كفي بك لنفسك محاسباً . والحُسْبان الحسابُ ، وفي الحديث : أفضلُ العملِ مَنْحُ الرِّغـاب ، لايعلـم حُسْبانَ أجره الاّ الله .

وفي التنـزيل : « الشـمسُ والقمـرُ بحُسبـان » معنـاه بحسـاب ومنـازل لايعدوانها .

وقـال الزجـاج : « بحسبـان » يدل علي عدد الشهُـور والسنـينَ وجميع الأوقات . وقال الأخفش في قوله تعالي : « والشمسَ والقمر حُسْباناً » معنـاه بحساب فحذف الباء وقال المبّرد : حسباناً مصدر ، كما تقول : حَسَبْتُه أحْسُبُه حُسْباناً وحِسْباناً وجعله الأخفش جمَع حِسابٍ ، وقال ابو الهيثم : الحُسْبانُ جَمْعُ حِسابٍ ، وكذلك أحْسِبه ، مثل شهاب وأشْهِبةٍ وشُهْبَانٍ ، وقوله تعالي : « يرزق من يشاء بغير حساب » أي بغير تقتير وتضييق ، كقولك : فلان يُنفق بغـير حساب أي يوسّعُ النَفَقَة ، ولايَحْسُبُها ، وقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم : بغير تقدير علي أحد بالنقصان ، وقال بعضهم : بغير محاسبةٍ أي لايخـاف أن يحاسبه أحد عليه ، وقيل بغير أن حَسِبَ المُعْطَي انه يُعطيه ، أعطاه من حيث لم يَحْتَسِبْ .

قال الأزهري : وأما قوله تعالي : « ويرْزُقْه من حيث لايَحْتَسِبُ » فجائز أن يكون معناه ، من حيث لايقدّره ولايظُنّه كائناً من حَسِبتُ أحْسِبُ أي ظننتُ وجائز ان يكون مأخوذاً من حَسَبْت أحْسُبُ أراد من حيث لم يَحْسُبْ لنفسه رزقاً ولا عَدَّه في حسابه . وقوله أنشده ابن الأعرابي :

(اذا نَدِيتْ أقرابُه لايحُاسِبُ)

يقول : لايُقَتِّرُ عليكَ الجَرْيَ ، ولكنه يأتي بجرى كثير .

والحِسْبَةُ مصدر احتسابك الأجْرَ على الله ، تقول : فعلتُه حِسْبَةً ، واحتَسَب فيه احتساباً ، وهو طلب الأجر ، والاسم الحِسْبَةُ وهي الأجْرُ ، وفي الحديث : من مات له ولد فاحتسبه أي احتسب الاجر بصبره علي مصيبته به ، معناه : اعتد

مصيبته به في جملة بلايا الله التي يُثاب على الصبر عليها . وفي الحديث ايضاً : من صام رمضان إيماناً واحتساباً ، أي طلباً لوجه الله تعالى وثوابه ، والاحتساب من الحَسْب ، كالاعتداد من العَدّ ، وانما قيل لمن ينوي بعمله وجْهَ الله : احتَسَبه لأن له حينئذٍ أن يَعْتَدَّ عمله ، فجُعل في حال مباشرة الفعل كأنه معتدّ به ، والحِسْبَةُ اسم من الاحتسابِ كالعِدَّة من الاعتداد ، والاحتساب في الاعمال الصالحات وعند المكروهات هو البدارُ الي طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر ، أو باستعمال انواع البر والقيام بها علي الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجّو منها . وفي حديث عمر : أيها الناس احتسبوا أعمالكم فان من احتسب عملَه كُتب له أجرُ عملهِ وأجرُ حِسْبَتهِ .

وقُرىء قوله تعالي : « لاتَحْسَبَنَّ » بفتح السين وكسرها على لغتين ، وقوله : « أم حَسِبت أن أصحاب الكهف » الخطاب للنبي ﷺ والمرادُ الأمة . وروى الأزهري عن جابر بن عبد الله ان النبي ﷺ قرأ : « يحْسِبُ أن مالَه أخْلَدَهْ »

والحُسبان العذاب والبلاء ، وفي حديث يحيي بن يَعْمُر : كان اذا هبّت الريح يقول عليه السلام : « لاتجعلها حُسْباناً » أي عذاباً وقوله تعالي : « أو يُرسل عليها حُسباناً من السماء » يعني ناراً والحُسبان ايضاً الجرادُ والعَجَاجُ ، قال ابو زياد : الحُسْبان شر وبلاء ، والحُسبانُ سِهامُ صغارٌ يُرْمَي بها عن القِسِيّ الفارسية واحدتها حُسبانة قال ابن دريد : هو مُوَلّد ، وقال ابن شُميل :

الحُسْبَانُ سهامٌ يرمي بها الرجل في جوف قَصَبةٍ ، ينْزِعُ في القوس ثم يَرْمي بعشرين منها ، فلا تمرُّ بشيء الاّ عَقَرتْه من صاحب سلاحٍ وغيره ، فاذا نزع في القَصَبةِ خرجت الحُسْبانُ كأنها غَبْيةُ مَطَر فتفرقت في الناس ، واحدتها حُسْبَانة ، وقال ثعلب : الحُسْبانُ المرامي ، وإحدتها حُسْبانة ، والمرامي مثلُ المَسَالّ دقيقة فيها شيء من طولٍ ، لا حروف لها ، والقِدْحُ بالحديدة مِرْماةٌ ، وبالمرامي فُسرَ قوله تعالي : « أو يرسِلَ عليها حُسْباناً من السماء » .

والحُسْبانة الصاعقة ، والحُسْبانة السحابة . وقال الزجّاج : « أو يُرسِلَ عليها

حُسباناً » الحُسبان في اللغة الحِسابُ قال تعالى : « الشمسُ والقمرُ بحُسبان » أي بحساب . فالمعني في هذه الآية أن يُرسِلَ عليها عذابَ حُسْبانٍ ، وذلك الحُسبانُ حِسابُ ماكسبتْ يداك . قال الأزهري : وهذا تفسير بعيد والقول ما تقدّم والمعني والله أعلم أن الله يرسلُ علي جَنَة الكافر مرامي من عذاب النار إمّا بَرَداً وإمّا حجارةً ، أو غيرها ممّا شاء ، فيُهلكُها ويُبطلُ غَلتها وأصلَها .

وفي حديث طلحة : هذا ما اشترى طلحة من فلانٍ فَتَاهُ بخمسمئة درهم بالحَسَب والطِّيب ، أي بالكرامة من المشتري والبائع والرغبة وطيْب النفس منهما ، وهو من حَسَبْته أذا أكرمته ، وقيل : من الحُسْبانة وهي الوِسادة الصغيرة .

وفي حديث سِماكٍ قال شُعَبة : سمعتُه يقول : ما حَسَّبُوا ضيفهم شيئاً أي ما أكرموه .

والأحْسَب من الناس في شَعْر رأسه شُقْرةٌ قال امرؤ القيس :

أيَا هِنْـدُ لاتنْكحـي بُوهَةً عليه عقيقتُـه أحْسَبا

يصفه باللؤم والشُحَ يقول : كأنه لم تُحْلق عقيقتُه في صغره حتي شاخ ، والبُوهَةُ البُومَةُ العظيمة ، تضرب مثلاً للرجل الذي لا خير فيه ، وعقيقتُه شَعُره الذي يولد به ، يقول : لاتتزَوجي من هذه صفتُه ، وقيل : هو من الابل الذي فيه سواد وبياض ، والاسم الحُسْبَة تقول منه : أحْسَبَ البعيرُ إحساباً ، والأحْسَبُ الأبرص .

وتَحَسَّب الخَبَر : استَخْبر عنه ، حجازية ، قال قال ابـو سِدْرةَ الأسـديُّ ، ويقال : إنه هُجَيْميَ ، ويقال : إنه لرجل من بني الهُجَيْم :

تَحَسَّـبَ هَوَّاسٌ وأيقَـنَ أنني بهـا مُفْتَـدٍ من واحـدٍ لا أُغامُرهْ
فقلـت له : فاهـا لِفيكْ فانها قلوص آمرىء قاريْك ما أنت حاذُرهْ

يقول : تَشَمَّم هَوَّاسُ وهو الأسدُ ناقتي وظنَّ أني أتركها له ولا أقاتلُه ، ومعني لا أغامُرهُ أي لا أخالطُه بالسيف ، ومعني (من واحدٍ) أي من حَذَر واحدٍ والهاء في (فاها) تعود علي الداهية ، أي ألزَم الله فاها لِفيْك ، وقوله : (قاريك ما انت

حاذرُه) أي لا قري لك عندي الاّ السيف .

وفي حديث الأذان : أنهم كانوا يجتمعون فَيتحسَّبُون الصلاة فيجيئون بلا داع أي يتعرفون ويتطلبون وقتها ويتوقعونه فيأتون المسجد قبل ان يسمعوا الأذان والمشهور في الرواية يَتحيّنون أي يطلبون حِينَها . وفي حديث بعض الغزوات أنهم كانوا يتحسبون الأخبار أي يتطلبونها

وفي أساس البلاغة للزمخشري : حَسَبَ المالَ ، ودَفَعَ العاملُ حسابه وحُسْبانَه ، ومَنْ يَقْدِرُ علي عَدّ الرَّمْل ، وحَسْبُ الحَصَي ، وهو من الكَتَبة الحَسَبَة ، والأجْرُ علي حَسَب المصُيبة أي علي قَدْرها ، وفلان لا حَسَب له ، ولانَسَب ، وهو مايَحْسُبُه ويَعُدُّه من مفاخر آبائه ، وألْقِ هذا في الحَسَب أي فيا حَسَبْتَ ، وهو حسيب نسيب ، وهم حُسَباء ، وفلان لايُحتسب به أي لايُعتد به ، وأحْتَسَبْتُ عليه بالمال ، واحتسب عند الله خيراً اذا قَدَّمَه ، ومعناه أعْتَدَّه ، فيا يُدَّخَرُ واحْتَسَبَ ولده ، اذا مات كبيراً ، وافْتَرَطَهُ اذا مات صغيراً قبل البلوغ واحتسبتُ بكذا : اكتفيتُ به ، وأحْسَبَني كفاني ، وحَسْبي كذا ، وبحسبي ، وفلان حَسَنُ الحِسْبَةِ في الأمور أي الكفاية والتدبير وفَعَل كذا حِسْبَةً أي احتساباً ، وله فيه حِسْبَةٌ وحِسَبٌ قال الكُميت :

الى مَزُورِينَ في زيارتهم نِيلَ التُّقى واَسْتُتِمَّت الحِسَبُ

ومن المجاز : خرجا يَتَحَسَّبَان الأخبار : يتعَرفانها ، كما يوضع الظنُ موضعَ العِلْم . واحتسبتُ ماعند فلان ، اختبرتُه وسَبَرْتُه ، قال :

تقول نِساءٌ يَحْتَسِبْن مودّتى لِيَعلمنَ ماأُخْفِى ويَعلمن ما أُبْدِى

وفى بعضْ الحديثُ : « عند الله أحتسبُ عَنائى » وأتانى حِسابٌ من الناس ، أى كثير ، كما تقول : جاءنى عَدَدٌ منهم وعديد ، قال ساعدةُ بن جُوَيَّةَ الهُذَلىّ :

فلم يَنْتَبِهْ حتى أحاط بظهره حِسابٌ وسِرْبٌ كالجَراد يَسُومُ

واستعطانى فلان فأحْسَبْتُه أى أكثرتُ له .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « وعَنَتِ الوُجوهُ للحيّ القيوم وقد خاب من حَمَلَ ظُلما » ؟

قال : « عَنَتْ » استسلمتْ وخَضعتْ قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر يقول :

لِيَبْكِ عليك كلُّ عَانٍ بِكُربةٍ وآلُ قصَيٍّ من مُقِلٍّ وذي وَفرِ

قال أبوتراب : فى تنوير المقباس للفيروزابادى (ص ١٩٨) رَوىٰ عن ابن عباس فى تفسيره : « وعنت للوجوه » نَصِبَتْ الوجوهُ فى الدنيا بالسجود ، ويقال : خضعتِ الوجوهُ وذَلَّتْ يوم القيامة .

وفى معانى الفراء ج ٢ ص ١٩٢ « وعنت الوجوه » يقال : نَصِبتْ وعملتْ وذكر ايضا أنه وضعْ المسلم يديه وجبهته وركبتيه اذا سجد وركع ، وهو فى معنى العربية ان يقول الرجل : عنوت لك : خضعت لك وأطعتك ، ويقال : الأرض لم تَعْنُ بشيء ، أى لم تُنبت شيئا ، ويقال : لم تَعْنِ بشيء والمعنى واحد ، كما قيل : حثوت عليه التراب وحثيت ، والعَنْوة فى قول العرب : أخذت هذا الشيء عنوةً ، يكون غلبةً ، ويكون عن تسليم وطاعة ممن يؤخذ منه الشيء قال الشاعر : (قال ابو تراب : هو كثير)

فما أخذوها عنوةً عن مودة ولكن بضرب المشرفى استقالها

فهذا اعلى معنى الطاعة والتسليم بلا قتال .

وفى مجاز أبى عبيدة (ج ٢ ص ٣٠) : فهيْ تعنو عُنُوًّا أىْ استَأسَرَتْ فهى عَوانٍ لربهَا ، واحدها عانٍ ، بمنزلةِ الأسيرِ العانى لأسرِه ، أىْ ذليلٍ ، ومنه قولهم : النساء عَوانٍ عند أزواجهنّ .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٢٨٢) : « وعَنَتِ الوجوه » أى ذَلَّتْ ، وأصلُه من عَنَيْتُه أى حَبَسْتُه ، ومنه قيل للأسير عانٍ

قال أبو تراب : وفى ضبط نص ابن قتيبة خطأ فقد ضُبِطَ : (عَنِيْتُه) والفعل عَنِيَ يَعْنَى لازم ، أى نَشَب فى الأسرْ ، وأماّ عَنَيْتُ فلانا فهو بمعنى حَبَستُ

متعَدٍ ، ولعلَ الخطأ من التطبيع فان محقّقه السيد أحمد صقر أجَلُّ من أن يقعَ فى مثل هذا ، ولا نُعفى من التَبِعة محمد سيد كيلانى فيما عمله فى مفردات الراغب ، فانه عُنى بضبطه وتحقيقه واثبت هذا على طُرَّة الكتاب ، فالخطأ فيه هو المسؤولُ عنه ، وقد تعقبنا الراغب على جلالته ، فقد ذكر فى العَنَتِ هذه الآية : « وعَنَتِ الوجوه » وكلُّ صَرْفىّ يعرف ان التاء فى العَنَتِ أصليةٌ ، وفى (عَنَتْ) مزيدة للضمير فهذا من العُنُوِ ، وجَلَّ من لا يسهو ، ثم ذكر الراغب الآية ذاتها فى مادّتها الواوّية ، فقال فى معناها : أى خَضعَتْ مُسْتَأْسِرَةً بِعَناءٍ ، يقال : عَنَّيْتُه بكذا أى أنْصَبْتُه ، وعَنِيَ نَصِبَ و استأسَرَ ، ومنه العانى للأسير ، وقال عليه الصلاة والسلام : استوصوا بالنساء خيراً فانهن عندكم عَوانٍ ، وعُنِى بحاجته فهو مَعْنِىٌّ بها ، وقيل : عُنِى فهو عَانٍ ، وقُرِئَ : « لكل آمرىء منهم يومئذ شأنٌ يُعْنِيْهِ » والعَنِيَّةُ شيء يُطْلَى به البعير الأجْرَبُ ، وفى الأمثال : « عَنِيَّةٌ تَشْفِى الجَرَبْ » ، والمعنى إظهارُ ما تَضَمَّنَه اللفظ ، من قولهم : عَنَتِ الأرض بالنَباتِ أنْبَتَتْه حَسَناً ، وعَنَتِ القِرْبَةُ أظهرتْ ماءَها ، ومنه عِنْوانُ الكتاب فى قول من يجعله من عُنِيَ ، والمَعْنَى يُقارِنُ التفسيرَ وإن كان بينهما فرقٌ .

وفى غريب السجستانى (ص ١٥٩) : « وعَنَتِ الوجوه للحىِّ القيوم » أى آسْتأْسَرَتْ ، وذَلَّتْ وخَضَعَتْ .

وفى تفسير ابن صُمادح : « وعنت الوجوه » سجدت ، وقيل : هى وضع الوجوه واليدين وأطراف الأقدام على الأرض ، وقيل : آستَأْسَرَتْ واستسلمتْ ، لأن أصل العُنُوِّ الذُلُّ .

وقال ابن فارسٍ فى المقاييس : العين والنون والحرف المعتلّ أصول ثلاثة ، الأول القصد للشىء بانكماش فيه وحرصٍ عليه ، والثانى دالّ ، على الخضوع والذل والثالث : ظهور شيءٍ وبروزهُ .

فالأول منه : عُنيتُ بالأمر وبالحاجة . قال ابن الأعرابى : عَنِى بحاجتى ، وعُنِى - وغيرُه قال ايضاً ذلك ، ويقال فى مثل ذلك : تَعَنَّيْتُ ايضاً ، كلُّ ذلك

يقال ـ عنايةً وعُنِياً ، فأنا مَعْنِيٌّ به ، وعَنٍ به ، قال الأصمعى : لايقال : عَنِى .
قال الفَرّاء : رجل عانٍ بأمرى ، أى مَعْنِيٌّ به ، وأنشد :

عانٍ بقُصواهــا طويــلُ الشُغْلِ له جَفــيرانِ وأىُّ نَبْلِ

ومن الباب : عَنَانِى هذا الأمرُ يَعنينى عنايةً ، وانا مَعْنِيٌّ به ، واعتنيت به ، وبأمره .

والأصل الثَانى : عَنَايَعْنُو ، اذا خضع ، والأسير عانٍ ، قال أبوعمرو : أعْنِ هذا الأسير ، أى دَعْهُ يَيْبَسَ القِدّ عليه .

قال زهير :

ولـولا أن يَنـالَ أبــا طَرِيف إسارٌ من مليــكٍ أو عَنَاءُ

وفى ديوانه : (أثام من مليك أو لحاء) (ص ٧٨) .

قال الخليل : العُنُوُّ والعناء ، مصدرٌ للعانى ، يقال : عانٍ أَقَرَّ بالعُنُوِّ ، وهو الأسير ، والعانى : الخاضع المتذلّل ، قال الله تعالى : « وعَنَتِ الوجوه للحـىِّ القيوم » وهى تَعْنُو عُنُوًّا ، ويقال للأسير : عَنَا يَعْنُو ، قال : (ولا يُقال طَوالَ الدهر عانيها)

وربما قالوا : أعْنُوه ، أى ألْقُوه فى الاسار ، وكانت تلبيةُ أهلِ اليمـن فى الجاهلية هذا :

جاءت اليك عانِيَــهْ عبـادكُ اليمَانِيهْ كيما تَحُجَّ الثَانِيَهْ على قِلاصٍ ناجِيَهْ

ويقولون : العانى العبد ، والعانية الأمة ، قال أبو عمرو : وَأعْنَيْتُه اذا جعلتَه مملوكاً ، وهو عانٍ بيّنُ العَنَاءِ ، والعَنْوَةُ : القَهْرُ ، يقال ، أخذناها عَنْوَةً أى قهراً بالسيف ، ويقال : جئت اليك عانياً ، خاضعا ، ويقولون : العَنْـوَةُ الطاعـة ، قال :

(هل أنتَ مطيعى أيها القلبُ عَنْوَةً)

قال أبو تراب : ومعنى هذا الكلام إن هذا الحرف من الأضداد وسنذكر ذلك فيما يأتى ولم ينبهوا عليه ، والعناءُ معروف ، وهو من هذا ، قال الشيباني : رُبَّتَ

عَنْوَةٍ لك من هذا الأمر ، أى عناء ، قال القَطامىُّ (أنظر الديوان ص ٣٥) :

ونَــأَتْ بحاجتنـــا ورُبَّــتَ عَنْوَةٍ   لك من مواعدها التــى لم تَصْدُقِ

قالوا : وتقول العرب : عَنَوْتُ عند فلانٍ عُنُوًّا ، اذا كنتَ أسـيراً عنـده ، ويقولون فى الدعاء على الأسير : لا فَكَّ الله عُنْوَتَه (بالضم) أى إسارَهُ .

ومن هذا الباب وهو عندنا قياسٌ صحيح : العَنِيَّةُ ، وذلك انها تُعَنَّى كأنَّها تُذِلُّ وتَقْهَرُ وتَشْتَدُّ على من طُلِىَ بها ، والعَنِيَّةُ ، أبوال الابل تَخْثُر ، وذلك اذا وضعت فى الشمس ويقولون : بل العَنِيَّة بولٌ يُعْقَد بالبعر ، قال أَوْسٌ ، (انظر الديوان ص ١٥) :

كأن كُحَيْــلاً مُعْقَــداً أو عنيَّة   على رَجْع ذِفْراها من الليتِ واكفُ

قال أبو عُبيد : من أمثال العرب : « عَنِيَّةٌ تَشْفِى الجرب » يُضرب مثلاً لِمَن يُتداوى بعقله ورأيه كما تُداوى الابل الجْرْبَى بالعَنِيَّة . (وانظر مجمع الأمثـال للميدانى « ج ١ ص ٤٢٥ »)

قال بعضهم : عَنَّيْتُ البعير أى طَلَيْتُه بالعَنِيَة ، وأنشد :

على كلِّ حَرْبـاءٍ رعيــلٌ كأنه   حَمولــةُ طالٍ بالعَنِيَّــةِ مُهمِلِ

والأصل الثالث : عُنْيان الكتاب وعُنوانُه وعِنْيَانهُ ، وتفسيره عندنا أنه البارز منه اذا خُتم ، ومن هذا الباب مَعْنَى الشىء ، ولم يَزِدِ الخليلُ على أن قال : معنى كلِّ شىءٍ مِحْنَتُه وحالُه التى يصير اليها أمره ، قال ابن الأعرابى : يقال : ما أعرف معناهُ ، ومَعْنَاتَه ، والذى يدلُّ عليه قياسُ اللغة أن المعنى هو القصدُ الذى يَبْرُزُ ويَظْهَرُ فى الشىء اذا بُحث عنه ، يقال : هذا معنى الكلام ، ومعنى الشعر ، أى الذى يبرز من مكنون ما تَضَمَّنَه اللفظ والدليل على القياس قولُ العرب : لم تَعْنِ هذه الأرضُ شيئاً ، ولم تَعْنُ ايضاً ، وذلك اذا لم تُنْبِتْ ، فكأنها اذا كانت كذا فانها لم تُفِدُ شيئاً ولم تُبرِز خيراً ، ومما يُصحِحهُ ، قولُ القائل : (هو ذو الرمة كما فى ديوانه ص ٣٠٥)

ولـم يبـق بالخلصـاء مِمّـا عَنَـتْ به   من البَقْــل الآيُبْسُهــا وهجيرُها

ومما يصحَحه ايضاً قولهُم : عَنتِ القِرْبةُ تَعْنُو ، وذلك اذا سال ماؤها ، قال المُتَنَخّلُ (كما فى الهذليين ج٢ ص ٢)

تَعْنُــو بِمَخْــروتٍ له ناضحُ ذو رَيَــقٍ يَغْــذُو وذو شَلْشَل

قال الخليل : عنوان الكتاب يقال منه : عَنَيتُ الكتابَ ، وعَنَنْتُه وعَنْوَنْتُه ، قال : وهو فيما ذكروا ، مشتقّ من المعنى ، وقال غيره : مَنْ جَعَل العُنوانَ من المعنى قال : عَنَّيْتُه بالياء فى الأصل ، وعُنْوانُ تقديره فُعْوالُ ، وقولك : عَنْوَنْتُ فهو فَعْوَلْتُ ، قال الشيبانى : يقال : ماعَنَى من فلانٍ خيرٌ ، وما يَعْنُو من عملك هذا خير عَنْواً .

وقال ابن منظور فى اللسان بعد أن ذكر قول الله تعالى : « وعنت الوجوه للحىّ القيوم » : قال الفرّاء : « عَنَتِ الوجوه » نَصِبَتْ له وعَمِلَتْ له ، وذَكر ايضاً أنه وَضْع المُسلم يَديْه وجبهتَه وركبتَيْه اذا سجد وركع ، وهو فى معنى العربية ، أن تقول للرجل : عَنَوْتُ لك : خضعتُ لك وأطعتُك وعنوتُ للحق عُنُوًّا ، خضعت (كما تقدم) .

قال ابن سِيْدَهْ : وقيل : كل خاضع لحَقٍ أو غيرِه عانٍ ، والأسم من كل ذلك ، العَنْوةُ ، والعَنْوةُ القهر ، وأخذته عنوةً أى قَسراً او قهراً وفى حديث الفتح : انه دخل مكة عَنْوَةً أى قهراً وغَلَبةً .

قال ابن الأثر : هو من عَنَا يَعْنُو اذا ذلّ وخَضَع ، والعَنْوَة المَرَّةُ منه ، كأن المأخوذ بها يخضع ويَذلُّ ، وأُخذت البـلاد عَنـوةً بالقهـر والاذلال ، قال ابـن الأعرابى : عَنَا يَعْنُو اذا أخذ الشيء قهراً وعَنَا يعنو عَنْوةً فيها اذا أخذ الشيء صُلْحاً بإكرام ورفق ، والعنوة ايضا ، المودّة .

قال الأزهرى : قولهم : أخذتُ الشيء عَنْوَةً يكون غَلَبةً ، ويكون عن تسليم وطاعة ممن يؤخذُ منه شيء ، وأنشد الفَرَّاء لكثَيِّرٌ ،

فما أخذوهــا عَنــوةً عن مودة ولــكنَّ ضَرْبَ المَشْرفىَ آسْتَقَالَهَا

فهذا على معنى التسليم والطاعة بلا قتال ، وقال الأخفش فى قوله تعالى :

« وعَنَت الوجوه » استأسَرَتْ ، قال : والعانى الأسير وقال أبوالهَيْثم : العانى الخاضع ، والعانى العبد ، والعانى السائل من ماءٍ أو دَمٍ ، يقال : عَنَتِ القِرْبَةُ تَعْنُو اذا سال ماؤها .

وفى المُحكَمِ لابن سِيدَهْ : عَنَتِ القِرْبَةُ بماءٍ كثير تعنو ، لم تحفظهُ ، قال المُتَنَخِّلُ الهذَلى :

تَعْنُـو بمخـروتٍ له ناضحٌ ذو رَيِّقٍ يَغْـذوو ذو شَلْشَلٍ

قال شَمِرُ : تعنو تسيل ، بمخروتٍ ، أى من شِقّ مخروتٍ ، والَخرْتُ الشَقُّ فى الشَنَّةِ ، والمخروت المشقوق ، رَوَّاهُ ذو شَلْشَلٍ ، قال الأزهرى : معناه ذو قَطِرانٍ من الواشنِ وهو القاطِر ، ويُروى (قاطِرٌ) بدل (ناضح) ، و(ذورونق) بدل (ريِّقٍ) ويقال : دَمٌ عانٍ ، سائلٌ ، قال .

لَمَّا رأتْ أمُّـه بالبـاب مُهْرَتَه على يَدَيْهـا دَمٌ من رأسـه عانِ

وفى حديث المِقْدام : الخالُ وارثُ من لاوارث له ، يَفُكُّ عَانَهُ ، أىْ عانِيَهُ فَحذَفَ الياء ، وفى رواية ، يفك عُنِيَّهُ (بضمّ العين وتشديد الياء) ومعنى الأسرْ فى هذا الحديث مايَلزمهُ ويتعلقُ به بسبب الجنايات التى سبيلُها أن يَتَحَمَّلَها العاقِلَةُ ، هذا عند من يُورِّثُ الخال ، ومن لايُورِّثُه يكون معناه أنها طُعمةٌ يُطْعَمُها الخالُ لا أن يكون وارثاً ، وفى الحديث : عودوا المرضى وفُكُّوا العَانى ، يعنى الأسير ، وفى آخر : أطعموا الجائع وفُكُّوا العانىِ ، قال الأزهرى : ولا أراه مأخوذاً الا من الذُلّ والخضوع وكلُّ مَنْ ذَلَّ واستكان وخضع فقد عَنَا والتَعْنِيَةُ الحبْس ، قال أبو ذؤيب :

مُشَعْشَعـةً من أذْرِعـاتٍ هَوَتْ بها ركابٌ وعَنَّتْهـا الزقـاقُ وقارُها

وقال ساعدة بن جُؤَيَّةَ :

فإنْ يك عتّـابُ أصـاب بسهمه حَشَـاه فعَنَـاهُ الجَـوى والمَحارِفُ

دعا عليه بالحَبْسِ والثِقَل بالجراح ، وفى حديث علىّ أنـه كان يحرض أصحابه يومَ صِفِّينَ ويقول : استشعروا الخَشيةَ وعَنُّوا بالأصوات ، أى احبسوها

وأخفوها ، من التَعْنِيَةِ ، الحَبْسِ والأسر ، كأنه نهاهم عن اللَّغَطِ ورفع الأصوات ، وفى حديث الشعبى : لأنْ أتعنَّى بِعَنِيَة أحبُ الى من أن أقول فى مسألة برأى ، والعَنِيّة هنا بولٌ فيه أخلاط تُطْلَىَ به الابل الجُرْبَى ، والتَعَنّى ، التَطَلِّىَ بها ، قال الشاعر :

عنـدى دواءُ الأجـرب المُعَبَّد عَنِيَّـةٌ من قَطِـرانٍ مُعْقَدِ

وقال ذو الرُمَّة :

كأن بِذِفْراهـا عَنِيَّـة مُجْرِبٍ لهـا وشَـلٌ فى قُنفُـذِ اللّيـتِ يَنْتَحُ

والقُنفُذُ مايَعْرَقُ خَلْفَ أُذُنِ البعير ، قال ابن الأعرابى : وأَعْنَاءُ الوجه جوانبه وانشد .

فما بَرِحَـتْ تَقْرِيْـهِ أعنَـاءَ وجهها وجبهتهـا حتـى ثَنَتْـه قُرونها

والأَعْنَاءُ النواحى ، واحدها عَناً وهى الأَعْنانُ ايضاً قال ابن مُقْبل :

لا تُحْـرِزُ المرءَ أعنـاءُ البـلاد ولا تُبْنَـى له فى السمـواتِ السَلالِيمُ

ويروى (أحْجَاءُ البلاد)

وأعْنَى الغيثُ النباتَ ، أخرجه ، قال عدىُ بنُ زيد :

ويأكلن ما أعْنَى الوَلىُّ فلـم يَلِتْ كأن بحافـاتِ النِهـاءِ المزارعا

قال أبوتراب :

فلم يَلِتْ ، أى فلم ينقص ، والولىُّ ، المطر ، والنِهاء ، جمْع نَهْىٍ ، وهـو الغدير ، وعنوتُ الشيء ، أخرجتهُ قال ذو الرُمَّة :

ولـم يَبْـقَ بالخَلْصَـاء مما عَنَـتْ به من الرُطْـب الا يُبْسُهـا وهجيرها

والهموم تعانى فلاناً أى تأتيه ، وأنشد ابن الأعرابى

واذا تُعانينـى الهمـوم قَرَيْتُها سُرُحَ اليديـن تخُـالس الخَطَرانَا

وعَنَا عليه الأمر شَق قال مُزَرِدُ :

وشَـقَّ على امـرىء وعَنَـا عليه تكاليف الـذى لن يَستطيعا

وأعْنَيْتُه وعَنَيْتُه بمعنى واحد ، وأنشد ابن الأعرابى :

ولم أَحْـلُ فى قَفـرٍ ولـم أُوفِ مَرْبَأً   يفاعـاً ولـم أُغـنِ المَطِـىَّ النَواجِيا

وكلُّ حَبْسٍ طويلٍ ، تَغْنِيَةٌ ، ومنه قول الوليد بن عُقْبَةَ :

قطعْــت الدهَــر كالسَــدِمِ المُعَنَّى   تُهَــدِّر فى دمشــقَ ومــا تَرِيْمُ

قال الجوهرى : وقيل : إن المُعَنَّى فى هذا البيت ، فحلٌ لئيم اذا هاج حُبِس فى العُنَّة ، لأنه يُرغب عن فِحْلَتِهِ ، ويقال : أصلُه مُعَنَّنٌ فأبدلـتْ من إحـدى النوناتِ ياءٌ .

وقوله تعالى : لكل امرىء يومئذ شأن يُغْنيه » قرىء ايضا « يَعْنيه » ، فمن قرأ بالعين المهملة فمعناه له شأن لايهُمُّه معه غيرُه ، كذلك « شأنٌ يُغنيه » ، أى لايقدر مع الأهتمام به على الاهتمام بغيره ،

قال ابن بَرّى : اذا قلتَ عُنيتُ بحاجتك فعدّيته بالياء كان الفعل مضمومَ الأول ، فاذا عَدَّيْتَه بفى فالوَجه فَتْحُ العين ، فتقول : عَنِيْتُ ، قال الشاعر :

إذا لم تكن فى حاجــةِ المرء عانياً   نسيت ولـم يَنْفَعـكَ عَقْــدُ الرَّتَائِمِ

وقال البَطْلَيَوْسِىُّ : أجاز ابن الأعرابى عَنِيْتُ بالشىء أعْنَى به فانا عانٍ وفى الحديث عن عائشة أن النبَّى ﷺ كان اذا اشتكى أتاه جبريل فقال : بـاسم الله أرْقيك من كلّ داء يَعْنِيْك ، من شرِ كلّ حاسِدٍ ومن شرِ كلِ عينٍ ، قولُه يَعْنِيكْ ، أى يشغلك ، ويقال هذا الأمر لايَعنينى وأنشد

عنانـــى عنـــك والأنصـــابِ حربُ   كأن صُلاتَهـــا الأبطـــالَ هِيْمُ

أراد شَغَلنى ، وقال آخر :

لاتلمْنـــى على البـــكاء خليلى   إنَـــه ماعَنَـــاكَ قِدْمـــاً عَنَانِى

وقال آخر :

إن الفتـــى ليس يَعنيـــهِ ويقمعُه   الا تَكَلُّفُـــه ماليس يَعْنِيْه

أى لايَشَغُله ، وقيـل : معنـى قول جبريـل : من كل داء يَعنيـك ، أى يَقصِدُك ، وقال ابو عمرو فى قول الجَعدى : (وأعضاد المطـى عوانـى) أى عوامل ، وقال السيرافى : أى قواصدُ فى السَيْرْ ، ويقال : عَنِيْتُ فى الأمـر أى

تَعَنَّيْتُ فيه ، فأنا أَعْنَى ، وأنا عَنٍ ، فاذا سألتَ قلتَ : كيف من تُعْنَى بأمره ؟ مَضْمومٌ ، لأن الأمر عَنَاهُ ، ولا يقال : كيف مَنْ تَعْنَى بأمره . ويقال عاناه وتَعَنَّاه قال :

فقلت لها الحاجاتُ يَطْرَحْنَ بالفتى   وهَمَّ تَعَنَّاه مُعَنًّى ركائبُهْ

والمعاناةُ المداراة ، قال الأخطل :

فانْ أك قد عانيتُ قومى وهبْتُهم   فهَلْهِلْ وأوِّلْ عن نُعيم بن أخْتَمَا

هَلْهِلْ أى تَأَنَّ وانتظر ، وفى حديث عقبَة بن عامر فى الرمى بالسهام « لولا كلام سمعتهُ من رسول الله ﷺ لم أُعَانِهِ » ، معاناةُ الشيء ملابسته ومباشرتُه ، وعَنَى الأمرُ يَعْنِى واعتنى ، نزل قال رُؤْبَةُ :

إنــى وقــد تَعنِــى أمــورُ تَعْتَنِى   على طريــق العُــذرِ إن عذرتَنى

وتَعنّى العَناءَ تَجشَّمَه ، وعَنَاه هو وأَعْنَاهُ ، قال أُمَيَّةُ :

وإنــى بليلَى والديــار التــى أرى   لَكَالْمُبْتَلَى الْمُعْنَــى بشــوق مُوَكَّلِ

وقوله أنشده ابنُ الأعرابى (عَنْسًا تُعَنِّيها وعَنْسًا ترحلُ) فسرّه فقــال : تُعنّيها تَحْرُثُها وتُسقطها ، وعناءُ عانٍ ومُعَنّ ، قال تميمُ بن مُقْبل :

تَحَمَّلْنَ من جَبَّــانَ بعــد إقامةٍ   وبعــد عَنَــاءٍ من فؤادِك عَانِ

وقال الأعشى :

لَعَمْــرُكَ ماطُــولُ هذا الزَمَنْ   على المرء الأعَنَــاءُ مُعَنّ

ورَوَى الأزهرى عن ثعلب : قال : المعنى والتفسير والتأويل واحد ، وقال الأخفش عَنَوْتُ الكتاب ، وأَعْنُهُ ، وأنشد يونس :

فَطِــنِ الكتــابَ اذا أردتَ جوابَه   وأعْــنُ الكتــابَ لكى يُسَرَّ ويُكْتَمَا

وقال ابنُ سِيْدَهْ : وفى جبهتـه عنـوانٌ من كثـرة سجـود أى اثـر حكاه اللِحْيَانىِ ، وأنشد :

وأشْمَــطَ عنــوانٌ به من سجوده   كَرُكْبَةِ عَنْزٍ من عُنوزِ بنى نَصرِ

وقال الفرزدق :

غلبتُــكِ بالمُفَقّــىءِ والمُعَنّى وبيــتِ المُحتَبِــى والخافقاتِ

قال ابن سِيْدَهْ :

يقول : غلبتك بأربع قصائدَ منها المُفقّىءُ ، وهو بيتُه :

فلستَ ولـو فَقّـأْتَ عَيْنَــكَ واجداً أبـاً لك إنْ عُدَّ المَساعــى كدارمِ

وأراد بالمُعَنّى قولَه : (تَعَنّى) فى بيته :

تَعَنَّــى ياجريــرُ لغــير شىءٍ وقــد ذهَــب القصائــدُ للرُواةِ

فكيفَ تَرُدُّ ما بعُمانَ منها ومــا بِجبــالِ مِصرَ مُشَهَّراتِ ؟

قال الجوهرى ومنها قوله :

فانــك إذْ تَسْعــى لِتُــدرك دارماً لأنــت المُعَنّــى ياجريــر المُكَلّف

وأراد بالمُحْتَبِى قولَهَ :

بيتــاً زُرارةُ مُحْتَــبٍ بِفِنِائهِ ومُجاشِــعٌ وابــو الفــوارس نَهْشَلُ

لايَحْتَبــى بِفِنِــاء بيتِــكَ مِثلُهم أبــداً اذا عُدَّ الفَعــال الأفضلُ

وأراد بالخافقات قوله :

وأيــن يُقَضِى المالــكانِ أمورهَا بحـقٍ وأيـن الخافقــاتُ اللوامعُ ؟

أخذنــا بآفــاق السماء عليكمو لنــا قمراهــا والنجــوم الطوالعُ

قال أبو تراب : العَنوة حرفٌ من الأضداد لم يُنَبِّه عليه أصحاب المعاجم وانما ذكر مَعْنَيَيهْ ابن فارس وذكره ابو الطيِّب الحلبى فى كتابه (ص ٤٩١) قال : ومن الأضداد العَنْوة يقال : أخذته عَنوةً أى قهراً وغَصْباً ، قال ابو حاتم وأهل الحجاز يقولون : العنوة الطاعة ، أخذْتُه عنــوةً أى طاعــةً ، وانشـد ابوحاتـم وقُطرب :

هل أنت مطيعى أيها القلـب عَنوةً ولم تُلْـحَ نفسٌ لم تُلِـمْ فى اَختيالِها

لم تُلِمّ ، أى لم تأتِ ماتُلام عليه ، يقال : ألاَمَ الرجُل يُلِيم اذا أتَى ما يُلام عليه ، وأنشد ابوحاتم لِكُثيرِ :

تَجَنّبْــتَ ليلى عَنْــوةً أن تزورهَا وأنــت اَمــرؤ فى أهــل وُدّكِ تاركُ

(عَنوةً) أى طائعاً ، و(تاركُ) معناه : مُبقٍ ، من قولك أبقيتُ عليك ، ولا أبقى الله عليه إن أبْقَى ، وفى القرآن : « وتركنا عليه فى الآخرين » قال قُطْرب : واما قوله : « وعَنتِ الوجوه للحَى القيومُ » فمعناه ذَلَّتْ ، ويقال : ماعَنَتِ الأرضُ بشىء ، وما أعْنَتْ شيئاً أى ماأخرجتْ ولا أنْبَتَتْ ، ولم يَعْنُ زيد بشىء أى لم يَنْطقْ .

وذكر السجستانى فى كتابه (ص ١٢٦) : ان العَنْوَةَ القهر ، وأهل الحجاز يقولون : الطاعة : يقال : أخذته عنوة أى قهراً ، وقال أهل الحجاز طاعةً ، وذكر البيتين المذكورين آنفاً .

وقال ابن الأنبارى فى كتابه (ص ٦٥) : وعَنْوةٌ من الأضداد يقال : أخذ الشىءَ عنوةٌ اذا أخذه غَصْباً وغلبةً ، وأخذه عنوةً اذا أخذه بمحبةٍ ورِضًى من المأخوذ منه ، أخبرنا بهذا ابو العباس وأنشدنا قولَ كُثيِّرَ :

فما أخذوهــا عَنــوةً عن مودةٍ ولــكن بحِــدِ المَشْرَفىِّ استقالها

وذكر قوله : (هل أنت مطيعى أيها القلب عنوةً) المارَّ آنفاً وقال الله عز وجل : « وعَنَتِ الوجوه للحىّ القيوم » فمعناه خَضَعَتْ وذَلَّتْ . وقال المفسرّون : هو وضع المسلم يديه وركبتيه وجبهتَه على الأرض ، ويقال : قد عنوتُ لفلانٍ اذا خضعت له ، ويقال : الأرضُ لم تَعْنُ بِنباتٍ أى لم تُظْهِر النَباتَ ، قال أُمَيَّةُ بن ابى الصَّلْت :

ملك على عرشَ السماء مُهيمنُ تَعْنُــو لعزّتــه الوجــوُه وتسجد

وقال أُمَية ايضاً :

الحمــد للّــه الــذى لم يتخذ ولــداً وقــدّر خَلْقَــه تقديرا

وعَنَــا له وجهــى وخلقــى كلُّه فى الخاشعــين لوجهــه مشكورا

ويقال للأسير عانٍ لخضوعهِ وذُلّهِ . وجاء فى الحديث : اتقوا الله فى النساء فإنهن عندكم عَوانٍ ، أى أسراء .

قال أبوتراب : ولكون العنوة مشتركة المعنى بين القهر والطاعة ، نَصَّ الزمخشرى فى أساس البلاغة على كونها فى فتح مكة بمعنى القهر لا الطاعة قال : وفتحت مكة عنوةً اى قهراً ، وهذا من دقة الزمخشرى وإشاراته التى تَنِمُّ على غوصه فى أعماق بحار اللغة وأسرارها حتى لا يَتَأَيَّدَ القول القائل بأنها فُتحت صُلْحا .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : اخبرنى عن قوله تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى فانّ له معيشةً ضَنْكاً » ؟ قال : الضَّنْك ، الضيق الشّديد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول الشاعر :

والخيلُ قد لَحِقَتْ بها فى مأزِقٍ ضَنْكٍ نواحيه شديد المَقْدَمَ

قال ابوتراب : وفى تنوير المقباس للفيروزابادى رَوى عن ابن عباس فى تفسيره لهذه الآية : « فان له معيشةً ضَنْكاً » عذاباً شديداً فى القبر ، ويقال : فى النار .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ٢ ص ٣٢) : « معيشة ضنكا » مجازه ، معيشةٌ ضيقةٌ ، الضنك توصف به الأنثى والمذكر بغير الهاء ، وكلُّ عيش أو منزل أو مكانٍ ضيق فهو ضنك

قال عنترة :

إنَّ المنِيَّةَ لو تُمَثَّلُ مُثِّلتْ مثلى اذا نزلوا بضنك المَنْزلِ

وقال :

إنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرْ وإن يُسْتَلْحَمُوا أَشْدُدْ وإن نزلوا بِضَنْكٍ أَنْزِلِ

وفى غريب ابن قتيبة ، (ص ٢٨٣) : « معيشةً ضَنْكاً » أى ضيقةً .

وفى غريب السجستانى (ص١٤٧) : « ضَنْكاً » أى ضَيِّقاً .

وانظر مثله فى معانى الفراء ج ٢ ص ١٩٤ .

وفى مختصر ابن صُمادح « معيشةً ضَنْكاً » ضيقةً واختُلِف فى أيـن يكون ذلك ، فقيل هو العذاب فى القبر ، وقيل فى الآخرة فى جهنم ، وقيل فى الدنيا ، وهى المعيشة التى أوسع الله على الانسان بالحرام ، وأَصَحُّ ما جاء فيه أنه فى البَرْزَخِ وهو عذاب القبر .

وقال الراغب فى المفردات : « معيشةً ضَنْكاً » أى ضَيِّقاً ، وقد ضَنكَ عيشُه ، وامرأة ضِنَاكٌ مكتنزةٌ والضناك الزكام ، ، والمضنوك المزكوم .

وفى أساس البلاغة للزمخشرى : ضَنُك عيشُة يَضْنُك ضَنْكاً وضَنَكه اللـه يَضنُكه ضَنكاً ، وهو فى ضَنْكٍ من العيش ، وعِيْشَةٌ ضَنْكٌ ، وَصَف بالمصـدر ، ويقال : ان المال الحرامَ ضَنْكٌ وإن كَثُر واتُّسِعَ فيه ، وقال :

لقــد رأيــتُ أبــا ليلى بمنزلةٍ ضَنْكٍ يُخَيرَّ بــين السـيف والأَسَلِ

ورجل مضنوك : مزكوم ، وفى الحديث : دعوه فانه مضنوك ، وقد ضَنِك ، وبه ضُناك ، وامرأة ضِناك : ضَخْمة ، ونساءٌ ضُنُك .

قال القرطبى فى قوله تعالى : « ومن أعـرض عن ذكرى فان له معيشـة ضَنكاً » اى عيشاً ضيقا ، يقال : منزل ضَنك وعيش ضَنكٌ ، يَستوى فيه الواحد والاثنان والمذكر والمؤنث والجمع ، واورد القرطبى بيتى عنتـرة العبسى اللذيـن اسلفنا ذكرهما ثم قال وقرىء « ضَنْكى ، على وزن فَعْلَى ، ومعنى ذلك أن المُعْرض عن الدين مُسَلَّطٌ عليه الشُحَ

الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشُه ضَنْك وحاله مظْلمةٌ وقال عكرمة : « ضَنْكاً » كسباً حراماً ، والصحيح انه عذاب القبر كما قال ابو سعيد الخُدْري وعبد الله بنُ مسعود ، ورواه ابو هريرةَ مرفوعاً ، وقال : يُضَيَّقُ على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، وهو المعيشة الضنك .

وفي مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا أبي الحسين قال : الضـاد والنون والـكاف ، أصـلان صحيحـان ، وإن قَلَّ فروعها ، فالأول الضِيْقُ ، والآخَر مَرَضٌ .

وفي لسان العرب : الضَّنْك الضَّيِق من كل شيء ، الذكر والانثي فيه سواء ، ومعيشة ضَنْك ضَيِقة ، وكلُّ عيشٍ من غير حِلّ ضَنْكٌ وإن كان واسعاً ، وفي التنزيل العزيز : « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشَة ضَنْكاً » أي غير حلالٍ . قال ابو اسحاق : الضَّنْك أصلُه في اللغة الضَّيِقُ والشدّةُ ، ومعناه والله أعلم أن هذه المعيشَة الضَّنكَ في نار جهَنم ، قال : وأكثر ماجاء في التفسير أنه عذابُ القبر . وقال قتادة : « معيشةً ضَنْكاً » جَهَنَّم ، وقال الضّحاك : الكسب الحرام ، وقال الليث في تفسيره : أَكْلُ مالم يكن من حلالٍ فهو ضَنْك ، وإن كان مُوَسَّعاً عليه ، وقد ضَنُك عيشُه والضَّنك ضَيِّق العيش ، وكلُّ ما ضاق فهو ضَنْكٌ ، والضَّنِيكُ العيشُ الضَيِقُ ، والضَّنيك المقطوع .

وقال ابو زيد : يقال للضعيف في بدنه ورأيه ضَنيك ، والضَّنيكُ التابع الذي يعملُ بخُبزِه .

وضَنُك الشيء ضَنْكاً وضَناكةً وضُنوكةً ، ضاقَ ، وضَنُكَ الرجل ضَنَاكَةً فهو ضَنيكٌ : ضَعُف في جسمه ونفسه ورأيه وعقله .

والضُّنْكَةُ والضُناك (بالضمّ) الزُكام ، وقد ضُنِك ، علي صيغة مالم يُسَمَّ فاعلُه فهو مضنوك اذا زُكِمَ ، ويقال : الله أَضْنَكه وأَزْكَمَه ، وفي الحديث : أنه عطس عنده رجل فشَمَّته رجلٌ ، ثم عَطَس فشَمَّتَه ، ثم عطس فأراد أن يشَمّتَه فقال : دَعْهُ فانه مضنوك ، أي مزكوم .

قال ابن الأثير : والقياس أن يقال : فهو مُضْنَك ، ومُزْكَمٌ ، ولكنه جاء علي أُضنِك وأُزْكِمِ .

قال ابو تراب : ذهب الى ان مفعول ما لم يسم فاعله من الثلاثى المزيد فيه يأتى من اللازم ، كما قال علقمة :

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته   إثــر الأحبــة يوم البــين مزكوم

وفي الحديث ايضاً : فانك مضنوك ، وقال العجّاج يصف جاريةً :

فَهْيَ ضِنَاكُ كالكَثيب المنهالْ عَزَّزَ منه وهو مُعْطي الاسهالْ
ضَرْبُ السَّواريْ مَتْنَه بالتَهْتَالْ

الضَنَاك الضَّخمة التي شَبَّهها بالكَثيب يَنْهالُ ، و (عَزَّز منه) أي سَدَّد من الكثيب ، (ضربُ السواري) أي أمطار الليل فلَزِم بعضُه بَعْضاً ، شَبَّه خَلْقها بالكَثيب ، وقد أصابه المطر . وهو مُعْطِي الاسهالَ ، أي يُعطيك سُهولةً ماشئتَ .

والضِنَاكُ المُوثَقُ الخَلْقِ الشديدُ ، يكون ذلك في الناس والابل .

والضِناك المرأة الضخمة ، وقال الليث : الضِناكُ التَّارَّة المكتنزة الصُّلْبَةُ اللحم ، وامرأة ضِناكٌ ثقيلة العجيزة ضَخْمةٌ ، أنشد ثعلب :

وقد أُناغي الرَّشَأَ المُحَبَّا خَوْداً ضِناكاً لاتَمُدُّ العُقَبَا

خَوْداً هنا إمّا بدل ، وإمّا حالٌ ، أراد أنها لاتسير مع الرجال .

وناقة ضِناكُ غليظَة المُؤخَّر ، وكذلك هي من النخل والشجر وفي كتابه ﷺ لوائل بن حُجْرٍ : في التِيْعَة شاةٌ لا مُقَوَّرةُ الألْياطِ ولاضِناكٌ ، الضِناك بالكسر : الكثيرة اللحم ، ويقال للذكر والانثي بغير هاء .

قال ابو تراب : التَيعة الأربعون من الغنم .

قال ابن برى : قال الجوهري : الضَّناك بالفتح المرأة المُكْتَنَزة قال : وصوابه بالكسر .

ورجل ضُنْأكُ علي فُعْلَلٍ مهموز الألف ، وهو الصُلب المعصوب اللحم والمرأة بعينها علي هذا اللفظ ، ضُنْأَكةٌ .

قال ابو تراب : وذكر الزمخشري الضُناك في الفائق في مادة (أب) والمضُنوك في (شَمَ‍ٍ) .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالي : « وأذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالا وعلي كل ضامرٍ يأتين من كل فَجّ عميق » ؟

قال : « فَجٍ » طريقٍ قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت قول الشاعر :

حازوا العِيالَ وسَدُّوا الفِجا ج بأجسادِ عادٍ لها آبداتِ

قال ابو تراب : وفي تنوير المقباس للفيروزآبادي في تفسير ابن عباس روي عنه « من كل فج عميق » طريقٍ وأرضٍ بعيدة .

وفى معانى الفراء ج ٣ ص ١٨٨ : « فجاجاً » طرقا واحدها فج ، وهى الطرق الواسعة .

وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (ج٢ص٤٩) : « فجّ » أي مَسْلكٍ وناحية وفي المجاز ايضاً (ج٢ص٣٧) : « فجاجاً » الفِجاجُ المسالك واحدها فَجّ ، وقال العجّاج لحُميد الأرْقَط : « الفِجاج » وتنازعا أرجوزتين علي الطاء ، فقال له الحُميد : الخِلاط يا أبا الشعثاء فقال له العجّاج : الفِجاجُ أوسع من ذلك يا ابن أخي ، أي لاتَخْلِطْ أرجوزتي بأرجوزتك .

وفي غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٩٢) : « من كل فجّ عميق » أي بعيد غامضٍ

قال ابو تراب : هو تفسير العميق وليس تفسير الفَجّ .

وفي غريب السجستاني (ص١٧١) : أيْ مسلكٍ بعيد غامض .

قال ابو تراب : وهذا يشمل تفسير اللفظتين ،

وقال ابن صمادح في مختصره : « فَجّ » طريق ومكان ومسلك .

وفي مُفْردات الراغب : الفَجُّ شُقّةٌ يكتنفها جبلان ، ويُستعمل في الطريق الواسع ، وجمعه فجاج ، قال : « من كلّ فَجٍ عميقٍ » « فيها فجاجاً سُبُلا » والفَجَج تباعُد الركبتين ، وهو أَفَجُّ من الفَجج ، ومنه حافر مُفَجَّجٌ ، وجُرْحٌ فَجٌ لم يَنْضجْ .

وفى اساس البلاغة : مشى فلانٌ مُفَاجّاً مُفرّجاً بين رجليه وفي أحاجيهم : ماشيء يُفَاجُّ ولايبول ؟ هو المِنْضَدَةُ ، شيء كالسرير له أربع قوائم يضعون عليه نَضَدَهم ، وتَفَاجَّتِ الناقة للحَلْب ، وأنْفَجَّتِ القوس بان وَتَرُها عن كَبِدِها فهي مُنْفَجَّةٌ وفَجَّاءُ ويقال : فَجْواءُ من الفَجْوَةِ ، أو كشجرةٍ قَنْواءَ ، وبِطّيخة فِجَّةٌ ، وبها فَجاجَةٌ وتقول : قطعوا سُبُلاً فِجاجاً ، حتي أتوك حُجَّاجاً .

وقال ابن فارس : الفاء والجيم أصل صحيح يدلُّ علي تَفَتُّحٍ وانفراج من ذلك الفَجُّ : الطريق الواسع ، ويقال : قوس فَجَّاءُ اذا بان وتَرُها عن كَبِدها ، والفَجَج أقبح من الفَحجِ ، ومنه حافر مُفِجُّ أي مُقَبَّبٌ ، واذا كانَ كذا كان في باطنه شبهُ الفجوة .

ومّما شَذَّ عن هذا الأصل ، الفِجُّ الشيء الذي لم يَنْضَجْ مما ينبغي نُضْجُه ، وشَذَّت كلمة واحدة أخري حكاها ابن الأعرابي قال : أَفَجَّ يُفِجّ اذا أسرع ، ومنه رجل فَجْفَاجٌ : كثير الكلام .

وفي لسان العرب لابن منظور : الفَجُّ الطريق الواسع بين جبلين ، وقيل : في جبل ، أو في قُبُل جَبَل ، وهو أوسع من الشِعْب والفَجُّ المَضرِب البعيد ، وقيل : هو الشِعْب الواسع بين الجَبَلَينْ وقال ثعلب : هو ما انخفض من الطُرُق ، وجمعه فجِاجٌ ، وأفِجَّة « الأخيرة نادرة » قال جَنْدل بن المُثَنَّي الحارثى :

(يجَئْنَ من أفِجَّةٍ مَناهجِ)

وقوله تعالي : « من كلّ فجّ عميق » قال ابو الهيثم : الفَجُّ الطريق الواسع في الجبل ، وكلُّ طريق بَعُد فهو فَجٌ .

ويقال : إفْتجَّ فلان افتجاجاً اذا سلك الفِجَاجَ .

وفي حديث الحج : وكلُّ فِجاج مكة مَنْحَرٌ ، هو جَمْعُ فَجَ وهو الطريق الواسع ، ومنه الحديث : أنه قال لعُمَرَ : ما سَلَكْتَ فَجّاً الاّ سَلكَ الشيطان فَجّاً غيره . وفَجُّ الرَوْحَاءِ سلكه النبي ﷺ الي بَدْرٍ ، وعامَ الفتح ، والحجّ .

ووادٍ إفْجِيجٌ : عميق (يمَانِيَةٌ) وبعضهم يجَعل كلَّ وادٍ إفْجِيْجاً ، وربما سُمّي به

الثِّنْيُ في الجبل ، والافجيج الوادي الواسع ، وهو معني الفَجّ . قال ابن شُميل : الفَجُّ كأنه طريق ، قال : ورُبما كان طريقاً بين جَبَلَينْ أو فَأْوَيْن ، وينقاد ذلك يومين أو ثلاثةً اذا كان طريقاً أو غير طريق وإن يكن طريقاً فهو أرِيْضٌ كثير العُشْب والكَلأ ، والفَجُّ في كلام العرب تَفْريجكُ بين الشيئين يقال : فَاجَّ الرجلُ يُفَاجُّ فِجاجاً ومُفَاجَّةً اذا باعد إحدي رجليه من الأخري ليبول ، وأنشد :

لاتَــمْــلأُ الحــوضَ فجــاجُ دونَه   الاّ سِجــالٌ رُذُمٌ يَعْلُونَه

والفَجَجُ في القدمين تباعُدُ مابينهما ، وهو أقبح من الفَحَج ، وقيل : الفَجَج في الانسان تباعد الركبتين ، وفى البهائم تباعدُ العُرقوبين .

فَجَّ فَجَجاً ، وهو أَفَجُّ بَيِّنُ الفَجَج ، وفَجَّ رجلَيه ومابين رجلَيْه يَفُجُّها فَجّاً فتحه وباعد بينهما وفاجَّ كذلك ، قال ابن الأعرابي : الأَفَجُّ والفَنْجَلُ معاً المتباعـد الفخذين ومثلُه الأفْجَى ، وأنشد :

الله أعطــانيك غــيرَ أجْدَلا   ولا أصَــكَّ أو أفَــجَّ فَنْجَلاَ

والقوس بيِّنة الفَجَج قال الشاعر : (لافجَجُ يُري بها ولا فَجَا) .

والفِجاجُ الظليم يبيض واحدةً قال الشاعر : (بيضاءُ مثلُ بيضة الفِجاج) .

وأنشد ابو عبيدة لابي عارم الكلابي في صفة بخيل :

أغْنَى ابنُ عمرو عن بخيل فَجْفَاجْ   ذي هَجْمَــةٍ يُخْلِفُ حاجــاتِ الرِاجْ
شُخْــمُ نواصيهــاً عظــامُ الانتاجْ   ماضَرَّهــا مَسُّ زمــانٍ سحَاجْ

وفي الحديث : كان اذا بال تَفَاجَّ حتي نَأوِيَ له ، التفاجُّ المبالغة في تفريج مابين الرِجْلين ، وهو من الفجّ الطريق ، ومنه حديث أُمّ مَعْبَدٍ فَتَفاجَّتْ عليه ودَرَّتْ واجْتَرتْ ، ومنه حديث عُبادة المازنـي : فركب الفَحْـلَ فتفـاجَّ للبـول ، ومنـه الحديث : حين سئل عن بني عامر ، فقال : جَمَلٌ أزْهَرُ مُتَفاجٌّ ، أراد أنه مُخْصِبٌ في ماءٍ وشجر فهو لايزال يبول لكثرة أكله وشربه .

ورَجُلٌ مُفِجُّ الساقين اذا تباعدتْ إحداهما من الأخري ، وفيما سَبَّ به حَجَل

وفى اساس البلاغة : مشى فلانٌ مُفَاجّاً مُفرّجاً بين رجليه وفي أحاجيهم : ماشيء يُفَاجُ ولايبول ؟ هو المِنْضَدَةُ ، شيء كالسرير له أربع قوائم يضعون عليه نَضَدَهم ، وتَفَاجَّتِ الناقة للحَلْب ، وأنْفَجَّتِ القوس بان وَتَرُها عن كَبِدِها فهي مُنْفَجَّةٌ وفَجَّاءُ ويقال : فَجْواءُ من الفَجْوَةِ ، أو كشجرةٍ قَنْواءَ ، وبِطّيخة فِجَّةٌ ، وبها فَجاجَةٌ وتقول : قطعوا سُبُلاً فِجاجاً ، حتي أتوك حُجَّاجاً .

وقال ابن فارس : الفاء والجيم أصل صحيح يدلُّ علي تَفَتُّحٍ وانفراج من ذلك الفَجُّ : الطريق الواسع ، ويقال : قوس فَجَّاءُ اذا بان وتَرُها عن كَبِدها ، والفَجَج أقبح من الفحجِ ، ومنه حافر مُفِجٌ أي مُقَبَّبٌ ، واذا كانِ كذا كان في باطنه شبهُ الفجوة .

ومّا شَذَّ عن هذا الأصل ، الفِجُّ الشيء الذي لم يَنْضَجْ مما ينبغي نُضْجُه ، وشَذَّت كلمة واحدة أخري حكاها ابن الأعرابي قال : أَفَجَّ يُفِجَّ اذا أسرع ، ومنه رجل فَجْفَاجُ : كثير الكلام .

وفي لسان العرب لابن منظور : الفَجُّ الطريق الواسع بين جبلين ، وقيل : في جبل ، أو في قُبُل جَبَل ، وهو أوسع من الشِعْب والفَجُّ المَضرِب البعيد ، وقيل : هو الشِعْب الواسع بين الجَبَلَينْ وقال ثعلب : هو ما انخفض من الطُرُق ، وجمعه فجِاجُ ، وأَفِجَة « الأخيرة نادرة » قال جَنْدل بن المُثَنَّي الحارثى :

(يجتْنَ من أفِجَّةٍ مَناهجِ)

وقوله تعالي : « من كلّ فجّ عميق » قال ابو الهيثم : الفَجُّ الطريق الواسع في الجبل ، وكلُّ طريق بَعُد فهو فَجٌ .

ويقال : إفْتجَّ فلان افتجاجاً اذا سلك الفِجَاجَ .

وفي حديث الحج : وكلُّ فِجاج مكة مَنْحَرٌ ، هو جَمْعُ فَجٍ وهو الطريق الواسع ، ومنه الحديث : أنه قال لعُمَرَ : ما سَلَكْتَ فَجّاً الاّ سَلكَ الشيطان فَجّاً غيره . وفَجُ الرَوْحَاءِ سلكه النبي ﷺ الي بَدْرٍ ، وعامَ الفتح ، والحجّ .

ووادٍ إفْجِيْجٌ : عميق (يَمانِيَةٌ) وبعضهم يجعل كلَّ وادٍ إفْجِيْجاً ، وربما سُمّي به

الثِّنْىُ في الجبل ، والافجيج الوادي الواسع ، وهو معني الفَجّ . قال ابن شُميل : الفَجُّ كأنه طريق ، قال : ورُبما كان طريقاً بين جَبَلَيْنِ أو قَأْوَيْنِ ، ويَنقاد ذلك يومين أو ثلاثةً اذا كان طريقاً أو غير طريقٍ وإن يكن طريقاً فهو أرِيْضٌ كثير العُشْب والكَلأ . والفَجُّ في كلام العرب تَفْرِيجكُ بين الشيئين يقال : فَاجَّ الرجلُ يُفَاجُّ فِجاجاً ومُفَاجَّةً اذا باعد إحدي رجليه من الأخري ليبول ، وأنشد :

لاَتَـمْـلأُ الحـوضَ فجـاجُ دونَه الاّ سِجـالُ رُذُمٌ يَعْلُونَه

والفَجَجُ في القدمين تباعُدُ مابينهما ، وهو أقبح من الفَحَج ، وقيل : الفَجَج في الانسان تباعد الركبتين ، وفي البهائم تباعدُ العُرقوبين .

فَجَّ فَجَجاً ، وهو أفَجُّ بَيّنُ الفَجَج ، وفَجَّ رجلَيه ومابين رجلَيْه يَفُجُّها فَجّاً فتحه وباعد بينهما وفاجَّ كذلك ، قال ابن الأعرابي : الأَفَجُّ والفَنْجَلُ معاً المتباعـد الفخذين ومثلُه الأفْجَى ، وأنشد :

الله أعطـانيك غـيرَ أجْدَلا ولا أصَـكَّ أو أفَـجَّ فَنْجَلاَ

والقوس بيّنة الفَجَج قال الشاعر : (لافجَجُ يُري بها ولا فَجَا) .

والفِجاجُ الظَليم يبيض واحدةً قال الشاعر : (بيضاءُ مثلُ بيضة الفِجاج) .

وأنشد ابو عبيدة لابي عارم الكلابي في صفة بخيل :

أغْنَى ابنُ عمرو عن بخيل فَجْفَاجْ ذي هَجْمـةٍ يُخْلِفُ حاجـاتِ الراجْ
شُحْـمُ نواصيهـاً عظـامُ الانتاجْ ماضَرَّهـا مَسُّ زمـانٍ سحَاجْ

وفي الحديث : كان اذا بال تَفَاجَّ حتي نَأْوِيَ له ، التفاجُّ المبالغة في تفريج مابين الرِجْلين ، وهو من الفجّ الطريقِ . ومنه حديث أُمَ مَعْبَدٍ فَتَفاجَّتْ عليه ودَرَّتْ واَجْتَرتْ ، ومنه حديث عُبادة المازنـي : فركب الفَحْـلَ فتفـاجَّ للبـول ، ومنـه الحديث : حين سئل عن بني عامر ، فقال : جَمَلٌ أزْهَرُ مُتَفاجٌّ ، أراد أنه مُخْصِبٌ في ماءٍ وشجر فهو لايزال يبول لكثرة أكله وشربه .

ورَجُلٌ مُفِجُّ الساقين اذا تباعدتْ إحداهما من الأخري ، وفيما سَبَّ به حَجَل

وفى اساس البلاغة : مشى فلانٌ مُفَاجاً مُفرّجاً بين رجليه وفي أحاجيهم : ماشيء يُفَاجُ ولايبول ؟ هو المِنْضَدَةُ ، شيء كالسرير له أربع قوائم يضعون عليه نَضَدَهم ، وتَفَاجَتِ الناقة للحَلْب ، وانْفَجَتِ القوس بان وَتَرُها عن كَبِدِها فهي مُنْفَجَةٌ وفَجَّاءُ ويقال : فَجْواءُ من الفَجْوَةِ ، أو كشجرةٍ قَنْواءَ ، وبِطّيخة فِجَّةٌ ، وبها فَجاجَةٌ وتقول : قطعوا سُبُلاً فِجاجاً ، حتي أتوك حُجَّاجاً .

وقال ابن فارس : الفاء والجيم أصل صحيح يدلُّ علي تَفَتُّحٍ وانفراج من ذلك الفَجُّ : الطريق الواسع ، ويقال : قوس فَجَّاءُ اذا بان وتَرُها عن كَبِدها ، والفَجَج أقبح من الفحجِ ، ومنه حافر مُفِجٌ أي مُقَبَّبٌ ، واذا كانَ كذا كان في باطنه شبهُ الفجوة .

ومّما شَذَّ عن هذا الأصل ، الفِجُّ الشيء الذي لم يَنْضَجْ مما ينبغي نُضْجُه ، وشَذَّت كلمة واحدة أخري حكاها ابن الأعرابي قال : أَفَجَّ يُفِجّ اذا أسرع ، ومنه رجل فَجْفَاجُ : كثير الكلام .

وفي لسان العرب لابن منظور : الفَجُّ الطريق الواسع بين جبلين ، وقيل : في جبل ، أو في قُبُل جَبَل ، وهو أوسع من الشِعْب والفَجُّ المَضرِب البعيد ، وقيل : هو الشِعْب الواسع بين الجَبَلَينْ وقال ثعلب : هو ما انخفض من الطُرُق ، وجمعه فجِاجُ ، وأفِجَة « الأخيرة نادرة » قال جَنْدل بن المُثَنّي الحارثى :

(يجَئْنَ من أفِجَةٍ مَناهجِ)

وقوله تعالي : « من كلّ فجّ عميق » قال ابو الهيثم : الفَجُّ الطريق الواسع في الجبل ، وكلُّ طريق بَعُد فهو فَجٌ .

ويقال : إفْتجّ فلان افتجاجاً اذا سلك الفِجَاجَ .

وفي حديث الحج : وكلُّ فِجاج مكة مَنْحَرٌ ، هو جَمْعُ فَجّ وهو الطريق الواسع ، ومنه الحديث : أنه قال لعُمَرَ : ما سَلَكْتَ فَجَاً الاّ سَلكَ الشيطان فَجاً غيره . وفَجُّ الرَّوْحَاءِ سلكه النبي ﷺ الي بَدْرٍ ، وعامَ الفتح ، والحجّ .

ووادٍ إفْجِيجٌ : عميق (يمَانِيَةٌ) وبعضهم يجَعل كلَّ وادٍ إفْجِيْجاً ، وربما سُمّي به

الثِّنْىُ في الجبل ، والافجيج الوادي الواسع ، وهو معني الفَجّ . قال ابن شُميل : الفَجُّ كأنه طريق ، قال : ورُبما كان طريقاً بين جَبَلَيْنِ أو فَأْوَيْنِ ، ويَنقاد ذلك يومين أو ثلاثةً اذا كان طريقاً أو غير طريقٍ وإن يكن طريقاً فهو أرِيْضٌ كثير العُشْب والكَلأ ، والفَجُّ في كلام العرب تَفْريجكُ بين الشيئين يقال : فَاجَّ الرجلُ يُفَاجُّ فِجاجاً ومُفَاجَّةً اذا باعد إحدي رجليه من الأخري ليبول ، وأنشد :

لاتَـمْـلأُ الحـوضَ فجـاجُ دونَه　　الاّ سِجـالٌ رُذُمٌ يَعْلُونَه

والفَجَجُ في القدمين تباعُدُ مابينهما ، وهو أقبح من الفَحَج ، وقيل : الفَجَج في الانسان تباعد الركبتين ، وفى البهائم تباعدُ العُرقوبين .

فَجَّ فَجَجاً ، وهو أَفَجُّ بَيّنُ الفَجَج ، وفَجَّ رجليه ومابين رجلَيْه يَفُجُّها فَجّاً فتحه وباعد بينهما وفاجّ كذلك ، قال ابن الأعرابي : الأَفَجُّ والفَنْجَلُ معاً المتباعد الفخذين ومثله الأفْجَى ، وأنشد :

الله أعطـانيك غـيرَ أجْدَلا　　ولا أصَـكَّ أو أفَـجَّ فَنْجَلا

والقوس بيّنة الفَجَج قال الشاعر : (لافجَجٌ يُري بها ولا فَجَا) .

والفِجاجُ الظليم يبيض واحدةً قال الشاعر : (بيضاءُ مثلُ بيضة الفِجاج) .

وأنشد ابو عبيدة لابي عارم الكلابي في صفة بخيل :

أغْنَى ابنُ عمرو عن بخيل فَجْفَاجْ　　ذي هَجْمـةٍ يُخْلِفُ حاجـاتِ الراجْ

شُخْـمُ نواصيهـاَ عظـامُ الانتاجْ　　ماضَرَّهـا مَسُّ زمـانٍ سحّاجْ

وفي الحديث : كان اذا بال تَفَاجَّ حتي نَأْوِيَ له ، التفاجُّ المبالغة في تفريج مابين الرِجْلين ، وهو من الفجّ الطريقِ ، ومنه حديث أُمّ مَعْبَدٍ فَتَفاجَّتْ عليه ودَرَّتْ واَجْتَرتْ ، ومنه حديث عُبادة المازنـي : فركب الفَحْـلَ فتفـاجَّ للبـول ، ومنـه الحديث : حين سئل عن بني عامر ، فقال : جَمَلٌ أزْهَرُ مُتَفاجٌّ ، أراد أنه مُخْصِبٌ في ماءٍ وشجر فهو لايزال يبول لكثرة أكله وشربه .

ورَجُلٌ مُفِجُّ الساقين اذا تباعدتْ إحداهما من الأخري ، وفيما سَبَّ به حَجَل

بن شَكَلٍ الحارثَ بن مُصرِّف بين يدي النعمان : إنـه لَمُفِـجُّ الساقـين ، قَعْـوُ الأَلْيَتينِ .

وقوسٌ فَجَّاءُ : ارتفعت سِيَتُها ، فبان وَتَرُها عن عَجْسها ، وفَجَّ قوسه وهو يَفُجُّها فجاً ، مثلُ فَجْوَتُها ، وكذلك فَجَأ قوسَهُ .

قال الاصمعي . من القياس الفَجَّاءُ ، والمُنْفَجَّةُ ، والفَجْواءُ ، والفارج والفَرْج كل ذلك القوسُ التي يبين وَتَرها عن كبدها .

وأَفَجَّ الظَّليم رَمَي بِصَوْمِه ، والنعامةُ تَفجُّ اذا رمت بصومها وقال ابن القِرِّيَة : أَفَجَّ إفجاجَ النعامة ، وأَجْفَل إجفال الظَّليم . وحافِرُ مُفِجُّ : مُقَبَّبُ وقَاحُ ، وهو محمود ، وفَجَّ الفرسُ وغيره : هَمَّ بالعَدْوِ . والفِـجُّ من كلّ شيء مالـم يَنْضَـجْ وفجاجَتُه نهاءَتُه وقلةُ نُضْجه .

وقال رجل من العرب ، الثمار كلها فِجَّةٌ في الربيع حين تنعقد حتي يُنْضجَها حَرُّ القيظ . أي تكونُ نيِئَةً ، والفِجُّ النِيءُ ، قال الجوهري : الفِجُّ بالكسر البطيخ الشامَي الذي تُسميه الفرس الهندي وكلُّ شيء من البطيخ والفواكه لم يَنْضَجْ فهو فِجٌ .

قال ابن الأعرابي : الفُجُجُ الثقلاء من الناس .

وقال ابن سِيْدَهْ : الفَجَّانُ عُود الكِباسَة ، ورجل فَجْفَجُ ، وفُجافجُ ، وفَجْفَاجُ كثير الكلام ، والفخر بما ليس عنـده ، وقيل : هو الكثـير الـكلامِ والصياحِ والجَلَبة ، وقيل : هو الكثير الكلام بلا نظـام ، وقيل : هو المُجَلِّـبُ الصَيَّاح ، والأنثي بالهاء ، وفيه فَجْفَجةُ .

وفي حديث عثمان : أنّ هذا الفَجْفَاجَ لايدري أين الله عز وجل ، هو المِهْذار المِكْثار من القول .

قال ابن الأثير : ويُروي « البَجْبَاجَ » وهو بمعناه أو قريب منه .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « والسماءِ ذاتِ الحُبُك » ؟ قال : ذاتِ طرائقَ ، والخَلْقِ الحَسَن ، قال: أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول زهير بن أبي سُلْمي :

هم يَضرِبُونَ حَبِيكَ البَيْضِ إذْ لَحِقُوا
لاينْكُصُونَ اذا مااستُلْحِموا وحَمُوا

قال ابو تراب : هذا البيت في ديوانه (ص١٥٩) واستشهد به الطبري وابو حيّانَ ، بهذا اللفظ ، وفي رواية الديوان : (لايَنْكُلون) وأورده الزمخشري في الأساس .

وفي تنوير المقباس للفيروز ابادي (ص٣٢٧) عن ابن عباس : « ذاتِ الحُبُك » ذاتِ الحسنِ والجمال ، والاستواءِ والطُرق ، ويقال : ذاتِ النجوم والشمس والقمر ، ويقال : ذاتِ الحُبكُ كحُبُك الماء اذا ضربْته الريح ، أو كحُبُك الرمل اذا نسَفَتْه الريح ، أو كحُبُك شعر الجَعْد ، أو كحُبك دِرْع الحديد ، ويقال : هي السماء السابعة أقسم بها الله .

وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (ج٢ ص٢٢٥) : « والسماءِ ذاتِ الحُبكُ » الطرائقِ ، ومنها سُمّي حِباكَ الحائط الاطار ، وحِباكَ الحمام طرائقُ على جناحيه ، وطرائق الماء حُبُكُه ، وقال زهير :

مُكَلَّلٌ بأُصولِ النجم تَنْسِجُه ريحٌ خريقٌ لِضاحي مائه حُبُكُ

وهو في ديوانه (ص١٧٦) والقرطبي (ج١٧ ص ٣٢) وشواهد الكشاف (ص٢٠٩) .

وفي غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٢٠) : « والسماء ذات الحُبكُ » ذات الطرائق ، ويقال للماء القائم اذا ضربْته الريحُ فصارت فيه طرائق : له حُبُك . وكذلك الرمل اذا هَبّتْ عليه الريح ، فرأيتَ فيه كالطرائقِ ، فذلك حُبُكُه .

وقال الفراء فى المعانى ج ٣ ص ٨٢ : الحُبُك تكسر كل شيء ، كالرملة اذا مرّت بها الريح الساكنة ، والماء القائم اذا مرّت به الريح ودرع الحديد لها حُبك

والشعرة الجَعْدة تكسرها حُبك وواحد الحُبك حباك وحَبيكة .

وقال الراغب في المفردات : « والسماءِ ذاتِ الحُبُك » هي ذات الطرائق ، فمن الناس مَنْ تَصَوَّر منها الطرائق المحسوسة بالنجوم والمَجَرَّة ، ومنهم من اعتبر ذلك بما فيه من الطرائق المعقولة المُدْرَكَة بالبصيرة ، والي ذلك أشار بقوله تعالي : « الذين يَذْكرون الله قياماً » الآية ، وأصلُه من قولهم : تعبيرٌ مَحْبُوكُ القَرى أي مُحْكَمُه ، والاحتباك شَدُ الازار .

وقال السجستاني في غريب القرآن (ص٨٩) : «الحُبُك » الطرائق التي تكون في السماء من آثار الغيم واحدها حَبيكة ، وحِباكُ ، والحُبُكُ ايضاً الطرائق التي تراها في الماء القائم اذا ضربتْه الريحُ ، وكذلك حُبك الرمل الطرائقُ التي تراها فيه اذا هبّتْ عليه الريح ، ويقال : شعره حُبُك اذا كان متكسرّاً جعودته طرائق .

وقال ابن صُمادح : ذات الحُبُك، ذات الطرائق وعني بذلك الخَلْقَ الحسن المْستوى .

وفي تفسير الطبري : يقول تعالي : « والسماء ذات الحُبُك » ذاتِ الخَلْق الحَسَن ، وعَنَي بقوله : « ذاتِ الحُبُك » ذاتَ الطرائق ، وتكسيرُ كل شيء حُبُكُه ، وهو جَمْعُ حِباكٍ وحَبيكة ، يقال لتكسير الشعرةِ الجَعْدَةِ حُبُك ، وللرملة اذا مَرَتْ بها الريحُ الساكنةُ ، والماءِ القائِم ، والدرعِ من الحديد : لها حُبُك ، ومنه قول الراجز :

كأنّما جَلَّلها الحُوّاكُ طِنْفسة في وشْيها حِباكُ

ثم ذكر في ذلك روايات عن السلف منها رواية ابن عباس التى قال فيها : ذاتِ الخَلْقِ الحَسَنِ ، قال : وحُسْنُها استواؤها ، ومثله عن ابن جُبير قال : ذاتِ الزينة ، وعن الحسن قال : حُبِكَتْ بالخَلْق الحَسَن بالنجوم ، وعن عكرمة قال : ألم تَرَ الي النَسَّاج اذا نَسَج الثوبَ قال : ما أحسنَ ماحَبَكه ، وعن رجل من الصحابة مرفوعاً قال : إن من ورائكم الكذّاب المُضلَّ وإنَ رأسَه من ورائه حُبُك حُبُك ، يعني بالحُبُك الجُعودةَ ، وعن الربيع بن أنس قال : ذات الخَلْق الحَسَن ،

ومثله عن قتادة ، وكان الحسن يقول : حُبُكها نجومُها ، وقال مجاهد : « ذات الحُبُك » المُتْقن البُنيانِ ، وقال الضَحَّاك : ذاتِ الزينة ، ويقال ايضاً : حُبُكها مثلُ حُبُكِ الرمل ، ومثلُ حُبُك الدّرْعِ ، ومثلُ حُبُك الماء ، اذا ضربْته الريح فنسجتْه طرائقَ ، وقال ابن زيد : « ذاتِ الحُبُك » الشدةِ ، حُبِكَتْ شُدَّتْ ، وقرأ قوله تعالى : « وَبَنَيْنا فوقكم سَبْعاً شداداً » .

وقال القرطبي : وفي الحُبُكِ أقوال سبعة . الأول ما ذكره الطبري من الروايات التي ذكرناها آنفاً ، أي ذاتِ الخَلْق الحسن المستوي .

والثاني : ماذكره ايضاً ، أي ذاتِ الزينة ، والثالث ماذكره ايضاً أي ذاتِ النجوم ، والرابع : بمعني الطرائق ، والخامس : بمعني ذاتِ الشدة ، والمحبوك الشديد الخلق من الفَرسِ وغيره ، قال امرؤ القيس :

قد غدا يحملني في أنفه لاحق الإِطْلَينِ مَحْبوكٌ مُمَرّ

قال ابوتراب : الاطْلُ الخاصرة .

وقال آخر قال ابو تراب : وهو ابو دؤاد يصف فرساً :

مَرِجَ الدِّينُ فأعْددتُ له مُشْرِفَ الحاركِ محبوكَ الكَتَدْ

وفي الحديث : أن عائشة كانت تحتبك تحت الدّرع في الصلاة أي تَشُدُّ الازار وتُحْكمه . السادس : بمعني ذاتِ الصَفاقة قاله خَصْيف ، ومنه ثوب صفيق ، ووجه صفيقٌ بَين الصَفاقة . السابع : أن المراد بالطُرُقِ المَجَرةُ التي في السماء سُمّيت بذلك لانها كأثر المَجَرّ .

والحُبُك جمع حِباكٍ ، والحِباكُ والحبيكة الطريقة في الرمل ونحوه وجمع الحِباك حُبُكٌ ، وجمع الحَبيكة حبائك ، والحَبَكة مثلُ العَبَكةِ وهي الحَبّة من السويق ، عن الجوهري .

وقال ابن فارس في المقاييس : الحاء والباء والكاف أصل مُنْقَاسٌ مُطَّرد ، وهو إحكام الشيء في امتدادٍ واطِّرادٍ ،يقال : بعير مَحْبوك القَرى أي قَوِيُّه ، ومن

الاحتباك الاحتباء ، وهو شَدُّ الازار ، وهو قياس الباب ، وحُبُك السماء في قوله : « والسماء ذاتِ الحُبُك » فقال قوم : ذاتِ الخَلْق الحسن المُحْكَمِ ، وقال آخرون : الحُبُك الطرائق ، الواحدة حَبيكةٌ ، ويراد بالطرائق طرائق النجوم ، ويقال : كساء مُحَبَّكٌ أي مُخَطَّطٌ .

وقال الزمخشري في الأساس : وللريح في الماء والرمل حُبُك وحبائكُ وحَبيكٌ أي طرائق ، الواحد حبيكة وحِباك ، وما أحسن ماحَبَّكَتْها الرياح قال زهير يصف غديراً :

مُكلَّلٌ بأصول النجم تنسجه ريحٌ خريقٌ لِضاحِي مائِه حُبُكُ

وكساء مُحَبَّكٌ : مُخَطَّطٌ ، وكأن خَطه وَشْي محبوك ، وذهب مسبوك ، وللشعر الجَعْد حُبُك وقال : ـ يعني زهيراً ـ .

هم يضربون حَبيكَ البَيض إذْ لَحِقُوا
لاَ يَنْكُصون اذا ما استُلحموا وحَمُوا

وما أملح حِباكَ هذه الحمامة ، وهو الخط الاسود على جَناحها ، وجَوِّدْ حِباكَ الثوب أي كِفافَه ، وحَبَكْتُ الثوب : كففتُه ، وحبكتُ الحبلَ شددته وبناء مُحَبَّك : مُوَثَّق ، وحَبَكْتُ العُقدة : وَثَّقتُها ، وفرسٌ محبوك القَرى قال الأعشي :

علي كلّ محبوكِ السرَاةِ كأنه عقابٌ هَوَتْ من مَرْقَبٍ وتَعلَّتِ

واحتبك بالازار : احتزم به ، وهم في أُمِّ حَبَوكَرىَ ، وهي الداهية سُمِّيتْ لِشدّتها وقوّتها ، والراء مضمومة الى حروف حَبَكَ ، وتقول : وقعوا في أُمِ حَبَوكرىَ ولم يُحْبَوْا كَرَى .

وفي لسان العرب لابن منظور : الحَبْك الشَدُّ ، واحتبك بازاره احتبي به، وشَدَّهُ الي يديه ، والحُبْكَةُ أن تُرْخي من أثْناءِ حُجْزتك من بين يديك لتحملَ فيه الشيء ماكان ، وقيل : الحُبْكَة الحُجْزَةُ بعينها ، ومنها أُخذ الاحتباك وهو شد الازار وحكي عن ابن المُبارك انه قال : جَعَلْتُ سواكي في حُبكي أي في حُجْزَتي .

وتَحَبَّك : شَدَّ حُجْزَته ، وتَحبَّكتِ المرأة بنطاقها شَدَّته في وسطها ، ورُوي عن عائشة أنها كانت تَحْتبِك تحت درعها في الصلاة أي تشدّ الازار وتُحْكمه ، قال ابو عبيد : قال الأصعمي : الاحتباك الاحتباء ، ولكن الاحتباك شَدُّ الازار وإحكامه ، أراد أنها كانت لاتصلي الاّ مؤتزرة .

قال الأزهري : الذي رواه ابو عبيد عن الأصمعي في الاحتباك أنه الاحتباء غلط ، والصواب الاحتياك ـ بالياء ـ يقال : احتاك يحتاك احتياكاً وتَحوك بثوبه إذا اَحْتبىَ به ، قال : هكذا رواه ابن السكيت وغيره عن الأصمعي بالياء ، قال : والذي يَسْبق الي وَهْمِي أن أبا عبيد كتب هذا الحرف عن الأصمعي بالياء فزَلَّ في النَّقْط وتَوهَّمه باءً ، قال : والعالِم وإن كان غايةً في الضبط والاتقانِ فانه لايكاد يخلو من خطئِه بزلةٍ ، والله أعلم .

قال ابن منظور : ولقد أنصف الأزهري رحمه الله فيما بسط من هذه المقالة فانّا نجد كثيراً من أنفسنا ومن غيرنا أن القلم يجري فيَنْقُطُ ما لايُحَبُّ نَقْطُه ويَسْبق الي ضبط مالا يختاره كاتبه ، ولكنه اذا قرأه بعد ذلك ، أو قرىء عليه تَيَقَّظَ له تَفَطَّنُ لما جري به فاستدركه ، والله أعلم .

والحُبْكة الحَبْل يُشَدُّ به علي الوسط ، والتحبيك التوثيق ، وقد حَبَّكت العقدة أي وَثَّقتُها ، والحِباكُ أن يجُمع خشب كالحظيرة ، ثم يُشَدُ في وسطه بحبل يجمعه . قال الأزهري : الحِباكُ الحظيرة بقَصَباتٍ تُعَرَضُ ثم تُشَدُّ ، تقول : حُبِكَتِ الحظيرة بقصباتٍ ، كما تُحْبكُ عُروشُ الكرم بالحبال ، والحُبكة والحِباك القِدَّة التي تَضُمُّ الرأس الي الغراضيفِ من القَتَبِ والرَّحْل ، وقد ذكرنا بالنون عن أبي عبيدة ، قال ابن سِيْدَهْ : وأراه منه سَهْواً ، والجمع حُبَك وحُبُك ، فحُبَك جَمْعُ حُبْكةٍ ، وحُبُك جمع حباكٍ . وحُبُك الرمل حروفه ، وأسناده ، واحدها حِباكَ وكذلك حُبُكُ الماء والشعرِ الجَعْد المتكسرّ ، قال زهير بن أبي سُلْمىَ يصف ماءً :

مُكَلَّلٌ بعميم النَبْتِ تَنْسجه ريحٌ خريقٌ لِضاحِي مائه حُبُك

والحَبيكة كلُّ طريقة من خُصَل الشعر ، أو البيضة ، والجمع حبيْك وحبائك وحُبُك ، كسفينةٍ وسفينٍ وسفائنَ وسُفُنٍ .

قال الجوهري : والحَبيكُة الطريقة في الرمل وغيره . قال الأزهري : وحَبيكُ البيض للرأس طرائق حديده ، وأنشد :

والضاربونَ حَبيكَ البَيْضِ إذْ لحِقُوا ‏ ‏ ‏ ‏ لاينكصُون اذا ما ٱستُلُحمِوُا وحَمُوا

قال وكذلك طرائق الرمل فما تَحْبِكُه الرياح اذا جَرَتْ عليه .

وفي الحديث في صفة الدجّال : رأسه حُبكُ ، أي شعر رأسه متكسرّ من الجُعودة مثل الماء الساكن او الرمل اذا هبت عليها الريح فيتجعّدان ويصيران طرائق . وفي رواية أخري : مُحَبَّك الشعر بمعناه ، وحُبُك السماء طرائقها ، وفي التنزيل : « والسماءِ ذات الحُبُك » يعني طرائق النجوم واحدها حبيكة والجمع كالجمع ، قال ابو اسحاق : وأهل اللغة يقولون : ذات الطرائق الحسنة .

وفي حديث عمرو بن مُرَّة يمدح النبي ﷺ :

لأصبحتَ خيرَ الناس نفساً ووالداً ‏ ‏ ‏ ‏ رسولَ مليكِ النـاس فوق الحبائك

الحبائك الطرق واحدها حبيكة ، يعني بها السموات ، لأن فيها طرق النجوم والمحبوك ما أُجيد عملُه ، والمحبوكِ المُحْكَم الخَلْق من حَبَكْتُ الثوب اذا أحكمت نَسْجَه . قال شَمِرُ : ودابّة محبوكة اذا كانت مُدْمَجَةَ الخَلْـق ، قال : وكل شيء أحكمت وأحسنت عملَه فقد احتبكتَه ، وفرس مَحْبُوك المَتْنِ والعَجُز ، فيه استواء مع ارتفاع ، قال ابو دواد يصف فَرَساً :

مَرِجَ الدهــر فأعــددت له ‏ ‏ ‏ ‏ مُشرِفَ الحــارك مَحْبُــوك الكَتَدْ

ويروي : مَرِجَ الدّين . قال الأزهري : عن الليث انه لمحبوك المَتْنِ والعَجُز اذا كان فيه استواء مع ارتفاع ، وأنشد :

علي كلّ محبــوك السرَاة كأنه ‏ ‏ ‏ ‏ عُقــاب هَوَتْ من مرْقَــبٍ وتَعَلّتِ

قال :وقال غيره : فرس محبوك الكَفَل ، أي مُدْمَجُهُ ، وأنشد بيت لبيد على هذه الصورة : (مُشرِفَ الحاركِ محبوك الكَفَل) قال : ويقال للدابّـة اذا كان

شديد الخَلق : محبوكٌ ، والمحبوك الشديد الخَلقْ من الفرس وغيره ، وجاد ما حَبَكَه اذا أجاد نَسجَه ، وحَبَكَ الثوب ، ويحْبِكُه ويحْبُكه ، حَبْكاً أجاد نسجه ، وحَسَّنَ أثر الصناعة فيه ، وثوب حبيك ، محبوك ، وكذلك الوتر ، أنشد ابن الاعرابي لأبي العارم :

فَهَيَّاتُ حَشراً كالشهــاب يسَوقُه   مُمَــرٌ حبيكٌ عاونتــه الأشاجعُ

وحَبَكه بالسيف حَبْكاً ، ضربه علي وسطه ، وقيل : هو اذا قطعت اللحم فوق العظم . وقال ابن الأعرابي : حَبَكه بالسيف يحْبكه ويحْبُكه حبكاً ضَرَب عنقه وقيل : هو ضرب في اللَّحْمِ دون العظم ، وقيل : ضربه به ، وحَبْكُ عروشِ الكَرْم : قطعُها ، والحَبَكُ والحَبَكة جميعا الأصل من أصول الكَرْم ، والحَبَكة الحَبَّة من السويق ، قال الليث يقال : ماذقنا عنده حَبَكةٌ ولا لبكة قال : وبعض يقول : عَبَكةً قال : والعَبَكة والحبكة من السويق واللبكة اللقمة من الثريد ، قال الليث ولم نسمع حبكة بمعني عبكة لغير الليث ، والمعروف : مافي نِحْيه عبكة ولاعبَقَة أي لطخ من السمن او الرُبَ من عَبِقَ به وعَبِك به أي لِصق به .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالي : « تالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يوسف حتي كون حَرَضاً » ؟ قال : « حَرَضاً » الدَنَفُ الهالك من شدة الوجع ، قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

أمــن ذكر ليلي أنْ نَأتْ غربــةً بها   كأنــك حَمٌ للأطِبَــاءِ مُحْرَضُ

قال ابو تراب : وفي تنوير المقْباس ايضاً : حتي تكون دَنَفاً .

وفي مجاز القرآن لأبي عُبيدة : « ج١ ص ٣١٦» : الحَرَضُ الذي أذَابَه الحُزْنُ أو العشق ، وهو في موضع مُحْرَض ، وأنشد الشطر الأخير من البيت الذي

استشهد به ابن عباس وضبطه فؤاد سَزكين (كأنك صِمٌ) وهو خطأ ، ولم يخُرِّجْه فؤاد عبد الباقي في مسائل ابن الأزرق وهو عنده (كأنك جَمٌّ) مصحفاً وهو في اللسان على الصواب (كأنك حَمْ) ولم يحّرره غيره وأنشد ابو عبيدة قول العَرْجّي :

إنّـي اَمْـرؤٌ لجَ بي حُبٌ فأحْرَضَني حتـي بَليتُ وحتـي شفّنـي السَّقمُ

قال : أي أذا بني ، فتبقي مُحْرَضاً . وبيت العرجي في الطبري (ج١٣/٢٥) والقرطبي (ج٩/٢٥٠) والصحاح واللسان والتاج ، وصدره في فتح الباري (ج ٨ ص ٢٧٣) .

وفي غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٢١) : « حَرَضاً » أي دَنَفاً . يقال : أحْرَضَه الحُزْن ، أي أدنفه ، ولا أحسبه قيل للرجل الساقط : حارضٌ الاّ من هذا ، كأنه الذاهب الهالك .

وقال الفراء في معاني القرآن (ج٢ ص٥٤) : يقال : رجلٌ حَرَضٌ ، وإمرأةٌ حَرَضٌ ، وقوم حَرَضٌ ، يكون مُوَحَّداً علي كل حالٍ : الذكر والأنثي والجميع فيه سواء ، ومن العرب من يقول للذكر ، حارض ، وللأنثي حارضةٌ ، فُيثَنَّي ههنا ويُجْمَعُ ، لأنه قد خرج علي صورة فاعلٍ ، وفاعلٌ يُجْمَعُ . والحارض الفاسد في جسمه أو عقله ، ويقال للرجل : انه لحارضٌ أي أحمق ، والفاسد في عقلـه أيضاً ، وأمّا حَرَضٌ فتُرك جمعُه لأنه مصدر بمنزلة دَنَف وضَنيً ، والعرب تقول : قوم دَنَفٌ وضَنًي وعَدْلٌ ، ورضاً ، وزَوْرٌ ، وعَوْدٌ ، وضَيْفٌ ، ولو ثُنّيِ وجُمع كان صواباً ، كما قالوا : ضيف وأضيافٌ . وقال عز وجل : « أنُؤمِنُ لِبَشَرَيْن مِثلِنا » وقال في موضع آخر : « ما أنتم الاّ بَشَرٌ » والعرب الي التثنية أسرع منهم الي جَمْعِه ، لأن الواحد قد يكون في معني الجمع ولايكون في معني اثنين ، ألا تري أنك تقول : كم عندك من درهم ومن دراهم ، ولايجوز كم عندك من درهمين ، فلذلك كثرت التثنية ولم يجمع .

قال ابو تراب : وهذه المادّة مما يستدرك به على ابن الجوزي في نزهة الأعين والدامغاني في الوجوه والنظائر فإنها أغفلاها ، مع أن لها معنيين ، أولهما في

« حَرَضِ المؤمنين » وثانيهما في « حتي تكون حَرَضاً » وجَلَّ من لايعزُب عن علمه شيء .

وفي مفردات الراغب : الحَرَضُ مالا يُعتدّ به ، ولا خير فيه ، ولذلك يقال لما أشرف على الهلاك حَرِضَ ، قال عز وجل : « حتي تكون حَرَضاً » وقد أحْرَضَه كذا ، قال الشاعر :

(إنّي أمْرُؤ نابني هَمٌّ فأحْرَضَني)

والحُرْضَةُ من لايأكل الاّ لحم المَيْسرِ لِنذالتِه ، والتحريض الحَثُّ علي الشيء بكثرة التزيين ، وتسهيل الخَطْب فيه ، كأنه في الأصل إزالة الحَرَضِ ، نحو مَرَّضْتُه ، وقَذَّيْتُه ، أي أزلت عنه المرض ، والقَذى ، وأحرَضْتُه أفسدتُه نحو : أقذيتُه اذا جعلت فيه القَذَي .

وقال الطبري (ج١٣ ص٢٨) : « حتي تكون حَرَضاً » حتي تكون دَنِفَ الجسم مخبول العقل ، وأصل الحَرَض الفسادُ في الجسم والعقل من الحزن أو العشق .

وفي تفسير القرطبي (ج ٩ ص ٢٥٠) : « حتي تكون حَرَضاً » أي تالفاً وقال ابن عباس ومجاهد : دَنَفاً من المرض ، وهو مادون الموت ، قال الشاعر :

سَرَي هَمي فأمرضني وقِدْماً زادني مَرضَا
كذاك الحبَ قبل اليو م مِمّا يورث الحَرَضَا

وقال قتادة : (هرِماً) وقال الضحّاك : بالياً داثراً ، وقال محمد بن اسحاق : فاسداً لاعقل لك ، وقال ابن زيد : الحَرَض الذي قد رُدَّ الي أرذل العمر ، وقال الربيع بن أنس : يابسَ الجِلْدِ علي العظم ، وقال المُؤَرِّجُ :

ذائبا من الهم ، وقال الأخفش : ذاهباً ، وقال ابن الأنبارى : هالكاً ، وكلها متقاربة ، وأصل الحَرضَ الفساد فى الجسم أو العقل من الحزن أو العشق أو الهَرَم ، عن أبى عُبيدة وغيره ، قال النحاس : يقال : حَرَض حَرَضاً وحَرُض حروضاً وحُروضةً اذا بَلِيَ وسَقِم ، ورجل حارضٌ وحَرَضٌ الاّ أنَّ حَرَضاً لا يُثَنّى ولا يُجمع ،

ومثله قَمِنٌ وحَرىً لا يُثَنَّيان ولا يجُمعانِ .

وقال الثعلبى : ومن العرب من يقول حارض للمذكر ، والمؤنثة ، حارضةٌ فاذا وصف بهذا اللفظ ثُنِّى ِ وجُمِع وأُنِّث ِ ، ويقال : حَرِضَ يَحْرَضُ حَراضةً فهو حَرِيضٌ وحَرِض ، ويقال : رجلٌ ، مُحْرَضٌ ، ويُنْشَدُ :

طَلَبَتْــه الخيــل يومــاً كاملاً ولوأَلْفَتْــه لأضْحــى مُحْرَضاَ

وقال امرؤ القيس :

أرى المَرْءَ ذا الأذْوادِ يُصبـح مُحْرَضاَ كإحراض ِ بَكْرٍ فى الديــار مريض ِ

قال النحاس : وحكى أهلُ اللغة : أحرضه الهم اذا أسقمه ، ورجل حارضٌ أى أحمق . وقال الجوهرى : الحَرضُ والحُرضُ الأُشْنان ، أى مثلَ عود الأُشْنَانِ

قال ابن فارس فى المقاييس : الحاء والراء والضاد أصلان ، أحدهما نبتٌ ، والآخر دليل الذهاب والتَلَف والهلاك والضَّعف وشبْهِ ذلك ، فأما الأول فالحُرُض الأُشْنَانُ ، ومُعالجُـه الحَـراَضُ ، والأحْـريض العُصْفُـر قال : (مُلْتهـبِ كَلهَـب الاِخْرِيْض ِ) .

قال ابو تراب : هذا فى نوادر ابى زيد ص **٢٢٢** وبعده : (ويُزجى خراطيم الغمام البيض) والاصل الثانى اَلحَرض وهو المُشرُف على الهـلاك قال اللّـه : « حتى تكون حَرَضاً » ويقال : حَرَّضْتُ فلاناً على كذا ، زعم ناسٌ ان هذا من الباب .

قال ابو اسحاق البصرى الزجَّاج : وذلك انه اذا خالف فقد أفسد ، وقوله تعالى : « حَرِّض ِ المؤمنين على القتال » لأنهم اذا خالفوه فقد أُهلكوا ، وسائر الباب مقاربٌ هذا لأنهم يقولون : هو حُرضَةٌ ، وهو الذى ينـاول قِداحَ المَيْسرِ لِيُضرب بها ، ويقال : إنه لا يأكل اللحم أبداً بثمن ٍ ، انمـا يأكل مايُعطـى ، فيُسَمَّى حُرْضَةً ، لأنه لاخير عنده ، ومن الباب قولُهم للّذى لايقاتل ولاغنـاء عنده ، ولا سِلاحَ معه حَرَضٌ ، قال الطرماح :

مَنْ يَرُمْ جَمْعَهــم يجِدْهم مَراجيــحَ حُمَــاةً للعُــزَّل الأَحْراض ِ

ويقال : حَرَضَ الشيء وأحْرَضَه غيرُه : اذا فسد وأفسده غيره ، وأحْرضَ الرجل اذا ولد له وَلَدُ سَوْءٍ ، وربما قالو حَرَضَ الحالبانِ الناقةَ اذا احتلبا لبنها كلَّه .

وفى أساس البلاغة للزمخشرى : نَهِك فلان مرضاً ، حتى أصبح حرَضاً ، وهو المُشفِى على الهلاك ، وأحرضه المرض ، ولا تأكل كذا فانه يُمرِضُك ويُحْرِضك ، وحَرَّضَه على الأمر ، وفيه تحريضٌ على الخير وتحضيض ، وغَسَل يده بالحُرُض وهو الأشنان ، قال زُهيرٌ :

كأنَّ بريقَــه بَرَقَــانُ سَحْل جَلاَ عن مَتْنِــه حُرُضٌ وماءُ

وناوله المِحْرَضَةَ وهى الأُشْنَانْدانَةُ ، وأعِدُّوا الأباريقَ والمَحارضَ ، وبالكوفة الحُراضَةُ وهى سُوق الحُرُض ، وصَبَغ ثوبَه بالإحْرِيض وهو العُصْفُر ، قال يصف البرقَ : (مُلْتَهِبٌ كلَهَبِ الاحريض) الخ . ومن المجاز : فلان حَرَضٌ من الأحراض ، لِلّذى لاخيرَ عنده قال : (ياربَّ بيضاءَ لها زَوجٌ حَرَضْ)

ومنه الحُرضَة : الذى يُفيض القِداح للأيسار ، ليأكل من لحمِهم ، وهو مذموم كالبَرَم ، وتقول : خِبْتَ ياباغِىَ الكَرم ، بين الحُرْضَة والبَرَم ، وأحْرَضَ الشىءَ ، وحَرَضَه أفسده .

قال الجوهرى : التحريض على القتال الحث والأحماءُ عليه ، قال اللّه تعالى : « ياأيها النبىُّ حَرِّضِ المؤمنين على القتال » قال الزجّاج : تأويلُه : حُثَّهم على القتال وتأويل التحريض فى اللغة أن تَحُثَّ الانسانَ حَثًّا يَعْلَمُ معه انه حارضٌ إنْ تَخَلَّفَ عنه .

قال ابن سِيْدَهْ : حَرَّضَه حَضَّه ، وقال اللّحيْانِى : يقال : حارَضَ فلان على العمل ، وواكب عليه ، وواظب وواصب عليه ، اذا داوم القتال ، فمعنى : « حَرِّضِ المؤمنين على القتال » حُثَّهم على أن يحُارضُوا ، أى يداوموا على القتال حتى يُثْخنُوهم .

وفى الحديث : مامن مؤمن يَمْرَضُ مَرَضاً حتى يُحْرِضَه ، أى يُذْنِفَه ويُسْقِمَه .

وقال أكثم بن صَيْفِيٍ : سُوء حَمْل الناقة يُحْرِضُ الحَسَب ويُدير العدوَ ، ويُقوّى الضرورةَ ، قال : يُحْرِضُهِ أى يُسْقِطه ، والحَرَضُ الردىء من الناس والكلام ، والجمع أحراضٌ ، فأما قول رُؤْبَةَ : (ياأيها القائل قولا حَرْضاً) .

فانه احتاج فسكنَه ، وفى حديث عوف بن مالك : رأيت مُحَلِّمَ بن جَثَّامة فى المنام فقلت : كيف أنتم ؟ فقال : بخير ، وجدنا ربَّنا رحيماً غفرلنا ، فقلت : لِكُلِكم ؟ قال : لِكُلّنِا غيرَ الأحراضِ ، قلت : ومن الأحراضُ ؟ قال : الذين يشار اليهم بالأصابع ، أى اشتهروا بالشرِّ ، وقيل : هم الذى أسرفوا فى الذنوب فأهلكوا أنفسَهم ، وقيل : أراد الذين فَسَدَتْ مذاهبُهم ، والحُرْضة الذى يَضرب للايسار بالقداح ولا يكون الاّ ساقطا لرذالته . قال الطِرِمّاح يصف حماراً :

ويَظَلُّ المَلِىُء يُوفِى على القِرْ ... نِ عَذوباً كالحُرْضَةِ المُسْتَفاضِ

المُستفاضُ الذى أُمر أن يفيض القِداحَ ، وأورده الأزهرى . والاحْرِيضُ . قيل : هو العُصْفُر الذى يجُعل فى الطبخ ، وقيل : حَبُّ العُصْفُر قال الراجز :

أرَّق عينيك عن الغموضِ ... برقٌ سَرَى فى عارضٍ نَهوضِ

مُلْتَهِبٌ كَلهَب الاحْرِيضِ ... يُزْجِى خراطيَم غمامٍ بيضِ

والحَرّاضُ الذى يُحْرِقُ الجِصَّ ويوقد عليه النار ، قال عدىُّ بن زيد :

مِثْل نارِ الحَرّاضِ يَجْلُو ذُرَى المُز ... نِ لِمَنْ شَامَهُ اذا يَسْتَطِيرْ

قال ابن الأعرابى : شَبَّه البرق فى سرعة وميضهِ بالنار فى الأُشنانِ لسرعتها فيه وقيل : الحَراض الذى يعالج القِلىْ ، وقال ابو نصر : هو الذى يُحْرِقُ الأشنانَ ، قال الأزهرى : شجر الأشنان يقال له الحَرْضِ وهو من الحَمْضِ ومنه يُسَوّى القِلىْ الذى تُغْسَل به الثياب ، ويُحَرق الحَمْضُ رطباً ثم يُرَشُّ الماء على رَمادِهِ فيَنْعقِدُ ويَصير قِلياً ، والحَرَّاض ايضا الذى يوقد على الصخر ليتخذ منه نورة أو جِصّاً ، والحَرَّاضة موضع احراق الأشنان يُتخذ منه القِلىْ للصباغين ، كل ذلك اسم كالبَقّالة والزرّاعة .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « أرأيت الذى يكذّب بالدين ، فذلك الذى يَدُعُّ اليتيم » ؟ قال : يَدُعُّ » يدفعه عن حَقّهِ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أبى طالب :

يُقَسَّمِ حقاً لليتيم ولم يكن   يَدُعُّ لَدَى أيسَارِهِنَّ الأصاغرا

وفى تنوير المقباس (ص ٣٩٦) « يَدُعُّ اليتيم » يقول : يدفع اليتيم عن حقه ، ويقال : يمنع حقه .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ، ص ٣١٣) : دَعَعْتُه : دفعتُه ، وبعضهم يقول : يَدَعُ ، مخففة : يتركه .

وفى غريب القرآن (ص ، ٥٤٠ و٤٢٤) : « يَدُعَ اليتيم » يدفعه ، وكذلك قوله : « يُدَعُّون الى نار جَهَنَّم دَعّا » أى يُدفعون يقال : دَعَعْتُه ، أدُعُّه أى دفعته .

وقال الفراء فى معانى القرآن (ج ٣ ص ٢٩٤) : « يَدُعُّ اليتيم » من دَعَعْتُ وهو يُدَعُّ ، يدفعه عن حقه ، ويَظْلِمُه ، وكذلك : « يوم يُدَعُّون »

قال ابوتراب : ولم يذكر السجستانى هذه المادّة فى غريب القرآن .

وفى تفسير ابن صمادح المختصر من الطبرى كالذى فى معانى القرآن للفراء من معنى الدَعّ ، وهو الدفع والظلم .

قال الراغب فى المفردات : الدَّعُّ الدفع الشديد ، واصله أن يقال : للعاثر دَعْ دَعْ ، كما يقال له : لَعَا ، قال الشاعر : (دَعَ الوَصِى على قفاءِ يتيمهِ) .

وقال الزمخشرى فى أساس البلاغة : دَعَ اليتيم دَفعه بجَفْوةٍ ، ودَعْدَعَ المكيال وغيره ، حَرَكَهَ حتى يكتنز ، وجفنة مُدَعدَعةٌ : مملوءة ، وامرأة مُدَعْدعَة الخلخال .

وفى مقاييس اللغة : الدال والعين اصل واحد منقاس مطرد ، وهو يدل على حركة ودفع واضطراب ، فالدَعُّ الدفع يقال : دَعَعْتُه أدُعَه دَعًا ، قال الله تعالى : « يوم يُدَعُّون الى نار جهنّم دَعاً » والدَعْدَعَةُ تحريك المكيال ليستوعب الشىء ، والدَّعْدَعَةُ عَدْوٌ فى التواءٍ ، ويقال : جَفْنَةٌ مُدَعْدَعَةٌ ، وأصله ، ذاك ، أى انها

دُغْدِعَتْ حتى امتلأتْ . فأماقولهم : الدعدعة زَجْرُ الغَنَم ، والدَّعدَعةُ قولك للعاثر : دَعْ دَعْ ، كما يقال : لعاًفقد قلنا : إن الأصواتَ وحكاياتها لا تكاد تنقاس ، وليست هى على ذلك أصولا ، واما قولهم للرجل القصير دَعْداعٌ فانْ صَحَّ فهو من الابدال من حاءِ دَحْداح .

قال ابوتراب : والدَّعُّ بمعنى الدفع عن الحق والظلم ، أوردفيه الطبرى (ج ٣ ص ٢٧) آثارا عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاكِ وسفيان ، وفيها معنى القهرِ وعدم الاطعام .

وفى تفسير القرطبى ج ٢٠ ص ٢١١ : أنهم كانوا لايورّثون النساء ولا الصغار ، ويقولون : إنما يَحُوُز المالَ من يطعن بالسِنان ، ويضرب بالحُسامِ .

وقال ابن دريد : دَعَّه دَفَعه دَفْعاً ، وفى التنزيل : « فذلك الذى يَدُعُّ اليتيم » أى يَعْنُف به عُنْفَا دَفْعاً وانتهاراً ، وفيه : « يومَ يُدَعّون الى نار جهنّم دَعّاً » وبذلك فَسرَّه ابو عُبيدة فقال : يُدُفَعون دَفْعاً عنيفا .

قال ابوتراب : نَصُّ ابى عبيدة فى المجاز الموجود بين أيدينا (ج ٢ ص ٣١) أى يُدفعون ، يقال : دَعَعْتُه فى قفاه أى دفعتُه وفى الحديث : اللهم دُعَّهُماَ الى النار دَعًّا ، وقال مجاهد : دَفْراً فى أقفيتهم . وفى حديث الشعبى : أنهم كانوا لايدعّون عنه ولا يكرهون ، الدَّعُّ الطرد والدفع .

قال ابوتراب : روى ابو داوود عن أبى الطفيل قال : قلت لابن عباس يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بين الصفا والمروة على بعير ؟ قال : صدقوا كان الناس لايُدفعون عن رسول الله ﷺ ولا يُصرفون عنه فطاف على بعير ليسمعوا كلامه وليَرَوْا مكانَه ولا تناله ايديهم وفى صحيح مسلم انه قال : كان رسول الله ﷺ لا يُضربُ الناس بين يديه ولا يُكْرَهون . وفى بعض الفاظ هذا الحديث : أنهم كانو لايُدَعُّون عنه .

قال ابن منظور : والدُّعاعة عُشْبَةٌ تُطحن وتُخبز ، وهى ذات قُضُبٍ وورق ،

مُسطَّحَةُ النَّبْتَة ، ومَنْبِتُها الصحارى والسهل ، وجَنَاتُها حَبةٌ سوداء ، والجمع دُعَاع . والدَّعادعُ نَبْتٌ يكون فيه ماء فى الصيف تأكله البقر وأنشد فى صفة جَمَل :

رَعَى القَسْوَرَ الجَونِيَّ من حولِ أشْمُسٍ
ومن بطن سَقْمانَ الدَّعادعَ سِدْيَمَا

قال فى اللسان : فى التهذيب : الدعادع ، وفى أمالى ابن بَرّى على الصحاح الدُّعَاعُ ونُسب هذا البيت الى حُمَيد بن ثور وأنشده (ومن بطن سَقْمانَ الدُّعَاعَ المُديَّمَا) وقال : واحدتُه : دُعَاعَةٌ ، وهو نبت معروف قال الازهرى قرأت بخط شَمِرَ للطرمّاح :

لم تُعالَجْ دَمْحَقاً بائتا شُجَّ بالطَّخْفِ لِلَدْمِ الدَّعَاعْ

قال : الطَّخْفُ اللبن الحامضُ ، واللَّدْمُ اللَّعقُ ، والدَّعاعُ عيال الرجال الصغار ، ويقال : أدَعَّ الرجل اذا كثر دَعاعَه . قال : وقرأت ايضًا بخطِّهِ فى قصيدة أخرى :

أُجُدٌ كالأَتانِ لم تَرْتَعِ الفَثَّ ولم يَنْتَقِلْ عليها الدُّعاعُ

قال : الدُّعَاعُ فى هذا البيت حَبُّ شجرةٍ بَرِيَّة ، وكذلك الفَث . والأَتانُ صَخْرَةٌ ، وقال الليث : الدُّعَاعَةُ حَبَةٌ سوداء يأكلها فقراء البادية اذا أجْدَبوا ، وقال ابو حنيفة : الدُّعاعُ بَقْلَةٌ يخرج فيها حَبٌ ، تَسطَّحُ على الأرض تَسَطُّحاً لا تذهَبُ صُعُداً ، فاذا يَبِسَتْ جمَعَ الناسُ يابسَها ، ثم دَقُّوهُ ثم ذَرَوهُ ثم استخرجوا منه حَباً اسود يملأون منه الغرائر .

والدُّعَاعَةُ نملةٌ سوداء ذات جناحَينْ شُبِّهَتْ بتلك الحَبَّةُ والجمع دُعاعٌ .

وفى لسان العرب : رجل دَعَّاعٌ فَثَّاثٌ ، يجمع الدُّعاعَ والفَثَّ ليأكلها ، قال ابو منصور : هما حَبّتان بَريتّانِ ، اذا جاع البدويُّ فى القحطِ دَقَّها وعَجَنَها واختبزها وأكلها . وفى حديث قُسٍ : ذات دَعادِعَ وزَعازِعَ ، الدَّعادعُ جَمْع دَعْدَع ، وهى الأرض الجرداء التى لانبات بها ، ورُوى عن المُؤرِّج بيتُ طَرَفَة

بالدال المهملة : (وعَذَارِيكمْ مُقَلّصَةٌ فى دُعاعِ النَّخل تَصطرِمُهْ) وفسَّرَ الدُّعاعَ مابين النخلتين ، وكذا وُجد بخطّ شَمِرَ عن ابن الأعرابى قال : الدُّعاعُ متفرّق النَّخل ، وقال ابو عبيدة مابين النخلة الى النخلة دُعاعٌ ، قال الأزهرى : ورواه بعضهم ذُعاع النخل ، من ذعذعتُ الشىء اذا فَرَّقْتَه .

ودَعْدَعَ الشىءَ : حَرَّكه حتى اكْتَنَزَ كالقصعة أو المكيال والجُوالقِ لِيَسع الشىءَ وهو الدَّعْدَعَةُ قال لبيد : (المُطْعِمون الجَفْنَةَ المُدَعْدَعَةْ) أى المملوءة ، ودَعْدعَها ملأها من الثريد واللحم ، ودَعْدَعْتُ الشىءَ ملأته ، ودَعْدَعَ السيلُ الوادىَ : ملأه ، قال لبيد بصف مَاءَيْنِ الْتَقَيا من السيل :

فَدَعْدَعَا سُرَّةَ الرَّكاءِ كما دَعْدَعَ ساقى الأعاجم الغَرَبَا

الرَّكاءُ وادٍ معروف ، وفى بعض نُسخ الجمهرة الموثُوق بها الرِكاء بالكسر ، ودَعْدَعَت الشاةُ الاناءَ : مَلأتْه ، وكذلك الناقة .

قال ابو تراب : وفى بعض ألفاظ قصة الهجرة أنه ﷺ حين احتلب الشاة التى كانت عند أم معبد صاحبة الخيمة : دَعْدَعتِ الاناء .

ودَعْ دَعْ : كلمةٌ يُدْعى بها للعاثر فى معنى : قُمْ وأنتعشْ وأَسْلَمْ كما يقال له : لَعاً ، قال :

لحَىَ الله قوماً لم يقولوا لعاثر ولا لابن عَمٍّ ناله العَثْر دَعْدَعَا

قال ابو منصور : أراه جعل لَعاً ، ودَعْدَعاً دعاءً له بالانتعاش ، وجعله فى البيت اسماً ، كالكلمة ، وأعربه ، ودَعْدَعَ بالعاثر : قالها له ، وهى الدعدعة .

وقال ابوسعيد : معناه : دَعِ العِثَارَ ، ومنه قول رُؤْبَةَ :

وإن هَوىَ العاثرُ قلنا دَعْدَعَا له وعالينا بتنعيش لَعاَ

قال ابن الأعرابى : معناه اذا وقع منا واقع نَعَشْنَاهُ ولم نَدَعْهُ أن يهَلِكَ .

وقال غيره : دَعْدَعَا معناه أن نقول له : رفعك الله ، وهو مثل : لَعاً .. وقال ابو زيد : اذا دُعَىِ للعاثر قيل لَعاً له عالياً ، ومثله : دَعْ ، دَعْ وقال ، دَعْدَعْتُ بالصبى دعدعةً ، اذا عَثِر ، فقلت له : دَعْ دَعْ ، أى ارتفع ، ودَعْدَعَ بالمعز

دَعْدَعة : زجرها ، ودَعْدَعَ بها دعدعةً دَعَاهَا وقيل الدعدعة بالغَنَم الصغار خاصة ، وهو أن تقول لها : داعْ داعْ ، وإن شئتَ كسرتَ ونَوَّنْتَ ، والدُعْدَعَةُ قِصرَ الخَطْوِ فى المَشِى مع عَجَل ، والدَّعْدَعَةُ عَدْوٌ فى التواء وبُطْءٌ وأنشد :

أسْعَى على كلّ قومٍ كان سَعْيُهمو   وَسْطَ العشيرة سَعْياً غــيرَ دَعْداع

أى غير بطىءً ، ودعدع الرجلُ دَعْدَعَة ، ودَعداعاً عَدَا عَدْواً فيه بُطْءٌ والتواءٌ وسعى دَعْدَاعٌ مثله .

والدَّعْداعُ الدَّحداح القصير من الرجال .

وقال ابن الأعرابى : يقال للراعى : دُعْ دُعْ ، بالضم ، اذا أمرتَه بالنَّعيق بالغنم ويقال : دَعْ دَعْ بالفتح وهما لغتان ، دَعْدَعَ بها ، ومنه قول الفَرَزْدَقِ :

دَعْ دَعْ بأعْنُقِــك النَّوائِــم انَنى   فى باذخٍ يا ابــن المراَغــة عالى

وقال اعرابى : كم تَدُعُ ليلتُكم هذه من الشهر ؟ أى كم تُبقى سواهـا ؟ وأنشد : (ولسنا لأضيافنا بالدُّعُعْ) .

قال ابوتراب : أمَّا كون الدَعْداع مُبْدَلاً من الدحداح كما أشار اليه ابن فارس فهذا لم يذكره فى اللسان وذكره عبدالواحد الحلبى فى كتـاب الابـدال (ج ١ ص ٢٩٦) : قال : ويقال : دَحَّ فى قفاه يَدُحُّ دَحًّا ، ودَعَّ يَدُعَّ دَعًّا . وذكر شعراً قبيحاً وتركناه تنزيهاً .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : السماءُ مُنْفَطِرٌ به » ؟

قال : منصدع به ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

ظِباهنَ حتى أعْـوَضَ الليـلُ دونها   أفاطـيرَ وَسْمِــىٌ رِواءٍ جُذورُها

قال ابوتراب : وفى تنوير المقباس (ص ٣٧٢) : « السماءُ مُنْفَطِرٌ به » مُنْشَقٌ بذلك الزمان الذى يجعل الولدان شيبا ، ويقال : بنزول أمر الربّ والملائكة .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ٢ ص ٢٧٤) : قال ابو عمرو : السماء منفطرة به ، أُلِقْى الهاءُ لان مجازها السقف تقول هذا سماء البيت ، وقال قوم قد تلقى العرب من المؤنث الهاءات استغناءً ، يقال : مُهْرة ضامر ، وامرأة طالق ، والمعنى متشققة .

وفى غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٤٩٤) : مُنْفَطِر به ، أى منشق فيه .

وفى معانى الفراء ج٢ ص ١٩٩ السماء تذكر وتؤنث وهى ههنا فى وجه التذكير قال الشاعر :

فلو رفع السماء اليه قوماً   لحقنا بالنجوم مع السحاب

قال ابوتراب : ولم يذكر ابن الجوزى ولا الدامغانى هذه المادة فى الوجوه والنظائر مع ان لها فى القرآن معانى فى الفطور ، والفطرة ، والفاطر ، والمنفطر به .

وفى مفردات القرآن للراغب : أصل الفَطْرِ الشق طولاً ، يقال : فَطَر فلانٌ كذا فَطْرًا ، وأفْطَر هو فُطوراً ، وانفطر انفطارا قال « هل تَرىَ من فُطور » أى اختلال ووَهْى فيه ، وذلك قد يكون على سبيل الفساد ، وقد يكون على سبيل الصلاح ، قال : « السماءُ مُنْفَطِر به » ومنه الفطرة ، وفَطَر الله الخَلْقَ ، وهو إيجادُه الشىءَ وابداعُه على هَيْأةٍ مُتَرَشحة لفعل من الأفعال فقوله : « فطرةَ الله التى فطر الناس عليها » اشارةٌ منه تعالى الى مافطر أى أبْدعَ وركز فى الناس ، من معرفته تعالى وفطرة الله هى ماركز فيه من قوته على معرفة الايمان وهو المشار اليه بقوله : « ولئن سألتهم مَنْ خَلَقَهم ليقولن الله » وقال « الحمد لله فاطر السموات والأرض » وقال : « الذى فطرهن » وقال : « والذى فطرنا » أى ابدعنا واوجدنا ، ويصح ان يكون الانفطار فى قبول « منفطر به » اشارة الى قبول ما أبدعها وأفاضه علينا منه .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه ، من ذلك الفِطْر من الصوم ، يقال : أفطر إفطارًا ، وقوم فِطْرٌ أى مُفْطرون ، ومنه الفَطْر بفتح الفاء ، وهو مصدر فطرت الشاةَ فَطْرًا اذا حلبتها ، ويقولون : الفَطْر يكون الحَلْبَ باصبعين ، والفِطْرة الخِلْقَةُ .

وقال الزمخشرى فى أساس البلاغة :

فطر الله الخَلْق ، وهو فاطر السموات ، مبتدعُها ، وأفْتَطَر الأمرَ : ابتدعه ، « وكل مولود يولد على الفطرة » أى على الجِبِلَّة القابلة لدين الحق ، وقد فَطَر هذه البئرَ ، وفطر الله الشَجَرَ بالوَرَق ، فأنْفَطَر به وتَفَطَّر ، وتَفَطَّرت الأرض بالنبات ، وتفطَّرت اليدُ والثوب تَشَقَّقَتْ ، وفطر نابُ البعير : طَلَع ، وهذا كلامٌ يُفطِر الصومَ أى يفسده ، وفَطَرَتِ المرأة العجينَ ، والأجير الطينَ ، وعجينٌ وطينٌ فَطيرٌ ، وهو ماخُبز أوطِيْنَ به من ساعتِه قبل أن يَخْتَمِرَ ، وجلْدٌ فَطيرٌ : لم يُلْقَ فى الدباغ ، وسوطٌ فَطير : محرَم لم يُمَرَّنْ بالدّباغ ، وسيفٌ فُطارٌ : عُمِل حديثاً لم يَعْتُق ، وقيل : فيه تَشَقُّقٌ ، وتقول : قلبٌ مُطَارٌ وسيفٌ فُطارٌ ، وأفطر الصائمُ ، وأفطره غيرُه وفَطَّره ، وفلانٌ يُفَطِّر الصُوَّام بفَطور حَسَنٍ ، واذا غربت الشمس فقد أفطر الصائم ، أى دخل فى وقت الفِطْر ، وذبحنا فَطيرةً وفَطورةً ، وهى الشاةُ التى تُذبح يوم الفِطْر ، ومن المجاز : لاخير فى الرأى الفَطير ، وتقول : رأيه فَطير ، ولُبُّه مستطير .

وفى اللسان : وفَطَر الشيءَ شَقَّه ، والفَطْر الشَقُّ جمعُه فُطور ، وفى التنزيل : « هل ترى من فُطور » وانشد ثعلب :

شَقَقْتِ القلبَ ثم ذَررَتِ فيه هواك فَلِيْمَ فَالتَامَ الفُطُور

ومنه قوله تعالى : « إذا السماء انفطرتْ » أى انْشَقَّتْ .

وفى الحديث : قام رسول الله ﷺ حتى تَفَطَّرتْ قدماه ، أى انْشَقَّتَ ، يقال : تَفَطَّرت وانفطرت بمعنى ، ومنه أُخِذَ فِطْر الصائم لانه يفتح فاه ، قال ابن سِيْدَهْ : تَفَطَّر الشيء وفَطَر وانْفَطَر ، وفى التنزيل : « السماءُ مُنْفَطِرٌ به » ذَكر على

النسَب ، كما قالوا : دَجاَجَةٌ مُعْضِلٌ . وسيف فُطار : فيه صُدوع وشقوقٌ قال عنترة :

وسيفي كالعقيقة وهو كِمْعي ِ سلاحي لا أَفَلَّ ولا فُطارا

قال ابن الأعرابى : الفُطارىُّ من الرجال الفَدْم الذى لاخيرَ عنده ولا شرَّ مأخوذ من السيف الفُطار الذى لايَقْطَع ، وبعيرٌ فاطرٌ : طلع نابُه ، وقول هِمْيانَ :

آمُل أن يحملني أميرى على عَلاَةٍ لأْمةِ الفُطور

يجوز ان يكون الفُطورُ فيه الشقوقَ ، أى أنها مُلْتَئِمة ماتبايَنَ من غيرها فلم يَلْتَ طرئمْ ، وقيل : معناه شديدةٌ عند فطورنا بها مُوَثَّقَةٌ .

وفى تهذيب الأزهرى : الفُطْر شيء قليل من اللَّبَن يُحْلَبُ ساعتئذٍ ، تقول : ما حلبنا الاّ فُطرا ، قال المرَّارُ : (عاقرٌ لم يحُتلبْ منها فُطُرْ) .

وسئل عُمَر عن المَذْي ِ فقال : ذلك الفَطْر ، رواه ابو عُبيد ، ورواه ابن شُميل : الفُطْر ، وفَطَر نابُه اذا بَزل ، قال الشاعر :

حتى نهَى رائضَه عن فَرَهِ أنيابُ عاس ٍ شاقي ٍء عن فَطْرِه

وفى حديث عبدالملك : كيف تَحْلبها مَصراً أم فَطْراً ؟ هو أن تَحْلُبَها بإصبعَينْ بطرف الابهام والتفاطير بُثر تخرج فى وجه الغلام والجارية قال :

تفاطير الجنون بوجه سَلْمَى قديماً لا تفاطيرُ الشباب

وفَطَر الله الخلق يفطُرهم : خلَقَهم وبدأهم ، والفطرة الابتداء والاختراع وفى التنزيل العزيز : « الحمد لله فاطر السموات والأرض » قال ابن عباس : ماكنت أدرى مافاطر السموات والأرض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما : أنا فَطَرْتُها أى انا ابتدأت حفرها والفطرة بالكسر الخلقة انشد ثعلب :

هَوِّنْ عليك فقد نال الغِنَى رجلٌ فى فِطْرَة الكلْب لابالدّين والحسب

وقال ابو الهيثم : الفِطرةُ الخِلْقةُ التى يخُلق عليها المولود فى بطن أُمّهِ وقوله : « الذى فَطَرنى فانه سيَهدينْ » أى خَلَقنى ، وكذلك قوله تعالى : « ومالىَ لا أعبد الذى فَطَرنى » وقول النبى ﷺ : كلُّ مولود يولد على الفطرة ، يعنى

الخِلقة التى فُطر عليها فى الرَّحِم من سعادة أو شقاوة ، فاذا ولده يهوديان هَوَّداه فى حُكْم الدنيا ، أو نصرانيان نَصرَّاه فى الحكم ، أو مجوسيان مجَّسَاه فى الحُكْم ، وكان حُكْمه حُكْمَ أبويه حتى يُعبر عنها لسانُه . فان مات قبل بلوغه مات على ماسَبق له من الفِطرة التى فُطِر عليها ، فهذه فطرة المولود وفطرة ثانية وهى الكلمة التى يَصير بها العبد مُسلِماً وهى شهادة ان لا آله الاّ الله ، وأن محمداً رسول الله جاء بالحق من عنده ، فتلك الفِطرةُ للدِّين ، والدليل على ذلك حديثُ البَراء بن عازب عن النبى ﷺ أنه عَلّمَ رجلاً أن يقول اذا نام وقال : فانك ان مُتَّ من ليلتك مُتَّ على الفطرة ، وقوله تعالى : « فأقِمْ وجهك للدين حنيفا فِطْرَة الله التى فَطَر الناسَ عليها » فهذه فِطرة فُطر عليها المؤمن ، وقيل : فُطِر كلَّ انسانٍ على معرفته بان الله ربُ كلِّ شيء وخَالقُه والله أعلم وقد يقال : كل مولود يولد على الفطرة التى فطر الله عليها بنى آدم حين أخرجهم من صُلْبه كما قال تعالى « وأشهدهم على أنفسهم » .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وحُشِرَ لسُليمانَ جنودُه من الجنّ والانسِ والطَّيرِ فهم يُوزَعُون » ؟ قال : « يوزعون » يُحْبَسُ أولهم على آخرهم حتى تنام الطَّير ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول الشاعر :

وَزَعْتُ رَعيلَها بِأَقَبَّ نَهْدٍ إذَا مَا القَوُم شَدُّوا بعد خَمْسِ

قال ابوتراب : وعن ابن عباس فى تفسيره الذى جمعه الفيروزابادى وسماه تنوير المقباس (ص ٢٣٥) « يوزعون » يُحبس اولهم على آخرهم حتى اجتمعوا .

وفى مجاز ابى عبيدة (ج ١ ص ٩٢ و ١٩٧) : أى يُدفعون ، من وَزَعْتُ ، فيُسْتَحَثَ آخرهم ويُحبس أولهم ، ومجاز « أَوْزِعْنى أن أشكر نعمتك » شدِّدنى اليه ، ومنه قولهم : وَزَعَنى الحُلُم عن السَّفاه ، أى مَنَعَنى ، ومنه قوله :

على حينَ عاقبت المشيبَ على الصبا فقلت أَلمَّا تَصْحُ والشيب وازِعُ

ومن الوَزَعَةُ الذين يدفعون الخُصومَ والناس عن القضاة والأمراء .

وفى معانى القرآن للفراء (ج٢ ، ص ٢٨٩) : « فهم يوزعون » ، يُرَدُّ أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ، وهى من وَزَعْتُ الرجل ، تقول : لأَزَعَنَّكم عن الظلم فهذا من ذلك . وأمَّا قوله : « أَوْزِعْنى » فمعناه أَلْهِمْنى .

وقال ابن قُتيبة فى غريب القرآن : « فهم يوزعون » أى يُدفعون ، وأصل الوَزْعِ ، الكفُّ والمَنع ، يقال : وزعتُ الرجل : اذا كففتَه ، ووازع الجيش هو الذى يكفُّهم عن التفرق ، ويَرُدّ من شَذَّ منهم . وقوله : « رب اوزعنى » أى ألهمنى واصل الايزاع الاغراءُ بالشىء ، يقال : أوزعتُه بكذا ، أى أغريته به ، وهو مُوْزَعٌ بكذا ، ومُولَع بكذا ، ومنه قول ابى ذؤيب فى الكلاب .

فغدا يُشرِّق مَتْنَه فبداله أُولى سوابقها قريباً تُوزَعُ

أى تُغرى بالصيد .

وقال الدامغانى : الوَزْع فى القرآن على وجهين ، السوقُ والالهام ، « يوزعون » أى يُساقون ، و « أوزعنى » ألهمنى .

ومثله فى نزهة الأعين لابن الجوزى

وفى مفردات الراغب : فقوله : « يوزعون » إشارة الى انهم مع كثرتهم وتفاوتهم لم يكونوا مُهْمَلين ومُبْعَدين كما يكون الجيش الكثير المُتَأَذَّى بمعرَّتهم بل كانوا مَسُوسِينَ ، ومقموعين ، هذا فى قوله : « وحُشر لسليمان جنوده » وأمّا قوله : « ويوم يُحشر » إلى قوله « فهم يوزعون » ، فهذا وَزْع على سبيل العقوبة ، وقوله : « أوزعنى أن اشكر » قيل : معناه : ألهمنى ، وتحقيقه . أَوْلِعْنِى ذلك واجعلنى بحيث أَزَعُ نفسى عن الكفران ، لأن الوُزوعَ الولوع بالشىء ، وأوزع

بالشيء اذا أولع به ، كأنّ الله يُوزِعُه بشكره ، ورجلٌ وَزوعُ .

وفي أساس البلاغة للزمخشري : وَزَعْتُه : كفَفْتُه فاتَّزع ، ووازعتُه مانعتُه ، والشيب وازِعٌ ، وهو وازع العسكر : لِمَنْ يَزَعُ من يتقدم منهم ، ولابُدَّ للناس من وَزَعَةٍ : من كَفَفَةٍ عن الشر والبغي ووَزَع نفسه عن الجهل والهوى ، قال :

اذا لم أَزَعْ نفسي عن الجهل والصبا لينفعها عِلْمِي فقد ضَرَّها جهلي

وفلانٌ مُتَّزِعٌ : عزيز النفس ممتنع ، وأوزعه الله الشكر ، وأنا استوزِعُ الله شكر نعمته ، وأولعت به وأوزعت ، وأنابِه مُولَعٌ ومُوزَعٌ ، ولي به وَلوعٌ ووَزُوعٌ ، وأولعتُه به وأوزعتُه ، ووزّع المال والخراَج توزيعاً قَسَّمَهُ وبها أوزاعٌ من الناس وأوشاب : ضروب متفرّقون ، وتقول : ذهبت نفسه شعاعا ، ولحمه أوزاعاً ، قال يزيد بن الحَكم الثقفي :

فرددتُ عاديه الكتيبة عن فتىً قد كاد يُترك لحمهُ أوزاعا

وما لهم الا أوزاع من الصرِم قال :

فاستدبروا كل ضحضاحٍ مُدَفَّئَةٍ والمُحْصَنات وأوزاعاً من الصرِم

استدبروا : استاقوا ، والضحضاح : الابل الكثيرة

ومن المجاز : تَوَزَعَتْه الأفكار ، وهو متوزع القلب .

وفي مقاييس اللغة لأحمد بن فارس : الواو والزاي والعين بناء موضوع على غير قياس ووزعتُه عن الأمر كفَفْتُه قال تعالى : « فهم يُوزعون » أي يحُبس أولهم على آخرهم ، وفي بعض الكلام : « مايَزَعُ السلطان أكثرُ مما يَزَعُ القرآن » أي ان الناس لِلسُّلطانِ أخوفُ وقال في اللسان : معناه أن من يكف عن ارتكاب العظائم مخافة السلطان اكثر ممن تكفه مخافة القرآن وبناءٌ آخر يقال : أوزع الله فلاناً الشُكْرَ : ألهمه اياه .

وفي الحديث : ان إبليس رأى جبريل عليه السلام يوم بَدْرٍ يَزَعُ الملائكةَ ، أي يُرَتِّبِهُم ، ويَصُفُّهم للحرب ، فكأنه يكفّهم عن التفرق والانتشار .

وفي حديث ابي بكر : أن المغيرة رجل وازِعٌ ، يريد أنه صالح للتقدم على

الجيش وتدبير أمرهم وترتيبهم فى قتالهم ، وقول خَصيب الضَّمرى :

لَمـا رأيـت بنـى عَمْـرو ويَازِعَهم أيقنـت انـى لهـم فى هذه قَوَدُ

أراد (وازعَهم) فقلب الواو ياءً طلبا للخفة ، وتنَكَّبَ الجَمْعَ بين واوين .

وفى حديث الحسن لَمّا وَلِىَ القضاءَ قال لابد للناس من وَزَعَةٍ أى أعوانٍ يكفونهم عن التعّدى والشر والفساد .

وفى حديث جابر : أردتُ ان اكشف عن وَجْه ابى لَمّا قُتل ، والنبى ﷺ ينظر الى فلا يَزَعُنىِ أى لا يَزْجرُنىِ ولا ينهانى ، وفى الحديث انه كان مُوزَعاً بالسواك أى مولعًا به.

وفى التنزيل : « ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على » ومعنى أوزعنى : ألْهِمنى ، وأولعْنى به ، وتأويله فى اللغة : كُفَّنى عن الاشياءالا عن شكر نعمتك ، وكفنى عما يباعدنى عنك .

ويقال : أوزعتُه بالشىء : أغريتُه به فهو مُوزَعُ به أى مُغْرىَ به ومنه قول النابغة :

فهاب ضُمْرانُ منـه حيـث يوزعُه طَعْنَ المعُـارِكِ عنـد المَحْجَـرِ النَّجُدِ

وفى حديث عمر : أنه خرج ليلةً فى شهـر رمضان والنـاس أوزاعُ ، أى يصلّون متفرّقين غيرَ مجتمعين على إمام واحـد ، وفى شعـر حسان : (بضَرْبٍ كايزاعِ المخاضِ مُشَاشَهُ).

ولا واحد للأوزاع ، وقال الشاعر :

أحْلَلْتَ بيتَـك بالجميـع وبعضهم متفـرق لِيَحِـلَّ بالأوزاع

والأوزاع هنا بيوتُ منتبذة عن مجتمع الناس . وفى الحديث أنه ﷺ حلَق شَعره فى الحجّ ووزّعه بين الناس ، أى فَرَّقه وقسمه بينهم .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « مأواهم جهنم كلّما خَبَتْ زدناهم سعيرا » ؟ قال : الخُبُو الذى يُطفأ مرةً ويُسْعرُ أخرى . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، اما سمعت قول الشاعر :

والنـــار تخبـــو عن آذانهم وأضرِمُهـــا اذا ٱبتـــدروا سعيرا

وفى تنوير المقباس للفيروزابادى (ص ١٨٢) : « كلما خبت » سكنت النار وسكن لَهبها .

وقال ابو عبيدة فى المجـاز (ج ، ص ٣٩١) « خَبَـتْ » سكنـت ، قال الكميت :

ومنّـــا ضرِارٌ وٱبْناهُ وحاجبٌ مُؤَجّـجُ نـــيران المكـــارم لا المخْبِى

ولا تكون الزيادة الآعلى اقل منها قبل الزيادة ، قال القَطامُى : (وتَخبو ساعةً وتَشُبُّ سَاعَا) ولم يذكر ههنا جُلودَهم فيكون الخُبُوّها .

قال ابو تراب : البيت من شواهد سيبويه (ج ، ص ١٩٢) وهو فى أضداد الانبارى (ص ١١٣) والشنتمرى (ج ٢ ص ١٨٩) وغيرها .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٢٦١) « كلما خَبَتْ » أى سكنت ، يقال : خبت النار : اذا سكن لَهَبُها تَخبُو ، فان سكن اللَهَب ولم يَطفَأ الجمر قلتَ : خَمَدَتْ تَخَمُد خُموداً فان طَفِئَتْ ولم يبق منها شىء قيل : هَمدَتْ تَهمدُ هُموداً .

وفى مفردات الراغب : خبت النار صار عليها خباء من رمادٍ أى غشاء وأصل الخِبَاء الغطاء الذى يُتَغَطَّى به ، وقيل لِغشاءِ السنبلة خِباءٌ .

وفى أساس الزمخشرى : هم من أهل الخباء ونشأت فى أَخْبِيَتهم وتربَّيْتُ بين أَحْوِيَتهِم ، وتخَبَّيْتُ خباءً وٱستَخْبَيته نصبته واتخذته ومن المجـاز : خَبَـتْ حِدَّة الناقة ، وخبا لَهبُه : اذا سَكنَ فَوْرُ غَضَبه .

قال ابن فارس فى المقاييس : الخاء والباء والحرف المعتلّ والهمزة يدلّ على سَتْر الشىء ، فمن ذلك خَبأْتُ الشىء .

وقال ابن منظور الافريقى : « كلما خَبتْ زدناهم سعيرا » قيل : معناه سكن لهبها ، وقيل : معناه كلما تَمَنَّوا أن تَخْبُو وأرادوا أن تَخْبُو .

وأصله الهمز ، لأنه من خَبأت ، الاّ ان العرب تركت همزها ، والخباء من الأبنية ، واحد الأخبية ، وهو ماكان من وَبَر وصوف ، ولا يكون من شَعَر ، وهو على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو بيت ، وهو من بيوت الأعراب ، جمعه أخبية بلا هَمْزٍ .

وفى حديث الاعتكاف فأمر بخبائه فقُوض . وفى الحديث ايضاً انه أتى خِباءَ فاطمة وهى فى المدينة ، يريد منزلها ، وأصل الخباء الهمز لأنه يُخْتَبَأُ فيه . وأخبيت خباءً وخَبَّيتُه وتخَبيتُه عملتُه ونصبتُه واستخبيته : نصبتُه ودخلت فيه والخِباءُ غشاء البُرَّة والشعيرة فى السُنبلة ، وخِباءُ النَّور كِمامُه وكلاهما على المَثَل .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وإن يَستغيثوا يغاثوا بماء كالمُهْل يَشْوى الوجُوه » ؟ قال : « المُهْل » : كُدْرِىَ الزَّيْتِ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

تَبـارَى بهـا العِيْسُ السَّمـومَ كأنهَا   تَبطَّنَـتِ الأَقْـرابَ من عَرَقٍ مُهْلاَ

وفي تنوير المقباس (ص١٨٥) : «كالمُهْل» كدرُدِىَ الزيت ، ويُقال : كالفِضَّة المذابة .

وقال ابو عبيدة في المجاز (ج ١ ص ٤٠٠) : كلُّ شيء أذبتَه من نُحاسٍ أو رَصاصٍ ونحو ذلك فهو مُهْلٌ ، وسمعتُ المُنْتَجعَ بن نبهان يقول : والله لفلانٌ أبغضُ الىّ من الطَّلْياءِ والمُهْل . فقلنا : وماهما ؟ فقال : الجَرْبَاءَ . والمَلَّةُ التي تَنْحَدرُ من جوانب الخُبْزَةِ اذا مُلَّتْ في النار من النار ، كأنه مُهْلَةٌ حمراء مُدَقَّقَةٌ فهي جَمْرَةٌ .

وفي المفردات : المَهْل التُؤَدَةُ والسُكُونُ ، قال : « فمهّل الكافرين » والمُهْل دُرْدِيُّ الزيت قال : « كالمُهْل يَغْلى في البطون » .

قال ابو تراب : وهذه المادّة في القرآن ذات وجهين ، ولم يذكرها ابن الجوزي ولا الدامغاني في كتابيهما اللذين وضعاهما في الوجوه والنظائر فليُستدرك .

قال ابن فارس في المقاييس : الميم والهاء واللام أصلانِ صحيحان يدلُّ أحدهما علي تُؤَدَةٍ ، والآخرُ جنسٌ من الذائبات ، فالأول التُؤَدَةُ تقول : مهلاً يارجل ، وكذلك للاثنين والجميع ، واذا قال : مَهْلاً ، قالوا : لا مَهْلَ والله ، وما مَهْلٌ بِمُغْنِيَةٍ عنك شيئا ، قال :

(وما مَهْلٌ بواعظةِ الجَهولِ)

قال ابو تراب : جاء في اللسان : وقولهم : مَهْلاً يارجل وكذلك للاثنين والجمع والمؤنث ، وهي مُوَحَّدةٌ بمعني : أَمْهِلْ ، فاذا قيل لك : مَهْلاً قلت : لا مَهْلَ والله ، ولاتقل : لا مَهْلاً والله وتقول : وما مَهْلٌ بِمُغنيةٍ عنك شيئا قال الكميت :

أقول له اذا ما جاء مَهْلاً   وما مَهْلٌ بواعظةِ الجَهولِ

قال ابن بَرِي : وهذا البيت اورده الجوهري : (أقول له إذْ جاء مَهْلاً) الخ ، ونسَبه للكُميت ، وصدره لجامع بن مُرْخِية الكلابّي ، وهو مُغَيرٌ ناقصٌ جُزْءاً ، وعَجُزُهُ للكُميت ، ووزنه مُخْتَلِفٌ ، الصَدْرُ من الطويل والعَجُزُ من الوافر ، وبيتُ جامعٍ :

أقول له مَهْلاً ولا مَهْلَ عنده   ولا عند جَارِى دَمْعِه المُتَهلّل

وأمّا بيت الكُميت فهو :

وكنّا ياقُضَاعُ لكم فمَهْلاً   وما مَهْلٌ بواعظة الجَهولَ

فعلي هذا يكون البيت من الوافر موزوناً . وعَلّق على هذا الكلام محقّقو دار المعارف بأن الذي في نُسَخ الصحاح الخَطّ والطَّبْع التي بأيدينا كما اورده اللسان سابقاً ، وكذا هو في الصاغاني عن الجوهري ، فلعلّ ما وقع لابن بَرّى نسخةٌ فيها سُقْم .

قال ابو تراب : وأنشده ابو الطيب في الأضداد (ج٢ ص٦٣٥)

فمَهْــلاً ياقُضاعَ فلا تكونى منيحــاً في قداحِ يَدَىْ مجُيل

ونسبه ابن قتيبة في كتاب المَيْسر (ص٧٢) الى الكميت ، وكذلك الزبيدى فى (منح) وهو فى اللسان فى هذه المادة غير منسوب . ولم يعرج على هذا كله احمد عبدالغفور عطار فى تحقيقه للصحاح .

ونقل ابن فارس عن أبي عُبيد : التَمَهّلُ : التقُّدمُ ، قال : وهـذا خلاف الأول ، ولعّله أن يكون من الأضداد ، وأَمْهَلهُ الله : لم يُعاجِلْـهُ ، ومشى علي مُهْلتِه ، أي علي رِسْله .

والأصل الآخر : المُهْلُ : وقالوا : هو خُثارة الزيت ، وقالوا : هو النُحاس الذائب .

قال ابو تراب : ولم يذكر الحلبي التمهُّل من الأضداد كما نقله ابن فارس عن أبي عُبيد ، وهذا من فوائدِهِ ، فليستدرك ، وكذلك يُذَيَّل كلام الدكتور عَزَة حسن محقق كتاب أبي الطيب حول البيت المذكور للكُميت بما أورده صاحب اللسان من كلام ابن بَرّي ، فانه لم يطّلع عليه والله أعلم ، والبيت ايضاً في أساس البلاغة منسوباً الي الكميت ، وذكر الزمخشري التمّهل بمعني التقدم وله شاهد من شعر الأعشي سيأتي .

وفي غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٧) : المُهْل دُرْدِيُّ الزيت ويقـال : ما أذيب من النُحاسِ والرَّصَاص .

وفي تفسير القرطبي (ج١٠ ص٣٩٤) : قال ابن عباس : المُهْلُ ماءٌ غليظ مثلُ دُرْدِيَ الزيت . وقال مجاهد : القَيْح والدم ، وقال الضّحاك : ماءٌ أسود وإنَ جهنم لَسَوْدَاءُ ، وماؤها أسود ، وشجرها أسود ، وأهلها سُودٌ .

وقال ابو عبيدة : هو كل ما أُذيب من جواهر الأرض من حديد ورَصاص ونُحاسٍ وقَزْديرٍ ، فتَموجُ بالغَلَيان ، فذلك المُهْل . ونحوه عن ابن مسعود ، وقال سعيد بن جُبير : هو الذي قد انتهي حَرُّهُ ، وقال : المُهْل ضَرْبٌ من القَطِرانِ ،

يُقال : مَهَلْتُ البعير فهو مَمْهُولٌ ، وقيل : هو السُمُّ ، والمعنـي في هذه الأقـوال متقارب . وفي جامع الترمذي عن النبي ﷺ في قوله : «كالمُهْل » قال : كعَكَر الزيت ، فاذا قَرَّبه الي وجهه سقطتْ فَرْوَةُ وجهه ، وراوي هذا الحديث رِشْدين بن سعد تُكُلم فيه من قبل حفظه ، وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله : « ويُسْقَى من ماء صديد يتجرّعه » قال : يُقَّربُ الي فيه فيكَرْهُه ، فاذا أُدْنَي منه شَوَى وجْهَه ، ووقعتْ فروة رأسه ، فاذا أُشرِب به قَطَّع أمعاءه حتي يخرج من دبره ، يقول تعالي : « وسُقُوا ماءً حميًا فَقَطَّع امعاءَهم » يقول : « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمُهْل يشْوى الوجوه بئس الشراب وساءت مُرْتَفقاً » قال الترمذي : هذا حديث غريب .

قال القُرْطبيُّ : وهذا يدلُّ على صحة تلك الأقوال ، وأنها مرادة والله أعلم ، وكذلك نصً عليها أهل اللغة ، ففي الصِحاح : المُهْل النُحاس المذاب ،

وقال ابن الأعرابي : المُهْل المذاب من الرَّصاص ، وقال ابو عمرو : المُهْل دُرْدِيُّ الزيت ، والمُهْل ايضاً القَيْح والصديد . وفي حديث أبي بكر : اَدفُنوني في ثوبَى هذين فانهما للمُهْل والتراب ..

قال ابو تراب : وفي رواية : للمَهْلَةِ بفتح الميم أو بكسرها أو بضَمها .

وجاء في تفسير الطبري ان ابن مسعود أُهدِيتْ اليه سقاية من ذهب وفضة فأمر بأخدود فخُدَّ في الأرض ثم قذف فيه من جَزْلِ حَطَبٍ ، ثم قذف فيه تلك السقاية حتي اذا أَزْبَدَتْ وَانماعَتْ قال لغُلامه : أُدْعُ من يحضرنا من أهل الكوفة فدعا رهطاً فلما دخلوا عليه قال : أترون هذا ؟ قالوا : نعم ، مارأينا في الدنيا شبيهاً للمُهْل أدني من هذا الذهب والفضة حين أَزْبد وَانْمَاعَ .

قال الطبري بعد أن ذكر الأقوال في المُهْل : هذه الأقوال وان اختلفت بها ألفاظ قائليها فمتقاربات المعني ، وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضةٍ فقد انتهي حَرُّهُ ، وأن ما أوقدتْ عليه من ذلك النارُ حتي صار كدُرديَ الزيت فقد انتهي ايضاً حَرُّهُ ثم ذكر قول المُنْتَجع بن نبهان الذي أورده ابو

عبيدة ، وسبق ذكره ثم قال : فالمُهْل إذاً هو كلُّ مائع قد اوقد عليه حتي بلغ غاية حَرِّه ، أو لم يكن مائعاً فانْمَاعَ بالوقود عليه وبلغ أقصى الغاية في شدة الحَرّ .

قال الزمخشري في الأساس : أمْهَلْتُه ، ومَهَّلْتُه ، أنظرتُه ولم أُعاجلْه وأطلتُ مُهْلَتَه ، وعَمِل ذلك في مُهلةٍ ، ومَهْلاً وعلى مَهَلٍ : اِتَّئِدْ ، وتَمَهَّلَ في الأمر :إِتَّأَدَ فيه ، وتَمَهَّل تَقَدَّمَ ، قال الأعشى :

عليــه سِلاحُ آمْـرِىءٍ حازمٍ تَمَهَّــلَ في الحــرب حتــي آمْتَحَنْ

وأخذ المُهْلَةَ ، وفلان ذو مَهَل ذو تقدُّم في الخير ، قال ذو الرُمَّةِ :

كم فهِمــوا من أشَمَّ الأنْفِ ذي مَهَل
يأبَــى الظُّلامــةَ مثْــلَ الضَيْغَــمِ الضَّارِيْ

وأخذ فلانٌ على صاحبه المُهْلَةَ : اذا تَقَدمَه في سِنّ أو أدبٍ ، وخُذِ المُهْلَة في أمرك ، ورَحِمَ الله مَهَلَك : سَلَفك ، « بماء كالمُهْلِ » كالصَّديد .

قال ابو تراب : وفي اللسان :(يأبي الظُّلامة منه الضَّيغَمُ الضَّائرِيْ) ولعلَّ رواية الزمخشري أصَحُّ .

قال ابن منظور : والاستمهال : الاستنظار ، وكل تَرَفُّقٍ تَمَهُّلٌ ، ورُزق مَهْلاً : رَكبَ الذنوب والخطايا فمُهِّل ولم يُعْجَلْ .

والمُهْلُ اسم يجْمَع معدنيّات الجواهر ، والمُهْلُ : ماذاب من صُفْر او حديد ، وهكذا فُسرَ في التنزيل والله أعلم . والمُهْلُ والمُهْلَة ضَرْبٌ من القَطِرانِ ما هِيٌّ رقيق يُشْبه الزيتَ ، وهو يَضرْبُ الي الصُفْرة من مَهَاوَته ، وهو دَسِمٌ تُدْهَنُ به الابل في الشتاء ، والقَطِرانُ الخاثر لا يُهْنأُ به ، وقيل : هو العَكَر المُغْلَى ، وأنشد ابن بَرى للأفوه الأودِيّ :

وكأنمــا أسْلاتُهــم مَهْنوءةٌ بالمُهْــل من نَدَبِ الكُلــومِ اذا جَرَى

شَبَّه الدم حين يَبِس بدُرْدِيّ الزيت ، ومَهَلْتُ البعيرَ : اذا طَلَيْته بالخَضْخَاضِ فهو مَمْهول ، قال ابو وجْزَةَ :

صافي الأديـم هجـانٌ غـيرَ مَذْبَحِهِ كأنــه بدم المَكْنَــانِ مَمْهُولُ

وقالت العامرية : المُهْل عندنا السمُّ ، والمُهْل الصديد والدم يخرج فيما زعم يونس ، والمُهْل النُحاس الذائب ، وأنشد :

ونُطعِم من سَديف اللحم شِيْزَى اذا ما الماءُ كالمُهل الفَريغِ

وفَسرَّ ابو عُبيدة قولَ أبي بكر : ادفنونى في ثوبيَّ هاذين فانمّا هما للمُهْل والتراب : بأنه في هذا الحديث الصديد والقَيح . وهو في غير هذا كلُّ فِلِزّ أُذيب ، والفِلِزُّ جواهر الأرض من الذهب والفضة والنُحاس ،

وقال ابو عمرو : هو في حديث أبي بكر بمعني القَيْح والصديد ، وفي غيره دُرْدِيُّ الزيت .

وقال ابو سعيد في قول الأعشى (الاّ الذين لهم فيما أتوا مَهَلُ) : أراد المعرفة المتقدمة بالموضع .

وقال ابن الأعرابي : رُوي عن عليّ أنه لّما لقي الشرُّاة قال لأصحابه : أقلُّوا البِطْنَةَ وأعْذِبُوا ، واذا سرِتُم الي العدوّ فمَهْلاً مَهْلاً ـ بالسكون أي رِفْقاً رفقاً ـ واذا وقعت العَينْ علي العين فمَهَلاً مَهَلاً ـ بالتحريك أي تقدُّما تقدماً ـ أي اذا سرِتم فتَأَنَّواْ ، واذا لقيتم فاحمْلُوا ، .

وفي حديث رُقَيْقَة : ما يَبْلُغ سَعْيُهم مَهَلَه ، أي مايَبْلغ إسراعهم إبطاءَهُ ، وقولُ أسامة بن الحارث الهُذَليّ :

لَعَمْري لقد أمْهَلْتُ في نَهي خالدٍ عن الشام إمّا يَعْصَينَّكَ خالدُ

أمْهَلْت : بالغت ، يقول : إن عصاني فقد بالغتُ في نَهْيِه .

وقال الجوهري : اتْمَهَلَّ اتِمْهْلالاً ، أي اعتدل وانتصب ، قال الراجز :

(وعُنُقٌ كالجِذْعِ مُتْمَهِلٌّ)

وقال القُحَيْفُ :

اذا ما الضِباعُ الجِلَّةُ آنتَجَعتْهُمو نَما النَّىُ في أصلائها فاَتْمَهَلَّتْ

وقال مَعْنُ بنُ أوس :

لُباخِيَةٍ عَجْزاءَ جَمٌّ عظامُها نَمتْ فى نَعيمٍ واتْمَهَلَّ بها الجِسْمُ

وقال كعب بن جُعَيْل :

فِي مكـانٍ ليس فيـه بَرَمٌ   وفَـراشٍ مُتعـالٍ مُتْمَهِلْ

وقال العبديُّ :

لقـد زُوِّجَ المِـرْدَادُ بيضاءَ طَفْلةً   لَعوبـاً تُناغيـه اذا ما اَتْمَهَلَّتِ

وقال عُقبة بن مُكَدَّم :

فِي تليلٍ كأنـه جِذْعُ نَخْلٍ   مُتْمَهِـلٍ مُشَذَّبِ الأكْرابِ

والمُتْمَهِلُ والمُتْمَئِلُ الرجل الطويل ، والهمزة بدل من الهاء ذكره اللسان وهو فى إكمال الابدال ص ٥٧٠

وأنشد الليث :

فَيَابْـنَ آدمَ ما أعْـددْتَ فِي مَهَلٍ   لله دَركُ ما تأتـىٍ ومـا تَذَرُ

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الازرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعـالي : « فَعَصَى فرعونُ الرسولَ فأخذناه أخذاً وبيلا » ؟ قال : « وبيلاً » شديداً ليس له ملجأ قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعت قول الشاعر :

أذُلَّ الحيـاةِ وعِـزَّ المماتِ   وكُـلاًّ أراهُ طعامـاً وبيلاَ

قال ابو تراب : هذا البيت أورده ابـن قتيبـة في عيـون الأخبـار (ج١ ص١٩١) وفي تفسير ابن عباس الذي جمعه الفيروزابادي (ص٣٧١) : فعاقبناه عقوبة شديدة وهي الغَرَق .

وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢ ص٢٧٣) : « أخذاً وبيلا » مُتَّخَذاً شديداً ، يقال : كَلأٌ مُستَوبَلٌ ، أي لايُستَمرأُ ، وكذلك الطعام .

وفي غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٩٤) : أي شديداً ، وهو من قولك : استَوبَلْتُ البلد ، (اذا استوخمتها) .

قال الراغب في المفردات : يقال : طعام وبيل ، وَكلأٌ وبيلٌ ، يُخَاف وبالُه ،

قال تعالي : « فأخذناه أخذاً وبيلاً» ، والوابل المطر الثقيل القطارِ « فأصابه وابل » ولمراعاة الثقل قيل للأمر الذي يُخاف ضَرَرهُ : وبال « فذاقوا وبال أمرهم » .

وروي الطبري في قوله تعالي : « فعصي فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً » عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا : أي شديداً ، وقال ابن زيد : الوبيل الشرّ والعرب تقول لمن تتابع عليه الشرُّ : لقد أوْبَلَ عليه ، وتقول : أوْبَلْتُ علي شرّك ، قال : ولم يرض الله بأن غَرِق فرعون وعُذّب حتي أُقِرَّ في عذاب مُسْتِقَرٍ حتي يُبعث الي النار يوم القيامة .

وقال القرطبي : « وبيلاً » أي ثقيلا شديداً ، وضَرْبٌ وبيل وعذاب «وبيل» أي شديد ، ومنه مطر وابل أي شديد قاله الأخفش ، وقال الزجّاج : أي ثقيلا غليظاً ، ومنه قيل للمطر : وابل ، وقيل : مُهْلكاً ، والمعني عاقبناه عقوبةً غليظةً . قال :

أَكَلْتِ بنيكِ أَكْلَ الضَبّ حتي وجدتِ مرارةَ الكَلاِ الوبيلِ

واستوبل فلان كذا ، أي لم يَحْمَدْ عاقبتَه ، وماء وبيل ، أي وخيم غير مَرِىء وَكلأ مُستوبلٌ ، وطعام وبيلٌ ، ومستوبلٌ : اذا لم يُمرِىء ولم يُستَمرأ .

قال زُهير :

فقَضَوْا مَنايا بينهم ثم أصْدَرُوا الي كَلأٍ مُسْتَوبَلٍ مُتَوَخِّمِ

وقالت الخَنْساءُ :

لقد أكلتْ بَجيلةُ يومَ لاقَتْ فوارسَ مالكٍ أكْلاً وبيلا

والوبيل ايضاً العصا الضخمة ، قال :

لَوَ أصْبَحَ في يُمْنَي يَدَىَ زِمامُها وفي كفّي الأخري وبيلُ تحُاذِرُهْ

وكذلك المَوْبِل بكسر الباء ، والمَوْبِلَةُ ايضاً الحُزْمَةُ من الحطب ، وكذلك الوبيل ، قال طَرَفَةُ :

فمَرَتْ كهَاةٌ ذاتُ خيفٍ جُلاَلَةٌ عقيلةُ شيخٍ كالوَبيل يَلَنْدَدِ

وفي الأساس للزمخشري : جَادَهُ وَبْلٌ ووابلٌ ، ووَبَلتِ السماءُ وهو يشكو الوابلةَ ، وهي عظمٌ في مفصِلِ الرُكبة ، وضربه بالوبيل ، ودقَّ القَصَّارُ الثوب بالوبيل ، وهو مِدَقُّهُ ، وصَكَّ النصرانيُّ الناقوسَ بالوبيل .

قال الأعشى : (وماصَكَّ ناقوسَ الصلاةِ وبيلُها) ومن المجاز : رجل وابلٌ : جَوَادٌ يَبِلُ بالعطايا ، أنشد الفَراءُ :

فأصبحتِ المنازلُ قد أذاعتْ بها الإعصارَ بعد الوَابِلينَا

أي بعد الأجواد من أهلها ، وَوَبَله بالسياط : تابعها عليه كالوابل ، وضَرَبه بالمِيْبَلة : بالدِرَّةِ ، مِفْعَلةٌ من وَبَله ، وأخْذٌ وبيلٌ : شديد ، ومنه الوَبَالُ لسوء العاقبة .

وقال ابن فارس في المقاييس في هذه المادّة : إنّها أصل يدل على شدةٍ في شيء وتَجَمُّع ، ووبلتِ السماءُ أتَتْ بوابلٍ ، وأنشد رَجَزَ جَهْم بن سَبَلٍ كما في اللسان ، والأزمنةِ والأمكنة (ج ٢ ص ٨٨) ، وشروح سِقْطِ الزَّنْد (ص٣١٨) :

أنا الجواد ابن الجوادِ ابن سَبَلْ إنْ دَيَّموا جادَ وإنْ جادوا وَبَلْ

قال ابن فارس : والمَوْبِلُ الأمْعَزُ الشديد . قال عبد السلام محمد هارون في تحقيقه الذي حَشَّى به المقاييس : هذا اللفظ وتفسيره مما لم أجده في المعاجم المتداولة ، ويبدو أنّ صواب المَوْبِل (الوبيل) .

قال ابو تراب : بل المَوْبلُ ذكره القُرطبى مضبوطاً كما مَرَّ آنفاً فليستدرك وذكره الجوهري ايضاً بشاهد سيأتي .

ومن شواهد الوَبْل والوابل بمعني المطر الشديد الضخم القَطْر قول جرير :

(يضربن بالأكباد وَبْلاً وابلاَ)

وفي حديث الاستسقاء : فألَّف الله بين السحاب فأُبِلْنا أي مُطِرنا وبلاً والهمزة فيه بَدَلٌ من الواو مثل أكَّد ووكَّد ، وفي بعض الروايات : وُبِلْنَا ، وفي حديث العُرنيّين : فاْستَوبَلُوا المدينة أي أستَوْخَمُوها ولم توافق أبدانهم .

وفي الحديث : أن بنى قريظة نزلوا أرضاً غَمِلةً وَبِلَةً أي وَخِمَةً .

وفي حديث يحيي بن يَعْمَرَ : كلُّ مالٍ أدَّيْتَ زكاته فقد ذهبتْ وَبَلَتُه أي مَضَرَّتُه وإثْمُه . ويُروي بالهَمْز علي القلب .

وقال ابو تراب : ولم أجده في اكمال الابدال ولا هو في اصل أبي الطيب .

وأنشد الجوهري في المَوْبل العصا الضخمة :

زعمتْ جُؤيَّةُ أنني عبدٌ لها أسعي بمَوْبِلها وأُكسِبُها الخَنَا

وقال ابو خراش :

يَظَلُّ علي البَوْرِ اليَفاعِ كأنّه من الغارِ والخَوْفِ المُحِمَّ وبيلُ

يقول : ضَمَرَ من الغِيرْة والخوف حتي صار كالعصا . وقال ساعدةُ بن جُؤَية :

فقام تُرعَدُ كفّاه بمِيْبَلِه قد عاد رَهْباً رذياً طائش القَدَم

قال ابن جِنّي : مِيْبَلٌ مِفْعَلٌ من الوبيل ، تقول العرب : رأيت وبيلاً علي وبيل . أي شيخاً على عصا ، والوبيل القضيب الذي فيه لِينٌ ، وبه فسر ثعلب قول الراجز : (إمّا تَرَيْني كالوبيل الأعْصَلِ) والوابلة طرف رأس العَضُد ، قال ابو الهيثم : هي الحَسَن ، وهو طرف عظم العَضُد الذي يَلِي المَنْكِبَ ، سُمّي حَسَناً لكثرة لحمه ، وأنشد :

كأنه جَيْأَلٌ عَرْفَاءُ عَارَضَها كَلْبٌ ووابلةٌ دَسْمَاءُ في فيها

وفي حديث علىّ : أهْدى رجل للحسن والحسين ولم يُهْدِ لابن الحَنَفِيَّة فأوْمأ علىٌّ الي وَابِلَة محمدٍ ، ثم تَمَثَّل :

وما شَرُّ الثلاثة أُمَّ عَمْرٍو بصاحبكِ الذي لاتُصْبِحْينا

وقال شَمِرٌ : الوابلةُ رأس العَضُد في حُقِ الكَتِفِ . وايضاً هي طَرَفُ الفَخِذ في الوَرك .

وفي الحديث : كل بناء وبالٌ علي صاحبه ، هو في الاصل الثِقَل والمكروه ، ويُريد به في الحديث العذابَ في الآخرة .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « فنَقَّبُوا في البلاد هل من محِيْص » ؟ قال : « نَقَّبوا » هربوا بلغة اليمن ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عدىَ بن زيد :

فنَقَّبــوا في البـــلاد من حَذَرِ المَوْ ت وجالُــوا في الأرضِ أىَ مجَالِ

قال ابو تراب : هذا البيت استشهد به الزمخشري وابو حيّان والقرطبي والشوكاني في تفاسيرهم .

وفي تفسير ابن عباس (ص٣٢٦) : « فَنَقَّبوا » فطافوا وتَقَلَّبُوا في الأسفار بتجاراتهم .

وفي تفسير الطبري : فخرّبوا في البلاد فساروا فيها فطافـوا وتوغّلـوا الي الأقاصى منها ، وأنشد لامرىء القيس :

لقــد نَقَّبْــتُ في الآفــاق حتي رضيــتُ من الغنيمــة بالايابِ

وأورد عن ابن عباس قال : أَثَّروا ، وعن مجاهد قال: عَمِلوا في البلاد .

وفي تفسير القرطبي : أي ساروا فيها طلباً للمهرب ، وقال مجاهد : ضربوا وطافوا ، وقال النَّضر بن شُميل دَوَّروا ، وقال قتادة : طَوَّفُوا ، وقــال مُؤَرِّج : تبعدوا ، ثم قيل : طافوا في أقاصى البلاد طلباً للتجارات وهل وجدوا محَيصاً من الموت ، وقيل : طَوَّفوا في البلاد يلتمسون محيصاً من الموت وأنشد البيت المتقدم الذي أنشده ابن عباس ، ونسبه الي الحارث بن حِلِزةَ .

وقال السجستاني في غريب القرآن : أي طافوا وتباعدوا ، ويقال : نقَبوا في البلاد أي ساروا في نُقوبها ، أي طُرقها ، الواحدةُ نَقْبٌ ، ونَقَّبُوا أي بحثوا وتعرّفوا هل من محيصٍ ، أي هل يجدون من الموت مَعْدِلاً .

وقال ابن قتيبة في غريبه ص ٤٢٩ : أي طافوا وتباعدوا .

وبنحوه قال ابو عبيدة في المجاز ج٢ ص ٢٢٤ .

وقال الفرّاء في معاني القرآن ج٣ ص ٨٠ : خَرَّقوا البلاد فساروا فيها ، ومن قرأ : « فنَقِّبُوا » فانه كالوعيد ، أي اذهبوا في البلاد فجيئُوا واذهبوا .

وذكر القرطبي : « فنَقِبوا » بالتخفيف ، أي أكثروا السير فيها حتي نَقِبَتْ دَوابهُم .

وفي كتاب الوجوه للدامغاني : النَّقيب الأمين « وبعثنا منه اثني عشر نقيباً » يعني أميناً شاهداً ، وقوله : « فَنَقَّبُوا » أي طافوا ، واستدرك عليه محققه عبدالعزيز سيد الأهل وجهاً ثالثاً وهو : « وما استطاعوا له نَقْباً » أي خَرْقاً .

قال ابو تراب : ولم يذكر ابن الجوزي هذا الباب كله في نزهة الأعين فليستدرك .

وقال الراغب : ونَقَّب القوم : ساروا «فنقّبوا في البلاد هل من محيص » والنقيب الباحث عن القوم وأحوالهم ، والمَنْقَبَة طريق مُنْفِذٌ في الجبال ، واستُعير لفعل الكريم إمّا لكونه تأثيراً له ، أو لكونه منهجاً في رَفْعِه .

وقال ابن فارس في المقاييس : النون والقاف والباء أصل صحيح يدلُّ على فتح في شيء ، ونَقَب الحائط ، والبَيْطارُ ينْقُب سُرَّة الدابَّة ليخْرُجَ منها ماءً ، وتلك الحديدة مِنْقَبُ ، ونَقِبَ خُفُّ البعير ، والنُقْبَةُ أول الجَرَب يبدو ، قال (دريد بن الصِمَّة) :

مُتَبـذِّلاً تبـدو محاسنُه يَضَعُ الهِنـاءَ مواضعَ النُّقْبِ

وقياسه صحيح ، لأنه شيء ينْقُب الجِلْدَ ، ومـن البـاب النِقَـابُ. العالـم بالامور ، كأنه نَقَّب عليها فاستنبطها ، أو العالم بها المُنَقِّب عنها قال (أَوْسُ بن حَجَر) :

مليـحٌ نجيـحٌ أخـو مَأْقِطٍ نِقـابٌ يُحَـدِّث بالغائب

ونَقَّبوا في البلاد : ساروا ، وأصلُه السير في النُقوب : الطُرُق . والنَّقيب شاهدهم وضَمينُهم ، ومعناه ومعني النِقاب العالم واحدٌ ، ومّما شَذَّ عن هذا الأصل : نِقاب المرأة ، وناقبتُ فلاناً : لقيتُه فجأةً والنُقْبة ثوبٌ كالازار فيه تِكَّةٌ ، وليس بالنِطاق ، وهو حَسَنُ النُقْبة أي اللَّونِ ، وممكنُ أن يكون من الأول ، كأنه شيء نَقَبَ عنه شيء ظَهَر.

وأنشد الزمخشري في الأساس من شواهد هذه المادّة :

كالسيِّدِ لم يَنْقُبِ البيطارُ سرَّتَه   ولم يَسِمْه ولم يَلْمِسْ له عَصَباَ

ونَقِبَ خُفُ البعير : رَقَّ وتَنَقَّبَ قال : (ما إن بها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ) » فَنَقَّبوا في البلاد » ساروا ، وسلكوا النَّقْبَ والمَنْقَبَ والمَنْقَبَة والنِقابَ والمناقبَ ، وهي طُرق الجبال . وذو مناقبَ وهي المخابر والمآثر وميمونُ النقيبة محمود المَخْبَر ، وماهم من نَقيبة : من نفاذ رأيٍ ، وفرسٌ حسنُ النُقبة أي اللون قال ذو الرُمَّة :

ولاح أزْهرُ مشهورُ بنُقْبَتِه   كأنَّه حين يَعلو عاقراً لَهَبُ

ومن المجاز : جلوتُ السيفَ والنَّصْلَ من النُقَب وهي آثار الصَّدأ شُبِّهَتْ بأول الجَرَب ، قال الكُميت يصف ثوراً :

كالهَالِكيَّ أمَالَ الرأسَ مُجْتنحاً   يجلُو عن البَيْض في أكنافِها النُقَبُ

وكانا عند الناس في نِقاب واحدٍ : اذا كانا مِثْلَينْ ونظيرَيْنِ .

ومن شواهد هذه المادّة في اللسان : شيء نقيبٌ : منقوب .

قال ابو ذؤيب :

أرِقْتَ لِذِكْره من غيرِ نَوْبِ   كما يهتاج مَوْشِيٌّ نَقيبُ

المُوشِّى اليراعةُ .

وفي حديث عمر : أتاه أعرابى فقال : أني علي ناقة دَبْراءَ ، عجفاءَ نَقْباءَ ، واستحمله ، فظنّه كاذباً فلم يَحْمِلْه ، فانطلق وهو يقول :

أقْسَمَ بالله ابو حَفْصٍ عُمَرْ   مامَسَها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ

أراد رِقّة الأخفاف . وفي حديثه الآخر قال لا مرأةٍ حاجَّةٍ : أنْقَبْتِ وأدْبَرْتِ ، أي نَقِبَ بعيرُك ودَبِرَ . وفي حديث علَيّ : ولْيَسْتأنِ بالنَقِبِ والظالع ، أي يرفق بهما ، ويجوز أن يكون من الجَرَب . وفي حديث أبي موسي : فنَقِبتْ أقدامنا ، أي رَقّتْ جلودُها . وتَنَفَّطَتْ من المشي .

ونَقِبَ خُفُ البعير نَقَباً اذا حَفِيَ حتي يتخَرَّقَ فِرْسَنُه فهو نَقِبُ ، وأنْقَبَ كذلك ، قال كُثيرَ عَزَّة :

وقد أزْجُرُ العَرْجَاءَ أنْقَبَ خُفُّها مناسمُها لايستَبِلُّ رَثيمُها

والمَنْقَبُ السُّرَّةُ ، قال النابغة الجَعْدىُّ يصف الفَرَسَ :

كأنَّ مَقَطَّ شراسيفِه إلى طَرَف القُنْبِ فالمَنْقَبِ

لُطِمْنَ بِتُرسٍ شديد الصِّفا قِ من خشب الجَوْزِ لم يُثْقَبِ

ونَقَبَ البَيْطارُ سرَّةَ الدابّة ، وتلك الحديدة مِنْقَبٌ ، والمكان مَنْقَبٌ وأنشد الجوهري لِمُرَّةَ بن مَحْكانَ :

أقَبَّ لم يَنقُبِ البيطار سُرَّتَه ولم يَدِجْهُ ولم يَغْمِزْ له عَصَباَ

وفي حديث أبي بكر انه اشتكي عينَه فكَرِه أن يَنْقُبَها . قال ابن الأثير : نَقْبُ العين هو الذي تُسَمّيه الاطباء القَدْحَ ، وهو معالجة الماءِ الأسود الذي يَحْدُث في العين . والأنْقابُ الآذانُ ، قال القُطامِيُّ :

كانت خُدودُ هِجانِهِنَّ مُمالَةً أنْقابُهُنَّ الي حُداء السُّوَّقِ

ويروي : (أنَقابِهِنّ) أي إعجاباً بهن . والنُّقْبُ الجَرَبُ عامةً وبه فَسرَّ ثعلبُ قولَ أبي محمد الحَذْلَمِيِّ :

(وتكشفُ النُّقْبةَ عن لِثامِها)

يقول : تُبْرِىءُ من الجَرَبِ .

وفي الحديث أنّ النبي ﷺ قال : لايُعْدِي شيء شيئاً ، فقال أعرابي : يارسول الله إنّ النُّقْبَةَ تكون بِمِشْفَر البعير ، أو بذَنَبِه في الابل العظيمة فتَجْرَبُ كُلُّها فقال النبى ﷺ : فما أعْدَىَ الأوَّلَ ؟

وقال ابو النجم يصف فَحْلاً :

فَاسْوَدَّ من جُفْرته إبطاها كما طَلَىَ النُّقْبَةَ طَالِياها

أى اَسْوَدَّ من العَرَق حين سال ، حَى كأنّه جَرِب ذلك الموضعُ ، فطُلِيَ بالقَطِران فاسودّ ، والجُفْرَةُ ، الوسَطُ .

وفى المُحْكم لابن سِيْدَهْ : النُّقْبَةُ صَدَأ السيفِ والنّصْلْ قال لبيد)

جُنُوءَ الهَالِكِي على يديهِ مُكِباً يَجْتَلِى نُقَبَ النصالِ

والأنقابُ الطُرُق ، أنشد ثعلب لابن أبى عاصِيَةَ :

تطاول ليلى بالعراق ولم يكن   علىّ بأَنقاب الحجاز يَطولُ

والنقِابُ الطريقُ فى الغَلْظِ ، قال :

وتراهنَ شُزَّباً كالسَعَالىْ   يتَطلَّعْنَ من ثغور النقِابِ

وفى الحديث : لاشُفعةَ فى فِناءٍ ولا طريقٍ ولا مَنْقَبةٍ ، وهى الطريق بين الدَّارَيْنِ ، كأنه نُقب من هذه الى هذه ، وقيل : الطريق التى تعلو أنْشَازَ الأرض . وفى الحديث : أنهم فَزِعوا من الطاعون فقال : أرجو أن لايَطْلُعَ علينا نِقابُها ، قال ابن الأثير : هى جَمْعُ نَقْبٍ وهو الطريقُ بين الجَبَلَينْ أراد انّه لايَطْلُعُ الينا من طُرُقِ المدينة فأضمر عن غيرِ مذكورٍ ، ومنه الحديث : على أنقاب المدينة ملائكةٌ ، لايدخلها الطاعونُ ، ولا الدجّال هو جَمْعُ قِلّةٍ للنَّقْبِ . وفى حديث مَجْدىّ بن عَمْرو : أنه ميمونُ النَّقيبة أى مُنْجَحُ الفعال . مُظَفَّرُ المطالب . وأنشد سيبويه :

بأعينٍ منها مليحات النُقَبْ   شَكْلِ التِجارِ وحَلالِ المُكتَسَبْ

والنُقَب في رواية سيبويه دوائر الوجه ، والنِقَب في رواية الرِياشى من الانتقاب بالنقاب .

وفي تهذيب اللغة للامام الأزهري : قال الفرّاء : اذا أدنَتِ المرأةُ نقابهَا إلى عَيْنها فتلك الوَصْوَصَةُ ، فانْ أنزلتْه دون ذلك الى المحْجَرِ فهو النِقابُ فان كان على طرف الأنف فهو اللِفامُ ، وقال ابو زيد : النِقابُ علي مارنِ الأنف .

وقال ابو عبيد : النقاب عند العرب هو الذي يبدو منه مَحْجرُ العين ، وكان النقابْ لاحقاً بالعين ، وكانت تبدو إحدي العينين ، والأخري مستورة ، والنِقابُ لايبدو منه الاّ العينان ، وكان اسمه عندهم الوَصْوَصَةَ ، والبُرْقُعَ ، وكان من لباس النساء ، ثم أحْدَثْنَ النِقابَ بَعْدُ ، فابداؤهن المَحَاجِرَ مُحْدَثٌ ، وهو معني حديث ابن سيرين : النِقابُ مُحْدَثٌ .

فان كان على طرف الأنف فهو اللِفَامُ ، وقال ابو زيد : النِقابُ على مارنِ الأنف ، وقال ابو عُبيد : النقاب عند العرب هو الذى يبدو منه مَحْجِرُ العين ، وكان النِقابُ لاحقاً بالعين ، وكانت تبدو إحدى العينين ، والأخرى مستورة ، والنِقابُ لايبدو منه الاّ العينان ، وكان اسمه عندهم الوَصْوَصَةَ ، والبُرْقُعَ ، وكان من لباس النساء ، ثم أَحْدَثْنَ النقِابَ بَعْدُ ، فابداؤهن المَحَاجِرَ مُحْدَثٌ ، وهو معنى حديث ابن سيرين : النقِابُ مُحْدَثٌ .

قال ابوتراب : يعنى ليس معناه أن النساء ماكنَ يَنْتَقِبْنَ أى يَخْتَمِرْنَ ، وانما معناه : أنهن ماكنَ يُبدين محاجرَهُنَ ، ثم أَحْدَثْنَ إبداءَها .

والنقِابُ الرجل العلاّمة وكذلك المِنْقبُ ، كما فى كلام الحجّاج فى مناطقته للشعبى : إنْ كان ابن عباس لَنقِاباً ، فما قال فيها ؟

وفى التنزيل : « فنَقَّبُوا فى البلاد » قال الزجّاج : طَوَّفوا وفَتَّشُوا ، وفى الحديث إنّى لم أومر أن أُنَقبَ عن قلوب الناس ، أى أُفَتِش وأَكْشِفَ . وفى حديث عُبادة بن الصامت : وكان من النُقباء ، هو كالعريف على القوم يُنقِّب عن أحوالهم والنقيب والنكيب واحد وهو على الابدال كما ذكره الواحدى فى كتابه ، ج ٢ ص ٣٥٩ اما قول ابن عباس « فنقبوا » هربوا بلغة اليمن فلم أجده فى لغات القبائل لابن سلام فليستدرك .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وخَشَعتِ الأصواتُ للرحمن فلا تَسْمَعُ الاّهَمْساً » ؟ قال الهَمْسُ ، الوَطْءُ الخفىُ ، والكلام الخفىُّ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

فباتــوا يُدْلِجُــونَ وبــات يَسرْى   بَصيرٌ بالدُجَــى هادٍ هَموسُ

قال ابوتراب : البيت فى سمط اللآلىء للأونبىَ ص ٤٣٨ .

وفى تنوير المقباس عن ابن عباس فى تفسير : « الاَ هَمْساً » الاَ وَطْأً خفياً كَوطْءِ الابل . وأورد الطبرى عن ابن عباس فى الهمس ، قال : وَطْءُ الأقدام ، وفى رواية : هَمْسُ الأقدام ، وهو الوَطْءُ ، وفى أخرى عنه : الصوتُ الخفىُّ ، وعن عكرمةَ قال وَطْءُ الأقدام ، وعن الحسنِ قال : هَمْسُ الأقدام ، وعنه قال : وَقْعُ أقدامِ القوم ، وعن مجاهدٍ قال : تهافتاً ، وقال تَخَافتُ الكلام ، وقال : خَفْضُ الصوت ، وقال : كلام الانسانِ لاتَسْمَعُ ، تَحُركَ شفتَيهْ ولسانِه ، وعن ابن زيد : لاتَسْمَعُ الامَشْياً وقال : المَشْى الهَمْسُ : وطء الأقدام .

قال الطبرى : إنه وَطْءُ الأقدام الى المحشر ، وأصله الصوت الخفى ، يقال : هَمَسَ فلانٌ الى فلان بحديثه ، اذا أسَرَّه وأخفاه ، ومنه قول الراجز :

وهن يمشين بنا هميسا

يعنى بالهَمْسِ صوتَ أخفاف الابل فى سيرها .

وفى تفسير القرطبى : ويقال للأسد الهَموسُ ، لأنه يَهْمسِ فى الظلمة ، أى يطأوَطْأً خفياً ، قال رُؤبَةَ يصف نفسه بالشدةَ :

ليـــثٌ يَدُقُ الأسَدَ الهَموسا والأَقْهَبَـــينْ الفيـــلَ والجاموسا

وهَمْسُ الطعام ، أى مَضْغُه وفُوهُ مُنْضَمٌّ ، قال الراجز :

لقـــد رأيـــت عجبـــاً مُذْ أمْسَا عجائـــزاً مثـــلَ السّعـــالى خَمْسَا
يأكلنَ ما أصنعُ هَمْساً هَمْسًا

وقيل : الهَمْسُ تحريكُ الشَفَة واللسان ، وقرأ أُبَىُّ بن كعب : « فلا ينَطقون الاَ هَمْسًا » والمعنى متقارب ، أى لايُسمع لهم نُطقٌ ولا كلامُ ولاصوتُ أقدام وبناء (هَمَسَ) أصلُه الخفاء كيفما تَصرَّفَ ، ومنه الحروف المهموسة وهى عشرة يجمعها قولك : (حَثَّه شخص فَسَكَتَ) وانما سُمّى الحرف مهموساً لأنه ضَعُفَ الاعتماد من موضعه حتى جَرَى معه النَفَس .

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ٢ ص ٣٠) : « الاّ همسا » أى صوتاً خفياً وهو مثلُ الرِكْزِ ، ويقال : هَمَسَ الىّ بحديثٍ أى أخفاه .

ومثله فى غريب ابن قتيبة (ص ٢٨٢)

وفى معانى القرآن للفراء (ج ٢ ص ١٩٢) « الاّ همسا » يقال : نَقْل الأقدام الى المَحْشر ، ويقال : انه الصوت الخفىّ ، وذُكر عن ابن عباس انه تَمَثَّل بقوله : وذكر بيت الراجز المتقدم

وقال الراغب : الهمسُ الصوتُ الخفى ، وهَمْسُ الأقدام أخفى مايكون من صوتها ، وذكره ابن فارس فى المقاييس قال : الهَمسُ يدلُّ على خفاء صوتٍ وحِسّ . وأمّا الهَمَّاسُ : الأَسَدُ الشديد فمن هذا عندنا ايضاً ، لأنه انما يُراد به هَمْسُه إمّا فى وَطْئِه ، وإمّا فى عَضّهِ قال : (عادتُه خَبْطٌ وعَضٌ هَمّاسْ)

وأنشد الزمخشرى فى الأساس :

قد خَطَبَ النومُ الىّ نفسى هَمْسًا وأَخْفَى من نَجِىّ الهَمْسِ
وما بأنْ أُطْلِبَهُ من بأس

قال : والشيطان يَهْمِس بِوَسْوَسَتِه فى صدر الانسان ، وكلامٌ مهموس ، وهامستُه مُهامَسَةً ، سَارَرْتُه ، وهو يأكل هَمْسًا لايَفْغَر فاه بالأَكل ، وسمعت هَمْسَ الأخفاف والأقدام .

وفى تهذيب الأزهرى : « الاّهَمْسًا » يعنى به والله أعلم خَفْقَ الأقدام على الأرض . ورُوى عن ابن الأعرابى : ويقال : إهْمِسْ وصَهْ ، أىْ امْشِ خفياً واَسْكُتْ . وفى الحديث : فجعل بعضُنا يَهْمِسُ الى بعض ، الهمْسُ ، الكلامُ الخفىُّ لايَكاد يُفهم ، ومنه الحديث : كان اذا صَلّىَ العصر هَمَسَ ، ورُوى عن النبى ﷺ انه كان يتعوذ بالله من هَمْزِ الشيطان ، ولَمْزِه ، وهَمْسِه ، هو مايُوَسْوِسُه فى الصدر .

وقال ابو الهَيْثَم : اذا أَسرَّ الكلامَ وأخفاه فذلك الهَمْسُ من الكلام ، وقال شَمِرٌ : الهَمْسُ من الصوتِ والكلامِ مالاغَوْرَ له فى الصدور ، وهو ما هُمِسَ فى الفم ، والهَمْسُ أَكْل العجوز الدَّرْدَاءِ قال : (يـأكلن مافى رَحْلهـنَّ هَمْسًا) والحَميسُ حِسٌّ الصوت فى الفم مما لا إشرْابَ له من صوت الصدر ، ولا جَهارة فى المنطق ، ولكنَّه كلام مهموس فى الفم كالسرّ ، وتهامس القوم : تَسَارُّوا ، قال :

فتهـامَسُوا سرًا وقالـو عَرِّسُوا   فى غـير تَـمْئِنَـةٍ بغـير مُعَرَّس

وقال الأزهرى فى التهذيب : يقال : أخذتُه أَخْذاً هَمْسًا أى شديداً ويقال : عَصراً ، وهَمَسَه ، اذا عَصرَه ، وقال الكُميتُ فجعل الناقة هموساً .

غُرَيْرِيَّـةُ الأنساب أو شَدْ قَميَّةٌ   هَموسًا تُبارى اليَعْمـلاتِ الهَوامِسَا

وفى رَجَزِ مُسَيْلَمِةَ : والذئبُ الهامسُ ، والليل الدامِس ، الهامسُ ، الشديد ، وأَسَدٌ هَماس شديد الغَمْز بضرِسِه قال الهُذَلىُّ :

يَحْمى الصرَّيمةَ أُحْدانُ الرجال له   صَيْـدٌ ومُجْتَـرِىءٌ بالليـل هَمَّاسُ

وأسدٌ هَمُوسٌ ، قال ابو زُبيد : (بَصيرٌ بالدُّجَى هادٍ هَموسٌ) .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مُقْمحون » ؟ قال : المُقْمَحُ الشامخُ بأنفهِ المُنكّس رأسَه . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم . أما سمعت قول الشاعر :

ونحـــن على جوانبهـــا قُعودُ   نَغُضُّ الطَّـرْفَ كالابـل القِمَاحِ

قال ابوتراب : البيت لبِشرِ بن ابى خازم فى وصف سفينةٍ ، وهو فى ديوانه فى أبيات ، وأوردها ابن قتيبة فى الشعراء (ص ٢٢٩) وابن الشجرى (ص ٨٠) والبيت أورده ابن منظور فى اللسان والقرطبى وأبو حيان والسيوطى والطَّبَرْسى ، والشوكانى فى تفاسيرهم واستشهد به ابو عبيدة فى المجاز (ص ١٥٧ ج ٢) وابن قتيبة فى الغريب (ص ٣٦٣) وابن فارس فى المقاييس والزمخشرى فى الأساس

قال الطبرى : والمُقْمَحُ ، هو المُقْنَعُ ، وهو أن يَحْدِرَ الذَّقَنَ حتى يَصيرَ فى الصَّدْرِ ثم يَرفعُ رأسه فى قولِ بعض أهل العلم بكلام العرب من اهل البصرة وفى قول بعض الكوفيين : هو الغاضُّ بَصرَهُ بعد رفعِ رأسِه .

ثم أورد عن ابن عباس قال : هو كقول الله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عُنقُك » يعنى بذلك ان أيديَهم مُوْثَقة الى أعناقهم لا يستطيعون ان يبسطوها بخير . وعن مجاهد قال . رافعورؤسهم ، وايديهم موضوعة على أفواههم ، وعن قتادة قال : أى فهم مغلولون .

وقال القرطبى : أى رافعو رؤسهم لا يستطيعون الاطراقَ ، لأن من غُلَّتْ يدُه الى ذَقَنِه ارتفع رأسه . رَوى عبدُ الله بنُ يحيى أن على بن ابى طالب أراهم الاقماحَ ، فجعل يديه تحت لحيتِه ، وألصقها ، ورفع رأسَه . قال النَحّاس : وهذا أَجَلُّ مارُوى فيه ، وهو مأخوذٌ مما حكاه الأصمعى . قال : يقـال : أَقْمَحَـتِ الدابَّةُ : اذا جَذبتْ لجامَها لترفع رأسها ، والقاف مبدلة من الكاف لقربها منها ، كما يقال : قَهرْتُه وكَهَرْتُه . قال الأصمعى : يقال أَكْمَحْتُ الدابَّةَ اذا جَذَبْتَ عنانها حتى يَنتصبَ رأسها ، ومنه قول الشاعر (والرأس مُكْمَحُ)

قال ابوتراب : هو لذى الرُمَّة ، وتمامُه :

تَمُور بِضَبْعِيْها وترمى بِجَوزها حذارا من الايعاد والرأسُ مُكْمحُ

ويقال : أكْمَحْتُها وأكْفَحْتُها وكَبَحْتُها ، هذه وحدها بلا ألف عن الأصمعى ، وقَمحَ البعيرُ قموحاً اذا رفع رأسه عند الحوضِ وامتنع من الشرب ، فهو بعير قامح ، وقَمِحٌ ، يقال : شرب فتَقَمَّح وأنْقَمَح ، بمعنى اذا رفع رأسه وترك الشرب رِياً ، وقد قامحتْ إبلكُ : اذا وردتْ ولم تشربْ ورَفَعتْ رأسَها من داءٍ يكون بها أو بَرْد ، وهى إبلٌ مُقامِحةٌ ، وبعيرٌ مُقامحٌ ، وناقة مُقامحٌ ايضاً ، والجمع قِماحٌ على غير قياسٍ ، ثم اورد القرطبى البيت المذكور ، الذى استشهد به ابن عباس ، وقال ، الأقماحُ : رَفْعُ الرأس ، وغَضُّ البصر ، يقال : أقْمحَه الغُلُّ : اذا تَركَ رأسَه مرفوعاً من ضيقه ، وشَهْرَا قِماحٍ ، أشَدُّ مايكون من البَرْد ، وهما الكانونانِ سُمِّيا بذلك ، لأن الابل اذا وردتْ آذاها بَرْد الماء فقامَحَتْ رُءوسَها ، ومنه قَمِحْتُ السويقَ .

قال ابوتراب : قَمِحَ السويقَ بكسر الميم اذا اَسْتَفَّه ، وضُبط فى المقاييس شَكْلاً بالفتح وهو خطأ .

وقال الأزهرى فى تهذيب اللغة : إنّ أيديَهم لَمّا غُلَّتْ عند أعناقهم رَفَعتِ الأغلالُ أذقانَهم ورءوسَهم صُعُداً ، كالابل ترفع رُءوسَها .

قال ابوتراب : ولم يذكر ابو الطيب فى كتاب الابدال : قَمَح وكَمحَ ، ولا استدركه عليه محقّقه التنوخى فليُلْحَقْ .

وفى تنوير المقباس عن ابن عباس : « فهم مُقْمَحون » مغلولون .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة : المُقْمَح والمُقْنَع واحد ، وذكر كما ذكره الطبرى عنه وأنشد قول بشر بن ابى خازم المتقدم .

وفى غريب القرآن لابن قتيبة : المُقْمَح الذى يرفع رأسه ، ويَغُضَ بَصرَه وذكر البيت المستشهد به .

وقال الفراء فى معانى القرآن (ج ٢ ص ٣٧٣) : المُقْمَح : الغاضُّ بصره بعد رفع رأسه . ومعناه : إنّا حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله .

وقال الراغب فى المُفْردات : القَمْح رفع الرأس لِسَفّ الشىء ، ثم يقال : لرفع الرأس كيفما كان قَمْحٌ ، وأَقْمَحْتُ البعيرَ : شَدَدْتُ رأسه الى خَلْفٍ وقوله : « مُقْمَحُونَ » تشبيه بذلك ، ومَثَلٌ لهم ، وقَصْدٌ الى وصفهم بالتَأَبِّى عن الانقياد للحق ، وعن الاذعان لقبول الرشد ، والتَأَبِّى عن الانفاق فى سبيل الله وقيل : إشارة الى حالهم فى القيامة « إذِ الأغلال فى أعناقهم والسَّلاسِلُ » .

وقال ابن فارس فى المقاييس : القاف والميم والحاء أُصَيْلٌ يدلّ على صفةٍ تكون عند شرب الماء من الشَارب ، وهو رفعهُ رأسَه ، من ذلك القامح ، وهو الرافع رأسَه من الابل عند الشرب امتناعاً منه ، ومّما شَذَّ عن هذا الأصل القَمْح وهو البُرُّ .

قال ابوتراب : ولعلّه لا يَشُذُّلان سَفَّ السويق وهو من القَمْح يحُتاج معه الى رفع الرأس ليُلقيه السافَ فى فيه براحته .

وقال ابن دُريد فى الجمهرة ج ٢ ص ١٨٢ : القُمْحَةُ من الماء : ماملأ فاك منه.

وقال الزمخشرى فى الأساس : اقتمحتُ قُمْحةً من سويق وغيره ، كقولك التقمت لقمة من طعام ، وشَهْراَ قُماح هما شَيْبانُ ومِلْحانُ قال الهذلى :

فتًـــى ماآبـــنُ الأغـــرّ إذا شَتَوْنَا وحُـــبَّ الـــزادُ فى شَهْـــرَىْ قُماح

ومن المجاز : أُقمح المغلول اذا لم يتركه عمود الغُلّ الذى يَنْخَسُ ذَقَنَه أن يُطأطىء رأسَه « فهم مُقْمَحُونَ » .

قال ابو تراب : وقائل البيت مالك بن خالد .

وقال الأزهرى فى تهذيب اللغة : قال الليث : القامح من الابل ، الذى اشتد عطشه حتى فَتَر ، وأَقْمَحَه العطشُ فهو مُقْمَحٌ قال الله تعالى : « فهى الى

الأذقان فهم مُقْمَحُون » خاشعون لايرفعون أبصارهم ، قال الأزهرى : وكلُّ ما قاله الليث من هذا التفسير فهو خطأ ، وأهل العربية والتفسير على غيره ، فالبعير القامح اذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشربْ ، وأمَّا قولُه تعالى : « فهم مُقْمَحُون » فان الفراء قال : المُقْمَح الغاضُّ بصرَه بعد رفعِ رأسِه ، وقال الزجّاج : المُقْمَحُ الرافع رأسَه الغاضُّ بصرَه . وقوله تعالى « فهى الى الأذقان » كنايةٌ عن الأيدى لاعن الأعناق ، لأن الغُلَّ يجعل اليدَ تلى الذَقَنَ والعُنُقَ ، وهو مُقاربٌ للذَقَن ، وأراد عز وجل أن أيديهم لمّا غُلَّتْ عند أعناقهم رفعتِ الأغلالُ أذقانَهم ورؤسهم صُعُداً كالأبل الرافعة رؤسَها .

وفى لسان العرب : المُقْمَح الذليل « فهم مُقْمَحون » أى خاشعون أَذِلاَّء لايرفعون أبصارهم ، والمُقْمَح الرافع رأسَه لايكاد يضعُه . فكأنه ضِدٌ ، والاقماحُ رفع الرأس وغَضُّ البَصر ، يقال : أقمحه الغُلُّ اذا تَركَ رأسه مرفوعاً من ضيقه .

وقمَح البعيرُ وقَمَهَ قموحاً وقُموهاً اذا رفع رأسَه ولم يشرب الماءَ ، وقال ابو عُبيد فى قول أُم زَرْع : « أقول فلا أُقَبَّحُ ، وأشرَبُ فأتَقمَّحُ » أى أَرْوى حتى أدَع الشرب ، أرادتْ أنها تَشرَبُ حتى تَرْوى وترفعَ رأسَها ، قال الأزهرى : وأصل التقمُّح فى الماء ، فاستعارتْه لِلَّبَنِ ، أرادتْ أنها تَرْوَىَ من اللَّبَنِ حتى ترفعَ رأسها عن شربه كما يفعل البعير اذا كَرِهَ شرب الماء .

قال ابو تراب : ههنا فائدتان أولاهما : كونُ الاقماح من الأضداد ، وقد أشار اليه الأمام الطبرى ، ولم يذكره ابو الطيب وانما فسر القَمْح بمعنى واحدٍ تحت القَهْم (ج ٢ ص ٥٩٦) وثانيتهما : قَمَح وقَمَه على البدل ، ولم يذكره ابو الطيب فى كتابه ايضا ، فليستدرك ، ولم يتنبَه له ايضاً محقّقه التنوخى .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس أخبرنى عن قوله تعالى : « بل كذبوا بالحق لمّا جاءهم فهم فى أمْرٍ مَريجٍ » ؟ قال : المريجُ الباطل . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم . أما سمعت قول الشاعر :

فراغَــتْ فالتمستُ به حَشَاهَا فخَــرَّ كأنــه خُوطٌ مريجُ

قال ابو تراب : استشهد بالبيت الطبرى وابو حيان والقُرطبى والطبرسُى . وهو فى الأمالى (ج ٢ ص ٣١٤) والسِمْط (ص ٩٥٧) وديوان الهذليين . (ج ٣ ص ١٠٣) وهو لأبى ذؤيب كما ذكر ابو على القالى . ووهَمه البكرى فقال : بل هو للداخل زهير بن حرام أحد بنى سَهْمٍ . وفى بعض نُسخ الاتقان للسيوطى : (فراغَتْ فانتقدتُ به حشاها) . ورأيت ابا عبيدة نسبه الى ابى ذؤيب أيضاً فى المجاز ج ٢ ص ٢٢٢ ولم يقف عليه الراجكوتى لأنه لم يُشر الى ذلك فى تعليقه على السمط ولعلّه لم تقع له نسخة المجاز فقد طبع بعد السمط بزمان .

وفى تنوير المقباس عن ابن عباس : « فَهُم فى امر مريج » ضلال . ويقال : مُلْتَبِسٍ . ويقال : فى قولٍ مختلفٍ . بعضُهم مكَذِبٌ . وبعضهم مُصَدِقٌ . وأورد الطبرى عن ابن عباس أنه سئل عن « أمرٍ مريج » فقال : المَريجُ . الشىء المنكر . قال الطبرى : وقد اختلفت عبارات أهل التأويل فى تأويلها . وإن كانت متقاربات المعانى . فقال بعضهم : هو الشىء المنكر . كما فى هذه الرواية . وقال آخرون : معنى ذلك فى أمرٍ مختلِفٌ . وقال آخرون : فى أمْرٍ ضلالةٍ . وأورد فيه عن ابن عباس ايضاً . وقال آخرون : معناه فى أمرٍ مُلتبِسٍ . وأورد فيه عن ابن جُبَيْرٌ ومجاهد . وقتادة . ومعمر . وقال آخرون : بل هو المُختلِطُ . وأورد فيه عن ابن زيد ثم قال الطبرى : وانما قلت هذه العبارات وإن اختلفت الفاظُها فهى فى المعنى متقاربات . لأن الشىء المختلِفَ مُلْتَبِسٌ معنـاه مُشْكِلٌ . واذا كان كذلك كان مُنْكَراً . لأن المعروف واضح بَيِنٌ . واذا كان غير مَعروفٍ كان لاشكَ ضلالةً . لأن الهُدى بَيِنٌ لا لَبْسَ فيه .

وذكر القرطبى : « فهم فى امرٍ مريج » أى مُختَلِط ، يقولون مرة ساحرٌ ، ومرةً شاعر ، ومرةً كاهنٌ ، قال الضحاك وابن زيد ، وقال قتادة : مختلِفٍ ، وقال الحسن : مُلْتَبِسٍ والمعنى متقاربٌ ، وقال ابوهريرة : فاسِدٍ ، ومنه مَرِجَتْ أماناتُ الناس أى فَسَدَتْ ومَرِجَ الدين والأمر اختلط ، قال ابو دُوادٍ :

مَرِجَ الدِّينُ فأعْدَدْتُ له مُشْرِفَ الحاركِ محبوكَ الكَتدْ

ورُوى عن ابن عباس ايضاً : « مريجٍ » مختلِطٍ ، وأنشد بيت الداخل الهُذَلى المارّ آنفا ، وقيل : « مريجٍ » مُتغيرٍ ، وأصل المَرَج الأضطراب والقَلَق ، يقال : مَرِج أمر الناس ، ومَرِج أمر الدِينِ ، ومَرِج الخاتم فى أصبعى اذا قَلِق من الهُزال ، وفى الحديث : كيف بك ياعبد الله اذا كنت فى قوم قد مَرِجَتْ عهودُهم وأماناتُهم ، واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا وشَبَّك بين أصابعه ، أخرجه ابو داوود .

قال ابو عبيدة فى المجاز : « فهم فى امرٍ مريج » مُخْتَلِط ، يقال : قد مَرِج امر الناس اختلط وأُهمل ، وذكر البيت المستشهد به ، وهذا المعنى ذكره ابن قتيبة فى الغريب ص ٣١٧) ومعنى الضلال ذكره الفراء فى معانى القرآن (ج ٣ ص ٧٦) ومعنى الاختلاط ذكره الراغب فى المفردات .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الميم والراء والجيم أصل صحيح يدلُّ على مجىء وذهاب واضطراب ، والمَرْج ، أصله أرضٌ ذات نبات تمرج فيها الدوابُّ ، وقوله تعالى : « مَرَجَ البحرين يلتقيان » كأنّه جلّ ثناؤه ارسلها فمَرِجَا ، وقال : « هو الذى مَرَج البحرينِ »

وفى أساس البلاغة للزمخشرى : أمْرَجَ الدوابَّ ، ومَرَجَها : أرْسلها فى المَرْج والمروج ، ورجلٌ مارج : مُرْسَلٌ غير ممنوع ولايزال فلان يَمْرُجُ علينا مروجاً : يأتينا مفاجئاً .

ومن المجاز : مَرَج الله البحرين ، ومَرَج فلان لسانه فى أعراض الناس ، وفلانٌ سرّاج مَرّاج : كذّاب ، وأمر مارجٌ ومريج قال زهير :

مَرِجَ الدِينُ فأعددتُ له مشرِف الحاركِ محبوكَ الثبَج
يرهبُ السوط سريعاً فاذا وَنَتِ الخيلُ من الشدّ مَعَج

وأمرجوا عهودَهم ، ودِينَهم ، وطَلَع مارجٌ من نارٍ : لَهَبٌ ساطع .

قال ابوتراب : ولم يذكروا هذا اللفظ من باب الوجوه والنظائر فى القرآن فليتأمل فيه « مَريج » و « مَرَج » و « مارج » و « المرجان » .

وفى تهذيب الأزهرى : المَرْج أرض واسعة فيها نبتٌ كثير تَمْرُج فيها الدواب ، والجمع مُروج ، قال الشاعر : (رَعَى بها مَرْجَ ربيعٍ مُمْرِجَا) .

وقال القُتيبى : إبلٌ مَرَجٌ اذا كانت لاراعِىَ لها ، وهى تَرْعَى ، ودابَّةٌ مَرَجٌ ، لايُثنَّى ولا يجُمع ، وأنشد : (فى رَبْرَبٍ مَرَجٍ ذواتِ صياصى)

وفى الحديث وذكر خيلَ المُرابط ـ فقال : طَوَّلَ لها فى مَرْجٍ ، وفى كتاب المُحكَم لابن سِيْدَه : سَهْمٌ مريجٌ أى قلق ، والمريج المُلتوى الأعوجُ ومَرِجَ الأمر فهو مارج ومَريج ، التَبَس واختلط وفى التنزيل : « فهم فى أمرٍ مريج » يقول : فى ضلال . وقال ابو اسحاق فى أمرٍ مختلِفٍ مُلْتَبِسٍ عليهم ، يقولون للنبى ﷺ مرةً ساحرٌ ، ومرةً شاعرٌ ، ومرةً مُعَلَّم مجنون ، وهذا الدليل على أن قولَه : « مريج » مُلْتَبِسٍ عليهم .

ورُوى عن النبى ﷺ : كيف أنتم اذا مَرِج الدِينُ ، فظهرت الرغبةُ ، واختلف الأخوانِ ، وحُرِّقِ البيت العتيق ؟ وفى حديث آخر : كيف انت اذا بقيتَ فى حُثالةٍ من الناس قد مَرِجتْ عهودُهم وأماناتُهم ؟ أى اختلطت ، ومعنى قوله : مَرِج الدِينُ : اضطرب والتَبَسَ المَخْرَجُ فيه ، وكذلك مَرْجُ العُهود : اضطرابها ، وقلةُ الوفاءِ بها ، وأصل المَرَج ، القلقُ ، وأمرٌ مريجٌ أى مختلطٌ ، وغصنٌ مريج : مُلْتَوٍ مُشْتَبِكٌ قد التبست شناغيبُه ، قال الهُذلى :

فجالتْ فالتمستُ به حشاها فخَرَّ كأنه غصنٌ مَريجُ

ومَرِج الدين : فَسَد قال ابودُواد :

مَرِج الدِينُ فأعددتُ له مُشرِفَ الحاركِ محبوكَ الكَتَدْ

ومَرَج الله البحرين العَذْبَ والمِلْحَ : خَلطَهما حتى التقيا ، وقال الفراء فى قوله عز وجل : « مَرَج البحرين يلتقيان » يقول : أرسلَهما ثم يلتقيان بعد وقيل : خَلاَّهما ثم جعلهما لا يَلْتَبِسُ ذا بذا ، قال : وهو كلام لايقوله الا اهل تهامة ، وأمَّا النحويون فيقولون : أمْرَجْتُه ، وقال الزجّاج : مَرَج خَلَط ، يعنى البحر المِلْح والبحر العَذْبَ ، ومعنى « لايبغيان » أى لايبغى المِلْحُ على العَذْب فيَخْتَلِطَ . وقال ابن الأعرابى : المَرْجُ الاجراء ، ومنه قوله تعالى : « مَرَج البحرين » أى أجراهما . وقال الأخفش : ويقول قوم : أمْرَج البحرين مثلُ : مَرَج البحرين ، فَعَل وأفْعَل بمعنىً .

وقوله تعالى : « وخَلَق الجانَّ من مارج من نارٍ » قيل : معناه الخَلِطُ وقيل : معناه الشُعْلَةُ ، كلُّ ذلك من باب الكاهل والغارب ، وقيل : المارج اللَّهَبُ المُختلِطُ بسواد النار .

وقال الفراء : المارج ههنا ، النار دُون الحجاب ، منها هذه الصواعقُ ، ويُرِىءَ جِلْدُه منها ، وقال ابو عُبيد : « من مارج » من خَلِطٍ من نار ، وقال الجوهرى : « مارج من نار » نار لا دخان لها ، خُلق منها الجانُّ وفى حديث عائشة : خُلقت الملائكة من نور ، وخُلق الجانُّ من مارج من نار . مارجُ النار لَهَبُها المختلِطُ بسوادها .

والمَرْجانُ اللؤلؤ الصغار أو نحوه ، واحدته مَرْجانة ، قال الأزهرى : لا أدرى أرباعُِى هو أم ثلاثى ، وقال بعضهم : المَرْجان ، البُسَّذُ ، وهو جوهر أحمر ، قال ابن بَرّى : والذى عليه الجمهور أنه صغار اللؤلؤ كما ذكره الجوهرى والدليل على صحة ذلك قول امرىء القيس :

أذود القوافى عنّى ذِيادا ذِيادَ غلامٍ جَرِىَ جِيادا
فأعْزِلُ مَرْجانَها جانبا وآخُذُ من دُرِها المُسْتجادا

ويُروى : (ذِيادَ غلامٍ غَوىٍّ جَرادا) وفى الديوان ، (جَرِىٍّ جوادا)
ويقال : ان هذا الشعر لامرىء القيس بن حُجْر المعروف بالذائد .

قال ابوتراب : لم يذكر ابن سلام فى لغات القبائل فى القرآن ماأسلفناه آنفا من أن « مَرَجَ البحرين » أى خَلاَّهما لا يَلتبسان لغة أهل تهامة . وانما ذكر فيها أن المرجانَ صغار اللؤلؤ بلغة أهل اليمن .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وإنْ منكم الاّ واردها كان على ربك حَتْماً مَقْضيّا » ؟ قال : الحَتْم الواجب . قال : أو تعرف العرب ذلك ؟؟ قال : نعم . أمَا سمعت قول أُمَيَّة بن ابى الصَّلْتِ :

عبادُك يخُطئون وأنت ربٌ بِكفَّيكَ المنايا والحتومُ

قال أبو تراب : هو فى ديوانه ص ٥٤

وفى رواية : (حَنَانَيْ ربّنا وله عَنَوْناَ بكفَّيْه المنايا والحتوم) كما فى اللسان .

وفى تنوير المقباس (ص ١٩٣) : « حَتْماً مَقْضيًا » قضاءً كائناً واجبا أن يكون .

وقال الطبرى : قضاءً مقضياً قد قضى ذلك واوجبه فى أم الكتاب . وأورد عن مجاهد قال : كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له : ابو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له : ياابن عباس أرأيت قول الله : « وإنْ منكم الاّ واردها كان على ربك حَتْماً مقضيا » . قال : أمّا أنا وأنت ياأباراشد فسَنَرِدُها فانظر هل نصدر عنها ام لا ؟

قال الطبرى : واختلف أهل العلم فى معنى الورود الذى ذكره الله فى هذا الموضوع . فذكر أقوالاً عن السلف . ثم قال : وأوْلَى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال يَرِدُها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون . فَيُنَجّيهم الله . ويَهْوِي فيها الكفار . وورود هموها هو ماتظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم

على الصراط المنصوب على متن جهنم ، فناجٍ مُسَلَّم ، ومُكَدَّسُ فيها وأما قوله : « كان على ربك حَتْماً مقضيا » فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم : معناه : كان على ربك قضاءً مَقْضياً ، وأورد عن مجاهدٍ قال : « حَتْماً » قضاءً ، ومثله عن ابن جُريج ، وقال آخرون معناه كان على ربك قَسَماً واجبا ، وأورد فى ذلك عن ابن مسعود وقتادة .

وقال القرطبى : الحَتْم . إيجاب القضاء

قال أبو تراب : وهو قول ابن سِيْدَهْ .

وقال الراغب : الحَتْم القضاء المُقَدَّرُ .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الحاء والتاء والميم ليس عندى أصْلاً ، وأكثر ظنّى أنه من باب إبدال التاء من الكاف ، الاّ ان الذى فيه من إحكام الشىء : يقال حَتَم عليه ، وأصلُه حَكَم ، والحاتم ، الذى يقضى الشىء فأمّا تسميتهم الغُرابَ حاتما فمن هذا ، لأنهم يزعمون انه يَحْتمِ بالفراق ، وهو كالحكم منه قال :

ولقد غدوتُ وكنتُ لا أغدو على واقٍ وحاتِمْ

ويقولون : الحُتَامة : مابقى من الطعام على المائدة ، وهذا عندى من باب الطاء ، لأنه شى يَتَحَتَّمُ أن يَتَفَتَّتَ ويَتَكَسَّرَ .

قال ابوتراب : لم يذكر ابو الطيب فى كتاب الابدال فيما تُبدل التاء فيه من الكاف هذا اللفظ ، ولا فيما تُبدل التاء فيه من الطاء ، وانما ذكر الأخير المجد فليُستدرك .

وقال الزمخشرى : حَتَم الله الأمر أوجبه ، وحَتَم الحاتم بكذا ، أى حَكَم الحاكم ، وتقول : هذا حَتْمٌ مَقْضِى ، وحُكْمٌ مَرْضَى ، وقال الطِرِمَّاحُ :

واذا النفوسُ جَشَأْنَ وَقَّرَ خالداً ثَبْتُ اليقين بَحتْمِه المقدارِ

أى استيقانه بأن ماحَتَم الله كائن ، وهذا أخُ حَتْمٌ كقولك : ابنُ عَمٍ لَحٍّ ، وأنت لى بمنزلة الولد الحَتْمِ ، وهو ولد الصلب ، قال الهُذَلىُ :

فوالله ماينساكَ ماعشتُ ليلةً صفيِّى من الاخوانِ والوَلَدِ الحَتْمِ

ومعناه الولد الحَقُّ المحتوم الذى لا يُشَكُّ فى صِحَّة نَسَبه .

وفى اللسان : الحَتْم القضاء ، وحَتَمتُ عليه الشئَ أوجبتُه ، وفى حديثُ الوتر : ليس بحَتْمٍ ، الحتمُ اللازم الواجب الذى لابُدّ من فعلِه ، والحَتْم إحكام الأمر . والحاتم القاضى ، والحاتم الأسود من كل شىء ، وفى حديث الملاعنة : إنْ جاءت به أسْحَمَ أحْتَمَ ، أى أسودَ ، والحَتَمُة السوادُ ، والحاتم ، غرابُ البَيْنْ اذا نَعَبَ . كانوا يتشاءمون به ، وهو أحمر المنقار والرِجْلَينْ ، قال اللّحيانى : يُولَعُ بنَتْفِ ريشه ، قال خُثيمُ بن عدىٍ ، أو الرقّاص الكلبى كما قال ابن برّى وهو الصحيح :

وليس بهيابٍ إذا شَدَّ رحلَه   يقول عَدانى اليومَ واقٍ وحاتمُ

وهذا فى مدح مسعود بن بَحْر ، وقبله :

وجدت أباك الحُرَّ بَحْراً بنجدةٍ   بناها لهُ مجْداً أشَمُّ قُماقِمُ

وبعد البيت الشاهد :

ولكنه يَمضى على ذاك مُقْدِماً   اذا صَدَّ عن تلك الهَنَاتِ الخُثارمُ

وقال النابغة يذكر معتقدهم هذا فى التشاؤم :

زَعَم البوارحُ ان رحلتَنا غداً   وبذاك تَنْعَابُ الغُرابِ الأسود

وقال المُرَقّشِ السَّدوسِى ، وقيل : هو لخُزَز بن لَوْذان :

لايَمنعنَّك من بِغاءِ الخيرِ تَعقادُ التمائِمْ

ولقد غدوتُ وكنت لا أغْدُو على واقٍ وحاتِمْ

فاذا الأشائم كالأيامن والأيامنُ كالأشائِمْ

وكذاك لاخيرٌ ولا شرٌّ على أحدٍ بدائمْ

قد خُطَّ ذلك فى الزُبور الأوَّليّاتِ القدائِمْ

وقال مُليح الهذلى :

وصَدَّق طُوَّافٌ تنادَوْا بردّهم   لها ميمَ غُلْباً والسَّوامُ المُسَرَّحُ

حُتومُ ظِباءٍ واجهتْنا مَروعةً تكاد مطايانا عليهِنَّ تَطْمَحُ

وقال لبيد :

ويوم أتانا حَىُّ عُروةَ وابنِهِ الى فاتكٍ ذى جُرأةٍ قد تَحَتَّمَا

قال ابو تراب : ومما يؤيد ماذهب اليه ابن فارس من أن التاء فى الحُتامة مُبدلة من الطاء ورودُ التَّحَتُّم بمعنى تكسرِ الزجاج بعضَه على بعضٍ وهو كالتَحَطُّمِ والله أعلم .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « يُطاف عليهم بصحافٍ من ذَهَبٍ وأكواب » ؟ قال : الأكوابُ ، القِلال التى لا عُرى لها ، قال : هل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول الهُذَلى :

فلم يَنْطِقِ الدَيكُ حتى مَلأْ تُ كُوبَ الدِنَانِ له فاستَدارا

قال ابوتراب : وفى تفسير ابن عباس (ص ٣٠٧) : « وأكواب » ، كِزانٍ بلا آذان ، ولا عُرىً ، مُدَوَّرةِ الرؤس فيها شرابهُم .

وفى مجاز القرآن لأبى عُبيدة : (ج ٢ ص ٢٠٦) : الأكوابُ ، الأباريقُ التى لا خَراطيمَ لها .

وفى غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٤٠٠) : الأباريق لاعُرىَ لها ويقال : ولا خَراطيمَ ، واحدها كوبٌ .

وفى معانى القرآن للفَرَّاء ج ٢ ص ٣٢ و ٨٢ : الكوبُ ، المُستديرُ الرأس الذى لا أُذُنَ له ، قال عدىَ بن زيد :

خيرُ لها إن خَشِيَتْ حَجرةً من ربها زيد بن أيوبِ

مُتَكِئاً تُصفَقُ أبوابُه يَسْقى عليه العَبْدُ بالكُوب

وقال الطبرى فى تفسيره (ج ٢٥ ص ٥٧) : أكوابٌ ، جمع كُوبٍ ، وهو الابريقُ المستديرُ الرأس الذى لا أذن له ولا خُرطومَ ، وإيّاه عَنَى الأعشى بقوله :

صرَيفَيّـــة طيّـــبٌ طَعْمُها لهـــا زَبَــدٌ بــين كُوبٍ ودَنّ

ورَوى عن السُدّى قال : الأكواب التى ليست لها آذان .

وفى تفسير القرطبى (ج ١٦ ص ١٣٣) : عن قتادة : الكـوبُ المُـدَوّر القصير العُنُقِ ، القصيرُ العُروة ، والابريق المُستطيل العُنُق الطويلُ العُـروة ، وقال الأخفش : الأكواب الأباريق التى لا خَراطيم لها ، وقال قُطْـرُبٌ : هى الأباريق التى ليست لها عُرًى ، وقال مجاهد : انها الآنية المُدَوَّرةُ الأفواه ، وقال ابن عَزيز : هى أباريقُ لا عُرىَ ولا خراطيم لها ، واحدها كُوبٌ .

قال القرطبى : وهو معنى قول مجاهد والسُدُّىِ ، وهو مذهب أهل اللغة أنها التى لا آذان لها ولا عُرى .

وفى مفردات الراغب : الكوب ، قَدَحٌ لا عروة له ، وجمعه أكواب .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الكاف والواو والباء كلمة واحدة ، وهـى الكوبُ ، القَدَح لا عُروةَ له ، والجمـع أكـواب ، قال الله تعـالى : « وأكـوابٌ موضوعة » ويقولون : الكُوبَةُ ، الطَّبْل للَّعِبِ .

وقال ابن منظور فى اللسان : الكوب ، الكوز الذى لا عروة له ، وقـال يصف مَنْجَنُوناً .

يَصُبُّ أكوابـــاً على أكواب تَدَفَّقَـــتْ من مائهـــا الجَوابِى

وقال ابن الأعرابى : كَابَ يَكُوبُ اذا شرب بالكوب ، وفى التكملة : وكذلك اَكتاب كما يقال : اكتاز اذا شرب بالكوز ، قال ابن منظـور : والكَـوَبُ دِقَّـةُ العُنُقِ ، وعِظَم الرأس ، والكُوْبَةُ : الشطْرَنْجَةُ ، والكوبَةُ الطَّبْل والنَّرْد .

وفى الصحاح : الطَّبل الصغير المُخَصرَ .

قال ابو عُبيد : أمَّا الكُوبُة فان محمد بن كثير أخبرنى أن الكوبة النَّردُ فى كلام اهل اليمن وقال غيرُه : الكُوبُة الطَّبْل .

وفى الحديث : إن الله حَرَّم الخمر والكُوبَةَ ، قال ابن الأثير : هى النَّرْدُ ، وقيل : الطَّبْل ، وقيل : البَرْبَطُ ، ومن حديث عليّ : أُمِرنا بكسر الكُوبة والكِنَّارة ، والشِيَّاع .

قال ابوتراب : الكنانير العيدان ، أو الدفوف ، أو الطبول أو الطنابير ، وفى لفظٍ : « بعثتك تمحو المعازفَ والكِنّارات » والشِياع ، المزمار .

وذكر الزمخشرى فى الأساس قولهم : لايزال معه كُوبُ الخَمر ، وكُوبَة القَمْر ، وهى النَرْد أو الشطْرنج .

وأورد فى الفائق (ج ٢ ص ٤٣٣) إن ربى حرّم عليّ الخمر والكُوبة والقِنّين قال : هو بوزن سِكّينٍ : الطُنبور ، وقيل : لعبة للروم يتقامرون بها ،

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : اخبرنى عن قوله تعالى : « لافيها غَوْلٌ ولاهم عنها يُنْزَفُون » ؟ قال : لايَسْكَرُونَ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أماَ سمعتَ قول عبدالله بن رواحة :

ثم لايُنْزَفُونَ عنها ولكنْ يَذْهَبُ الهَمُّ عنهمو والغَليلُ

قال ابو تراب : وفي تنوير المقْباس (ص٢٧٧) : «يُنْزِفُون » يُنْفِدُونَ ، ويقال : ولاهم منها يَسْكَرُونَ ، ولاتَتصدّع رؤسُهم .

وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (ج٢ ص١٦٩) تقول العرب : لايُقطع ويُنْزَفُ سُكْراَ . قال الأُبَيْرِدُ الرِياحُي من بني مَجْجَل :

لَعَمْرى لئن أنْزَفْتمو أو صَحَوْتُمو لَبِئْسَ النَدامَى كنتمو آل أبْجرا

أبْجَرُ من بني عْجِل .

قال ابو تراب : هذا البيت نسبه القرطبي الي الحُطيئة ، وأورده الطبري وهو في الصحاح واللسان والتاج .

وفي غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٣٧٠) : أي لا تذهب خَمْرُهم وتَنقطع ، ولا تذهب عقولهم ، يقال : نُزف الرجل : اذا ذهب عقله ، واذا نَفِد شرابُه . وتُقْرأْ « يُنزِفون » من أنْزَفَ الرجل ، اذا حان منه النَّزْفُ ، أو وقع له النَّزْفُ ، كما يُقال : أقْطَفَ الكَرْمُ اذا حان قطِافُه ، وأحْصَد الزرع اذا حان حصادُه .

وقال الفراء في معاني القرآن «ج٢ ص٣٨٥» « لايُنْزفون » له مَعْنيانِ ، يقال : قد أنْزَفَ الرجل اذا فَنيتْ خَمْرُه ، وأنْزَفَ اذا ذهب عقلُه فهذان وجهان ، ومن قرأ : « لايُنزَفون » يقول : لاتذهب عقولهم وهو من نُزف الرجل فهو منزوفٌ .

وقال الراغب في المفردات : نُزف دَمعُه أو دَمْه ، أي نُزع كلُّه ، ومنه قيل : سَكْرانُ نَزيفٌ : نُزِف فَهْمُه بسُكْرِه قال تعالي : « لايُصَدَّعون عنها ولا يُنْزِفُونَ » من قولهم : أنزفوا : اذا نَزَفَ شرابهُم أو نُزعت عقولهُم ، وأصلُه من قولهم : أنْزَفُوا: أي نَزَفَ ماءُ بِئْرهم .

قال ابو تراب : ومادة النَزْفِ ليست في أساس البلاغة للزمخشري في النُسخ الموجودة بين أيدينا ، ولا أدري هل سقطْت من المؤلف أم من النُسَّاخ وجَل من لايسهو .

وقال ابن فارس في المقاييس : النون والزاى والفاء أصل يدل علي نفاد شيء وانقطاع ، وأورد ابن فارس بيت امرىء القيس وهو في ديوانه (ص٨) :

وإذْ هي تَمْشي كمشْيِ النَزيـ ـفِ يَصرْعُـه بالكثيـب البَهَرْ

والنَزيفُ السَكْرانُ نُزِف عَقْلُه . والنَزْفُ : نَزْح الماء من البئر شيئاً بعد شيء ، وأنْزَفُوا : انقطع شرابهُم ، وقال الله تعالي : « لايُصَدَّعُون عنها ولا ينْزفون » والنُزْفَةُ الغُرفة ، وهو بَحْرٌ لايُنْزَفُ ، ونُزِف الرجل في الخصومة انقطعت حجتُه .

قال ابو تراب : ولم يذكر الزمخشري ايضاً هذه المادة في الفائق ، مع أن ابن

الأثير ذكرها في النهاية وقال : فيه زمزمُ لاتُنْزَفُ ولاتُذَمُ ، أي لايفْنَي ماؤها على كثرة الاستقاء .

وقال الزمخشري في الكشّاف : «يُنْزَفُون» علي البناء للمفعـول ، من نُزِف الشاربُ اذا ذهب عقلُه ، ويقال للسكران نزيفٌ ومنزوف ويقال للمطعون نُزف فمات . اذا خرج دمُه كلُّه ، ونَزَحْتُ الرَّكيَّة حتي نزفتُها ، اذا لم تترك فيها ماءً ، وفي أمثالهم : « أجْبَنُ من المنزوف ضرِطاً » وقُرىء (يُنزِفُون) مِنْ أنْزَفَ الشاربُ اذا ذهب عقلُه او شرابه ، وأورد بيت الأُبيرد المتقدم ثم قال : ومعناه : صار ذا نَزْفٍ ، ونظيره أقْشع السحابُ ، وقَشَعَتْـه الريـح ، وأكَـبَّ الرجـلُ ، وكَبَبْتُـه ، وحقيقتها : دَخَلاَ في القَشْع والكَبِّ .

وفي قراءة طلحةَ بن مُصَرّفٍ « يَنْزُفون » بضم الزاى من نَزَفَ يَنْزُفُ كقَرُب يَقْرُبُ : اذا سَكِرَ والمعني : لافيها فسادٌ قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مَغْصٍ أو صُداعٍ أو خُمارٍ أو عَرْبَدةٍ أو لَغْو وتأثيم أو غير ذلك ، ولاهم يَسْكَرُون ، وهو أعظم مفاسدها ، فأفْرَزَهُ وأفردَه بالذكر .

وقال الطبرى : إن أهل الجنة لاَيَنْفَدُ شرابهم ، ولاُيسْكِرُهم شرْبهُم إيّاه ، فيُذهب عقولهم ، وأورد في ذلك عن ابن عباس « ولاهم عنها يُنْزَفون » يقول : لاتَذْهبَ عقولَهم ، ومثله عن مجاهدٍ والسُدّىَ وابن زيد وقتادة ثم قال بعد ذكر القراءتين السابق ذكرُهما : تقول العرب : قد نُزِفُ الرجل فهو منزوف اذا ذهب عقلُه من السكر ، وكذلك أنْزَفَ قال وأمّا اذا فَنِيتِ الخَمْرُ فانّي لم اسمع فيه الاّ أنْزَفَ القومُ ، وأنشد قول الأُبيردِ المتقدم .

وقال القرطبي : أي لاتذهب عقولُهم بشرُْبها ، وأورد قول امـرىء القيس المتقدم

وقال ايضاً :

نَزيفٌ اذا قامـتْ لِوَجْـهٍ تَمَايَلَتْ   تُراشِي الفُـؤادَ الـرَّخصَ ألاَّ تَخَتَّرا

وقال آخر : قال أبو تراب : هو جميل بن معمر ، وقيل : عمر بن أبي ربيعة :

فلثمــت فاهــا آخــذاً بقرونها   شُرْب النـزيف بِبَــرْدِ ماء الحَشْرَجِ

وقيل : المعني لايُنْفدون شرابهم ، لأنه دأبهم ، وأنشد قول الأبيرد المتقدم ونسبه الى الحُطَيْئة ، وأورد تعليل النحاس للقراءتين أن الله عز وجل نفى عن خمر الجنة الآفاتِ التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر. واذا كان بمعني النفاد فمجازه انه لاينفد أبداً ، ونقل عن المهدوي قال : ولايكون معناه يَسْكرون لأَنَّه قال قبله : « لا فيها غَوْلٌ » أي لاتغتال عقولهم ، ويَسُوغُ ذلك في سورة الواقعة . ويجوز ان يكون معنى . «لافيها غَوْلٌ» لايَمْرضُون ، فيكون معني « ولاهم عنها يُنْزَفُون » لايَسْكَرُونَ أولا يَنْفَدُ شرابهم ، وانما صَرَفَ الله السُكْرَ عن أهل الجَنَّةِ لئلاّ ينقطع الالتذاذ عنهم بنعيمهم .

ومن شواهد هذه المادّة قول لبيد اورده في اللسان وأنشده ابن سِيدَه :

أَرَبَّــتْ عليـــه كلُّ وَطْفــاَءَ جونة   هَتُوفٍ متي يُنْزَفْ لها المـاءُ تَسْكُبِ

وأنشد أبو عبيدة للعجّاج :

وصَرَّح ابــن مَعْمَــرٍ لِمَنْ ذَمَرْ   وأنْــزَفَ العَبــرَةَ من لاَقَــى العَبْر

وقال ايضاً :

وقــد أرانــي بالديــار مُنْزَفاَ   أزمــانَ لا أَحْسَبُ شيئــاً مُنْزِفاَ

والنُزْفَةُ القليل من الماء والخمر مثل الغرفة قال ذو الرُمَّة :

يُقَطِّــعُ موضونَ الحديـث ابتسامُها   تَقَطُّــعَ ماء المُــزْنِ في نُزَفِ الخَمْرِ

وقال العَجَّاجُ : (فَشَنَّ في الأبريق منها نُزَفَاَ)

والنُزْف الضعف الحاصل من خروج الدم كثيراً قال قيس بن الخَطيم :

تَغْتَــرِقُ الطَــرفَ وهــي لاهيةٌ   كأنَّمــا شَفَّ وجهَهــا نُزُفُ

قال الليثُ : قالت بنتُ الجَلَنْدىَ ملِكِ عُمانَ حين ألبست السُلْحفاةَ حلِيَّها ودَخَلت البَحْرَ فصاحت وهي تقول : نَزَافِ نزافِ . ولم يُبقَ في البحر غَيْرُ قَذَافِ . أرادتْ أَنْزِفْنَ الماءَ ، ولم يَبْقَ غيرُ غَرْفَةٍ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالي : « إنَّ عذابَهَا كان غراما » ؟ قال : مُلازماً شديداً كلزوم الغريم الغَريمَ ، قال : وهل تعـرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قولَ بشر بن ابي خازم :

ويــومُ النِسَارِ ويــومُ الجِفارِ كانــا عذابــاً وكانــا غراما

وفي تفسير ابن عباس : «كان غراما » لازماً مُوْلَعاً مُلِحّاً .

وفي مجاز القرآن لأبي عُبيدة ج ٢ ص ٨٠ : أيْ هَلاَكاً ولزاماً لهم ، ومنه رجل مُغْرَمُ بالحبِّ حبِّ النساء من الغرْم والدَّين ، قال الأعشى :

فَرْعُ نَبْعٍ يهْتَـزُ في غُصُـنِ المَجْـ ـدِ غزيــر النَّــدى شديــد المِحال
إن يُعاقِـبْ يَكُنْ غرامـاً وإنْ يُعْـ ـطِ جزيــلاً فانــه لايُبالى

وأنشد بيت بشر بن أبي خازم بلفظ :

ويــومَ النَسار ويــوم الجفار كانــوا عذابــاً وكانــوا غَراماً

واستشهد به الطبري والزمخشري وابو حيانَ والطَّبرسى وهو في الجَمْهرة ٨١/٢ والاقتضاب ص ٣١٦ ومعجم البلدان ، ونسبه في اللسان الي الطِرمّاح .

قال ابو عبيدة : (غراماً) أي هلكةً . ومثله في غريب القرآن لابن قتيبـة (ص٣١٥) وقال ابن فارس في المقاييس :

الغين والراء والميم اصل صحيح يدل على ملازمة ، ومُلاَزَةٍ ، من ذلك الغريم سُمَّى غريماً للُزومه والحاحه ، والغرامُ العَذابُ اللازم في قوله تعالي : « إنّ عذابها كان غراما » وأورد قول الأعشى المتقدم ، ثم قال : وغُرْم المال من هذا ايضاُ ، سُمَّى لأنه مالُ الغَريم .

وقال الراغب في المفردات :

الغُّرم ماينوب الانسان في ماله من ضَرَر لغير جناية منه او خيانة ، يقال : غَرِم كذا غُرْماً ومَغْرماً ، وأُغْرِم فلان غرامةً قال تعالى : « إنّا لُمُغْرَمُونَ » وقال : « فهم من مَغْرَمٍ مثقلون » وقال : « يتخذ ماينفق مَغْرمَاً » والغريم يقال لمن له

الدَّين وعليه الدين ، قال : « والغارمين وفي سبيل الله » والغَرامُ ما يصيبُ الانسان من شدة ومُصيبة قال تعالي : « إنّ عذابها كان غراما » .

قال ابو تراب : هذه المادّة لم يذكرها ابن الجوزي ولا الدامغاني في كتابيهما في الوجوه والنظائر فلتستدرك .

وفي أساس البلاغة من محاوراتهم : عليك بالصدق وإن جَرَّ عليك المَغارم ، وإياك والكَذِبَ وإن ساق اليك المغانم .

وفي تفسير القرطبي (ج١٣ص٧٢) : « إنّ عذابها كان غراماً » أي لازماً دائماً غيرَ مفارقٍ ، ومنه سُمّى الغَريمُ لملازمته ، ويقال : فلان مُغْرَمٌ بكذا أي لازم له ، مُوْلَعٌ به ، وهذا معناه في كلام العرب فيما ذكر ابن الأعرابي وابن عرفة وغيرهما ، وأورد قول الأعشى المتقدم . وقال الحسن : قد علموا ان كل غريم يفارق غريمه الاّ غريمَ جهنم ، وقال الزجّاج : الغرام أشد العذاب . وقال ابن زيد : الغرام الشر ، وقال ابو عبيدة : الهلاكُ والمعني واحد . وقال محمد بن كعب : طالبهم الله تعالى بثمن النعيم في الدنيا فلم يأتوا به ، فأغرمهم ثمنها بادخالهم النارَ .

وأنشد ابن بَرّى في الغرامة للشاعر قوله :

دار ابنِ عمّك بعْتها تَقْضِي بها عنك الغرامَةْ

وشاهد الغَريم قولُ كُثَيِّرٍ :

قَضَى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غريمَه وعَزَّةُ ممطولٌ مُعَنًّى غريمُها

وفي لسان العرب : غَرِم السحابُ : أَمْطَر ، قال ابو ذُؤيبٍ يصف سحاباً :

وَهَى خَرْجُه واستُجيلَ الرَّبا بُ منه وغُرِّم ماءً صريحا

وقال ابو عَمْرو : غَرْمي كلمةٌ تقولها العرب في معني اليمين ، يقال : غَرْمَي وجدّكَ ، كما يقال : أمَا وَجَدّك ، وأنشد :

غَرْمَي وجَدّك لو وَجَدْتَ بهم كعداوةٍ يجدُونَها بَعْدِي

وقوله عز وجل : « والغارمين وفي سبيل الله » قال الزجّاج : الغارمون هم

الذين لَزِمهم الدَّيْنُ في الحمالة ، وقيل : هم الذين لزِمهم الدَّينُ في غير معصية ، والغرامُ اللازم من العذاب ، والشرّ الدائمُ ، والبلاء والحُبُّ والعِشْقُ وما لا يستطاع ان يُتَفَصَّى منه ، وقال الزجّاج هو أشد العذاب في اللغة ، قال الله عز وجل : « إنَّ عذابها كان غراما » وأنشد الشاهد الذي رُوي عن ابن عباس وقوله عز وجلَّ : « كان غراماً » أي مُلِحاً دائماً مُلازماً . وفي الحديث : لاتحِلُّ المسألة الاّ لذي غُرْم مُفْظعٍ أي ذي حاجةٍ لازمةٍ من غرامةٍ مُثْقِلةٍ ، وفي الحديث ايضاً : أعوذ بك من المأثم والمَغْرَم ، ويريد به مَغْرَم الذنوب والمعاصي وقيل : هو الدَّيْن ، ويريد به ما استُدين فيما يكرهه الله ، أو فيما يجوز ثم عجز عن أدائه . فأمَّا دَين احتاج اليه ، وهو قادر علي أدائه فلا يُستعاذ منه وفي الحديث ايضاً : الـدَّيْن مَقْضِيٌّ والزعيم غارم . لأنّه لازم لِمَا زَعَم ، أي كَفَل أو الكفيلُ لازمٌ لاداء ما كَفَّلهُ مُغْرِمُه ، وفي حديث آخر : الزعيم غارمُ والزعيمُ الكفيل ، والغارم الذي يلتزم ماضَمِنَـه وتكَفَّل به .

وفي حديث مُعاذٍ : ضربهم الله بذُلّ مُغْرَمٍ ، أي لازم دائمٍ ، وفلان مُغْرَم بكذا أي مُوْلَعٌ به ، وفي حديث عليّ : فَمَنِ اللهِجُ باللَّذةِ ، والسَّلِسُ القيـاد للشهوة ، أو المُغْرم بالجَمْع والادّخار ، وفي حديث جابر ، فاشْتَد عليه بعضُ غُرَّامِه في التقاضى ، قال ابن الأثير هو جَمْعُ غريم وهو جَمْعٌ نادرٌ غريب

قال ابو تراب ولابن سِيْدَهْ فيه كلام وتخريج .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالي : « يخرج من بين الصُّلب والترائب » ؟ قال : « الترائب » موضع القلادة من المرأة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

والزَّعفـرانُ على ترائبِها شرِقٌ به اللبَّـاتُ والنَّحْرُ

قال ابو تراب : قائله ابو بكر بن المِسْوَرَ بن ِ مَخْرَمَة الزُهرىُّ ، أو الحارث بن خالد المخزومي ، أو بعض القرشيّين من السبعة المعدودين من شعراء العرب وفي هامش القرطبي انه للمُخَبَّل واستشهد به الطبـري (ج٨/٤٥٣)وابـو حيّـان ، والطبرسُي ، وهو في الأغاني (ج٨ ص٣٢٣) .

وفي تنوير المقبـاس (ص٣٨٦) : « مـن بـين الصُلْـبِ » صُلْـبِ الرجـل «والترائبِ » ترائب المرأة .

وفي مجاز القرآن لابي عُبيدة ج ٢ ص ٢٩٤ : «والترائب » مُعَلَّق الحَلىْ ِ علي الصدر ، قال المُثَقَّبُ العَبْدىُّ : ـ وهو في الطبري ج ٣٠ ص ٩٢ والقرطبي ٦/٢٠ واللسان والتاج ـ

ومِـــنْ ذَهَـــبٍ يُشَـــنُّ علي تَريبٍ كلَـوْنِ العـاج ليس بذي غُضونِ

وفي غريب القرآن لابن قتيبة (ص٥٢٣) كما عند أبي عبيـدة ، وقـال : واحدتها تَريبةٌ . وقال الفَّراء في معاني القـرآن : (ج٣ ص٢٥٥) : والترائـبُ : ما أكْتَنَفَ لبّاتِ المرأة مما يقع عليه القلائد . وجائز ان تقول : من بين هذين ، ومن هذين .

وفي مفردات الراغب : الترائب ضلوع الصدر . وقوله : « عُرُبـاً أترابـا » و «كواعبَ أترابا » و « قاصراتُ الطَّرْف أتراب » أي لِداتٌ تَنَشَأْنَ معاً . تشبيها في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر ، أو لوقوعهن معـاً علي الارض ، وقيل : لأنهن في حال الِصبا يَلْعَبْن بالتراب معاً ، وقوله : « أو مـسْكيناً ذا مَتْرَبةٍ » أي ذا لصوقٍ بالتراب لفقره وتربَ افتقر ، كأنه لصَقَ بالتراب . وقوله عليه الصلاة والسلام : « عليك بذات الدين تَرِبَـتْ يداك » تنبيـه علي أنـه لايفوتَنَّكَ ذاتُ الدّين ، فلا يحصل لك ماترومه فتَفْتَقُر من حيث لاتَشْعُرُ .

قال ابو تراب : ولم يذكر ابن الجوزي هذه المادّة في نزهة الأعين والنواظر في الوجوه والنظائر . وذكرها الدامغاني في كتابه على خمسة أوجـه هي : الرَميـمُ .

الأشْكال ، الضلوع والتراقى ، البهائم ، الصعيد . فالأول قوله تعالي : « أئذا كنّا تراباً » أي رميا ، والثاني قوله : « عُرُباً أتراباً » يعني أشكالاً ، والثالث قوله : « من بين الصُّلب والترائب » يعني الضلوع من الصدر والتّراقي ، والرابع قوله : « ياليتني كنت تراباً » يعني بهيمة من البهائم ، وقيل : أي مَيْتاً والخامس قوله : « والله خَلَقَكم من تراب » إي صَعيد .

وقال الطبري : اختلف أهل التأويل في معني الترائب وموضعها فقال بعضهم : الترائب موضع القلادة من صدر المرأة ، وأورد فيه بسنده عن ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جُبير وأبي عياض وابن زيد ، وقال آخرون : الترائب مابين المَنْكِبَيْنْ والصدر وأورد فيه بسنده عن مجاهد وسفيان ، وقال آخرون : الترائب اليدان والرجلان والعينان ، وأورد فيه عن ابن عباس والضّحاك .

وقال آخرون : معني ذلك انه يخرج من بين صلب الرجل ونحره ، وأورد فيه عن قتادة ، وقال آخرون : هي الأضلاع التي أسفَل الصُلْب وأورد فيه عن سعيد ، وقال آخرون . هي عُصارة القلب ، وأورد فيه عن ابن أبي حبيبةَ أنه بَلَغَه ذلك :

قال الطبري : والصواب من القول في ذلك عندنا هو قول من قال : هو موضع القلادة من المرأة حيث تقع عليه من صدرها لان ذلك هو المعروف في كلام العرب وبه جاءت اشعارهم ، واورد الطبري فيه قول المُثَقَّب العبدي المتقدم ، والبيتَ الذي استشهد به ابن عباس :

والزعفرانُ علي ترائبِها شرِقاً به اللَّبَاتُ والنَّحْرُ

ونقل القرطبي (ج٢٠ص٥) عن الزجّاج : أن الترائب أربع أضلاع من يمْنَة الصدر وأربع أضلاع من يَسْرَة الصدر ، وأورد قول امرىء القيس :

مُهَفْهفةٌ بيضاءُ غير مُفَاضَةٍ ترائبُها مصقولةٌ كالسَجَنْجَلِ

وقال دُريد بن الصِمَّة :

وبَــدَتْ كأنّ ترائبــاً من نحرها   جَمْــرُ الغَضَا في ساعـدٍ تَتَوقَّد

وأورد ايضاً :

(نظام دُرّ على ترائبها)

وقال ذو الرُمَّة :

ضَرَجْـنَ البُـــرودَ عن ترائــبَ حُرَّةٍ   وعــن أعْــيُنٍ قَتَلْنَنــا كُلُّ مَقْتَلِ

ونقل من الصحاح : الترائب عظام الصدر ما بين التَرْقُوَةِ والثَنْدُوَةِ ، وأنشد قول الأغلب العجلي :

أشْرَف ثدياهـــا علي التَريبِ   لم يَعْـدُوا التَفْليكَ في النُتُوبِ

وفي التفسير : يُخْلَقُ من ماء الرجل الذي يخرج من صُلْبه العظم والعَصَب ومن ماء المرأة الذي يخرج من ترائبها اللحم والدم ، وقاله الأعمش ، وروي مرفوعاً ، ذكـره القرطبـي (ج٢ ص٧ و ج١٦ ص٣٤٣) في سورة آل عمـران والحُجُرات .

وقال الحسن : المعني ، يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل ومن صلب المرأة وترائب المرأة ، وقيل : ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الأُنْثَيَيْنَ وهذا لا يعارض قوله «من بين الصلب» لأنه إنْ نزل من الدماغ فانما يمر بين الصُلب والترائب .

قال المهدوي : ومن جعله يخرج من بين صلب الرجل وترائبه فالضمير للماء ومن جعله يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للانسان .

وقال ابن فارس في المقاييس : التاء والراء والباء أصلان : أحدها التراب ومايُشْتَقُ منه ، والآخر تساوي الشيئين . فالأول التُراب وهو التَيْربُ والتَوْرابُ . ويقال : أَتْرَبَ اذا استغني ، كأنه صار له من المال بقدر التـراب ، والتَربـاء الأرض نفسُها ، ويقال : ريحٌ تَرِبةٌ اذا جاءت بالتراب ، قال ذو الرُمَّة :

لابَــلْ هو الشوقُ من دارٍ تَخَوَّنَهَا   مَرًّا سحــابٌ ومــراً بارحٌ تَرِبُ

وأمّا الآخَرُ فالتربُ الخِدْن ، والجمع أتراب ، ومنه التريب وهو الصدر عند تساوِي رؤوس العظام ، ومنه التَرِبَاتُ وهي الأنامل .

وفي أساس الزمخشري : أرض طَيِّبة التربة ، ووَطِئْتُ كلَّ تُربـةٍ في أرض العرب ، فوجدت تُرْبَةَ أطيبَ التُرب . وهي وادٍ ، وتَرَّب الكتابَ وأَتْرَبَه ، ولحْـمٌ تَرِبٌ : عُفّر بالتراب ، وبـارحٌ ترِبٌ يأتـي بالسَّافيـات وبينهما مابـين الجَرْبـاء والتَرْباء ، وهما السماء والأرض ، ولأضرْبَنّه حتي يَعَضَّ بالتَرْبَاءِ ، ورأي أعرابّي عَيُوناً ينظر الي إبلهِ وهو يَفُوقُ فُواقاً من شِدّة عَجَبِه بها ، فقال : فُقْ بِلَحْـمِ حَرْبَاء ، لابِلَحْمِ تَرْباءَ ، أيْ أكلتَ لَحم الحرباء ، ولا أكلتَ لحمَ ناقِة تَسْقُطُ فتُنْحَرُ فيَتَتَربُ لحمُها ، وتَربَ فلانُ بعدما أتْرَبَ ، أي أفتقر بعد الغَني ، وهما تِرْبانِ ، وهم وهنَّ أتراب . وتاربتِ الجاريةُ الجاريةَ : خادنتْها وقال كُثيِّرٌ :

تُتَـــارِبُ بِيْضاً اذا استَلْعَبْت كأُدْمِ الظِبـــاءِ تَرُفُّ الكباثا

ومن المجاز : تَرِبَتْ يداك اذا دعوتَ كأنك تقول : خِبتَ وخَسِرْتَ .

وفي لسان العرب : التُرب ، والتُرابُ ، والتَرْبْاءُ ، والتُربـاْءُ . والتَـوْرَبُ ، والتَيْرَبُ ، والتَوْرابُ ، والتَيْرابُ ، والتَرْيَبُ والتِرْيَبُ كله واحد ، وجمع التراب أتْرِبَةٌ وتِرْبَانٌ ، ولم يُسْمَعْ لسائر هذه اللغات بجمع ، والطائفة من كل ذلك تُرْبَةٌ وتُرابَةٌ .

وفي الحديث : خَلَق الله التُرْبةَ يوم السبت يعنـي الأرض ، وفي الحديـث ايضاً : أحْثُوا في وجوه المدّاحين الترابَ ، قيل : أراد به الردَّ والخيبة ، كما يقال للطالب المردود الخائب : لم يحْصُل في كفّه غير التراب ، وقيل : أراد به الترابَ خاصةً ، واستعمله المقْدادُ على ظاهره ، وذلك انه كان عند عثمان ، فجعَلَ رجلٌ يُثْني عليه ، وجَعَل المقداد يحثو في وجهه التراب فقـال له عثمان : ماتَفْعَـلُ ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : احثوا في وجوه المدّاحين الترابَ ، وأراد بالمدّاحين الذين اتخـذوا مَدْحَ النـاس عادةً ، وجعلـوه بضاعـةً يستأكلـون به الممدوحَ ، فأمّا من مَدَح على الفعل الحَسَن ، والأمْرِ المحمود ترغيباً في أمثاله وتحريضاً للناس علي الاقتداء به في أشباهه فليس بمدّاح ، وإن كان قد صار

مادحاً بما تكَلَّم به من جميل القول ، وقوله في الحديث الآخر : اذا جاء مَنْ يطلب ثَمَنَ الكَلْب فَامْلأْ كَفَّه تراباً ، قال ابن الأثير : يجوز حَمْلُه علي الوجْهين وتَتْرَبْ لزق به التراب ، قال ابو ذُؤيب :

فَصرَعْنَــه تحــت التُــراب فجنبُه مُتَتَــربٌ ولــكل جنــب مَضْجَعُ

وريحٌ تَرِبٌ وتَرِبةٌ : حملتِ الترابَ وانشد ما قال ذو الرُمَّةِ وقد تَقَدَّم . ويتْرَبُ - بفتح الراء - موضع قريب من اليامة ، قال الأشجعي .

وعــدتَ وكــان الخُلْفُ منــك سَجِّيةً مواعَيــد عرقــوبٍ أخــاه بِيتْرَبِ

هكذا رواه ابو عبيدة ، وأنكر (بِيَثْرِبِ) ، وقال : (عرقوبٌ) من العماليق ، فيَتْربُ من بلادهم ، ولم تَسْكُنِ العماليق يَثْرِبَ .

وقوله عليه الصلاة والسلام :فعليك بذات الدِيْنِ تَرِبَتْ يداك ، قال ابو عُبيد : يرون والله أعلم أن النبي ﷺ لم يتعمد الدعاء عليه بالفقر ولكنّها كلمةٌ جاريةٌ علي أَلْسُنِ العرب يقولونها ، وهم لايريدون بها الدعاءَ على المخاطَب ، ولا وقَوع الأمر بها ، وقيل : معناها (للهِ دَرّك) وقيل : أراد به المثل ليري المأمورُ بذلك الجِدَّ ، وأنّه إن خالفه فقد أساءَ .

وقيل : هو دعاءٌ على الحقيقة ، فانّه قد قال لعائشة : تَرِبَتْ يمِنُك لأنه رأى الحاجةَ خيراً لها ، والأَوَلُ الوَجْهُ . ويَعْضُدهُ قولُه في حديث خُزَيْمَة : أَنْعِمْ صباحاً تَربتْ يداك ، فان هذا دعاء له وترغيب فى استعماله ما تقدمت الوصية به ألا تراه قال : أنْعِمْ صَبَاحاً ، ثم عَقَّبهَ بِتَرِبَتْ يداك .

وكثيراً تَرِدُ للعرب ألفاظ ظاهرها الذَمُّ ، وانما يريدون بها المدح ، كقولهم . لا أَبَ لك ، ولا أُمَّ لك ، وهَوتْ أُمُــه ، ولا أرْضَ لك ، ونحــو ذلك ، قال بعض الناس : إنَّ قولهم : « تَرَبْت يداك » يريد : استَغْنَتْ يداك ، وهذا خطأ لايجوز في الكلام ، ولو كان كمَاَ قَاَلَ لقالَ : أَتْرَبَتْ يداك ، يقال : أَتْرَبَ الرجل اذا كثُر مالُه ، فان أرادوا الفقر قالوا : تَرِبَ وفي التنزيل : « أو مسكيناً ذا متربة » .

وفي حديث أنس : لم يكن رسول الله ﷺ سَبَّاباً ولا فحاشاً ، كان يقول لأحدنا عند المُعاتبة : تَرِب جَبينُه ، قيل : أراد به دعاء له بكثرة السجود ، وأمَا قوله لبعض أصحابه : تَرِبَ نَحْرك فقُتل الرجل شهيداً ، فأنه محمول على ظاهره ، وقالوا : الترابُ لك فرفَعُوه وإن كان فيه معني الدعاء لأنه اسم وليس بمصدر . وقد امتنع هذا في بعض المصادر فلم يقولوا : السَّقي لك ولا الرِّعيُ لك ، وهذا النوع من الاسماء وان ارتفع فان فيه معني المنصوب ، وحُكي التُرابَ للأبْعَد فنُصَب كأنّه دعاء .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالي : « وكنتم قوماً بوراً » قال : هَلْكَي بلغة عُمَانَ ، وهم من اليمن ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول الشاعر :

فلا تَكْفـرُوا ماقـد صَنَعْنَـا اليكمو وكافُـوا به فالكُفْـرُ بُورٌ لِصانِعهْ

قال ابو تراب : وليست هذه الكلمة في لغات القبائل لابن سلاّم .

وفي تفسير ابن عباس الذي جمعه المجد وأسماه تنوير المقباس (ص٣١٩) : «بُوراً» هَلْكىَ فاسدةَ القلوب ، قاسيةَ القلوب .

وفي الغريب لابن قتيبة (ص٤١٢) : «بوراً» أي هلْكَي ، ونقل عن ابـن عباس : « البور في لغة أزْد عُمانَ : الفاسد » .

وفي المعاني للفرّاء (ج٣ص٦٦) : بسنده عن ابن عباس مثلُه ، وفي آخره : «وكنتم قوماً بُوراً » قومـاً فاسدين ، والبـور في كلام العـرب : لاشَيء يقـال : أصبحت أعمالهم بُوراً ، ومساكنُهم قبوراً .

وقال الراغب في المفردات : البَوار فَرْطُ الكساد ، ولمّا كان فَرْطُ الكَسَاد يؤدى الي الفساد ـ كما قيل كَسَدَ حتي فَسَدَ ـ عُبّر بالبَوارِ عن الهلاك : يقال : بار

الشيء ، يبور بَورا وبؤراً ، قال عز وجلّ : « تجارةً لن تبور » « ومكر أولئك هو يَبُور » ورُوي : نعوذ بالله من بَوارِ الأَيم ، وقال عز وجل : « وأحَلّوا قومهم دار البَوار » . ويقال : رجل حائرٌ بائرٌ ، وقومٌ حُورٌ بُورٌ ، وقوله تعالى : « حتي نَسُوا الذِكْرَ وكانوا قوماً بُوراً » أي هَلْكَى جَمْعُ بائرٍ ، وقيل : بل هو مصدرٌ يوصف به الواحد ، والجمع ، فيقُال : رجلٌ بُورٌ ، وقومٌ بُورٌ ، وقال الشاعر :

يارسولَ المليكِ إنّ لساني راتــقٌ مافَتَقْــتُ إذْ أنــا بُورُ

قال ابو تراب : هذا البيت لابن الزِبَعْرَي السهْمِيّ ونقل في اللسان عن الفرّاء في قوله : « كنتم قوماً بُوراً » قال : البُورُ مصدرٌ يكون واحداً وجَمْعاً ، يقال : أصبحت منازلهم بوراً ، أي لاشيء فيها ، وكذلك أعمال الكفار تبطل .

وفي تفسير الطبري : وكنتم قوماً هَلْكَى لايصلحون لشَيء من الخير ، وقيل : ان البُورَ في لغة أذْرِعَاتٍ الفاسدُ ، فأمَّا عند العرب فانه لاشيء ومنه قول ابي الدرداء : فأصبح ماجمعوا بوراً ، أي ذاهباً قد صار باطلاً لاشيء منه ، ومنه قول حسان بن ثابت :

لايَنْفَعُ الطُّولُ من نَوْكَــى القلـوب وقد

يهْــدى الآلَــه سبيلَ المَعْشرِ البُورِ

وأورد فيه عن قتادة قال : « بوراً » فاسدين ، وعن ابن زيد قال : البور الذى ليس فيه من الخير شيء ، وعن مجاهد قال : « بوراً » هالكين وفي تفسير القرطبي : وقيل : « بوراً » أشراراً ، ونقل عن الجوهري . البُور الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه ، وامرأة بُورُ ايضاً ، حكاه ابو عبيد وقوم بُورٌ ، وهو جمع بائر مثل حائل وحُول ، وقد بار فلان أي هلك وأبَاره الله .

قال ابن فارس في المقاييس : الباء والواو والراء أصلانِ أحدهما هلاك الشيء وما يُشْبُهُهُ من تَعَطُّله وخُلُوّه ، والآخَرُ ابتلاء الشيء وامتحانُه فأمّا الأول فقال الخليل : البَوارُ الهلاك ، وهم بُورُ أي ضالُّون هَلْكَي .

وفي حديث أنس : لم يكن رسول الله ﷺ سبَّاباً ولا فحاشاً ، كان يقول لأحدنا عند المُعاتبة : تَرِب جَبينُه ، قيل : أراد به دعاء له بكثرة السجود ، وأمّا قوله لبعض أصحابه : تَرِبَ نَحْرك فقُتل الرجل شهيداً ، فأنه محمول على ظاهره ، وقالوا : الترابُ لك فرفعُوه وإن كان فيه معني الدعاء لأنه اسم وليس بمصدر . وقد امتنع هذا في بعض المصادر فلم يقولوا : السَّقي لك ولا الرَّعىُ لك ، وهذا النوع من الاسماء وان ارتفع فان فيه معني المنصوب ، وحُكي التُرابَ للأَبْعَد فنُصَب كأنّه دعاء .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالي : « وكنتم قوماً بوراً » قال : هَلْكَي بلغة عُمَانَ ، وهم من اليمن ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول الشاعر :

فلا تَكفـرُوا ماقـد صَنَعْنَـا اليكمو   وكافُــوا به فالكُفْــرُ بُورُ لِصانِعهْ

قال ابو تراب : وليست هذه الكلمة في لغات القبائل لابن سلاّم .

وفي تفسير ابن عباس الذي جمعه المجد وأسماه تنوير المقباس (ص٣١٩) : «بُوراً» هَلْكىَ فاسدةَ القلوب ، قاسيةَ القلوب .

وفي الغريب لابن قتيبة (ص٤١٢) : «بوراً» أي هلْكَي ، ونقل عن ابـن عباس : « البور في لغة أَزْد عُمانَ : الفاسد » .

وفي المعاني للفَراء (ج٣ص٦٦) : بسنده عن ابن عباس مثلُه ، وفي آخره : «وكنتم قوماً بُوراً » قومـاً فاسدين ، والبـور في كلام العـرب : لاشَيء يقـال : أصبحت أعمالهم بُوراً ، ومساكنُهم قبوراً .

وقال الراغب في المفردات : البَوار فَرْطُ الكساد ، ولمّا كان فَرْطُ الكَسَاد يؤدى الي الفساد ـ كما قيل كَسَدَ حتي فَسَدَ ـ عُبّر بالبَوارِ عن الهلاك : يقال : بار

الشيء ، يبور بَوْراً وبؤراً ، قال عز وجلّ : « تجارةً لن تبور » « ومكر أولئك هو يَبُور » ورُوي : نعوذ بالله من بَوارِ الأَيم ، وقال عز وجل : « وأحَلُّوا قومهم دار البَوار » . ويقال : رجل حائرٌ بائرً ، وقومٌ حُورٌ بُورٌ ، وقوله تعالى : « حتي نَسُوا الذِكْرَ وكانوا قوماً بُوراً » أي هَلْكَى جَمْعُ بائرٍ ، وقيل : بل هو مصدرٌ يوصف به الواحد ، والجمع ، فيقُال : رجلٌ بُورٌ ، وقومٌ بُورٌ ، وقال الشاعر :

يارسولَ المليكِ إنّ لسانى راتــقٌ مافتَقْــتُ إذْ أنــا بُورُ

قال ابو تراب : هذا البيت لابن الزِبَعْرَي السهْمِيَ ونقل في اللسان عن الفرّاء في قوله : « كنتم قوماً بُوراً » قال : البُورُ مصدرٌ يكون واحداً وجَمْعاً ، يقال : أصبحت منازلهم بوراً ، أي لاشيء فيها ، وكذلك أعمال الكفار تبطل .

وفي تفسير الطبري : وكنتم قوماً هَلْكَى لايصلحون لشَيء من الخير ، وقيل : ان البُورَ في لغة أذْرِعَاتٍ الفاسدُ ، فأمّا عند العرب فانه لاشيء ومنه قول ابي الدرداء : فأصبح ماجمعوا بوراً ، أي ذاهباً قد صار باطلاً لاشيء منه ، ومنه قول حسان بن ثابت :

لايَنفَعُ الطُولُ من نَوْكَــى القلـوب وقد

يهْــدى الآلَــه سبيلَ المَعْشرِ البُورِ

وأورد فيه عن قتادة قال : « بوراً » فاسدين ، وعن ابن زيد قال : البور الذى ليس فيه من الخير شيء ، وعن مجاهد قال : « بوراً » هالكين وفي تفسير القرطبي : وقيل : « بوراً » أشراراً ، ونقل عن الجوهري . البُور الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه ، وامرأة بُورُ ايضاً ، حكاه ابو عبيد وقوم بُورٌ ، وهو جمع بائر مثل حائل وحُول ، وقد بار فلان أي هلك وأَبَاره الله .

قال ابن فارس في المقاييس : الباء والواو والراء أصلانِ أحدهما هلاك الشيء وما يُشبُهُهُ من تَعَطُّله وخُلُوّه ، والآخَرُ ابتلاء الشيء وامتحانُه فأمّا الأول فقال الخليل : البَوارُ الهلاك ، وهم بُورُ أي ضالُون هَلْكَي .

قال الكسائي : ومنه الحديث انه كان يتعوّذ من بَوارِ الأَيّم وذلك أن تَكْسُدَ فلا تجدَ زَوْجاً . وقال ابو زيد : يقال : انه لفي حُورٍ بُورٍ أي ضيعةٍ وفي كتاب رسول الله ﷺ لأُكَيْدِرَ : « إنَّ لنا البُورَ والمعَامِي » .

قال ابو زياد : البُور من الأرض المَوْتانُ .

قال ابو تراب : البُوْرُ والبَوْرُ بالفتح والضم مصدر واسم جَمْعٍ وبهما روي الحديث كما في اللسان ، والمعامِي المجهولة والأغفال .

وقال ابو عُبيد عن الأحمر : نزلتْ بوارِ علي الناس : أي بَلاَء ، وأنشد لأبى مُعْكِتٍ كما فى اللسان :

قُتلتْ فكان تَظَالُماً وتَبَاغِياً إنَ التَظَالُمَ في الصَدِيقِ بَوارُ

والأصل الثاني : التجربة والاختبار ، تقول : بُرْتُ فلاناً وبُرْتُ ما عنده أي جَرَّبتَه ، وبُرْت الناقة فأنا أبورها ، اذا أدنيتها من الفَحْل لتنظر أحامل هي أم حائل ، وكذلك الفَحْلُ مِبْوَرٌ اذا كان عارفاٍ بالحاليَنْ قال :

بطَعْنٍ كآذان الفِراءِ فضولُه وطَعْنٍ كإيزاغ المَخاضِ تَبورُها

ويقال : بار الناقةَ بالفَحْل ، فأمّا قول الآخر : يعني والأول لمالك بن زُغْبَةَ الباهلي كما فى اللسان :

مُذَكَّرةُ الثُنْيا مُسَانَدَةُ القَرىَ تُبارُ اليها المُحْصَناتُ النجائبُ

فيقول : يُشترى المُحْصَناتُ النجائبُ علي صفتها من قولك : بُرْتُ الناقةَ وقال في اللسان : ان الناقة اذا كانت لاقحاً بالت في وجه الفحل اذا تَشَمَّمها وبه يُفَسرَّ البيت المذكور .

وفي مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج٢ص٧٢) : « وكانوا قوماً بُوراً » واحدهم بائر أي هالك ، ومنه قولهم : « نعوذ بالله من بَوارِ الأيّم » وبار الطعام وبارت السوق أي هلكت ، وأنشد بيت ابن الزِبَعْرىَ المذكور . ثم قال : وقال بعضهم : رجلٌ بُورٌ ، ورجلان بُورٌ ، ورجال بُورٌ ، وقوم بُورٌ ، وكذلك الواحدة والثِنْتانِ والجميع من

المؤنثة . وقوله : « تجارةً لن تبور » أي لن تَكْسُدَ وتَهلِكَ وقوله : « دار البَوار » أي الهلاك والفناء ، ويقال : بار يَبُور ، والبور والبوار واحدة .

وفي لسان العرب : عن الأخفش عن بعضهم : البُورُ لغةٌ وليس بجمع لبائرٍ كما يقال : أنت بَشَرٌ ، وأنتم بَشَرٌ . وقيل : رجلٌ بائرٌ ، وقوم بَوْرٌ بفتح الباء فهو على هذا اسم للجَمْعِ كنائِم ونَوْمٍ ، وصائم وصَوْمٍ .

❊ ❊ ❊

قال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وداوود وسليمان إذْ يحكمان فى الحرث إذ نَفَشَتْ فيه غنم القوم » ؟ : النَّفْشُ الرَّعْىُ بالليل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سَمِعْت قول لبيد :

بَدَّلْنَ بعد النَّفَشِ الوجيفا وبعد طُول الجِرة الجِرَّة الصرَّيفا

قال ابو تراب : البيت فى الديوان (ص ٥٦) .

وفى تفسير ابن عباس (ص٢٠٣) « نَفَشَتْ فيه » دخلت ووقعت فيه بالليل .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ٢ ص ٤١) : النَّفْشُ أن تدخل فى زرع ليلا فتأكله وقالت : نَفَشَتْ فى جُدَّادى الجُدَّاد من نَسْجِ الثوب تعنى الغنم .

وقال ابن قتيبة فى غريب القرآن (ص ٢٨٧) « نَفَشَتْ » رَعَتْ ليلا ، يقال : نَفَشتِ الغنم بالليل ، وهى إبلٌ ، نَفَشٌ ونُفَّشٌ ونُفَّاشٌ والواحد نافشٌ ، وسَرَحَتْ وسَرَبَتْ بالنهار .

وفى معانى القرآن للفراء (ج ٢ ص ٢٠٨) النَّفَشُ بالليل .

وفى غريب القرآن لأبى بكر السجستانى (ص ٢٢٤) : «نَفَشَتْ » أى رَعَتْ ليلاً يقال : نَفَشَتِ الغنم بالليل وسَرَحَتْ بالنهار ، وسَرَبَتْ وَهَمَلَتْ بالنهار .

وقال الراغب : النَّفْش نشر الصوف ونفش الغنم انتشارها ، والابل النوافش المترددة ليلا فى المرعى بلا راع .

قال ابن فارس فى المقاييس : النون والفاء والشين أصل صحيح يدل على انتشار ، من ذلك نَفْشُ الصوف ، وهو أن يُطْرَقَ حتى يَتَنَفَّشَ ، ونَفَشَ الطائر جناحَيه ، ونَفَشَتِ الابل : تَرَدَّدَتْ وانتشرتْ بلا راعٍ ، وفِعْلُها النَّفْشُ ، وإبل نُفَّاشٌ ونوافش .

وقال الزمخشرى فى الأساس : نَفَشَ الصوف والقُطنَ فانتفش وأَنْتَفَشَ الضِبْعانُ والديك ، وتَنَفَّشَ اذا نَفَشَ شَعْرَهُ أو رِيْشَه كأنه يخاف أو يُرْعَدُ ، وأَنْتَفَشَتِ الهرة ، وتَنَفَّشَتْ : ازْ بَأَرَتْ ، وأَمَةٌ مُتَنَفِّشَةُ الشعر ، ونَفِشَت الغنم بالليل انتشرتْ ، وأَنْفَشَها الراعى قال :

أجْرِسْ لها ياابنَ أبى كباش فما لها الليلة من إنفاش

غير السُرَى وسائق نجاشى

قال ابو تراب : ورواية ابن السكيت : (اجرش) قال الجوهرى : والرواة على خلافه .

قال : ومن المجاز : أنفٌ مُتَنَفِّشٌ : قصير المارن ، منبسط على الوجه كأنف الزنجى ، وقال العجاج :

ثارُ عَجَاجٌ مُسْبطر قسطله تَنْفُشُ منه الخيل مالا تَغْزِلُه

وقال فى الفائق فى قول ابن عمر : الحَبَّةُ فى الجنّة مثلُ كَرِشِ البعير يَبيت نافِشاً ، أى راعيا بالليل من قوله قال : « إذْ نَفَشَتْ فيه غنم القوم » أى انتشرت بلاراع ، ومنه نَفْشُ الصوف ، وهو طَرْقُه حتى يَنْتَفِشَ أى ينتشر بعد تَلَبُّد ، ونفش الطائر جناحَيْه .

قال ابو تراب : فى المطبوعة المصرية والهندية من « الفائق » (ابن عمر) والصواب : (ابن عَمْرو) وهو عبد الله وحكاه الهروى .

وقال ابن الأثير في النهاية في قوله إنه نهى عن كسب الأمة الاّ ماعملتْ بيديها نَحْو الخَبْزِ والغَزْل والنَّفْشِ ، قال : هو نَدْفُ القُطْن والصوف ، وانما نهى عن كسب الاماء لأنه كانت عليهن ضرائب فلم يَأْمَنْ ان يكون منهن الفجور ولذلك جاء في رواية : حتى يُعلم من اين هو .

وفي حديث عمر : انه اتى على غلام يبيع الرَّطْبَة ، فقال : أنْفُشْهَا ، فانه أحْسَنُ لها ، أى فَرّقْ ما اجتمع منها لَتحْسنَ في عين المشترى .

والنَّفيش المتاع المتفرق .

وفي حديث ابن عباس : وإنْ أتاك مُنْتَفشَ المَنْخَرَيْن أى واسعَ مَنْخَرَى الأنف وهو من التفريق .

وذكر حديث ابن عمرو المذكور آنفاً ، ثم قال : نَفَشِت السائمةُ تَنْفِشُ نفوشا اذا رَعَتْ ليلا بلا راعٍ ، وهَمَلَت اذا رَعَتْ نهارا .

وفي لسان العرب : النَّفْشُ الصُّوف ، والنَّفْشُ مَدُّكَ الصوفَ حتى يَنْتَفِشَ بعضه عن بعض ، وعْهِنٌ منفوش ، والتنفيش مثله ، ونَفَشَ الصُّوف وغيره ينفشه نفشا ، اذا مَدَّه حتى يَتَجوف ، وقد انتفش ، وأرْنَبة مُنْتَفِشةٌ ، ومُتَنَفّشَة : مُنْبسطة على الوجه ، وكل شيء تراه مُنْبترا رخو الجوف فهو متنفش ومنتفش .

والنَّفشُ المتاعُ المُتَفَّرق . وقال ابن السِكّيت : النَّفشُ أن تَنْتَشرِ الابل بالليل فترعى ، وقد أنفشتها اذا ارسلتها في الليل فترعى بلا راع ، وهى إبل نُفاشٌ . ويقال : نَفَشَت الابل تَنْفُش وتَنْفِشُ ، ونَفِشَتْ تَنْفَشُ : اذا تفرقت فرَعَتْ بالليل من غير علم راعيها ، والاسم النَّفَشُ ولايكون النَفَشُ الاّ بالليل ، والهَمَل يكون ليلا ونهارا . ويقال : باتَتْ غَنمه نَفَشا . وهو أن تَفَرّقَ في المَرْعى من غير علم صاحبها ، وخَصَّ بعضهم به دخول ا لغنم في الزرع ، وقد يكون النَّفْش في جميع الدواب ، وأكثر ما يكون في الغنم . فأما مايَخُصُّ الابل فعَشَتْ عَشْوا .

وروى المُنذرى عن أبى طالب انّه قال قولُهم : ان لم يكن شَحْم فنَفَشٌ قال قال ابن الأعرابى : معناه إن لم يكن فِعْلٌ فرياءٌ .

قال الطبرى فى قوله تعالى : « اذْ نَفشَتْ فيه غنم القوم » يقول جين دخلت فى هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلا فرعته أو افسدته . وجائز ان يكون ذلك زرعا وأن يكون غرسا وغير ضائر الجهل باى ذلك كان .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ويشهد الله على ما فى قلبه وهو أَلَدُّ الخصام » ؟ قال : الجَدِلُ المُخاصم فى الحق . قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم اما سمعت قول مهلهل :

إنَّ تحت الأحْجار حَزْماً وجُودا ... وخصيماً أَلَدَّ ذا مغلاق

قال ابو تراب : البيت فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ٢ ص ١٣) وتفسير القرطبى (ج ٣ ص ١٦) والروض للسهيلى (ج ٢ ص ١٧٢) ورغبة الآمل (ج ١ ص ١٤٩) والأساس للزمخشرى فى (عَلِق) (ج ٢ ص ١٣٨) وفيه قال المبرد : من رواه « ذا معلاق » بالعين المهملة فمعناه اذا علق خَصْمًا يتخلص منه ، ومن رواه بالغين المعجمة فتأويله أنه يغلق الحجة على الخصم (انظر الكامل ص ٢٥) والعينى (ج ٤ ص ٢١٢) واللسان والتاج فى (غلق) وذكر الروايتين ابو عبيدة .

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ١ ص ٧١) : « أَلَدُّ الخصام » شديد الخُصومة ، ويقال للفاجر : أَبَلُّ وأَلَدُّ ، ويقال : قد بَلَلْتَ ولَدِدْتَ بعدى، مصدره اللَّدَد ، والجميع قوم لُدٌّ قال المسيَّب بن عَلَسٍ :

ألا تتقون الله ياآل عامر ... وهل يتقى الله الأبل المُصَمَّمِ

قال ابو تراب : ورد هذا البيت فى الجمهرة لابن دريد (ج ١ ص ٣٨) والسمط للأونبى (ص ٦٥٩) والخزانة للبغدادى (ج ٤ ص ٢٢٦) واللسان والتاج .

وفى تنوير المقباس (ص ٢٣) « أَلَـدُّ الخصام ، جَدِل بالباطـل شديـد الخصومة .

وقال ابو عبيدة : « قوما لُدًّا » واحدهم أَلَدُّ ، وهو الشديد الخصومة ، الذى لايقبل الحق ويدعى الباطل ، وأنشد البيت الشاهد لمهُلهل ، ولرؤبة :

أسْكَـتَ أجـراسَ القـروم الألواد   الضَّيْغَميـات العظـام الأُلْداد

وهو فى ديوانه (ص ٤١) .

وفى غريب السجستانى فى (ص ٦) « أَلَدُّ » شديد الخصومة .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٨٠) « أَلَدُّ الخصام » أشدُّهم خصومة ، يقال : رجل أَلدُّ بيِّنُ اللَّدَدِ ، وقومٌ لُدٌّ ، والخصام جمع خَصم قال ابو تراب : وجعله الطبرى مصدرا .

وفى معانى القرآن للفراء (ج ١ ص ١٢٤) : يقال للرجل : هو ألدّ من قوم لُدٍّ والمرأة لَدَّاءُ ، ونسْوةٌ لُدّ ، قال الشاعر :

اللُّـدُّ أقـران الرجـال اللُّدَ   ثم أُرَدِّى بهـمـو من يُرْدى

ويقال : ماكنت أَلَدَّ فقد لَدِدت ، وأنت تلدّ فاذا غلبت الرجل فى الخصومة قلت : لَدَدْتُه فانا أَلُدُّه لَدًّا .

قال ابو تراب أورد اللسان المصراع الأول من هذا البيت فقط بلفظ : (أَلَدُّ أقران الخُصوم اللُدّ) وهو الصواب ولم يجد محقّقا كتاب الفراء الشيخ نجاتـى والشيخ النجار المصراع الثانى فى شىء من المراجـع ، وقـد وجدتـه فى تفسير الطبرى (ج ٤ ص ٢٣٥) .

قال الراغب فى المفردات : الأَلَدُّ الخصيم الشديد التأبى وجمعه لُدّ ، قال الله تعالى : « وهو أَلَدُّ الخصام » وقال : « وَتُنْذِر به قوما لُدا » وأصل الألدّ الشديد اللدد أى صفحة العنق ، وذلك اذا لم يمكن صرفه عما يريده ، وفلان يتلدد أى يَتَلَفَّتُ ، واللَّدودُ ما سُقِىَ الانسان من دواءٍ فى أحدِ شِقَّىْ وجهه ، الْتَدَدْتُ ذلك .

وقال ابن فارس فى المقاييس : اللام والدال اصلان صحيحان ، أحدهما يدل على خصام ، والآخر يدل على ناحية وجانب .

قال ابو تراب : لعل الجانب هو الأصل فى هذه المادة لأن الخصام يلتزم جانبا فهو لايحيد عنه ، فتأمل .

قال ابن فارس : فالأول اللدد ، وهو شدة الخصوم ، واللديدان جانبا العنق وصفحتاه ، ولَديدا الوادى جانباه ، ولذلك يقال : تَلَدّد اذا التفت يمينا وشمالا متحيرا ، وأورد فى (التددت) قول ابن احمر شاهدا ـ وهو فى اللسان والأساس .

شربتُ الشُكاعَى والْتددت ألدّةً وأقبلت أفواه العروق المكاويا

ومن الباب قولهم : ماأجد دون هذا الأمر مُحْتَدا ولا ملتدا ، أى لا أجد عنه معدلا واذا عدل عنه فقد صار فى جانب منه ، ومن الباب : مازلتُ ألادّ عنك ، أى أدافع ، كأنه يعدل بالشر عنه . ومما شذ عن هذا الباب اللدّ الجوالق ، كذا قالوا ، وانشدوا ـ وهو فى اللسان والمجمل ايضا .

كأنَ لَدَّيه على صَفْح جَبَلْ

وممكن ان يقال هذا ايضا لأنه يكون على جنب المحمول عليه اذا كانا عدلين .

قال ابو تراب : وفى الحديث عن عائشة عند مسلم : ان ابغض الرجال الى الله الألد الخصم ، أى شديد الخصومة ، وفى حديث عثمان : فانا منهم بين ألسن لداد وقلوب شداد ، وسيوف حداد وفى اللسان هو من قول عمر لام سلمة .

وفى حديث عثمان ايضا : فتلددت تلدد المضطر .

قال ابن الأثير فى النهاية : التلدد التلفت يمينا وشمالا تحيرا ، ماخوذ من لديدى العنق وهما صفحتاه .

قال الزمخشرى فى الأساس : رجلٌ ألدُّ وألندد ويلندد ، وفيه لدد ولاده ملادّة ولدادا وهو شديد اللداد ، وتركت فلانا يَتَرَدَّد ويَتَلَدَّدُ ، يَتلَفتُ ، وضربه على لَدِيْدى عنقه وهما صفحتاها وضربه على متلدده على عنقه ، قال :

ولو شئتُ نَجَّتْنى من القوم جَسرة بعيـدة بـين العجـب والمتلدد

قـال ابـن منظـور : أى انهـابعيدةمابين الذنب والعنق ، واللُّـدودُ ما يصب بالمسُعـط فيمـر على اللديـد ومـن شواهـد هذه المـادة فى اللسان قول رؤبة :

(على لَديدَىْ مُصْمَئلَ صَلْخَادْ)

اللديـدان صفحتـا العنـق دون الأذنين ،وقيل : مَضْيَغَتَـاه وعرشاه ولَديـداَ الوادى جانباه ، كل واحد منهما لديد « أنشد ابن دريد » .

يَرعــون مُنْخــرق اللديــد كأنهم فى العــز اسرة حاجـب وشهاب

قال ابو عمرو : اللديد ظاهر الرقبة وانشد :

كلُّ حُسامٍ مُحْكَـم التهنيد يَقْضِبُ الهَـزِ والتحريد
سالفة الهامة واللديد

وفى الحديث حين صُد عن البيت ، أمرت الناس فاذا هم يَتَلَـددون أى يَتَلَبثُونَ وفى المثل : جَرى منه مَجْرىَ اللدَّود ، وجمعه ألدَّةٌ ، وقد لدّ الرجل فهو ملدود ، وألددته انا ، والتدّهو ، وقد لده لدا ولدودا عن كراع ، وفى الحديث فى خبر وفاة النبى ﷺ : انه لدّ فى مرضه .

ولَدَّهُ إياه ، قال :

لَدَدْ تُهمــو النصيحــةَ كلَّ لَدٍّ فمجـوا النصح ثم ثنـوا فقاءوا

استعمله فى الأعراض ، وانما هو فى الأجسام كالدواء والماء ، واللدود وَجَعٌ يأخذ فى الفم والحلق فيُجعل عليه دواء ، ويوضع على الجبهة من دَمهِ .

وقال ابن الأعرابى : لَدَّدَ به ونَدد به اذا سَمَّع به ، ولَدَّهُ عن الأمر لَدًّا : حَبسهَ ، هُذَلية ، والألنـدد واليلنـد كالألـدّ أى الشديـد قال الطرمـاح يصف الحرباء :

يضحى على سوق ا لجـدول كأنه خَصْمٌ أبــر على الخصوم يَلَنْدَدُ

ولَدَدْتُ لدَدًا صرت ألَدَّ ، وفى التنزيـل : « وهـو ألـدُّ الخصام » قال ابـو

اسحاق : معنى الخصم الألد فى اللغة الشديدة الخصوم الجدل واشتقاقه من لديدى العنق . وهما صفحتاه وتاويله ان خصمه أى وجه أخذ من وجوه الخصوم غَلبه فى ذلك . وقوله تعالى : « وتنذر به قوما لدا » قيل : معناه خصماءعُوجٌ عن الحق . وقيل : صُمّ عنه . وروى ذلك عن الحسن .

واللديدة الروضة الخضراء الزهراء . ولُدّ اسم موضع بالشام يقتل به الدجال .

قال ابو تراب : وعلى تفسير الحسن اللُّدَّ بالصُمِّ أو العوج عن الحق . كان يجب إيراد هذه الكلمة فى الوجوه والنظائر لكن لم يفعله لاابن الجوزى فى نزهة الأعين ولا الدامغانى فى اصلاح الوجوه . والظاهر ان تفسير اللُدّ بالصم هو بما يؤول اليه امر اللديد الخصم . لأنه فى عدم قبوله الحق كالأصم عنه والله اعلم .

قال الطبرى فى تفسيره (ج ٤ ص ١٣٥) الألد من الرجال الشديد الخصومة يقال فى (فعلت) منه : قد لَدَدْتَ ياهذا ولم تكن أَلَد فأنت تَلُدُّ لددا وَلَدَادَةً . فأما اذا غلب من خاصمه فانما يقال فيه : لددت يافلان فلانا فأنت تَلُدُّهُ لَدًّا . واختلف أهل التأويل فى معنى الأَلَدِّ فقال بعضهم : انه ذو جدال ورَوى فى ذلك عن ابن عباس قال : « وهو أَلَدُّ الخصام » أى ذو جَدِال اذا كلّمك وراجعك . وعن قتادة قال : شديد القسوة فى معصية الله جدل بالباطل واذا شئت رأيته عالم اللسان جاهل العمل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة . وقال آخرون : معنى ذلك أنه غير مستقيم الخصومة ولكنه مُعْوَجُّها . ورَوى فى ذلك عن مجاهد قال : هو ظالم لا يستقيم على خصومة . وعن السدى قال هو اعوج الخصام .

قال الطبرى : وكلا هذين القولين متقارب المعنى لأن الاعوجاج فى الخصومة من الجدال واللَّدِدَ .

وقال آخرون : معنى ذلك هو كاذب فى قوله . وروى فى ذلك عن الحسن قال : الأَلَدُّ الخصام الكاذب القول .

قال الطبرى . وهذا القول يحتمل أن يكون معناه معنى القولين الأولين ، إنْ كان أراد به قائله أنَّه يخاصم بالباطل من القول والكذب منه ، جدلا واعوجاجا عن الحق ، قال : واما الخصام فهو مصدر من قول ا لقائل : خاصمت فلانا خصاما ومخاصمة

قال ابو تراب : وجعله ابن قتيبة جَمْعَ خَصْمٍ كما فى الغريب ، ولم يُشِرْ الى هذه النكتة الاستاذ محمود شاكر فى تعليقه على تفسير الطبرى .

وفى تفسير القرطبى (ج ٣ ص ١٦) الخصام فى الآية مصدر خاصم قاله الخليل ، وقيل : جَمْعُ خَصْمٍ قاله الزجاج كصَعْب وضخم وضخام والمعنى : هو أشد المخاصمين خصومة ، أى هو ذو جدال اذا كلمك وراجعك رأيت لكلامه طلاوة ، وباطنه باطل ، ومن شواهد الألَدّ فيه :

وألَــدَّ ذى حَنَــق علىّ كأنما تَغلى عداوة صدره فى مِرجَل

ورَوى الطبرى فى قوله تعالى : وتنذر به قوما لُداً » (ج ١٦ ص ١٠١) عن مجاهد قال : لايستقيمون ، وعن ابن عباس قال : قوما ظلمة وعن قتادة قال : جُدَّالا بالباطل ذوى لَدَد وخصومة وعن مجاهد ايضا قال فُجّاراً ، وعن ابن زيد قال : الألَدُّ الظلوم ، وعن الحسن قال : صُماً عن الحق كما أسلفنا .

وفى تفسير القرطبى (ج ١١ ص ١٦٢) : اللُدُّ جَمَعُ الألَدِ . وهو الشديد الخصومة قال الشاعر :

أبيــت نَجيــاً للهمــوم كأننى أخــاصم أقوامــا ذوى جَدَلٍ لُدًا

قال الربيع : اللُدُّ صُمُّ آذان القلوب ، وقال الضحــاك : هم مجادلـون فى الباطل وقال ابن عباس : شدّاد فى الخصومة . والمعنى واحد .

قال الطبرى : يقول الله تعالى : ولِتِنْذِرَ بهذا القرآن عذابَ الله قومك من قريش فانهم أهل لَدَد وجَدَل بالباطل لايقبلون الحق .

وقال القرطبى : وخصوا بالانذار لأن الذى لاعناد له يسهل انقياده .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « فما لَبِثَ أن جاء بعجلٍ حنيذ »؟ قال : النضيج مما يُشْوى بالحجارة ، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، اما سمعت قول الشاعر :

لهم راحٌ وفَارُ المسْكِ فيها   وشاويهم اذا شاءوا حنيذا

وأثبته محمد فؤاد عبد الباقي فى معجم غريب القرآن (اذا شاووا) ولم يعرف قائله .

قال السجستاني في الغريب (ص ٨٤) : « حنيذ » أى مشوى فى خَدٍّ من الأرض بالرَّضْفِ وهى الحجارة المُحْماةُ .

وفى تنوير المقباس (ص ١٤٢) : « حنيذ » مَشْوى .

وفى غريب ابن قتيبة (ص ٢٠٥) مثله ، وقال : يقال : حَنَذْتُ الجَمل : اذا شويته فى خَدٍّ من الأرض بالرَّضف ، وهى الحجارة المحماة ، وفى الحديث : أن خالد بن الوليد اكل مع رسول الله ﷺ فأتى بضب محنوذ .

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج١ ص ٢٩٢) : « حنيذ » فى موضع محنوذ وهو المَشْوىُّ ، يقال : حَنَذْتُ فرسى ، أى سَخَّنته ، وعرّقته .

قال العجاج :

حتى اذا ماالصيف كان أمجَا   ورَهِبا من حَنْذِه ان يَهْرَجاَ

واستشهد به الطبرى ايضا وهو فى اللسان .

وقال الفراء فى المعانى (ج ٢ ص ٢١) : الحنيذ ماحفرت له فى الأرض ثم غممّته وهو من فعل اهل البادية معروف ، وهو محنوذ فى الأصل فقيل : حنيذ ، كما قيل طبيخ للمطبوخ ، وقتيل للمقتول .

قال الزمخشرى فى الأساس : حَنَذَ اللحمَ إذا شواه على الحجارة المحماة ، وشواء حنيذ ، ومن المجاز حنذتنا الشمس كما يقال شوتنا و طبختنا ، واستحْنذت فى الشمس استعرقت بأن ألقى فيها علىّ الثياب حتى أعرق ، وحَنَذْتُ الفرسَ

حِناذا اذا جلّلته بعد ان تستحضره ليعرق والفرس فى حناذه وفرس محنوذ وحنيذ قال :

قَوَّدْنَ بالليــل ولــم يُعَنَّيْنْ وقــد تَحَفَّفْــنَ وقــد تَطَوَّيْنْ

وبالحناذ بعد ذلك يُعْلينْ سُمى ما يحنذ به من الجلال المظاهـرة حنـاذا ، ويقال : اذا سقيته فاحنذ له اى اسقه صرفا قليل المزاج يَحْنِذ فى جوفة .

وفى المفردات للراغب : « حنيذ » أى مشوى بين حجرين وانما يُفعل ذلك لتتصبب عنه اللُزوجة التى فيه ، وهو من قولهم : حَنَذتُ الفرس استحضرته شوطا او شوطين ثم ظاهرت عليه الجلال ليعرق وهو محنوذ وحنيذ ، وقد حنذتنا الشمس قال : ولما كان ذلك خروج ماء قليل قيل ، اذا سقيت الخمر : احنذ أى قلل الماء فيها كالماء الذى يخرج من العرق والحنيذ .

قال ابو تراب : ذهب الراغب الى معنى الترشيح الخارج وذهب الزمخشرى الى معنى الطبخ فى الجوف وكلاهما يتَأتىّ من الاقلال عند من كان يتعاطاها ثم حرمت فى الاسلام قال ابن فارس : يقولون : اذا سقيت فأَحنذ أى أقلل الماء وأكثر النبيذ لأنها تبقى بحرارتها اذا لم تكسر بالماء .

قال ابو تراب : وهذا المثل من فوات الميدانى لم يذكره فى مجمع الأمثال وما رواه ابن فارس قاله الفراء وذكر المنذرى ان اباالهيثم انكره انه بمعنى اخفس واعرق وقال الازهرى : أحنذ بقطع الألف وقال ابن الاعرابى : شراب مُحْنَذٌ ومُذى ومُهَىً اذا اكثر مزاجه بالماء وهو ضد ماقاله الفراء

وفى المقاييس : الحاء والنون والذال أصل واحد ، وهو انضاج الشيء .

وفى اللسان : خنذَ الجَدْى وغيره شواه فقط ، وقيل سمطه وروى فى قوله « جاء بعجل حنيذ » هو الذى يقطر ماؤه وقد شوى قال وهو احسن ماقيل فيه ، وقال شمر : الحنيذ الماء السخن وانشد لابن ميادة (اذا باكرتـه بالحنيـذ غوا سله) .

وقال ابو زيد : الحنيذ من الشواء النضيج وهو أن تدسه فى النار ، وقال ا بن عرفة : « بعجل حنيذ » أى مشوىَ بالرضاف حتى يقطر عرقا ، والشواء الحنيذ الذى قد ألقيت فوقه الحجارة المرضوفة بالنار حتى ينشوى أنشواء شديدا فيتهرى تحتها .

وقال شمر ايضا : الحنيذ من الشواء الحار الذى يقطر ماؤه وقد شوى ، وقيل : الحنيذ من اللحم الذى يؤخذ فيقطع اعضاء وينصب له صفيح الحجارة فيقابل يكون ارتفاعه ذراعا ، وعرضه اكثر من ذراعين فى مثلهما ويجعل له بابان ثم يوقد فى الصفائح بالحطب ، فاذا حميت واشتد حرها ، وذهب كل دخان فيها ولهب ادخل فيه اللحم ، وأغلق البابان بصفيحتين قد كانتا قدرتا للبابين ثم ضربتا با لطين ، وبفرث الشاة وأدفئتا ادفاء شديداً بالتراب فى النار ساعة ثم يخرج كانه البسر قد تبرأ اللحم من العظم من شدة نضجه .

وقيل الحنيذ أن ياخذ الشاة فيقطّها ثم يجعلها فى كرشها ، ويلقى مع كل قطعة من اللحم فى الكرش رضفة وربما جعل فى الكراش قدحا من لبن حامض أو ماء ليكون اسلم للكرش ان ينقدَ ، ثم يخلّها بخلال وقد حفر لها بؤرة واحماها فيلقى الكرش فى البؤرة ويغطيها ساعة ثم يخرجها وقد أخذت من النضج حاجتها .

وحناذ محُنَذ على المبالغة أى حرّ محُرق قال بَخْدَج يهجو ابا نخيلة .

لا قَى النخيـلاتُ حنـاذا محنذا منـىَ وشَلاً للاعـادى مِشْقَذا

ولأحيحة بن الجلاح رجز فى نخل بحِذاء حَنَذٍ قرية من المدينة انشده ابن السكيت

تأبَـرى ياخـيرة الفسيل تأبَـرى من حَنَـذٍ فشولى
إذ ضنّ أهل النخل بالفحول .

قال الطبرى : وقد اختلف اهل العربية فى معنى الحنيذ فقال بعض اهل

البصرة يعنى ابا عبيدة معنى المحنوذ المشوى ومنه حنذت فرسى بمعنى سَخَّنْته وعَرَّقْتُه واستشهد بقول الراجز المتقدم وهو العجاج .

وقال آخر منهم حنذ فرسه أى اضمره ، وقال بعض اهل الكوفة يعنى الفراء كل ما آنشوى فى الارض اذا خددت له فدفنته وغممته فهو الحنيذ وقد تقدم ثم روى عن ابن عباس : « بعجل حنيذ » نضيج وعن مجاهد الحنيذ المشوى النضيج وعنه أيضا نضيج سُخِّن أنضج بالحجارة ، ومثله عن قتادة .. وقال الكلبى : الذى يحنذ فى الارض ، وعن شمر الذى يقطر ماء وقد شوى وقال حفص الحنيذ مثل حناذ الخيل ، وعن السدى قال : ذبحه ثم شواه فى الرَّضف ، وعن الضحاك : الذى أنضج بالحجارة ، وقال سفيان ووهب يعنى : شوى وعن ابن اسحاق الحناذ الانضاج وفى تاريخ الطبرى (ج ١ ص ١٢٧) التحناذ قال الاستاذ محمود شاكر فى تعليقه على تفسير الطبرى (ج ١٥ ص ٣٨٦) الحناذ والتحناذ مما يزاد على معاجم اللغة .

قال ا بو تراب : اما الحناذ فقد ذكره الزمخشرى فى الأساس وابن منظور.

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : اخبرنى عن قوله تعالى : « ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون » ؟ قال : الاجداث القبور قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : اما سمعت قول ابن رواحة :

حتى يقال اذا مروا على جدثى   ارشده الله من غاز وقد رشدا

قال ابو تراب : هذا لفظ البيت فى سيرة ابن هشام (ج ٤ ص ١٦) وفى نسخة الاتقان (ج ١ ٢٢٣) ط حجازى :

حينا يقولون اذ مروا على جدثى   ارشده يارب من عانٍ وقد رشدا

واستشهد به عبد الواحد اللغوى فى كتاب الابدال (ج ١ ص ١٩٢)

وفى التنوير (٢٧٥) الأجداث القبور ، وفى غريب السجستانى (ص ٨١) واحدها جدث ومثله فى غريب ابن قتيبة (٣٦٦)

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ٢ ص ١٦٣) هى لغة اهل العالية واهل نجد يقولون : جدف

وقال الراغب فى المفردات : « يوم يخرجون من الاجداث سراعا » جمع الجدث يقال جدث وجدف .

قال الزمخشرى فى الاساس غيبوه فى الجدث أى فى القبر وتقول .. شَرُّ الاحداث ، نزول الاجداث .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الجيم والدال والثاء كلمة ـ واحدة ـ الجدث القبر ، وجمعه أجداث .

قال ابو تراب : ولم يذكر ابن فارس فى مادة (جدف) معنى القبر وحروفها عنده مستقلة لا يقاس بعضها على بعض والجدف عند اللغويين القبر وهو ابدال الجدث كما قال الجوهرى فى الصحاح والعرب تعقب بين الفاء والثاء فى اللغة فيقولون : جدث وجدف ، وهى الاجداث والأجداف .

قال ابو الطيب الحلبى فى الابدال (ج ١ ص ١٩٢) : ويقال للقبر : الجدث والجدف والجميع الاجداث والاجداف وانشد قول ابن رواحة المتقدم .

وذكر ابو الفتح فى المحتسب : انهم لا يقولون : الأجداف وانما لا يقولون : الاجداث قال الحريرى : الجدف القبر ، وهو إبدال الجدث قال الفراء العرب تعقب بين الفاء والثاء فى اللغة فيقولون جدف وجدث وهى الأجداث والأجداف .

وقال الفراء الجدف لغة تميم وقيس والجدث لغة اهل الحجاز .

وفى لغات القبائل لابن سلام (ج ٢ ص ١٢٥) هامش الجلالين : الأجداث القبور بلغة هذيل .

وفى لسان العرب : جدف الفاء بدل من الثاء لأنهم قد اجمعوا فى الجمع على اجداث ولم يقولوا اجداف . وفى الحديث نُبَوِّئُهم اجداثهم اى ننزلهم قبورهم وفى

حديث على : فى جدث ينقطع فى ظلمته آثارها : أى فى قبر .

قال ابو تراب : انكر ابن جنى وابن منظور استعمال الاجداف ، كما مر لكن اثبته جميعا الجوهرى وابو الطيب كما مر ايضا والاستعمال غير القياس الا ان هذا الانكار يعكر عليه انه قرئ فاذا هم من الاجداف ذكره الزمخشرى ونقله القرطبى وذكر ابن منظور الاجداف فى مادته وقال : كرهها بعضهم وقال لا جمع للجدف لانه قد ضعف بالابدال فلم يتصرف .

قال الطبرى : « من الاحداث » وهى قبورهم واحدها جدث وفيها لغتان فاما اهل العالية فتقوله بالثاء واما اهل السافلة فتقوله بالفاء جدف وأورد هذا المعنى عن ابن عباس وقتادة

وقال القرطبى : واللغة الفصيحة بالثاء والجمع اجدث ايضا قال المنتخل الهذلى :

عرفت بأجدُثٍ ونعافِ عُرقٍ علاماتٍ كتحبير النماط

واجتدث أى اتخذ جدثا .

قال ابو تراب القراءة بالفاء غير مشهورة ولم يذكرها الطبرى ، والأجدث فى البيت موضع وهو على وزن الجمع حكاه الجوهرى وأنشد البيت المذكور شاهدا .

قال ابن سيدة : وقد نفى سيبويه أن يكون أفعُل من أبنية الواحد فيجب ان يعد هذا فيما فاته من ابنية كلام العرب الا ان يكون جمع الجدث الذى هو القبر على أجدث ثم سمى به الموضع ، ويروى اجدف ايضا .

قال ابو تراب : وذكر ياقوت عن السكرى قال : أحدث وأجدث موضعان . وانشد البيت المذكور قال ياقوت : وهو جمع قلة والبيت منسوب فى معجم البلدان الى المنخل وهو خطأ فهذا يشكرى اسمه مسعود بن عامر والصواب نسبته الى المتنخل وهو هذلى اسمه مالك بن عويمر وكلاهما جاهليان ..

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « ان الانسان خُلق هلوعاً » قال : ضَجراً جزوعاً قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول بشر بن أبى خازم :

لا مانعــاً لليتيــم نِحلَتَهُ ولا مُكِبــاً لِخَلْقِــهِ هَلَعَا

وفى تنوير المقباس الذى جمعه الفيروز ابادى من تفسير ابن عباس (ص ٣٦٧) : « هلوعاً » ضجوراً بخيلا ، حريصا ، مُمسِكاً .

قال ابو عبيدة فى مجاز القرآن (ج ٢ ص ٢٧٠) : قد فَسرَّها الله : لايَصْبِرُ « اذا مَسَّه الشرّ جزوعاً ، واذا مَسَّه الخير مَنوعاً » والهُلاع مصدره ، وهو أسوأ الجَزَع .

وفى غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٤٨٦) : الهَلوعُ الشديـد الجَـزَع ، والأسم : « الهُلاع » ومنه يقال : ناقة هِلْواعٌ ، اذا كانت ذكية حديدة النفَس ، ويقال : الهَلُوع الضَّجور .

وعَلَّق على ذلك الشيخ السيد أحمد صقر بأن القول الأول رواه ابو حيان عن أبى عبيدة ، والقرطبى والشوكانى عن ثعلب ، والطبرى عن ابن عبـاس وقتادة وابن زيد والقول الثانى رواه الطبرى والقرطبى والسيوطى عن عكرمة وابن عباس ، والفخر عن الفراء والمبرّد ، والقرطبى ايضا والشوكانى عن أبى عبيدة بمعناه .

وفى معانى القرآن للفراء (ج ٣ ص ١٨٥) : الهَلوع الضَّجور ، وصفته كما قال الله « اذا مَسَّه الشرُّ جزوعاً وإذا مَسَّه الخير منوعا » فهذه صفة الهَلُوع ، ويقال منه : هَلِع هَلَعا ، مثل جَزِع يجزع جَزَعاً .

وقال ابو بكر السجستانى فى الغريب (ص ٢٤٠) : « هلوعاً » أى ضجوراً لايصبر اذا مَسَّه الخير ، ولا يصبر اذا مَسَّه الشرُّ . والهَلوع والضَّجور الجَزوع ، والهُلاع أسوأ الجَزَع .

قال ابو تراب : وغفل الراغب الأصفهانى عن ايراد هذه المادّة فى كتابه « المفردات فى غريب القرآن » وجَلّ من لايسهو .

وقال الزمخشرى فى الأساس : رجلٌ هَلوعٌ وهَلِع وبه هَلَعٌ جَزِعٌ شديد وناقة هِلْواعٌ سريعة .

وقال الطبرى : الهَلع شدة الجزع ، مع شدة الحرص والضجر . وروى فى ذلك عن ابن عباس قال : هو الذى قال الله : « إذا مَسه الشرُّ جزوعاً واذا مَسَّه الخير منوعا » ويقال : الهلوع هو الجزوع الحريص وهذا فى أهل الشرك . وعن سعيد بن جُبير : « انّ الانسان خُلق هلوعاً » قال : شحيحا جزوعاً ، وعن عكرمة قال : ضجورا ، وعن الضحاك قال : ان الانسان الكافر خُلق هلوعا هو بخيل منوع للخير ، جزوع اذا نزل به البلاء ، فهذا الهَلوع . وعن حُصين انه الحريص ، وعن ابن زيد : الهلوع الجزوع ، ومثله عن قتادة .

وانظر القرطبى ج ١٨ ص ٢٨٩) وفيه شاهد قوله :

صَكَّاء ذِعْلِبَةٌ اذا استدبرتها حَرَجٌ اذا استقْبَلْتَها هِلواع

وهو من شعر المُسَيَّب بن عَلَسٍ يصف ناقةً شَبَّهها بالنعامة فى مضيها أورده فى اللسان ، وهى التى فيها نَزَقٌ وخفةٌ ، وقيل : هى النفورُ والصَكَّاءُ وصفُ النعامة ، وليس وصف الناقة ، وانما هو تشبيه لها بها .

قال ابن فارس : والهلع يدل على السرعة ، ومنه الهلعُ فى الانسان شُبْه الحِرْصِ ، قال ابن السكيت : رجل هُلَعَةٌ ، وماله هِلَعٌ ولا هِلَعة أى جَدْىٌ ولاعناقٌ ، وسُمِيا بذلك لنَزَقهما .

وقال ابن منظور : الهَلَع أسوأ الجزع وأفْحَشُه ، قال هشام بن عبد الملك لِشَبَّةَ بن عَقَّال حين أراد أن يقبل يَدَهُ : مَهْلاً ياشَبَّةُ فان العرب لا تفعل هذا الاَّ هُلُوعا ، وانَّ العجم لم تفعل الاَّ خضوعاً .

والهَلع الحُزنُ تميميةٌ . وقال معمر والحسن فى « خلق هلوعاً » وهو الشرِهُ ، وقال الشاعر :

ولى قلب سقيم ليس يصحو ونفسٌ ماتُفيق من الهُلاع

وفى الحديث : من شرّ ماأُعطى المرءُ شُحٌ هالع وجُبْنٌ خالعٌ ، أى يَجْزَع فيه العبد ويحزَنُ كما يقال : يومٌ عاصفٌ وليلٌ نائم ، ويحتمل ايضا ان يكون للازدواج مع خالع ، والخالع كأنه يَخْلَع فؤادَه .

والهِلْواعَةُ الناقة السريعة الشديدة المِذْعان ، أنشد ثعلب للطرماح :

قد تَبَطَّنْتُ بِهِلْواعةٍ عُبْر أسفار كتوم البُغام

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « كم أهلكنا قبلهم من قَرْنٍ فنادَوا ولاتَ حينَ مناصٍ » ؟ قال ليس بحِين فرار ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

تَذَكَّرْتُ ليلى حينَ لاتَ تَذَكُّرٍ وقد نِئْتُ منها والمَناصُ بعيد

قال ابو تراب : وهذا البيت من ملاحق شعره ، وفى نسخة من الاتقان (وقد بِنْتُ منها) وهو صدره فى مجاز القرآن (ج ٢ ص ١٧٦) وعزاه لعمرو بن شَأْى ِ الأسدىَ .

قال : « فنادوا ولاتَ حينَ مناصٍ » انما هى (ولا) وبعض العرب تزيد فيها الهاء فتقول : (لاه) فتزيد فيها هاء الوقف ، فاذا اتصلت صارت تاءً ، والمناص مصدر ناص ينوص ، وهو المَنْجاةُ والفوت ، قال عمرو بن شَأْى (تذكرت ليلى لات حين تذكر) وقال ابو النجم :

(آساد غِيل حين لامَناصُ) أى لا تحرك

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٣٧٦) : أى لاتَ حين مَهْرب ، والنَّوْصُ التأخُّر فى كلام العرب ، والبَوْصُ التقدم ، قال امرؤ القيس :

أمِنْ ذِكْرِ ليلى إذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ فتَقْصرُ عنها خطْوةً وتبوصُ

وقال ابن عباس : ليس حِينَ نَزْو ولافرار .

قال ابو تراب : البيت له فى ديوانه ، واللسان ، وتفسير الطبرى والقرطبى وأبى حيان وتأويل المُشْكِل لابن قتيبة ومعانى الفراء وقول ابن عباس فى الطبرى والقرطبى والدر المنثور للسيوطى وتأويل المُشْكِل ، وغيرها .

وفى تنوير المقباس (ص ٢٨١) : أى ليس بحين حملة ولا فرار ، وكانوا اذا قاتلوا نادى بعضهم بعضاً « مَنَاصَ مَنَاصَ » يَعْنُون حملةً واحدة ، وإذا غلب عليهم العدوّ نادوا كذلك أى فراراً فراراً ، وهذه علامة كانت بينهم اذا أرادوا أن يحملوا أو يفرّوا .

وفى معانى الفراء (ج ٢ ص ٣٩٧) كما فى غريب ابن قتيبة ، وزاد : ومن العرب من يضيف (لات) فيخفض ، أنشدونى : (لاتَ ساعةِ مَنْدمِ) ولاأحفظ صَدْرَهُ والكلام ان يُنصب بها لأنها فى معنى (ليس) أنشدنى المُفَضَّلِ :

تَذَكَّرَ حُبَّ ليلى لاتَ حينا وأضحى الشيب قد قَطَع القريناَ

فهذا نَصْبٌ ، وأنشدنى بعضهم :

طلبوا صُلُحَنا ولاتَ أوانٍ فأجَبْنا أن ليس حين بقاءِ

فخَفَض (أوانِ) فهذا خَفْض . وأقف على لاتَ بالتاء ، والكسائى يقف بالهاء .

قال ابوتراب : قال الأستاذ محمد على النجار محقق كتاب الفراء كأن البيت الذى لم يحفظ صدره هو الذى رواه ابن السكيت فى الأضداد وهو :

ولتعرفن خلائقا مشمولة ولَتَنْدمنَّ ولات ساعة مَنْدِم

وانظر الخزانة (ج ٢ ص ١٤٧)

قال ابن فارس :

النَّوْص أصل صحيح يدل على تردُّدٍ ومجىء وذهاب ، وناص عن قِرْنهِ ، والمَناصُ المصدر والمَلْجأ ايضاً ، ويقولون : نَاوَصَ الجَرَّةَ ثم سالمها .

وقال ابن منظور :

ولى قلــب سقيــم ليس يصحو ونفسٌ ماتُفيــق من الهُلاع

وفى الحديث : من شرّ ماأُعطى المرءُ شُحٌ هالع وجُبْنٌ خالعٌ ، أى يَجْزَع فيه العبد ويحزَنُ كما يقال : يومٌ عاصفٌ وليلٌ نائم ، ويحتمل ايضا ان يكون للازدواج مع خالع ، والخالع كأنه يَخْلَع فؤادَه .

والهِلْواعَةُ الناقة السريعة الشديدة المِذْعان ، أنشد ثعلب للطرماح :

قد تَبَطَّنْــتُ بِهِلْواعةٍ غُبْــر أسفــار كتــوم البُغام

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « كم أهلكنا قبلهم من قَرْنٍ فنادَوا ولاتَ حينَ مناصٍ » ؟ قال ليس بحِين قرار ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

تَذَكَّــرْتُ ليلى حــينَ لاتَ تَذَكُّرٍ وقــد نِئْتُ منهــا والمَنــاصُ بعيد

قال ابو تراب : وهذا البيت من ملاحق شعره ، وفى نسخة من الاتقـان (وقد بِنْتُ منها) وهو صدره فى مجاز القرآن (ج ٢ ص ١٧٦) وعزاه لعمرو بن شَأْسٍ الأسدىّ .

قال : « فنادوا ولاتَ حينَ مناصٍ » انما هى (ولا) وبعض العرب تزيد فيها الهاء فتقول : (لاه) فتزيد فيها هاء الوقف ، فاذا اتصلت صارت تاءً ، والمناص مصدر ناص ينوص ، وهـو المَنْجـاةُ والفـوت ، قال عمـرو بن شَأْس (تذكرت ليلى لات حين تذكر) وقال ابو النجم :

(آساد غِيل حين لامَناصُ) أى لا تحرك

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٣٧٦) : أى لاتَ حين مَهْرب ، والنَّوْصُ التأخُّر فى كلام العرب ، والبَوْصُ التقدم ، قال امرؤ القيس :

أمِـنْ ذِكْــرِ ليلى إذْ نَأتْــكَ تَنُوصُ فتَقْصرُ عنهــا خطَــوْةً وتبوصُ

وقال ابن عباس : ليس حِينَ نَزْو ولافرار .

قال ابو تراب : البيت له فى ديوانه ، واللسان ، وتفسير الطبرى والقرطبى وأبى حيان وتأويل المُشْكِل لابن قتيبة ومعانى الفراء وقول ابن عباس فى الطبرى والقرطبى والدر المنثور للسيوطى وتأويل المُشْكِل ، وغيرها .

وفى تنوير المقباس (ص ٢٨١) : أى ليس بحين حملة ولا فرار ، وكانوا اذا قاتلوا نادى بعضهم بعضاً « مَنَاصَ مَنَاصَ » يَعْنُون حملةً واحدة ، وإذا غلب عليهم العدوّ نادوا كذلك أى فراراً فراراً ، وهذه علامة كانت بينهم اذا أرادوا أن يحملوا أو يفروّا .

وفى معانى الفراء (ج ٢ ص ٣٩٧) كما فى غريب ابن قتيبة ، وزاد : ومن العرب من يضيف (لات) فيخفض ، أنشدونى : (لاتَ ساعةِ مَنْدمِ) ولاأحفظ صَدْرَهُ والكلام ان يُنصب بها لأنها فى معنى (ليس) أنشدنى المُفَضَّلِ :

تَذَكَّرَ حُبَّ ليلى لاتَ حينا وأضحى الشيب قد قَطَع القرينا

فهذا نَصْبٌ . وأنشدنى بعضهم :

طلبوا صُلْحَنا ولاتَ أوانٍ فأجَبْنا أن ليس حين بقاءِ

فخَفَض (أوانٍ) فهذا خَفْض . وأقف على لاتَ بالتاء ، والكسائى يقف بالهاء .

قال ابوتراب : قال الأستاذ محمد على النجار محقق كتاب الفراء كأن البيت الذى لم يحفظ صدره هو الذى رواه ابن السكيت فى الأضداد وهو :

ولتعرفن خلائقا مشمولة ولَتَنْدمنَّ ولات ساعة مَنْدِم

وانظر الخزانة (ج ٢ ص ١٤٧)

قال ابن فارس :

النَّوْص أصل صحيح يدل على تردُّدٍ ومجىء وذهاب ، وناص عن قِرْنهِ ، والمَناصُ المصدر والمَلْجأ ايضاً ، ويقولون : نَاوَصَ الجَرَّةَ ثم سالمها .

وقال ابن منظور :

ناص للحركة نوصاً ومناصا : تَهَيَّأَ ، وناص ينوص تحرك وذهب وعَدل ، وما به نويص أى قوة وحراك ، ويقال نُصْتَ الشيء جذبتُه ، قال المرّار :

(واذا يناص رأيته كالأشوس)

وناص منيصاً : نجا ، وأناصت الشمس : غابت « ولاتَ حين مناصٍ » ، أى وقتَ مطلب ومغاث ، وقيل : معناه ، استغاثوا وليس ساعةَ ملجا ، ولا مهرب .

قال الأزهرى : ناص وناض بمعنى واحد ، وقوله تعالى : « ولات حينَ مناص » أى لاتَ حينَ مهرب ، أى ليس وقتَ تأخر وفرار .

والنوص الفرار ، والمناصُ المهرب ، والملجأ والمفرّ ، وناص عن قِرنه أى فَرَّ وراغ ، والنُّوص بالضمّ الهرب قاله ابن برّى ، قال عدّى بن زيد :

(يانفسُ أبقىِ واتَّقِى شَتْمَ ذوى الأعراضِ فى غير نُوصِ)

وناص عن الأمر ولاص بمعنى حاد ، وأَنَصْتُ أن آخذ منه شيئاً أى أردتُ والنائص الرافع رأسه نافراً ، واستناص شمخ برأسه ، والفرس يَسْتَنِيْصُ ، قال حارثَة بن بَدْر :

غمْــرُ الجِــراءِ اذا قَصَرْتُ عنانَه بِيَدِى آستناض ورام جَرْىَ المسْحَل

والنَّوْصَةُ الغَسْلَةُ بالماء أو غيره قال الأزهرى : الأصل المَوْصَةُ فقلبت الميم نونا . وأنشد الطبرى شاهدا عن الفراء لقولهم : ناض فى البلاد اذا ذهب فيها بالضاد المعجمة (انظر ج ٢٣ ص ٧٧) .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وحملناه على ذات ألواح ودُسرْ » ؟ قال : الدُسرُ الذى تخرز به السفينة . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

سفينــةُ نُوتــىٍ قَد احكــم صنعُها مُنَحَّتَــةُ الألــواح منسوجــةُ الدُسرْ

قال ابو تراب : النُّوتِىّ الملاح الذى يدير السفينة فى البحر لغة شامية وفى تنوير المقباس (ص ٣٣٤) : « ودُسُرٌ » مسامير وشرط . وكل شىء يُشَدُّ به سفينة فهو دُسُرٌ ومثله فى غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٤٣٢)

قال ابو عبيدة فى مجاز القرآن (ج ٢ ص ٢٤٠) الدُّسُرُ المسامير والخَرَز . واحدها دسار . يقال : هاتِ لى دساراً .

وكما قال ابن قتيبة من معنى الشرط قال الفراء فى (ج ٣ ص ١٠٦) فى الغريب والليث والجوهرى ونقل عنهم القرطبى وابو حيان والسيوطى وابن منظور . وفى كتاب السجستانى : الدسار الشُّرُط التى تُسد بها السفينة .

قال الراغب فى المفردات : أصل الدَّسرْ الدفع الشديد بقَهْرٍ . يقال : دَسَرَه بالرُّمْح . ورجلٌ مِدْسر كقولك مطعن . وروى ليس فى العنبر زكاة . انما هو شىء دَسَرَهُ البحر .

وقال الزمخشرى فى الأساس : دَسَرَهُ ودَفَرَهُ : دفعه . وركبوا فى ذات الألواح والدُّسُر : جمع دِسارٍ وهو المسمار . وقيل : خَيط من الليف تُشَدُّ به الألواح . ومن المجاز : دَسرَ المرأة : بَضَعَها .

وقال الطبرى : الدُّسرُ جمع دِسار . ويقال فى واحدها دسير كما يقال : حَبيك وحباكٌ . والدسار المسمار الذى تُشَدُّ به السفينة . يقال منه : دَسرت السفينة اذا شددتها بمسامير او غيرها . ورَوى فى ذلك عن القرظى . وقتادة وابن زيد وابن عباس وفى القرطبى : وابن جبير وقال آخرون : بل الدُّسرُ صَدْر السفينة وانما وصف بذلك لأنه يدفع الماء وَيْدسرُه . ورَوَى فى ذلك عن الحسن قال : دُسُرٌ جُؤْجُؤها تَدْسرُ به الماء وقال ابن عباس : الدُّسرُ كَلْكَل السفينة وفى القرطبى مثله عن عكرمة وشهر بن حوشب وقال آخرون : الدُّسرُ عوارض السفينة وروى فى ذلك عن مجاهد . وقال آخرون : هى أضلاع السفينة ورَوى فى ذلك عن مجاهد .

وفى الحديث عن عُمر : ان اخوف ماأخاف عليكم ان يؤخذ الرجل فيدسر كما تُدْسرَ الجَزور . أى يُدْفع .

قال ابن فارس : الدَّسْرُ أصل واحد يَدُلُّ على الدفع ومنه دَسره بالرمح قال الشاعر

عن ذى قَدامِيسَ لُهَـام لو دَسَرْ   بِرُكْنِـه اركـان دَمـخ لاَنْقَعَرْ

والدَّوسَرِيُّ الجمل الضخم القوى .

قال ابوتراب : وقع فى هذا البيت تحريف فى بعض كلماته فى المُجْمَل واللسان ومعجم البلدان صحَّحه عبد السلام هارون وهو (كهامٍ) بدلا « لهام » و (تركته) بدل « بركنه » و (لا تقر) بدل « لانقعر . واللُّهام الجيش الذى يلتهم كل شىء والكهام الكليل .

قال ابن فارس : ومما شذ عن الباب وهو صحيح الدّسِار وهو خيط من ليفٍ تُشَدُّ به ألواح السفينة ، والجمع دُسرُ ، وأورد الآية المذكورة .

وقال الحجّاج لسنان بن يزيد النَّخَعى : كيف قتلتَ الحسينَ ؟ قال : دَسَرْتُه بالرُمْح دَسراً ، وهَبَرْتُه بالسيف هَبْراً فقال له : أما والله لا تجتمعان فى الجنة أبداً .

قال ابن سِيْدَهْ : دَسرَه يَدْسرُه طعنه ودفعه ، ودسرت السفينة الماء بصدرها عاندته ، وقال بِشْرٌ :

مُعَبَّـدِةِ السقـائفِ ذات دُسرٍ   مُضَبَّـرةٍ جوانبهـا رَداحُ

وقال علىٌّ : رفعها بغير عَمَدٍ يَدْعَمُها ، ولا دِسارٍ ينْتَظِمِهُا . قال الزجاج : كل شىء يكون نَحو السَّمْر ، وإدخال شىء فى شىء بقوة فهو الدَّسْرُ يقال : دَسَرْتُ المسار . وقال مجاهد : الدَّسرْ إصلاح السفينة .

قال ابن أحمر : (ضَرْباً هَذَا ذَيْكَ وطَعْناً مِدْسرًا) والدَّوسَرَة الناقة الضخمة ، قال عدى :

ولقـد عَدَيْـتُ دَوْسرَةً كَعَـلاةِ القَيـنْ مِذْكارا

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وكم أهلكنا قبلهم من قَرْنٍ هل تُحِسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا » ؟ قال : حِسًا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

وقــد تَوَجَّسَ رِكْــزاً مُقْفِــرٌ نَدِسٌ بِنَبْـأةِ الصوتِ مافى سَمْعِــه كَذِبُ

قال ابو تراب : فى نسخة الاتقان ط الحجازى : (تَرَجَّسَ) و (مُفْتِرٌ) وكلاهما تصحيف ، والبيت لذى الرُمَّةِ فى ديوانه (ج ١ ص ٨٩) ، ورغبة الآمل (ج ٢ ص ٦١) وقد استشهد به الشوكانـى فى تفسيره ، وابـن منظـور فى اللسان .

قال السجستانى فى الغريب (١١٤) : « ركزا » أى صوتا خفيا .

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ٢ ص ١٤) : الرِّكْزُ الصوت الخفى والحركة كركز الكتيبة ، قال لبيد :

فَتَــوجَّستْ ركــز الأنيس فرابها عن ظهـر غيــب والأنيس سقامها

قال ابو تراب : هذا البيت من معلقته المشهورة ، واستشهد به الطبـرى والقرطبى ، وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٢٧٦) : هو الصوت الذى لايفهم .

وقال الفراء فى المعانى (ج ٢ ص ١٧٤) : الرِكْز الصوت .
وكذلك هو فى تفسير ابن عباس (ص ١٩٤) .

وقال الزمخشرى فى الأساس : أنزل الله بهم رِجْزاً حتى لاتسمع لهم رِكْزا ، أى هَمْساً ، ورَكَزَ العُود والرُمح رَكْزاً قال ذو الرُمة .

عن واضـحٍ لونــه حُوِّ مراكزه كالأقحـوان زهـتْ أحقافُــه الزهرا

أى لَثَاتُه ، ورَكَزَ الله المعادنَ فى الجبال ، وأصاب ركازاً : مَعدنا أو كنزا وقد اركز فلانٌ .

ومن المجاز: هذا مركز الجُنْدِ وأخلُوا بمراكزهم، وعُزِ بنى فلان راكزٌ ثابت لايزول، وانه لمركوز فى العقول، ودخل علينا فلان فارتكز فى مكانه: لايبرح، وارتكز على قوسه: جَنَح على سِيَتِهِا معتمدا. وكلّمتُه فما رأيت رِكْزَةً: مُسْكَةً من عقل.

وفى المفردات: الرِكز الصوت الخفى. وركزت كذلك أى دفنته دفنا خفيا، ومنه الركاز للمال المدفون أما بفعل آدمى كالكنز. واما بفعل الهى كالمعدن، ويتناول الركاز الأمرين فى قوله: « وفى الركاز الخمس » ومركز الجند محطهم الذى فيه ركزوا الرماح.

وأورد الطبرى عن ابن عباس وقتادة والضحاك قالوا: الركز الصوت وقال ابن زيد: الركز الحِسُّ. قال الطبرى: وهو فى كلام العرب الصوت الخفى وأورد البيت الشاهد.

واستشهد به القرطبى وأورد قول طرفة:

وصادقتا سمع التوجُّسِ للسُّرَى   لِركزٍ خفىٍ أو لصوتٍ مندّدِ

وقال ابن فارس: الراء والكاف والزاء أصلان: أحدهما إثبات شىء فى شىء والآخر صوت. فالأول: ركزت الرمح ومركز الجند الموضع الذى الزموه.

قال ابوتراب: وهَلاً كان الأصلان من أصل واحد هو الاخفاء فاثبات شىء فى شىء اخفاءٌ له. وكذلك الصوت الذى لايفهم مهموسُه فهو خفىّ والمرتكز يابس الحشيش الذى تكسر ورقه وتطاير. جعل ابن فارس معناه انه ذهب منه ماذهب. وارتكز هذا أى ثبت. وعندى انه خَفِيتْ بعض اجزائه بالتكسر والتطاير فهذا كله يرجع الى معنى الخفاء والله اعلم. وفى اللسان: ركزه غرزه فى الأرض أنشد ثعلب:

وأشطانُ الرماح مركّزات   وحَوْم النَّعَم والحَلَق الحلولُ

وركز الحَر السَّفَا اثبته فى الأرض قال الأخطل:

فلما تلوى فى جحافله السفا   واوجعه مركوزه وذوابله

وفى حديث ابن عباس فى قوله : « فَرت من قسورة » قال : هو ركز الناس والركز الحِسُّ والصوت الخفى فجعل القسورة نفسها ركزا لان القسورة جماعة الرجال وقيل : جماعة الرماة فسماهم باسم صوتهم واصلها من القسر وهو القهر والغلبة ومنه قيل للأسد قسورة .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وجوه يومئذ باسرة » ؟ قال : كالحة . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت قول عبيد بن الأبرص .

صَبَحْنـــا تميما غداة النسا ر بشهبـاء مَلْمومــة باسرة

وفى غريب السجستانى (ص ٤٨) باسرة متكرهة .

وفى تفسير ابن عباس (٣٧٥) كالحة . ومثله فى معانى الفراء (ج ٣ ص ٢١٢)

وفى غريب ابن قتيبة (ص ٥٠٠) أى عابسةٌ مُقَطِّبة .

قال الراغب فى المفردات : البسر الاستعجال بالشىء قبل اوانه ، نحو بَسرَ الرجل الحاجة : طلبها فى غير اوانها ، وبسر الفحل الناقة ضربها قبل الضبعة وماء بَسْرٌ متناول من غيره قبل سكونه ، وقيل للقرح الذى ينكأ قبل النضج : بَسْرٌ ، ومنه قيل لما لم يدرك من الثمر : بسر .

وقوله عز وجل : « ثم عَبس وبسر » أى أظهر العبوس قبل اوانه وفى غير وقته ، فان قيل : فقوله « ووجوه يومئذ باسرة » ليس يفعلون ذلك قبل الوقت وقد قلتَ : ان ذلك يقال فيما كان قبل الوقت ؟ قيل : ان ذلك اشارة الى حالهم قبل الانتهاء بهم الى النار فخص لفظ البسر تنبيها ان ذلك مع ما ينالهم من بعد يجرى مجرى التكلُّف ، ومجرى مايفعل قبل وقته ، ويدل على ذلك قوله : « تَظُنُّ أن يفعل بها فاقرة » .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الباء والسين والراء أصْلانِ : أحدهما الطَّراءَة ، وأن يكون الشيء قبل إناهُ ، والأصل الآخر وقوف الشيء وقلة حركته . فالأول قولهم لكل شيء غَضّ : بُسرٌ ونبات بُسرٌ اذا كان طريا ، وماء بسر قريب عهد بالسحاب وابتسر الفحل الناقة اذا ضربها على غير ضَبَعَةٍ ، ويقال للشمس فى أول طلوعها بُسرة ، ومن هذا قولهم : بسر الرجل الحاجة ، اذا طلبها من غير موضع الطلب ، وقياسه صحيح لأنه كأنه طلبها قبل إناها ، والبَسرُ ظَلْم السقاء ، وذلك شربه قبل رَوْبِه .

وفى اللسان : قال شَمِرُ : ومنه يقال : بَسَرْتُ غريمى اذا تقاضيته قبل مَحَلِّ المال ، وبَسَرْت الدُّمَّل ، اذا عصرته قبل ان يَتَقَيَّح ، والمبسور طالب الحاجة فى غير موضعها .

وفى حديث الحسن قال للوليد التيَّاس لاتُبسرِ أى لاتحمل على الناقة والشاة قبل ان تطلب الفحل .

وبَسرَ حاجته ، يبسرها بسرا وبسارا وابتسرها ، وتبسرها طلبها فى غير أوانها أو فى غير موضعها ، انشد ابن الأعرابى للراعى :

اذا احتجبتْ بنات الأرض عنه تَبَسرَّ يبتغى فيها البسارا

بنات الأرض النبات ، وفى الصحاح : بنات الأرض المواضع التى تخفى على الراعى .

قال ابن برى : قدوهم الجوهرى فى تفسير بنات الأرض بالمواضع التى تخفى على الراعى وانما غلطه فى ذلك انه ظن ان الهاء فى (عنه) ضمير الراعى ، وأن الهاء فى (فيها) ضمير الابل ، فحمل البيت على أن شاعره وصف ابلا وراعيها وليس كما ظن وانما وصف الشاعر حمارا ، وأُتُنه ، والهاء فى (عنه) تعود على حمار الوَحْشِ والهاء فى (فيها) تعود على أُتنه ، والدليل على ذلك قوله قبل ذلك .

أطار نَسيلَه الحَوْلىَّ عنه تَتَبُّعُه المَذانبَ والقفارا

وبَسرَ النخلةَ وابتسرها لقحها قبل أوان التلقيح ، قال ابن مُقْبل :

طافَتْ به العَجْمُ حتى نَدَّ ناهضُها عَمٌّ لُقِحْنَ لِقاحاً غير مبتسر

والبَسْرُ القَهر ، وبَسرَ بُسورا وبسراً عبس ، ووجه بسر باسر ، وصف بالمصدر ، وفى التنزيل ، « ووجوه يومئذ باسرة » وفيه : « ثم عَبَسَ وبسر » قال ابو اسحاق : « بَسرَ » أى نظر بكراهة شديدة ، وباسرة أى مُقَطِّبة قد أيقنت أن العذاب نازل بها ، وبَسرَ الرجل وجهه أى كلح .

وفى حديث سعد : لما أسلمت راغمتنى امى فكانت تلقانى مرة بالبشر ومرة بالبَسْرْ أى القطوب .

وتَبَسرَّ النهار : بَردَ ، وأَبْسرَت النخلة ، وهى مُبْسِر ومِبْسَارٌ لايرطب ثمرها والبسر مأَلوَّن ولم ينضج واذا نضج فقد أرطب ، قال الأصمعى اذا اَخْضرَّ حَبُّه واستدار فهو خَلال فاذا عظم فهو البسر فاذا احمرت فهى شِقحة وقال الجوهرى : البسر أوله طلع ثم خَلال ثم بَلَح ثم بُسرْ ثم رطُب ثم تمر .

قال ابو تراب : وفى القاموس بين الطلع والتمر مراتب أخر تركها الجوهرى فانظرها ثمة والبسرة أيضا الغَضُّ من البُهْمَى قال ذو الرُمة :

رَعَتْ بارِضَ البُهْمى جميا وبُسْرَةَ وصَمْعاءَ حتى آنَفَتْها نصالُها

أى جعلتها تشتكى انوفها ، قال الجوهرى : البسرة من النبات أولها البارض وهى كما تبدو فى الأرض ثم الجميم ثم البسرة ثم الصمعاء ثم الحشيش .

ورجل بُسرٌ وامراة بُسرْة : شابان طريان ، والبسر حفر الأنهار اذا عرا الماء اوطانه ، قال الازهرى : وهو التبسر ، وانشد بيت الراعى المذكور ، قال ابن الأعرابى : بنات الأرض الأنهار الصغار وهى الغدران فيها بقايا الماء وانشد بيت الراعى ايضا .

وفى الحديث عن أنس فى دعاء السفر : اللهم بك ابتسرت اى ابتدأت سفرى قال ابن الاثير كذا رواه الأزهرى ، والمحدثون يروونه بالنون والشين « انتشرت » أى تحركت وسرت ، وبسرت النبات اذا رعيته غضا ، وكنت اول من رعاه قال لبيد يصف غيثا رعاه أُنُفاً :

بَسَرْتُ نَداهُ لم تُسَرَّبْ وُحوشُه   بِعِـرْبٍ كجِـذْعِ الهاجِـرِىَّ المشذَّب

والمُبْسِراتُ رياح يستدل بهبوبها على المطر ، ويقال للشمس بسرة إذا كانت حمراء لم تَصْفُ ، قال البعيث يذكرها :

فصَبَّحَهـا والشـــمس حمــراء بُسرْةٌ   بسائفــة الأنقــاءِ موتُ مُغَلّسِ

وفى حديث عمران بن حصين فى صلاة القاعد : وكان مبسورا أى به بواسير وهى المرض المعروف نسأل الله العافية من كل داء .

قال الطبرى : « ووجوه يومئذ باسرة » متغيرة الألوان مسودة كالحة ورَوى فى ذلك عن مجاهد قال : كاشرة ، وعن قتادة قال: كالحة وعن ابن زيد قال : عابسة وقال القرطبى : اى كالحة كاسفة عابسة وقال السدى : اى متغـيرة والمعنـى واحد .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « تلك إذا قسمة ضيزى » ؟ قال : جائرة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت قول امرى القيس :

ضَازَتْ بنــو أسد بحكمهمو   إذ يعدلــون الــرأس بالذنب

قال ابو تراب : البيت ليس فى ديوانه ، واستشهد به ابو حيان فى البحر المحيط والشوكانى فى فتح القدير ، والقرطبى فى جامع الأحكام .

قال السجستانى فى غريب القرآن (ص ١٤٩) : (ضيزى) أى ناقصة ويقال : جائرة ، ويقال : ضازه حقه اذا نقصه ، وضاز فى الحكم اذا جار فيه وضيزى وزنه فعلى وكسرت الضاد للياء وليس فى النعوت فِعْلَىَ .

قال ابو تراب : وفى نسخة السجستانى المطبوعة : أضازه وهو غلط .

وتفسير ابن عباس الذى جاء فى جواب ابن الأزرق فى هذه الآية هو المُدّون فى كتاب الفيروز ابادى الذى جمع فيه تفسيره (ص ٣٣٢) .

قال الراغب فى المفردات : « ضِيْزىَ » أى ناقصة . وقيل : ليس فى كلامهم (فُعْلىَ) .

قال ابو تراب : هكذا ضبطه محمد سيد كيلانى محقق كتاب المفردات للراغب وهو خطأ ، والصواب : ليس فى كلامهم فِعْلىَ ، وليس هو على إطلاقه أيضا بل يقال : ليس فى كلامهم فِعْلىَ صفة كما تقدم من كلام السجستانى :

قال ابن خالويه فى كتاب « ليس » (ص ٢٥٦) : ليس فى كلام العرب صفة على فِعْلىَ ، انما تكون على فُعْلىَ مثل حُبْلىَ الا فى حرف واحد قوله تعالى « تلك اذا قسمة ضِيزى » قال أهل النحو أصله فُعْلى ، فكسروا الضاد لئلا ينقلب الياء واوا كما قيل : ابيض وبيض ، وعيناء وعين وفيها لغة ثانية : ضئزى بالهمزة ، ضازنى حقى ، وضأزنى ، ومثل هذا « طوبى لهم وحسن مآب » انما هو من الطيب ، فانقلبت الياء واوا لانضمام ماقبلها ، فلذلك قرأها مكسورة الاعرابى « طيبى لهم » بكسر الطاء ويقال : الغلام الاكيس والمرأة الكِيْسَى ، ومن قال : طُوبَى قال : الكُوسَى ، وقال ابن دريد : طُوبَى أصلُه الواو ، ويقال للراجع من السفر : أَوْبَةٌ ، وطَوْبَةٌ وهذا غلط ، انما أزوجوا طوبة بأَوْبَةٍ ، والحجة للياء قولهم : طاب يطيب ، ولو كان من الواو لقالوا : يطوب مثل يقول .

وقال الرضى فى شرح الشافية : وجعل ياء فُعْلى صفة كحيكى وضيْزىَ كالقريبة من الطرف لخِفّة الألف مع قصد الفرق بين فُعْلى اسما وبينها صفة ، والصفة اثقل ، والتخفيف بها أولى ، فقيل : طوبى فى الاسم ، وضيزى فى الصفة .

قال ابو تراب : ومما يلحق بذلك كِيْصَى وخِيْرَىَ ذكرهما فى القاموس .

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ٢ ص ٢٣٧) « قسمة ضيزى » ناقصة ضِزْتُه

حقه ، وضُزْتُه حقه ، تَضِيزُهُ ، وتَضُوزُهُ : تَنْقُصه وتمنعه ، وربما همزها قوم فقال : ضَأَزْتُه وانما أضأزه وهى من ضيزى .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٤٢٨) : « ضيزى » أى جائرة ، يقال : ضِزْتُ فى الحكم أى جُرت وضيزى فُعلى فكسرت الضاد للياء وليس فى النعوت فِعْلَى .

وقال الفراء فى المعانى (ج ٣ ص ٩٨) : « قِسْمة ضيزى » جائرة ، والقراء جميعا لم يَهْمزوا - ضِيزى ومن العرب من يقول قسمة ضَئْزَى وبعضهم يقول قسمة ضَأزى وضُؤزى بالهمزة ولم يقرأ بها أحد نعلمه وضيزى فُعلى وإن رأيت أولها مكسورا هى مثل قولهم : بيض وعين كان أو لها مضموما فكر هوا أن يترك على ضمته فيقال : بوض وعون والواحدة بيضاء وعيناء فكسروا أولها ليكون بالياء ويتألف الجمع والاثنان والواحدة كذلك كرهوا أن يقولوا ضوزى فتصير واوا وهى من الياء وانما قضيت على أولها بالضم لأن النعوت للمؤنث تأتى إما بفتح واما بضم فالمفتوح سكرى عطشى ، والمضموم : الأنثى والحبلى فاذا كان أسماً ليس بنعت كسر اوله كقوله : « وذكر فإن الذكرى » الذكرى اسم لذلك كسرت وليست بنعت وكذلك الشِعْرى كسر أولها لأنها اسم ليست بنعت وحكى الكسائى عن عيسى « ضِيْزَى » .

قال الطبرى : « قسمة ضيزى » جائرة غير مستوية ناقصة غير تامة ونقل كلام الفراء وروى عن مجاهد قال : عوجاء وعن قتادة قال : جائرة ومثله عن ابن عباس وعن سفيان قال : منقوصة ، وعن ابن زيد قال قسمة مخالفة وذكر فيها اللغات وقال لم يقرأ بشىء منها .

قال ابو تراب : وسيأتى انه قرىء مهموزا وقال القرطبى عن المؤرج : كرهوا ضم الضاد مخافة انقلاب الياء واواً فكسروا الضاد لهذه العلة .

وأما من ضاز يضوز فالاسم ضُوزى مثل شُورى وحكى ابوحاتم عن ابى زيد انه سمع العرب تهمز« ضيزى » قال غيره : وبها قرأ ابن كثير جعله مصدرا

مثل ذكرى ليس بصفة وهى من قولهم ضأزته أى ظلمته فالمعنى قسمة ذات ظلم .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الضاد والواو والزاء اصلان صحيحان أحدهما نوع من الأكل والآخر دال على الاعوجاج ، فالأول ضاز التمر يضوزه ضوزا اذا أكله بجفاء وشدة قال :

فظَلَّ يَضوزُ التمر والتمر ناقع بورْد كلون الأرجوان سبائبه

قال ابن دريد هو أن يأخذ التمرة فى فمه حتى تلين ، ومعنى البيت هو أن يأخذ الدية تمرا بدلا عن الدم الذى لونه لون الارجوان .

والأصل الآخر : القسمة الضيزى وقد قيل انه من بنات الياء وأصله فيما يقال الواو . فالقسمة الضيزى الناقصة وحكى ناس ضأزه مهموز ، وأنشدوا :

ان تَنْأَ عنا نَنتقصْك وان تُقِمْ فحقُك مضؤوزٌ وانفك راغمُ

قال فى اللسان : انشده ابو زيد ، والضَّيْأز المقتحم فى الأمور . وضاز التمرة لاكها فى فمه قال الراجز :

بات يضوز الصِلِّيانَ ضَوْزا ضوزَ العجوز العصب الدِّلَّوْصا

وبعير ضِيَزٌ أكول قال ابن الأعرابى قلبت الواو فيه ياء للكسرة قبلها . قال :

يَتبعها كل ضِيَزٍ شَدْقَم قدلاك اطراف النيوب النُجَم

واختار ثعلب (كل ضِبَرٍ) من الضبر وهو العدو والمِضْواز المسواك قال ابن الاعرابى : ما أغنى عنى ضوزَ سواكٍ وانشد :

تعلّما ياأيها العجوزان ماهنا ما كنتما تضوزان

فروِّزوا الأمر الذى تروزان

وقسمة ضيزى وضوزى ومن شواهده انشده ابو زيد :

اذا ضازعَنَّا حقنا فى غنيمة تقنع جارانا فلم يترمرما

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : اخبرني عن قوله تعالى : « فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه » قال : لم تغيره السنون قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

طاب منــه الطعــم والريــح معا لن تُراه يتغــيرْ من أسَنْ

قال ابو تراب : وكذلك هو فى تنوير المقباس (ص ٣٠) وروى الطبرى هذا المعنى عن وهب بن منبه وقتادة والسّدى والضحاك وابن عباس وعكرمة وابن زيد وبكر بن مضر وروى ان معناه لم ينتن عن مجاهد .

وفى غريب السجستانى (ص ٢٤٤) : « يَتَسَنَّهْ » يجوز باثبات الهاء واسقاطها من الكلام فمن قال سانهت فالهاء من اصل الكلمة ومن قال : سانيت فالهاء لبيان الحركة . ومعنى لم يَتَسَنَّه لم يتغير لمر السنين عليه ونقل عن ابى عبيدة قال : ولو كان من الأسن لكان يَتَأَسَّنْ وقال غيره لم يَتَسَنَّهْ لم يتغير من قوله « حمأ مسنون » أى متغير وأبدلوا النون من يتسنن هاء كما قالوا : تظنيت ، وتقضى البازى . وحكى بعض العلماء سَنِهَ الطعام أى تغير .

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ١ ص ٨٠) : « لم يَتَسَنَّهْ » لم تأت عليه السنون فيتغير وهذا فى قول من قال للسنة : سُنَيْنَة مصغرة وليست من الأسن المتغير ولو كانت منها لكانت ولم يتأسن .

وقال فى (ج ١ ص ٣٥١) « من حمأ » أى من طين متغير وهو جميع حَمَأة « مسنون » أى مصبوب .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٩٤) : « لم يَتَسَنَّهْ » لم يتغير بمر السنين عليه واللفظ مأخوذ من السنة يقال : سانهت النخلة اذا حملت عاما ، وحالت عاما قال الشاعر :

قال ابو تراب : هو سويد بن الصامت الانصارى كما فى اللسان والسمط ص ٣٦١ والبيت الآتى غير منسوب فى معانى الفراء (ج ١ ص ١٧٣) وأمالى القالى (ج ١ ص ١٠٢١) والصحاح والطبرى والقرطبى وأبى حيان .

وليست بسنهــاء ولا رُجَبِيَّةٍ ولـكن عَرايَـا فى السنــينَ الجوائح

وكأن سنة من المنقوص ، وأصلها سنهة فمن ذهب الى هذا قرأها فى الوصل والوقف بالهاء : (يتسنه) .

قال أبو عمر والشيبانى : « لم يتسنه » لم يتغير من قوله : « ومن حمأ مسنون » فأبدلوا النون من (يتسنن) هاء كما قالوا : تظنيت ، وقصيت اظفارى وخرجنا نتلعى ، أى ناخذ اللعاع وهو بقل ناعم .

وقال فى (ص ٢٣٨) : المسنون المتغير الرائحة ، وقوله : « لم يتسنه » فى قول بعض أصحاب اللغة منه والمسنون أيضا المصبوب يقال : سننت الشيء إذا صببته صبا سهلا وسُنَّ الماء على وجهك .

وقال الفراء فى المعانى (ج ١ ص ١٧٢) : « لم يتسنه » جاء التفسير لم يتغير بمرور السنين عليه مأخوذ من السنة وتكون الهاء من اصله من قولك بعته مسانهة تثبت وصلا ووقفا ومن وصله بغير هاء جعله من المساناة لأن لام سنة تعتقب عليها الهاء والواو وتكون زائدة صلةً بمنزلة قوله « فبهداهم اقتده » فمن جعل الهاء زائدة جعل فعَّلت منه تسنيت ، ألا ترى انك تجمع السنة سنوات فيكون تفعلت على صحة ومن قال فى تصغير السنة سنينة وإن كان ذلك قليلا جاز أن يكون تسنيت تفعلت ابدلت النون بالياء لما كثرت النونات كما قالوا تظنيت وأصله الظن وقد قالوا هو مأخوذ من قوله « من حمأ مسنون » يريد متغير فان يكن كذلك فهو أيضا مما ابدلت نونه ياء . ونرى ان معناه مأخوذ من السنة لم تغيره السنون والله أعلم .

وروى الفراء عن سفيان بن عيينة رفعه الى زيد بن ثابت انه كتب (يتسنه بالهاء ، وان شئت قرأتها فى الوصل على وجهين تثبت الهاء وتجزمها وإن شئت حذفتها .

وانشد الفراء قول سُويـد بن الصامـت المتقـدم : (فليست بسَنْهـاءَ ولا رُجَّبِيَّة) قال : فهذه قوة لمن أظهر الهاء إذا وصل .

قال ابو تراب : الرُّجَبِيَّةُ التى تكاد تَسْقُطُ فيعْمَدُ حولها بالحجارة والسَّنْهاءُ النخلة القديمة وقال الاصمعى : هى التى اصابتها السَّنَةُ . وفى الدانى (ص ٨٢) قرأ حمزة والكسائى « لم يَتَسَنَّ » بحذف الهاء فى الوصل خاصةً ، والباقون باثباتها فى الحالَيْنْ ، وذكره أبو حيان والقرطبى .

وقال الراغب فى المفردات : السَّنَةُ فى أصلها طريقانِ أحدهما أن أصلها سَنَهَةٌ ، لقولهم سانَهْتُ فلاناً أى عاملتُه سَنَةً فَسَنَةً ، وقولهم : سُنَيْهَةٌ قيل : ومنه « لم يتسنّه » أى لم يتغير بمر السنين عليه ولم تذهب طراوته ، وقيل : أصلُه من الواو لقولهم : سنوات ، ومنه سانيتُ والهاء للوقْف نحو : كتابِيَهْ ، وحسابِيَهْ وقال : « أربعين سنةً » « سبع سنين دأباً » « ثلثمئة سنين » « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنينَ » فعبارةٌ عن الجدب ، وأكثر ما تُستعمل السنة فى الحول الذى فيه الجَدبُ ، يقال : أَسْنَتَ القوم : أصابتهم سَنَةٌ قال الشاعر :

(لها أَرَجٌ ما حولَها غيرُ مُسْنِتِ)

وقال آخر :

(فليست بِسَنْهاءَ ولا رُجَبِيَّةٍ)

فمن الهاء كما تَرى ، وقول الآخر :

(ما كان أزمانَ الهُزال والسِّنِىْ)

فليس بمُرَخَّمٍ ، وانما جُمِعَ فَعَلَةٌ على فعول ، كِمئَةٍ ومِئِينَ ، ومُئُونَ وكُسرَ الفاءُ كما كُسرَ فى عِصِّى ، وخَفَّفه للقافية ، وقوله : « لا تأخذه سِنِةٌ ولا نوم » فهو من الوَسَن ، لامن هذا الباب .

قال ابو تراب : شَكَّل محمد كيلانى محقق المفردات (رُجَبِيَّة) بفتح الراء والجيم مخففةً وهو خطأ ، وذلك دأبه فى التشكيل .

وقال ابن فارس فى المقاييس : السين والنون والهاء أصل واحد يدل على زمان ، فالسَّنَة معروفة ، وقد سقطتْ منها هاء ، ألا ترى أنك تقول : سُنيهةٌ ،

ويقال : سَنَهتِ النخلة إذا أتت عليها الأعوام ، وقوله عز وجل : « لم يتسنّه » أى لم يصر كالشىء الذى تأتى عليه السِنونَ فتُغَيِّره ، والنخلة السَّنْهاءُ .

قال والسين والنون والحرف المعتل أصل واحد يدل على سَعْيٍ ، وفيه ما يدلُّ على العلوّ والارتفاع ، يقال سَنَتِ الناقة : اذا سَقَتِ الأرضَ ، تَسْنُـو ، وهـى السانية ، والسحابة تسنو الأرض ، والقوم يَسْتَنُونَ لأنفسهم اذا استقوا ومن الباب سانيتُ الرجلَ : اذا راضيتَه ، أُسانِيْه كأنَّ الوُدَّ قد كان ذَوِىَ ويبَس ، كما جاء فى الحديث : بُلُّوا أرحامكَم ولو بالسلام وأما الذى يدلُّ على الرفعة فالسَّنَاءُ ممدود ، وكذلك اذا قَصَرْتَه دَلَّ على الرفعة الاّ انه لشىء مخصوص ، وهو الضوء قال تعالى : « يكاد سَنَا برقه يذهب بالابصار » .

قال ابو تراب : الحديث الذى أورده أخرجه البزار عن ابن عباس والطبرانى عن ابى الطفيل والبيهقى فى الشعب عن انس وسويد .

قال ابو تراب : ولم يذكر ابن فارس فى السين والنون المضاعف ان « لم يتسنَّهْ » منه فى قول بعض وأن أصلَه « لم يَتَسَنَّنْ » فأبدلت النون هاءً كما ذكرنا من قبل . وكذلك لم يذكر فى السين والنون والتاء : أَسْنَتَ القوم أى أتت عليهم سَنَةٌ مُجْدبةٌ لأن التاء مبدلة من الياء التى أصلها الواو ، لأنَّ السَّنَة من الواو ومن الهاء بدليل سنوات وسَنَهاتٍ فاذا جعلت نقصانه الواو قلت : أسنى القوم ثم تقلب الواو تاء فتقول السنة ولاذكر ابن فارس أنَّ « لم يَتَسَنَّهْ » من السين والنـون والحرف المعتل ابدل به الهاء كما تقدم ، فالهاء عنده أصلية .

ونقل ابن منظور عن الفراء يقال : تَسَنَّى أى تغيرَّ ، وقد تقدم كلامه بنصه . وقال ابو عمرو : لم يَتَسَنَّ : لم يتغير ، من قوله تعالى : « من حَمَأٍ مسنون » أى متغير فأُبْدلَ من إحدى النونات ياء مثل تَقَضى من تَقضَض .

وقال فى اللسان : والسنة اذا قلته بالهاء وجعلت نُقصانَه الواو فهو من باب (سنا يسنو) تقول : أَسْنَى القوم يُسْنُون إسناءً ، اذا لبثوا فى موضع سَنَـةً . وأَسْنَتُوا اذا أصابتْهم جُدوبةٌ ، تُقلب الواو تاءً للفرق بينهما .

وقال المازنى هذا شاذٌ لايقاس عليه ، وقيل : التاء فى أسْنَتوا بَدَلٌ من الياء التى كانت فى الأصل واواً ليكون الفعل رباعيا .

والسَّنَةُ من الزمن من الواو ومن الهاء ، والجمع سنواتٌ وسنُونَ وسَنَهات ، وأصابتهم السنة ، يَعنون به السَّنَةَ المُجْدبَة ، وعلى هذا قالوا : أسْنَتُوا ، فأبدلوا التاء من الياء التى أصلُها الواو ، ولا يُستعمل هذا الاّ فى الجَدْب .

قال ابن سِيْدَهْ : السَّنَة العام ، منقوصة ، والذاهب منها يجوز ان يكون هاء وواوا بدليل قولهم فى جمعها : سَنَواتٌ وسَنَهاتٌ كما أن عِضَةً كذلك بدليل قولهم عِضَاهُ ، وعِضَواتٌ .

وقال ابن برى : الدليل على أن لام سَنَةٍ واو قولهم : سَنَواتٌ قال ابن الرقاع :

عُتِّقَتْ فى القِلال من بيت رأس سَنَواتٍ وما سَبَتْها التِجار

وقال فى اللسان أيضا : أصْل السنة سنهة بوزن جَبْهَةٍ ، فحُذفتْ لامها ، ونُقلت حركتها الى النون ، فبقيتْ سَنَة لأنها من سَنَهتِ النخلة وتسنهت اذا أتى عليها السنون .

وقال ابن الأثير : قيل ان اصلها سَنَوةٌ بالواو فحذفت كما حُذفت الهاء لقولهم ، تَسَنَّيْتُ عنده ، اذا أقمتَ عنده سَنَةً ، ولهذا يقال على الوجهين : استأجرتُه مسانهةً ومساناة وتصغيرة سُنَيَّة ، وسُنَيْهةٌ وتجمع سنوات وسنهات ، فاذا جمعتها جَمع الصحة كسرتَ السين فقلت : سنين وسنون ، وبعضهم يضمها ويقول : سنون بالضم ومنهم من يقول : سنينٌ على كل حال فى النصب والرفع والجر ويجعل الاعراب على النون الأخيرة فاذا أضفتها على الأول حذفت نون الجمع للاضافة ، وعلى الثانى لا تحذفها .

قال الجوهرى : وأما من قال : سنينٌ ومئينٌ ورفع النون ففى تقديره قولان ، احدهما انه فِعْلِين مثل غسلين محذوفة الا انه جمع شاذ وقد يجىء فى الجمع مالا نظير له ، نحو عِدىً هذا قول الاخفش ، والقول الثانى انه فَعيل ، وانما كسروا

الفاء لكسرة مابعدها وقد جاء الجمع على فَعيل نحو كلَيب وعَبيد الا ان صاحب هذا القول يجعل النون فى آخره بدلا من الواو وفى المأة بدلا من الياء .

قال ابن برى : سنين ليس بجمع تكسير ، وانما هو اسم موضوع للجمع ، وقول الجوهرى : ان عِدًى لا نظيرَ له فى الجموع وَهْمٌ ، لأن عِدًى نظيره لحِىً وفِرىً وجِرىً وانما غلَّطه قولهم : انه لم يأت فِعَل صفةً الا عدِىً ومكاناً سوِىً .

قال فى اللسان : وقد قالوا : سنينا ، أنشد الفارسى :

دعانــــى من نَجْــدٍ فإنَّ سنينه   لعبــن بنــا شيبــا وشيَّبْنَنــا مُردا

فثبات نونه مع الاضافة يدلُّ على انها مُشَبَّهةٌ بنون قِنَسرِين فيمن قال هذه قِنَسرِْينُ ، وبعض العرب يقول : هذه سنينٌ ، ورأيت سنينا فيعرب النون ، وبعضهم يجعلها نون الجمع فيقول : هذه سنونَ ورأيت سنينَ .

وقوله تعالى : « ثلاثمئة سنين » قال الأخفش : انه بدل من ثلاث ومن المئة ، أى لبثوا ثلاثمئة من السنين ، فان كانت السنون تفسيراً للمئة فهى جرٌ ، وان كانت تفسيراً للثلاث فهى نَصْبٌ ، ويقال هذه بلاد سنينٌ أى جَدْبةٌ قال الطِرمّاح :

بِمُنْخَــرقٍ تحــنُ الريــح فيه   حنــينَ الجُلْــب فى البلــد السنينِ

وفى الحديث : اللهم أعنى على مضر بالسنة أى الجدب وفى حديث عمر أنه كان لايجيز نكاحا عام سنة أى جدب يقول : لعل الضيق يحملهم على أن ينكحوا غير الأكفاء وكذلك حديثه : كان لايقطع فى عام سنة يعنى يد السارق ، وفى حديث طهفة ، فأصابتنا سُنَية حمراء ، أى جَدْب شديد ، وهو تصغير تعظيم ، وفى حديث الدعاء على قريش : أعنى عليهم بسنين كسنى يوسف ، وهى التى ذكرها الله فى كتابه : « ثم يأتى من بعد ذلك سَبْعٌ شداد » أى بعد سنين فيها قحط وجدب .

وفى الحديث انه نهى عن بيع السنين ، وهو أن يبيع ثمرة نخله لأكثر من سَنَةٍ وفى حديث حليمة السعدية : خرجنا نَلْتمسُ الرضعاء بمكة فى سنة سَنهاء أى

لانبات بها ولا مطر ، وهى لَفْظَة مبنية من السنة ، كما يقال : ليلة ليلاء ويوم أيْوَمُ ويروى فى سنة شهباء .

قال ابو زيد : طعام سَنِهٌ ، وسَنٍ ، اذا اتت عليه السنون ، وسَنِه الطعام والشراب سَنَهَا وتسنّه : تغير ، وعليه وجّه بعضهم قوله تعالى : « فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه » والتسنه التكرج الذى يقع على الخبز والشراب وغيره تقول منه : خبز مُتَسنَّه .

قال ابن منظور وفى القرآن : « لم يَتَسَنه ، لم تغيرّه السنون ومن جعل حذف السنة واوا قرأ « لم يتسن » واثبات الهاء أصوب .

وروى الأزهرى عن أبى العباس احمد بن يحيى فى قوله « لم يَتسنه » قرأها ابو جعفر وشَيبة ونافع بإثبات الهاء إن وصلوا اوقطعوا ، وكذلك قوله « فبهداهم اَقتده ووافقهم ابو عمرو فى « لم يتسنه » وخالفهم فى « اَقتده » فكان يحذف الهاء منه فى الوصل ، ويثبتها فى الوقف ، وكان الكسائى ، يحذف الهاء منهما فى الوصل ويثبتها فى الوقف .

قال ابو منصور : وأجود ماقيل فى تصغير السَّنَة سُنَيهةٌ على ان الأصل سَنْهَة ، كما قالوا : الشفة أصلها شَفْهَةٌ ، فحذفت الهاء ، قال ونَقَصُوا الهاء من السَّنَة كما نقصوها من الشفة ، لأن الهاء ضَاهَت حروف اللين التى تَنْقُص من الواو والياء والألف ، مثل : زنة وثبة وعِضَةٍ والوجه فى القراءة « لم يَتَسَنَّهْ » باثبات الهاء فى الوقف والادراج وهو اختيار أبى عمرو ، وهو من قولهم : سَنِه الطعام اذا تغير ، وقال ابو عمرو هو من قولهم « من حمأ مسنون » فأبدلوا من يَتَسَنَّنْ كما قالوا : تَظَنيت وقَصَّيْتُ أظفارى .

وفى أساس البلاغة للزمخشرى : أقمت عنده سَنَواتٍ وسُنَيَّات ، ووقعوا فى السُّنَيَّات البيض ، وهى سَنَواتُ اشتددن على أهل المدينة ، وأكريته مساناة ومسانهة ، ولم يَتَسَنَّ : لم تغيره السنون .

وقال الطبرى فى تفسيره (ج ٥ ص ٢٥٩) : « لم يَتَسَنَّـهْ » لم تغيره السنون التى اتت عليه وفيه وجهان من القراءة أحدهما « لم يَتَسنَّ » بحذف الهاء فى الوصل ، وإثباتها فى الوقف ، ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء فى يَتسنه زائدة صلة كقوله : « فبهداهم اقتده » وجعل تفعلت منه ، تبينيت تسنيا ، واعتل فى ذلك بأن السنة تجمع سنوات ، فيكون تفعلت على صحة ، ومن قال فى السنة سُنَينة فجائز على ذلك و ان كان قليلا ان يكون تسنيت تفعلت بدلت النون ياء لما كثرت النونات ، كما قالوا : تَظَنَّيْتُ واصله الظنُّ ، وقد قال قوم هو مأخوذ من قوله : « من حمأ مسنون » وهو المتغير ، وذلك ايضا اذا كان كذلك فهو ايضا مما بدلت نونه ياء وهو قراءة عامة قَرَأةِ الكوفة .

وثانى الوجهين فى « لم يتسنه » إثباتُ الهاء فى الوصل والوقف ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء فى « يتسنه » لام الفعل ويجعلها مجزومة بلم ويجعل فعلت منه تسنهت ويفعل أتسنه تسنها وقال فى تصغير السَّنَة : سنيهة وسنية ، أسنيت عند القوم ، وأسْنَهْتُ عندهم : اذا اقمت سَنَة ، وهذه قراءة عامة قَرَأةِ أهل المدينة والحجاز .

قال الطبرى والصواب من القراءة عندى فى ذلك إثباتُ الهاء فى الوصل والوقف لأنها مُثْبَتَةٌ فى مصحف المسلمين ، ولاثباتها وجه صحيح فى كلتا الحالتين . ومعنى قوله « لم يَتَسَنَّهْ » : لم تأت عليه السنون فيتغيرً على لغة من قال : أسْنَهت عندكم أُسْنِه : اذا اقام سنةً ، قال الشاعر : وذكر قول سويد المتقدم ثم قال : وجعل الهاء فى السنة أصلا ، وهى اللغة الفصحى وغير جائز حذف حرف من كتاب الله ـ فى حال وقف أو وصل ـ لاثباته وجه معروف فى كلامها فان اَعْتلّ معتل بأن المصحف قد ألحقت فيه حروف هن زوائد على نية الوقف والوجه فى الأصل عند القَرَأة حذفهن ، وذلك كقوله : « فبهداهم اَقْتَده » وقوله : « ياليتنى لم أوت كتابيهْ » فان ذلك هو مما لم يكن فيه شك أنه من الزوائد وانه الحق على نية الوقف فاما ما كان محتملا ان يكون اصلا للحرف غير زائد فغير

جائز وهو فى مصحف المسلمين مثبت صرفه الى انه من الزوائد والصلات ، على أن ذلك ، وان كان زوائد فما لاشك انه من الزوائد فان العرب قد تصل الكلام بزائد فتنطق به على نحو منطقها به فى حال القطع ، فيكون وصلها اياه وقطعها سواء ، وذلك من فعلها دلالة على صحة قراءة من قرأ جميع ذلك باثبات الهاء فى الوصل والوقف ، غير ان ذلك وان كان كذلك فلقوله : لم يتسنه حكم مفارق حكم ماكان هاؤه زائدة لاشك فى زيادتها فيه .

ومما يدل على صحة ماقلنا من ان الهاء فى « يتسنّه من لغة من قال : قد أسنهت ، والمسانهة ما روينا عن زيد بن ثابت انه سأل عثمان عنه فقال اجعلوا فيها هاء وما روينا ان ابى بن كعب ألحق فيها الهاء ولو كان ذلك من (يَتَسَنَّى) أو (يَتَسَنَّنُ) لَمَا ألحق فيه أُبى هاءً لا موضع لها فيه ولا امر عثمان بالحاقها .

واختلف اهل التاويل فى « لم يَتَسَنَّهْ » فقال بعض بمثل الذى قلنا من أن معناه لم يتغير ، وأورد فى ذلك عن وهب بن منبه وقتادة ، والضحاك وابن عباس وعكرمة وبكر بن مضر وروى عن مجاهد ان معناه لم ينتن .

قال : وأحسب أن مجاهدا والربيع ومن قال فى ذلك بقولها رأوا أن قوله « لم يَتَسَنَّهْ » من قوله : « من حمأ مسنون » بمعنى المتغير الريح بالنتن ، من قول القائل : (تَسَنَّنَ) وليس كذلك فان ظن ظانّ انه من الأسن ، من قولهم أسن الماء يأسن أسنا كما قال تعالى : « فيها أنهار من ماء غير آسن » فلو كان كذلك لكان الكلام « لم يتأسن » ولم يكن « يَتَسَنَّهْ » فان قيل فانه منه غير انه ترك همزه قيل : فانه وان ترك همزه فغير جائز تشديد نونه ، لأن النون غير مشددة ، وهى فى « يَتسَنَّه » مشددة ولو نطق من يتأسن بترك الهمز لقيل يَتَسَّنْ بتخفيف نونه بغير هاء تلحق فيه ففى ذلك بيان واضح انه غير جائز أن يكون من الأسن .

ونقل القرطبى قول من قال ذلك انه من الاسن ، ورد عليه بمثل كلام الطبرى وكلام الطبرى ككلام ابى عبيدة ، ونقل عن المهدوى قال يجوز ان يكون

أصله من سانيت أو من سانهت فان كان من سانيت فاصله يتسنى ، واصله من الواو والهاء للسكت وان كان من سانهت فالهاء لام الفعل ، وأصل سنة على هذا سنهة وعلى القول الأول سنوة ، واورد قول الشيبانى انه من مسنون ورد عليه الزجاج فقال : ليس كذلك لان قوله « مسنون » ليس معناه متغير وانما معناه مصبوب على سُنَّة الارض قال المهدوى واصله على قول الشيبانى « يَتَسَنَّنُ » فابدلت إحدى النونين الفا ، كراهة التضعيف فصار يتسنّى ثم سقطت الالف للجزم ودخلت الهاء للسكت ، قال النحاس : اصح ماقيل فيه انه من السَّنَة أى لم تغيره السنون ويحتمل ان يكون من السَّنَة وهى الجدب فيكون المعنى لم يغير طعامك القحوط والجدوب اولم تغيره الأعوام والسنون قال القرطبى : وعلى قراءة الجمهور الهاء أصلية .

قال ابو تراب : هذا والشاهد الوارد فى جواب ابن عباس لايطابق « لم يتسنه » لأنه فى الأسن وهذا من السَّنَه أو السنو أو السَّنَنِ ولم ار من نبه على ذلك والله أعلم .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور » ؟ قال : الغدار الظلوم الغشوم قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت قول الشاعر :

لقد علمتْ واستيقنـتْ ذاتَ نفسها بأن لاتخاف الدهر صَرْمى ولا خَتْرى

وفى تنوير المقباس (ص ٢٥٦) : « ختار » غدار .

وفى غريب السجستانى (ص ٩٥) مثله وقال الختر أقبح الغدر ومثله فى غريب ابن قتيبة (ص ٣٤٥) قال هو اقبح الغدر واشده .

وقال الفراء فى المعانى (ج ٢ ص ٣٣٠) الختار الغدار .

وفى مجاز القرآن لابى عبيدة (ج ٢ ص ١٢٩) الختر اقبح الغدر قال الأعشى :

بالأبلق الفَرْد من تيماء منزله حصن حصين وجارٌ غير ختار

وقال عمرو بن معديكرب :

وانك لو رايت ابا عمير ملأت يديك من غدر وخَتْر

وقال ابو تراب : استشهد بالبيت الأول القرطبى وبالثانى الطبرى والقرطبى والأول فى اللسان والديوان (ص ١٢٧) .

قال الزمخشرى فى الأساس : هو ختار وهو من اهل الختر وهو اقبح الغدر وعن بعضهم : لن تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر

وقال السموأل الوفى للحارث بن ظالم حين قال له : انى قاتل ابنك : انت وذاك فاما الختر فلن أتلبس به .

وقال الراغب فى المفردات الختر غدر يختر فيه الانسان اى يضعف ويَكْسِر لاجتهاده فيه قال تعالى : « كل ختار كفور »

وقال ابن فارس فى المقاييس : الختر يدل على توان وفتور يقال تختر الرجل فى مشيته ، وذلك ان يمشى مشية الكسلان ، ومن الباب الختر وهو الغدر وذلك انه اذا ختر فقد قعد عن الوفاء والختار الغدَّار قال الله تعالى « ومايجحد بآياتنا الا كل ختار كفور » .

وقال ابن منظور فى اللسان : الخَتْر شبيه بالغَدر والخديعة ، وقيل هو الخديعة بعينها ، وقيل : هو اسوأ الغدر وأقبحه ، وفى التنزيل العزيز : « كلُّ خَتار كفور » ويقال : خَتَره فهو ختار .

وفى الحديث : ماخَتَر قوم بالعهد الا سلط عليهم العدو ، الخَتْر الغَدر ، خَتَر يَختِر فهو خاتر ، وختار للمبالغة وختر يختر خترا وختورا فهو خاتر وختار وختير وختور .

وقال ابن عرفة : الختر الفساد يكون ذلك فى الغدر وغيره ، يقال : ختره الشراب اذا فسد بنفسه ، وتركه مسترخيا .

والخَتْر كالخَدَر ، وهو مايؤخذ عند شرُب دواء او سم حتى يضعف ويسكر والتختر التفتر والاسترخاء يقال : شرب اللبن حتى تخّتر وتخّتر فَتَر بدنه من مرض أو غيره .

وقال ابن الاعرابى ، خترت نفسه أى خبثت وتخترت ونحو ذلك بالتاء أى استرخت .

وفى اضاءة الراموس لابن الطيب الفاسى : هل الختر والخديعة مترادفان أو متباينان أو متقاربان أو احدهما أعم والآخر أخص فيه نظر .

واستدرك الزبيدى فى تاج العروس على القاموس : المُخَتَّر وهو المسترخى .

وقال الطبرى فى معنى الآية : يقول تعالى ذكره : وما يكفر بأدلتنا وحُججنا الآ كل غدار بعهده ، والختر عند العرب أقبح الغدر . وانشد قول عمرو بن معد يكرب المذكور وأورد فى ذلك عن مجاهد وعن الحسن وقتادة وعن ابن عباس قال « كل ختار » جحّاد ، وعن ابن زيد وعن الضحاك .

ونقل القرطبى عن الماوردى قال : الختر الغدر وهو قول الجمهور ، وقال عطية : انه الجاحد ويختر ويختر بالضم والكسر ذكره القشيرى . وجحد الآيات انكار أعيانها والجحد بالآيات انكار دلائلها .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وأَسَلْنا له عَيْنَ القطرِ » ؟ قال : القِطْر الصُفْر ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت قول الشاعر :

فألْقَى فى مراجلَ من حديد قدورَ القِطر ليس من البُراةِ

وفى تفسير ابن عباس (ص ٢٦٥) : القِطْر الصُّفْر المُذاب يعمل به مايشاء كما يعمل بالطين وفى غريب ابن قتيبة (ص ٣٥٤) القِطْر النُّحاس ومثله فى معانى الفراء (ج ٢ ص ٢٥٦) .

قال ابو تراب : ولم يفسره ابو عبيدة ولا السجستانى ولا الراغب فى هذه الآية ، وفسره ابو عبيدة فى قوله : « آتونى أُفرغ عليه قِطْراً » قال فى المجاز (ج ١ ص ٤١٥) : أى أصبُّ عليه حديداً ذائباً ، قال :

حُساماً كلون المِلْح صافٍ حديدُه جُرازاً من أقطار الحديد المُنَعَّتِ

جَمْعُ قِطْر ، وجعله قوم الرَّصاص النُّقْر .

وفسره ايضا الراغب فى هذه الآية « أُفرغ عليه قطرا » أى نحاسا مُذابا وفى قوله : « سرابيلهم من قَطِران » قراءة اخرى وهى (قِطرآنٍ) قال : أى من نُحاس مذاب قد أَنَى حَرُّها وقد شكله محمد كيلانى : أَنِىَ وهو خطأ .

وفى هذه القراءة قال السجستانى فى الغريب (ص ١٧٨) : أى من نحاس قد بلغ منتهى حَرِّه .

قال ابو تراب : وأما القَطِرانُ فهو ما يتقطر من الهِناء ، وهو الذى تُطلى به الابل ، وجعل لهم القَطِران لباسا ليزيد فى حر النار عليهم فيكون ما يُتَوَقَّى به العذاب عذابا ، وفى هذه القراءة القَطِران حرف واحد ، وفى القراءة الأولى حرفان (انظر معانى الفراء ج ٢ ص ٨٢) ولم يفسره ابو عبيدة ولا ابن قتيبة .

وقال الزمخشرى فى الاساس : وأسال الله تعالى عَيْنَ القطر لسليمان عليه السلام ، وهو النُحاس المذاب .

وقال ابن فارس : القاف والطاء والراء باب غير موضوع على قياس ، وكَلِمهُ متباينة الأصول ، والقَطِرانُ ممكنُ أن يُسَمَّى بذلك لأنه مما يَقْطرُ ، وهو فَعلِان ، ويقال : قَطَرْتُ البعيرَ بالهِناء أَقْطُره ، وأنشد المصراع الثانى من قول امرىء القيس :

أيَقْتُلنى أنى شَغَفْتُ فؤادها كما قَطَر المَهْنُوءَةَ الرجلُ الطَّالىْ

قال : ومما ليس فى هذا القياس : القِطْر : النُحاسُ المُذابُ .

وفى اللسان : القَطْرانُ والقَطِرانُ : عُصارة الأَبْهَلِ والأَرْزِ ونحوهما ، يطبخ فيُتَحَلَّبُ منه ، ثم تُهْنَأُ به الابل ، قال ابو حنيفة : زعم بعض من ينظر فى كلام العرب أن القَطِرانَ هو عصير ثَمَرِ الصَّنَوْبَرِ ، وأن الصَّنَوْبَرَ انما هو اسم لَوْزَةِ ذلك . وأن شَجرتَه به سُمِيَتْ صنوبرا ، وسمع قول الشَماَّخ فى وصف ناقته ، وقد رَشَحَتْ ذِفْراها ، فَشبَّه ذِفْراها لَمّا رَشَحَتْ فاسْوَدَتْ بمَناديلِ عُصارة الصَّنَوْبَر فقال :

كأن بِذفراهــا مناديــل فارقت أُكُفَ رجــال يعصرون الصنوبرا

فظنَّ أن ثَمرُهُ يُعْصر .

وفى التنزيل العزيز : « سرابيلهم من قَطران » قيل : والله أعلم ـ انها جُعلت من القَطران لأنه يبالغ فى اشتعال النار فى الجلود .

وقرأها ابن عباس « من قِطْرٍ آنٍ » والقطر النحاس والآنى الذى قد انتهى حَرُّهُ والقَطران اسم رجل سُمِى به لقوله :

انــا القَطــران والشعــراء جَرْبى وفى القَطــران للجَرْبَــى هِناءُ

وبعيرٌ مقطور ومُقَطْرَنٌ بالنون كأنه ردوه الى أصله : مَطْلِيٌ بالقَطِران قال لبيد :

بَكَــرَتْ به جُرَشيــة مقطورة تَرْوِى المَحاجــرَ بازلٌ عُلكوم

قَطَرتُ البعير : طليتُه بالقَطران ، وانشد بيت امرىء القيس المتقدم .

قال ابن منظور : والقِطر بالكسر : النُحاس الذائب ، وقيل : ضَربٌ منه ، ومنه قوله تعالى : « من قِطْرِآنٍ »

قال ابوتراب : هذا على قراءة أنها كلمتان قرأ بها ابن عباس وابو هريرة وعكرمة وسعيد بن جبير ويعقوب وأما على أنها كلمةٌ واحـدة « مـن قَطِـر » فلا يصح الاستشهاد بها للقِطْر ، بل بقوله تعالى : « وأسَلْنا له عَيْنَ القِطْـر » أو « أُفْرِغْ عليه قِطراً » .

قال الطبرى فى « وأسلنا له عينَ القطر » : وأذبنا له عَيْنَ النُحاس وأجْرَيناها له ، ورَوى فى ذلك عن قتادة ، وعن ابن زيد قال : القطر الصفرسال كما يسيل الماء يعمل به كما كان يعمل العجين فى اللين ، وعن ابن عباس : القطْرِ النُحاس ،

ونقل القرطبى عن ابن عباس ايضا ومجاهد والسُّدى قالوا : أُجْرِيَتْ له عين الصُّفر ، وقال الخليل : القطر النحاس المذاب .

وقال القرطبى ايضا فى سورة الكهف : القطر عند أكثر المفسرين النحاس المذاب وأصله من القَطر لأنه اذا أذيب قَطر كما يقطر ا لماء ، وقالت فرقة : القطر الحديد المذاب ، وقالت فرقة منهم ابن الانبارى : الرَّصاص المذاب .

قال ابوتراب : ولم يذكر القرطبى ان منهم من قال : هو الصفر المذاب كما قدمنا فى هذه الآية وانما قال فى سورة ابراهيم ان القطر هو النحاس والصفر المذاب .

قال الطبرى : والقطر النحاس ، وروى فى ذلك عن ابن عباس ومجاهد والضحاك ، وقتادة وروى عنه ايضا فى سورة ابراهيم انه الصفر المذاب قال الطبرى : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة ـ قال ابو تراب : يعنى ابا عبيدة معمر بن المثنى البصرى صاحب مجاز القرآن ـ يقول : القطر الحديد المذاب وذكر الطبرى البيت الذى استشهد به ابو عبيدة وقد تقدم .

وقال الطبرى فى القطران : هو الذى يهنأ به الابل وفيه ثلاث لغات بفتح القاف وتسكين الطاء ، وكسر القاف وسكون الطاء وكسر القاف وفتح القاف وكسر الطاء ، وشاهد الثانى قول ابى النجم :

جَوْنٌ كأن العَرق المنتوحا لَبَّسه القِطْرانَ والمسوحا

وقال ايضا :

كان قِطْرانا اذا تلاها ترمى به الريح الى مَجْراها

وروى فى القَطران بمعنى هناء الابل عن الحسن قال : الخَضْخَاض هِناءُ الابل ، وقال بعضهم : هو النحاس ، ورَوى فى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ، وروى فى قراءةِ (من قِطْرآنٍ) عن عكرمة وسعيد والربيع بن أنس وابن عباس وقتادة .

قال ابوتراب : هذه المادة لم يذكرها الدامغانى ولا ابن الجوزى فى كتابيهما فى الوجوه والنظائر مع أنها ذات مدلول فى القطر ، والاقطار ، والقطران على التباين بينها .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الازرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وبدلناهم بِجَنَّتَيْهم جَنَّتَين ذواتى أكل خَمط ؟ قال : الخمط الأَراك قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، قال : الشَاعر :

مامُغْزِلُ فَرْدُ تُراعَى بعَينها
أغَنُّ غضيضُ الطَّرفِ من خَلَلِ الخَمْطِ

وفى تنوير المقباس (ص ٢٦٦) : « أُكل خَمْطٍ » ثَمَرِ أراك .

قال ابو عبيدة فى المجاز (ج ٢ ص ١٤٧) : الخَمْطُ كل شجر ذى شوك ، والأُكل هو الجَنَى . ونقله عن السجستانى فى الغريب (ص ٩٥) : قال : وقال غيره : الخَمْطُ شجر الأَراك ، وأُكله ثَمَرُهُ .

وهكذا فى غريب ابن قتيبة (ص ٣٥٦) قال : الأكل الثمر ، والخَمْطُ شجر العضِاهِ ، وهى كلُّ شجرة ذات شوك . وقال قتادة : الخَمْطُ : الأراك ، وبَرِيرُهُ : أُكلُه .

قال ابو تراب : البرير الثمر .

وقال الراغب فى المفردات : الخَمْطُ شجر لا شوك له ، قيل : هو شجر الأراك .

وفى معانى الفراء (ج ٢ ص ٢٥٩) : ذكروا فى التفسير انه البَرِيُر وهو ثمر الأراك .

قال ابن فارس فى المقاييس : الخاء والميم والطاء أصلان : أحدهما الانجراد والمَلاَسَة ، والآخر التسلُّط والصِيالُ ، فأما الأول فقولهم : خَمَطْتُ الشاةَ ، وذلك اذا نزعتَ جِلْدَها وشَوَيْتها ، فانْ نُزِع الشعر فذلك السَمْطُ ، وأصل ذلك من الخَمْط ، وهو كل شيء لا شوك له . والأصل الثانى : قولهم تَخَمطَ الفَحْلُ : اذا هاج وهَدَر ، وأصلُه من تَخَمطَ البحر ، وذلك خبُّه وآلتطام امواجه .

قال ابو تراب : عرفت من هذه النصوص أنهم اختلفوا فى تفسير الخَمْط ، فأبو عبيدة وابن قتيبة يقولان : الخَمْط كل شجرة ذات شوك ، وابن فارس وتبعه الراغب يقولان : هو كل شجر لا شوك له ، والتفسير الاول ينطبق على الأراك فانه لاشوك له ، وينطبق عليه التفسير الثانى فتَأَمَّلْ .

وفى اللسان : قال الليث : الخَمْطُ ضرب من الأراك له حَمْلٌ يؤكل .

وقال الزجّاج : يقال لكل نَبْتٍ قد أخذ طَعْماً من مرارةٍ حتى لايمكن أكْلُه خَمْطٌ . ونقل ايضاً كلام الفَرّاء المارّآنفاً ، وقيل : شجر له شوك ، وقيل : الخَمْط فى الآية شَجَرٌ قاتلٌ أو سَمٌّ قاتلٌ ، وقيل : الخَمْطُ الحَمْلُ القليلُ من كل شجرة ، والخَمْطُ شَجَرٌ مثل السَدْرِ ، وحَمْلُه كالتُوت . وقال ابن الأعرابى : الخَمْطُ ثَمَرٌ يقال له : فَسْوَةُ الضَبُعِ على صورة الخَشْخَاشِ ، يَتَفَرَكَ ولا يُنتفع به .

قال الطبرى فى تفسيره : يقول تعالى ذِكْرُهُ : وجعلنا لهم مكانَ بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جَنَى ثمر الأراك ، والأراك هو الخَمْطُ ، ورَوىَ ذلك عن ابن عباس قال : الخَمْطُ الأراك ، ومثله عن الحسن ومجاهد وقتادة قال : الخَمطُ الأراك وأُكلهُ بريره ، ومثله عن الضحاك وابن زيد .

ونقل القرطبى عن الخليل قال : الخَمْطُ الأراك ، وعن أبى عبيدة قال : هو كل شجر ذى شوك فيه مرارة ، وعن الزجاج كما ذكرنا آنفا ، وعن المبرد قال : الخَمط كل ما تَغيرَّ الى مالا يُشتهى قال واللَّبَن خَمْطٌ اذا حَمُضَ ، وذكر الطبرى وغيره فى هذا الحرف قراءتين على البدلية والاضافة ، ورَجَّح الأولى لاستفاضتها من غير انكار الأخرى ولكل شواهد .

ومن شواهد الخَمْط قول رؤبة :

شاك يَشُكُّ خَلَلَ الآباطِ شَكَّ المَشَاوى نَقَدَ الخَمّاطِ

أراد بالمَشاوى السفافيد تدخل فى خلل الآباط ، والخَمّاط الشَّوّاء .

وقال ابو ذؤيب :

عُقارٌ كماءِ النِّيِّ ليستْ بَخمْطَةٍ ولا خَلَّةٍ يَكْوى الوجوهَ شِهابُها

الخَمْطَةُ الحامضة مع ريح ، وقيل : اذا أُعْجِلَتْ عن الاستحكام فى دَنّها . وكل طَرِىٍ أخَذ طَعْماً ولم يَستحكم فهو خَمْطٌ ، قال خالد بن زهير الهُذلى :

ولا تَسْبِقَنْ للناس منّى بخَمَطة من السُّمِّ مَذْرُورٌ عليها ذُرُورُها

يعنى طريّةً حديثةً ، كأنها عنده أحَدُ وقال السُكَّرى عنى بالخمطة اللوم والكلام القبيح وقال المُتَنَخِّلُ :

مُشَعْشَعَةٌ كعَينِ الدّيك فيها حُمياها من الصُهْبِ الخماط

وقال ابن أحمر :

وما كنتُ أخشى أن تكون مَنِيَّتى ضريبَ جلاد الشَّول خَمْطا وصافيا

وتَخَمَّط : غضب قال :

اذا تَخَمَّط جبّار ثَنوه الى مايَشتهون ولا يثْنونَ إن خَمِطُوا

والتَخَمُّط التكبُّر قال :

اذا رأوا من مَلِكٍ تخمُّطَا أو خُنْزُوانا ضرَبوه ماخطا

ومنه قول الكميت :

(اذا ماتسامَتْ للتخمُّطِ صِيدُها)

والتخمُّط الأخذ والقهر بغلبة قاله الأصمعى ، وأنشد :

اذا مُقْـرَمْ منـا ذَرا حَدُّ نابه   تَخَمَّـط فينـا ناب آخـر مُقْرَمِ

وفى اساس البلاغة انه لأوس .

وبحرٌ خَمِطُ الأمواج مضطربها ، قال سويد بن أبى كاهل :

ذو عُبـابٍ زَبَـدٍ آذِيُهُ   خَمِـطُ التيـار يَرْمـى بالقِلَعْ

يعنى بالقِلَعْ الصَّخر .

وفى حديث رفاعة قال : الماء ، من الماء فتَخَمط عمر ، أى غضب .

قال الزمخشرى : لبنٌ خامط : قارص متغير . وتَخَمَّط الفَحْلُ : هَدَر ، ومن المجاز تَخَمَّط الرجل : تَغَضَّب وثار وأَجْلَبَ . وتخمَّط البحر : زَخِـر وانـه لَخَمِـطُ الأمواج . وتخمطَ ناب البعير : ظهر وارتفع .

قال ابو تراب : ولا يمتنع ان يكون المعنى فى « أُكلٍ خَمْطٍ » هو المتغـيِّر ، ويؤيده مارويناه عن محمد بن يزيد الثُّمالىُّ المبّرد كما تقدم وهو احد ائمة اللغة .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : اخبرنى عن قوله تعالى : « واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة » ؟ قال : نَفَرَتْ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عمرو بن كلثوم :

اذا عَضَّ الثقـافُ بهـا اشْمَأَزَّتْ   وولَّتْهـم عَشَوْزنـةً زَبونَا

قال ابوتراب : البيت فى معلّقته المشهورة ، واستشهد به ابو حيان فى البحر المحيط والقرطبى فى جامع الأحكام .

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ٢ ص ١٩٠) : تقول العرب اشْمَأَزَّ قلبى عن فلان أى نَفَر .

قال ابو تراب : ولم يورد الفيروزابادى فى تفسير ابن عباس هذا المعنى ، وللاستدراك عليه باب واسع ، فلو تتبع المرء الآثار الواردة عنه فى كتب التفسير بالمأثور فانه لواجدُ كثيراً مما لم يورده المجد فى تنوير المقباس .

وذكر الراغب فى المفردات معنى النفور فى هذا الحرف .

قال ابو تراب : وأغفل ابن فارس هذه المادة من كتابه المقاييس ، ولم يستدرك عليه مُحَشيه محمد عبد السلام هارون .

قال فى اللسان : الشَّمْزُ التقبض ، اشْمَأَزَّ اشمِئزازاً : انقبض واجتمع بعضه الى بعض ، وقال ابوزيد : ذُعر من الشيء وهو المذعور ، والشَّمْزُ نفور النفس من الشيء تكرهه ، وقال الزجاج فى قوله تعالى : « واذا ذُكر الله وَحْدَهُ اشْمَأزتْ قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » معناه : نَفَرتْ ، وكان المشركون اذا قيل : لا اله الا الله نَفَروا من هذا . وقال ابن الأعرابى : اشْمَأزتْ : اقشعرت ، وقال قتادة : اشمأزت استكبرت ، وكفرت ونفرت .

وفى الحديث : فسَيَلِيكم امراء تقشعر منهم الجلود ، وتَشْمَئِزُّ منهم القلوب أى تنقبض وتجتمع ، وهمزتُه زائدة ، وهى الشُّمَأزِيزَةُ ، ورجل فيه شُمَأزيزةٌ من اشمأززت قال شمر قال خالد بن جَنْبَة : اشمئزاز السَّفْر : اشْمَأَزَّ الليل والنهار مُقْلَوليا ، قلت : ماالمُقْلَولى ؟ قال : النَّدْهُ التى تجمها جَمْعَةً واحدةً قلت : ماالنَّدْهُ ؟ قال : السَّوْقُ الشديد حتى يكون كأنه مُشَرَّبةٌ فى الأقران ، أى مشدودة فى الحبال .

والمُشْمَئِزُّ ايضاً : النافر الكاره للشىء ، واشمأز الشىء كرهه بغير حرف جر قاله كراع والمشمئز المذعور .

قال الطبرى فى تفسير الآية : واذا افرد الله جل ثناؤه بالذكر فدعى وحده وقيل : لا اله الا الله اشْمَأَزتْ قلوب الذين لايؤمنون بالمعاد والبعث بعد المات وعَنَى بقوله : « اشْمَأَزتْ » نَفَرَتْ من توحيد الله واذا ذكر الذين من دونه ، يقول : واذا ذكر الآلهة التى يدعونها من دون الله مع الله فقيل : تلك الغرانيق

العُلى ، وان شفاعتها لَتُرْتجَى اذا الذين لايؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون .

ورَوى فى ذلك عن قتادة قال : اشمَأَزَّتْ أى نَفَرَتْ قلوبهم واستكبرت ، وعن مجاهد قال انقبضتْ ، وقال السُدَىُّ ايضاً : نَفَرت .

وفى تفسير القرطبى : قال المبرّد : اشْمَأَزَّتْ : انقبضت ، وهو قول ابن عباس ومجاهد ، وقال قتادة : نَفَرتْ واستكبرتْ وكفرت ، وتَعَصَّتْ ، وقال المُؤَرِّجُ : أنكرت ، وأصل الاشمئزاز النفورُ والأزْوِرَارُ ، وقال ابو زيد : أشمأزالرجل ذعر من الفزع .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ومن الجِبال جُدَدٌ بِيضٌ وحُمْرٌ مُختلِفٌ ألوانُها » ؟ قال : جُدَدٌ : طرائق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

قد غادر النَسْعُ فى صَفَحاتِهاجُدَداً　　كأنها طُرُقٌ لاحتْ على أكَم

وفى تنوير المقباس (ص ٢٧١) (جُدَدٌ) طُرُق .

وقال السجستانى فى الغريب (ص ٧٨) : (جُدَدٌ أى خطوطٌ وطرائقُ ، واحدها جُدَّةٌ .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٣٦١) : الجُدَدُ الخطوط والطرائق تكون فى الجبال . فبعضها بِيضٌ ، وبعضها حُمْرٌ ، وبعضُها غرابيب سُودٌ . وغرابيب جمع غربيب ، وهو الشديد السواد ، يقال : أسودُ غربيبٌ .

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ٢ ص ١٥٤) : مقدَّم ومؤخَّر لأنه يقال : أسود غربيب .

وفى معانى الفراء (ج ٢ ص ٣٦٩) : (جُدَدٌ بيضٌ) الخُطَطُ والطرق تكون فى الجبال كالعروق بيضٌ وسودٌ ، واحدها جُدَّةٌ . وقال امرؤُ القيس يَصفُ الحمارَ :

كأن سرَاتَيْـــه وجُـــدَّةَ مَتْنِه كنائـــنُ يجَـــرى فوقهـــنّ دَليصُ

والجُدَّةُ : الخُطَّة السوداء فى مَتْنِ الحمار . وكل شيء يَبْرقُ نحو المرآة والذهب والفضة فهو دَليصٌ .

وقال الراغب فى المفردات : (جُدَدٌ بيض) جَمْعُ جُدَّةٍ ، أى طريقة ظاهرة من قولهم : طريق مجدودٌ ، أى مسلوك مقطوع ، ومنه جادّة الطريق ، والجَدُّ قَطْع الأرض المستوية ، ومنه جَدَّ فى سَيْرِه ، وفى أمره ، وتُصُوِرَ من جَدَدْتُ الأرضَ القطع المجرد ، فقيل : جَدَدْتُ الأرض : اذا قطعَت على وجه الاصلاح وثوب جديد أصله المقطوع ، ثم جُعل لكل ما أُحدث إنشاؤه ، وقوبل الجديد بِالخَلَق لِمَا كان المقصود بالجديد القريبَ العهد بالقَطْع من الثوب .

وفى المقاييس لابن فارس : الجيم والدال أصول ثلاثة : الأول العظمة والثانى فى الحَظُّ ، والثالث القَطْع. فالأول العظمة ، قال الله جَلَّ ثناؤه إخباراً عمّن قال : « وأنّه تعالى جَدُّ ربنا » ويقال : جَدَّ الرجل فى عينى ، اى عَظم ، قال أنس بن مالك : كان الرجل اذا قرأ سورة البقرة وآل عمران جَدَّ فينا ، أى عظم فى صدورنا .

قال ابوتراب : انظره فى الفائق للزمخشرى (ج ١ ص ١٧٧) .

والثانى الغنى والحَظُّ ، قال رسول الله ﷺ فى دعائه : لاينفع ذا الجَدَّ منك الجَدُّ ، يريد : لاينفع ذا الغنِى منك غِناهُ ، انما ينفعه العمل بطاعتك ، وفلانٌ أَجدُّ من فلانٍ وأحَظُّ منه بمعنىً .

والثالث : يقال : جَدَدْتُ الشيء جَدّاً ، وهو مجدود وجديد ، أى مقطوع ، قال :

أبـــى حُبّـــى سُلَيْمـــىَ أن يَبيدا وأمسى حَبْلهـــا خَلَقـــاً جديدا

قال ابوتراب : البيت للوليد بن يزيد . أورده ابن الأنبارى فى الأضداد(٣٠٨)

قال ابن فارس : وليس ببعيد أن يكون الجِدُّ فى الأمر والمبالغة فيه من هذا ، لأنه يَصرِمُه صرَيمة ، ويَعْزِمُه عزيمة ، ومن هذا قولك : أَجِدَّكَ تفعل كذا ، أى أجدا منك ، أصريمة منك ، أعزيمةً منك ، قال الأعشى :

أجـدك لم تَسْمَـعْ وَصَاةَ محمد نبىً الاله حين أوصى واشهدا

وقال ايضا :

أجـدَّك لم تَغْتَمِضْ ليلةً فتَرْقُدَهـا مَعَ رُقَّادِها

والجُدُّ البئر من هذا الباب ، والقياس واحد ، لكنها بضمّ الجيم ، قال الأعشى :

ماجُعِـل الجُـدُّ الظَّنُـونُ الذى جُنِّـبَ صوت اللَّجِـبِ الماطِرِ

والبئر تُقطع لها الأرض قَطْعا ، ومن هذا الباب الجَدْجَد : الأرض المستوية قال :

يَفيض على المـرء أردانُها كفيض الأتِـىَ على الجَدْجَدِ

قال ابو تراب : نسبه فى المجمل الى امرىء القيس وليس فى ديوانه

قال : والجَدَدُ مثل الجَدْجَدِ ، والعرب تقول : من سلك الجَدَدَ أمِنَ العِثار ويقولون : (رُويدَ يَعْلون الجَدَد) .

قال ابوتراب : هذا المثل لقيس بن زُهير كما فى مجمع الأمثال للميدانى (ج ٢ ص ٥٢) .

قال : ويقال : أَجَدَّ القوم اذا صاروا فى الجَدَد ، والجديد وجه الأرض قال :

حتـى اذا ماخَـرَّ لم يُوَسَّدِ الاّ جديـدَ الأرض أو ظَهْـرَ اليدَ

والجُدَّة من هذا ايضا . وكل جُدَّةٍ طريقة ، والجُدَّةُ الخُطة تكون على ظهر الحمار ، ومن هذا الباب الجَدَّاءُ : الأرض التى لا ماءَ بها ، كانً الماءَ جُدَّ عنها اى قُطعَ ومنه الجَدود والجَدّاءُ من الضأن وهى التى جف لبنها ويبس ضرعها .

ومن هذا الباب الجِداد والجَداد وهو صرامُ النخل ، وجادة الطريق سَواؤه ، كأنه قد قُطع عن غيره ، ولأنه ايضا يسلك ويُجَدُّ ومنه الـُجدَّة ، وجانب كل شيء جدة ، نحو جدة المزادة ، وذلك هو مكان القَطْع من أطرافها ، فأما قول الأعشى :

أضَاءَ مِظَلَّتَــهُ بالسرا ج والليــلُ غامــرُ جُدّادها

قال ابوتراب : ذكره الأزهرى فى التهذيب .

قال : فيقال : انها بالنبطية ، وهى الخيوط التى تعقد بالخيمة ، وما هذا عندى بشىء بل هى عربية صحيحة ، وهى من الجد وهو القطع ، وذلك انها تُقطع قِطَعاً على استواء

وقولهم ثوبٌ جديدٌ ، وهو من هذا ، كأنَّ ناسجَه قَطَعه الآن ، هذا هو الأصل ، ثم سُمِّىَ كلُّ شىءٍ لم تَأْتِ عليه الأيام جديدا ، ولذلك يُسَمَّى الليل والنهـار الجديدين والأجدين لأن كل واحد منهما اذا جاء فهو جديد ، والأصل فى الجدة ماقلناه ، واما قول الطرماح :

تَجْتَنِـى ثامِـرَ جُدَّاده من فرادى بَرَمٍ أو تُؤام

فيقال : ان الجداد صغار الشجر ، وهو عندى كذا على معنى التشبيه بجداد الخيمة وهى الخيوط .

قال ابوتراب هذا البيت فى ديوانه (ص ٩٩) والمجمل واللسان .

ومن شواهد الجادة فى اللسان قول الراعى :

فاصبحت الصهب العتاق وقد بدا لهــن المنــار والجــواد اللوائح

هذا وقد أخطأ الراعى حين خفف الجواد ، وهى جمع الجادة من الطرق التى بها جدد وقال الليث : الجاد يخفف ويثقل ، اما التخفيف فاشتقاقه من الجواد اذا اخرجه على فعله والمشدد مخرجه من الطريق الجيد الواضح .

قال الجواليقى : قد غلط الليث فى الوجهين معا ، اما التخفيف فما علمت احدا من ائمة اللغة اجازه ، ولايجوز ان يكون فعله من الجواد بمعنى السخى ،

واما قوله : اذا شدد فهو من الأرض الجدد فهو غير صحيح ، انما سميت المحجة المسلوكة جادة لانها ذات جدة وجدود وهى طرقاتها وشُرُكها المخططة فى الأرض ، وكذلك قال الأصمعى .

قال ابو تراب : اما المأخذ الأول فلازم ، واما الثانى فتحامل على الليث ، فانه اشتقه من الطريق الجديد الواضح ، وهو الذى قطع اواَختُطَ ، وإن اشتقه من الجدد كما يقول ابو منصور فهو ايضا المستوى الواسع من الأرض ووجهها وليست الجادة الا كذلك وقد قرأ الزهرى (جدد) جمع جديدة ، و (جدد) بفتحتين وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة ، ذكره القرطبى .

قال الأزهرى : وجادة الطريق سُميت جادة لانها خُطَّةٌ مستقيمةٌ مَلْحُوبَةٌ .

وفى الصحاح : الجَدْجَدُ الأرض الصلبة المستوية وانشد لابن احمر الباهلى :

يَجْنِي بأوْظفَةٍ شداد أسرها صُمُّ السَّنابِكِ لاتَقى بالجَدْجَد

وقال ابو عمرو : الجدجد الفيف الأملس وانشد :

(كفيض الأتىَ على الجدجد) وأجد القوم : عَلَوْا جديدَ الأرض او ركبوا جَدَد الرمل ، أنشد ابن الأعرابى :

أجْدَدْنَ واَسْتَوى بهن السَّهْبُ وعَارَضَتْهُنَّ جَنوبٌ نَعْبُ

النعب : السريعة المرّ

والجدّ بالضم البئر التى تكون فى موضع كثير الكلأ ، قال الأعشى يفضل عامرا على علقمة :

ماجُعِل الجُدُّ الظَّنونُ الذى جُنِّبَ صَوْبَ اللجِبِ الماطر

مثلَ الفراتىَ اذا ماطَمىَ يقذف بالبوصَى والماهر

والجد : الماء القليل ، وقيل هو الماء يكون فى طرف الفلاة وقال ثعلب : هو الماء القديم ، وبه فَسر قول ابى محمد الحذلمى :

(ترعى الى جُدٍّ لها مكين)

ومفازة جداء : يابسة ، قال :

وجَـدَّاءَ لايرجـى بهـا ذو قرابة لعطفٍ ولا يخشى السُّماة ربيبها

السُّمَاة الصيادون ، وربيبها وحشها اى انه لاوحش بها فيخشى القانص لبعدها واخافتها وهذان التفسيران للفارسى .

وقال ابو زيد يجمع الجدود من الأتن جدادا قال الشماخ :

كأن قتـودى فوق جأب مطرّد من الحقب لاتخنه الجِداد الغوارزُ

وحبلٌ جديدٌ أى مقطوع قال :

ابـى حبـى سليمـى ان يبيدا وأمسى حبلها خلقا جديدا

أى مقطوعا . وأجد اى جدّد قال :

وخَـرْقٍ مَهـارقَ ذى لُـهْلُهٍ أجَـدَّ الأُوامَ به مَظْؤُه

وبَهِى بيت فلان ثم أجد بيتا من شعر ، قال لبيد :

تحَمَّـلَ اهلهـا وأجَـدَّ فيها نعـاجُ الصـيف أخبيـةَ الظلال

وفى حديث أبى سفيان : جُدَّ ثَدْيَا أمِك ـ أى قُطِع ـ وهو دعاء عليه ، قال الأصمعى : وذلك اذا دُعِى عليه بالقطيعة ، قال الهُذلىُّ :

رُويـدَ عليـاً جُدَّ ما ثَدْى أمه الينـا ولـكن وُدّهـم مُتَنابِر

ويُروى (مُتَمَايِنُ) و (مُتَيامن) بدل مُتَنابِرُ .

قال الأزهرى : وتفسير البيت ان عليا قبيلة من كنانة ، كأنه قال : رُويدك علياً أى أَرْوِدْ بهم ، وارْفُقْ ، ثم قال : جُدَّ ثَدْىُ أُمهم الينا ، أى بيننا وبينهم خؤولة رَحِمٍ وقرابةٌ من قِبَلِ أمهم ، وهم منقطعون الينا بها ، وإنْ كان فى وُدّهم لنا مَيْنٌ ، أى كذبٌ ومَلَقٌ .

وأما قول الهذلى :

وقالـت لن تَرىَ أبـداً تليداً بعَيْنِـك آخـرَ الدهـرِ الجَديدِ

فانّ ابن جنّى قال : اذا كان الدهر أبدا جديداً فلا آخِرَ له ، . ولكنه جاء على انه لو كان له آخرٌ لما رأيتَه فيه .

والجديد مالا عَهْدَ لك به . ولذلك وصف الموت بالجديد (هُذَلِيَّةٌ)

قال ابو ذؤيب :

فقلت لقلبي : يالك الخيرُ انما يُدَليك للموت الجديد حبابُها

والجِدَّةُ قلادةٌ فى عُنُق الكلب حكاه ثعلب وأنشد :

لو كنتَ كَلْبَ قبيصٍ كنت ذاجَدَد تكون أُربته فى آخر المرس

وجَدَّ به الأمر : اشتد . قال ا بو سَهم :

أخالدُ لايَرْضَى عن العبد ربُّه اذا جد بالشيخ العقوق المصمم

قال الأصمعى اجد فلان أمره أى احكمه وأنشد :

أجَدَّ بها أمْراً وأيقن أنه لها أو لأخرى كالطحين ترابها

وفى حديث قُسٍّ : (أجِدَّكما لا تقضيان كراكما) أى أبِجِدٍّ منكما وهو نصب على ا لمصدر والجداد صغار الشجر وأنشد ابو حنيفة للطرماح :

تَجْتَنى ثامرَ جدّاده من فرادى بَرَم أو تُوأمْ

والجدّاد ايضا الخيوط المعقدة . قال الأعشى يصف حمارا : (اضاء مظلته) الخ .

ومن شواهد الجداد قول المسيب بن علَس :

فعل السريعة بادرت جدادها قبل المساء يهمَّ بالاسراع

والجدجد دويبة قفازة شبيهة بالجراد وأنشد ابن الأعرابى :

تصيد شبّان الرجال بفاحمٍ غدافٍ وتصطادين عُثًا وجُدجدا

والجدجد الحر ايضا قال الطرماح .

حتى اذا صُهُب الجنادب ودعت نور الربيع ولاحهن الجدجد

قال ابو تراب : ولم يذكر الحافظ ابن الجوزى فى نزهة الأعين والنواظر فى الوجوه والنظائر مادة الجَدَد فى القرآن مع كون الكلمة متعددة المعانى فى الجديد ، والجَد ، والجُدَد وذكرها الدامغانى ، الاّ انه ذكر لها وجهين فقط ، وهما الجديد والجُدَد ، وأغفل الجَدَّ ، وهو فى القرآن : « وأنّه تعالى جَدُّ ربنا مااتخذ صاحبة

ولا ولدا » ولااستدرك عليه محقق كتابه عبدالعزيز سيد الأهل . وسبحان من لا تغيب عنه غائبة .

وقال الطبرى فى تفسيره : يقول تعالى ذكرُهُ : ومن الجبال طرائق وهى الجُدَدُ وهى الخِطَط تكون فى الجبال بيض وحمر وسود كالطُّرُق واحدتُها جُدَّةٌ ، ومنه قول امرىء القيس يصف حمارا فذكر البيت الذى أوردناه من قبل ، وقال : يعنى بالجُدَّة الخطة السوداء تكون فى متن الحمار . وقوله : « مختلف ألوانها » يعنى مختلف الوان الجدد ، وغرابيب سودٌ ، وذلك من المتقدم الذى هو بمعنى التأخير ، وذلك ان العرب تقول : هو أسود غِرْبيبٌ اذا وصفوه بشدة السواد . وجعل السواد ههنا صفة للغرابيب .

واورد فى ذلك عن قتادة قال : ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ أى طرائق بيضٌ وحمرٌ مختلف الوانها اى جبال حمر وبيض وغرابيب سود ، ومثله عن الضحاك .

وفى تفسير القرطبى : الجُدد جمع جُدَّةٍ ، وهى الطرائق المختلفة الألوان ، وان كان الجميع حجرا او ترابا . قال الأخفش ولو كان جمع جديد لقال جُدُد بضم الجيم والدال نحو سرير وسرر وقال زهير :

كأنــه اسفــعُ الخديــن ذو جُدد طاوٍ ويرتـع بعـد الصيف عريانا

وقيل : ان الجُدد القِطَع . مأخوذ من جددت الشىء اذا قطعته حكاه ابن بحر وقال الزمخشرى : قرأ الزهرى (جُدُد) بالضم جميع جديدة ، وهى الجُدَّة ، يقال جديدة ، وجُدُد ، وجدائد كسفينة وسفن وسفائن ، وقد فسر بها قول ابى ذُويب :

والدهــر لايَبْقــىَ على حِدثانِه جَوْنُ السرَاةِ له جدائــدُ اربع

وروى عنه « جَدَدٌ » بفتحتين ، وهو الطريق الواضح ا لمسفر ، وضعه موضع الطرائق الواضحة المنفصل بعضهن من بعض .

وفى الحديث عن القيامة قال ﷺ قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء ، واذا اصحاب الجِدّ محبوسون ، اى ذوو الحظ والغنى فى الدنيا .

وفى الدعاء : ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، اى من كان له حظ فى الدنيا لم ينفعه ذلك منه فى الآخرة . وقال الجوهرى : أى لاينفع ذا الغنى عندك غناه ، وانما ينفعه العمل بطاعتك ، و (منك) معناه (عندك) قال ابن منظور أى لاينفع ذا الغنى منك غناه وقال ابو عبيد : وقد زعم بعض الناس انما هو : ولا ينفع ذا الجِد منك الجِدّ والجِدّ انما هو الاجتهاد فى العمل ، وهذا التاويل خلاف مادعا اليه المؤمنين ووصفهم لأنه قال فى كتابه العزيز : « ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » فقد امرهم بالجد والعمل الصالح وحمدهم عليه فكيف يحمدهم عليه وهو لاينفعهم .

وفى حديث الدعاء : تبارك اسمك وتعالى جَدّكُ أى علا جلالك وعظمتك.

وفى حديث ابن عمر : كان لا يبالى أن يصلى فى المكان الجَدَد أى المستوى من الأرض .

وفى حديث اسرعقبة بن ابى معيط : فوحل به فرسه فى جَدَد من الأمر وفى حديث ابن سيرين : كان يختار الصلاة على الجدُ ان قدر عليه ، أى الشاطىء .

وفى حديث عبدالله بن سلام : واذا جوادُ منهجٍ عن يمينى ، يعنى جَمْعَ جادَّةٍ وهى سَواءُ الطريق ، ووسطه ومعظمه .

وفى الحديث : نهى النبى ﷺ عن جَدَادِ النخل ، أى صرِام النخل ، وهو قطع ثمرها قال ابوعبيد : نهى أن تُجَد النخل ليلا ، ونهيه عن ذلك لمكان المساكين ، لانه يحضرونه فى النهار ، فيتصدق عليهم منه لقوله عز وجل : « وآتوا حقه يوم حصاده » واذا فعل ذلك ليلا فانما هو فارّ من الصدقة .

وفى حديث ابى بكر انه قال لابنته عائشة رضى الله عنها : انى كنت نحلتك جادَّ عشرين وسقا من النخل ، وبودى انك كنت حزتيه فاما اليوم فهو مال الوارث ، وتأويله انه كان نحلها فى صحته نخلا كان يجد منها كل سنة عشرين وسقا ، ولم يكن اقبضها ما نحلها بلسانه ، فلما مرض رأى النحل وهو

غير مقبوض غير جائز لها ، فاعلمها انه لم يصح لها ، وان سائر الورثة شركاؤها فيها .

وفى الحديث ايضا انه ﷺ اوصى بجادّ مئة وسق للأشعريين وبجاد مئة وَسْق للشَّنْبِيين ، الجَادُّ بمعنى المجدود ، أى نخلاً يُجَدُّ منه مايبلغ مئة وَسْقٍ .

وفى الحديث : من ربط فرساً فى سبيل الله فله جادُّ مئةٍ وخمسين وَسْقاً ، قال ابن الأثير : كان هذا فى أول الاسلام لعزة الخيل وقلتها عندهم .

وفى الحديث : لايأخُذَنَّ أحدكم متاعَ أخيه لاعباً جادّاً ، أى لايأخذه على سبيل الهَزْل ، يريد لا يَحْبِسْهُ فيصير ذلك الهَزْلُ جدا .

وفى الحديث : كان ﷺ اذا جَدَّ فى السير جمع بين الصلاتين ، أى اهتم به وأسرع فيه .

وفى حديث غزوة أُحُدٍ : لئن أشهدنى الله مع النبى ﷺ قَتْلَ المشركين لَيَرَ يَنَّ الله ماأجدُّ ، أى ماأجتهد .

وفى حديث الزُّبير : أن النبى ﷺ قال له : احْبِسِ الماءَ حتى يَبْلُغَ الجَدَّ ، الجَدُّ ههنا المُسَنَّاةُ ، وهو ماوقع حول المَزْرَعةِ كالجدار ، وقيل : هو لغةٌ فى الجُدُار ، ويروى : الجَدْر ، ويروى : الجذر بالذال .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وأنّه هو أَغْنى وأقنى » ؟ قال : أَغْنَى من الفقر ، وأغنى من الغنِى فقنع به قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، اما سمعت قول عنترة العَبسى :

فأقنى حياءك لاأبالك فاعلمى ... انى امرؤ سأموت ان لم اقتل

قال ابوتراب : هو من المعلقة الشهيرة وانظر البيت فى الشعراء (ص ٢٠٩) والغلاييني (ص ٢١٥) واللسان والمقاييس .

وفى تنوير المقباس (ص ٣٣٣) « أغنى وأقنى » أغنى نفسه عن خَلْقه ، وأفقر خلقه الى نفسه ، ويقال : « وانه هو اغنى » أرضى خَلْقه ، « وأَقْنَى » أَقْنَعَ ، ويقال : « وأنه أغنى بالمال ، وأقنى أرضى بما أعطى ، ويقال : وانه أغنى بالذهب والفضة وأقنى بالابل والبقر والغنم .

وفى مجاز القرآن لمعمر بن المثنى (ج ٢ ص ٢٣٨) : أغنى اقواما وجعل لهم قنية اصل مال .

وفى غريب القرآن لعبد الله بن مسلم (ص ٤٣٠) اى اعطى مايُقْتَنى من القنية والنشب يقال : أَقْنَيْتُ كذا ، وأقنانيه الله . ومثله فى معانى القرآن ليحى بن زياد (ج ٣ ص ١٠٢) .

وفى مفردات ابى القاسم : اى اعطى مافيه الغنى ومافيه القنية اى المال المدخر وقيل اقنى ارضى ، وتحقيق ذلك انه جعل له قنية من الرضا والطاعة ، وذلك أعظم الغناءين ، وجمع القنية قنيات ، وقنيت كذا واقتنيته ، ومنه :

(قنيت حيائى عفة وتكرما)

قال ابوتراب : هذا عجز بيت لحاتم و صدره :

(اذا قل مالى أو نكبت بنكبة)

وضبطوه بالكسر من قَنِى يَقْنَى كغَنِى يَغْنَى ، كما جاء قَنَى يَقْنِى كرَمَى يَرمِى ، وقنا يقنو فهو واوى يائى وهما لغتان عند الكوفيين وأما البصريون فجعلوا الواو بدلا من الياء .

قال ابن فارس : القاف والنون والحرف المعتل اصلان يدل احدهما على ملازمة ومخالطة والآخر على ارتفاع فى الشىء ، فالأول : قولهم قاناه : اذا خالطه ، كاللون يقانى لونا آخر غيره ، وقال الأصمعى : قانيت الشىء خلطته قال امرؤ القيس :

كبِكْرِ المقاناة البياضُ بصفرة غذاها نمير الماء غيرَ محلَّل

ومن ذلك قولهم : مايُقانينى هذا أى مايوافقنى ، ومعناه أنه ينبو عنه فلا يخالطه ، ومن الباب : قنى الشيء واقتناه : اذا كان ذلك معداله لا للتجارة ، ومال قُنيان ، يتخذ قنية ومنه ، قنيت حيائى لزمته ، واشتقاقه من القنية ، وانشد بيت عنترة المذكور.

وفى اللسان : قنوت العنز : اتخذتها للحلب ، والقِنوة والقَنوة والقِنية والقُنية الكِسبة ، ومال قنيان بالكسر والضم قال ابو المثلم الهذلى يرثى صخر الغىّ .

لو كان للدهر مال كان مُتْلِدَهُ　　لكان للدهر صخر مالَ قُنيانِ

وشاهد يقنى كيرضى قول الطَّماحى :

كيف رأيت الحَمِقَ الدَّلَنظَى　　يُعْطَى الذى ينقصُه فيَقْنَى

وانشد ابن برى :

فاقنَىْ حياءك لاابالك اننى　　فى ارض فارس موثقٌ احوالا

قال الكسائى : يقال : أقنى واستقنى وقنا وقَنَّى : اذا حفظ حياءه ولزمه ، وقال ابن شميل : قنَانى الحياء ان افعل كذا : أى ردنى ووعظنى وأنشد :

وانى ليقنينى حياؤك كلما　　لقيتك يوما ان ابثك مابيا

وقال الليث : يقال قنا الانسان يقنو غنما وشيئا ، وهو أن يتخذه لنفسه لا للبيع وأنشد .

وان قناتى ان سألت وأسرتى　　من الناس قوم يقتنون المُزَنَّما

والقنى الرضا . وقد قَنَّاه الله تعالى وأقناه : اعطاه مايقتنى من القنية والنشب ، وأقناه الله ايضا : اى رضاه ، واغناه الله وأقناه : اى اعطاه مايسكن اليه ، وفى التنزيل العزيز : « وأنه هو أغنى وأقنى » قال ابو اسحاق : قيل فى « أقنى » قولان : احدهما أقنى : أرضى ، والآخر : جعل قنية ، اى جعل الغنى اصلا لصاحبه ثابتا ، ومنه قولك : قد اقتنيت كذا وكذا ، اى عملت على انه يكون عندى لا أخرجه من يدى قال الفراء : أغنى : رَضَّى الفقير بما أغناه وأقنى

من القِنية والنشب وقال ابن الأعرابى : اقنى اعطاه مايدخره بعد الكفايـة ، ويقال : قَنِيُت به أى رضيت به .

وفسر قول المتلمس :

وألقيتهـا بالثنـى من جنـب كافر كذلك أقنـو كلَّ قِطٍّ مضلَّل

بانه بمعنى ارضى ، وبأنه بمعنى ألزم واحفظ ، وبانه بمعنى أجزى وأكـافىء والمَقْنُوَة خفيفة مِن الظل حيث لا تصيبه الشمس فى الشتاء قال ابو عمرو مقناةٌ ومقنوةٌ بغير همز ، قال الطرماح :

فى مقانِـى أُقَـنٍ بينها عُرَّة الطـير كصوم النعامِ

قال ابوتراب : واذا همز خرج عن القياس فالقانى شديد الحمرة ، وربما همزوا مقنأة الظل والأول اشبه بالقياس والقنا : مصدر الأقنى من الأنوف ، وهو ارتفاع فى اعلاه من القصبة والمارن من غير قبح ، قال ابن سيدة : والقنا ارتفاع فى اعلى الأنف ، واَحْديدابُ فى وَسَطِه ، وسُبوغُ فى طرفه ، ورجل أقنى وامرأة قنواء قال كعب :

قَنْـواءُ فى حُرَّتَيْهـا للبصير بها عتـق مبـين وفى الخديـن تسهيل

وقد يوصف بذلك البازى و الفرس وهو فى الفرس عيب وفى البازى مدح قال ذو الرمة :

نظـرت كما جَلَّ على رأس رَهْوَةٍ من الطير أقنى ينفض الطلَّ ازرقُ

وقال ابو عبيدة : القنا فى الخيل احديداب فى الأنف يكون فى الـهُجُـن وانشد لسلامة بن جندل .

ليس بأقنـى ولا اَسْفـىَ ولاسَغِلٍ يُسقى دواءَ قَفِـىِّ السَّكنِ مَرْبوبِ

ورجل قَنَاء ومُقَنٍّ أى صاحب قنا ، وانشد .

(عَضَّ الثقافَ خُرُصَ المُقَنِّى)

وشاهد القناة بمعنى العصا ما أنشده ابن الاعرابى فى صفة بحر

اظـل من خوف النَّجـوخ الأخضر كأننـى فى هوة أُحدَر

وتــارةً يُسندنــى فى أوعر من السراة ذى قنــا وعرعر

كذا انشده (فى اوعُر) جمع وعر ، واراد ذوات قنا ، فاقام المفرد مقام الجمع .

وقال ابن سيدة : وعندى انه (فى اوعَر) لوصفه اياه بذى قنا فيكون المفرد صفة للمفرد

قال ابو تراب : والشعر فيه إقواء كما ترى .

قال ابو بكر : وكل خشبة عند العرب قناة وعصا ، والرمح عصا وانشد قول الاسود بن يعفر

وقالوا شريس قلت يكفى شريسَكم سنان كنبراس النهامى مفتّق

نمْتــه العَصَا ثم استمــرَ كأنه شهــاب بكفّــى قابس يتحَرُق

قال ابن الأعرابى : النهامى الراهب وقال الأصمعى : هو النجار

والقناة عند العرب القامة وانشد ابوبكر

سبــاط البنــان والعرانــين والقنا لطــاف الخصور فى تمــام واكمال

أراد بالقنا القامات .

والقنو العذق ، والجمع القنوان والأقناء ، وقال :

قد ابصرت سعــدى بهــا كتائلى طويلــة الاقنــاء والأثاكل

قال الأزهرى : « قنوان دانية » قال الزجاج : اى قريبة المتناول والقنو الكباسة ، وهى القِنا ايضا ، مقصور ، ومن قال : قنو فانه يقول للاثنين قِنوان بالكسر والجمع قُنوان بالضم ، ومثله صنو وصنوان وقد تقدم عن الليث قِنيان وقُنيان ، قال الفراء : اهل الحجاز يقولون : قِنوان وقيس قُنوان وتميم وضبة قُنيان وانشد :

(ومالَ بقُنيانٍ من البُسرْ احمرا)

قال : ويجتمعون فيقولون قِنو وقُنو ، ولا يقولون : قِنُىُ ، وكلب تقول : قِنيان

قال قيس بن العيزارة الهذلى :

بما هى مقناة أنيق نباتها مَرَبٌ فتهواها المخاض النوازع

قال الأصمعى : ولغة هذيل مفناة بالفاء .

وفى تهذيب الأزهرى : قانى لك عيش ناعم : أى دام وأنشد يصف فرسا .

قانَى له بالقيظ ظلٌ بارد ونَصِّى ناعجةٍ ومحضٌ مُنْقَع

حتى اذا نبح الظباء بداله عِجَلٌ كأحمرة الشريعة أربع

العِجَل جمع عِجْلة وهى المزادة مثلوثة أو مربوعة .

قال الهجرى : وأقناك الصيد ، ولك امكنك ، وانشد :

يجوع اذا ماجاع فى بطنِ غيره ويَرمى اذا ما الجوع اَقْنَتْ مقاتلُهْ

وفى الحديث : فأقنوهم أى علموهم واجعلوا لهم قُنية من العلم يستغنون به اذا احتاجوا اليه ، ونهى عليه الصلاة والسلام عن ذبح قَنِيّ الغنم ، قال ابو موسى هى التى تُقتنى للدرّ والولد ، وقال عمر : لو شئت امرت بقنيّة سمينة فالقى عنها شعرها ، وفى حديث وابصة : والاثم ماحك فى صدرك ، وان أقناك الناس عنه وأقنوك أى ارضوك . حكى ابو موسى ان الزمخشرى قال ذلك وان المحفوظ بالفاء والتاء من الفتيا . قال ابن الاثير : والذى رآيته انا فى « الفائق » (أفتوك) بالفاء وفسره بارضوك . وجعل الفتيا ارضاء من المفتى . على انه قد جاء عن ابى زيد ان القِنَى الرضا . وأقناه : اذا أرضاه .

وفى صفة سيدنا رسول الله ﷺ كان أقنى العرنين . والقنا فى الأنف طوله ودقة أرنبته مع حدب فى وسطه . والعرنين الأنف .

وفى الحديث : يملك رجل أقنى الأنف .

وفيه أيضا : انه ﷺ خرج فرأى أقناء معلقة . قنو منها حشف . فقال : ان صاحب هذا يأكل حشفا فى الجنة . والقنو هو العذق بما فيه من الرطب .

وفى حديث انس عن ابى بكر وصبغه : فغلفها بالحناء والكَتَم حتى قنا لونها أى احمرّ . وروى اذا أحب الله عبدا اقتناه فلم يترك له مالا ، ولا ولدا اى اتخذه واصطفاه .

وقال الطبرى فى تفسيره : يقول تعالى ذكره : وأن ربك هو أغنى من أغنى من خلقه بالمال وأقناه فجعل له قنيةَ اصولِ اموال ، وروى فى ذلك عن ابى صالح وقال آخرون عنى بقوله « أغنى » أخدم وروى فى ذلك عن مجاهد قال : أغنى موّل وأقنى أخدم ، وبه قال الحسن وقتادة ، وقال آخرون : اقنى رَضّى وروى فى ذلك عن ابن عباس ومجاهد ايضا ، وقال آخرون : بل عنى بذلك انه أغنى نفسه وأفقر خلقه اليه ، وروى فى ذلك عن المعتمر بن سليمان عن ابيه ، وقال آخرون بل عنى بذلك أنه أغنى من شاء وأفقر من شاء من خلقه ، وروى فى ذلك عن ابن زيد ، واختاره الطبرى .

وقال سفيان : اغنى بالقناعة وأقنى بالرضا وقال الأخفش أقنى أفقر . وقال ابن كيسان : أقنى أولد .

وعن ابى زيد : تقول العرب : من أُعطى مئة من المعز فقد أعطى القِنَى ومن أعطى مئة من الضأن فقد أعطى الغِنَى ، ومن أعطى مئة من الابل فقد أعطى المنى ، ويقال : أغناه الله وأقناه أى اعطاه مايسكن اليه .

وقال القرطبى : وقيل : « أقنى » جعل لكم قنية تقتنونها . وهو معنى أخدم ايضا وقيل : معناه أرضى بما اعطى أى أغناه ثم رضاه بما اعطاه قاله ابن عباس .

قال أبو تراب : ولم يذكر هذه المادة ابن الجوزى ولا الدامغانى فى الوجوه والنظائر مع انها فى قنوان وفى اقنى .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : اخبرنى عن قوله تعالى : « وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا »؟ قال لاينقصكم بلغة بنى عبس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الحطيئة العبسى :

ابلغ سراة بنى سعد مغلغلة   جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا

قال ابوتراب : البيت فى الديوان (ص ٧٠) ومجاز ابى عبيدة (ج ٢ ص ٢٢١) واستشهد به الطبرى والقرطبى فى التفسير والشوكانى وهو فى مختارات شعراء العرب (ص ١٢٨) واللسان .

وفى التنوير (ص ٣٢٤) « لايلتكم » لاينقصكم من ثواب حسناتكم .

وفى غريب ابن عزيز (ص ٢٥٧) يلتكم ويألتكم أى ينقصكم يقال : لات يليت وألت يألت لغتان .

قال ابو عبيدة فى المجاز (ج ٢ ص ٢٢١) : « لايألتكم من اعمالكم شيئا » اى لاينقصكم ، لايحبس ، وهو من ألت يألت ، وقوم يقولون : لات يليت وقال رؤبة

وليلة ذات ندىً سريتُ ولم يَلِتْنَى عن سراها لَيْتُ

وبعضهم يقول : ألاتنى حقى ، وألاتنى عن وجهى وعن حاجتى أى صرفنى عنها وأنشد بيت الحطيئة المذكورة وبيت رؤبة استشهد به القرطبى ايضا وهو فى الطبرى كما يأتى .

وقال الفراء يقال ما ألاته من عمله شيئا اى مانقصه مثل ماألته وانشد :

ويأكلن ما أعنى الولىُ فلم يَلِتْ كأن بحافات النِهاءِ المزارعا

أعنى بمعنى انبت والولىَ المطر .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٤١٦) : لايلتكم » اى لاينقصكم وهو من لات يليت ويلوت ومنها لغة اخرى : ألت يألت ألتا . وقد جاءت اللغتان جميعا فى القرآن . قال : « وما ألتناهم من عملهم من شيء » والقرآن يأتى باللغتين المختلفتين كقوله فى موضع « تملى عليه » وفى موضع آخر : « فليملل وليه بالعدل » .

وقال الفراء فى المعانى (ج ٣ ص ٧٤) : « لايلتكم » لاينقصكم ، ولا يظلمكم من اعمالكم شيئا و هى من لات يليت والقراء مجمعون عليها . وقد قرأ بعضهم : (لايألتكم) ولست اشتهيها لانها بغير الف كتبت فى المصاحف ،

وليس هذا بموضع يجوز فيه سقوط الهمز ، الا ترى قوله : (يأتون) و (يأمرون) و (يأكلون) لم تلق الالف فى شىء منها لانها ساكنة ، وانما تلقى الهمزة اذا سكن ماقبلها ، فاذا سكنت هى نعنى الهمزة ثبتت فلم تسقط ، وانما أجترا على قراءتها (يألتكم) انه وجد « وما ألتناهم من عملهم من شىء » فى موضع فاخذ ذامن ذلك فالقران ياتى باللغتين المختلفتين الا ترى قوله : « تملى عليه » وهو فى موضع آخر : « فليكتب وليملل » ولم تحمل احداهما على الاخرى فتتفقا ، ولات يليت ، وألت يألت لغتان وفى لغات القبائل لابن سلام ج ٢ ص ١٨٤ و ١٩٤ هامش الجلالين : « لايلتكم » لغة قيس غيلان « وما ألتاهم » لغة حمير .

قال ابوتراب : الحق مع الفراء فى عدم حمل لغة على اخرى فى آيتين مختلفتين ولكن اذا قرئت اية واحدة بلغتين وثبت ذلك كان ذلك حرفين من القرآن نزل بهما معا ، وهو سبعة احرف فالجمهور فى هذه الآية من الحجرات على لغة الحجاز من لات يليت « يلتكم » كما قال ابو حيان والحسن والأعرج وابو عمرو على لغة غطفان وأسد « لايألتكم » واختارها ابو حاتم وهذه مهموزة الفاء وتلك من الأجوف ، وليست قراءة الهمزة حملا على آية الطور : « وما ألتناهم » وانما قراءة اخرى فى آية الحجرات نفسها ، الا ان الطبرى يقول : ان ابا عمرو قرأ بالألف اعتبارا منه فى ذلك بقوله : « وما ألتناهم » وكأن هذه القراءة لم تثبت عنده لذلك وصم الفراء من قرأها بالاجتراء كما سبق من كلامه ، وقال الطبرى انه لم يقرأها سوى ابى عمرو ، وقال ابو حيّان فى البحر (ج ٨ ص ١١٧) انه قرأها غيره ايضا كما ذكرنا آنفا قال ابو جعفر فى جامع البيان :

قرأت قراء الامصار (لايلتكم) بغير همز ولا ألف سوى ابى عمرو فانه قرأ ذلك (لايألتكم) بألف اعتبارا منه فى ذلك بقوله (وما التناهم) ومن قال : ألت قال : يألت وأما الآخرون فانهم جعلوا ذلك من لات يليت كما قال رؤبة ابن العجاج ـ وذكر البيت المار آنفا ـ ثم قال : والصواب من القراءة عندنا فى ذلك ماعليه قراء المدينة والكوفة (لايلتكم) بغير الف ولا همز على لغة من قال لات

يليت لعلتين احداهما اجماع الحجة من القراء عليها والثانية انها فى المصحف بغير الف ، ولا تسقط الهمزة فى مثل هذا الموضع ، لانها ساكنة ، والهمزة اذا سكنت ثبتت ، كما يقال : تامرون وتاكلون ، وانما تسقط اذا سكن ماقبلها ولا يحمل حرف فى القرآن اذا اتى بلغة على آخر جاء بلغة خلافها ، اذا كانت اللغتان معروفتين فى كلام العرب ، وقد ذكرنا ان ألت ولات لغتان معروفتان من كلامهم .

وأورد الطبرى فى معناه لاينقصكم ولا يظلمكم أثرا عن مجاهد وقتادة .

وقال ايضا : الألت فى كلام العرب النقص والبخس فى قوله : « وما ألتناهم » وفيه لغة اخرى (وما لتناهم) ولم يقرأبها احد نعلمه ، ومن الألت قول الشاعر

ابلغ بنى ثُعَلٍ عنى مغلغلة جهد الرسالة لاألَتْاً ولا كذبا

يعنى لا نقصان ولا زيادة ، وروى فى ذلك عن ابن عباس ومجاهد والربيع ابن انس وسعيدين جبير وقتادة والضحاك وابن زيد .

وفى جامع الأحكام للقرطبى : قرأ ابن كثير (وما ألْتِناهم) وقرأ ابو هريرة (وما آلتناهم) وكلها بمعنى النقصان كما قال ابن الأعرابى .

قال ابوتراب : وفات الراغب الاصفهانى أن يذكر مادة الألت فى المفردات فلتستدرك ، وانما ذكر اللَّيت ، وقال : واصله رد اللّيت اى صفحة العنق وفسر بيت رؤبة المذكور بانه لم يصرفنى عنه قولى ليته كأن كذا واعرب (ليت) ههنا فجعله اسما كقول الآخر : (ان ليتا وان لوًا عناء) وقيل : لم يلتنى عن هواها لائت اى صارف فوضع المصدر موضع اسم الفاعل .

وفى الأساس : كَدَمَتِ الأُتُنُ لِيْتَىِ الحمار اى صفحَتىْ عنقِه والقرطان يتذبذبان فى لِيْتَيْها وتقول مافى مزاودهم ألْتٌ ولا فى مزايدهم أمْتٌ وهما عنده مادتان .

وأورد ابن فارس قوله تعالى : « لا يَلِتْكم من أعمالكم شيئاً » فى الألْتِ فكأنّه خرج مَخْرج قراءة أبى عمرو : (لا يَأْلِتْكم) وقال : هذه الكلمة تدل على

النقصان وأورد ايضاً « لا يَلِتْكم » فى اللَّيْتِ ، وقال : اللام والياء والتاء كلمتان لاتنقاسان إحداهما اللِّيتُ صفحةُ العنق والأخرى اللَّيْتُ وهو النَّقْصُ ، واللَّيْتُ الصَّرْفُ وأنشد بيت رؤبة المذكور بدون نسبة ، كما فى اللسان .

قال ابو تراب : أرى أن الأصل فيه هو معنى الصَّرْف ، ولاتَه صَرَفه ، فاذا صُرِفَ شيء عن شيء فلم يَنَلْ فقد نَقَص وَتَقَاصَرَ عن مُبتغاه ، وكذلك اذا صُرِف العُنُق فقد اَخْتَلَ الشَّكْلُ عن مستواه ، وهو نقصانٌ ايضاً فى الصورة وانقلابٌ فى الهيكل ، فكأن معنى النقصان والبخس جاء من هذا فى هذه الصيغة والله أعلم .

وبيت رؤبة فى إصلاح المنطق لابن السكيّت ص ١٥٣ والمخصّص لابن سِيْدَهْ (ج ١٤ ص ٢٠) قال محمد عبد السلام هارون محشّى المقاييس : وليس فى ديوانه ولا فى ملحقاته ولا ديوان العجّاج .

قال ابو تراب : هو منسوب اليه فى المجاز لأبى عبيدة وتفسير الطبرى والقرطبى ، ولم ينسبه فى الأساس .

قال فى اللسان : والأَلْتُ الحِلف ، وأَلَتَه بيمينٍ أَلْتاً : شدّد عليه ، وأَلَتَ عليه : طلب منه حَلِفاً أو شهادةً يقوم له بها ، ورُوى عن عمر أن رجلاً قال له : اتق الله يا أمير المؤمنين ، فسمعها رجلٌ فقال : أتَأْلِتُ على أمير المؤمنين فقال عمر : دَعْهُ ، فلن يزالوا بخيرٍ ما قالوها لنا ، قال ابن الأعرابى : معنى قوله : أتَأْلِتُه : أتَحُطُّه بذلك ؟ أتَضَعُ منه ؟ أتُنَقِّصِهُ .

قال الأزهرى : وفيه وجه آخر ، وهو أشبه بما أراد الرجل ، رُوى عن الأصمعى انه قال ، أَلَتَه يميناً يَأْلِتُه أَلْتاً : اذا أَحْلَفَه ، كأنه لمّا قال له : اتق الله قد نشده بالله ، تقول العرب : أَلَتُّك بالله لَمَا فعلتَ كذا ، معناه : نشدتك بالله .

والأَلْتُ القَسَم يقال : اذا لم يُعْطِك حَقَّك فقَيِّدْه بالأَلْتِ ، وقال ابو عمرو : الأُلْتَةُ اليمين الغموس ، والعَطِيّة الشَّقْنَةُ .

وأَلَتَه ايضاً حَبَسَهُ عن وجهه وصَرَفه مثل لاتَه يَلِيْتُه ، وهما لغتان ، حكاهما اليزيدى عن أبى عمرو بن العَلاَء ، وأَلَتَه مالَه وحَقَّه يَأْلِتُه أَلْتاً ، وألاتَه وآلَتَه

اياه ؛ نَقَصَه ، وفى حديث عبد الرحمن بن عوف يومَ الشورى : ولا تُغْمِدُوا سيوفَكم عن اعدائكم فتُوْلِتُوا أعمالَكم ، قال القُتيبىُّ : أى تَنْقُصُوها ، يُريد أنهم كانت لهم أعمال فى الجهاد مع رسول الله ﷺ ، فاذا هم تركوها ، وأغمدوا سيوفَهم واختلفوا نقصوا أعمالَهم ، قال : ولم أسمع أولت يُولتُ الاّ فى هذا الحديث وقوله : « وما أَلَتْناهم » قال : يجوز أن يكون من أَلَتَ ، ومن أَلاتَ ، ويكون ألاَتَه يُليتُه : اذا صرفه عن الشيء . قال كُراع : والأَلْتُ البُهتان .

وقال عُروة بن الورد وأنشده شَمِرُ :

ومُحْسِبَةٍ ما أخطأ الحقُّ غيرَها   تَنَفَّسَ عنها حَيْنُها فهى كالشَّوِى
فأعْجَبَنى إدامُها وسَنامُها   فبِتُّ أُلِيتُ الحقَّ والحقُّ مُبْتَلِى

أُليتُ الحقَّ : أصرفه وأُحيله .

قال ابن الأعرابى : سمعت بعضَهم يقول : الحمد لله الذى لا يُفاتُ ولا يُلاتُ ، ولا تشتبه عليه الأصوات ، ومعناه : لا يُنْقَص ولا يُحْبسُ عنه الدعاء ، وقال خالد بن جَنْبَةَ : لا يُلاتُ أى لا يأخذ فيه قولُ قائلٍ ، أى لا يُطيع أحداً .

قال : وقيل للأسَدِيَة : ما المُداخَلَةُ ؟ فقالت : أن تُلِيْتَ الانسانَ شيئاً قد عملَه ، أى تَكْتُمَهُ ، وتأتِىَ بخبَرٍ سواه . ولاتَه لَيْتاً أى أخبره بالشيء على غير وجهه ، وقيل : هو أن يُعَمِّىَ عليه الخبر ، فيُخبَرهُ بغير ما سأله ، قال الاصمعى : اذا عَمَّى عليه الخبر قيل : قد لاتَه يلِيتُه لَيْتاً .

والِلّيْتُ أدْنَى صَفْحَتَىِ العُنُق من الرأس عليهما يَنحدر القُرطان ، وهما وراء لهْزِمَتَىِ اللّحْيَيْنِ ، وقيل : هما موضع المِحْجَمَتَيْنِ ، والجَمْع أَلْيَاتُ وليْتَةُ .

وفى الحديث : يُنْفَخُ فى الصُّورِ فلا يسمعه أحَدٌ الاّ أصْغَى لِيْتاً أى أمال صفحةَ عُنُقِه .

قال ابو تراب : وفى الحديث : لا تقوم الساعة حتى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نساءِ دَوْسٍ على ذى الخَلَصةِ ، وهو بيت كان فيه صَنَمٌ لهم ، ومعناه : ان دوساً تَرْتَدُّ عن الاسلام فتطوف نساؤهم بذى الخَلَصة والأَلَيَاتُ هنا الأعجاز واحدها أَلْيَةُ وهى

مهموزة الفاء معتلّة الآخر . وليست من الأُلْيَاتِ التى ذكرناها آنفاً فانها من الأجوف والتاء فيها أصل الكلمة والألف للجمع ووزنها أفْعالٌ . وأمّا وَزْن هذه فَفَعَلاَتُ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » ؟

قال : الأَبُّ ما يَعْتَلِفُ منه الدوابُّ . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم . أما سمعت قول الشاعر :

تَرى به الأَبَّ واليَقطِينَ مُخْتَلِطاً على الشريعة يجرى تحته الغرب

وفى التنوير (ص ٣٨١) : « وأبًّا » يعنى الكلأ . وهو التِّبْنُ .

وفى مجاز أبى عبيدة (ج . ص ٢٨٦) : الأَبُّ كل مَرْعىً للهوام .

وفى غريب ابن عزيز (ص ٢٨) : هو ما رعتْه الأنعام . ويقال الأب للبهائم كالفاكهة للناس .

وفى معانى الفراء (ج ٣ ص ٢٢٨) : الأَبُّ ما تأكله الأنعام . كذلك قال ابن عباس .

وفى غريب ابن قتيبة (ص ٥١٥) : الأَبُّ المَرْعَى .

قال الراغب فى المفردات : الأَبُّ المَرْعَى المتهيِّىء للرَّعْىِ والجزّ من قولهم : أَبَّ لكذا . أى تَهَيَّأَ أَبًّاوإباباً .إباباً . وأَبَّ الى وَطَنِه اذا نَزَع الى وطنه . نزوعاً تَهيَّأَ لِقصدِه . وكذا أَبَّ لسيفه اذا تَهيَّأَ لِسَلِّهِ . وإبَّانُ ذلك فِعْلانٌ منه . وهو الزمان المُهَيَّأُ لفعلِه ومجيئه .

قال الزمخشرى فى الأساس : اطلب الأمر فى إبّانِه . وخُذْه بِرُبَّانِـه . أى أوله . وأنشد ابن الأعرابى :

قد هَرَّ مَتْنى قبل إبّان الهَرَمْ وَهْى اذا قلتُ كُلى قالت نَعَمْ
صحيحُة المِعْدَةِ من كل سَقَمْ لو أكَلَتْ فِيْلَينْ لم تَخْشَ البَشَمْ

وأبَّ للمسير اذا تهيأ وتَجَهَّز . قال الأعشى :

صَرَمْتُ ولم أصرمكمو وكصارمٍ أخٌ قد طَوى كشْحاً وأبَّ لِيَذْهَبَا

قال ابو تراب : وضُبط فى الأساس : (صرمتِ) وهو خطأ .

وتقول : فلان رَاعَ له الحَبُّ ، وطاع له الأبُّ ، أى زَكا زرعُه ، واتَّسَعَ مَرعْاهُ .

وقال ابن فارس : ان للهمزة والباء فى المضاعف أصلين ، أحدهما المَرْعَى ، والآخر القَصْد والتَّهَيُّؤ . فأما الأول فقول الله عز وجل : « وفاكهةً وأبًّا » قال ابو زيد الأنصارى : لم أسمع للأبِّ ذِكْراً الاّ فى القرآن .

قال الخليل وابو زيد : الأبُّ المَرْعَى بوَزْنِ فَعْلٍ ، وأنشد ابن دريد :

جِذْمُنا قيس ونَجْدٌ دارُنا ولنا الأبُّ به والمَكْرَعُ

وأنشد شُبيل بن عَزْرَةَ لأبى دُوادٍ :

يَرْعى بِرَوْضِ الحَزْن من أبّهِ قُربانُه فى عانةٍ تَصْحَبُ

أى تَحْفَظُ . يقال : صَحِبَك الله أى حَفِظَك .

قال ابو تراب : فى اللسان : (قُربانه فى عابِه يَصْحَبُ) ونسب البيت الى أحد الهذليين .

قال ابو اسحاق الزَجّاج : الأبُّ جميع الكَلأ الذى تَعْتَلِفُه الماشية .

كذا رُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ابن فارس : فهذا أصْلٌ .

وأمّا الثانى فقال الخليل وابن دُريد : الأبُّ مصدر أبَّ فلان الى سيفه : اذا ردّ يَدَهُ اليه لِيَسْتَلَّه . والأبُّ فى قول ابن دريد النِزاع الى الوطن ، والأبُّ فى روايتها التَهيُّؤ للمسير . وقال الخليل وَحْدَهُ : أبَّ هذا الشيء : اذا تَهَيَّأ واستقامتْ طريقته ابابةً ـ بالفتح والكسر . وفى اللسان ، المعروف عن ابن دريد الكسر ـ وأنشد الخليل للأعشى ـ البيت المذكور .

قال ابو تراب : وفسرّه فى اللسان بقوله : أى صرمتكم فى تَهَيُّئِى لمفارقتكم ومن تهيأ للمفارقة فهو كمن صرم ، وفى الجمهرة : انه يذكر قوماً نزل فيهم فخانوه .

وقال هشام بن عقبة فى الإبابة : ـ قال ابو تراب : هو أخوذى الرمة كما فى الأغانى ج ١٦ ص ١٠٧ .

وأَبَّ ذو المَحْضَرِ البـادى إبابتَه   وقَـوَّضَتْ نِيَّـةٌ أطنـابَ تخييم

وقال ابن فارس : وذكر ناسٌ أن الظِّباءَ لا تَرِد ، ولا يُعرف لها وِرْدٌ ، قالوا : ولذلك قالت العرب فى الظِّباء : « إنْ وَجَدَتْ فلا عَبابَ ، وإنْ عَدِمَتْ فلا أَبابَ » معناه : إنْ وجدتْ ماءً فلا تَعُبُّ فيه ، وإنْ لم تجده لم تَأْبُبْ لطلبِه والله أعلم بصحة ذلك .

قال ابو تراب : فى اللسان : أبَّ يَؤُبُّ وَيئِبُّ أبًّا وأبيباً وأبابة تهيأ للذهاب وتجهز « لم تَأْتَبَّ لطلبه » .

قال ابن فارس : والأبُّ القَصْد . يقال : أبَبْتُ أبَّهُ . وأَمَمْتُ أمَّهُ . وحَمَمْتُ حَمَّهُ . وحَرَدْتُ حَرْدَه . وصَمَدْتُ صَمْدَه . قال الراجز يصف ذئباً :

مَرَّ مُدِلٌ كرشاء الغَرْبِ فأبَّ أبَّ غنَمِـى وأبّى

أى قَصَد قَصْدَها وقَصْدِى .

قال ابو تراب : والأصلان اللذان أصّلهما ابن فارس للأبّ وهما المَرْعَـى والتَّهَيُّؤ يمكن ردُّ أولّهما الى الثانى ، فالمرعى الذى تعتلفه الدوابُّ لا ترعاه الاّ اذا كان كَلَؤُه متجهّزاً دانياً . والله أعلم . واذا كان الأبُّ القَصْد فالمرعـى مقصود الدَّوابّ .

قال ابو حنيفة : سمّى الله تعالى المَرْعى كلّه أبًّا . وقال مجاهد : الفاكهة ما أكله الناس . والأبُّ ما أكلت الأنعام . فالأبُّ من المَرْعَى للدوابّ كالفاكهـة للإنسان . وقال ثعلب : الأبُّ كلُّ ما أخرجت الأرض من النَّبات . وقال عطاء : كلُّ شيء ينبت على وجه الأرض فهو الأبُّ .

وفى حديث أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قرأ قوله عز وجل : « وفاكهةً وأبًا » وقال : فما الأبُ ؟ ثم قال : ما كُلِفْنَا وما أُمرنا بهذا .

والأبُ المَرْعَى المُتَهَيءُ للرَّعْىِ والقَطْع ، ومنه حديث قُس بن ساعدة : فجَعَلَ يَرْتَعُ أبًا ، وأصيد ضَبًا .

قال ابو عبيد : أبَبْتُ أَؤُبُ أبًا اذا عزمتَ على المسير وتهيّأتَ وهو فى أبابِه وإبابتِه وأبابته أى فى جهَازِه .

وفى تهذيب الأزهرى : والْوَبُ : التهيُّؤ للحَمْلة فى الحرب يقال : هَبَّ وَوَبَّ اذا تهيّأ للحَمْلة . قال ابو منصور : والأصل فيه أبَّ فقُلبت الهمزة واواً ، وقال ابن الأعرابى : أبَّ اذا حرّكَ ، وأبَّ اذا هَزَم بحملة لا مكذوبةَ فيها .

والأُباب الماء والسراب ، وأنشد ابن الأعرابى :

قَوَمْنَ ساجاً مُسْتَخَفَ الحِمْلِ تَشُقُّ أعراف الأُباب الحَفْلِ

أخْبَر أنها سُفُن البَر ، وأُبابُ الماء : عُبابُه ، قال : (أُبابُ بَحْرٍ ضاحك هَزوقِ)

قال ابن جنّى : ليست الهمزة فيه بَدَلاً من عَينِ عُبابٍ ، وإنْ كنا قد سمعنا ، وإنّما هو فُعال من أبَّ إذا تَهَيَّأَ .

وروى عن ابن الأعرابىّ : استَئِبَّ أباً ، أى اتخِذْهُ ، وهذه نادرةٌ ، فالقياس : استَأْب .

قال ابو تراب : ذلكَ لأنه ناقص ، والأول مضاعف .

وروى الطبرى فى معنى الأبّ : « فاكهةً وأبًا » عن ابن عباس أنه نبت الأرض مما تأكله الدوابُ ولا يأكله الناس ، وعنه انه الكلأ والمرعى كلُّه ، وعن مجاهد : الفاكهة ما أكله الناس ، ومثله عن الحسن ، وقتادة ، وابن زيد ، وعن ابى رزين : الأبُ النبات وعن مجاهد : الأبُ المَرْعَى ، وعن الحسن : الأبُّ ما تأكل الأنعام ، ومثله عن مجاهد أيضاً ، وقتادة ، وقال الحسن الأبُّ العشب ، وعن الضحاك : المرعى ، ومثله عن ابن زيد .

وأيضاً عن عليّ وابن عباس : الأبّ الثمار الرطبة .

وفى تفسير القرطبى : قيل : انما سُمّى أبًّا لأنه يُؤَبُّ أىْ يُؤَمُّ ويُنْتَجعْ والأبُّ والأُمُّ أخوان ، وأنشد : (جِذْمُنا قيسٌ) الخ وقد تقدم ، قال : ومنه قول الشاعر يمدح رسول الله ﷺ :

له دعــوةٌ ميمونـــةٌ ريحُهــا الصَّبَا　　بهـا يُنبت اللّـه الحَصيــدةَ والأبَّا

وعن ابن أبى طلحة : الأب الثمار الرطبة ، وقال الضحاك : وهو التين خاصةً وهو مَحْكِيٌّ عن ابن عباس ايضاً ، قال الشاعر :

فما لهــم مَرْتَــعٌ للسَّوام والأبُّ عندهــم يُقْدَرُ

وقال الكلبى : هو كل نبات سوى الفاكهة ، وقيل : الفاكهة رطب الثمار والأبُّ يابسُها . وقال ابراهيم التيميّ : سئل ابو بكر رضى الله عنه عن تفسير الأبّ فقال : أى سماء تُظِلُّنى ، وأىُّ أرض تُقِلُّنِى اذا قلت فى كتاب اللّه ما لم أعلم .

قال ابو تراب : وقد تقدم مثله عن عمر ، وهو الذى قال : اتبعوا ما بُيِّنَ لكم من هذا الكتاب ، وما لا فدعوه ، ورفع عصاً كانت بيده ، فقال : هذا لعمر الله من التكلُّفُ ، وما عليك يا ابن أمّ عمر ألاّ تدرى ما الأبُّ ؟

قال ابو تراب : انه قال ذلك لأنهم نُهُوا عن التكلُّف ، قال تعالى « ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم » .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « علم اللّه أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهنّ سرًّا » ؟ قال : الجماعُ قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول امرىء القيس :

ألاَ زعمــت بَسْبَاســةُ اليــومَ أننى　　كَبِـرْتُ وأنْ لا يُحْسِنُ السرَّ أمثالى

قال ابو تراب : البيت فى ديوانه (ص ٦٠) واستشهد به القرطبى والشوكانى فى تفسيرهما وهو فى مجاز أبى عبيدة (ج ١ ص ٧٦) والعينى (ج ١ ص ١٩٧) والخزانة (ج١ ص ٣١) ومعانى الفراء (ج ١ ص ١٥٣) والسرُّ هنا كما فسرَه ابن عباس فى هذه الرواية الجماع ، وفى رواية عنه عند الطبرى : الزَّنيَةُ ، أو الرِيّبة كما صحّحه الاستاذ محمود شاكر فى تعليقه على تفسير أبى جعفر ، وهى كناية عن كل أمر قبيح ، وفى رواية عن ابن عباس ايضاً : هو أن يقول لها : عاهدينى أن لا تتزوّجى غيرى .

واختلف العلماء فى معنى السرّ فى هذه الآية فذهب الشافعى الى انه الجماع أى لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ترغيباً لهن فى النكاح ، فان ذكر الجماع مع غير الزوجة فحش ، وشاهده قول امرىء القيس المتقدم ، وقال رؤبة :

(فكفَّ عن أسرْارها بعد العَسَقْ ولم يُضَعْها بين فَرْكٍ وعَشَقْ)

أى كف عن جماعها بعد ملازمته لذلك .

وقد يكون السرُّ عُقدةَ النكاح ، سرًّا كان أو جَهْراً ، قال الأعشى :

فلن يطلبوا سرَّها للغِنَى ولن يُسْلِمُوها لإزهادِها

وأراد : لم يطلبوا نكاحَها لكثرة مالها ، ولن يُسْلِموا لقلّة مالها .

ورَوى الطبرى عن ابن زيد أن معناه : لا تنكحوهن وتكتمون ذلك فاذا حَلَّتْ أظهرتَ ذلك ، وأدخلتَها . وهذا هو قول الجمهور كابن عباس وابن جبير ومالك وأصحابه والشعبى وقتادة ومجاهد وعكرمة وسفيان والسُدّى ، فالسرُّ عندهم النكاح ، أى لا يقل الرجل لهذه المعتدة : تزوجينى ، بل يعَرض إنْ أراد ، ولا يأخذ ميثاقها وعهدها ألاّ تنكح غيره فى استسرار وخفية ، الاّ أن ابن زيد فى قوله الذى ذكرناه آنفاً شَذّ فى أن سمّى العقد مواعدةً قال القرطبى : وذلك قَلِقٌ ، وحكى مكىّ والثعلبى عنه انه قال : الآية منسوخة بقوله تعالى : « ولا تعزموا عُقْدَةَ النكاح » .

واختار الطبرى القول بأن السرَّ هو الزنا ، أى لا يكونَنَّ منكم مواعدةُ على

الزنا فى العدةِ ثُم التزوج بعدها ، وبه روى عن جابر بن زيد ، وأبى مجلز ، والحسن وقتادة والنَّخَعى والضَحَّاك ، ومنه قول الأعشى :

فلا تقربَــنَّ جارةً انّ سرَّها عليــك حرام فَانْكِحَــنْ أو تَأبَداَ

وقال الحُطيئة :

ويَحْــرُمُ سرُّ جارتهــم عليهم ويــأكل جارُهــم أنْفَ القِصاعِ

وأورد الطبرى فى معنى الزنا فى السرّ آثاراً عمن ذكرناهم ، وعن الربيع قال : « لا تواعدوهن سرّاً » للفحش والخَضْع من القول ، وقال آخرون : بل معنى ذلك لا تأخذوا ميثاقهن وعهودهن فى عُدَدهنَّ أن لا ينكحن غيركم ، وأورد فيه عمّن ذكرناهُ آنفاً ، وقال آخرون : بل معنى ذلك ان يقول لها الرجل : لا تسبقينى بنفسك وأورد فيه عن مجاهد ثم قال ابو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب تأويل من قال : السرُّ فى هذا الموضع الزنا ، وذلك أن العرب تسمّى الجماع وغشيان الرجل المرأة سرًّا ، لأن ذلك مما يكون بين الرجال والنساء فى خفاء غير ظاهر مُطّلَعٍ عليه ، فيُسَمَّى لخَفائه سراً . واستشهد بقول رؤبة بن العجّاج والحُطيئة المُتَقَدِمَيْنِ ثم قال : وكذلك يقال لكل ما أخفاه المرء فى نفسه : سرٌ ، ويقال : هو فى سرّ قومه يعنى فى خيارهم وشرفهم ، فلما كان السرُّ انما يُوَجَّه فى كلامها الى أحد هذه الأوجه الثلاثة ، وكان معلوماً ان أحدهن غيرُ معنى به قوله : « لا تواعدوهن سرًّا » وهو السرُّ الذى هو معنى الخيار والشرف فلم يبق الاّ الوجهان الآخران وهو السرُّ الذى بمعنى ما أَخْفَتْه نفس المُواعِد بين المتواعدَيْنِ ، والسرُّ الذى بمعنى الغشيان والجماع ، فلماّ لم يبق غيرها وكانت الدلالة واضحةً على أن أحدهما غير مَعْنىٍ به ، صَحَّ أنّ الآخر هو المَعْنىُّ به .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ١ ص ٧٥) : « لا تواعدوهن سرًّا » السرُّ الإفضاء بالنكاح ، وأنشد قول الحُطيئة الذى أسلفناه وهو فى الكامل (ص ٤٢٨) .

قال ابو تراب : وضبطه محمد سزكين (ويـأكل جارهـم أُنُف القصاع)

والصواب : (أنْفَ القِصاع) قال ابو عبيدة : أى ما استأنفت ، وأنشد قول رؤبة ايضاً : (فعَفَّ عن إسرارها الخ) وصحّحه فى هامش الطبرى الاستاذ محمود شاكر (أسرارها) والخطأ من نسخة اللسان ، قال ابو عبيدة : يعنى غَشَيانَها ، أراد الجماع .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٩٠) : « ولكن لا تواعدوهن سرِاً » أى نكاحاً ، يقول : لا تواعدوهن بالتزويج وهن فى العدّة تصريحاً بذلك « الاّ أن تقولوا قولاً معروفاً » لا تذكرون فيه نكاحاً ولا رَفَثاً .

وقال الفراء فى المعانى (ج ١ ص ١٥٣) : أى لا يَصِفَنَّ احدكم نفسه فى عِدَّتِها بالرغبة فى النكاح والإكثار مِنه ، وأورد قولَ ابن عباس المتقدم ، وشاهده من شعر امرىء القيس الذى سَلَفَ ذِكْرُه . قال الفراء : ويرى انه مما كَنَى الله عنه .

وفى كتاب ابن عزيز (ص ١٣٠) قال : السرُّ سرِّ نكاح فى هذه الآية .

وفى الوجوه للدامغانى (ص ٢٣٥) السرُّ الجماع ههنا ، وقيل .. الزنا ، والسرِّ الإخفاء فى قوله : « وأسرُّوا قولكم » ونحوه كثير .

قال ابو تراب : ولم يذكره الحافظ ابن الجوزى فى نزهة الأعين فلسيتدرك .

وفى المقاييس : السين والراء يجمع فروعه إخفاءُ الشىء ، وما كان من خالصه ومستقَرّه لا يخرج شىء منه عن هذا ، ومن الباب السرُّ النكاحُ ، وسُمِيَ بذلك لأنه أمر لا يُعْلَنُ به ومن ذلك السرَّار بالفتح والكسر ، وهو ليلة يستسرُ الهلال ، وفى الحديث : هل صُمْتَ من سرِار الشهر شيئاً ؟ وقال :

نحن صَبَحْنا عامراً فى دارها   جُرْداَ تَعادَى طَرَفَىْ نهارِها
عشيّةَ الهِلال أو سرِارِها

وعن أبى عبيدة قال : أسررت الشىء : أخفيته ، وأسرْرته أعلنته ، وقرأ « وأسَرُّوا الندامة لّما رأوُا العذابَ » قال : أظهروها وأنشد قول امرىء القيس :

تجاوزت أحراساً اليها ومعشراً   علىّ حِراصاً لو يُسرِون مقتلى

وقال الفراء : أخطأ ابو عبيدة التفسيرَ ، وصَحَّف فى الاستشهاد ، أما التفسير فقال : « أسَرُّوا الندامة » أى كتموها خوفَ الشماتة ، وأما التصحيف فانما قال : (لو يُشرُّون) أى لو يُظهرون ، يقال : أشررتُ الشىء : اذا أبرزتَه ، ومن ذلك قولهم : أشْرَرْتُ اللحم للشمس .

قال ابو تراب : وليس فى نسخة المجاز لأبى عبيدة الآ التفسير وأمّا الاستشهاد فلا (انظر ج٢ ص ٣٤) وليس ايضا كلام الفراء فى نسخة المعانى التى بين ايدينا ورواية الشين هى للاصمعى وسَرارةُ الوادى وسِرُّه أجودُه ، وقال الشاعر :

هَلاَّ فوارسَ رَحْرَحانَ هَجَوْتَهم عُشَراً تناوَحُ فى سَرَارةِ وادِ

يقول : لهم منظر وليس لهم مَخْبَرٌ .

والأسارير الكُسور التى فى الجبهة ، وفى الحديث : انه ﷺ دخل على عائشة تَبْرُق أسارير وجهه ، والأسرار خطوط باطن الراحة قال الأعشى :

فانظر الى كفٍ وأسرارها هل أنت ان أوعدتَنى دائرى

فأمّا أطراف الرَّيحْان فيجوز أن تسمى سرُوراً لأنها أرطب شىء فيه وأغَضُّه وذلك قول الأعشى :

كبَرْدِيَة الغيْل وَسْطَ الغريف اذا خالط الماء منها الشرورا

ويُروى : (السريرا) أى أصلها الذى استقرت عليه .

وسرير الرأس مستقرُه قال :

ضَرْباً يُزيل الهامَ عن سريره إزالة السُّنْبُل عن شعيره

وأنشدوا :

وفارق منها عِيْشَةً دَغْفَلِيَّةً ولم تَخْشَ يوماً أن يزول سريرُها

وسرُّ النسب مَحْضُه وأفضلُه ، قال ذو الأصبع :

وهم مَنْ وَلَدُوا أشْبَوْا بِسرِ النَّسَب المَحْضِ

ونقل فى اللسان قول أبى عبيدة المتقدم ، وأنشد للفرزدق :

فلما رأى الحجّاج جرّدَ سيفه أسَرَّ الحروريُّ الذى كان أضْمراَ

قال شَمِر : لم أجد هذا البيت للفرزدق ، ولم أسمع لغير أبى عبيدة ما قاله فى « وأسرُّوا الندامة » أى أظهروها ، وقال الأزهرى : أنكر عليه أهل اللغة أشد الانكار .

والسرُّ ايضاً الجماع والزنَى قاله ابو الهيثم ، والسرُّ ايضاً معروف فى شعر الأفْوَه الأودى ذكره فى اللسان فلينظر هناك وكذلك السرّان فى الأساس . والسرُّ أخصب الوادى قاله الاصمعى ، قال الشاعر :

وأغْفِ تحت الأنجُم العوائمِ وأهْبِطْ بها منك بِسرّ كاتِمِ

كاتمٍ أى كامنٍ ، تراه قد كَتَم نداه ، ولم يَيْبَسْ ، وقال لبيد يرثى قوما :

فسَاعَهم حَمْدُ وزانتْ قبورهم أسِرَّةُ رَيحْانٍ بقَاعٍ مُنَوَّرِ

الأسِرَّةَ أوساط الرياض ، قال ابو عمرو : واحدها سِرارٌ وأنشد : (كأنه عن سِرار الأرض مَحْجُوم) .

وفى حديث ظَبْيَانَ : نحن قوم من سَرَارة مَذْحِجٍ : أى من خيارهم ، وأمّا قول امرىء القيس فى صفة امرأةٍ :

فلها مُقَلَّدُها ومُقْلَتُها ولها عليه سرَارةُ الفَضْلِ

فانه وصف جاريةً شَبَّهها بظبيةٍ جيداً ومقلةً ، ثم جعل الفضل على الظّبْيَةِ فى سائر محاسنها ، وأراد بالسرَّارة كُنْهَ الفضل .

وسرُّ الوادى أفضل موضع فيه والجمع أسِرَّةٌ مثلُ قِنٍ وأقِنَّةٍ

قال طَرَفة :

تَرَبَّعَتِ القُفَّينَ فى الشَّوْل ترتعى حدائقَ مَوْلِىَ الأسِرَّةِ أغْيَدِ

وسَرَارةُ الوادى خير موضع فيه والجمع سرَارٌ قال الشاعر :

فان أفْخَرْ بمَجْدِ بنى سُلَيْم أكُنْ منها التَّخُومَةَ والسَّرَارَا

والأسِرَّةُ الخطوط فى كل شىء قال عنترة :

بزجاجةٍ صَفْراءَ ذاتِ أسِرَّةٍ قُرِنَتْ بأزْهَرَ فى الشِّمال مُفَدَّمِ

وفى حديث علىّ فى صفته ﷺ : كأنَّ ماء الذهب يجرى فى صفحة خَدِّه ، ورونقَ الجَلالِ يَطَّرِدُ فى أسرَّةِ جَبينهِ .

وسَرَّه أى طعنه فى سُرَّته ، قال الشاعر :

نَسُرُّهمــو إنْ همــو أقبلوا وإن أدْبَــرُوا فهمــو مَنْ نَسُبّ

وفى الحديث انه ﷺ وُلد معذوراً مسروراً ، أى مقطوع السُّرَّة ، وهو ما يَبْقى بعد القَطْع مما تَقْطَعُه القابلة .

والأسَرُّ البعير ذو داءِ السَّرَر يأخذه فى السُّرَّة ، أو وَرَم فى جوفه . قال مَعْد يكَرِبَ المعروف بغَلْفاءَ يرثى أخاه شرحبيل قُتل يوم الكُلاب الأول ، وكان رئيس بكر بن وائل .

إنَ جَنْبــى عن الفــراشِ لَنابىٍ كتجــافى الأسَرِّ فوق الظِرَابِ

والسَّرَّاءُ الناقة ذات هذا الداء ويُسَمَّى الضَّبَّ قال غَلْفاءُ :

وأبيــتُ كالسَّرَّاءِ يَرْبُــو ضَبُّها فاذا تَحَرْحَــزَ عن عداءٍ ضَجَّتِ

وفى حديث السِقْطِ : إنَه يَجْتَرُّ والدَيْه بِسَرَرِهِ حتى يدخلَهما الجَنَّة ، هو من السُّرَّة .

وفى حديث طاووسٍ : من كانت له إبلٌ لم يُؤَدِّ حقَّها أتَتْ يوم القيامة كأسرِ ما كانت تَطَؤُه بأخفافِها ، أى كأسْمَنِ ما كانت وأوْفرِهِ من سرِّ كلِ شىء وهو لُبُّه ومُخُّه ، وقيل : هو من السرور ، لأنّها اذا سَمِنَتْ سَرَّت الناظر اليها .

وفى حديث عمر : انه عليه السلام كان يحدّثه كأخى السِرَار ، أى كمثل المُسَارَّة لخَفْضِ صوته . وفى الحديث : لا تقتلوا أولادكم سرًا ، فان الغَيْل يُدرك الفارسَ فيُدَعْثِرُهُ من فَرَسِه ، الغَيْل : لَبَنُ المرأة اذا حملتْ وهى تُرْضِعُ ، وسُمِّىَ هذا الفعل قَتْلاً لأنه يُفْضِى الى القتل ، وذلك انه يُضْعِفُه ، ويُرْخىِ قُواهُ ، ويُفْسِدُ مِزاجَه ، واذا كَبِرَ واحتاج الى نفسِه فى الحرب ومُنازلة الأقران عَجَز عنهم وضَعُفَ ، فرُبَمَا قُتل ، الاّ أنه لَمّا كان خفيًا لا يُدرك جعله سرًا .

والأسَرُّ الدخيل . قال لبيدٌ :

وجَــدَى فارسُ الـرَّعْشَاءِ منهم رئيسٌ لا أسَرُّ ولا سَنيدُ

ويُرْوى : (ألَفُ) .

وفى المثل : « ما يوم حَليمةَ بِسِرٍ » يُضرب لكل أمر مُتَعَالَمٍ مشهور ، وحليمة هى بنت الحارث بن أبى شَمِر الغَسَّانى ، لأنَّ أباها لَمَا وَجَّه جيشا الى المُنْذِرِ بن ماء السماء أخرجتْ لهم طِيْباً فى مِرْكَنٍ ، فَطَيَّبَتْهم به ، فنُسب اليوم اليها .

وقال الزمخشرى : واعدها سرّاً ؛ نكاحاً .

وقال الراغب : كُنِى عن النكاح بالسرِ من حيث إنَّه يَخْفَى ، وقولُه : « تُسرُّون اليهم بالمودَّة » فُسر بأن معناه يُظهرون ، وهذا صحيح فانَّ الاسرار الى الغَيْرِ يقتضى إظهار ذلك لِمَنْ يفضى اليه بالسرِ وإنْ كان يقتضى إخفاءَه عن غيره ، فاذاً قولهم : أسررتُ الى فلانٍ يقتضى من وَجْهٍ الاظهارَ ، ومن وَجْهٍ الاخفاءَ ، وعلى هذا قوله : « وأسررتُ لهم إسراراً » وقولُه « وأَسَرُّوا الندامة » أى كتموها وقيل : أظهروها بدلالة قوله : « يا ليتنا نُرَدَ ولا نُكَذِبُ بآيات ربنا » وليس كذلك لأن الندامة التى كتموها ليست باشارةٍ الى ما أظهروه من هذا القول .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « هو الذى أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شَجَرٌ فيه تُسِيْمُون » ؟ قال : تَرْعَوْنَ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى .

ومشى القــوم بالعماد الى الرَّزْ حَى وأعْيـىَ المُسِيْـمَ أيْـنُ المَسَاقِ

قال ابو تراب : الرَّزْحَى الابل الهالكة هُزالاً ، والأيْنُ الاعياء .

وفى الطبرى : (الى المَرْعى) بدل (الرَّزْحَى) وفى نسخة الاتقان ط حجازى : (ترزعون) بدل (تَرْعَوْنَ) و (الدَّرْحَاءِ) بدل (الرَّزْحَى) وهو خطأ .

والبيت فى الديوان (ص ١٤٣) والحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٤٨٤) وتفسير الطبرى

قال الفراء فى المعانى (ج٢ ص ٩٨) : « تسيمون » تَرْعَوْنَ إبلكم ، ومثله فى غريب ابن عزيز (ص ٦٩) .

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ١ ص ٣٥٧) يقال : أَسَمْتُ إبلىْ وسامتْ هى ، أى رعيتُها .

ومثله فى غريب ابن قتيبة (ص ٢٤٢) قال : ومنه قيل لكلِ ما رَعَى من الأنعام سائمة ، كما يقال ، راعية .

وقال الزمخشرى فى الأساس : سامت الماشية : رَعَتْ ، وأسامها الراعى ، وسَومها ، وهم سوامٌ ، وسائمة ، وسوائم ، ومن المجاز ، سام ناقته على الحوض : عرضها عليه ، وعَرَض علىّ الأمر سَوْمَ عالَّةٍ : أى عَرْضاً سابِرِيًا كما تُسام العالَّة على الشرُّب لا يُسْتَقْصَى فى ذلك ، لأنها رَوِيَتْ بالنَّهَلِ .

وقال فى المفردات : السَّوْم أصلُه الذهابُ فى ابتغاء الشىء ، فهو لفظُ لمعنىً مُرَكَّبٍ من الذهاب والابتغاء . وأُجرى مُجْرَى الذهاب فى قولهم : سامتِ الابل فهى سائمةٌ ، ومُجْرَى الابتغاء فى قولهم : سُمْـتُ كذا قال : « يسومونكـم سوء العذاب » ومنه قيل : سِيْمَ فلان الخَسْفَ فهو يُسام الخَسْف ومنه السَّوْمُ فى البيع ، فقيل : صاحب السِّلْعَةِ أحق بالسَّوْم .

ويقال : سُمْتُ الابل فى المَرْعَى ، وأَسَمْتُها وسَوَّمْتُها ، قال : « ومنه شجر فيه تُسيمون » والسِّيْمَياءُ العَلاَمَةُ ، قال الشاعر : (له سِيْمِيَاءُ لا تَشُقُّ على البصر) وقال تعالى : « سيماهم فى وجوههم » و« مُسَوَّمين » أى مُعْلَمينَ ومُسَوِّمين أى مُعْلِمينَ لأنفسهم أو لخيولهم أو مُرسِلِين لها ، وفى الحديث : تَسَوَّموا فان الملائكة تَسومَتْ .

قال ابو تراب : شاهد السيمياء لأسيد بن عنقاء وتمامه فى اللسان .

وفى تنوير المقباس (ص ١٦٨) : « ومنه شجر فيه تُسيمون » أى تَرْعَون أنعامكم .

قال ابو تراب : ولم يذكر هذه المادّة ابن الجوزى فى نزهة الأعين ولا الدامغانى فى الوجوه والنظائر مع تردّد معناها فى وجوه « يسومون » و « تُسيمون » و« مُسَوِّمين » و « المُسَوَّمَة » و « سيماهم » فليستدرك .

قال ابن فارس : السين والواو والميم أصْلٌ يدلُّ على طلب الشىء ، يقال : سُمْتُ الشىء أسُومُه سَوْماً ، ومنه السَّوْمُ فى الشراء والبيع ، ومن الباب سامتِ الراعيةُ تسوم ، وأسَمْتُها أنا ، قال الله تعالى : « فيه تُسيمون » أى تَرْعَون ، ويقال : سَوَّمْتُ فلاناً فى مالى تسويماً ، اذا حَكَّمْتَه فى مالك ، وسَوَّمتُ غلامى ، خَلَّيْتُه وما يريد ، والخيل المُسَوَّمة : المُرْسَلَةِ وعليها ركبانُها ، وأصل ذلك كلُّه واحدٌ ، ومما شَذَّ عن الباب السُّوْمَةُ وهى العلامة تُجْعَلُ فى الشىء ، والسِّيما مقصور من ذلك قال تعالى : « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » فاذا مَدُّوه قالوا : السِّيْمَاءُ .

وقال الطبرى : « فيه تسيمون » فى الشجر الذى ينبت من الماء الذى انزل من السماء ، تسيمون يعنى تَرْعَون . يقال منه أسام فلان إبله ، يُسيمها إسامةً اذا رعاها ، وسَوَّمها ايضاً يُسَوِّمها ، وسامتْ هى اذا رَعَتْ ، فهى تَسُومُ وهى إبل سائمة ، ومن ذلك قيل للمواشى المطلقة فى الفلاة وغيرها للرَّعْىِ سائمةٌ .

وقد وَجَّه بعضهم معنى السَّوْم فى البيع الى أنه من هذا ، وأنه ذهابُ كلِ واحدٍ من المُتبايِعَيْنِ فيما ينبغى له من زيادة ثمن ونقصانه كما تذهب سوائم المواشى حيث شاءت من مراعيها ، وأنشد قول الأعشى المتقدم .

وأورد فى « تُسيمون » بمعنى تَرْعَون عن عكرمة وابن عباس والضحاك وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبْزَى وقتادة وابن زيد ، قال : الإسامة الرَّعْيَةُ .

قال الشاعر :

مثلَ ٱبنِ بَزْعَةَ أو كآخَرَ مثلهِ   أولى لك ٱبنَ مُسِيمةِ الأجمالِ

قال : يا ابن راعية الأجمال

واستشهد به القرطبى ايضاً ، قال : وأصل السَّوْم الابعاد فى المَرْعَى ، فأنا

مُسيم وهى مُسامَةٌ وسائمة ، وقال الزجّاج : أُخذ من السُّومَة وهى العلامةُ ، أى أنهَا تؤثر فى الأرض علاماتٍ برَعْيِها ، أو لأنها تُعَلَّمُ للارسال فى المرعى . قال القرطبى .. والخيل المسوّمة تكون المَرْعيَّة ، وتكون المُعَلَّمة ، وقوله : « مُسَوّمين » قال الأخفش : تكون مُعَلَّمين وتكون مُرْسَلِينَ من قولك سَوَّم فيها الخيلَ أى ارسلها ، وانما جاء بالياء والنون لأن الخيل عليها ركابُها

وفى الأساس :

اذا سُمْتُه وصْلَ القرابة سامنى قطيعتَها تلك السفاهةُ والظُّلْمُ

وقال الطِرِمّاحُ :

وطعْنُهم الاعداءَ شَزْراً وانّما يُسام وَيقْنى الخَسْفَ مَنْ لم يُطاعنِ

وقال القطامى :

أبى عنه ورثت سَوامَ مَجْدٍ وكلُّ أبٍ سيُورَثُ ما يُسِيمُ

وفى اللسان :

سَامَ أى مَرَّ قال صَخْر الهذلى :

أُتيح لها أُقَيْدِرُ ذو حَشيفٍ اذا سامَتْ على المَلَقاتِ سَاماَ

وسامتِ الناقة وأنشد الاصمعى بيت الراعى :

مَقّاءَ مُنْفَتِقِ الابْطَينْ ماهرةٍ بالسَّوْمِ نَاطَ يديها حاركٌ سَنَدُ

ومنه قول ذى النِجّادَين يخاطب ناقة سيدنا رسول الله ﷺ :

تَعَرَّضِي مدارجاً وسُومِي تَعَرُّضَ الجوزاء للنجوم

والمَسَامُ الذى تسومه الناقة ولا تبرح منه ، وأنشدثعلب ـ وهو للطِرماح ـ

ذاك أَمْ حَقْباءُ بَيْدانةٌ غُرْبَةُ العين جَهادُ المَسَامْ

ويُروى : (السَّنام)

و « يَسومونكم سوءَ العذاب » قال الليث : السَّوْم أن تُجَشّمِ انساناً مَشَقّةً أو سُوءاً أو ظُلْماً ، وقال شَمِر : أرادوهم به ، وقيل : عَرَضُوا عليهم .

وفى حديث فاطمة أنها أتت النبى ﷺ بِبُرْمَةٍ فيها سَخِينَةٌ . فأكَلَ وما

سَامَنى غيرَه ، وما أكل قطُّ إلاّ سامَنِى غَيرَهُ ، هو من السَّوْم التكليف والعَرْض .

وفى حديثَ على : مَنْ ترك الجهاد ألبسه الله الذِلَّةَ ، وسِيْمَ الخَسْفَ ، أى كُلّفِ وأُلْزِمَ .

وقوله تعالى : « حجارةً من طين مسومةً عند ربك للمسرفين » أى بعلامةٍ يُعْلمُ بها أنها ليست من حجارة الدنيا ، ويُعلم بِسِيماها أنها مّما عذّب الله بها ، قال الجوهرى : أى عليها أمثال الخواتيم ، وعن الحسن أنها مُعَلّمة ببياضٍ وحُمْرة .

وقوله : « والخيل المُسومِة » قال ابو زيد : المُرسلة وعليها رُكبانُها .

وقوله : « من الملائكة مُسومين » قرىء بفتح الواو أى مُعلَّمين . وأنشد شَمِر فى باب السِّماْ ـ مقصورةً ـ للجعدىَ :

وهُـــم سِياْ اذا تُبصرهم بَيَّنَـــتْ رِيْبَـــةَ من كان سَأَلْ

والسَّامُ عروق الذهب والفِضة ، قال قيس بن الخطيم :

لو أنك تُلقــى حَنْظَـلاً فوق بيضنا تَدَحْــرَجَ عن ذى سامِـــهِ المتقارب

أى على ذى سامِهِ ، والهاء ترجع الى البَيْضِ يعنى المُمَوّه به أى الذى له سَامٌ ، قال ثعلب : معناه أنهم تراصُّوا فى الحرب حتى لو وقع حَنْظَلٌ على رؤسهم على امِّلاسِهِ واستواء أجزائه لم ينزل الى الأرض ، وقال الأصمعى وابن الأعرابى السَامُ الذهب والفضة قال النابغة الجعدى :

كأنَّ فاهــا اذا تُوسِّــن من طيــب رُضابٍ وحســن مُبْتسَم
ركّــب فى السامِ والزبيـــبِ أقاحىُّ كثيـــبٍ يَنْــدَى من الرَّهم

قال وهذا لايكون الاّ فضة لأنه انما شبه اسنان الثغر بها فى بياضها . قال ابو سعيد : يقال للفضة بالفارسية سيم ، وبالعربية سام ، والسام الموت .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « مالكم لاتَرْجُونَ للهِ وقارا » ؟ قال : لاتخشون لله عظمةً . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أبي ذؤيب :

اذا لَسَعَتـه النَّحْـلُ لم يَرْجُ لَسْعَهَا   وحالَفهـا فى بيـت نُوبٍ عوامَل

قال ابو تراب : البيت أورده المعَرى فى الغفران (ص ٤٣٢ ج٢) وهو فى شعر الهذليين برواية السكّرى (ج١ص١٤٣) واستشهد به الطبرى والزمخشرى وابو حيّان والقرطبى والطبرسى ، وأورده الزمخشرى فى الأساس ، والراغب فى المفردات وابن فارس فى المجمل والمقاييس وابن منظور فى اللسان ، وابو عبيدة فى المجاز (ج١ ص٢٧٥) وجمهرة الأشعار (ص٩) ولفظ رسالة المعَرى . (وخالفها فى بيت نورٍ) ، والنُّوبُ النَّحْل ، لأنها تنُوب الى الخلايـا ، قالـه الـزمخشرى ، وروايـة الطبرى : (نُوبٍ عواسِلِ)

وقال ابن عزيز فى الغريب (ص٦٦) «ترجون لله وقاراً» أى تخافون لله عظمة ومثله فى معانى الفراء (ج ٣ ص ١٨٨) ولم يرتضه الرازى (انظر الكبير ٨ ص٢٢٩)

وقال ابن قتيبة فى الغريب مثله (ص٤٨٧) : أى لاتخافون له عظمةً

وقال ابو عبيدة فى المجاز ايضاً (ج٢ص٢٧١) أى لاتخافون لله وقارا.

وفى تنوير المقباس (ص٣٦٩) : لاتخافون لله عظمةً وسلطاناً ، ويقال : مالكم لاتعظّمون الله حقَّ عَظَمتِه فتوحّدونه .

قال الراغب : وقوله تعالى : « مالكم لاترجون » قيل : مالكم لاتخافـون ، وأنشد البيت الشاهد ثم قال : ووجه ذلك ان الرجاء والخوف يتلازمان .

وقال تعالى : « وترجون من الله مالايرجون » وقال : « وآخرون مُرْجَونَ لأمر الله » وأرْجت الناقة دنا نتاجُها ، وحقيقتُه جَعَلتْ لصاحبها رجاء فى نفسها بقرب نتاجها ، والأرجوان لونٌ أحمر يُفرحُ تفريح الرجاء . ورَجَا البئر والسماء وغيرهما :

جانبها ، والجمع أرجاء قال تعالى : « والمَلَكُ على أرجائها » والرَّجَاءُ ظَنٌّ يقتضى حصول مافيه مَسرَّة .

وقال الزمخشرى : رجوت زيداً وأرتجيته ، ورَجَّيْته وتَرجَّيْتُه ورَجَّيْتَنى حتى تَرَجيت كقولك : مَنَّيتنى حتى تَمَّنيتُ ، وأرجتِ الحامل فهى مُرْجيةٌ : أدْنَتْ فرُجى ولادها ، وقطيفة أرجوان : شديد الحُمرة ، قال الجعدى :

ويومٍ كحاشية الأُرجوان من وقْعِ أزرقَ كالكوكبِ
حَدَتْه قناةٌ رُدَيْنِيَّةٌ مُثقفَةٌ صَدْقَةُ الأكْعُبِ

ومن المجاز استعمال الرجاء فى معنى الخوف والاكتراث ، يقال : لقيتُ هَوْلاً مارجوتُه وما أرتجيتُه ، قال :

تَعَسَفْتُها وحدى ولم أرْجُ هولها بحرفٍ كقوس البانِ باقٍ هبابُهَا

وقال الراجز :

لاترتجى حين تُلاقى الذَّائدا أسبعةً لاقَتْ معاً أم واحدا

وفى مَثَلٍ : « لايرمى به الرجَوَان » لمن لايخدع فيزال عن وجه الى وجهٍ ، وأصلُه الدلو يرمى بها رَجَوا البئر قال زُهير :

مَطَوتُ به فى الأرض حتى كأنه أخو سَبَبٍ يُرمى به الرَّجوانِ

ممّا يميل به النُّعاسُ ، يريد صاحبه ، وفلانٌ وردنا منه أرجاء وادٍ رَحْبٍ ، ويقول : فناؤه فسيح الأرجاء ، مقصد لأهل الرجاء .

وقال الطبرى فى هذه الآية : اختلف فيها اهل التأويل ، فقال بعضهم: معناه : مالكم لاترون لله عظمةً ، وروى فى ذلك عن مجاهد وسفيان ، وقال مجاهد ايضاً : لاتبالون لله عظمة ، قال : والرجاء الطمع والمخافة . وقال آخرون : معنى ذلك لاتعظّمون الله حق عظمته ، وروى فى ذلك عن سعيد بن جُبير ، وقال آخرون : مالكم لاتعلمون لله عظمة وروى فى ذلك عن ابن عباس ، وفى الوقار روى عن قتاده أنه العاقبه ، وعن ابن زيد أنه الطاعةُ .

قال : وأولى الأقوال بالصواب عنه ؛ قول من قال : مالكم لاتخافون لله

عظمةً . وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب اذا صحبه الحجة فى موضع الخوف ، وأنشد بيت أبى ذؤيب المذكور ، ويعنى فيه بقوله : (لم يَرْجُ) لم يَخَفْ .

وقال القرطبى : قال سعيد بن جبير وابو العالية وعطاء مالكم لاترجون لله ثواباً ولاتخافون له عقاباً ، وعن ابن عباس : مالكم لاتخشون لله عقاباً وترجون منه ثواباً ، وعنه ، مالكم لاتعلمون لله عظمة ، وقال ابن عباس ايضاً ومجاهد : مالكم لاترون لله عظمةً ، وعن مجاهد والضحاك مالكم لاتبالون لله عظمةً .

قال قُطْرب : هذه لغة حجازية ، وهذيل وخزاعة ومُضرَ يقولون : لم أَرْجُ : لم أُبالِ . والوقار العظمة ، والتوقير التعظيم ، وقال قتاده : مالكم لاترجون لله عاقبةً ، كأنّ المعنى مالكم لاترجون لله عاقبة الايمان . وقال ابن كيسان . مالكم لاترجون فى عبادة الله وطاعته أن يثيبكم على توقيركم خيراً ، وقال ابن زيد : مالكم لاتؤدّون لله طاعة ، وقال الحسن : مالكم لاتعرفون لله حقاً ، ولاتشكرون له نعمةً ، وقيل : مالكم لاتوحدون الله ، لأن من عظّمه فقد وَحَّده ، وقيل . ان الوقار الثبات لله عز وجل ، ومنه قوله تعالى : « وقرن فى بيوتكن » أى اُثْبُتْن ، ومعناه : مالكم لا تُثبتون وحدانية الله تعالى وأنه إلهكم لا إله لكم سواه قاله ابن بَحْر .

قال ابو تراب : « وقَرنَ فى بيوتكن » قيل هو من الوقار كما ذكر هنا ، وَقَر يقرُ ، وقيل هو من القرار : قَرَّ يقرُّ ، وهذا مضاعف ، وذاك مثالٌ معتلّ الفاء ، وأصله : اقررن ، وسيأتى تعليله فى موضعه ان شاء الله تعالى .

وفى المقاييس : الراء والجيمُ والحرف المعتل أصلان متباينان يدل احدهما على الأمل والآخر على ناحية الشيء ، وربما عبر عن الخوف بالرجاء قال تعالى : « مالكم لاترجون لله وقاراً » أى لاتخافون له عظمةً ، وناس يقولون: ما أرجو أى ما أبالى ، وفسرّوا الآية على هذا وذكروا قول القائل ـ وأنشد بيت أبى ذؤيب ـ ومعنى قوله فيه : (لم يرْجُ) لم يكترث ، وشاهد الرَّجوين ناحيتى البئر قوله :

فلا يُرمـــى بى الرَّجـــوانِ إنّى أَقَـــلُ النـــاس من يُغنـــى غَنائِى

قال : وأمّا المهموز فانه يدل على التأخير قال تعالى : « تُرْجِي من تشاء منهن » .

قال ابو تراب : وفي اللسان (أقل القوم من يُغنى مكانى)

قال ابو تراب : هما لغتان : أرجأ الأمر أى أخَّره ، وأرْجَاهُ ، وقرىء قوله تعالى : « تُرْجي من تشاء منهن » مهموزاً وغير مهموز تُرْجي وتُرْجىء ، ولأنهم يطرحون هذه الهمزة من هذه الصيغة ذكرها ابن فارس فى المقاييس فى المعتلّ ، والراغب ذكر فى المفردات قوله تعالى : « وآخرون مُرجون لأمر الله » فى رجا يرجو ولم يعقدا للمهموز باباً مفرداً ، و« مُرْجَوْنَ » من أرجأته أى أخَرْتُه ، طُرحت همزته فصار أرْجَيته وقرىء بالوجهين مُرْجَون ومُرْجئونَ . وقال المبّرد : لايقال : أرجيته بمعنى أخرته ، ولكن يكون من الرجاء ، ذكره القرطبى، وقرىء « أرجه وأخاه » بهمزة أرْجه وبغير همزٍ وهو كالأول من أرْجأ وأرْجى ، ومعنى « أرْجه » أى أخِّرْهُ وأحبسه وعلى قول المبّرد هو من رجا يرجو أى أطمعه ودَعْه يرجو . وشاهد الهمز فى هذه المادّة قول ذى الرُّمة يصف بيضة .

نَتوجٍ ولم تُقْرفْ لما يُمْتَنَى له اذا أرْجأت ماتتْ وحىَّ سليلُها

ويُروى : اذا نُتجتْ) .

ومن شواهد الرجاء ماأنشده ابن الأعرابى :

غدوتُ رَجَاةً أن يجود مُقاعسُ وصاحبهُ فَاستقبلانىَ بالغَدْرِ

ويُروى : بالعذر

وقال بشر يخاطب بنته :

فَرَجّى الخَيرَ وانتظرى ايابى اذا ماالقارظُ العَنَزىُّ آبا

والرجاء فى موضع الخوف اذا كان معه حرف نفى قال الفراء ، ومنه قوله تعالى : « مالكم لاترجون لله وقارا » المعنى : لاتخافون لله عظمة .

قال الفراء : وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى : « وتَرْجُون من الله

ما لايَرْجون » معناه تخافون ، قال : ولم نَجِدْ معنى الخوف يكون رجاءُ الا ومعه جحد ، فاذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف ، وكان الرجاء كذلك ، كقوله عز وجل : « لايرجون أيام الله » هذه للذين لايخافون أيام الله . ولايجوز رجوتك وانت تريد خفتك ، ولاخفتك وأنت تريد رجوتك ، وقوله تعالى : وقال الذين لايَرْجُون لقاءنا » أى لايخشون لقاءنا ، قال ابن بَرّى كذلك ذكره ابو عبيدة .

قال ابوتراب : هو فى مجاز القرآن له (ج ١ ص ٢٧) ورُمى به الرجوان : استهين به ، قال المرادى :

لقد هَزِئَتْ منى بنجرانَ اذ رأتْ مقامى فى الكَبْلَيْنْ أمُّ أبان
كأن لم تَرَىْ قبلى اسيرا مكبّلاً ولارَجُلاً يُرْمَى بهَ الرَّجَوانِ

أى لايستطيع أن يستمسك ، والرجوان مثنى والجمع ارجاء قال تعالى : « والملك على أرجائها » أى نواحيها ، قال ذو الرُّمة :

بين الرَّجا والرَّجَا من جنب واصبةٍ يَهْماءُ خاطُبها بالخوف معكوم

وفى حديث حذيفة لما أُتِيَ بكفنه فقال : إن يُصبْ أخوكم خيراً فعَسى والاّ فَليترام بى رَجَواها الى يوم القيامة ، أى جانبا الحُفْرة ، والضمير راجع الى غير مذكور ، يريد به الحُفْرَةَ ، والمراد بلفظ الأمر هنا الخَبَرُ أى وإلاّ تَرامَى بى رَجَواها كقوله تعالى : « فليمدد له الرحمن مدا »

وفى حديث ابن عباس يصف معاوية : كان الناس يَرِدونَ منه أرجاء واد رحب ، وصفه بسعة العطن والاحتمال ، والأناة .

وفى حديث عثمان انه غَطّى وجهه بقطيفة حمراء ارجوان وهو محرم ، والأرجوان مُعَرَّبٌ أصله أُرْغُوان بالفارسية ، وهو شجر له نَوْرٌ احمر احسن مايكون ثم أطلق على كل لون يُشْبِهه وعلى الصبغ الأحمر شديد الحُمْرَة ، والبَهرمان دونه ، وقيل هو

النَّشَا سَنْتَجْ ، وتُسميه العامية النشا ، وانشد ابن برى :

عَشيَّـــة غادرت خيلى حَمُيدا كأنَّ عليـــه حلـــة ارجوان

وقال عمرو بن كلثوم :

كأن ثيابنـــا منـــا ومنهم خُضبْـــنَ بأرجـــوان أو طُلينا

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس ، أخبرنى عن قوله تعالى : « أو مسكينا ذا متربة » ؟ قال : ذا حاجة وجهد ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، اما سمعت قول الشاعر :

تربـــت يد لك ثم قلَّ نوالها وتَرفعـــت عنـــك السماء سجالُها

وفى مجاز القرآن لابى عبيـدة (ج ٢ ص ٢٩٩) « ذامتربـة » قد لزق بالتراب .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٥٢٩) : أى ذا فقر كأنه لصق بالتراب من الفقر .

وفى معانى القرآن للفراء (ج ٣ ص ٢٦٦) ان ابن عباس مر بمسكين لاصق بالتراب حاجة فقال : هذا الذى قال الله تبارك وتعالى : « أو مسكينا ذا متربة »

وقال ابن عزيز فى الغريب (ص ٢٠٥) : « مَتْرَبة » أى فقر ، كأنه قد لصق بالتراب من الفقر .

قال **ابوتراب** : ولم يذكر الدامغانى هذه الآية فى باب التراب الذى عقده من كتاب الوجوه والنظائر ، ولم يعقد لهذه المادة بابا أصلا ابن الجوزى فى نزهة الأعين

وفى تنوير المقباس للفيروزابادى (ص ٣٨٩) : « ذامتربة » لاصق بالتراب من الجهد والمسكين الذى لاشىء له .

وقال الراغب فى المفردات : اى ذا لصوق بالتراب لفقره وترب افتقر كأنه لصق بالتراب ، وأترب استغنى كأنه صار له المال بقدر التراب وريح تُرَبَة تأتى بالتراب ، ومنه قوله ﷺ عليك بذات الدين تربت يداك ، تنبيها على انه لايفوتنك ذات الدين فلا يحصل لك ما ترومُه فتفتقر من حيث لاتشعر . والترائب ضلوع الصدر قال : « يخرج من بين الصلب والترائب » وقوله : « عربا اترابا » « وكواعب اترابا » « وعندهم قاصرات الطرف اتراب » اى لدات تَنَشَّأن معا تشبيها فى التساوى والتماثل بالترائب التى هى ضلوع الصدر او لوقوعهن معا على الأرض ، وقيل لانهن فى حال الصبا يلعبن بالتراب معا

وفى جامع البيان للامام الطبرى : اختلف اهل التأويل فى قوله تعالى : « أومسكينا ذا متربة » فقال بعضُهم عنى بذلك ذو اللصوق بالتراب وروى فى ذلك عن ابن عباس قال : الذى ليس له مأوى الا التراب ، وقال ايضا : التراب الملقى عن الطريق على الكناسة ومثله عن مجاهد وعكرمة ، وقال آخرون : بل هو المحتاج كان لاصقا بالتراب او غير لاصق وقالوا : انما هو من قولهم : ترب الرجل : اذا افتقر ، وروى فى ذلك عن ابن عباس ايضا قال : شديد الحاجة ، وعن عكرمة قال : هو المحارف الذى لامال له ، وعن ابن زيد قال : ذا حاجة التَرِب المحتاج ، وقال آخرون : بل هو ذو العيال الكثير الذين لصقوا بالتراب من الضر وشدة الحاجة ، وروى فى ذلك عن ابن عباس ايضا قال : مسكين ذو بنين وعيال ليس بينك وبينه قرابة ، ومثله عن سعيد بن جبير ، وقتادة ، والضحاك .

قال الطبرى : وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة قول من قال : عنى به اومسكينا قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة لأن ذلك هو الظاهر من معانيه ، ومَتْرَبَة مَفْعلَة من ترب الرجل اذا اصابه الترب .

وفى جامع الأحكام للقرطبى عن عكرمة فى « ذامتربة » هو المديون ، وعن ابى سنان : ذو الزمانة ، وعن ابن جبير : ليس له احد ، وعن عكرمة وابـن عباس : هو البعيد التربة يعنى الغريب البعيد عن الوطن ، وقال ابـو حامـد الخارَزنجى : المتربة هنا من التريب وهى شدة الحال ، يقال : ترب اذا افتقر ، قال الهذلى :

وكنـــا اذا ماالضـــيف حل بأرضنا   سَفكنا دماء البُـدن فى تُربـة الحال

وقال ابن فارس فى المقاييس : التاء والراء والباء أصلان : أحدهما التُراب ومايُشتق منه ، والآخر تساوى الشيئين ، فالأول التراب والتـيرب والتـوراب ، ويقال : ترب الرجل : اذا افتقر كأنه لصق بالتراب ، وأترب اذا استغنى كأنه صار له من المال بقدر التراب والترباء الأرض نفسها ، ويقال : ريح تربة : اذا جاءت بالتراب قال (ذوالرمة) :

لابـــل هو الشوق من دار تخوَّنها   مرّاً سحـــاب ومـــرّاً بارحٌ تَرِب

وأما الآخر فالتِرب الخِدْن ، والجمع أتراب ومنه التريب وهـو الصدر عنـد تساوى رؤوس العظام ، قال (الأغلب العجلى) :

اشرف ثدياهـــا على التربب   لم يعْـــدُوا التفليـــكَ فى النُتوب

ومنه التَرِبات وهى الأنامل ، الواحدة تربة . ومما شذ عن الباب : التُرَبة وهو نبت

قال ابو تراب : وفى التراب لغات ذكرها المجـد فى القامـوس واللسان ، والنبت الذى اشار اليه ابن فارس يقال له الترباء ايضا وتَرْبة .

وفى اللسان : تترَب لزق به التراب قال ابوذؤيب الهذلى :

فصرعتـــه تحـــت التـــراب فجنبه   متتَـــرّب ولـــكل جنـــب مضجع

والتريب كثرة المال وقلّته ايضا ، والتربوت جمل ذلول ، وهو اما من التراب لذلته واما التاء بدل من الدال فى دربوت من الدربة وهو مذهب سيبويه ، والترائب

موضع القلادة من الصدر ، وشاهده قول امرىء القيس من المعلقة :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

والتريبتان الضلعان اللتان تليان الترقوتين ، وشاهده فى اللسان :

ومن ذَهَب يلوح على تريب كلون العاج ليس له غضون

قال ابو عبيد : الصدر فيه النحر ، وهو موضع القلادة ، واللبّة موضع النحر والثغرة ثُغرة النحر ، وهى الهَزْمة بين الترقوتين ، وقال :

والزعفران على ترائبها شرِق به اللبَاتُ والنحرُ

وأكثر مايكون الترب بمعنى اللِّدَةِ والسِنِّ فى الأنثى ، وتاربْتها اى صارت تِرْبهَا ، قال كثّير عَزة :

تُتارُب بِيضًا اذا استلعبت كأدم الظباء تَرِفُّ الكَباثا

وفسر ثعلب قوله تعالى : « عربا أترابا » فقال : الأتراب هنا الأمثال قال ابن منظور : وهو حسن اذ ليست هناك ولادة .

وفى الحديث : احثوا فى وجوه المداحين التراب . قيل : أراد به الرد والخيبة ، كما يقال للطالب المردود الخائب : لم يحصل فى كفه غير التراب ، وقيل اراد به التراب خاصة ، واستعمله المقداد على ظاهره ، وذلك انه كان عند عثمان فجعل رجل يثنى عليه ، وجعل المقداد يحثو فى وجهه التراب فقال له عثمان : ماتفعل ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : احثوا فى وجوه المداحين التراب ، واراد بالمداحين الذين اتخذوا مدح الناس عادة ، وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح قيل فاما من مدح على الفعل الحسن والأمر المحمود ترغيبا فى أمثاله وتحريضا للناس على الأقتداء به فى أشباهه فليس بمداح ، وان كان قد صار مادحا بما تكلم به من جميل القول .

وفى حديث فاطمة بنت قيس : واما معاوية فرجل تَرِبٌ لا مال له ، اى فقير ، وقوله عليه السلام : عليك بذات الدين تربت يداك ، قيل : معناه : لله

درك وقيل : ارادبه المثل ليرى المأمور بذلك الجدَّ ، وانه الى خالفه فقد اساء وقيل : ان النبى ﷺ لم يتعمد الدعاء عليه بالفقر ، ولكنها كلمة جارية على السن العرب يقولونها وهم لايريدون بها الدعاء على المخاطب ، ولا وقوع الأمر بها ، وقيل : هو دعاء على الحقيقة ، فأنه قد قال لعائشة تربت يمينك ، لأنه رأى الحاجة خيراً لها ، ويؤيد انه لم يتعمد الدعاء عليه قوله فى حديث خزيمة : انعم صباحا تربت يداك فان هذا دعاء له قال فى اللسان : وكثيرا ترد للعرب الفاظ ظاهرها الذم وانما يريدون بها المدح كقولهم : لااب لك ولا ام لك ، وهوت امه ولا ارض لك ونحو ذلك وقال بعضهم : ان قولهم تربت يداك يريد به استغنت يداك ، قال ابو عبيد : وهذا خطأ ولو كان كما قال لقال : اَتْرَبَتْ يداك ، واترب الرجل اذا كثر ماله ، وترب اذا افتقر . وقال عليه السلام لرجل من اصحابه ترب نحرك فقتل شهيداً فهو محمول على ظاهره وليس كحديث انس انه كان يقول لأحدنا عند المعاتبة ترب جبينه قيل : اراد به دعاء له بكثرة السجود .



وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : اخبرنى عن قوله تعالى : « مهطعين مقنعى رؤسهم لايرتد اليهم طرفهم » ؟ قال : مذعنين خاضعين . قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، اما سمعت قول تبع :

تَعبّدنى نِمر بن سعد وقد أُرى ونِمر بن سعد لى مطيع ومُهطع

قال ابوتراب : استشهد بالبيت ابو حيان النحوى فى البحر المحيط ، وأورده الزمخشرى فى الأساس وابن منظور فى اللسان .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ١ ص ٣٤٢) : « مهطعين .. أى مسرعين ، قال الشاعر :

بمهطع سُرُح كأن زمامه فى رأس جذع من أراكٍ مشذّب

وفى نسخة المجاز (اوال) بدل « اراك » وهو خطأ وقال :

بمستهطع رَسْلٍ كأن جديله بقيدومِ رَعْنٍ من صُوّام مُمنع

الرَّسْل الذى لايكلفك شيئاً ، بقيدوم : قدّام ، رَعْن الجبل انفه ، صوّام : جبل قال يزيد بن مفرغ الحميرى :

بدجْلَةَ دارهم ولقد أراهم بدجلة مهطعين الى السماع

« مقنعى رؤسهم » مجازه : رافعى رؤسهم ، قال الشماخ بن ضرار :

يباكرن العِضاهَ بُمقنَعاتٌ نواجذُهنَّ كالحِدَأ الوقيع

أى برؤوس مرفوعاتٍ الى العضاه ، ليتناولن منه ، والعضاه كل شجرة ذات شوك ، نواجذهن اضراسهن ، وقال الحِدَأُ الفَأسُ ، وأراه : الذى ليس له خلف وجمعها حِدَأ ، وحِدَأَةُ الطيرُ ، الوقيع أى المرققّة المحددّة ، يقال : وِقَعْ حديدتَك ، والمطرقة يقال لها : مِيقَعة ، وقال :

أنفض نحوى رأسه واقنعا كأنما أبصر شيئا أطمعا

قال ابوتراب : وهكذا فسره ابوعبيدة فى سورة القمر ، والمعارج .

وقال الفراء فى المعانى (ج ٣ ص ١٠٦) « مهطعين » ناظرين قبل الداع

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٢٣٣) : اى مسرعين يقال : أهطع البعير فى سيره واستهطع ، اذا اسرع . والمقنع راسه : الذى رفعه واقبل بطرفه على مابين يديه . والاقناع فى الصلاة هو من اتمامها .

ونقل ابن قتيبة معنى الاسراع عن ابى عبيدة فى سورة القمر (ص ٤٣١) .

قال : وفى التفسير ناظرين قد دفعوا رؤوسهم الى الداعى .

وقال ابن عزيز فى الغريب (ص ٢١٢) « مهطعين » اى مسرعين فى خوف . وفى التفسير « مهطعين الى الداعى » اى ناظرين قد رفعوا رؤوسهم الى الداعى « مقنعى رؤوسهم » اى رافعى رؤوسهم ، يقال : اقنع رأسه : اذا نصبه ، لايلتفت يمينا ولا شمالا وجعل طرفه موازيا لما بين يديه ، وكذلك الاقناع فى الصلاة .

وفى مفردات الراغب : هطع الرجل ببصره : اذا صوبه ، وبعير مهطع : اذا صوب عنقه ، قال : « مهطعين مقنعى رؤوسهم » و « مهطعين الى الداع »

وفى التنوير (ص ١٦٣) : « مهطعين » مسرعين قاصدين ، ناظرين الى الداعى « مقنعى رؤوسهم » مطأطىء رؤوسهم . ويقال : رافعى رؤوسهم ويقال : مادّى اعناقهم .

وقال الزمخشرى فى الاساس : بعير مهطع : فى عنقه تصويب ، وقيل : هو المسرع ، واورد الآية والبيت الشاهد ، وقال آخر يصف ثورا :

بمستهطع رَسْلٍ كأن زمامه بقيدومِ رَعْنٍ من رُضَامٍ ممتَع

طويل من الماتع .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الهاء والطاء والعين أصيل يدل على اقبال على الشيء وانقياد يقال : هطع الرجل على الشيء ببصره : اقبل ، وأهطع البعير : صوّب عنقه منقادا . واهطع اسرع .

وفى اللسان : قيل : المهطع الذى ينظر فى ذل وخشوع والمُقْنِعُ الذى يرفع راسه ينظر فى ذل ، وهَطَع وأهطع : اقبل مسرعا خائفا ، لايكون الا مع خوف وقيل : نظر بخضوع ، ذكره ثعلب ، وقيل : مد عنقه وصوب رأسه ، وقال بعض المفسرين فى قوله « مهطعين » محمّجين و التحميج ادامة النظر مع فتح العين ، والى هذا مال ابو العباس . وقال الليث : بعير مهطع فى عنقه تصويب خِلقةً ، يقال للرجل اذا اقر وذل : أَرْبَخَ واهطع وانشد البيت الشاهد . وقوله تعالى : « مهطعين الى الداع » فسر بالوجهين جميعا ، وانشد ايضا قول الحميرى المتقدم وفى حديث على : سراعا الى أمره مهطعين الى معاده .

قال القرطبى : « مهطعين » اى مسرعين ، قاله ا لحسن وقتادة وسعيد بن جبير ، واورد بيت الحميرى ، وقيل المهطع الذى ينظر فى خشوع وذل ، اى ناظرين من غير ان يطرفوا ، قال ابن عباس ، وقال مجاهد والضحاك : « مهطعين » أى مديمى النظر ، وقال النحاس والمعروف فى اللغة ان يقال : اهطع إذا اسرع ، قال ابو عبيد : وقد يكون الوجهان جميعا ، يعنى الاسراع مع ادامة النظر وقال ابن زيد : المهطع الذى لايرفع راسه .

واورد الطبرى فى « مهطعين » عن ابن جبير : قال يخبّون وهم ينظرون ، وعن قتادة قال : مسرعين ، منطلقين عامدين ، وعن ابن عباس قال : يعنى بالاهطاع النظر من غير ان يطرف ، وعن ابى الضحى قال : الاهطاع التحميج الدائم ، ومثله عن تميم و الضحاك ومجاهد قال ابن جرير : والاهطاع فى كلام العرب بمعنى الاسراع اشهر منه بمعنى ادامة للنظر وانشد (بمُهطع سرُحُ) الخ و (بمُستهطع رَسْل) الخ

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميًا » ؟ قال : وَلَداً ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

أمَا السَمِيُّ فأنت منه مُكْثِرٌ   والمال فيه تَغْتَدِي وتَروحُ

وفى مجاز القرآن لابى عبيدة (ج ٢ ص ٩) : « هل تعلم له سميًا » هل تعرف له نظيرا ومثلا قال : اذا كان بعد (هَلْ) (تاءُ) ففيها لغتان ، فبعضهم يُبين لام (هل) وبعضهم يخمدها فيقول : (هَتَّعْلُم) كأنها أدغمت اللام فى التاء فثقلوا التاء .

وفى المفردات للراغب : « هل تعلم له سميًا » أى نظيرا له يستحق اسمه ، وموصوفا يستحق صفته على التحقيق ، وليس المعنى : هل تجدله من يتسمى باسمه ، إذ كان كثير من اسمائه قد يطلق على غيره ، لكن ليس معناه اذا استعمل فيه كما كان معناه اذا استعمل فى غيره .

وفى تنوير المقباس (ص ١٩٢) : « هل تعلم له سميا » أحدا يُسَمَّى الله

وفى تفسير القرطبى : قال ابن عباس : يريد هل تعلم له ولدا اى نظيرا ، أو مثلا ، أوشبيها ، يستحق مثل اسمه الذى هو الرحمن ، وقاله مجاهد ، مأخوذ من المساماة وروى عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : هل تعلم له احدا سمّىِ الرحمن ، قال النحاس : وهذا أجَلُّ اسناد علمته روى فى هذا الحرف ، وهو قول صحيح ، لا يقال الرحمن الا لله . وروى عن مجاهد : « سميا » مثلا ، وعن ابن المسيب : عدلا ، وعن قتادة والكلبى هل تعلم أحداً يسمى الله تعالى غير الله ، او يقال له : الله الا الله ، و (هل) بمعنى (لا) أى لاتعلم .

وقال الطبرى : معناه هل تعلم يامحمد لربك هذا الذى أمرناك بعبادته والصبر على طاعته مثلا فى كرمه وجوده ، فتعّبده رجاء فضله وطوله ، وعن قتادة قال : لاسمى لله ، ولاعدل له ، كل خلقه يقر له ويعترف انه خالقه ويعرف ذلك

وقرأ : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » وعن ابن جريج فى قوله : « هل تعلم له سميا » قال : لاشريك له ولامثل .

وفى لسان العرب : وسَميُّك : المسمَّى باسمك ، تقول : هو سميُّ فلان ، اذا وافق اَسمه اسمه ، كما تقول : هو كِنِيهُ وفى التنزيل العزيز : « لم نجعل له من قبل سميّاً » قال ابن عباس : لم يسم قبله احد بيحي ، وقيل : معنى : « لم نجعل له من قبل سَمِياً » أى نظيراً ومثلاً ، وقوله عز وجل : « هل تعلم له سميًا » أى نظيرا يستحق مثل اسمه ، ويقال : مساميا يساميه .

قال ابن سيدة : ويقال : هل تعلم له مثلا . وجاء ايضا : لم يسم بالرحمن الا الله ، وتأويله ـ والله اعلم ـ هل تعلم سميا يستحق ان يقال له خالق وقادر وعالم لما كان ويكون ؟ فذلك ليس الا من صفات الله عز وجل ، قال :

وكم من سَمِىٍ ليس مثل سميِّه من الدهر الا اعتاد عينيَ واشل

قال ابوتراب : حروف هذه المادة تدل على الارتفاع والعلو ، وساماه اى عالاه ، وفلان لايسامى ، وتساموا اى تباروا . وفى حديث ام معبد فى صفته ﷺ وإن صَمَتَ سما وعلاه البهاء ، أى ارتفع وعلا على جلسائه . وفى حديث الافك لم يكن فى نساء النبى ﷺ امرأة تساميها غير زينب فعصمها الله تعالى ، ومعنى تساميها أى تباريها وتفاخرها ، والمساماة المفاخرة ، والمطاولة فى الحظوة وفى حديث احد : خرجوا بسيوفهم يتسامون ، ومن شواهد هذه المادة ما أنشده ثعلب :

الى جِذم مال قد نهكنا سواَمه واخلاقنا فيه سوامٍ طوامحُ

أى تسمو الى كرائمها فتنحرها للأضياف . وأنشد ثعلب ايضا :

بات ابن أدماءَ يُساوى الأندرا سامى طعام الحيَّ حين نورَا

أى ارتفع وصعد ، وقال ابن سيدة : وعندى انه اراد كلما سما الزرع بالنبات سما هو اليه حتى ادرك فحصده ، وانشد ثعلب ايضا :

(فَارْفَع يديك ثم سام الحنجرا)

أى ارفع يديك الى حلقه . وانشد ابن برى فى تذكير السماء :

فلــو رَفَــع السماءُ اليــه قوما لحقنــا بالسماء مع السحاب

وقال آخر :

وقالـت سماء البيـت فوقــك مُخَلَقٌ ولمــا تَيَسَرَّ اجتــلاءُ الركائب

قال ابوتراب : والشطر الأخير من هذا البيت مختل الوزن ، ولم اجده فيما بين يدى الآن من المراجع ، وقال امية بن ابى الصلت :

له مارأت عــين البصير وفوقه سماء الالــه فوق سبــع سمائيا

قال الصاغانى : الرواية (فوق ست سمائيا) والسابعـة هى التـى فوق الست .

وقال معَود الحكماء معاوية بن مالك فى السماء بمعنى المطر :

اذا سقــط السماء بأرض قوم رعينــاه وان كانــوا غضابا

ويجمع على سُمِى قال رؤبة ونسبه الجوهرى الى العجاج :

تلفَــه الأرواح والسُمِىُّ فى دفء أرطــاة لهــا حِنِىُّ

وأنشد ابن برى للطرماح شاهدا على جمعه على أسْمِيَةٍ :

ومحــاه تهطــال أسميه كلَّ يوم وليلــة تردُه

والسماء العشب ايضا قال الشاعر :

فلما رأى ان السماء سماؤهم أتــى خطــة كان الخضوع نكيرها

وفى الحديث : صلى بنا إثر السماء فى الليل أى اثر مطر .

والسماء ايضا ظهر الفرس لعلوه ، قال طفيل الغنوىُّ :

واحمــر كالديبــاج اما سماؤه فَرَيَّــا وامَــا ارضه فمحُول

وسماوة البيت سقفه ، قال علقمة :

(سماوته من أتحمِىٍّ مُعَصَّبِ)

وقال ابن برى : صوابه :

سماوتُــه أسمال بُرِدٍمحبّر وصهوتُــه من أتْحمِــىَ معصّبِ

قال : والبيت لطفيل .

والجمع سَمَاوٌ ايضا ، حكاه الكسائى ، وانشد لذى الرمة :

وأقسم سيّـار مع الركــب لم يدع تراوحُ حافــات السّماوِ له صدرا

وسماوة الهلال شخصه اذا ارتفع عن الأفق شيئا ، وأنشد للعجاَج :

ناج طواه الايــن هما وجفا طى الليــالى زلفــا فزلفا

سماوة الهلال حتى احقَوْقفا

والسُّماة الصيادون ، وقيل : هم صيادو النهار خاصة ، وانشد سيبويه :

وجَــدَّاء لايرجــى بهــا ذو قرابة لعــطف ولايخشى السُّماَة ربيبُها

والسامى هو الذى يلبس جورَبْى شَعرٍ ويعدو خلف الصيد نصف النهار

قال :

اتت سدرةً من سدرِ حرمـلَ فابتنتْ به بيتهــا فلا تحــاذر ساميا

هكذا جاء هذا البيت فى اللسان ، ولعل فى « حرمل » تصحيفا والله اعلم

وانشد ثعلب :

وليس بهــا ريــح ولــكن وديقةٌ قليــلٌ بهــا السَّامِــىْ يهُــلُّ وينْقَعُ

وقال ثعلب : استمانا : اصادنا ، وأستمى : تصيّد ، انشد :

عَوَى ثم نادَى هل أحَصْتم قلاصَنا وُسِمْنَ على الأفخاذ بالأمس أربعا

غلام اضلتــه النبــوح فلــم يجد له بــين خبــت والهبــاءة أجمعا

أنــاسا سوانــا فاستمانــا فلا ترى أخا دلــج اهــدى بليــل وأسمعا

وسما الفحل سماوة : تطاول على شُوَّله وسطا ، وسماوته شخصه ، قال :

كأن على أشباتهــا حــين آنست سماوتــه قِيَــا من الطــير وُقّعا

وفى الاسم اربع لغات : إسم وأسم وسِم وسُم وينشد :

واللــه أسماك سُماً مباركاً آثــرك اللــه به ايثاركا

وقال آخر :

وعامنــا اعجبنــا مقَدمه يدعى ابا السمـح وقِـرْضَابٌ سُمهُ
مُبتركاً لكل عظم يُلْحمه

وألفه ألف وصل وربما قطعها الشاعر للضرورة كقول الأحوص :

ومـا انـا بالمخسوس فى جذم مالك ولامـن تسمـى ثم يلتـزم الإسما

قال ابن برى : وانشد ابو زيد لرجل من كلب :

ارســل فيهــا بازلا يُقَرمهُ وهـو بهـا ينجـو طريقـا يعلمه
باسم الذى فى كل سورة سِمُه

والجمع أسامٍ قال :

ولنــا أسامٍ ماتليــق بغيرنا ومشاهــد تهتــلّ حــين ترانا

وأسماوات واسامى ايضا .

والسُّما ايضا بُعد ذهاب الصيت ، قال :

فدع عنك ذكر اللهو واعمـد بمدحة لخــير معـدٍ كلِّهــا حيثما انتمى
لأعظمهــا قدرا وأكرمهــا أبا وأحسنهــا وجهــا واعلنهــا سُما

وقال آخر :

انا الحُباب الذى يكفى سُمِى نسبى اذا القميص تعـدى وَسْمَـه النسبُ

وفى الأساس : خاض لجة بحرِطام ، واقتحم قلة جبل سام ، وهو يطاوله ويساميه ، ويساجله ويسانيه ، ورايـت سماوتـه : شخصه وأصلـح سماء بيتـه وسماوته .

ومن المجاز : سمت نفسه الى كذا ، وهمته تسمو الى معالى الأمور وسَماَ فى الحسب والشرف ، وسموت اليه ببصرى ، وسما اليه بصرى قال جرير :

سَمَــتْ لى نظـرة فرأيــت برقا تهاميــاً فراجعنــى آدّكارى

وسَمَالىَ شخص من بعيد ، قال :

سمالى فرسان كأن وجوههم مصابيـح تبـدو فى الظـلام زواهر

وقال امرؤ القيس : (سَماَلك شوق بعد ماكان اقصرا)

وتساموا على الخيل : ركبوا ، واسميته من بلد الى بلد : اشخصته ، وفرس رفيع السماء نَهْدٌ وهم يسمون على المئة : يزيدون ، وهو من مسمى قومه ومساة قومه : خيارهم وذهب اسمه فى الناس : ذكره .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « يُصْهر به مافى بطونهم والجلود » ؟ قال : يُذابُ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت قول الشاعر :

سَخُنَــتْ صُهارتُــه فظَــلَّ عُثانُه فى سَيْطَــلٍ كُفيــتْ به يَتَرَدَّدُ

قال ابو تراب : السَّيطلُ لغةٌ فى السَّطْل ، والعُثان الغِلظَة والكثافة ، والمراد هنا ثرب الشاة عند إذابة أَلْيَتِها .

وفى نسخةٍ : (فظَلَّ عنِانُه) وهو خطأ .

وفى تفسير ابن عباس : « يُصْهرُ » يُذاب بالحميم .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج٢ص٤٧) : يذاب به ، قال الشاعر :

(شَكَّ السَّفافيد الشّواءَ المُصْطَهَرْ)

ومنه قولهم : صُهارة الأَلْية ، وقال ابن أحمك :

تَرْوى لَقًــى أُلقِــى فى صَفْصَفٍ تَصْهُــرُهُ الشــمس فَماَ يَنْصَهِرْ

تروى : تَصيِرْ له راويةً أى لفرخها ، كما يروى راوية القوم عليهم ، وهو البعير والحمار

قال ابو تراب : والشاهد الأول فى ديـوان العجـاج (ص١٩) والطبـرى واللسان والتاج . والثانى فى الطبرى والقرطبى واللسان والتاج ، وهو يصف فَرْخَ قَطَاةٍ ، وضُبط فى المجاز خطأً .

وقال آخر :

وعامنــا اعجبنــا مقّدمه يدعى ابا السمح وقِرْضَابُ سُمهُ
مُبتركاً لكل عظم يُلْحمه

وألفه ألف وصل وربما قطعها الشاعر للضرورة كقول الأحوص :

ومـا انـا بالمخسوس فى جذم مالك ولامـن تسمـى ثم يلتــزم الإسما

قال ابن برى : وانشد ابو زيد لرجل من كلب :

ارســل فيهــا بازلا يُقَرمهُ وهــو بهــا ينجــو طريقــا يعلمه
باسم الذى فى كل سورة سِمُه

والجمع أسامٍ قال :

ولنــا أسامٍ ماتليــق بغيرنا ومشاهــد تهتــلّ حــين ترانا

وأسماوات واسامى ايضا .

والسُّما ايضا بُعد ذهاب الصيت ، قال :

فدع عنك ذكر اللهو واعمد بمدحة لخــير معــدٍّ كلِّهــا حيثما انتمى
لأعظمهــا قدرا وأكرمهــا أبا وأحسنهــا وجهــا واعلنهــا سُما

وقال آخر :

انا الحُباب الذى يكفى سُمِى نسبى اذا القميص تعدى وَسْمَـه النسبُ

وفى الأساس : خاض لجة بحرِطام ، واقتحم قلة جبل سام ، وهو يطاوله ويساميه ، ويساجله ويسانيه ، ورايـت سماوتـه : شخصه وأصلـح سماء بيتـه وسماوته .

ومن المجاز : سمت نفسه الى كذا ، وهمته تسمو الى معالى الأمور وسَماَ فى الحسب والشرف ، وسموت اليه ببصرى ، وسما اليه بصرى قال جرير :

سَمَــتْ لى نظــرة فرأيــت برقا تهاميــاً فراجعنــى آدّكارى

وسَمَالَى شخص من بعيد ، قال :

سمالى فرسان كأن وجوههم مصابيــح تبــدو فى الظــلام زواهر

وقال امرؤ القيس : (سَماَلك شوق بعد ماكان اقصرا)

وتساموا على الخيل : ركبوا ، واسميته من بلد الى بلد : اشخصته ، وفرس رفيع السماء نَهْدٌ وهم يسمون على المئة : يزيدون ، وهو من مسمى قومه ومساة قومه : خيارهم وذهب اسمه فى الناس : ذكره .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « يُصْهر به مافى بطونهم والجلود » ؟ قال : يُذابُ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت قول الشاعر :

سَخُنَتْ صُهارتُه فظَلَّ عُثاُله فى سَيْطَلٍ كُفِيتْ به يَتَرَدَّدُ

قال ابو تراب : السَّيطلُ لغةٌ فى السَّطْل ، والعُثال الغِلظَة والكثافة ، والمراد هنا ثرب الشاة عند إذابة أَلْيَتِها .

وفى نسخةٍ : (فظَلَّ عِنانُه) وهو خطأ .

وفى تفسير ابن عباس : « يُصْهرُ » يُذاب بالحميم .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج٢ص٤٧) : يذاب به ، قال الشاعر :

(شَكَّ السَّفافيد الشّواءَ المُصْطَهَرْ)

ومنه قولهم : صُهارة الأَلْية ، وقال ابن أحمك :

تَرْوى لَقًى أُلقى فى صَفْصَفٍ تَصْهَرُهُ الشمس فَمَا يَنْصَهِرْ

تروى : تَصِيرُ له راويةً أى لفرخها ، كما يروى راوية القوم عليهم ، وهو البعير والحمار

قال ابو تراب : والشاهد الأول فى ديوان العجاج (ص١٩) والطبرى واللسان والتاج . والثانى فى الطبرى والقرطبى واللسان والتاج ، وهو يصف فَرْخَ قَطَاةٍ ، وضُبط فى المجاز خطأً .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص٢٩١) : « يُصْهَر به مافى بطونهم » أى يُذاب . يقال : صَهَرتِ النارُ الشَّحمَةَ . والصُّهارة ما أذيب من الأَلية .

وفى معانى الفراء «ج٢ ص٢٢٠» : «يصهر به» يذاب به . تقول صهرت الشَّحم بالنار .

قال الراغب : الصَّهْر إذابة الشحم . قال : يُصهر به مافى بطونهم والصُّهارة ماذاب منه . وقال أعرابّى : لأُصهرنَّك بيمينى مُرَّةً . أى لأُذيبنك .

قال ابو تراب : وضبط فى المفردات : (بيمينى مَرَّةً) وهو خطأ . والصَّهْر الختنُ . وأهل بيت المرأة يقال لهم الأصهار . كذا قال الخليل .

قال ابو تراب : عبارة الخليل : لايقال لأهل بيت الرجل الاّ أختان ولا لأهل بيت المرأة الاّ أصهار ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم .

قال ابن الأعرابى : الاصْهارُ التَحرُّمُ بجوارٍ أو نَسَبٍ أو تَزوُّجٍ يقال : رجلٌ مُصْهِرٌ اذا كان له تَحَرُّم من ذلك قال : « فجعله نسباً وصهراً »

قال ابو تراب : هذه المادة من فواتِ الدَّامغانى وابن الجوزى فى كتابيهما فى الوجوه والنظائر فلتستدرك . لأن لها معنيين وكلاهما فى القرآن . وفى غريب ابن عزيز (ص٢٦٣) : يُصْهر أى يذُابُ .

قال الزمخشرى فى الأساس : بينهم صِهرٌ وصُهورة . وهو حُرمةُ الزواج «فجعله نسباً وصهْراً» وصهر الشحم : أذابه . وأكل صُهارته وهى ذَوْبُه . وصهر رأسه : دَهَنَه بالصُّهارة . وصَهَر الخُبْز : أدَمَه بها . وفى بيته صَيْهور حَسَنٌ وهو ما توضع عليه أوانى الصُّفْر والشَّبَه .

ومن المجاز : أصهر الجيش للجيش : اذا دنا له . وصهره الحرُّ اذا اشتد عليه . وغَطِّ رأسك لاتَصْهَره الشمس . وما فى البعير صُهارةٌ : اذا لم يكن فيه نِقْىٌ . ولايُستعمل الاّ فى النَّقى .

قال أبو تراب : يعنى المُخّ .

قال ابن فارس فى المقاييس : الصَّهْر أصْلانِ أحدهما يدل على القربى والآخر على إذابة الشيء ، وشاهد الأول عنده قول القائل

قال أبو تراب : هو زهير .

قَوْدُ الجيـاد وإصهـارُ الملوكِ   وصَبْرٌ فى مواطنَ لو كانوا بها سئمُوا

وشاهد الثانى عنده :

وكنتَ اذا الوِلْـدانُ حان صَهيرُهم   صَهَرْتَ فلم يَصْهر كصَهـرك صاهرُ

قال ابو تراب : الصهير فى هذا البيت الخبز المدهون بالصُّهارة .

وفى لسان العرب : الصّهر القَرابَةُ ، وحرمة الخُتونة ، وقد صاهرهم وصاهر فيهم ، وأنشد ثعلب :

حرائـرُ صَاهَـرْنَ المُلوكَ ولـم يَزَلْ   على النـاس من أبنائهـن أميرُ

قال ابن سِيدَهْ : ورُبما كَنَوْا بالصّهْر عن القبر ، لأنهم كانوا يئدون البنات فيقولون : زوجناهنّ من القبر ، ثم استعمل هذا اللفظ فى الاسلام فقيل : نِعْمَ الصّهْرُ القبرُ ، والصحيح انه على المَثَل ، أى الذى يقوم مقام الصّهْر . والصَّهْر الحارُّ حكاه كراعٌ وأنشد :

إذْ لاتـزال لكـم مُغَرغِرةٌ   تَغْلى وأعْلى لونِهـا صَهَرُ

فعلى هذا يقال : شيء صَهرٌ حارٌّ ، الصَّهْر ايضاً المشْوىّ وأنشد قول العجاج المذكور

وقال الأصمعى : يقال لما أُذيب من الشحم الصُّهارة ، والجميلُ ما أذيب من الألْية ، فهو حَمٌّ اذا لم يبق فيه الوَدَكُ .

وفى الحديث ان الأسود كان يصْهر رجليه بالشحم وهو مُحْرِمٌ أى كان يذيبه ويدهنهما به .

وقال ابو زيد فى قوله تعالى : « يُصهر به مافى بطونهم » هو الاحراق ، صهرتُه بالنار : أنضجته ، وفى اللسان : « يُصْهر به مافى بطونهم » حتى يخرج من

أدبارهم . وفى حديث أهل النار : فيُسْلَت مافى جوفه حتى يمرق من قدميه ، وهو الصَهْر .

وفى الحديث : انه كان يؤسّس مسجد قُباءٍ فيصْهُر الحَجَرَ العظيم الى بطنه أى يدنيه .

وفى تفسير الامام الطبرى : وقوله : « يُصْهَر به مافى بطونهم والجلود » يقول يذاب بالحميم الذى يُصبُّ من فوق رؤوسهم مافى بطونهم من الشحوم وتُشوى جلودهم منه فتتساقط . والصَهْر هو الاذابة . يقال منه صهرتُ الألْيَةَ بالنار : اذا أذبتها ، أصْهرها صَهْراً . وأنشد قول الراجز وابن احمر شاهدين وأورد فى ذلك عن مجاهد وابن جريج وقتادة . وابن عباس قال : يُسقون ما اذا دخل بطونهم أذابها والجلود مع البطون .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتِحَه لتنُوء بالعُصْبَة أُولى القُوة » ؟ قال : « لَتَنُوءُ » لتُثْقلُ . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم . أما سمعت قول امرىء القيس :

تَمْشى فتثقلها عجيزتُها مَشْى الضعيف ينُوءُ بالوَسْقِ

قال ابو تراب : البيت ليس فى ديوان امرىء القيس ، وهو فى الأغانى (ج١١ ص١٩١) للحارث فى عائشة بنت طلحة . ونَصُّه :

وتَنُوءُ تُثقلها عجيزتُها نَهْضَ الضعيف يَنُوءُ بالوسْقِ

وتفسير ابن عباس هنا هو الذى نقله الفيروز ابادى فى التنوير (ص٢٤٤) وفى مجاز أبى عبيدة (ج١ ص١٢/٦٤ ـ وج٢ ص١١٠) ومن مجاز ما يُحوّل فعل الفاعل الى المفعول أو الى غير المفعول قال : « ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة » والعصبة هى التى تنوء بالمفاتح ، أى تثقلها ، أى مفاتح خزائنه . ويقال فى

الكلام انها لتنوء بها عجيزتها ، وانما هى تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله ، والعرب قد تفعل مثل ذلك ، قال الشاعر :

فديــتُ بنفسه نفسى ومالى ولا آلُــوك الاّ ما أُطيق

والمعنى فديت بنفسى وبمالى نفسه ، وقال - يعنى خداش بن زهير وهو فى الكامل للمبّرد (ص٣٤٤) والطبرى واللسان وشواهد الكشاف (ص١٢٠)

وتُركَــب خيلٌ لا هَوادَةَ بينها وتَشْقَــى الرمـاحُ بالضياطــرةِ الحُمْرِ

الخيل ها هنا الرجالُ ، وانما تَشْقى الضياطرةُ بالرماح ، وقال ابو زيد :

(والصَّدُر منه فى عاملٍ مقصودِ)

وانما الرمح فى الصدر ، ويقال : اعْرِض الناقة على الحوض وانمـا يُعْـرَض الحوضُ

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص٣٣٤) : «لَتَنُوءُ بالعُصبةِ» أى تميل بها العصبة اذا حملتْها من ثقلها ، يقال : ناءتْ بالعُصبة أى مالتْ بها ، وأَنَاءَت العصبة : أَمَالَتْها ، ونحوه فى المعنى قوله : « ولايؤوده حفظهما » أى لايُثقله حتى يؤودَه ، أى يُميله .

وقال الفراء فى المعانى (ج٢ ص٣١٠) : نَوْؤُها بالعصبة أن تُثقلهم ، والمعنى ما إنَّ مفاتحه لتُنىءُ العصبة ، أى تُميلهم من ثقلها ، فاذا أدخلتَ الباء قلتَ : تَنُوء بهم وتُنىءُ بهم ، كما قال : « آتونى أفرغ عليه قطْرا » والمعنى ائتونى بقطْرٍ أُفْرِغْ عليه ، فاذا حذفت الباء زدت فى الفعل الفـاً فى أولـه ، ومثلـه : « فأجاءهـا المخاضُ» معناه فجاء بها المخاض ، وقد قال رجل من أهل العربية - يعنى ابا عبيدة - ان المعنى ما إنَّ العصبة لتنوء بمفاتحه فحوَّل الفعل الى المفاتح كما قال الشاعر :

ان سراجــاً لكــرمٌ مفخره تَحْلَى به العــينُ اذا ما تَجْهَرهْ

وهو الذى يحلى بالعين ، فان كان سمع بهذا أثراً فهو وجْهٌ ، والاّ فان الرجل جهل المعنى ، ولقد أنشدنى بعض العرب :

حتـــى اذا ما ألتأمَــتْ مواصِلُهْ   ونـــاد فى شِقِ الشِمالِ كاهِلُه

يعنى الرامى لَمّا أخذ القوس ونزع مال على شِقِّهِ ، فذلك نَوْؤُهُ عليها ، ونرى ان قول العرب : ما ساءك وناءك من ذلك ، ومعناه : ما ساءك وأناءك ، الاّ أنّه ألْقَى الألف ، لأنه مُتْبَعٌ لساءك ، كما قالت العرب : أكلـتُ طعامـاً فهَنَأنـى ومَرَأنى ، ومعناه اذا أفردت ، وأمْرأنى ، فحذفت منه الألف لّما أن أُتْبع مالا ألف فيه .

وقال ابن عزيز فى الغريب (ص٦٢) : « تَنُوءُ بالعُصبة » أى تنهض بها ، وهو من المقلوب ، معناه : ما إنّ العصبة لَتَنُوء بمفاتحه ، أى ينهضون بها ، يقال : ناء بحمله اذا نهض منه متثاقلاً .

ثم نقل كلام الفرآء ، ولفظه عنده : ليس هذا من المقلوب ، انما معناه ما إنّ مفاتحه لتُنىءُ العُصبةَ أى تُميلهم بِثقلها ، فلما انفتحت التاء دخلت الباء ، كما قالوا : هو يذهب بالبؤس ، ويذهب البؤسَ ، واختصاره : تنوء بالعصبة أى تجعل العصبة تَنُوءُ أى تنهض متثاقلةً كقولك : قم بنا أى اجعلنا نقوم .

ونقل الامام الطبرى كلام أبى عبيدة الذى ذكرناه آنفاً ، ثم نقل ردّ الفرآء عليه وأقوال البصريين والكوفيين ، وقال عقب كلام الفراء الذى ذكرناه أنه أولى بالصواب من الأقوال الأخر لمعنيين أحدهما أنه تأويل موافق لظاهـر التنـزيل والثانى أن الآثار التى ذكرنا عن أهل التأويل بنحو هذا المعنى جاءت ، وأن قول من قال : معنى ذلك : ما أن العصبة لتنوء بمفاتحه انما هو توجيه منهم إلى أن معناه ما ان العصبة لتنهض بمفاتحه ، واذا وُجّه ذلك لم يكن فيه من الدلالة على أنه أريد به الخبَرُ عن كثرة كنوزه على نحو مافيه إذا وُجّه إلى أن معناه أن مفاتحه تثقل العصبة وتميلها ، لأنه قد تنهض العصبة بالقليل من المفاتيح وبالكثير ، وانمـا قَصدَ جل ثناؤه الخبر عن كثرة ذلك ، وإذا أريد به الخبر عن كثرته كان لاشك أن

الذى قاله من ذكرنا قوله من أن معناه لَتَنُوء العُصبةُ بمفاتحه قول لا معنى له هذا مع خلافه تأويل السلف فى ذلك .

قال ابن فارس : النَّوْء كلمة تدل على النهوض ، وناء ينوء نَوْءًا : نهض وقال :

فقلنا لهم تلكم اذا بعد كرَّةٍ نغادر صَرْعى نَوْؤها متخاذل

أى نهوضها ضعيف .

قال أبو تراب : هذا البيت لجعفر بن عُلْبة الحارثى ذكره فى الحماسة (ج ١ ص ١٠) قال ابن فارس : والنَّوْءُ من أنواء المطر كأنه ينهض بالمطر . وكل ناهضٍ بِثقْلٍ فقد نَاءَ . والمرأة تنوء بها عجيزتها ، وهى تنوء بها فالأولى تُثقل بها ، والثانية تنهض .

قال ابو تراب : ومن شواهده قول امرىء القيس : (وناءَ بكلكل) .

وقال الزمخشرى فى الأساس : نُؤْتُ بالحَمْل : نهضت به ، وناء بى الحمل مال بى إلى السقوط « ما أنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة » وناوأت الرجل . عاديته ، ومعناه ناهضته للعدواة ، وناء النجم سقط ، وناء طلع .

وقال الراغب : قرىء « نَاء بجانبه » أى تباعد به ، عبارةٌ عن التكبر كقولك شمخ بأنفه وازْوَرَّ جانبه .

وفى اللسان : ناء نهض بجهد ومشقة ، وقيل : أُثقل فسقط فهو من الأضداد .

قال ابو تراب : لم يذكره ابن الانبارى فيها فليستدرك .

وقوله :

إنى وَجدّك لا أقْضِى الغَرِيم وإنْ حانَ القَضاء وما رقَّتْ له كَبِدى

الاّ عَصَا أرْزَنٍ طارتْ بُرايتُها تَنُوء ضرَبتُها بالكفّ والعَضُدِ

يعنى تُثقل ضربتها بالكف والعضد . وجمع النَّوْء نُوآنٌ ايضاً قال حسان :

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أنّابها اذا قَحَطَ الغيثُ نُوآنُها

وقد استَنَاء . وعلى المقلوب استَنْأى نُوءاً . قال :

يَجُرُّ ويَستَنْئى نَشَاطاً كأنه بِغَيْقَةَ لَمّا جَلْجَلَ الصوتَ جالبُ

قال ابو حنيفة : استَنْئَوُا الوَسْمِيَّ نظروا اليه . وأصله من النَّوء فقدمَ الهمزة .

وقول ابن أحمر :

الفاضلُ العادلُ الهادى نَقيبتُه والمُسْتَنَاءُ اذا مايُقْحِطُ المَطَرُ

المُسْتَنَاء الذى يُطلب نَوْؤُه . قال ابو منصور أى الذى يُطْلب رِفْدُهُ .

وقد يكون النَّوءُ السقوطُ قال ذو الرُّمَّةِ :

تَنُوءُ بأخْراها فَلأْيَاً قيامُها وتَمْشى الهُوَيْنَى عن قريبٍ فتَبْهَرُ

قال الازهرى : أراد أنها تنيئها الى الأرض لِضِخَمِها . وشاهدناوأتُ قول الشاعر :

اذا أنت نَاوأتَ الرجالَ فلم تَنُؤْ بِقَرْنَينِ غَرَّتْك القُرونُ الكوامِلُ

ولا يَستوى قَرْنُ النِطاح الذى به تَنُوءُ وقَرْنُ كلماّ نُؤتَ مائلُ

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وأضربوا منهم كلَّ بنان ؟ » قال : أطراف الأصابع ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عنترة :

ونِعْمَ فوارسُ الهَيجاءِ قومى اذا عَلِقُوا الأسِنَّةَ بالبنانِ

قال ابو تراب : البيت فى ديوانه ، وهذا التفسير ذكره ابو عبيدة فى المجاز (ج١ ص٢٤٢) وأنشد قول عباس بن مِرْداسٍ ، وهو فى اللسان والتاج واستشهد به الطبرى :

ألاَ ليتنـــى قطَعــت منـــى بَنَانَةً ولاقيتُه فى البيـت يقظـان حاضرا

ومثله فى غريب ابن قتيبة (ص١٧٧) وغريب ابن عزيز (ص٤٥) وقال الفراء فى المعانى (ج١ ص٤٠٥) علّمهم مواضع الضرب فقال : اضربـوا الـرؤوس والأيدى والأرجل فذلك قوله « واضربوا منهم كلَّ بنان » .

وقال الطبرى (ج٩ ص١٣٢) : معناه واضربوا أيها المؤمنون من عدوكم كلَّ طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم ، والبنان جمع بنانةٍ وهى أطراف أصابع اليدين والرجْلين .

وفى مفردات الراغب : البَنانُ الأصابع ، قيل : سمِّيت بذلك لأن بها صلاح الأحوال التى يمكن للانسان أن يبنَّ بها ، يريد أن يقيم به ، ويقال : أبَنَّ بالمكان يبِنُّ ، ولذلك خُصَّ فى قوله تعالى : « بلى قادرين على أن نسوِّى بَنَانَه » وقوله : « واضربوا منهم كلَّ بنان » خَصَّه لأجل أنهم بها تُقاتل ، وتدافع ، والبَنَّةُ الرائحة التى تَبِنُّ بما تعْلَقُ به .

وفى تنوير المقباس (ص١١٤) « كلَّ بنان » مَفْصَلٍ .

وفى المقاييس : الباء والنون فى المضاعف أصل واحد ، هو اللزوم والاقامة واليه ترجع مسائل الباب كلها ، قال الخليل : الابنانُ اللزوم ، يقال : أبَنَّـتِ السحابة اذا لَزمتْ ، وأَبَنَّ القوم بمَحَلةٍ أقاموا قال :

يا أيهَا الركبُ بالنَّعْفِ المبْنُونَا

ومن هذا الباب قولهُم : بنَّنَ الرجل فهـو مُبنِّـنٌ ، وذلك ان يرتبـط الشاةَ لِيُسمِّنَها ، وأنشد :

يُعيِّرنـــى قومـــى بأنـــى مُبَنَنٌ   وهـل بَنَّـنَ الأشراطَ غـير الأكارم

وقال الخليل : البنان أطراف الأصابع فى اليدين ، والبَنَانُ فى قوله تعالى : « واضربوا منهم كلَّ بَنَانٍ » يعنى الشَّوى ، وهى الأيدى والأرجل ، قال : وقد يجيءُ فى الشعر البَنَانَةُ بالهاء للأصبع الواحدة ، وقال :

لاَهُـمَّ كَرَمْـتَ بَنـى كِنانَهْ   ليس لِحِـىَّ فوقهـم بَنَانَهْ

أى ليس لاحد عليهم فضل قيس اصبع ، وقال فى البنان :

لَمـا رأتْ صداً الحديـد بِجلْدِهِ   فاللَّـونُ أورق والبَنـانُ قصِارُ

وقال ابو اسحاق ابراهيم بن السرِّىَ الزجّاج : واحد البنان بنانةٌ ومعناه فى قوله تعالى : « واضربوا منهم كلَّ بنان » الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء ، وانما اشتقاق البنان من قولهم : أَبَنَّ بالمكان اذا أقام به فالبنان به يعتمد كلُّ مايكون للاقامة والحياة .

وقال الخليل : والبَنَّةُ الريح من أرباض البقر والغنم والظباء ، وقد يستعمل فى الطيب فيقال : أجد فى هذا الثوب بَنَّةً طيّبةً من عَرْفِ تُفّاحٍ أو سَفرجَلٍ ، وأنشد :

بَلَّ الذُّنَابَى عَبَساً مبنَّا

وهذا ايضاً من الأول ، لأن الرائحة تلزم .

قال ابو تراب : هذا الرَّجز فى نوادر أبى زيد (ص٥٠) واللسان ، وهو لمدُرِكِ بن حصْنٍ الأسدى .

وقال الراجز فى الابنان وهو الاقامة :

قلائصاً لايشتكـين المَنَّا   لايَنتظـرنَ الرجـلَ المُبِنّا

وقال ابو عمرو : البنين من الرجال العاقل المُتَثَبتُ ، قال : وهو مشتق من

البَنَّةِ . والبُنَانَة الروضة المُعْشبة الحالية ، وهذا من ذاك الأول لأن الروضة المُعْشِبة لاتَعْدَمُ الرائحةَ الطيبة .

وفى لسان العرب : وربما سمّيت مرابض الغنم بَنّة ، قال :

أتانــى عن أبــى أُنَسٍ وعيدٌ ومعصوب تَخُــبُّ به الركابُ
وعيــدٌ تَخْــدُج الآرامُ منه وتَكْــرَهُ بَنَــةَ الغنــم الذئابُ

ورواه ابن دريد : تُخْدِجُ أى تَطرح أولادها نُقَّصاً ، والمعصوبُ الكتابُ أى هو وعيد لايكون أبداً لأن الآرام لاتُخْدج أبداً ، والذئاب لاتكره بنَّةَ الغنم أبداً . وقال ذو الرُمَّة يصف الثور الوحشى :

أَبَــنَّ بهــا عوْدُ المَبَــاءَةِ طيِّبٌ نَسيــمَ البِنَــانِ فى الكِنَـاس المُظَلَّلِ

عَوْدُ المَباءةِ أى ثور قديمُ الكِناسِ ، وانما نَصَبَ النسيم لَمَّانَوَّنَ الطيّبَ وكان من حقه الاضافة ، فضارع قولهم : هو ضاربٌ زيداً ، ومنه قوله تعالى : « ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً » أى كِفاتَ أحياءٍ وأموات . ومعنى البيت : أرِجَتْ ريح مَباءتنا مما أصاب أبعارَه من المطر .

قال ابن بَرى : وزعم أبو عُبيد أنَّ البَنَّة الرائحة الطيبة فقط ، وليس بصحيح بدليل قول على بن أبى طالب للأشعث بن قيس حين خطب اليه ابنته : قُمْ لعنك الله حائكاً ، فلكأنّى أجد منك بَنَّةَ الغَزْل ، وفى رواية انـه قال له : ما أحسبك عرفتنى يا أمير المؤمنين ، قال : بلى وانّى لأجد بَنَّةَ الغَزْل منك ، رماه بالحياكة لأن أباه كان مولعاً بالنِساجة .

وفى الحديث ان للمدينة بَنَّةً ، قال سيبويه : جعلوه اسماً للرائحة الطيبة
قال ابو الهيثم : ويقال للعقدة العليا من الاصبع البَنانة ، وأنشد :

(يبلّغنا منها البَنانُ المُطَرَّفُ)

والمُطَرف الذى طُرِّف بالحنّاء ، وكل مَفْصلٍ بنانة ، وأنشد سيبويه :

قد جعلتْ مَيُّ على الطّرار   خَمْسَ بنانٍ قانىء الأظفار

فانه أضاف الى المفرد بحسب إضافة الجنس ، يعنى بالمفرد انه لمْ يكُسَّرْ عليه واحد الجمع ويريد خَمْساً من البَنانِ .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فأصابها إعصار » قال : الريح الشديدة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

فلــه فى آثارهــن خُوارْ   وحفيفٌ كأنــه إعصارْ

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج١ ص٨٢) : الاعصار ريح عاصف ، تهبّ من الأرض الى السماء كأنه عمود فيه نار . ومثله فى غريب السجستانى (ص٣٦)

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص٩٧) : الاعصار ريح شديدة تعصف وترفع تراباً الى السماء كأنه عمود ، قال الشاعر :

إنْ كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصارا

أى لاقيت ماهو أشد منك .

ونقل الميدانى فى مجمع الامثال (ج١ ص ٣٠) عن أبى عبيدة انه قال : الاعصار ريح تهب شديدة الى السماء من الأرض .

وقال الراغب فى المفردات : الاعصار ريحٌ تثير الغُبار .

وقال الامام الطبرى : وأمّا الاعصار فانه الريح العاصف تهب من الأرض الى السماء كأنها عمود تجُمع أعاصير ، ومنه قول يزيد بن مُفَرّغ الحِميرى :

أنــاسٌ أجارونــا فكــان جِوارُهم   أعــاصير من فَسو العــراق المُبَذَّرِ

وأورد الطبرى فى معنى الاعصار اقاويل منها القول بأنه ريحٌ فيه سموم شديدة

وأورد فيه عن ابن عباس وقتادة والسدى والربيع ، ومنها القول بأنه ريح فيها برد شديد وأورد فيه عن الحسن والضحاك .

وقال ابن فارس فى المقاييس : العين والصاد والراء أصول ثلاثة صحيحة فالأول الدهر ، والثانى ضغط شيء حتى يتحلّب ، والثالث تعلق شيء بشيء وامتساكٌ به ، ثم قال : والاعصار الغبار الذى يسطع مستديراً قال :

وبينما المــرء فى الأحيــاء مغتبطاً ۝ إذْ صار فى الرمس تَعْفوه الأعاصيرُ

ويقال فى غبار العجاجة ايضاً إعصار قال الله تعالى : « فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت »

قال أبو تراب : هذا البيت الذى استشهد به له قصة ليس هذا موضع ذكرها ومن أرادها فليراجع مجالس ثعلب (ص٢٦٥) وعيون الأخبار (ج٢ ص٣٠٥) والعقد الفريد (ج١ ص٣٨٠) ونزهة الالباء (ص٣٤) وأسد الغابة (ج٣ ص٣٥١) .

وفى لسان العرب : والاعصار الريح تثُير السحاب ، وقيل : هى التى فيها نار ، مذكّر ، وفى التنزيل : « فأصابها إعصار » والاعصار ريح تثير سحاباً ذات رَعْدٍ وبرق ، وقيل : هى التى فيها الغبار الشديد . وقال الزجّـاج : الاعصار الرياح التى تهب من الأرض وتثير الغبار فترتفع كالعمود الى نحو السماء ، وهى التى تُسمّيها الناس الزوبعة وهى ريح شديدة لايقال لها إعصار حتى تهب كذلك بشدة ، ومنه قول العرب فى أمثالها : « ان كنتَ ريحاً فقد لاقيت اعصاراً » يضرب مَثَلاً للرجل يَلْقَى قِرْنَه فى النجدة والبسالة ، والاعصار والعِصارُ ان تهَيج الريح التراب فترفعه ، والعِصَار الغبار الشديد قال الشماخ :

اذا ما جَدَّ وأستذكى عليها   أثَرنَ عليه من رَهَجٍ عِصارا

وقال ابو زيد : الإعصار الريح التى تسطع فى السماء وجمع الاعصار أعاصير وأنشد الأصمعى : « وبينما المرء الخ » البيت المتقدم ، والعَصرَ ، والعَصرَةُ الغبار كما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن امرأة مرّت به مُتَطّيبةً بذيلها عَصرَةٌ وفى رواية إعصارٌ ، أراد الغُبار انه ثار من سَحْبها ، وهو الاعصار ، ويجوز ان تكون العَصرَة من فَوْحِ الطيب وهَيْجِه فشَبَّهه بما تُثير الرياح ، وبعض أهل الحديث يرويه عُصْرَةً .

والعِصارُ فى قول الفرزدق :

اذا تَعَشَّى عتيقَ التمر قام له   تحت الخَميل عِصارٌ ذو أضاميم

هو الريح الخبيثة ، وأصله ما عَصرَت به الريح من التراب والهواء .

وقال ابو حنيفة : قال قوم ان المُعْصِرات الرياحُ ذوات الأعاصير وهو الرَّهج والغُبار واستشهدوا بقول الشاعر :

وكأن سُهْكَ المُعْصِرات كسونها   تُرْبَ الفدافِد والنِقّاع بمُنْخُل

وروى عن ابن عباس انه قال : المعصرات الرياح ، قال الأزهرى وقول من فسر المعصرات بالسحاب أشبه بما أراد الله عز وجل لأن الأعاصير من الرياح ليست من رياح المطر .

قال ابو تراب : لكن ابن فارس يقول أما تسمية الرياح المعصرات فليس يَبْعُد ان يحُمل على هذا من جهة المجاورة لأنها لّما أثارت السحاب المعصرات سميت معصراتٍ وإعصاراً وانظر مادة « المعصرات » من هذا الكتاب .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ومَنْ يهاجِرْ فى سبيل الله يجِدْ فى الأرض مُراغَماً كثيراً وسعةً » قال مُنْفَسَحاً بلغة هُذيلٍ .
قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

وأتْـرُكُ أرضَ جُهْـرَةَ إنّ عندى رجـاءً فى المُراغـمِ والتعادى

قال ابو تراب : المُراغَم المُنْفَسَح بلغة هذيل ذكره ابن سلاّم فى لغات القبائل (ص ١٢٩ ج ١ هامش الجلالين) . وفى غريب السجستانى (ص ٢٠٩) : « مراغماً » أى مُهاجَراً .

وقال الفراء فى المعانى (ج ١ ص ٢٨٤) : مُراغَمٌ ومراغَمـةٌ مصدران ، فالمراغَم المضطَرب والمذهب فى الأرض .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ١٣٤) : المُراغَم والمُهاجَر واحدٌ تقول : راغمت وهاجرت قومى ، وأصله أن الرجل كان اذا أسلم خرج عن قومه مُراغِما لهم ، أى مُغاضباً ، ومهاجِراً ، أى مُقاطعاً من الهجران ، فقيل للمذهب : مُراغَمٌ وللمصير الى النبى ﷺ هجرةٌ ، لأنها كانت بهجرة الرجل قومَه ، قال الجعدى (عزيزِ المُراغَمِ والمَذْهَبِ)

قال ابو تراب : صدره : (كطَوْدٍ يُلاذُ بأركانِه) وفى روايةٍ : « والمهرب » وأنشده ابو عبيدة فى مجاز القرآن (ج ١ ص ١٣٨) وهو فى اللسان والتـاج وشواهد الكشاف (ص ٢٦) والمقاييس والطبرى والقرطبى ، قال ابو عبيدة : والمُراغَم والمُهاجَر واحد، تقول : راغمت وهاجرت قومى وهى المذاهب ، وأورد قول النابغة المذكور .

وقال الراغب : تستعار المراغمة للمنازعة قال الله تعالى : « مراغَماً كثيراً » أى مذهباً يذهب اليه اذا رأى مُنْكَراً يَلْزَمُه أن يغضب منه ، كقولك : غضبتُ الى فلان من كذا ، ورَغمْتُ اليه .

وأصله يُعبَّر به عن السَّخَط كقول الشاعر :

اذا رَغِمتْ تلك الأنـوفُ لَمَ أرْضَهَا ولم أطلـب العُتْبـى ولـكن أزيدها

فمقابلتُه بالارضاء مما يُنَبِّه دلالتَه على الاسخاط .

وفى الأساس للزمخشرى : ومن المجاز : فعلت ذلك على رَغْم أنفـه وعلى الرَّغم منه قال زهير :

فَرَدَّ علينـا العَـيْرَ من دون إلْفِه على رَغْمِـه يَدْمَـى نَسَاهُ وفائِلُهْ

يعنى رَغْم العَير ، وإلْفُه الأتانُ ، ويقال : لأَطَأَنَ منك مَراغِمَكَ ، أى أنفك وما حولَه ، قال :

قَضَوا أجَلَ الدنيا وأُعطيـتُ بعدهم مَراغِـمَ مِقْـرادٍ على الـذُّلِّ راتبِ

من قَرَدَ اذا سكت ذُلاًّ ، وقال الشَّمَّاخُ :

وإن أبَيْـتَ فانّـى واضعٌ قَدَمِى على مَراغِـمِ نَفَّـاخِ اللَّغَادِيْدِ

وفى حديث عائشة فى المرأة تتوضأ وعليها الخضاب : « أُسْلُتِيْه وأرْغِميْهِ » أى أهِيْنِيهْ وارمِىْ به عنك ، ويقولون : ما تَرْغَمُ من فلان أى ما تَنْقِمُ منه ، قال ابو ذُؤيب يصف رَبْرَباً :

وكُنَّ بالـرَّوض لا يَرْغَمْـنَ واحدةً من عَيْشِهِنَّ ولا يَدْرِيْـنَ كيف غَدُ

وراغم أباه : فارقه على رَغْمٍ منه وكراهةٍ ، وذهب فى الأرض مُهاجِراً ، ومنه قيل للمهرب والمذهب : المُراغَمُ أى موضع المُراغَمةِ ، والمُتَرَغَّمُ والمَرْغَمُ ومالى عنك مُراغَمٌ ، قال :

وأنْـدىَ أكُفـاً والأكُفُّ جوامدٌ اذا لم يجد باغـى النَّدَى مُتَرَاغماَ

وقال :

اذا الأرض لم تجْهَـلْ علىَّ فُروجُها وإذْ لىَ عن دار المَذَلَّـةِ مَرْغَمُ

وفى تفسير الامام الطبرى : المُراغَمُ المضطَرب فى البلاد والمذهب ، يقال منه : راغم فلان قومَه مُراغَماً ومُراغَمةً مصدراً وأورد قول نابغة بنى جَعْدَةَ المذكور

ثم قال : واختلف أهل التأويل فى تأويل المُراغم فقال بعضهم : هو التحول من أرضٍ الى أرضٍ ، ورَوَى ذلك بالسَّنَد عن ابن عباس ، وعن الضحاك

قال : مراغَماً مُتَحَوَّلاً ، ومثله عن الربيع والحسن أو قتادة وقال مجاهد : « مراغَماً » مندوحةً عما يكره ، وفى رواية عنه : مُتَزَحْزَحاً .

وقال آخرون : « مراغَماً » مُبْتَغَى معيشةٍ ، ورَوَى ذلك عن السُّدِّىِّ .

وقال آخرون : المُراغَم المُهاجَر ، ورَوى ذلك عن ابن زيد . والصواب عند ابن جرير هو ما ذكره من قبل من أن المُراغَم هو المُضْطَرَبُ فى البلاد والمَذْهَبُ .

وفى تفسير القرطبى : قال النحّاس فهذه الأقوال متفقة المعانى ، فالمُراغَم المذهب والمتحوَّل فى حال هجرة ، وهو اسم الموضع الذى يُراغَم فيه ، وهو مُشْتَقٌّ من الرَّغام ، ورَغِم أنفُ فلان أى لصق بالتراب ، وراغمتُ فلاناً : هجرتُه وعاديتُه ، ولم أُبالِ إنْ رَغِم أنفُه . وقال ابن القاسم : سمعت مالكاً يقول : المُراغَم الذهاب فى الأرض ، وهذا كله تفسير بالمعنى ، وكله قريب بعضه من بعض ، فأما الخاص باللفظة فأن المراغم موضع المراغمة كما ذكرنا وهو أن يُرْغِمَ كلُّ واحدٍ من المتنازعين أنف صاحبه بأن يغلبه على مراده ، فكأن كفّار قريشٍ أرغموا أنوف المحبوسين بمكة ، فلو هاجر منهم مهاجر لأرغم أنوف قريشٍ لحصوله فى مَنْعةٍ منهم ، فتلك المَنْعَةُ هى موضع المراغمة .

قال ابن فارس فى المقاييس : الراء والغين والميم أصلانِ أحدهما التراب والآخر المذهب فالأول الرَّغام وهو التراب ، ومنه أرغم الله أنفه أى ألصقه بالرَّغام هذا هو الأصل ، ثم حُمِل عليه فقال الخليل : الرَّغْم أن يفعل ما يَكْرَهُ الانسان ورَغِمَ فلانٌ اذا لم يَقْدِرْ على الانتصاف ، ويقال : راغَمَ فلانٌ قومَه : نابَذهم وخرج عنهم ، والأصل الآخر المُراغَم وهو المذهب والمَهْرَب فى قوله جَلَّ ثناؤه : « يجِدْ فى الأرض مُراغماً كثيراً وسعةً » وأورد قول الجعدى المذكور . ثم قال : ومما شَذَّ عن الأصلين الرُّغامَى ، قال قوم هى الأنْفُ . وقال آخرون : زيادةُ الكَبِد، قال الشمّاخ :

(لها بالرُّغامَى والخياشيم جارزُ)

قال ابو تراب : هو فى الديوان (ص ٥١) وصدر البيت : (يُحَشرِجُها طوراً وطوراً كأنها)

وفى الحديث : بُعثت مَرْغَمةً أى بُعثت هواناً وذُلاً للمشركين ، وفى الحديث ايضاً وإن رَغِمَ أنفُه ، أى ذَلَّ ، رُوى بفتح الغَين ، وقال ابن شُميل : على رَغْم من رَغَم بالفتح ايضاً ، وفى حديث مَعْقل بن يَسارٍ : رَغِم أنفى لأمر الله أى ذَلَّ وانقاد ، وفى الحديث ايضاً : اذا صَلّىَ أحدكم فَلْيُلْزِمْ جبهتَه وأنْفه الأرضَ حتى يخرج منه الرَّغْمُ ، معناه حتى يخضع ويَذِلَّ ويخرج منه كِبْرُ الشيطان .

وفى اللسان : المَرْغَمُ والمَرْغِمُ : الأنْفُ ، وهو المَرْسِنُ والمَخْطِم ، والمَعْطِسُ ، قال الفَرَزْدق يهجو جريراً :

تَبْكى المَراغَةُ بالرَّغام على أبنِها والناهقاتُ يَهِجْنَ بالاعوالِ

وفى حديث سَجْدَتَىِ السَّهْو كانتا ترغيماً للشيطان ، وفى حديث اسماءَ ان أُمّى قَدِمَتْ علىَّ راغمةً مُشركةً . أفَأَصِلُها ؟ قال : نعم ، قال فى اللسان وهو ينقل من النهاية لابن الأثير لَمّا كان العاجز الذليل لا يخلو من غضب قالوا : تَرَغَّم اذا غضب ، وراغمةً أى غاضبةً ، تريد أنها قَدِمتْ علىَّ غَضْبَى لاسلامى وهجرتى مُتَسَخِّطَةً لأمرى ، أو كارهةً مجيئَها الىَّ لولا مَسيسُ الحاجة ، وقيل : هاربةً من قومها من قوله تعالى : « يَجِدْ فى الأرض مراغَماً كثيراً » أى مَهْرَباً ومُتَّسَعاً ، ومنه الحديث إنَ السِقْطَ لَيُراغِمُ ربَّه إن أدْخَلَ أبَوَيْهِ النار أى يُغاضِبُه ، وفى حديث الشاة المسمومة : فلماَّ أرغم رسول الله ﷺ أرْغَم بِشْرُ بن البراء ما فىِ فِيْهِ ، أى ألقى اللُّقْمة من فِيْهِ فى التراب .

وامرأة مِرْغَامَةٌ : مُغْضِبةٌ لِبَعْلها ، وفى الخَبَر قال : بينا عمر بن الخطّاب يطوف بالبيت إذْ رأى رجلاً يطوف وعلى عُنُقهِ مثل المَهاةِ ، وهو يقول :

عُدْتُ لهذِى جَمَلاً ذَلولاً مُوَطَّأً أَتَّبِعُ السُّهولاَ
أعْدِلُها بالكفِ أنْ تَميلا أحْذَرُ أن تَسْقُطَ أو تزولا
أرجو بذاك نائلا جزيلا

فقال له عمر : يا عبد الله من هذه التى وَهَبْتَ لها حَجَّكَ ؟ قال : امرأتى يا أمير المؤمنين انها حَمْقَاءُ مِرْغامَة ، أُكولُ قامَةْ ، ما تَبْقَى لها خَامَةْ ، قال : مالك لا تُطَلِّقُها ؟ قال : يا أمير المؤمنين هى حَسْنَاءُ فلا تُفْرِكْ ، وأمُّ صبيانٍ فلا تُتْرَكْ ، قال : فشأنك بها إذاً .. والرَّغام التُراب ، وقيل اللينَ وليس بالدقيق ، وقال :

ولـم آتِ البيـوتَ مُطَنَّباتٍ بِأَكْثِبَـةٍ فَرَدْنَ من الرَّغامِ

أى انفردن . قال ابو عمرو : الرَّغام رَمْلٌ يَغْشَى البَصْقَة ، وهى الرِّغْمانُ ، وأنشد لِنُصيبٍ :

فلا شك أن الحَىَّ أدْنَـى مقيلهم كُنَاثِـرُ أو رِغْمانُ بيضِ الدوائرِ

والدوائر ما استدار من الرمل .

وقال الليث : الرُّغامُ ما يسيل من الأنف ، قال الأزهرى : هذا تصحيف وصوابُه الرُّعام بالعين ، وقال العباس أحمد بن يحيـى : من قال الرُّغـام فقـد صَحَّفَ ، وكان الزجّاج أخذ هذا الحرف من كتاب الليث فوضعه فى كتابه وتَوَهَّم أنه صحيح ، وعَرَض الكتاب على المبرّد ، والقول ما قاله ثَعْلَبٌ ، وقـال ابـن سِيْدَةْ : والرَّغام والرُّغام ما يسيل من الأنف وهو المُخاط ، وخَصَّ اللِّحيانى به الغَنَم والظِّباء . والتَرَغُّم التغضب ، وربما جاء بالزاى ، قال ابن برّى ومنه قول الحُطيئة :

ترى بـين لَحْيَيْهـا اذا ما تَرَغَّمَتْ لُغامـاً كبيـت العنكبـوت المُمَدَّد

وقال ابو اسحاق الحربى فى قوله تعالى : « يجِدْ فى الأرض مُراغَماً » : معنى مراغَماً مُهاجَراً ، المعنى يجِدْ فى الأرض مُهاجَراً ، لأن المُهاجِرَ لقومِه والمُراغِمَ بمنزلةٍ واحدة ، وإنِ اختلف اللفظانِ ، وأنشد :

الى بَلَـدٍ غـير دانِـى المَحَلِّ بعيـدِ المُراغَـمِ والمُضْطَرَبْ

قال : وهو مأخوذ من الرَّغام وهو التراب ، وأنشد ابن برّى لسالم بن دارةَ :

أَبْلِغْ أبـا سالـمٍ أن قد حَفَـرْتُ له بئـراً تُراغَـمُ بـين الحَمْضِ والشَّجَرِ

وشاهد الرُّغامى قول أبى وَجْزَةَ السَعْدى :

شاكتْ رُغامَى قذوفِ الطَّرْفِ خائفة ··· هولَ الجَنانِ وما هَمَّتْ باذْلاَجِ

وقال ابن دُريد : الرُّغامى قَصَبُ الرِئَةِ ، وأنشد :

يَبُلُّ من ماء الرُّغامَى لِيْتَه ··· كما يَرُبُّ سالىءٌ حَمِيْتَه

وشاهد الترغُّم قول لبيد :

على خيرِ ما يُلْقَى به من تَرَغَّماَ

وشاهد أرغمتُه قول المُرَقِّشِ :

مادِيْنُنَا فى أن غزا مَلِكٌ ··· من آل جَفْنَةَ حازمٌ مُرْغَمُ

أى مُغْضَبٌ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فَمَثُله كمثل صَفْوانٍ عليه تراب فأصابه وابلٌ فتركه صَلْداً » ؟ قال : « صَلْداً » أى أمْلَسَ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم : أما سمعت قول أبى طالب :

وإنّى لَقَرْمٌ وابن قَرْمٍ لِهاشمٍ ··· لآباءِ صِدْقٍ مَجْدُهم مَعْقِلٌ صَلْدُ

وفى مجاز أبى عبيدة (ج ١ ص ٨٢) : الصَّلْدُ التى لا تُنبت شيئاً أبداً من الأَرَضينَ . والرؤوسِ . وأنشد لرؤبة :

(بَرَّاقَ أصلاد الجبين الأَجْلَهِ) وهو الأَجْلَحُ .

قال ابو تراب : (انظر ديوانه ص ١٦٥) والشطر فى القرطبى ايضاً وهو بتمامه فى الطبرى واللسان والمقاييس وكلام أبى عبيدة هنا أخذه البخارى ايضاً فى تفسيره من الجامع الصحيح .

وفى تشكيل الشطر فى نسخة المجاز لفؤاد سزكين خطأ .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٩٧) : الصَّلْدُ الأملس .

وفى غريب الراغب : قال تعالى : « فتركه صَلْداً » أى حجراً صُلْباً ، ولا يُنبت ومنه قيل رأسٌ صَلْدٌ لا يُنبت شعراً ، وناقة صَلُودٌ ومِصْلادٌ قليلةُ اللبن ، وفَرَسٌ صَلُودٌ : لا يَعْرَق ، وصَلَدَ الزَّنْدُ : لا يُخْرِجُ نارَهُ .

وفى غريب ابن عزيز (ص ١٤٠) : « صَلْداً » أى يابساً أمْلَسَ .

وقال الامام الطبرى : وقوله : « فتركه صَلْداً » يقول : فترك الوابلُ الصَّفْوانَ صَلْداً ، والصَّلْدُ من الحجارة الصُّلْب الذى لا شيء عليه من نبات ولا غيره ، وهو من الأَرَضين ما لا ينبت فيه شيء ، وكذلك من الرؤوس كما قال رؤبة :

لَمّا رَأَتْنِى خَلَقَ المُمَوَّهِ بَرَّاقَ أَصْلادِ الجَبِينِ الأَجْلَهِ

ومن ذلك يقال للقِدْرِ الثخينة البطيئة الغَلْىْ : قِدْرٌ صَلُودٌ ، وقد صَلَدَتْ تَصْلُدُ صُلُوداً ، ومنه قولُ تَأَبَّطَ شَرّاً :

وَلَسْتُ بِجِلْبٍ جِلْبِ رَعْدٍ وقِرَّةٍ ولا بِصَفاً صَلْدٍ عن الخَيرِ أَعْزَلِ

وعَلَّق الاستاذ محمود شاكر على المقطع الأول من كلام الطبرى الذى فيه شاهد قول رؤبة : بأنه بيان لا تصيبه فى كثير من كتب اللغة .

قال ابو تراب : بل هو مأخوذ من كلام أبى عبيدة بشاهده كما تقدم ، وكأنَّ الاستاذ لم يطلع حين التعليق على كتاب أبى عبيدة .

وأورد الطبرى بعد ذلك عن ابن عباس فى معنى : « فتركه صَلْداً » قال : تركها نَقِيَّةً ليس عليها شيء ، وعن الضحاك قال : فتركه جَرْداً ، وعن قتادة كما قال ابن عباس .

وفى القرطبى : الصَّلْدُ الأملس من الحجارة ، قال الكسائى : صَلِدَ يَصْلَد صَلَداً بتحريك اللام فهو صَلْدٌ بالاسكان ، وهو كل ما لا يُنبت شيئاً ، ومنه جبين أصلد ، وأنشد الأصمعى لرؤبة ، فذكر قوله المذكور آنفاً . وقال النقاش : الأصلد الأجرد بلغة هُذيل .

قال ابو تراب : ذكره ابن سلام فى لغات القبائل (ص ١٢٧) قال : « صَلْداً » نَقيًّا بلغة هذيل .

وفى أساس الزمخشرى : حجر صَلْدٌ وصليد ، قال الكُميت :

تباريــحُ هَمٍّ لو تَكَلَّفَ بعضَه ذُرَى حَضَنٍ لارفَضَّ منها صَليدُها

ومن المجاز : أرض صَلْدٌ لا تُنبت ، ورأسٌ صَلْدٌ لا يُخرِجُ شعراً ، ورجل صَلْدٌ وصَلودٌ : بخيلٌ جِداً ، وقد صَلُد صَلاَدَةً ، وصَلَد يَصْلِد صلوداً ، وناقـةٌ مِصْلادٌ بكيئةٌ ، وقِدْرٌ صَلود بطيئة الغَلْىُ ، قال :

جاء بِقِــدْرٍ وَأَبَــةِ التقعيد ليست بِرَوْحَــاءَ ولا صَلُودِ
كأنَّ فيها لَغَطَ الأسود

الروحاء قريبة القَعْر ، وزَنْدٌ صَلُودٌ لا يَرِىْ ، وأَصْلَدَهُ الله تعالى ، وأَصْلَدَ الرجلُ : صَلَد زَنْدُهُ ، وخيلٌ صَلادِمُ : صِلابٌ .

وفى مقاييس اللغة لابن فارس : الصاد واللام والدال أصلٌ واحد صحيح ، يدلُّ على صَلابةٍ ويُبْسٍ ، من ذلك الحجر الصَّلْد وهو الصُّلْب ، ثم يُحمل عليه قولهم : صَلِد الزند اذا لم يخرج ناره ، وأصلدته أنا .

ومنه الرأس الصَّلْد الذى لا يُنبت شعراً ، كالأرض التى لا تُنبت شيئاً . وأنشد قول رؤبة المذكور ، ويقال للبخيل أصلد ، فهو إماً من المكان الذى لا ينبت ، أو الزند الذى لا يُورِى ، ويقال : ناقة صَلودٌ أى بكيئة قليلة اللبن غليظة جِلْدِ الضَّرْع ، ومنه الفرس الصَّلود وهو الذى لا يَعْرَق ، فاذا نُتِجَت الناقة ولم يكن لها لبن قيل : ناقة مِصْلادٌ .

وفى اللسان : حَجَرٌ أَصْلَدُ ، قال المُثَقِّب العبدى :

يَنْمِــى بِنُهَــاضٍ الى حارِكٍ ثُمَّ كُرُكُنٍ الحَجَــرِ الأَصْلَدِ

قال الله تعالى : « فتركه صَلْداً » قال الليث : يقال : حَجَرٌ صَلْدٌ ، وجَبينٌ صَلْدٌ أى أَمْلَسُ يابسٌ ، فإذا قلتَ : صَلْتٌ فهو مُسْتَوٍ ، وقال ابن السِكّيت : الصَّفَا العريضُ من الحجارة الأَمْلَسُ ، والصَّلْداءُ ، والصَّلْداءَةُ : الأرض الغليظة الصُّلْبة ، قال : وكلُّ حَجَر صُلْب فكلُّ ناحيةٍ منه صَلْدٌ ، وأَصلادُ جَمْعُ صَلْدٍ وأنشد لرؤبة الشاهد المتقدم ، وامرأة صَلودٌ قليلة الخير ، قال جميل :

ألم تَعْلَمِى يا أُمَّ ذى الوَدْعِ أننى   أُضاحك ذِكْراكم وأنت صَلُودُ

وقيل : صَلودٌ ههنا صُلْبةٌ لا رحمةَ فى فؤادها .

قال ابو عمرو ، ويقال للبخيل : صَلَدَقْ زنادُهُ ، وأن:

ه ظصلَدَتْ زِنادُك يا يزيدُ وطالما   ثَقَبَتْ زِنادُك للضرَيك المُرْمِل

ويقال : صَلَدَتْ أنيابه فهى صالدةٌ وصوالد : اذا سُمِعَ صوتُ صريفها .

قال الراجز :

تَسْمَعُ فى عُصْلٍ لها صوالدا   صَلَّ خطاطيفَ على جلامدا

وفى حديث عمر : انه لما طُعن سقاه الطَّبيبُ لَبَناً فخرج من موضع الطَّعْنَةِ أبيضَ يَصْلِدُ : أى يَبْرُقُ ويَبِصُّ ، وفى حديث عطاء بن يَسَارٍ قال له بعضُ القوم : أَقْسَمْتُ عليك لَمّا تَقَيَأْت ، فَقَاءَ لبناً يَصْلِدُ ، وصَلَدَتْ صَلْعَةُ الرجل اذا بَرَقَتْ ؛ وقال الهُذَلىُّ يصف بقرةً وحشية :

وشَقَّتْ مقاطيعُ الرُّماةِ فؤادَها   اذا سمعت صوتَ المُغَرِّد تَصْلِدُ

تَصْلِدُ أى تنتصب . والمقاطيعُ النِصال . وقال الأصمعى : الصَّلُودُ المُنْفَرِدُ ، وأنشد :

تاللّه يَبْقَى على الأيام ذو حِيَدٍ   إذْ ما صَلُودٌ من الأوعال ذو حَذَمِ

أراد بالحِيَد عُقَد قَرْنِه الواحدةُ حَيْدَةٌ .

وفى تهذيب الأزهرى : (أَدْفَى صَلُودٌ) ووَعِلٌ أدْفَى : طال قَرْنُه جدًا وذهب قِبَل أذنيه .

وفى تهذيب الأزهرى فى مادّة (صَلَتَ) وجاء بمَرَقٍ يَصْلِتُ ، ولَبَنٍ يَصْلِتُ : اذا كان قليل الدَّسَم كثير الماء ، ويجوز يَصْلِدُ بهذا المعنى .

قال ابو تراب : لم يذكره ابو الطيب فى كتاب الابدال ، واستدرك عليه محققه عز الدين التنوخى (انظر ج ١ ص ٩٩) .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « وإنّ لك لأجْراً غيرِ ممنون » ؟ قال : غيرَ مَنْقُوصٍ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أمَا سمعتَ قول زُهير :

فَضْلَ الجَوادِ على الخيلِ البِطاءِ فلا يُعطــى بذلك ممنونــاً ولا نَزِقاً

قال ابو تراب : البيت فى ديوانه (ص ٤٩) ولم يفسر هذا الحرف ابو عبيدة فى المجاز فى سورة القلم ، وانما فسره فى سورة الانشقاق والتين ، (ج ١ ص ٢٩٢ و ٢٠٣) فقال : « غير ممنون » ليس فيه مَنٌّ ، ويجىء ايضاً عن ابن عباس ، لذلك قال ابو عبيدة فى التين : « غير ممنون » ليس فيه مَنٌّ ويجوز : غير مقطوع .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ٤٧٧) أى غير مقطوع ولا منقوص يقال : مننت الحبل اذا قطعته .

وقال الفراء فى معانى القرآن (ج ٣ ص ١٧٣) فى قوله تعالى : « وإنّ لك لأجْراً غيرَ ممنونٍ » مقطوعٍ ، والعرب تقول : ضَعُفَتْ مُنّتى عن السفر ، ويقال : للضعيف : المَنينُ ، وهذا من ذلك والله أعلم .

وقال ايضاً محمد بن عَزيز فى الغريب (ص ٢٠٤) « ممنونٍ » أى مقطوع .

وفى الوجوه والنظائر للدّامَغانى (ص ٤٤٤) : المَنُّ فى القرآن على ستة أوجه : التُرَنْجَبِينُ فى قوله : « وأنزلنا عليكم المَنَّ والسَلْوى » .

والعُجْب فى قوله : « لا تُبطلوا صدقاتكم بالمَنّ والأذى » . والعطاء فى قوله : « ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ » والاطلاق من الأسرْ فى قوله : « فامَّا مَنًّا بعد وإمّا فداءً » كقوله : « هذا عطاؤنا فامنُنْ » أى خَلِّ سبيل من شئت والمِنَّةُ بعينها فى قوله : « بل الله يَمُنُّ عليكم » والقطع فى قوله : « لهم أجْرٌ غير ممنون » يعنــى غــير مقطوع .

قال ابو تراب : وهذه المادّة لم يذكرها ابــن الجــوزى فى نزهــة الأعــين فليستدرك لأن المَنَّ فى القرآن بلفظ واحد ليس بمعنى واحد ، وكذلك الممنون فهو

إمّا بمعنى عدم المنّ فيه ، وإمّا بمعنى المقطوع ، فشرط كتاب ابن الجوزى متحصّل هنا . وهو ان يكون اللفظ واحداً على وزن واحد والمعنى متعدد فالاستدراك على هذا متعين لا غبار عليه والله أعلم .

وفى تنوير المقباس (ص ٣٦٣) : « غيرَ ممنونٍ » غير منقوص ولا مُكَدَّرٍ ولا يُمَنُّ عليك بذلك .

وفى مفردات الراغب : المِنَّةُ النعمة الثقيلة ، ويقال ذلك على وجهين أحدهما ان يكون ذلك بالفعل فيقال : مَنَّ فلان على فلان اذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى « لقد مَنَّ الله على المؤمنين » « كذلك كنتم من قبل فمَنَّ الله عليكم » « ولقد مَنَنَّا على موسى وهارون » « يَمُنُّ على من يشاء » « ونُريد أن نَمُنَّ على الذين استُضعفوا » وذلك على الحقيقة لا يكون الاّ لله تعالى .

والثانى ان يكون ذلك بالقول وذلك مُسْتَقْبَحٌ فيما بين الناس الاّ عند كفران النعمة ولقبح ذلك قيل : المِنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنيعةَ ، ولِحُسْنِ ذكرها عند الكفران قيل : اذا كُفِرَتِ النعمة حَسُنَتِ المِنَّة ، وقوله : « يَمُنُّون عليك أن أسلموا قل لا تَمُنُّوا علىَّ إسلامَكم » فالمنّة منهم بالقول ، ومِنَّةُ الله عليهم بالفعل وهو هدايتُه اياهم كما ذكر ، وقولُه : « فامّا مَنًّا بَعْدُ وإمّا فداءً » فالمَنُّ إشارة الى الاطلاق بلا عِوَضٍ ، وقوله : « هذا عطاؤنا فامنُنْ أو أَمْسِكْ بغير حساب » أى أَنْفِقْه ، وقوله : « ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ » فقد قيل : هو المِنَّةُ بالقول ، وذلك ان يمتَنَّ به ويَسْتَكْثِرَهُ وقيل : معناه لا تُعْطِ مُبْتغياً به أكثر منه .

وقوله : « لهم أجر غير ممنون » قيل : غير معدود كما قال : « بغير حساب وقيل : غير مقطوع ولا منقوص ، ومنه قيل المَنُونُ للمَنِيَّة لأنها تنقص العدد وتقطع المَدد . وقيل : إنّ المِنَّة التى بالقول هى من هذا لأنها تقطع النعمة وتقتضى قطع الشكر .

وأمّا المَنُّ فى قوله : « وأنزلنا عليكم المَنَّ والسلوى » فقد قيل : المَنَّ شىء كالطَلِّ فيه حلاوة يسقط على الشجر ، والسَلْوى طائر ، وقيل المَنُّ والسلوى

كلاهما إشارة الى ما أنعم الله به عليهم وهما بالذات شيء واحد ، لكنْ سَمّاهُ مَنًّا بحيث انه اَمْتَنَّ به عليهم ، وسماه سَلْوىً من حيث انه كان لهم به التسليّ .

وقال الامام الطبرى فى معنى « غيرَ ممنونٍ » غير منقوص ولا مقطوع من قولهم : حَبْلٌ مَنينٌ اذا كان ضعيفاً ، وقد ضَعُفَتْ مُنَّتُه اذا ضَعُفَتْ قُوَّتُه ، وكان مجاهد يقول « غيرَ ممنون » غير محسوب .

واستشهد القرطبى لذلك الذى ذكره الطبرى بقول لبيد العامرى وهو فى اللسان ايضاً : (غُبْساً كواسبَ لايُمَنُّ طعامُها) أى لا يُقطع وصوب ابن برى (غُبْسٌ) ونسب الغلط الى الجوهرى ، وفى صدره ايضا له تصويب نسب الغلط فيه الى ابن القطّاع وذكر القرطبى عن الحسن : « غيرَ ممنون » غير مكدّر بالمنّ ، وعن الضحاك : أجراً بِغَيرِ عملٍ ، وقيل : غير مُقَدَّرٍ وهو التفضُّلُ لأن الجزاء مُقَدَّرٌ والتفضُّل غيرُ مُقَدَّرٍ ذكره الماوَرْدِيُّ وهو فى معنى قول مجاهد .

وقال الزمخشرى فى الأساس : مَنَّ تعالى على عباده وهو المَنَّان ، وله علىَّ مِنَّةٌ ومِنَنٌ ، ومَنَّ علىّ بما صَنَع ، وأمْتَنَّ ، وإنَّه لَمَنُونَةٌ ، وأمتننت منك بما فعلتَ مِنَّةً جسيمةً أى احتملت مِنَّةً ، وهو ضعيف المُنَّة ، وليس لقلبه مُنَّةٌ أى قُوَّةٌ ، وهم ضِعافُ المُنَنِ ، ومَنَّه السَفَرُ : أضْعَفَه وذهب بمُنَّتِه ، قال ابن ميّادة :

مَنَنَّاهــن بالادلاج حتى كأن متونهــن عِصِى ضَالِ

ومنه الحَبْلُ والثوبُ المَنينُ : الواهى المُنْسَحِقُ الشَّعْرِ والزِّئبِرِ قال :

يا رِيهَــا إن سَلِمَــتْ يمينى وسلِمَ الساقــى الــذى يلينى
ولم تَخُنّى عُقْدَةُ المَنينِ

وقال :

قد جَعَلَــتْ وَعْكَتُهُــنَّ تَنجَلِى عَنّــى وعــن مَنينِهــا المُوَصَّلِ

أى يَصدر انجلاؤها عنّى وعن رِشاءِ الدَّلْو باستقائى .

وقال أوس :

تأوى الى ذى جُدَّتَــينْ كأنه كَرٌ شديــدِ العَصْبِ غــيرُ مَنينِ

ومَنَّته المَنونُ : قَطَعَتْه القَطوعُ وهى المَنِيَّةُ .

قال :

كأن لم يَغْــنَ يومــاً فى رخاءٍ اذا ما المَــرْءُ مَنَّتْــه المَنُونُ

و « أجْرٌ غيرُ ممنون » وتقول : ما أَعْظَمَ مِنّةً مَنَّها ، لولا أنّه مَنَّها ،

وفى المقاييس : الميم والنون فى المضاعف أصلان أحدهما يدل على قَطْعٍ وانقطاع ، والآخر على اصطناع خيرٍ .

الأول المَنُّ القطعُ ، ومنه يقال : مَنَنْتُ الحبل : قطعتُه ، قال الله تعالى : « فلهم أجر غير ممنون » والمَنونُ : المنيّة لأنها تنقص العَدَد وتَقْطَعُ المَدَد ، والمَنُّ الاعياء وذلك ان المُعْيِيَ ينقطع عن السير قال : (قلائصاً لا يَشتكين المَنّا) والأصل الآخر المَنُّ تقول : مَنَّ يَمُنُّ مَنًّا اذا صنع صُنْعاً جميلاً ، ومن الباب المُنَّةُ وهى القُوَّةُ التى بها قِوامُ الانسان ، وربما قالوا : مَنَّ بِيَدٍ أَسْداها اذا قَرَّع بها ، وهذا يدلّ على أنه قَطْعُ الاحسان فهو من الأول .

وفى اللسان من شواهد المادّة : قال ذو الرُمَّة : (مَنَّه السَّيْرُ أَحْمَقُ) أى أضعفه السَيْرُ . وقال ثعلب : المَنِينُ الحبل القوىُّ .

قال ابو تراب : وهو الضعيف ايضاً ، فهو من الأضداد كما قال ابن الأعرابى وأنشد ما أورده الزمخشرى فى الأساس وسبق ذكره : (ولم تَخُنِّى عُقَد المَنِينِ) وأنشد ثعلب لأبى محمد الأسدى :

اذا قَرَنْــتَ أربعــاً بأربعٍ الى اثنتــين فى مَنــينٍ شَرْجَعِ

أى أربعَ آذان بأربع وَذَماتٍ ، والاثنتان عَرْقُوتا الدلو ، والمنين الجمل القوىّ الذى له مُنَّةٌ وشَرْجَعٌ طويلٌ والمَنُونُ الموت ، وقيل : الدهر ، وجعله عدىّ بن زيد جَمْعاً فقال :

مَنْ رأيــتَ المَنــونَ عَزَّيْــنَ أم مَنْ ذا عليــه من أن يُضامَ خَفيرُ

وهو يُذكَر ويؤنث فمن أَنَّث حَمَل على المنية ومَنْ ذَكَّر حَمَل على الموت قال ابو ذُؤيبٍ :

أمِـنَ المَنـونِ وَرَيبِـه تَتَوَجَّعُ   والدهـر ليس/ بمُعْتِـبٍ مَنْ يَجْزَعُ

قال ابن سِيْدَهْ : وقد رُوى وَرَيْبِها حَمْلاً على المَنِيَّةِ ، قالَ : ويحتمل ان يكون التأنيث راجعاً الى معنى الجنسية والكثرة ، وذلك لأن الداهية توصف بالعموم والكثرة والانتشار . قال الفارسي : انما ذكّره لأنه ذهب به الى معنى الجنس ، وقال الأزهرى : مَنْ ذَكَّر المَنونَ أراد به الدهر ، وأنشد البيت .

وأنشد الجوهرى للأعشى :

أَأَنْ رأتْ رجـلاً أعشى أضَرَّ به   رَيْـبُ المَنـونِ ودَهْـرٌ مُتْبِـلٌ خَبِلُ

وقال ابن بَرّى : المَنونُ الدهر وهو اسم مُفْرَدٌ وعليه قوله تعالى : « نَتَرَبَّصُ به ريبَ المَنون) أى حوادث الدهر ، ومنه قول أبى ذؤيب المذكور ويدلّ على صحة ذلك قوله : (والدهر ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ)

فأمّا من قال : (وَريْبِها) فانه أنّث على معنى الدهور ، وردّه على عموم الجنس كقوله تعالى : « أو الطِّفْلِ الذين لم يَظْهَروا » وكقول أبى ذؤيب :

(فالعَيْنُ بعد همو كأنَ حِداقَها)

وكقوله عز وجل : « ثم استوى الى السماء فسَوَّاهُنَّ » وكقول الهُذَلىِّ :

(تَراها الضَبْعَ أعْظَمَهُنَّ رأساً)

ويَدُلُّكَ على أن المَنونَ يُراد بها الدُّهور قولُ الجَعْدىَ :

وعِشْتِ تَعيشينَ إنَّ المَنونَ   كان المَعَـايِشُ فيهـا خِسَاساَ

قال ابنَ برّى : فَسرَّ الأصمعىُّ المَنونَ هنا بالزمان وأراد به الأزمنة قال : وَيدُلُك على ذلك قوله بعده :

فحِينـاً أصادف غِرّاتِها   وحينـاً أصادف فيهـا شِماسَا

أى أصادف فى هذه الأزمنة ، ومثلـه ما أنشده عبـد الرحمـن عن عمّـه الأصمعىّ :

غُلامْ وَغـىً تَقَحَمَهـا فأَبْلَىَ   فخـانَ بلاءَه الدهـرُ الخَؤونُ
فانَ على الفتـى الاقـدامَ فيها   وليس عليـه ما جَنَـتِ المَنونُ

قال : والمَنونُ يُريد بها الدهور ، بدليل قوله في البيت قبله : (فخان بَلاءَهُ الدهرُ الخَؤونُ)

ومن هذا قول كعب بن مالك الأنصارى :

أَنَسيتُمو عهد النبىّ اليكمو ولقد أَلَظَّ وأكَّدَ الأيمانا
ألاَّ تزالوا ما تَغَرَّدَ طائرٌ أُخرى المَنونِ مَواليـاً إخوانا

أى الى آخر الدهر ، وأمّا قول النابغة :

وكلُّ فتىً وإنْ أَمْشَى وأَثْرىَ سَتَخْلِجُهُ عن الدُّنيا المَنونُ

فالظاهر أنه المنية ، وكذلك قول أبى طالب :

أىُّ شيءٍ دهاك أو غَالَ مَرْعَاك وهل أَقْدمَتْ عليك المَنونُ

والمنون هنا المنية لا غير .

وكذلك قول عمرو بن حسّان :

تمخّضتِ المَنونُ له بيومٍ أَنَى ولكلِّ حاملةٍ تَمَامُ

وكذلك قول ابن أحمر :

لَقُوا أُمَّ اللُّهَيْمِ فجَهَّزَتْهم غَشومَ الوِرْدِ نَكْنِيْها المَنُونَا

أُمُّ اللُّهيم اسمٌ للمَنيّة ، والمَنون هنا المَنيّةُ ، ومنه قولُ أبى دُوادٍ :

سُلِّط الموتُ والمَنونُ عليهم فهمو فى صَدَى المقابرِ هَامُ

وتَمَنَّنَ عليه قَرَّعَه بمِنّةٍ ، أنشد ثعلب :

أعطاك يا زيدُ الذى يُعطى النِعَمْ من غيرِ ما تَمَنُّنٍ ولا عَدَمْ
بَوائِكاً لم تَنْتَجِعْ مع الغَنَمْ

وقالوا : مَنَّ خَيْرَهُ ، فعَدَّوهُ ، قال :

كأنّى إذْ مَنَنْتُ عليك خيرى مَنَنْتُ على مُقَطِّعةِ النِياطِ

والمَنَّان الذى يُنعم غيرَ فاخرٍ بالانعام ، قال :

ان الذين يسوغ فى أخلاقهم زادٌ يُمَنُّ عليهمو لَلِئامُ

والمَنَّان من أَبْنية المبالغة ، والمِنِّيْنَى منه كالخِصِيِّصَى ، وأنشد ابن بَرّى للقُطامىّ :

ومـا دهـرى بمِنِّيْنَـى ولكنْ جَزَتْكـم يا بَنـى جُشَمَ الجَوازِىْ

والمَنُّ ايضاً الفَتْرةُ ، قال : (قد يَنْشَطُ الفِتْيانُ بعد المَنِّ) والمَنُّ طَلٌّ ينزل من السماء ، وقيل هو شِبْه العسل كان ينزل على بنى اسرائيل ذكره ابن سِيْدَهْ وقال الليث : كان كالعسل الحامس حلاوةً ، وقال الزجّاج : جُمْلَةُ المَنّ فى اللغة ما يَمُنُّ الله عز وجل به مما لا تَعَبَ فيه ولا نَصَبَ ، وأهل التفسير يقولون : ان المَنَّ شىء كان يسقط على الشجر حُلْوٌ يُشرب ، ويقـال : انـه التُرَنْجَبِيْنَ ، وقـال الجوهرى : المَنُّ كالطُّرَنْجَبِينِ . وقيل فى قوله ﷺ : الكمأة من المَنِّ وماؤها شفاء للعين انما شبّهها به لأنه كان ينزل عليهم من السماء عَفْواً بلا علاج ، كانوا يصبحون وهو بأفنيتهم فيتناولونه وكذلك الكمأة لا مؤونة فيها بِبْذرٍ ولا سَقْىٍ ، وقيل : هى مما مَنَّ الله به .

قال ابو تراب : وهذا الحديث صحيح رواه مسلم وغـيره عن عدة من الصحابة .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وثمودَ الذين جابوا الصخر بالواد » ؟ قال : نقبوا الحجارة فى الجبال فاتخذوها بيوتاً ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أمية بن أبى الصَّلْت :

وشَقَّ أبصارَنـا كيما نَعيشَ بها وجَـابَ للسَمْـع أصْماخـاً وآذانا

قال ابو تراب : هو فى ديوانه (ص ٦٣) .

وقال ابو عبيدة فى مجاز القرآن (ج ٢ ص ٢٩٧) : « جابوا الصخر » نقبوا ويجوب الفلاة ايضاً : يدخل فيها ويقطعها .

وقال ابن قتيبة فى غريب القرآن (ص ٥٢٦) : « جابو الصخر » نقبوه واتخذوا منه بيوتاً .

وقال السجستانى فى غريب القرآن (ص ٧٦) : « جابوا الصخر » أى خرقوا الصخر ، واتخذوا فيه بيوتاً . ويقال ، « جابوا : قطعوا الصخر فابتنوا بيوتاً . وفى تنوير المقباس للفيروز ابادى (٣٨٨) : « جابو الصخر بالواد » نقبوا الصخر بوادى القرى .

وقال الفراء فى معانى القرآن (ج ٣ ص ٢٦١) : « جابوا الصخر » خرقوا الصخر فاتخذوه بيوتاً .

وقال الراغب فى المفردات (ص ١٠٢) : الجَوْبُ قَطْعُ الجَوْبَةِ ، وهى كالغائط من الأرض ، ثم يُستعمل فى قطْع كلّ أرضٍ ، قال تعالى : « وثمود الذين جابوا الصخر » ويقال : هل عندك جائبة خَبَرٍ ؟ وجواب الكلام هو ما يَقْطَعُ الجَوْب ، فيَصِلُ من فَمِ القائل الى سَمْع المُسْتَمِع ، لكن خُصَّ بما يعود من الكلام دون المُبْتَدِأ من الخطاب ، قال تعالى : « فما كان جوابَ قومِه الاّ أن قالوا » والجوابُ يقال فى مقابلة السُؤال ، والسؤال على ضربين : طلبُ المقال ، وجوابُه المقال ، وطلب النوال وجوابُه النوال ، فعلى الأول : « أجيبوا داعِيَ الله » « ومَنْ لا يجِبْ داعِيَ الله » وعلى الثانى : « قد أُجيبتْ دعوتُكما فاستقيما » أى أُعطيتما ما سألتما ، والاستجابة قيل : هى الاجابة ، وحقيقتُها هى التحرّى للجواب ، والتهيُّؤ له ، لكنْ عُبّر به عن الاجابة لقلّة انفكاكها منها قال تعالى : « استجيبوا لله وللرسول » « اُدْعُونى أسْتَجِبْ لكم » « فاستجاب لهم ربهم » « ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات » « والذين استجابوا لربهم » « أُجيبُ دعوة الداعِ اذا دعانِ » « فليستجيبوا لى » « الذين استجابوا لله والرسول »

وقال الزمخشرى فى الأساس : جاب الثوب واجتابه : قطعه وجاب القميص : قَوَّر جيبَه ، وجَوَّب القُمُصَ ، وجاب الصخرة : خرقها « جابوا الصخر بالواد » وأجاب الى كذا ، واستجابه واستجاب له قال : (فلم يَسْتَجِبْهُ عند ذاك

مجيبُ) واستجاب الله دعاءه ، وتجاوبتِ القُمْرِيّتَانِ و« أساء سَمْعاً فأساء جَابَةً »
أى إجابةً كالطاعة والطاقة .

قال ابو تراب : وفى مجمع الأمثال للميدانى : ويُروى : ساء سمعاً ، ومن المجاز : جاب الفلاة واجتابها ، وجاب الظلام ،

قال يصف ناقةً : (باتَتْ تجوب أَدْرُعَ الظلام) وهل عندك جائبةُ خَبَرٍ ؟
وهى المُغَلْغِلَةُ التى جابت البلاد ، وعند فلان جوائب الأخبار ، قال ابو زُبيد :

فَاصْدُقُونى وقد خَبَرْتُهم وقد ثا بَتْ اليكم جوائبُ الأَنْبَاءِ

وكلامُ فلانٍ متناسبُ متجاوبُ ، ولا يَتجاوَبُ أوَلُ كلامِك وآخِرَهُ ، وأرض سهلةٌ اذا أصابها اليسير من الغيث ، أجابَتْ بالكثير من النبت ، قال العجّاج :

تَكْسُو الثر اسيفَ إلى المُجَدَّلِ قُرونَ جَثْلٍ واردٍ مُجَثَّلِ
مُغْدَوْدِنٍ يجُيبُ غَسْلَ الغُسَّلِ يُسْقى السَّعِيْطَ فى رُفاضِ الصَّنْدَلِ

وقال ابن فارس فى المقاييس : الجيم والواو والباء أصلٌ واحدٌ وهو خَرْقُ الشيء ، يُقال : جُبْتُ الأرض جَوْباً ، فانا جائبٌ وجوّاب ، قال الجعدىُّ :

أتاك ابو ليلى يجوب به الدُجَى دُجَى الليل جوّابُ الفَلاةِ عَثَمْثَمُ

ويقال : هل عندك جائبةُ خَبَرٍ ، أى خبرٌ يجوب البلاد ، والجَوْبَةُ كالغائطِ وهو من الباب ، لأنه كالخَرْق فى الأرض ، والجَوْبُ دِرْعٌ تَلْبَسُه المرأة ، وهو مَجُوْبٌ سُمى بالمصدر ، والمِجْوَبُ حديدة يجُابُ بها أى يُخْصَفُ .

وأصل آخر وهو مراجعة الكلام ، يقال : كلّمه فأجابه ، وقد تجاوبا مُجاوبةً والمَجَابَةُ الجَوابُ ، ويقولون فى مَثَل : أساء سَمْعاً فأساء جَابَةً ، وقال الكُميتُ لِقُضاعةَ فى تَحَوُّلِهم الى اليمن:

ومـا مَنْ تَهْتِفِينَ له بنَصرٍ بأسرعَ جابـةً لك من هَديلِ

والعرب تقول : كان فى سفينة نوحٍ عليه السلام فَرْخٌ فطار فوقع فى الماء فغَرِق ، فالطَّيرُ كلها تبكى عليه ، وفيه يقول القائل ـ قال ابو تراب هو نُصيبٌ ـ

فقلت أتبكى ذاتُ شَجْوٍ تَذَكَّرَتْ هديلاً وقد أوْدَى وما كان تُبَّعُ

قال ابو تراب : ومن شواهد هذه المادّة قول كعب بن سعد الغَنَوىّ يرثى أخاه أبا المِغْوار

وداعٍ دَعَا يا مَنْ يجُيب الى النَّدى فلم يَسْتَجِبْهُ عند ذاك مجُيبُ
فقلتُ ٱدْعُ أخرى وٱرفع الصوتَ رَفْعَةً لعلّ أبا المِغْوار منك قريبُ

وهذا شاهد الاستجابة وشاهد التجاوُب قول جَحْدَرٍ واستعمله فى الطير :

ومّما زادنى فاهْتَجْتُ شوقاً غِناءُ حمامتَينْ تجَاوَبانِ
تجَاوَبتَا بلَحْنٍ أعْجَمِىّ على غُصْنَينْ من غَرْبٍ وبانِ

واستعمله بعضهم فى الابل والخيل فقال :

تَنَادَوْا بأعلى سُجْرَةٍ وتجاوبَتْ هَوادِرُ فى حافاتِهم وصَهيلُ

وقال ذو الرُّمَّة :

كأنَ رِجْلَيْه رِجْلاَ مُقْطِفٍ عَجِلٍ اذا تجاوب من بُرْدَيْه ترنيمُ

أراد : اذا تجاوب من جناحَيْه ترنيمانِ ترنيمٌ من هذا الجناح وترنيم من هذا الآخر .

قال فى اللسان : جاب الشىء جَوْباً ، واجتابه : خَرَقه ، وكلُّ مجُوَّفٍ قطعتَ وَسَطَه فقد جُبْتَه ، وجاب الصخرة جَوْباً : نَقَبَها ، وفى التنزيل العزيز : « وثمود الذين جابُوا الصَّخْر بالواد » ونقل قول الفرّاء الذى نقلناه من قبل ، ومثله قال الزجّاج وٱعتبره بقوله تعالى : « وتَنْحِتُون من الجبال بيوتاً فارهين » .

وجاب يجوب جَوْباً : قَطَع وخَرَق ، ورجلٌ جوّابٌ معتادٌ لذلك ، اذا كان قطّاعاً للبلاد سيّاراً فيها ، ومنه قول لقمان بن عادٍ فى أخيه : جوّابُ ليلٍ سَرْمَدٍ ، أراد : أنه يَسرْى ليلَه كلَّه لا ينام ، يَصِفُه بالشجاعة ، وفلانٌ جوّابٌ ، جأّب أى يجوب البلاد ويكسب المال .

وجابَ النَّعْلَ جَوْباً : قَدَّهَا ، والمِجْوَبُ الذى يجُابُ بهٖ وهى حديدةٌ يجُابُ بها أى يُقْطَع ، وجابَ المفازة والظُّلْمَةَ جَوْباً وٱجتابها : قطعها ، وجاب البلاد يجوبها جَوْباً : قطعها سيراً ، وجُبْتُ البلد وٱجْتَبْتُه : قطعتُه ، وجُبْتُ البلادَ أجوبهُا

وأَجِيبُها اذا قطعتَها ، وجَوَابَ الفَلاةِ : دليلُها لِقَطعِه إيّاها ، والجَوْبُ قَطْعُك الشىء كما يُجابُ الجَيْبُ ، يقال : جَيْبٌ مَجُوبٌ ومُجَوَّبٌ ، وكلُّ مُجَوَّفٍ وَسَطُه فهو مُجَوَّبٌ ، قال الراجز : (واَجْتَابَ قَيْظاً يَلْتَظِى ٱلْتِظَاؤُهُ)

وفى حديث أبى بكر قال للأنصار يوم السقيفة : انمّا جِيبَتِ العربُ عنّا كما جِيبَتِ الرَّحَى عن قُطْبِها ، أى خُرِقَتِ العربُ عنّا ، فكنّا وَسَطاً وكانت العرب حوالَيْنا كالرَّحَى ، وقُطْبِها الذى تدور عليه ، وانجاب عنه الظلام : انْشَقَّ ، وانجابت الأرض : انْخَرقتْ ، والجوائب الأخبار الطارئة لأنها تجوب البلاد . قال الشاعر : (يتنازعون جوائب الأمثال) يعنى سوائرَ تجوب البلاد . وجُبْتُ القميص : قَوَّرتُ جَيْبِه ، أَجُوبُه وأجيبُه ، وقال شَمِرٌ : جِبْتُه وجُبْتُه ، قال الراجز :

باتَتْ تَجِيبُ أَدْعَجَ الظَّلامِ جَيْبَ البِيَطْرِ مِدْرَعَ الهُمامِ

قال : وليس من لفظ الجَيْبِ لأنه من الواو والجيب من الياء ؛ وليس بفَيْعَلٍ لأنه لم يُلْفَظْ به على فَيْعَلٍ ، ويقال : جِبْتُ القميص بالكسر أى قوّرتُ جيبَه وجَيَّبْتُه : عملتُ له جَيْباً .

وأجتبتُ القميصَ اذا لَبِسْتَه ، قال لبيد يذكر ناقته :

فَبِتِلْكَ إذْ رَقَص اللوامع بالضُّحى واَجْتَابَ أَرْدِيَةَ السرَّاب إكامُها

واجتاب : احتفر ، قال لبيد يصف بقرةً احتفرت كِناساً تَكْتَنُّ فيه من المطر فى أصل أرطاة

تَجْتَابُ أَصْلاً قائماً مُتَنَبِّذاً بعُجوبِ أَنْقَاءٍ يَمِيلُ هَيَامُها

قال ابن بُزُرْج : جَيَّبْتُ القميص وجَوَّبْتُه .

وفى تهذيب الأزهرى : اجتاب فلان ثوباً اذا لبسه ، وأنشد :

تَحَسَّرَتْ عِقَّةٌ عنها فأَنْسَلَها واَجتاب أخرى جديداً بعد ما اَبْتَقَلاَ

وفى الحديث : أتاه قومٌ مُجْتَابِى النِّمَارِ ، أى لابِسِيها ، يقال : اجتبت القميصَ والظلامَ أى دخلتُ فيها ، وكلُّ شىء قُطع وَسَطُه فهو مَجْيُوبٌ ومَجُوبٌ ومُجَوَّبٌ ، منه سُمّى جَيْبُ القميص ، وفى حديث علىٍّ أخذتُ إهاباً مَعْطُوناً فَجوّبتُ وَسَطَه

وأدخلتُه فى عنقى ، وفى حديث خَيْفَانَ : وأمّا هذا الحَىُّ من أنْمارٍ فجَوْبُ أبٍ وأولادُ عَلَّةٍ أى أنهم جِيبُوا من أبٍ واحدٍ وقُطعوا منه .

وانجابت السحابة : انكشفت ، وقول العَجاج :

حتــى اذا ضوءُ القُمــير جَوَّبا   ليــلاً كأَنْثنــاءِ السُّدوسِ غَيْهَبَا

قال : جَوَّبَ أى نَوَّر وكَشَف وجَلَّى ، وفى الحديث : فانْجاب السحابُ عن المدينة حتى صار كالاكليل أى انْجمَعَ وتَقَبَّضَ بعضُه الى بعضٍ ، وانكشف عنها ، والجَوْبُ التُّرسُ قال لبيد :

فأجازنــى منــه بِطــرْسٍ ناطقٍ   وبِـكلِّ أطْلَسَ جَوْبُــه فى المَنْكِبِ

يعنى بكلَّ حَبَشِىٍ ، وفى حديث غزوة أُحدٍ : وابو طلحة مُجَوِّبٌ على النبى ﷺ بِحَجَفَةٍ أى مُتَرِّسٌ عليه يَقِيهِ بها . والجَوْبُ الكانون قال ابو نخلةَ (كالجَوْبِ أذْكى جَمْرَهُ الصَّنَوْبَرُ)

ويقال : فلانٌ فيه جَوْبانِ من خُلُقٍ أى ضَرْبانِ لا يَثْبُتُ على خُلُقٍ واحدٍ ، قال ذو الرُّمَّةِ : (جَوْبَينِ من هماهم الأغوال) أى تَسْمَعُ ضَرْبَينِ من أصوات الغِيْلانِ .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وتحبّون المالَ حبًّا جمًّا » ؟ قال : كثيراً ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أمية بن أبى الصَّلْت :

إنْ تَغْفِــرِ اللّهُــمَّ تَغْفِــرْ جمّاً   وأىُّ عَبْــدٍ لك لاَ أَلَمَّا

قال ابو تراب : البيـت فى خزانـة الأدب (ج ٢ ص ٢٥٦) . وتفسير القرطبى غير منسوب وفى هامشه أنه لأبى خراش الهذلى ، وكذلك هو فى اللسان ، ولم ينبّه على ذلك محمد فؤاد عبد الباقى فى معجم مسائل نافع .

وفى مجاز ابن المُثَنَّى (ج ٢ ص ٢٩٨) « حُباً جماً » كثيراً شديداً .

ومثله فى غريب أبى محمد (ص ٥٢٧) ومعانى ابن زياد (ج ٣ ص ٢٦٢) وتنوير المقباس (ص ٣٨٩) .

وفى غريب ابن عزيز (ص ٧٧) « جَمّاً » مجتمعاً كثيراً ، ومنه جُمَّة الماء اجتماعه .

وقال الراغب فى المفردات : « حُباً جماً » أى كثيرا من جُمَّة الماء أى مُعْظَمه ومُجتمعه الذى جَمَّ فيه الماء عن السَّيَلانِ ،وأصل الكلمة من الجِمام أى الراحة للإقامة ، وتَرك تحمُّل التعب ، وجُمام الملوكِ دقيقاً اذا أمتلآ حتى عَجَزَ عن تحمل الزيادة ، ولاعتبار معنى الكثرة : قيل الجُمَّة لقومٍ يجتمعون فى تحمُّل مكروهٍ لِمَا اُجتمع من شَعَرِ النَّاصِيَة ، وجَمَّةُ البئر مكانٌ يجتمع فيه الماء كأنّه أُجِمَّ أياماً ، وقيل للفرس : جَمومُ الشَدِّ تشبيهاً به ، والجَمَّاءُ الغفيرُ ، والجَمُّ الغَفيرُ الجماعة من الناس ، وشاةٌ جَمَّاء لا قَرْنَ لها اعتباراً بِجُمَّة الناصية .

وقال الزمخشرى فى الأساس : عَدَدٌ جَمٌّ ، وأُحبّك حُبًّا جَمًّا ، وجاءوا جَمًّا غفيراً ، والجَمَّاءَ الغفيرَ ، وجَمَّ المال وماءُ البئر جُموماً ، وجَمَّتِ الرَّكيَّة : اجتمع ماؤها ، وأَسْتَقِ من جَمَّةِ البئر ، ومَجَمّها ، ومُسْتَجَمّها ، وهى مجتمع مائها ، وهذه بئر واسعة المَجَمّ ، وأعطاه جُمَامَ المُّلوك وجُمامَ القَدَح بالثلاث .

وقال يعقوب : لا يكون الضمُّ الاّ فى المكيال وَحْدَهُ .

ووردت الماء زُرْقاً جِمامُه ، جَمْعُ جَمَّةٍ ، وحلق جُمّته ، وجَمَّمَتِ الجارية ولَمَّمَتْ : صارت لها جُمَّةٌ ولِمَّةٌ ، وجاريةٌ مُجَمَّمَةٌ ومُلَمَّمَةٌ وجَمَّمْتُ المكيال : ملأْتُه ، وبئر جَمومٌ : كثيرة الماء ، ورَعَتِ الماشيةُ الجَميمَ وهو ما غَطَّى الأرض من النبات .

ومن المجاز : فرس جَمومُ الشَدِّ ، قال النَمِرُ بن تَوْلَبٍ يصف فرساً :

قال ابو تراب : وهو فى كتاب الخيل لابن الأعرابى (ص ٥٨)

جَمومُ الشَدِّ شائلةُ الذُنَابَى تخَالُ بياضَ غُرَّتِها سراجا

وفلان واسع المَجَمّ وضيّق المَجَمّ ، كما يقال واسع العَطَن وضيِّقه ، وأصلُه مَجَمُّ البئر ، قال :

رُبَّ ٱبْـنِ عَمٍّ ليس بابـنِ عَمِّ   دانِـى الأذاةِ ضَيِّـقِ المَجَمِّ

وقال :

عَرَضْنَـا فقلنـا هَسَّلَامُ عليكمو   فأنكرهـا ضَيِّـقُ المَجَـمِّ غيورُ

أبدل من ألفَ لامَ التعريفِ هاءً ، وبيتٌ أجَمُّ لا رُمْحَ فيه ، قال أوس :

وَيْلمِّهِـمْ مَعْشَراً جُمًّـا بيوتُهُمُ   من الرمـاح وفى المعـروفِ تكنيرُ

وسَطْحٌ أَجَمُّ لا سُتْرَةَ له ، وحِصْنٌ أجَمُّ لا شُرَفَ له ، وقرية جَمَّاء ، هو كقولهم حافٍ من النعل ، وأقرع من الشعر ، ورجل أجَمُّ لا رُمْحَ معه .

وفى تفسير الامام الطبرى : « وتحبَون المال حُبًّا جَمًّا » حُبًّا كثيراً شديداً من قولهم قد جَمَّ الماء فى الحوض اذا اجتمع ، ومنه قول زهير بن أبى سُلْمى :

فلمّا وَرَدْنَ المـاءَ زُرْقـاً جِمامُهُ   وَضَعْـنَ عِصِّى الحـاضرِ المُتَخَيِّمِ

وأورد عن ابن عباس « حبًّا جَمًّا » يقول شديداً ، وعنه ايضاً كثيراً ، ومثله عن مجاهد ، وعن قتادة : حبا شديداً ، وعن الضحاك : كثيراً ، قال ابن زيد : الجَمُّ الشديد .

وقال القرطبى : أى كثيراً حلاله وحرامه ، والجَمُّ الكثير وذكر الشاهد المذكور فى أسئلة نافع بن الأزرق .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الجيم والميم فى المضاعف له أصلانِ ، الأول كثرة الشيء واجتماعه ، والثانى عَدَمُ السلاح .

فالأول الجَمُّ وهو الكثير ، قال الله جَلَّ ثناؤه : « ويُحِبُّون المال حُبًّا جَمًّا »

قال ابو تراب : ذكر ابن فارس قراءة أبى عمرو ويعقوب وقرأ الآخرون « وتحبون » (انظر اتحاف فضلاء البشر ص ٤٣٨) .

قال ابنُ فارس : والجِمامُ المِلْءُ ، يقال : اناءٌ جَمّانُ اذا بلغ جِمامَه قال

أو كماءِ المثمـود بعـد جِمامٍ   زَرِمَ الدمـعِ لا يؤوب نَزورا

قال ابو تراب : البيت لعدىّ بن زيد كما فى المُجْمَل واللسان ،

قال ابن فارس : والجُمَّة القوم يسألون فى الدية ، وذلك أنهم يَتَجَمَّعُونَ لذلك قال : (وجُمَّةٍ تَسْأَلُنِى أعْطَيْتُ)

قال ابو تراب : هذا لأبى محمد الفقعسى كما فى اللسان وبعده :

وسائلٍ من خبرٍ لَوَيْتُ فقلت لا أدرى وقد دريت

قال ابن فارس : والجَميمُ مجتمع من البُهْمَى قال :

رَعَتْ بأرِضَ البُهْمَى جَميماً وبُسْرَةً وصَمْعاءَ حتى آنَفَتْها نِصالُها

قال ابو تراب : البيت لذى الرُمَّة كما فى اللسان والديوان (ص ٥٢٩) .

قال ابن منظور : الجَمُّ والجَمَمُ الكثير من كل شيء ، ومال جَمٌّ كثير ، وفى التنزيل العزيز « وتُحِبُّون المال حُبًّا جَمًّا » أى كثيرا ، وكذلك فَسرَّه ابو عبيدة كما تقدم النقل عنه ، وأنشد الشاهد المذكور فى جواب ابن عباس وقيل : الجَمُّ الكثير المُجْتَمِعُ ، جَمَّ يجِمُّ ويَجُمُّ والضَمُّ أعْلَى جُموماً ، قال أَنَسٌ : تُوفىَ سيدنا رسول الله ﷺ والوَحْىُ أجَمُّ ما كان لم يَفْتُرْ بَعْدُ ، قال شَمِرٌ : أجَمُّ ما كان أكثرُ ما كان ، وجَمَّ المال وغيرُه اذا كَثُر . وجَمُّ الظَّهيرة معظمُها ، قال ابو كبير الهُذَلىُّ :

ولقد رَبَأتُ اذا الصِحابُ تواكلوا جَمَّ الظَّهيرةِ فى اليَفاعِ الأطْولِ

وجَمُّ الماء معظمُه اذا ثاب ، أنشد ابن الأعرابى : (اذا نزحنا جَمَّها عادَتْ بِجَمّ)

وقال ساعدة بن جُؤَيَّة :

فلما دَنَا الافرادُ حَطَّ بِشَوْرِهِ الى فَضَلاتٍ مُسْتَحِيرٍ جُمومُها

وأجَمَّ الماءَ وجَمَّهُ : تركه يجتمع ، قال الشاعر :

من الغُلْبِ من عِضْدانِ هامَةَ شُرِّبَتْ لِسَقْىٍ وجُمَّتْ للنواضح بئرها

قال ابو عمرو : يَجُمُّ أى يكثر قال امرؤ القيس :

يَجُمُّ على الساقَينِ بعد كَلالِهِ جَمومَ عُيونِ الحِسْىِ بعد المَخِيْضِ

قال ابو تراب : وينسب هذا البيت لابى دُواد الايادى . والجَمُّ ما اجتمع من ماء البئر قال صخر الهُذَلىّ :

فخَضْـخَضْتُ صُفْنِـيَ فى جَمّهِ   خِيـاضَ المُدابِـرِ قِدْحـاً عَطوفاَ

قال ابن بَرّى : الصُّفْنُ مثلُ الرُّكْوَةِ ، والمُدابِرُ صاحبُ الدابِرِ من السهام وهو ضِدُّ الفائز ، وعَطوفاً ، الذى تكرّر مرةً بعد مرة .

وقال : (فَصَبَّحَتْ قلَيْذَماً هَموماَ   يَزيدُها مَخْجُ الدِّلاَ جُموماَ)

قَلَيْذَماً بئراً غزيرةً ، هَموماً كثيرة الماء ، ومَخْجُ الدَّلْوِ ان تَهُزَّها فى الماء حتى تمتلىء .

وفى حديث طلحة : رَمَى الىّ رسول الله ﷺ بسَفَرْجَلَةٍ وقال : دُونَكَها ، فانها تَجِمُّ الفؤاد أى تُريحُه ، وقيل : تَجْمَعُه وتُكمّلِ صلاحه ونشاطَه ، ومنه حديث عائشة فى التَلْبِيْنَةِ فانها تجِمُّ فؤاد المريض ، وحديثها الآخر فانها مَجَمَّةٌ أى مَظِنَّةُ الاستراحة ، وفى حديث أبى قتادة : فأتى الناسُ الماءَ جامّينَ رِواءً أى مستريحين قد رَوُوْا من الماء ، وفى حديث ابن عباس : لأصبحنا غداً ندخل على القوم وبنا جَمامَةٌ أى راحةٌ وشِبَعٌ ورِىٌّ . وفى حديث عائشة : بلغها أن الأَحْنَفَ قال شعراً يلومُها فيه فقالت : سبحانَ الله ، لقد استَفرغَ حِلْمَ الأَحْنَفِ هجاؤه ايّاى ، أَلِيَ كان يَسْتَجِمُّ مثابةَ سَفَهِهِ ؟ أرادت أنه كان حلياً عن الناس ، فلمّا صار اليها سَفِهَ ، فكأنّه كان يجِمُّ سَفَهَهُ لها ، أى يُرِيحُهُ ويَجْمَعُه ، ومن حديث معاوية : من أَحَبَّ ان يَسْتَجِمَّ له الناس قياماً فَلْيَتَبَوَّأْ مقعَدهُ من النار ، أى يجتمعون له فى القيام عنده ، ويحَبسون أنفسَهم عليه ، ويُروى بالخاء المعجمة ايضاً . والمَجَمُّ الصَدْرُ لأنه مُجْتَمَعٌ لِمَا وَعاهُ من علمٍ وغيره ، قال تميم بن مُقْبِلٍ :

رَحْـبُ المَجَـمِ اذا ما الأَمْـرُ بَيَّتَه   كالسـيف ليس به فَلٌّ ولا طَبَعُ

والجَميم النَّبْتُ الكثير ، قال ابو حنيفة : هو أن ينهض وينتشر ، قال ابو وَجْزَةَ وذَكر وَحْشاً :

يَقْرِمْـنَ سَعْـدانَ الأباهـر فى النَّدَى   وعِـذْقَ الخُزامَـى والنَّصِّى المُجَمَّماَ

والجُمَّةُ مجتمعُ شَعَرَ الرأس وهى أكثر من الوَفْرةِ ، وفى الحديث : كان لرسول الله ﷺ جُمَّةٌ جَعْدَةٌ ، ومنه حديث عائشة حين بَنَى بها رسول الله ﷺ قالت : وقد وَفَتْ لى جُمَيْمَةٌ أى كَثُرَتْ . وفى الحديث : لعن الله المُجَمَّماتِ من النساء ، هن اللواتى يتخذن شعورهن جُمَّةً تشبُّهاً بالرجال .

والجُمَّةُ القوم يَسألون فى الحَمالة والديات ، قال :

لقــد كان فى ليلَ عطــاء لجُمَّةٍ   أَنَاخَتْ بكم تَبْغى الفضائلَ والرِّفْداَ

وفى حديث ابن عباس : أُمرنا أن نَبْنى المساجد جُمًّا يعنى التى لا شُرَف لها ، وفى حديث أُمِّ زَرْعٍ : مالُ أبى زَرْعٍ على الجُمَمِ محبوسٌ ، جمع جُمَّةٍ وهم القوم يسألون فى الديات .

وفى الحديث : ان الله لَيَدِيَنَّ الجَمَّاءَ من ذاتِ القَرْنِ ، الجَمَّاءُ التى لاقَرْنَ لها . وقال الأعشى :

متــى تَدْعُهُــمْ لِقِــراعِ الكُماةِ   تأتِــكَ خيــلٌ لهــم غــيرُ جُمّ

وقال عنترة :

ألــم تعلــم لحــاك اللّــه أنى   أجَــمُّ اذا لقيــت ذوى الرماحِ

ورجلٌ أَجَمُّ لا رمح معه فى الحرب ، وأَجَمَّ الأمر والفراق : دَنَا وحَضَرَ ، لغةٌ فى أَحَمَّ ، قال الأصمعى : ما كان معناه قد حان وقوعُه فقد أَجَمَّ بالجيم ولم يَعرف أَحَمَّ بالحاء ، قال :

حَيِّيــاَ ذلك الغــزالَ الأَحَمَّا   إنْ يكن ذاكما الفــراقُ أَجَمَّا

وقال عَدِيُّ بن العَذير :

فان قُريشاً مُهْلِكٌ من أطاعها   تُنـافِسُ دنيــا قد أَجَــمَّ انْصرامُها

ومثله لساعدة :

ولا يُغْنِــى امْــرَأً وَلَــدٌ أَجَمَّتْ   مَنِيَّتُــه   ولا   مالٌ   أثيلُ

ومثله لِزُهَيْرٍ :

وكنــتُ اذا ما جئــتُ يومــاً لحاجةٍ   مَضَتْ وأَجَمَّتْ حاجــةُ الغَــدِ لا تَخْلُوْ

والجَمْجَمَةُ أن لا يُبِيْنَ كلامَه من غيرِ عِيٍّ ، وفى تهذيب الأزهرى : أن لا تُبيِّنَ كلامَك من عِيٍّ ، وأنشد الليث :

لعمــرى لقــد طالمــا جَمْجَمُوا فما أخَّــروه ومــا قَدَّمُوا

وقال ابو الهيثم فى قول زهير :

ومن يُوفِ لم يُذْمَمْ ومن يَهْدِ قلبهَ الى مُطْمَئِــنَ البِــرّ لا يَتَجَمْجَمُ

يقول : من أفضى قلبَه الى الاحسان المُطْمَئِنّ الذى لا شُبْهَةَ فيه لم يَتَجَمْجَمْ ، لم يشتَبِهْ عليه أمره فيتردّد فيه ، والبِرُّ ضِدُّ الفجور .

وجَمْجَمَهُ : أهلكه ، قال رؤبة : (كم من عِدىً جَمَجَمَهُمْ وجَحْجَبَا) وجَمَّاءُ العظام كثيرة اللحم عليها ، قال : (يَطُفْنَ بِجَمّاءِ المَرافق مِكْسَالِ)

قال الأزهرى : والجِمُّ الشيطان ، والغوغاءُ ، والسِّفَلُ

* * *

قال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ومن شرِّ غاسقٍ اذا وقب » ؟ قال : الظُّلْمَةُ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قولَ زهيرٍ :

ظَلَّتْ تَجُوبُ يداها وهــى لاهيةٌ حتــى اذا جَنَــحَ الاظــلام والغَسَقُ

قال ابو تراب : ليس هذا البيت فى ديوان زهير الموجود بين أيدينا ، وهو (ج ٦ ص ٦٨) فى البحر المحيط لأبى حيان بلفظ (تجود) بدل (تجوب) غير منسوب ، ونقل فيه سؤال نافع بن الأزرق فى سورة الاسراء وجواب ابن عباس بلفظ : هو الليل بظُلمتِه .

وفى غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٥٤٣) الغاسق الليل والغَسَق الظُّلْمةُ ويقال : الغاسق القمر .

وفى معانى القرآن للفراء (ج ٣ ص ٣٠١) : الغاسق الليل ويقال : غَسَق وأَغْسَقَ

وفى غريب القرآن لابن عَزيز (ص١٦٧) : يعنى الليل والغَسَق الظُّلْمَةُ ، ويقال : الغاسق القمر اذا كُسِف فَاسْوَدَّ ، وقال ايضاً : غَسَقُ الليلِ ظَلامُه .

وفى تنوير المقباس (ص ٣٩٨) : « ومن شر غاسقٍ اذا وقب » من شر الليل اذا دخل وأدبر .

قال ابو تراب : تفسير الغاسق بالليل روى مرفوعاً ايضاً ، وهو قول ابن عباس وغيره ، وبه قال الزجّاج ونقله ابو حيان والقرطبى ، وتفسيره بالقمر روى مرفوعاً ايضاً كما سيأتى .

وروى الامام الطبرى عن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب ومجاهد ان الغاسق هو الليل ، وروى ايضاً انه النهار اذا دخل فى الليل ، وقال آخرون هو كوكب وهو الثريا كما جاء عن ابن زيد ، وروى مرفوعاً ايضاً ، وقال آخرون هو القمر وروى ايضاً مرفوعاً ، قال الطبرى : وأولى الأقوال بالصواب ان الغاسق هوالذى يُظْلِمُ والليل اذا دخل فى ظلامه غاسق ، والنجم اذا أفل غاسق ، والقمر غاسق اذا وقب ، ولم يُخَصِّصْ بعض ذلك بل عَمَّ الأمر بذلك فكلُّ غاسق فانه ﷺ كان يؤمر بالاستعاذة من شرّه اذا وقب .

وفى تفسير القرطبى الغاسق الليل عن الضحاك وقتادة والسُدّىَ ايضاً . وقيل هو الشمس اذا غربت قاله ابن شهاب ، وقيل : الغاسق الحيّة اذا لدغت ، وكأنّ الغاسق نابُها ، لأن السُّمَّ يَغْسَق منه أى يسيل ، ووقب نابُها اذا دخل فى اللَّديغ وقيل الغاسق كلُّ هاجمٍ يضرُّ كائناً ما كان ، من قولهم غَسَقتِ القرحة اذا جَرَى صديدُها .

ويقال : غَسَق الليل يَغْسِق اذا أظْلَم قال ابن قيس الرُّقَيَّاتِ :

إنَّ هذا الليـــل قد غَسَقَا واَشتكيــتُ الهَـــمَّ والأَرَقَا

وقال آخر :

يا طيفَ هندٍ لقد أبْقَيتَ لى أرَقَا إذْ جِئتَنَا طارقاً والليل قد غسَقاَ

وفى المفردات للراغب : غَسَقُ الليل شدةُ ظُلمتِه قال تعالى : « أقِم الصلاة لدلوك الشمس الى غَسَق الليل » والغاسق الليل المظلم ، قال : « ومن شرّ غاسقٍ » وذلك عبارةٌ عن النائبة بالليل كالطارق ، وقيل : القمر اذا كُسِف فَاسْوَدَّ ، والغَسَّاق ما يَقْطُر من جلود أهل النار قال : « الاّ حمِيماً وغَسَّاقا » .

وفى الأساس للزمخشرى : يقولون من الغسق الى الفلق ، وهو دخول أول الليل حين يختلط الظلام ، وقد غَسَق الليل يَغْسِقُ غَسْقا وغُسُوقاً ، وبنو تميمٍ على أغْسَقَ وذكر قول ابن قيس الرقيات المذكور آنفاً . وقال جَسَّاسٌ :

أزور اذا ما أغسق الليل خُلَّتى حِذارَ العِدى أو أن يُرَجَم قائل

ونحوهما : دَجَا الليل وأدْجَى ، وغسق القمر أظلم بالكسوف ، وأغْسَقْنا دخلنا فى الغَسَق .

وكان الربيع بن خُثَيمْ يقول لمؤذِّنه يوم الغَيْم : أغْسِقْ أغسِقْ ، أى ادخل فى الغسق ثم أذّنْ ، أو أغْسِقْ بالأذان ، كقوله : « أبْرِدُوا بالظهر » وتقول : أعوذ بالله من الغاسق اذا وقب ، ومن الفاسق اذا وثب .

ومن المجاز : غَسَقتِ العينُ ، وعينٌ غاسقةٌ اذا أظلمتْ ودمعتْ ومنه الغَسَّاق وهو ما يَسيل من جلودهم أسودَ ، وتقول : ألاَ ان بصددِ الفسّاق ، تجرُّعَ الصَّديد والغَسَّاق .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الغين والسين والقاف أصل صحيح يدلُّ على ظُلمةٍ فالغَسَق : الظُّلمة ، والغاسق الليل ، ويقال : غَسَقَتْ عينُه ، أظلمتْ ، وأغْسَق المؤذّن اذا أخَّر صلاة المغرب الى غَسَق الليل ، وأمّا الغَسَّاق الذى جاء فى القرآن فقال المفسرّون : ما تَقَطَّر من جلود أهل النار .

وفى لسان العرب : غَسَقت عينُه تَغْسِقُ غَسْقاً وغَسَقَاناً : دمعتْ وقيل : انْصَبَّتْ ، وقيل : أظْلَمَتْ ، والغَسَقَانُ الانصباب ، وغَسَقَ اللَّبَنُ غَسْقاً : انصبَّ من الضرع ، وغَسَقتِ السماءُ : انصبّتْ وأرَشَّتْ .

ومنه قول عمر : حين غَسَقَ الليلُ على الظِّرابِ أى انصبَّ على الجبال ، وغَسَق الجُرْحُ أى سال منه ماء أصفر ، وأنشد شَمِرُ فى الغاسق بمعنى السائل :

أبكــى لفَقْدِهمــو بعــينٍ ثَرَّةٍ تَجْــرِى مساربهُــا بعــينٍ غاسِقِ

أى سائلٍ ، وليس من الظُّلْمة فى شىءٍ .

قال ابو زيد : الغَسْق هَملاَن العين بالعَمَش والماء ، وغَسَقَ الليل وأغْسَقَ عن ثعلب : انصبَ وأظلم ، ومنه قول ابن الرُّقَيَّات المذكور آنفاً ومنه حديث عمر المذكور آنفاً ايضاً ، وغَسَقُ الليل ظُلْمتُه ، وقيل : أول ظُلمتِه ، وقيل : غَسَقُه اذا غاب اشَّفَقُ .

وقول الرَّبيع بن خُثَيْم لمؤذِّنِه : أَغْسِقْ أَغْسِقْ لم نسمع ذلك فى غير هذا الحديثِ .

وقال الفراء فى قوله : « الى غَسَقِ الليل » هو أول ظُلمتِه ، وقال الأخفش : غَسَقُ الليل ظلمتُه ، وقال غيره : غَسَقُ الليل حين يُطَخْطِخُ بين العشاءين ، وقال ابن شميل : غَسَقُ الليل دخول أوله ، يقال : أتيته حين غَسَق الليلُ ، أى حين يختلط ويعتكر ، ويَسُدُّ المَنَاظِرَ .

وفى الحديث : جاء رسول الله ﷺ بعد ما أَغْسَقَ ، أى دخل فى الغَسَقِ ، وهى ظلمةُ الليل .

وفى حديث أبى بكر أنه أمر عامر بن فُهيرة وهما فى الغار أن يُروِّح عليهما غَنَمَه مُغْسِقاً .

وفى حديث عمر : لا تُفطروا حتى يَغْسِقَ الليل على الظِّراب أى حتى يَغْشَى الليل بظُلمته الجبالَ الصغارَ ، والغاسق الليل اذا غاب الشفق أقبل الغَسَقُ .

والغَسَّاق كالغاسق ، وكلاهما صفة غالبة ، وقول أبى صَخْر الهُذَلىّ :

هِجانُ فلافى الكــونِ شامٌ يَشينُه ولا مَهَقٌ يَغْشَى الغَسيقـاتِ مُغْرَبُ

قال السُكَّرى : الغَسيقاتُ الشديداتُ الحُمْرة .

والغسّاق ما يَسيل من جلود أهل النار وصديدهم من قيح ونحـوه ، وفى

التنزيل : « حميم وغساق » وقد قرأه ابو عمرو بالتخفيف والكسائى بالتشديد وكذلك حفص وحمزة ، واختار ابو حاتم التخفيف ، ورُوى عن ابن عباس وابن مسعود أنهما قرآ بالتشديد وفسرّاه الزَّمْهَرِيْر .

وفى الحديث عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال : لو أن دَلْواً من غسَّاقٍ يهُراق فى الدنيا لأنْتَنَ أهلَ الدنيا ، ضُبط بالتشديد والتخفيف وهو ما يسيل من صديد أهل النار وغُسَالتِهم ، وقيل : ما يسيل من دموعهم ، وقيل : الغسّاق المُنْتن البارد الشديد البرد الذى يُحْرق من بَرْدِه كاحراق الحميم ، وقيل : البارد فقط وقال الفراء : الغسَق من قُماش الطَّعام ، ويقال فى الطعام : زَوَانٌ وزُوانٌ وزُؤانٌ بالهمز ، وفيه غَسَقٌ وغَفاً مقصورٌ وكعابيرُ ومُرَيْرَاءُ وقَصَلٌ كلُّه من قُماشِ الطعام .

قال ابو تراب : ولم يذكر الفقيه الدامغانى مادّة الغَسَق فى كتاب الوجوه والنظائر مع أن معناها يتردّد مختلفاً فى القرآن بين الظلمة والغَسَق وبين المظلم أو القمر اذا دخل فى الساهور أو الليل فى الغاسق وبين ما يخرج من صديد أهل النار فى الغَسَّاقِ ، وعذر ابن الجوزى فى عدم إيرادها فى كتاب نزهة الأعين أن هذه الكلمات ليست على نَسَقٍ واحدٍ ، وأمّا الدامغانى فهو لم يلتزم بذلك لذلك فهو مستدرك عليه .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فى قلوبهم مَرَضٌ فزادهم الله مَرَضاً ؟ قال : النفاق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

أُجامِلُ أقواماً حياءً وقد أرَى ... صُدورهمو تَغْلى علىَ مِراضُهَا

قال ابو تراب : هذا البيت أورده السيوطى فى الدر المنثور (ج ١ ص ٣٠) فى مسألة نافع هذه .

قال ابن عرفة : المرض فى القلب الفتور عن الحق ، وفى البدن فتور الأعضاء ، وفى العين فتور النظر ، ويطلق ويراد به الظُّلمة قال :

فى ليلةٍ مرضتْ من كل ناحيةٍ فما يُحَسُّ به نجمٌ ولا قَمَرُ

وقيل : المرض الفساد

قال ابو تراب : وذكر ابن عزيز فى غريبه (ص ١٩٣) ما ذكره ابن عرفة دون الشاهد .

وقال القرطبى : المرض عبارة مستعارة للفساد الذى فى عقائدهم ، وذلك إمّا أن يكون شَكاً ونفاقاً ، وإمّا جَحْداً وتكذيباً ، والمعنى قلوبهم مَرْضَى لخلوّها عن العصمة والتوفيق والرعاية والتأييد .

وقال الطبرى : أصل المرض السَّقَم ، ثم يقال ذلك فى الأجساد والأديان فأخبر الله جَلَّ ثناؤه أن فى قلوب المنافقين مَرَضاً ، وانّما عَنَى تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم الخَبَرَ عن مرض ما فى قلوبهم من الاعتقاد الى أن قال : والمرض الذى ذكر الله جلّ ثناؤه انه فى اعتقاد قلوبهم هو شَكُّهم فى أمر محمد ﷺ وما جاء به من عند الله وتحيُّرُهم فيه ، فلا هم به موقنون إيقانَ إيمانٍ ، ولا هم له منكرون إنكارَ إشراك ، ولكنهم كما وصفهم الله مَذَبْذَبُونَ بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .

ثم أورد الطبرى عن ابن عباس قال : « مرضٌ » أى شَكٌ وعنه ايضاً قال : المرض النفاق ، وعن ابن مسعود : يقول فى قلوبهم شك ، وعن ابن زيد قال : هذا مرضٌ فى الدين وهم المنافقون . وعن قتادة : فى قلوبهم ريبة وشك فى أمر الله عز وجل ، وعن الربيع بن أنس قال : هؤلاء أهل النفاق والمرض الذى فى قلوبهم الشكُّ فى أمر الله تعالى ذِكْرُهُ ، وعن ابن زيد ايضاً قال : المَرَضُ الشك الذى دخلهم فى الاسلام .

وفى مجاز أبى عبيدة (ج١ ص ٣٢) : « فى قلوبهم مرضْ » أى شك ونفاق ، ومثله فى غريب السجستانى (ص ١٩٣) ومثله فى غريب ابن قتيبة (ص ٤١) قال : ومنه يقال : فلانٌ يُمرِضُ فى الوعد وفى القولْ اذا كان لا يُصَحِّحُه ولا يُؤكّده .

وفى تنوير المقباس (ص ٤) : « مرضٌ » شك ونفاق ، وخلافٌ وظلمةٌ .

وقال الراغب فى المفردات : المرض الخروج عن الاعتدال الخاصبالانسان وذلك ضَرْبانِ ، الأول مَرَضٌ جِسْمِيٌّ ، وهو المذكور فى قوله تعالى : « ولا على المريض حَرَجٌ » « ولا على المَرْضَى » والثانى عبارة عن الرذائل كالجهل والجُبْن والبُخْل والنفاق وغيرها من الرذائل الخلقية نحو قوله : « فى قلوبهم مَرَضٌ فزادهم الله مرضاً » « أفى قلوبهم مرضٌ أم ارتابوا » « فأمّا الذين فى قلوبهم مَرَضٌ فزادتْهم رِجْساً الى رِجْسِهِم » فذلك نحو قوله : « ولَيَزيدنَّ كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً » ويُشَبَّه النفاق والكفر ونحوهما من الرذائل بالمرضِ ، إمّا لكونها مانعةً عن إدراك الفضائل كالمَرَضِ المانع للبدن عن التصرف الكامل ، وإمّا لكونها مانعةً عن تحصيل الحياة الأخروية المذكورة فى قوله : « وإنّ الدار الآخرة لهى الحَيَوانُ لو كان يعلمون » وإمّا لِمَيْلِ النفس بها الى الاعتقادات الرديئة مَيْلَ البَدَنِ المريضِ الى الاشياء المُضِرَّةِ ، ولكون هذه الاشياء مُتَصَوَّرَةً بصورةِ المرضِ قيل : دَوِىَ صَدْرُ فلانٍ ، ونَغِلَ قلبُه ، وقال عليه السلام : وأىُّ داءٍ أدْوَأُ من البُخْلِ .

ويقال : شمسٌ مريضةٌ اذا لم تكن مُضيئةً لعارضٍ عَرَضَ لها .

وفى أساس الزمخشرى : به مَرْضَةٌ شديدة قال عمران بن حِطّان :

أفى كلِّ عامٍ مرضـــةٌ ثم نَقْهَةٌ   وتَنْعِى ولا تُنْعَى فكم ذا الى متى

ومن المجاز : مَرَّض فى الأمر : ضَجَّع فيه ، ومارضتُ رأيي فيك : خادعت نفسى فيك ، وأمْرَضَ فلانٌ : قارب إصابة حاجته ، قال :

رأيــتُ أبــا الوليــد غداةَ جَمْعٍ به شيــبٌ ومــا فَقَــد الشبابا
ولــكن تحــت ذاك الشيــب حَزْمٌ اذا ما ظُنَّ : أمْــرَضَ أو أصابا

قال ابو تراب : هذا الشعر لكُثَيِّرَ عَزَّةَ كما فى البيان (ج ٤ ص ٦٧) وفى قلبه مرضٌ : نفاقٌ ، وهذه ريحٌ مريضةٌ ونَسَمَتْ مَرْضَى الرياح ، وشمس مريضةٌ ضعيفة الضوء ، وليلة مريضةٌ ، قال :

(وليلــةٍ مَرِضَــتْ من كلِّ ناحيةٍ فما يُضىء لهــا نجــمٌ ولا قَمَرُ)

قال ابو تراب : البيت لأبى حية النميرى .

وقال الراعى :

وطَخْيَاءَ من ليــلِ التمام مريضةٍ أَجَــنَّ الغمامُ نَجْمَهــا فهــو مَاصِحُ

وأرض مريضةٌ : كثيرة الفتن والحروب مُغْتَصَّةٌ بالجيوش ، قال أوس :

ترى الأرض منّا بالفضــاء مريضةً مُعَضِّلــةً منَّــا بجَمْــعٍ عَرَمْرَمِ

وقالت الأُخْيَلِيَّةُ :

اذا بلــغ الحَجَّــاجُ أرضــاً مريضةً تَتَبَّــعَ أقْصَى دائِهــا فشفاها

ورأىٌ مريضٌ ، وأعينٌ مراضٌ ومَرْضَى .

قال ابو تراب : البيت المذكور فى ديوانها (ص ١٢١) .

وقال ابن الجوزى فى نزهة الأعين (ج ٢ ص ١٤٦) : المرض إحساس بالمُنافِى والصحة إحساس بالملائم ، ويُستعار فى موضع فيقال : أرض مريضةٌ اذا فسدت ، وأورد بيت الأُخْيَلِيّة المذكور ، وأورد ايضاً :

ألم تر أن الأرض أضْحَتْ مريضةً لفقــد الحســين والبــلاد اقْشَعَرَّتِ

ويقال : قلب مريض اذا خرج عن الصحة فى الدين مثل أن يحصل فيه الشك أو نحو ذلك وعن ثعلب يقول : يكون المرض بمعنى الظلمة ، وأنشد بيت أبى حية المذكور ثم قال : وذكر أهل التفسير أن المرض فى القرآن على ثلاثة

أوجه ، أحدها مرض البدن كقوله تعالى : « فمن كان منكم مريضاً » والثانى الشك ، كقوله : « فى قلوبهم مرض » وكقوله : « رأيتَ الذين فى قلوبهم مرضٌ ينظرون اليك » والثالث الفجور كقوله : « فيَطْمَعَ الذى فى قلبه مرضٌ » وكقوله : « لئن لم يَنْتَهِ المنافقون والذين فى قلوبهم مَرَضٌ » وقد ألحق بعضهم وجهاً رابعاً فقال : والمرض الجراح ومنه قوله تعالى فى سورة النساء : « وان كنتم مَرْضَى أو على سفر » ومثله فى المائدة ، وألحقه بعضهم بالقسم الأول . وقال : الجراح من جملة الأمراض .

قال ابو تراب : الدامغانى جعلها أربعةً كما قال ابن الجوزى (انظر ص ٤٣٢)

وقال ابن فارس فى المقاييس : الميم والراء والضاد أصل صحيح يدل على ما يخرج به الانسان عن حدِّ الصحة فى أى شيءٍ كان ، منه العِلَّة ، وشمس مريضةٌ اذا لم تكن مُشرِقةً ، ويكون ذلك لِهَبْوَةٍ فى وجهها ، والنفاق مَرَضٌ فى قوله تعالى : « فى قلوبهم مرض » وقال : « فيَطْمَعَ الذى فى قلبه مرضٌ » قالوا : أراد القَهْرَ ، وقد قلنا : المَرَضْ كلُّ شيءٍ خرج به الانسان عن حَدِّ الصحة ، وقياسُه مُطَّرِدٌ .

وقالوا : مَرَّض فى الحاجة : قَصرَّ ولم يَصحَّ عَزْمُه فيها .

وقد شَذَّت عن هذا القياس كَلمةٌ وهى من المُشْكِل عندنا ، يقولون : أَمْرَضَ اذا قارب إصابته حاجته ، وأورد بيت كُثَيِّرٍ المذكور آنفاً .

قال ابو تراب : ولا مُشْكِل عندى ما استشكله ابن فارس ، ذلك لأن اَمْرَضَ هنا من باب الافعال ، وهمزة الافعال تأتى للسَّلْبِ والفقدان وإزالة الشيء فأَمْرَضَ معناه أخرج العِلَّةَ التى كانت به ، وأزالها ، فلم يكن به ذلك المَرَضُ الذى أَقْلَقَه أو قارب ، وكذلك مَنْ قارب إصابةَ حاجته فقد أزال ما كان به من لَهَفٍ عليها ، وسُلِبَ تلك اللَّوْعَةَ ، وفَقَد شِدَّةَ التَّوَقِ للحاجة بعد أن دَنَتْ إصابتُه إيّاها والله أعلم .

ويقال للمريض مارضٌ ايضاً وشاهده فى اللسان ما أنشده ابن بَرِّىٍّ لسلامة بن عُبادة الجَعْدىّ :

يُرِيْنَنَـا ذا اليَسرِ القَوارضِ ليس بمهـزولٍ ولا بمارضِ

والجمع مِراضٌ ، قال جرير : (وفى المِراضِ لنا شَجْوٌ وتعذيبُ)

وفى الحديث : لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ ، المُمْرِضُ الذى له إبلٌ مَرْضَى فنَهَى أن يَسْقِيَ المُمْرِضُ إبَلَهُ مع إبلِ المُصِحِ ، لا لأجْلِ العَدْوَى ، ولكنْ لأن الصّحاح ربما عرض لها مرض فوقع فى نفس صاحبها أن ذلك من قبيل العَدْوَى ، فيَفْتِنُه ويُشَكِكَهُ ، فأمَر باجتنابه والبُعْدِ عنه ، وقد يحتمل أن يكون ذلك من قَبَل الماء والمَرْعَى تَستَوْبلُه الماشيةُ فتَمْرَضُ فاذا شاركها فى ذلك غيرُها أصابه مثلُ ذلك الداء ، فكانوا بِجَهْلِهم يُسَمُّونَه عَدْوَى ، وانما هو فِعْلُ الله تعالى .

قال ابو تراب : نَفْيُ العَدْوَى فى الحديث جاء لتثبيت عقيدة التوحيد ، لئلاّ يَتَوَهَمَ أنهَا مؤثّرة بذاتِها ، لأن الفاعل الحقيقى هو خالق كلّ شيءٍ .

وفى حديث تقاضى الثمار : أصابها مُراضٌ ، هو بالضمّ داء يقع فى الثمرة فتَهْلِكُ . وقوله تعالى : « فى قلوبهم مَرَضٌ » أى شَكٌ ونفاق وضَعْفُ يقينٍ وقرأ الأصمعى على أبى عمرو : « مَرْضٌ » وهما لغتان .

قال ابو اسحاق : المرض والسُّقْم فى البَدَن والدِّين جميعاً كما يقال : الصحة فى البدن والدين جميعاً ، والمَرَضُ فى القلب يَصْلُح لكلّ ما خرج به الانسان عن الصحة فى الدين ، ويقال : قلب مريضٌ من العداوة ، وهو النفاق .

قال ابن الأعرابى : أَصْلُ المَرَضِ النُقصان ، وهو بَدَنٌ مريضٌ ناقص القوة ، وقلبٌ مريضٌ ناقص الدين .

وفى حديث عمرو بن مَعْدِ يْكَرِبَ : هم شفاء أمراضنا ، أى يأخذون بِثَأْرِنَا كأنهم يَشْفُون مَرَضَ القلوب لا مَرَضَ الأجسام .

وأنشد أبو حنيفة :

تَوائِـمُ أَشْبَـاهٌ بأرضٍ مريضةٍ يَلُـذْنَ بِخِـذْرافِ المِتَـانِ وبالغَرْبِ

يجوز ان يكون فى معنى مُمْرِضَةٍ ، عَنَى بذلك فسادَ هوائها ، وقد تكون مريضةٌ هنا بمعنى قَفْرَةٍ ، وقيل : مريضةٌ ساكنةُ الريح ، شديدة الحَرِّ .

ورأىٌ مريضٌ فيه انحراف عن الصواب ، وأرضٌ مريضةٌ اذا ضاقت بأهلها ، وكثر بها الهَرْج ، وشاهده قول أوْسِ بن حَجَر المتقدم .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ويَمُدُّهم فى طغيانهم يَعْمَهُون » ؟ قال : يلعبون ويتردّدون ؛ قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

أرانِى قد عَمِهْتُ وشابَ رأسى   وهذا اللَّعْبُ شَيْنٌ بالكبير

قال ابو تراب : البيت فى ملحقات الديوان (ص ٢٤٤) وفى تنوير المقباس للمجد (ص ٤) « يَعْمَهُون » يَمْضُونَ عَمَهَةً لا يبصرون .

وفى تفسير الطبرى عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة ومجاهد والربيع « يَعْمَهُون » يتمادَوْنَ ويتردّدون .

قال الطبرى : العَمَهُ نفسُه : الضلالُ ، يُقال منه : عَمِهَ فلانٌ يَعْمَهُ عَمَهَاناً وعُموهاً ، اذا ضَلَّ ، ومنه قول رؤبة بن العجّاج يصف مَضَلَّةً من المَهَامِهِ

ومَخْفَقٍ من لُهْلُهٍ ولُهْلُهِ   من مَهْمَهٍ يَجْتَبْنَهُ فى مَهْمَهِ

أعَمْى الهُدَى بالجاهلينَ العُمَّهِ

قال ابو تراب : هو فى ديوانه (ص ١٦٦) والسمط للبكرى (ص ٥٥) والعينى (ج ٣ ص ٢٤٥) وشواهد الكشاف (ص ١٥١) والعُمَّهُ جَمْعُ عامِهٍ ، وهذا البيت أنشده ابو عبيدة فى المجاز (ج ١ ص ٣٢) شاهداً وقال : رجل عَمِهٌ وعامِهٌ ، أى جائر عن الحق .

وفى غريب ابن قتيبة (ص ٤١) « يَعْمَهُون » يركبون رؤوسهم فلا يُبصرون .

وفى غريب ابن عزيز (ص ٢٤٣) يترددون فى الضلالة .

قال الزمخشرى فى الأساس : عَمِهَ فى طغيانه ، وتَعَامَهَ ، وفلان فى عَمَهٍ من أمره ، وهو التردّد والتحيرُّ ، وعَمَّهْتَ فى ظُلمى ، أى ظلمتَنِى بغير جَلِيَّةٍ ، وسلكوا أرضاً عَمْهَاءَ : بلا أمارات .

قال الراغب فى المفردات : العَمَهُ التردُّد فى الأمر من التحيرُّ « فى طغيانهم يعمهون » « فهم يعمهون » « زَيَّنا لهم أعمالَهم فهم يَعْمَهُون »

وقال ابن فارس فى المقاييس : العين والميم والهاء أصل صحيح واحد يدلُّ على حَيْرَةٍ وقِلَّةِ اهتداءٍ . قال الخليل : عَمِهَ الرجل يَعْمَهُ عَمَهاً ، وذلك اذا تردّد لا يدرى أين يتوجّه . قال يعقوب : ذهبتْ إبلُه العُمَّيْهىَ ، اذا لم يَدْرِ أين ذهبت .

وفى اللسان : أنشد ابنَ بِرّىٍّ :

مَتَى تَعمَهُ الى عثمانَ تَعْمَهْ الى ضَخْمِ السرُادقِ والقِبابِ

أى تُرَدَدُ النظرَ ، وقيل : العَمهُ التردُّد فى الضلالة ، والتحيرُّ فى منازعةٍ أو طريقٍ ، قال ثعلب : هو ألاَّ يعرفَ الحُجَّة ، وقال اللّحِيْانى : هو تردُّده لا يدرى أين يتوجّه . ومعنى « يَعْمَهُون » فى التنزيل يتحيرَّون .

وفى حديث علىّ : فأين تَذْهَبُون ؟ بل كيف تَعْمَهُون ؟

قال ابن الأثير : العَمَهُ فى البصيرة كالعمى فى البصر ، ورجلٌ عَمِهٌ عامِهٌ أى يتردد متحيرّاً لا يهتدى لمذهبه وطريقه . والجمع عَمِهُونَ وعُمَّهٌ . وقد عَمِهَ وعَمَهَ يَعْمَهُ عَمَهاً وعُموهاً وعُمُوهَةً وعَمَهاناً اذا حاد عن الحق ، والعَمَهُ فى الرأى والعمى فى البصر .

قال ابو منصور : ويكون العَمَى عَمَى القلب ، يقال : رجل عَمٍ اذا كان لا يُبصر بقلبه ، وأرض عَمْهاءُ لا أعْلامَ بها ، وذهبتْ إبلُه العُمَّهَى اذا لم يدر أين ذهبَت ، والعُمَّيْهَى مثلُه .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : « فتوبوا الى بارئكم » ؟ قال : خالقِكم ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعتَ قول تُبَّعٍ :

شهدتُ على أحمدٍ أنَّه رسولٌ من اللّٰهِ بارى النَّسَمْ

قال ابو تراب : البيت في الروض الأُنُف للسهيلي (ج ١ ص ٢٤) والبحر المحيط لأبي حيان (ج ٨ ص ٣٨) وبلوغ الأرب للآلوسي (ص ٢ ج ١٧٠) .

قال ابوعبيدة في المجاز (ج ١ ص ٤١) « بارئكم » خالقكم من بَرَأْتُ .

ومثله في غريب ابن قتيبة (ص ٤٩) وغريب السجستاني (ص ٤٣)

وروى الامام ابو جعفر عن أبي العالية كذلك ، قال : وهو من بَرَأَ الخَلْقَ يَبْرَؤه فهو بارىء ، والبَرِيَّةُ الخَلْقُ ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة غير أنها لا تُهمز كما لا يهمز مَلَكٌ وهو من لأكَ ، لكنّه جَرَى بترك الهَمْزِ كذلك ، قال نابغة بني ذُبْيَانَ :

إلاّ سليمانَ إذْ قال المليك له قُمْ في البَرِيَّةِ فَاحْدُدْها عن الفَنَدِ

وقد قيل : ان البَرِيَّة انما لم تُهمز لأنها فعيلة من البَرَى ، والبَرَى التُرابُ فكأنَّ تأويله على قول من تَأَوَّلَه كذلك انه مخلوق من التراب .

وقال بعضهم : انما أُخذت البَرِيَّة من قولك : بَرَيْتُ العُودَ ، فلذلك لم يهمز

قال الطبري : وتَرْكُ الهَمْزِ من « بارئكم » جائزٌ ، والابدال منها جائز ، فاذْ كان ذلك جائزاً في « باريكم » فغير مُسْتَنْكَرٍ ان تكون « البَرِيَّة » من « بَرَى اللّٰه الخَلْقَ » بترك الهمزة .

وفي تفسير القرطبي : البارىء الخالق ، وبينها فرقٌ ، وذلك أن البارىء هو المُبْدِعُ المُحْدِثُ ، والخالقُ هو المُقَدِّرُ الناقل من حال الى حالٍ

قال ابن فارس : الباء والراء والهمزة أصلان اليهما ترجع فروع الباب أحدهما الخَلْقُ ، يُقال : برأ الله الخَلْقَ يَبْرَؤُهم بَرْءاً والبارىء اللّٰهُ جَلَّ ثناؤه قال اللّٰه تعالى : « فتوبوا الى بارئكم » وقال أُمَيَّةُ : (الخالقُ البارىء المُصَوِّرُ) .

والأصل الآخر : التباعد من الشيء ومزايلته ، من ذلك البُرْءُ وهو السلامةُ من السُقْم ، يقال : بَرِئْتُ ، وبَرَأْتُ .

قال اللِحْيَاني : يقول أهل الحجاز : بَرَأْتُ من المرض أَبْـرُؤُ بُرُوءاً وأهـل العالية يقولون : بَرَأْت أَبْرَأُ بَرْءاً ، ومن ذلك قولهم : بَرِئْتُ اليك من حقك ، وأهل الحجاز يقولون : أنا بَرَاءٌ منك ، وغيرهم يقول : أنا بَرِىءٌ منك ، قال الله تعالى فى لغة أهل الحجاز ، « اننى بَرَاءٌ مما تعبدون » وفى غير موضع من القرآن « انّى برىءٌ » فمن قال : انا بَرَاءٌ لم يُثَنِّ ، ولم يُؤَنِّثْ ، ويقولون : نحن البَراءُ والخَلاَءُ من هذا ، ومن قال : بَرِىءٌ قال : بَريئانِ ، وبَرِيئُونَ ، وبُرَآء على وزن بُرَعَاءَ ، وبِراءٌ وبُرَاءٌ ، ومن ذلك البراءة من العيب والمكروه ، ولا يقال منه الاّ بَرِىءَ يَبْرَأُ ، وبَارَأْتُ الرجل ، أى بَرِئْتُ اليه وبَرِىءَ الىّ ، وكذلك بارأتُ شريكى وأَبْرَأْتُ من الدَّيْن والضَّمانِ .

ويقال : ان البَرَاءَ آخر ليلةٍ من الشهر سُمّىَ بذلك لِتَبَرُّؤِ القمر من الشهر قال وهو فى اللسان :

(يـا عـينُ بَكّى مالـكاً وعَبْسَا يومـاً اذا كان البَـراءُ نَحْسَا)

قال ابن الأعرابى : اليوم البَراءُ السَّعْدُ ، أى انه برىء مما يُكْرَهُ . وبُرْأَةُ الصائد ناموسُهُ ، وهى قُتْرَتُه ، والجَمْعُ بُرَأٌ ، وهو من الباب ، لانه قد زَايَلَ اليها كلُّ أحدٍ ، قال وهو فى اللسان ايضاً :

فأوردَهـا عيْنـاً من السِـيْفِ رَيَّةً بهـا بُرَأٌ مثـلُ الفَسيـل المُكَمَّمِ

وقال الراغب فى المفردات : أصل البُرْءِ والبَراءِ والتَبرِى التَّفَصِّى مما يُكره مجاورتُه ، ولذلك قيل : بَرَأْتُ من المرض ، وبَرِئْتُ من فلانٍ ، وتَبَرَّأْتُ ، وأَبْرَأْتُه من كذا ، وبَرَّأْتُه ، ورجلٌ برىءٌ وقومٌ بُرَآءُ ، وبريئون . قال عز وجل : « بَراءةٌ من الله ورسوله » وقال : « ان الله بَرِىْءٌ من المشركين ورسولُه » وقال : « أنتـم بريئون مما أعمل وأنا بَرىءٌ مما تعملون » وقال : « انّا بُرَآءُ منكم ومما تعبدون من دون الله » وقال : « انى بَرَاءٌ مّما تعبدون » وقال : « فَبَرَّأَهُ الله مما قالوا » وقال :

« إذْ تَبَرَّأَ الذين اتُّبِعُوا » والبارىء خُصَّ بوصف الله تعالى نحو قوله : « البارىءُ المُصَوِّر » وقوله : « فتوبوا الى بارئكم » .

وفى الأساس للزمخشرى : اللهم أَبْرَأُ اليك من الحَوْل والقوة ، وهو بَرِىءُ الساحة مما قُذف به ، وبَرَّأته : صحّحت براءتَه ، « فَبَرَّأَهُ اللّٰه مما قالوا » واستبرأتُ الشىءَ : طلبتُ آخرَه لأقطع الشُّبْهَةَ عنّى ، واستَبْرَأْتُ أرضَ بنى فلانٍ فما وجدتُ فيها ضالتّى ، واَسْتَبْرَأَ من بوله اذا استَنْزَهَ ، وفلانٌ بارىءٌ من عِلَّتِه ، وتقول : حَقٌّ على البارىءِ من اَعْتلالِه ، أنْ يؤدّىَ شكر البارى على إبْلالِه .

قال ابو تراب : هذه المادّة ليست فى كتاب الوجوه والنظائر للدامغانى ، ولا كتاب نزهة الأعين والنواظر للامام ابن الجوزىِّ ، مع اختلاف المعنى فى صيغها المتعدّدة ولا سيماً معنى الخَلْق والابتعاد .

وفى اللسان لابن منظور : البارىء من اسماء الله عز وجلّ ، والله البارىء الذَّارِىءُ ، وفى التنزيل : « البارىء المُصوِّر » وفيه : « فتوبوا الى بارئكم » وهو الذى خلق الخلق لا عن مثال . ولهذه اللفظة من الاختصاص بخَلْقِ الحَيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات ، وقَلَّما تُستعمل فى غير الحيوان . فيُقال : بَرَأَ الله النَّسَمَةَ ، وخَلَق السموات والأرضَ

قال ابن سِيْدَةْ : بَرْءُ الخَلْقِ يكون فى الجواهر والأعراض ، وفى التنزيل : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الاّ فى كتاب من قبل أن نبرأها »

قال ابن برّى : لم يذكر الجوهرى بَرَأْتُ أبْرُؤُ بالضم فى المستقبل ، وقد ذكره سيبويه والمازنى ، وانما ذكرت هذا لأن بعضهم لَحَّنَ بشار بن بُرْدٍ فى قوله :

نَفَر الحَىُّ من مكانى فقالوا فُزْ بِصَبْرٍ لعلّ عينك تَبْرُؤْ
مَسَّهُ من صدود عَبْدَةَ ضُرٌّ فبنات الفؤاد ما تَسْتَقِرُّ

وقال ابن بَرِىٍّ : المعروف فى بُراءٍ أنه جمع لا واحدٌ ، وعليه قول الشاعر :

رأيت الحرب يجْنُبُها رجالٌ ويَصْلَى حَرَّها قومٌ بُرَاءُ

ومثله لزُهيرٍ : (اليكم انّنا قومُ بُراءُ) ونَصَّ ابن جنّى على كونه جمعاً فقال : يُجمع بَرِىءُ على أربعةٍ من الجموع ، بِرَاءٌ مثل ظريفٍ وظِرافٍ ، وبُـرَآءُ مثـلُ شريفٍ وشُرَفَاءُ وأَبْرِيَاءُ مثل صديقٍ وأَصْدِقَاءَ ، وبُرَاءُ مثل ما جاء من الجموع على فُعالٍ نحو تُؤام ٍ ورُبابٍ فى جَمْعٍ تَوْأَمٍ ورُبَى .

وقوله تعالى : « براءةٌ من الله ورسوله » أى إعذار وإنذارٌ

وفى حديث أبى هريرة لّما دعاه عمر الى العمل فأَبَى . فقال عمـر : ان يوسف عليه السلام قد سأل العملَ ، فقال : ان يوسف منّى برىء وأنا منه بَراءٌ ، أى برىءُ عن مساواته فى الحكم ، وأن أُقاسَ به ، ولم يُرِدُ براءة الولاية والمحبّة لأنه مأمور بالايمان به . وقال ابن الأعرابى : البَراءُ يوم سَعْدٍ وأنشد :

كان البَــراءُ لهــم نَحْســاً فغَرَّقهم ولم يكن ذاك نَحْساً مذ سَرَى القمرُ

وفى الحديث : فانه أَرْوَى وأَبْرىَ أى يُبْرئُه من ألم العَطَشِ أو أراد أنه لا يكون منه مَرَضٌ لأنه قد جاء فى حديث آخر : فانه يورثَ الكُبادَ وهكذا يُروى الحديث بدون همز لأجل (أَرْوَى) والمشاكلة سنة العرب .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قولـه تعـالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه » ؟ قال : لا شكَّ فيه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول ابن الزِبَعْرَى :

ليس فى الحــق يا أُمَامَــةُ رَيْبٌ إنّمــا الرَّيْــبُ ما يقــول الكَذوبُ

قال ابو تراب : البيت فى البحر المحيط لأبى حيان (ج ١ ص ٣٣) دون نسبة . وهذا التفسير عن ابن عباس فى تنوير المقباس للمجد (ص ٣) وهو الذى فسر به الفرّاء فى المعانى (ج ١ ص ١٢) وابن قتيبة فى الغريب (ص ٣٩) وابن عزيز فى الغريب (ص ١٠٦) وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ١ ص

٢٩) : لا شك فيه ، وأنشدنى ابو عمرو الهُذَلىّ لِساعدةَ بن جُؤَيَّةَ الهذلىّ :

فقالوا تركنا الحَىَّ قد حَصرَوا به   فلا ريبَ أن قد كان ثَمَّ لَحِيمُ

أى قتيلُ ، يقال : فلان قد لَحِمَ أى قُتل ، وحَصرَوا به أى أطافوا به ، لا ريب : لا شَكَّ .

قال ابو تراب : هذا البيت استشهد به الطبرى ، وهو فى سمط اللآلىء للأَوْنَبِىِّ (ص ١١٥) وديوان الهذليّين (ج ٢ ص ٢٣٢) والصحاح واللسان .

وقال الدامغانى فى الوجوه والنظائر (ص ٢١٤) : الريب على ثلاثة أوجه ، فوجهٌ منها الشك كقوله : « لا ريب فيه » وقوله : « وإن كنتم فى ريب » وقوله : « ليومٍ لا ريب فيه » والثانى : الحوادث كقوله « نَتَرَبَّصُ به رَيْبَ المَنون » قاله مجاهد ، أى حوادث الدهر ، والثالث : الحسرةُ كقوله : « لا يزال بُنيانُهم الذى بَنَوا ريبةً فى قلوبهم » يعنى حسرةً فى قلوبهم ، أرابَ فى نفسه وأراب غيره .

قال ابو تراب : وذكر ابن الجوزى الوجهين الأَوَّلَيْنِ فقط فى نزهة الأعين (ج ١ ص ١٩٩) وأغفل الثالث .

وقال الراغب فى المفردات : يقال : رابَنِى كذا وأرابَنى ، فالرَّيْبُ ان تَتَوَهَّمَ بالشىء أمْراً ماً فيَنْكَشِفَ عمّاَ تَتَوَهَّمُهُ ، قال الله تعالى : « ان كنتم فى ريبٍ من البَعْثِ » وقال : « فى ريبٍ مّما نَزَّلْنَا » تنبيهاً ان لا ريبَ فيه ، وقوله « رَيْبَ المَنون » سمّاه رَيْباً لا أنه مُشَكِّكٌ فى كونه بل من حيث تُشَكِّكُ فى وقتِ حصوله ، فالانسان أبداً فى ريب المَنون من جهة وقتِه لا من جهة كونه ، وعلى هذا قال الشاعر :

النـاس قد علموا أن لا بقـاء لهم   لو أنهم علموا مقـدارَ ما علموا

ومثله : (أمِنَ المَنونَ ورَيْبِها تَتَوجَّعُ)

وقال تعالى : « لفى شكٍّ منه مُريب » وقال : « مُعْتَدٍ مُريب » والارتياب يجَرى مجَرى الارابة قال : « أم ارتابوا أم يخافون » وقال « وتَرَبَّصتُم وٱرْتَبْتُم »

ونفى من المؤمنين الارتيابَ فقال : « ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون » وقال : « ثم لم يرتابوا » وقيل : دع ما يُريبُك الى ما لا يُريبُك .

قال ابو تراب : هذا ورد به الحديث ، ورَيْبُ الدهر صروفُه ، وانما قيل : ريبٌ لِمَا يَتَوَهَّمُ فيه من المكر ، والرِّيْبَةُ اسم من الرَّيْبِ قال : « بَنَوْا رِيبةً فى قلوبهم » أى تَدُلُّ على دَغَلٍ وقلةِ يقينٍ .

وقال الزمخشرى فى الأساس : « لا رَيْبَ فيه » ورابَنى منك وأرابَنى كذا وفلان مُريب ، وهذا أمر مُريب ، وهو ذو رِيبَةٍ ورِيَبٍ ، وارْتَبْتُ به ، واسْتَرَبْتُ ، وتَرَيَّبْتُ ، قال العجّاج يصف ثوراً . (واستمع الأصواتَ أو تَرَيَّبا) وأصابه رَيْبُ المَنون ، ولا تَرِبْهُ بشَىءٍ : لا تفعل به ما يَشُكُّ له فى الأمن والسلامة .

وروى الامام الطبرى فى تفسيره عن قتادة والربيع ومجاهد وعطاء والسُّدِّىِّ وابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة تفسير الرَّيْبِ بالشكِّ .

قال ابن كثير فى تفسيره : قال ابن أبى حاتم : لا أعلم فى ذلك خلافاً .

وقال القرطبى : فى الريب ثلاثة معانٍ ، أحدها الشك ، وأورد قول عبد الله بن الزِبَعْرَىَ المذكور شاهداً ، وثانيها التُهَمَةُ قال جميل :

بُثينــةُ قالــت يا جميــل أرَبْتَنِى فقلــت كلانــا يا بُثَيــنُ مُريبُ

وثالثها الحاجة قال : ـ يعنى كعب بن مالك الأنصارى كما فى اللسان ـ :

قضينــا من تهامــةَ كلَّ رَيْبٍ وخَيْبَــرَ ثم أجْمَمْنــا السُّيوفا

وقال ابو حيان : الريب الشك بتُهَمَةٍ ، وحقيقتُه قلق النفس .

وقال ابن فارس : هو يدلُّ على شكٍّ ، أو شكٍّ وخوفٍ ، وأورد بيت ساعدة بن جُؤَيَّةَ المذكور آنفاً ، ثم قال : تقول : رابنى هذا الأمر اذا أدخل عليك شكاً وخوفاً ، ورَيْبُ الدهر صروفه ، والقياس واحد . وأورد بيت أبى ذؤيب المذكور آنفاً ، وبيت كعب بن مالك وهو هناك بمعنى الحاجة ، قال : وهذا ليس ببعيدٍ لأن طالب الحاجة شَاكٌّ على ما به من خوف الفَوْتِ .

وقال ابن الاثير فى النهاية : تكرّر ذِكْرُ الرَّيْب وهو بمعنى الشك مع التُهَمَةِ .

وفى حديث أبى بكر فى وصيّته لعمر : عليك بالرائب من الأمور . وايّاك والرائبَ منها ، قال ابن الأثير : الرائب من اللَّبن ما مُخِضَ زُبْدُهُ . والمعنى عليك بالذى لا شبهة فيه كالرائب من الألبان وهو الصافى واياك والرائب منها أى الأمر الذى فيه شُبهةٌ وكدرٌ وقيل : المعنى الأول من راب اللبَنَ يروب والثانى من راب يريب اذا وقع فى الشك أى عليك بالصافى من الأمور ودَع المشتبه منها .

وفى الحديث : اذا ابتغى الأمير الرِّيْبَةَ فى الناس أفْسَدهم ، أى اذا اتَّهَمَهُمْ وجاهرهم بسوء الظنِّ فيهم أدّاهم ذلك الى ارتكاب ما ظَنَّ بهم ففسدوا .

وقال اللِّحْيانى : يُقال : قد رابنى أمْرُهُ يَريبُنى رَيْباً ورِيْبَةً ، هذا كلام العرب اذا كَنَوْا أَلْحَقُوا الألفَ ، واذا لم يَكْنُوا أَلْقَوْا الألفَ . قال : وقد يجوز فيما يُوَقعُ أن تُدْخِلَ الألفَ فتقول : أرابَنى الأمْرُ . قال خالد بن زُهير الهُذَلىُّ :

يا قومِ مالى وأبا ذُؤَيْبِ كنتُ اذا أتيتُه من غَيْبِ
يَشَمُّ عِطْفِى ويَبُزُّ ثوبى كأنّنى أرَبْتُه بِرَيْبِ

قال ابن بَرِّىٍ : والصحيح فى هذا أنّ رابنى بمعنى شَكَّكَنِى ، وأوجب عندى رِيْبَةً كما قال الآخر :

قد رابنى من دَلْوِىَ اضطرابُها

وأمّا أراب فانه قد يأتى متعدياً وغيرَ مُتَعَدٍ ، فمَنْ عَدّاه جعله بمعنى راب وعليه قولُ خالدٍ (كأننى أَرَبْتُه بِرَيْبِ) وعليه قول أبى الطيّب : (أتدرى ما أرابك مَنْ يُريب) ويُروى : (كأنّى قد رِبتُه بِرَيْبِ) فيكون على هذا رابنى وأرابنى بمعنىً واحدٍ . وأمّا أراب الذى لا يتعدّى فمعناه أتَى بِرِيْبَةٍ ، كما تقول : ألاَمَ ، اذا أتَى بما يُلام عليه ، وعلى هذا يَتَوَجَّهُ البيت المنسوب الى المُتَلَمِّسِ أو الى بشّار بن بُرْدٍ وهو :

أخوك الذى إنْ رِبتَه قال : انّما أَرَبْتَ وإن لايَنْتَه لانَ جانِبُهْ

والروايةُ الصحيحة فى هذا البيت : (أَرَبْتُ) بضمّ التاء ، أى أخوك الذى إنْ رِبتَه بِرِيْبَةٍ قال : أنا الذى أَرَبْتُ ، أى أنا صاحب الرِّيْبَةِ ، حتى تُتَوَهَّمَ فيه

الريبةُ ، ومن رواه (أَرَبْتَ) بفتح التاء فانّه زعم أنّ رِبْتَه بمعنى أوجبتَ له الريبةَ ، ومن رواه (أَرَبْتُ) بالضمِّ فمعناه أوهمتُه الريبةَ ولم تكن واجبةً مقطوعاً بها .

وفى الحديث أن اليهود مَرُّوا برسول الله ﷺ فقال بعضهم : سَلُوهُ وقال بعضهم : ما رَابُكم اليه ؟ أى ما إِرْبُكم وحاجتكم الى سؤاله ؟

وفى حديث ابن مسعود : ما رابُك الى قَطْعها ؟ قال الخطّابى : هكذا يَرْوونَه بضمّ الباء ، وانما وَجْهُه ما إِرْبُك ؟ أى ما حاجتك ، قال ابو موسى : يحتمل أن يكون الصواب : ما رَابَكَ بفتح الباء ، أى ما أَقْلَقَكَ وأَلْجَأَكَ اليه ، قال : وهكذا يرويه بعضهم .

قال ابو تراب : هذا توجيه حسن ، وعلى الأول يكون من المقلوب .

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم » ؟ قال : طَبَع عليها ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

وصَهْبَاءَ طاف يَهُودِيُّها فأبرزها وعليها خَتَمْ

قال ابو تراب : البيت فى ديوانه (ص ٢٨) والمختار من شعر بشار (ص ١٤٣) .

وفى غريب ابن قتيبة (ص ٤٠) : « ختم الله على قلوبهم » بمنزله طَبَع الله عليها والخاتَم بمنزلة الطَّابِعَ . وانما أراد أَقْفَلَ عليها وأَغْلَقَها فليست تَعِى خيراً ولا تسمعه . وأَصْلُ هذا أنَّ كلَّ شىء خَتَمْتَه ، فقد سَدَدْتَه ورَبَطْتَه .

وفى غريب ابن عزيز (ص ٩٢) : « ختم الله على قلوبهم » طَبَع الله على قلوبهم . ومثله فى تنوير المقباس (ص ٣) .

قال الدامغاني في الوجوه والنظائر (ص ١٥٣) : الختم على أربعة أوجه : الطبع ، والحفظ والربط ، والخاتمة والآخرة ، والمنع ، فمن الأول قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم » وقوله : « وختم على قلبه وسمعه » ومن الثاني قوله : « فانْ يَشَإِ الله يَخْتِمْ على قلبك » أي يَرْبِطْ على قلبك ، ومن الثالث قوله : « مختوم ختامُه مسك » يعني آخره كقوله : « وخاتم النبيين » يعني آخرهم ، ومن الرابع قوله : « اليوم نختم على أفواههم » أي نمنع أفواههم من الكلام .

وذكر مثله ابن الجوزي في نزهة الأعين والنواظر (ج ١ ص ١٦٤) .

وقال الراغب : الخَتْم والطَّبْعُ يقال على وجهين : مصدرُ خَتَمْتُ وطَبَعْتُ وهو تأثير الشيء كنَقْشِ الخاتَمِ والطابَعِ ، والثاني الأثـر الحاصـل عن النَّقْشِ ، ويُتَجَوَّزُ بذلك تارةً في الاستيثاق من الشيء والمَنْع منه اعتباراً بما يَحْصُلُ من المنع بالخَتْم على الكتب والأبواب ، نحو « ختم الله على قلوبهم » « وخَتَم على سمعه وقلبه » وتارةً في تحصيل أثَرٍ عن شيء اعتباراً بالنقش الحاصل ، وتارةً يُعتبر منه بلوغُ الآخِرِ ومنه قيل : خَتَمْتُ القرآنَ ، أي انتهيت الى آخره ، فقوله : « ختم الله على قلوبهم » وقوله : « وخَتَم على قلوبكم » إشارةٌ الى ما أجرى الله به العادة أن الانسان اذا تَناهى في اعتقاد باطل أو ارتكاب محظورٍ ، ولا يكون منه تَلَفُّتُ بِوَجْهٍ الى الحق يُورِثُه ذلك هَيْأَةً تُمَرِّنُه على استحسان المعاصي وكأنّما يُخْتَم بذلك على قلبه ، وعلى ذلك : « اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم » وعلى هذا النحو استعارةُ الاغفال في قوله عز وجل : « ولا تُطِعْ من أغفلنا قلبَه عن ذِكْرِنا » واستعارةُ الكِنِّ في قوله عز وجل : « وجعلنا على قلوبهم أكِنَّةً أن يفقهوه » واستعارة القساوة في قوله عز وجل : « وجعلنا قلوبهم قاسيةً » .

وقال الجُبَّائيُّ : يجَعل الله خَتْماً على قلوب الكفّار ليكون دلالةً للملائكة على كفرهم فلا يَدْعُونَ لهم ، قال الراغب : وليس ذلك بشيء فان هذه الكتابة ان كانت محسوسةً فمن حقها أنْ يُدركها أصحاب التشريح ، وإنْ كانت معقولةً غير محسوسةٍ فالملائكة باطّلاعهم على اعتقاداتهم مُسْتَغْنِيَةٌ عن الاستدلال .

قال ابوتراب : الملائكة لا تعلم الغيب .

وقال بعضهم : خَتْمُه شهادتُه تعالى عليهم أنهم لا يؤمنون وقوله تعالى : « اليوم نختم على أفواههم » أى نمنعهم من الكلام وقوله « وخاتمَ النبيين » لأنّه خَتَم النُبُوّةَ أى تممَهَا بمجيئه . وقوله « خِتامُه مِسْكٌ » قيل : ما يُخْتَم به أى يُطبع ، وانما معناه مُنْقطَعُه ، وخاتمةُ شُرْبِهِ ، أى سُؤْرُهُ فى الطِّيْبِ مِسْكٌ ، وقول من قال : يُخْتَمُ بالمِسْكِ أى يُطْبَعُ فليس بشىءٍ ، لأن الشراب يجِبُ أن يُطَيَّبَ فى نفسه . فأمّا خَتْمُه بالطِّيْبِ فليس ممّا يُفيده ، ولا يَنفعُه طِيْبُ خاتِمِه ما لم يَطِبْ فى نفسه .

وفى الأساس للزمخشرى : وَضَع الخاتِمَ على الطعام ، والخاتَمُ هو الطابَعُ ، وما خِتامُك ؟ طينةٌ أم شمعةٌ ؟ وخَتَم الكتاب وعلى الكتاب .

ومن المجاز : لَبِسَ الخاتِمَ والخاتَمَ ، وتَخَتَّمَ بالعقيق ، وخَتَّمَ صاحبهَ ، سمى باسم الطابع لأنه يختم به ، وخَتَمَ القرآنَ ؛ وكلُّ عملٍ اذا أتَمَّهُ وفَرَغ منه ، والتحميدُ مُفْتَتَحُ القرآن والاستعاذةُ مُخْتَتَمُهُ ، وقد افتتح عمل كذا واخْتَتَمَهُ ، وخَتَم الله على سمعه وقلبه ، ويُقال للنَحْلِ اذا مَلأ شُورَتَهُ عَسَلاً : قد خَتَم ، و« ختامُه مِسْكٌ » أى عاقبتُه رِيْحُ المِسْك ؟ وهذه خاتمةُ السورة ، وكلّ أمْرٍ ، والأمور بخواتيمها ، وبَلَغُوا خِتامَه ، واذا أثاروا الأرضَ بعد البَذْرِ ، ثم سَقَوْها ، قالوا : اخْتُموا عليه ، وقد خَتَمُوا على زَرْعِهم ، وخَتَمْنَا زَرْعَنَا ، قالوا : لأنه اذا سَقَى ، فقد خُتِم عليه بالرجاء ، وفُلانٌ خَتَم عليك بابَه اذا أعْرَضَ عنك ، وخَتَم لك بابَه : اذا آثرك على غيرك ، وتَخَتَّمَ بِعِمامتِه تَنَقَّبَ بها ، وجاءنا مُتَخَتِّماً أى مُتَعَمِماً ، وتَخَتَّم بأمْرِهِ : كَتَمه ، واحْتَجَمَ فى خاتَمِ القَفَا ، وهو نُقْرتُه ، وما فى قوائمهِ الاّ خاتَمُ ، وهو شىءٌ من الوَضَح يقال له الزَّرَقُ ، شُعيراتٌ بيضٌ ، يقال : زُفَّتْ اليه بخاتَمِ رَبِّهَا ، وخاتِمِها ، وخِتامها ، وسِيْقَتْ هَدِيُهُمْ اليه بِخَيْتَامِها ، وقال بعض ولد حَسّانَ فى عمر بن عبد العزيز :

كما أُهْدِيَتْ قَبْلِ فَتْقِ الصَّباحِ عروسٌ تُزَفُ بِخَيْتَامِهَا

وقال ابو تراب : ومن هذا البيت نعرف سُنَّة الناس فى السهر الى الصباح ليلة الزفاف ، وهى عاداتْ ، ومن أسَنَّ فليرقد .

وقال ابن فارس : الخَتْمُ بلوغُ آخر الشىء ، والخَتْمُ الطَّبْعُ على الشىء ايضاً لا يكون الاّ بعد بلوغ آخره .

وقال ابن منظور فى لسان العرب : قال ابن اسحاق : معنى خَتَمَ وطَبَع فى اللغة واحدٌ ، وفى التغطية على الشىء والاستيثاق من أن لا يدخلهُ شىء كما قال جَلَّ وعَلاَ : « أمْ على قلوب أقفالها » وفى التنزيل : « كلاّ بل رانَ على قلوبهم » معناه غَلَبَ وغَطَّى على قلوبهم ما كانوا يَكْسِبُونْ ، وقوله عز وجل : « فانْ يَشَأْ اللهُ يَخْتِمْ على قلبك » قال قتادةُ : إنْ يَشَأْ اللهُ يُنْسِكَ ما آتاك ، وقال الزجّاج إنْ يشأِ اللهُ يَرْبِطْ على قلبك بالصبر على أذاهم ، وعلى قولهم : « افْتَرَى على الله كَذِباً » وأنشد ابن بَرّى ٍ فى الخَيْتَام ِ :

يا هِنْــدُ ذاتَ الجَــوْرَبِ المُنْشَقِّ   أخــذتِ خَيْتامِــى بغــير حَقِّ

وقال آخر : (أتُوعِدُنا بخَيْتام الأمير) وشاهد الخاتام ما أنشده الفرّاء لبعض بنى عقيل :

لئن كان ما حُدِّثْتُــه اليــومَ صادقاً   أصُمْ فى نهارِ القَيْظ للشــمس بادياً
وأرْكبْ حمــاراً بــين سَرْجٍ وفَرْدَةٍ   وأُعْـرِ من الخاتـام ِ صُغْـرَى شماليا

وأنشد الزَجَّاج :

ان الخليفــةَ انّ اللّــه سَرْبَلَهُ   سرِبَــالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجــى الخواتيمُ

وأعطانى خَتْمِى أى حَسْبِىْ قال دُريد بن الصِّمةِ :

وإنّــى دعــوتُ اللّــه لّما كَفرْتَنِى   دعــاءً فأعطانــى على مَاقــطٍ خَتْمِى

وفى تفسير الأمام ِ أبى جعفر : عن مجاهد قال : نُبِّئتُ أنَّ الذنوبَ على القلب تَحُفُّ به من نواحيه حتى تَلْتَقِى عليه ، فالتقاؤها عليه الطَّبْعُ ، والطَّبْعُ الخَتْمُ .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عَبَّاسٍ : أخبرنى عن قوله تعالى : « كمَثَلِ صَفْوانٍ عليه تُرابٌ » ؟ قال : الصَّفْوانُ الحَجَرُ الأَمْلَسُ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : أما سمعتَ قول أَوْسِ بن حَجَر :

على ظَهْرِ صَفْوانٍ كأنَّ مُتونَه غُلِلْنَ بِدُهْنٍ يُزْلِقُ المُتَنَزِّلاَ

قال ابو تراب : وفى تفسير أبى جعفر الكبير عن ابن عباس : « كمَثَلِ صَفْوانٍ » كمَثَلِ الصَّفاةِ ، وعن الربيع والسُدِّىِّ مثلُه .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج ١ ص ٨٢) : الصَّفْوانُ جِماعٌ ، ويقال للواحدة : صَفْوانَةٌ فى معنى الصَّفَاةِ ، والصَّفَا للجميع ، وهى الحجارة المُلْسُ .

وانظر غريب ابن عَزيز (ص ١٤٠) وغريب ابن قتيبة (ص ٩٧) قال : الصَّفْوانُ الحَجَر .

وقال الراغب : الصَّفْوانُ كالصَّفَا ، الواحدة صَفْوانَةٌ قال : « صَفْوانٌ عليه ترابٌ » وأصل الصفا خُلوصُ الشيء من الشَّوْب ، ومنه الصفا للحجارة الصافية ، قال تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » وذلك اسم لموضع مخصوص والاصطفاء تناول صَفْو الشيء ، واصطفاءُ اللهِ بعضَ عباده قد يكون بايجادِه تعالى إيّاه صافيا من الشَّوْب الموجود فى غيره ، وقد يكون باختياره وبحُكْمِه وإن لم يَتَعَرَّ ذلك من الأول ، قال تعالى : « الله يَصْطَفِى من الملائكة رُسُلاً ومن الناس » « ان الله اصطفى آدم ونُوحاً » « إصْطَفاكِ وطَهَّرَكِ واصطفاكِ » « إصْطَفَيْتك على الناس » « وإنهم عندنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأخيار » واصطفيتُ كذا على كذا : أى اخترتُ « أَصْطَفَى البناتِ على البَنين » « وسلامٌ على عباده الذين اصْطَفَى » « ثم أورثنا الكتابَ الذين اصْطَفَيْنَا من عبادنا » والصَفِيُّ والصَفِيَّةُا يَصْطَفِيهِ الرئيس لنفسه ، قال الشاعر : (لك المِرْبَاعُ منها والصَّفَايَا)

قال ابو تراب : وليست هذه المادة فى الوجوه والنظائر للدامغانى ، وهى

متردّدة بين الصفا والصَّفْوان والاصطفاء والاصفاء ، وعذر ابن الجوزى فى عدم إيرادها عدمُ اتحاد اللفظ .

وفى أساس الزمخشرى : أصلب من الصَّفَا والصَّفْوان والصَّفْواء وكأنه صَفَاةٌ وصَفْوانَةٌ ، ومن المجاز : أصْفَيْتُه بالبِرّ : آثرتُه واختصصتُه « أفَأصْفَـاكم ربُّـكم بالبنين » . وصادفَ الصَيَّادُ خَفْقاً فأصْفَى أولادَهُ بالغُبيراء ، قال الطِرِمّاح :

أو يُصــادِفْ خَفْقــاً يُصفِهمِ   بعتيــقِ الخَشْــلِ دونَ الطَّعامِ

وفَلَّتْ صَفَاتُه ، وعن صَعْصَعَةَ بن ناجِيَةَ : إنّى واللهِ ما قارعتُ صَفَاةً أشَدَّ علىَّ من صَفَاةِ بَنى زُرارةَ .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الصاد والفاء والحرف المُعْتَلُّ أصْلٌ واحدٌ يدلُّ على خلوصٍ من كلِّ شَوْبٍ ، من ذلك الصَّفَاءُ ، وهو ضِدُّ الكَدَرِ ، يقال : صَفَا يَصْفُو : اذا خَلَصَ ، يقال : لك صَفْوُ هذا الأمر ، وصِفْوَتُه ، ومُحَمَّدُ صِفْوَةُ الله وخِيرَتُه من خَلْقِه ، ومُصْطَفَاهُ ﷺ ، والصَّفِىُّ ما اصْطَفَاهُ الامـام من المَغْنَـمِ لنفسِه ، وقد يُسَمَّى بالهاء الصَفِيَّةَ والجمع الصَّفَايَا قال :

لك المِرْبَــاعُ منهــا والصَّفايا   وحُكْمُــكَ والنَّشيطــةُ والفضولُ

قال ابو تراب : البيت لعبد الله بن عَنَمةَ الضَّبّىِ فى حماسة أبى تمّام : (ج ١ ص ٤٢٠) .

والصَّفِيَّةُ والصَّفِىُّ ـ وهو بغير الهاء أشْهَرُ ـ الناقة الكثيرة اللَّبَن ، والنَّخْلَةُ الكثيرة الحَمْل ، والجمع الصَّفَايَا ، وانما سُمِّيَتْ صَفِيًّا لأن صاحبَها يَصْطَفيْهَا .

ومن الباب قولهم : أصْفَتِ الدَّجَاجَةُ : اذا انْقَطَع بَيْضُها إصْفَاءً وذلك كأنها صَفَتْ أى خَلَصَتْ من البَيْضِ ، ثم جُعل ذلك على أفْعَلَتْ فَرْقاً بينها وبين سائر ما فى بابها ، وشُبِّهِ بذلك الشاعرُ اذا انقطع شعرُهُ

قال : ومن الباب الصَّفَا ، وهو الحَجَرُ الأمْلَسُ ، وهو الصَّفْوانُ ، الواحـدةُ صَفْوَانـةٌ ، وسُمِّيَتْ صَفْوانـةً لذلك ، لأنهـا تَصْفُـو من الطِّـينْ والرَّمْـل ، قال

الأصمعىُ : الصَّفْوانُ والصَّفْواءُ ، والصَّفَا كلُّه واحدٌ ، وأنشد : (كما زَلَّتِ الصَّفْواءُ بالمُتَنَزِّلِ)

قال ابو تراب : هو عَجُزُ بيتٍ من مُعَلَّقَةِ امرىء القيس الشهيرة ، وأوله : (كميتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حَالِ مَتْنِه) قال : ويقال : يوم صَفْوانٌ : اذا كان صافى الشمس شديد البرد .

وفى لسان العرب : عن أبى عبيدة : يقال : صَفْوة مالى ، وصِفوتُه وصُفْوتُه ، فاذا نزعوا الهاء قالوا : صَفْوُ مالى بالفتح لا غير .

وفى حديث عوف بن مالك : هم صِفْوَةُ أَمْرِهم ، الصِّفْوَةُ بالكسر خِيارُ الشىء وخلاصتُه ، وما صَفَا منه ، فاذا حُذفتِ الهاء فُتحتِ الصاد ، وهو صَفْوُ الاهالة لا غَيرُ . واذا أَخَذَ صَفْوَ ماءٍ من غَديرٍ قال : استَصْفَيْتُ صَفْوَةً . وصَفَوْتُ القِدْرَ : اذا أخذتَ صَفْوتَها ، والمِصْفَاةُ الرَّاووقُ وصَفَا الجَوُّ : لم يكن فيه لُطْخَةٌ من غَيْمٍ ، وقول أبى فَقْعَسٍ فى صِفَةِ كَلأٍ : خَضِعٌ مَضِعٌ ، صافٍ رَتِعٌ ، أراد نَقِىٌّ من الأَغْثاءِ والنَّبت الذى لا خيرَ فيه ، فاذا كان ذلك فهو من هذا البـاب ، وقـد يكون (صافٍ) مقلوباً من صائفٍ ، أى أنه نَبْتٌ صَيْفِىٌّ ، فقُلِبَ ، فاذا كان هذا فليس من هذا الباب ، وانما هو من باب (ص ى ف) .

وفى الحديث : إنْ أعطيتم الخُمُسَ وسَهْمَ النبىِّ ﷺ والصَّفِىَّ فأنتم آمنونَ ، قال الشَّعْبِىُّ : الصَّفِىُّ عِلْقٌ تَخَيَّرَهُ رسولُ الله ﷺ من المَغْنَمِ ، ومنه حديث عائشة : كانَتْ صَفِيَّةُ من الصَّفَايَا تعنى صَفِيَّةَ بنتَ حُيَىٍّ كانت من غنيمـة خَيْبَرَ .

ومن قرأ : « فَاذْكُروا اسْمَ اللهِ عليها صَوافِىَ » بالياء فتفسيرُهُ أنها خالصةٌ لِلهِ تعالى ، يَذْهَبُ بها الى جَمْعِ صافيةٍ ، ومنه قيل : للضِّيَاعِ التى يَسْتَخْلِصُها السُّلطَانُ لخاصَّتِهِ : الصَّوافِى .

وفى حديث علىٍّ والعبّاس : أنهما دَخَلاَ على عمر وهما يختصمانِ فى الصَّوافى التى أفاء الله على رسوله ﷺ من أموال بنى النَّضِيرْ ، الصَّوافِى : الأمـلاكُ

والأرضُ التى جَلاَ عنها أهلُها أو ماتُوا ولا وارثَ لها ، واحدتها صافيةٌ . وصَفَا الشىءَ أَخَذَ صَفْوه ، قال الأسود بن يَعْفُرَ :

بهَالِيلُ لا تَصفُو الاماءُ قُدورَهم اذا النَّجْمُ وافَاهُمْ عِشاءً بِشَمْأَلِ

وقولُ كُثَيِّرِ عَزَّةَ :

كأنَّ مَغَارِزَ الأنيابِ منها إذَا مَا الصُّبْحُ نَوَّرَ لانفِلاَقِ
صِليتُ غَمامةٍ بِجَنَاةِ نَحْلٍ صَفَاةِ اللَّونِ طيِّبةِ المَذاقِ

قال ابن سِيْدَةْ : قيل فى تفسيره : صفاةُ اللَّون صافيةٌ ، قال : وهو عندى فَعِلَةٌ على النَسَب ، كأنّه صَفِيَةٌ ، قُلِبَ الى صَفاةٍ ، كما قيل : ناصاةٌ وبَانَاةٌ . وأصطفاه أخذه صَفِيًا ، قال ابو ذُوَيب :

عَشِيَّةَ قامتْ بالغِناءِ كأنها عَقيلةُ نَهْبٍ تُصْطَفَى وتَغُوجُ

وفى الحديث : انَّ الله لا يَرْضَى لعبده المؤمن اذا ذهب بِصَفِيِّهِ من أهل الأرض فصَبَر وأَحْتَسَبَ بثوابٍ دون الجَنَّةِ . صفِيُّ الرجل : الذى يصافيه الوُدَّ ويُخْلِصُه له ، فعيلٌ بمعنى فاعلٍ أو مفعولٍ . وفى الحديث : كَسَانِيْهِ صَفِيِّىْ عُمَرُ ، أى صديقى .

وناقةٌ صَفِيٌّ غزيرةُ اللبن والجَمْعُ صفايا ، قال سيبويه : ولا يُجْمَعُ بالألف والتاء لأن الهاء لم تَدْخُلْهُ فى حَدِّ الافراد .

قال ابو تراب : وقد تَقَدَّم أنهَا تدخل على قِلَّةٍ ، وكأنهَا مُوَلَّدةٌ .

وفى حديث عوف بن مالكٍ : تسبيحةٌ فى طلب حاجةٍ خيرٌ من لَقُوحٍ صَفِيِّ فى عامٍ لَزْبَةٍ ، هى الناقة الغزيرة وكذلك الشاة .

ويقال : بنو فلانٍ مُصْفُونَ اذا كانت غَنَمُهم صَفَايَا . وقال ابن السِكِّيتِ : الصَّفَا العريضُ من الحجارة الأَمْلَسُ جَمْعُ صَفاةٍ يُكتب بالألف ، فاذا ثُنِّىْ قيل : صَفَوَانِ ، وهو الصَّفْواءُ ايضاً ، ومنه الصفا والمروة ، وهما جَبَلانِ بين بَطْحاءِ مكّةَ والمسجد ، وفى الحديث ذِكْرُها ، والصفا : اسم أحد جَبَلى المَسْعَى ، والصَّفَا : موضعٌ بمكة .

والصَّفاةُ : صخرةٌ مَلْسَاءُ ، يقال فى المَثَل : ما تَنْدَى صَفَاتُه ، وفى حديث معاويةَ : يَضرِبُ صَفَاتَها بِمِعْوَلِهِ ، هو تمثيلٌ أى ٱجتهد عليه وبالغ فى ٱمتحانه وٱختيارِهِ ، ومنه الحديث : لا تُقْرَعُ لهم صَفَاةٌ أى لا يناهلم أَحَدٌ بسوءٍ .

قال ابن سِيْدَهْ : الصَّفَاةُ الحَجَرُ الصَّلْدُ الضَّخْمُ الذى لا يُنْبِتُ شيئاً ، وجَمْعُ الصَّفَاةِ صَفَواتٌ ، وصَفاً مقْصُورٌ ، وجَمْعُ الجَمْعِ أَصْفَاءُ وصُفِىٌّ وصِفِىٌّ .

قال الأَخْيَلُ :

كأنَ مَتْنَيْـــهِ من النَّفِىِّ مَواقِــعُ الطَّــيْرِ على الصُّفِىِّ

كذا أنشده (مَتْنَيْه) والصحيحُ (مَتْنَىَّ) كما أنشده ابن دُريد لأن بعده (من طُول إشرافى على الطَّوِىِّ)

قال ابن سِيْدَهْ : وإنَّما حَكَمْنَا بأن أَصْفَاءً وصُفِيًّا انَّما هو جَمْعُ صَفاً لا جَمْعُ صَفَاةٍ ، لأنَ فَعَلَةً لا تُكَسَّرُ على فُعُولٍ ، انَّما ذلك لِفَعْلَةٍ ، كَبَدْرَةٍ وبُدورٍ ، وكذلك أَصْفَاءُ جمع صَفاً لا صَفَاةٍ لأن فَعَلَـةً لا تُجْمَـعُ على أَفْعَـالٍ ، وهـو الصَّفْـواءُ كالشَّجْرَاءِ ، واحدتُها صفاةٌ ، وكذلك الصَّفْوانُ واحدتُه صَفْوانَةٌ ، وفى التنزيل : « كَمَثَلِ صَفْوانٍ عليه تراب »

قال أَوْسُ بن حَجَرٍ :

على ظَهْـرِ صَفْــوانٍ كأنَّ مُتُونَه عُلِلْنَ بِدُهْــنٍ يُزْلِــقُ المُتَنَزِّلاَ

وفى حديث الوَحْىِ : كأنَّها سِلْسِلَةٌ على صَفْوانٍ . وأَصْفَى الحافِرُ بلغ الصَّفَا فَارْتَدَعَ . والصَّفَا اسم نَهْرٍ بعينه قال لبيد :

سُحُــقٌ يُمَتِّعُهــا الصَّفَــا وسَرِيُّه عُمٌّ نواعِــمُ بينهــن كُرومُ

❊ ❊ ❊

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « كَمَثَلِ رِيحٍ فيها صِرٌّ » قال : بَرْدٌ ، قال : وهل تعرف العربُ ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول النابغة الذُّبْيانى :

لا يُبْرِمُــونَ إذا ما الأُفْــقُ جَلَّلَهُ   صِرُّ الشِّتَـاءِ من الأَمْحَــالِ كالأَدَمِ

قال ابو تراب : هو فى ديوانه (ص ١٠٠) وفيه : « بَرْدُ الشتاءِ » بدلَ : « صِرُّ الشتاء » .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ١٠٩) : « وفيها صِرٌّ » أى بَرْدٌ ، ونُهِىَ عن الجراد ، عمّا قَتَله الصِرُّ أى البَرْدُ .

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ١ ص ١٠٢) : الصِرُّ شِدَّةُ البرد ، وعَصَوفٌ من الرِيْحِ .

وقال ابن عَزيز فى الغريب : « صِرٌ » أى برد شديد .

وقال الراغب : الاصرار التَعَقُّد فى الذنب ، والتشدُّد فيه ، والامتنـاع عن الاقلاع عنه ، وأصلُه من الصَرّ أى الشَدِّ ، قال : « ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا » « ثم يُصِرُّ مُسْتكبراً » « وأَصَرُّوا واستكبروا استكبارا » « وكانـوا يُصِرّون على الحِنْثِ العظيم » والاصرارُ كلُّ عَزْمٍ شَدَدْتَ عليه ، وقوله : « ريحـاً صَرْصَراً » لفظُه من الصَرّ » وذلك يَرْجِعُ الى الشَدِّ لِمَا فى البـرودة من التَعَقُّــدِ ، وقولـه : « فأقبلتْ امرأتُه فى صَرَّةٍ » قيل : هى الصَيْحَةُ

وقال الامام الطبرى : الصِرُّ شدة البـرد ، وذلك بعُصـوفٍ من الشمال فى إعصار الطَلِّ والانداء فى صبيحةٍ مُعْتِمةٍ بعَقِبِ ليلة مُصْحِيةٍ وروى فى ذلك عن عكرمة قال : « صِرٌّ » برد شديد ، وعن ابن عباس قال : برد شديد وزمهرير . وعن قتادة : أى برد شديد ، ومثله عن السُدِّىّ والضحاك ومجاهد وابن زيد . قال : والعرب تدعوها الضَرِيب ، تأتى الريح باردة فتُصبح ضريباً قد أَحْرَقَ الزَرْع ، تقول : قد ضَرُبَ الليلةَ أصابه ضَرِيبُ تلك الصِرِّ التى أصابته .

قال ابو تراب : الضَّريب الصَّقيع والجَليد ، وضُربت الأرض وقع فيها مطر وبَرْدٌ يُضرِبُ النباتَ إضراباً .

وفى الوجوه والنظائر للدامغانى (ص ٢٧٧) : هذه المادّة فى القرآن على أربعة أوجه : شدة البرد ، والاصرار ، والصيحة ، والقطع .

فوجه منها : الصرُّ والصرْصرُ شدة البرد ، كقوله تعالى : « كمَثَلِ ريحٍ فيها صرٌّ » وكقوله فى حم السَجدة : « فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً » ونظيرها فى الحاقة واقتربت والثانى : الاصرار على الذنب كقوله تعالى : « ولم يُصرُّوا على ما فعلوا » ونظيرها فى الواقعة ونوحٍ والثالث : الصَّيْحَةُ كقوله : « فأقبلت امرأتُه على صَرَّةٍ » يعنى فى صيحةٍ .

قال : والرابع الصرُّ والقَطْعُ كقوله : « فصرُّهُنَّ اليك » أى قَطِّعْهُنَّ اليك

قال ابو تراب : « فصُرْهُنَّ » إمّا من الصَّوْر وهو أجوف واوىٌّ وإمّا من الصَّيْرْ وهو أجوف يائىٌّ ، وإمّا من الصَّرْىِ وهو ناقصٌ يائىٌّ ، ثم قُلِبَ ، فهذه ثلاثة أقوال فى هذه الكلمة ، وكلها مذكورة فى كتب اللغة والتفسير ولا يستقيم بها قول الدامغانى ، لأنه بصَدَد الصرِّ ، وهو مضاعفٌ فادخال هذه اللفظة فى هذه المادّة غير سائغ ، الاّ أن أبا بكر النقّاش ذَكر انه قُرىء « فصُرَّهن » بضمّ الصاد وتشديد الراء وفتحها من الصرِّ أى الشَّدِّ وقرىء « فصِرَّهُنَّ » من الصَّرِير أى الصوت ، ومعناه : صِحْ بهنّ . وبهذا يَتَوَجَّه ذِكْرُ الدَّامَغَانىّ هذه الآيـة فى هذه المادّة ، ولم يذكرها ابن الجوزى لأنها ليست على شرطه فى كتاب نزهة الأعين ، وهذه القراءة ذكرها القرطبى وقال ابن جنّى : هى قراءة غريبة ، وأوردهـا فى المفردات ، وذكر القرطبى فيها خَمْسَ قراءاتٍ ، والمشهور منها فى السبع ثِنْتَـانِ « فصِرْهُـنَّ » « فصُرْهُـنَّ » وهاتـان هما اللتـان ذكرهما الطبـرى ، والثالثـة « فصِرَّهن » والرابعة « فصُرَّهن » والخامسة : « فصِرَهُنَّ » من صَرَى يُصَرِّى وهذه الثلاث ليست من السَّبْع ، وسيأتى تفصيل هذه المادّة فى موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الصاد والراء من المضاعف أصولٌ ، الأول قولهم : صَرَّ الدراهمَ يَصرُّها صَرًّا ، وتلك الخِرْقَةُ صُرَّةٌ ، والذى تعرفه الصِرَارُ ، وهى خِرْقَةٌ تُشَدُّ على أطْبَاءِ الناقة لئلاّ يَرْضَعهَا فَصيلُها ، يقال : صَرَّها صَرًّا .

ومن الباب الاصرارُ : العَزْمُ على الشىء ، وانما جعلناه من قياسِهِ لأن العَزْم على الشىء والاجماعَ عليه واحدٌ ، وكذلك الأصرارُ الثباتُ على الشىء .

ومن الباب : هذه يمينٌ صرَّىٰ أى جِدٌ أنا ثابتٌ عليها مُجْمِعٌ .

ومن الباب : الصَرَّةُ للجماعة ، قال امرؤ القيس :

فألْحَقَنَا بالهاديـاتِ ودُونَه جَواحِرُهـا فى صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ

ومن الباب : حافِرٌ مصرورٌ ، أى مُنْقَبِضٌ ، ومنه الصرْصُورُ وهو القَطيعُ الضَخْم من الابل .

وأمّا الثانى : وهو من السموّ والارتفاع ، فقولهم : صَرَّ الحمارُ أُذُنَه ، اذا أقامها وأصرَّ اذا لم تُذكر الأُذُنُ ، وإن ذَكَرْتَ الأُذُنَ قلتَ : أصرَّ بأُذُنِه ، وأظنُّه نادراً ، والأصل فى هذا الصِرَارُ ، وهى أماكنُ مرتفعةٌ لا يَكادُ الماءُ يَعْلُوهَا .

وأمّا الثالث : فالبَرْدُ والحَرُّ ، وهو الصرِ ، يقال : أصاب النَبْتَ صرٌ ، اذا أصابه بَرْدٌ يَضُرُّ به ، والصرُ : صرُ الريح الباردة ، وربما جعلوا فى هذا الموضع الحَرَّ ، قال قوم : الصارَّةُ شدة الحَرِ حَرِ الشمس ، يقال : قَطَع الحمارُ صارَّتَه : اذا شرِبَ شرْباً كسرَ عَطَشَهُ ، والصارَّةَ العَطَشُ ، وجَمْعُها صَوارُّ ، والصرَّيرةُ العَطَشُ ، والجَمْعُ صرَائرُ .

وأنشد قول ذى الرُمَّة :

وانصاعتِ الحُقْبُ لم يُقْصَعْ صرائرُها وقد نَشَحْنَ فلا رِىٌّ ولا هِيَمُ

وذكر ابو عبيد : الصارّة العَطَشُ ، والجمع صرائر ، قال : وهو غَلَطٌ والوجه ما ذكرنا .

وأمّا الرابع فالصوتُ ، من ذلك الصَرَّةُ : شدة الصياح ، صَرَّ الجُنْدُبُ

صريراً ، وصَرْصَرَ الأَخْطَبُ صَرْصَرَةً ، والصَّرَارِىُّ : الملاّحُ ، ويمكن أن يكون لِرَفْعِهِ صوتَه .

قال : ومّما شَذَّ عن هذه الأصول كلمتان ، ولعلَّ قياسَها خَفِىَ علينا مكانُه ، فالاولى الصارَّةُ وهى الحاجة ، يقال : لِى ، قِبَلَ فلانٍ صَارَّةٌ ، وجمعُها صوارُّ ، أى حاجةٌ ، والكلمةُ الأخرى الصَّرُورَةُ ، وهو الذى لم يَحْجُجْ والذى لم يَتَزَوَّجْ ، ويقال : الصَّرُورَةُ الذى يَدَعُ النِكاحَ مُتَبَتِّلاً ، وجاء فى الحديث : لا صَرَورَةَ فى الاسلام .

قال : وهو الذى ذكرناه فى الصَّرورة يحتمل انه من الصرَارِ وهو الخِرْقَةُ التى تُشَدُّ على أطْباء الناقةِ لئلاّ يَرْضَعَها فَصيلُها .

قال ابو تراب : وعَندى ان الصارَة بمعنى الحاجة من الاصرار لأن صاحبها يُجْمِعُ على طلبها والصَّرُورَةُ من الحافر المصرور وهو المُنْقَبِضُ فكأن الذى يَدَعُ النكاح مُنْقَبِضٌ عنه والله أعلم .

قال ابو تراب : ذكر ابن فارس فيما نقلناه من قبل ان الصرَّ البَرْدُ والحَرُّ ، وهذا لم أجده فى الأضداد لابن الأنبارى ، ولا عند من أَلَّفَ فيها كالأصمعى والسجستانى وابن السكّيت والصَّغانى .

وقال ابو حيّان فى غريب القرآن (ص ١٥٩) الصرُّ : البرد ، والصرصر الباردة والصَّرَّة : الصوت بشدةٍ .

وقال الزمخشرى فى الأساس : ريحٌ صِرٌّ وصَرْصَرٌ ، وأقبل فى صَرَّةٍ فى شِدَّةِ صياحٍ ، وصَرَّ الجُنْدُبُ ، والباب والقلم صريراً ، وصَرَّتِ الآذان : سُمِعَ لها طنينٌ قال : (اذا صَرَّتِ الآذان قلتُ ذكرتَنى) وصَرَّ صِماخُه من العَطَش ، ومَضَتْ صَرَّةُ القيظ : شدة حَرِّهِ ودرهم ودينار صَرِّىٌّ : له طنينٌ اذا نُقِرَ ، وهذا منه صَرِّىُّ عَزْمٍ .

ومن المجاز : صَرَّ فلانٌ علىَّ الطريقَ فلا أجِدُ مَسْلَكاً ، وامـرأة مُصْطَـرَّةُ

الحَقْوَيْنِ . قال : (مُصْطَرَّةُ الحقوينِ مِثْلُ الدَّبْرَةْ) وهى النَّحْلَةُ . وصَرَّت علىَ هذه الخُطَّةُ فلا أجد منها مَخْلَصاً .

وفى اللسان : الصرُّ والصرَّةُ شِدَّةُ البرد ، وقيل : هو البرد عامَّةً حُكِيَتِ الأخيرة عن ثعلب ، وقال الليث : الصرُّ البَرْدُ الذى يضرب النباتَ ويُحَسِّنُه ، قال الزجّاج فى قوله تعالى : « بريحٍ صَرْصَرٍ » قال : صَرْصَرٌ مُتَكَرِّرٌ فيها الراء ، اذا سمعتَ صوتَ الصرير غيرَ مُكَرَّرٍ قلتَ : صَرَّ فاذا تكرّر قلتَ : صَرْصَرَ ، كصَلَّ وصَلْصَلَ .

وقال ابن السِكِّيتِ : ريحٌ صَرْصَرٌ فيه قولانِ : يقال : أصلها صَرَّرٌ من الصرِّ وهو البرد ، فأبدلوا مكانَ الراء الوسطى فاء الفعل ، كما قالوا : تَجَفْجَفَ الثوب ، وكَبْكَبُوا وأصلُه تَجَفَّفَ وتَكَبَّبُوا ، ويقال : هو من صرير الباب ، ومن الصَّرَّةِ وهى الضَّجَّةُ ، قال عز وجل : « فأقبلتْ امرأتُه فى صَرَّةٍ » قال المفسرون : أى فى ضَجَّةٍ وصَيْحةٍ .

وقال ابن الأنبارى : فى قوله تعالى : « كمَثَل ريحٍ فيها صرٌّ » فيها ثلاثة أقوال ، أحدها « فيها صرٌّ » أى بَرْد ، والثانى : فيها تصويتٌ وحركةٌ ، ورُوِىَ عن ابن عباس قولٌ آخر : « فيها صرٌّ » قال : فيها نارٌ .

وقال جرير يرثى ابنَه سوادةَ :

ذاكم سَوادَةُ يَجْلُــو مُقْلَتَــىْ لحِمٍ   بازٍ يُصَرْصِرُ فوقَ المَرْقَــبِ العالى

وفى الحديث : انه ﷺ كان يَخْطُبُ الى جِذْعٍ ثم اتخذ المِنْبَرَ فاصْطَرَّتِ الساريةُ ، أى صَوَّتَتْ وحَنَّتْ ، وهو افتعلتْ من الصرير فقُلبتِ التاء طاءً لأجْل الصاد .

وقال ابن الأثير : من عادة العَرَبِ ان تَصرَّ ضرُوعَ الحَلوباتِ اذا أرسلوها الى المَرْعَى سارحةً ، فاذا راحتْ عَشِيًّا حُلَّتْ تلك الأَصِرَّةُ وحُلِبَتْ فهى مصرورة ومُصَرَّرَةٌ ، ومنه حديث مالك بن نُويرَة حين جَمَعَ بنو يربوعٍ صَدَقاتِهم لِيُوَجِّهوا بها الى أبى بكر ، فمنعهم من ذلك وقال :

وقلتُ خذوهـا هذه صدقاتكم مُصَرَّرَةً أخْلافُهـا لم تحرَّدِ

وعلى هذا المعنى تأوَّلوا قول الشافعى فيما ذهب اليه من أمر المُصَرَّاةِ .

والصرار ما يُشَدُّ به ، والجمع أصرِةٌ قال :

اذا اللِّقاحُ غدَتْ مُلْقىً أصرِتُها ولا كريمَ من الوِلدانِ مَصْبُوحُ

وناقةٌ مُصرِّةٌ لا تَدِرُّ ، قال أسامة الهُذَلىُّ :

أقَرَّتْ على حُولٍ عَسوسٍ مُصرةٍ وراهَقَ أخلافَ السَّديسِ بُزولُها

وفى الحديث أنه ﷺ قال لجبريل عليه السلام : تأتينى وأنت صارٌّ بين عينيك ، أى مُقَبِّضٌ جامع بينهما كما يفعل الحزينُ . وفى الحديث ايضاً : انه قال لخِصْمَيْنِ تقدّما اليه : أخْرِجَا ما تُصِرّانِه من الكلام ، أى ما تجْمَعانِه فى صدوركما .

ولّما بعث عبد الله بن عامرٍ الى ابن عمر بأسيرٍ قد جُمِعَتْ يداه الى عُنُقِه ، ليقتله ، فقال : أمّا وهو مصرور فلا . وفى حديث سَطيحٍ : (أزرق مُهْمىَ الناب صرّارُ الأُذُنْ)

وقال ابو زيد : انّها منّى لأصرِىٌ ، أى لحقيقةٌ ، وأنشد أبو مالكٍ :

قد علمتْ ذاتُ الثنايا الغُرِّ أنّ النَّدىَ من شِيْمَتِى أصرِىْ

قال ابن السكيت : انها عزيمةٌ محتومةٌ ، وهى مشتقة من أصررتُ على الشىء اذا أقمتَ ودمتَ عليه ، ومنه قوله تعالى : « ولم يُصرُّوا على ما فعلوا » وقال ابو الهيثم : أصرِّى أى اعزمى ، كأنه يخاطب نفسه .

وفى الصحاح : أصرًى وصرًى بحذف الألف

ومن شواهد الصرُورة فى اللسان قول النابغة :

لو أنهـا عَرَضَـتْ لأشْمَطَ راهب عَبَـدَ الالَـهَ صرورةٍ مُتَعَبِّدِ

وشاهد الاصطرار : (لا رَحَحُ فيه ولا اصْطِرارُ)

وقال ابو النجم العجلى :

(بكلِّ وَأبٍ للحَصَى رَضَّاحِ ليس بمُصطَرٍّ ولا فِرْشاحِ)

والصَّارِىُّ الملاّح ، قال القُطامِىُّ :

فى ذى جُلولٍ يُقَضّى الموتَ صاحبُه   اذا الصَّارِىُّ من أهوالِــه ارْتَسَما

أى كَبَّر ، والجمع صرَارِيُّونَ ، ولا يُكَسرَّ ، قال العجّاج :

(لأْيــاً يُثانِيْــهِ عن الحُؤورِ   جَذْبُ الصرارِيِّــينَ بالكُرورِ)

أى بعد بُطْءٍ يَثْنى هذا القُرقورَ عن الحؤورجَذْب الملاّحين بالكُرور وهى الحبال التى تكون فى شراع السفينة جمع كُرٍّ.

قال ابن بَرِّى : كان حقُّ صرَارىٍّ أن يذكر فى صرِىَ المعتلّ اللام لأن الواحد عندهم صَارٍ ، وجمعُه صُرَّاءٌ ، وجمع صُرَّاءٍ صرَارِىُّ ، وقد ذكر الجوهرى ان الصارىَّ المَلاَّحُ ، وجمعُه صُرَّاءٌ ، وكان ابو علىّ يقول : صرُأَّءٌ واحدٌ مثْلُ حُسَّانٍ للحَسَن ، وجمعُه صرَارِىُّ ، واَحْتَجَ بقول الفرزدق ذكر فيه (صُرَّاءً) للمفرد . ولا حُجَّة له فيه ، وإنْ كان استعمل المُسَيَّبُ بن عَلَسٍ يَصِفُ غائصاً أصاب دُرَّةً لفظَ الصرارىّ للجمع ، وهو :

وتَــرى الصرَّارىَّ يسجــدون لها   ويَضُمُّهــا بيديــه للنَّحْرِ

لأن الفرزدق استعمله للواحد ايضاً فقال :

ترى الصَّرَارِىَّ والأمــواج تَضرِبُه   لو يستطيــع الى بَرِيَّــةٍ عَبَرا

وكذلك قولُ خَلَفِ بن جَمِيل الطُّهَوِىّ :

تَرَى الصرَّارِىَّ فى غَبْــراءَ مظلمةٍ   تعلــوه طَوْراً ويعلــو فوقَهــا تِيَرا

ولهذا السبب جعل الجوهرى الصرارىَّ واحداً ، لّما رآه فى أشعار العرب يُخْبَرُ عنه كما يُخْبَرُ عن الواحد الذى هو الصَّارِىُّ ، فظَنَّ ان الياء فيه للنسبة كأنَّه منسوب الى صرَارٍ مثلُ حَوارِىٍّ منسوبٌ الى حَوارٍ ، وهو خاصَّةُ الرجل ، واحدٌ لا جَمْعٌ . ويَدُلّكُ على ان الجوهرى لَحَظَ هذا المعنى كونُه جَعَلَهَ فى فصل صرَرٍ ، فلو لم تكن الياء للنسب عنده لم يدخله فى هذا الفصل

والصَرُّ الدلو تسترخى فتُصَرُّ ، أى تُشَدُّ وتُسْمَعُ بالمِسْمَعْ ، وهى عُرْوَةٌ فى داخل الدلو بازائِها عروة أخرى ، وأنشد فى ذلك :

إنْ كانــتِ أمَّــا أمصرَتْ فَصرُّهَا　　　إنَّ أمَصَــارَ الدَّلْــوِ لا يَضرُّهَا

وصَرَّرَتِ الناقة : تقدمت قال ذو الرُّمَّةِ :

اذا ما تَأَرَّتْنَــا المَراسيــلُ صَرَّرَتْ　　　أبُــوضُ النَّسَــا قَوَّادةٌ أيْنُــقَ الرَّكْبِ

والصَّرْصَرَانُ والصَّرْصرَانِىُّ ضَرْبٌ من سمك البحر أمْلَسُ الجِلْدِ ضَخْمٌ قال :

(مرَّتْ كظَهْرِ الصَّرْصرَانِ الأَدْخَنِ)

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « واذ غدوتَ من أهلك تُبَوِّئُ المؤمنين مقاعدَ للقتال » ؟ قال : تُوَطِّنُ المؤمنين ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

ومــا بَوَّأَ الرحمــانُ بيتــك منزلاً　　　بِأجْيَــادَ شرقِــىَّ الصَّفَــا والمُحَرَّمِ

قال ابو تراب : هذه إحدى روايات البيت . وهو فى ديوانه (ص٩٤) .

وفى غريب السِّجِستانىِّ (ص ٦٨) : « تُبَوِّئُ المؤمنين مقاعدَ للقتال » أى تَتَّخِذُ لهم مَصَافَّ ومُعَسْكراً .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ١٠٩) : من قولك : بَوَّأتك منزلاً » اذا أفَدْتُكَ إيَّاه ، وأسْكَنْتُكَهُ ، ومقاعدُ القتال : المُعَسْكَرُ ، والمَصَافُّ .

وقال الفراء فى المعانى (ج ١ ص ٢٣٣) : وفى قراءة عبد الله : « تبوِّىء للمؤمنين » والعرب تفعل ذلك ، فيقولون : رَدِفَكَ ، ورَدِفَ لك ، قال الكسائى : سمعت بعض العرب يقول : نَقَدْتُ لها مئةً ، يُريدون : نَقَدْتُها مئــةً ، لامــرأة تزوجها ، وأنشد الكسائى :

أستغفـر اللّـه ذنبـاً لســت مُحْصِيَهُ　　　ربُّ العبـاد اليــه الوَجْــهُ والعملُ

والكلام باللام كما قال تعالى : « واستغفرى لذنبك » « فاستغفروا لذنوبهم » وأنشدنى :

أستغفر اللـه من جِدّى ومـن لَعِبِى　　وِزْرِىْ وكلُّ أمـرىءٍ لابُـدَّ مُتَّزِرُ

يريد لِوِزْرِىْ ، وَوِزْرِىْ حين أُلقيت اللام فى موضع نَصْبٍ ، وأنشدنـى الكسائى :

إنْ أجْزِ علقمـةَ بن سعـدٍ سَعْيَه　　لا تَلْقَنِـى أجْـزِى بِسَعْـىِ واحدِ

لأحَبَّنِـى حُبَّ الصَبِـىِّ وضَمَّنِى　　ضَمَّ الهَـدِىِّ الى الكريـم الماجدِ

وانما قال : « لأحَبَّنِى » لأنه جَعَل جوابَ « إنْ » إذْ كانت جزاءً كجواب « لَوْ » وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ١ ص ١٠٣) وتُبَوِّئُ المؤمنين متخذاً لهم مصافَّ مُعَسْكَراً .

وقال الدامغانى فى الوجوه والنظائر : هذه المادّة على أربعة أوجه فوجه منها باءوا : استوجبوا ، « فباءوا بغضبٍ على غَضَبٍ » نظيرها « كمن باء بغضبٍ من الله » والثانى : يَتَبَوَّأُ : ينزل « يَتَبَوَّأُ منها حيث يشـاء » كقولـه : « واذْ بَوَّأْنـا لابراهيم مكانَ البيت » يعنى أنزلناه . والثالـث : تُبَـوِّىءُ : تُوَطِّـنُ « تُبَـوِّىءُ المؤمنين » والرابع : تَبُوءُ : تَرْجِعُ « إنّى أُريد أن تَبُوءَ بإثمى وإثْمِكَ » .

قال ابو تراب : ولم يذكر ابن الجوزى هذه المادّة لأن صِيَغَها فى القرآن غير مُتّحدة الوزن ، كشَرْطِه .

وقال الراغب فى المفردات : أصل البَوَاءِ مُساواةُ الأجزاء فى المكان خلافُ النَّبْوَةِ : منافاةِ الاجزاء ، يقال : مكانٌ بَوَاءٌ اذا لم يكن نابياً بنازله ، وبَوَّأْتُ له مكاناً : سَوَّيْتُه فَتَبَوَّأَ ، وبَاءَ فلانٌ بِدَمِ فُلانٍ يَبُوءُ به ، أى سَاواهُ ، قال : « وأوحينا الى موسى وأخيه أن تَبَوَّآ لقومكما بمصر بيوتاً » « ولقد بَوَّأْنا بنى اسرائيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ » « تُبَوِّىءُ المؤمنين مقاعد للقتال » « يَتَبَوَّأُ منها حيث يشاء »

ورُوى انه ﷺ كان يَتَبَوَّأُ لِبَوْلِهِ ، كما يَتَبَوَّأُ لمنزله ، وبَوَّأْتُ الرُّمْحَ : هَيَّأْتُ له

مكاناً ثم قصدتُ الطَّعْنَ به . وقال عليه السلام : من كذب عليّ متعمّداً فليَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النار .

وقال الراعى فى صفة إبلٍ :

لهــا أمْرُهــا حتــى اذا ما تَبَوَّأَتْ بأخْفَافِهــا مَأْوىً تَبــوَّأَ مَضْجَعَا

أى يتركها الراعى حتى اذا وَجدتْ مكاناً موافقاً للرَّعْىِ طلب الراعى لنفسِه مُتَبَوَّأً لمضجعه . « وبَاءَ بغضبٍ من الله » أى حَلَّ مَبْوَأً ومعه غَضَبُ اللّـه أى عقوبتُه ، و « بغضبٍ » فى موضع حالٍ ، كخرج بسيفه ، أى رَجَع ، وجاءَ له أنه مغضوبٌ ، وليس مفعولاً ، نحو مُرَّ بزيد ، واستعمالُ « بَاءَ » تنبيهاً على أنَّ مكانَه الموافقَ يَلْزَمُه فيه غَضَبُ الله فكيف غيرُه من الأَمْكِنَةِ . وذلك على حَدِّ ما ذُكر فى قوله : « فَبَشِّرْهم بعذاب » . وقولُه : « انّى أُريد أن تَبُوءَ باثمى وإثْمِكَ » أى تُقيم بهذه الحالة . قال يعنى لبيد .

أنــكرُت باطلَهــا وبُــؤْتَ بحقِّها عنــدى ولــم تَفْخَــرْ علىَّ كرامُها

وقولُ مَنْ قال : « أَقْرَرْتَ بحقِّها » فليس تفسيرُه بحَسَبِ مُقْتَضَى اللَّفْظِ . وحُكى عن خَلَفِ الأَحْمَرِ أنّ قولَهم : « حَيَّاك الله وبَيَّاكَ » أصلُه بَوَّأك منزلاً فغُيِّرَ » لازدواج الكلمة .

وقال الزمخشرى فى الأساس : بَوَّأك الله مُبَوَّأَ صِدْقٍ ، وتَبَوَّأَ فلانٌ منــزلاً طيِّباً ، ونزلوا فى مَبَاءَتِهم وبَاءَتِهم ، وأناخوا إبلَهم فى مَباءتِها وهى مَعْطِنُها ، وبنو فلانٍ تَبُوءُ عليهم إبلٌ كثيرة ، أى تَروحُ ، وأباءَ الله عليكم نَعَماً لا يَسَعُها المُراحُ ، وبَوَّأْتُ الرُّمحَ نَحْوَهُ : سَدَّدتُه ، قال :

بَوَّأْتُــه الرُّمْــحَ شَزْراً ثم قلــتُ له هٰذى المُروءةُ لا لِعْــبُ الزَّحاليقِ

وهم أكفاءُ سَوَاء ، ودماؤهم بَواءَ ، وبَاءَ فلانٌ بفلانٍ : صار كُفْأً له ، وأَبَأْتُ فلاناً بفلانٍ : قتلتُه به ، قال : ـ يعنى العباس بن مِرْداسٍ كما فى الاصمعيات (ص ٣٥)

إنْ يَقْتُلُــوا منّــا الوليــدَ فاننا أَبَأْنــا به قَتْلَى تُذِلُّ المَعاطَسِا

وبَاءَ بِدَمِه : أقَرَّ به على نفسه واحتمله . وبَاءَ بحقى عليه وبِذَنْبِه . وباءُوا بغضبٍ من الله .

ومن المجاز : الناس فى هذا الأمْرِ بَوَاءٌ . أى سَواءٌ . وكَلَّمْنَاهم فأجابوا عن بَواءٍ واحدٍ : اذا لم يختلفْ جوابهم . وفلانٌ « طَيِّبُ البَاءَةِ » للعفيف الفَرْج . جُعل طَيِّبُ الباءَةِ وهى المَبَاءَةُ والمنزلُ مجازاً عن ذلك وهو رَحْبُ المَبـاءَةِ : للسَّخِـىِّ الواسعِ المعروف . وقرأ فلانٌ كتابَ البَاءَةِ : اذا كان نَكَّاحاً .

وقال ابن فارس : الباء والواو الهمزة أصلانِ أحدهما الرجوعُ الى الشىء والآخر تساوى الشيئين . فالأول الباءةُ والمَباءةُ وهى منزلةُ القوم . حيث يَتَبَوَّءُونَ فى قُبُلِ وادٍ أو سَنَدِ جَبَلٍ . قال طَرَفَةُ :

طَيِّبُـو البَـاءَةِ سَهْـلٌ وهم سُبُـلٌ إن شئـتَ فى وَحْشٍ وَعِرْ

وقال ابن هَرْمَةَ :

وبُوِئَـتْ فى صميـمِ مَعْشَرِها فَتَـمَّ فى قومِهـا مُبَوَّؤُهَا

ويقال : أبَأْنا الابِلَ نُبِيئُها إباءَةً - ممدودةً - اذا أنَخْتَ بعضَها الى بعضٍ . قال :

خَليطـانِ بينهما مِئْرَةٌ يُبِيئَـانِ فى مَعْطِـنٍ ضَيِّقِ

وقال : (لهم منزلٌ رَحْبُ المَبَاءَةِ آهِلُ)

قال الأصمعى : يقال : أبَاءَها الراعى الى مَبَائِها فتَبَوَّأتْه . وَبَوَّأَهـا إيـاهُ تَبوِيئاً . وقال ابو عُبيد : فلانٌ حَسَنُ البِيْئَةِ - على فِعْلَةٍ - من قولك تَبَوَّأْتُ منزلاً .

وبات فلانٌ بَبِيْئَةِ سَوْءٍ . قال - يعنى طرفة - كما فى ديوانه ص ٥٥

ظَلِلْتُ بذى الأرْطَـى فُويـقَ مُثَقَّبٍ بِبِيئَـةِ سَوْءٍ هالـكاً أو كهالِك

قال ابو مهدى : يقال : بَاءَتْ على القوم بَائِيتَهُم : اذا راحتْ عليهم إبِلُهم

ومن هذا الباب قولهم : أبِىءْ عليه حَقَّه . مثل أرِحْ عليه حَقَّه . وقد أبَاءَهُ عليه اذا ردّه عليه . ومن هذا الباب قولهم : بَاءَ فلانٌ بذَنْبِه كأنه عاد الى مَباءَتِه محتملاً لذنبِه . وقد بُؤْتُ بالذنب . وباءتِ اليهود بغضب الله .

والأصل الآخرَ قولُ العرب : ان فلاناً لَبواءُ بفلانٍ أى إنْ قُتل به كان كُفواً ، ويُقال : أبْأتُ بفلانٍ قاتلَه أى قتلتُه ، واَستَبأتُهم قاتلَ أخى أى طَلَبْتُ اليهم أن يُقِيدُوهُ ، واَستَبَأتُ به مثل استَقَدْتُ ، قال : وذكر بيت العباس بن مرداس المتقدم ، وقال زُهير (أنظر الديوان ص ٧٩) :

فلم أر معشراً أسروا هَدِيّاً ولم أرَ جَارَ بيتٍ يُستَبَاءُ

قال ابو تراب : الهَدِيُّ العروس تُزَفُّ الى زوجها

وتقول : باء بفلانٍ : اذا قُتل به ، قال ـ يعنى جابر التغلبى كما فى المفضليات (ج ٢ ص ١١)

ألاَ تَنتَهِى عنَا ملوكٌ وتَتَقِى محارمَنا لا يَبْوُءِ الدَمُ بالدَمِ

أى من قَبْلِ أن يَبُوءَ ، الدماءُ اذا استوتْ فى القَتْل فقد باءَتْ .

ومن هذا الباب قولُ العرب : كلّمناهم فأجابونا عن بَواءٍ واحدٍ ، أجابوا كلُّهم جواباً واحداً ، وهم فى هذا الأمر بَواءٌ أى سواءٌ ونُظَرَاءُ . وفى الحديث : أنهم أمرهم ان يَتَبَاءَوْا ، أى يَتَبَاءَوْنَ فى القِصاصِ ، ومنه قولُ مُهَلْهِلٍ لِبُجَيرِ بن الحارث : « بُؤْ بِشِسْعِ كُليبٍ » وأنشد :

فقلتُ له بُؤْ بـآمرئٍ لستَ مثلَه وإنْ كُنتَ قُنعاناً لِمَنْ يَطلُبُ الدَماَ

قال ابو تراب : وعندى ان معنى التساوى فى هذه المادّة الذى جعله ابن فارس أصلاً آخر لها يرجع الى معنى التوطين ايضاً ، فكِلاَ المُتَساوِيَينْ قد بَوّأ نفسَه لنظيره ، وكذلك الجواب عن بواءٍ واحدٍ هو مُوَطِّنٌ لذلك والله اعلم وكذلك معنى الرجوع فهو رجوع الى المُتَبوأِ الذى تَوَطَّنَه ولزمه ، وأمّا الحديث : (ان يتباءوا) فقال ابو عبيدة هكذا رُوى لنا والصواب : ان يَتَبَاوَءُوا ، وقال ابن برّى : يجوز الأول على القلب ، وقال ابن الاثير : قيل : هو صحيح وأمّا قول مهلهل فمعناه : كن كُفْئاً لِشِسْعِ نعليه .

وفى لسان العرب لابن منظور : بَاءَ الى الشىء رجع ، وسُمّى النكاح باءةً لأن الرجل يَتَبَوّأُ من أهله ، أى يَستمكنُ ، قال الراجزُ يصف الحمار والأُتُنَ

يُغْــرِسُ أَبْــكَاراً بهــا وعُنُسَا   أَكْرَمُ عِرْسٍ باءَةً إذْ أعْرَسَا

وفى حديث النبى ﷺ : من استطاع منكم البَاءَةَ فليتـزوج ، ومـن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وِجَاءٌ أى وقاية . قال ابن الأنبارى : وتجمع الباءة على الباءات . قال الشاعر :

يا أيهــا الــراكبُ ذو الثَّباتِ   إنْ كنـتَ تَبْغِـى صاحـبَ البَاءَاتِ

فَاعْمِدْ الى هاتيكم الأبياتِ

وَبَوَّأَ الرجلُ : نَكَحَ ، قال جرير :

تُبَوِّئُهــا بمَحْنِيَــةٍ وحيناً   تُبــادر حَدَّ دِرَّتهــا السِّقاباَ

وللبئر مَبَاءتَانِ إحداهما مرجع الماء الى جَمِّها ، والأخرى موضع وقوف سائق السانية ، وقولُ صَخْرِ الغَىِّ يمدح سيفاً له :

وصــارمٍ أُخْلِصَــتْ خَشيبتُه   أبيضَ مَهْــوٍ فى مَتْنِــهِ رُبَدْ

فَلَوْتُ عنـه سيـوفَ أَرْيَــحَ حتى   بَاءَ كفِّــى ولــم أكَدْ أجِدْ

الخَشيبةُ الطَّبْعُ الأول قبل ان يُصْقَلَ ويُهَيَّأ ، وفَلَوْتُ انتقيتُ ، وأَرْيَحُ من اليمن ، وبَاءَ كفِّى أى صار كفّى له مباءةً أى مَرْجِعاً .

وقوله تعالى : « إنِّى أريد أن تَبُوءَ بإثمى وإثْمِكَ » قال ثعلب : معناه إنْ عزمتَ على قتلى كان الاثم بك لا بِى ، قال الأخفش : « وباءوا بغضبٍ من الله » رجعوا به أى صار عليهم ، وقال ابو اسحاق فى قوله تعالى : « فبـاءوا بغضبٍ على غضَبٍ » احتملوا ، يقال : قد بُؤْتُ بهذا الذنب أى احتملتُه ، وقيل : باءوا بغَضَبٍ أى باثم استحقُّوا به النارَ على إثم استحقُّوا به النارَ ايضاً .

وفى الحديث : أبُوءُ بنعمتك علىَّ وأبُوءُ بذنبى أى ألتزم وأرجع وأُقِرُّ وأصلُ البَواءِ اللُّزوم ، وبَاوَأَهُ اذا قُتل به وصار دمهُ بدَمِه قال ابن الزُبير :

قَضَى اللّـه أن النفس بالنفس بيننا   ولــم نَكُ نَرْضَى أن نُبَاوِئَــكُمْ قَبْلُ

ويقال : دَمُ فلانٍ بَواءٌ لِدَمِ فلان اذا كان كُفْئاً له ، قالت ليلى الأَخْيَلِيَّةُ فى مَقْتَلِ تَوْبَةَ بن الحُمَيِّرِ :

فانْ تكن القَتْلَى بَواءً فانكم   فتىً ماً قَتَلْتُمْ آلَ عوفِ بن عامِرِ

ويقال : أبَاءَ فلاناً بفلانٍ فى القِصاص ، قال طُفَيْل الغَنَوىُّ :

أبَاءَ بقَتْلانا من القوم ضِعْفَهم   وما لا يُعَدُّ من أسيرٍ مُكَلَّبِ

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وكأيِّنْ من نَبِىٍّ قاتَلَ معه رِبِّيُّونَ كثيرٌ فما وَهَنُوا لِمَا أصابهم فى سبيل اللّه » ؟ قال : « رِبِّيُّون » جموعٌ كثيرة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قول حسان بن ثابت الأنصارى :

واذا مَعْشَرٌ تَجَافَوْا عن القَصْدِ   حَمَلْنَا عليهمو رِبِّيَا

قال ابو تراب : هذا البيت ليس فى ديوانه ، وهو فى القرطبى (ج ٤ ص ٢٣) منسوباً اليه .

قال السجستانى فى الغريب (ص ١١٣) : « رِبِّيُّونَ » أى جماعاتٌ كثيرة ، الواحد رِبِّىٌّ :

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ١ ص ١٠٤) : الرِبِّيُّونَ الجماعة الكثيرة ، الواحد منها رِبِّىٌّ .

وقال الفَرَّاء فى المعانى (ج ١ ص ٢٣٧) : الرِبِّيُّونَ الألوف .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (ص ١١٣) : أى جماعات كثيرة ، ويقال : الألوف ، وأصلُه من الرِبَّةِ ، وهى الجماعةُ ، يقال للجمع : رِبِّىٌّ كأنه نُسِبَ الى للرِّبَّةِ ، ثم يُجمع رِبِّىٌّ بالواو والنون فيقال : رِبِّيُّون .

قال ابو تراب : الرُّبَّةُ والرَّبَّةُ والرِّبَّةُ الفِرْقَةُ من الناس ، قيل : هى عشرة آلافٍ ونحوها ، وكذلك الرُّبْوَةُ والجَمْعُ الرُّبَى ، والرُّبىَّ ، فالرِبِّيُّونَ إمَّا منسوب الى المضاعف ، وإمّا الى المُعْتَلّ ، ويجوز كون باء المضاعف ياءً منقلبةً من الواو

ويُسَمَّى تحويلَ التضعيف عند أهل التصريف لذلك لا تنكر على الدامَغَانــيَ إدخاله الرِّبِّيِّينَ فى مادّة الرَّبْوِ ، فقد قال فى معناها انه يعنى جموعاً ويقال : بالألوف ، ولم يدخلها فى مادّة الرَّبَ كما فعل أكثر اللغويين .

قال ابن فارسَ فى المقاييس فى المعتل : ويقال : رَبَّيْتُه وتَرَبَّيْتُه : اذا غَذَوْتَه وهذا مّما يكون على معنيَيْنِ احدهما من النماءِ لأنّه رُبّى ِ نَمَا وزَكا وزاد ، والمعنى الآخر من رَبَّبْتُه من التربيب ويجوز ان تكون إحدى البـاءات ياءً والوجهـان جَيّدانِ .

وقال الزمخشرى فى الأساس فى المعتل : وَمرّت بنا رُبْوَةٌ من الناس ِ ، ورُبىً منهم وهى الجماعة العظيمة نحو عشرة آلاف ، ومَرُّوا بنا أراعيلَ رُبىً .

وقال فى المضاعف : رجلٌ رِبّىٌّ ورَبَّانىٌّ : مُتَأَلِّهٌ .

وقال فى اللسان فى المعتل : فى الحديث فى صلح أهل نَجْرانَ : أنْ ليس عليهم رُبِّيَّةٌ ولا دَمٌ ، قال ابو عُبيد : هكذا رُوِىَ بتشديد الباء والياء وقال الفَرَّاء : انما هو رُبْيَةٌ مُخَفَّفٌ أراد بها الرِّبَا الذى كان عليهم ، وقال ابن الأثير : لم يُعْرَفْ فى اللغة بالتشديد ، وقال الزمخشرى فى الفائق : سبيلُها أن تكون فُعُّولَةً من الرِبا كما جعل بعضهم السُّرِّيَّةَ فُعُّولةً من السَّرْوِ لأنهّا أَسْرَى جوارى الرجل .

وقال الأصمعى : رَبَبْتُ ورَبَّبْتُ ورَبَّيْتُ بمعنى واحدٍ .

وفى الصحاح للجوهرى : زَنْجَبيلٌ مُرَبَّى ومُرَبَّبُ . والرَّبْو الجماعة هم عشرة آلاف كالرُّبَةِ ، وقال ابو سعيد : الرُّبْوةُ عشرة آلاف من الرجال ، والجمع الرُّبَى قال العَجّاجُ :

بينـا همـو ينتظـرون المُنْقَضَى   منّـا إذا هُنَّ أراعيـلُ رُبَى

وقال : الأرباءُ الجماعات من الناس .

قال ابن منظور : والرِبىُّ والرَّبَّانىُّ الحَبْرُ ، ورَبُّ العِلْمِ ، وقيل : الرَّبَّانــىُّ الذى يعبد الرَّبَّ ، قال سيبويه : زادوا ألفاً ونوناً فى الرَّبَّانِى ِ اذا أرادوا تخصيصاً بعلم الرَّبِّ دون غيره .

والرِّبىُّ منسوب الى الرَّبِّ والربّانىُّ الموصوف بعلم الربّ ، والرُّبَّةُ الفرقة من الناس ، والجَمْعُ رِبابٌ ، وقال يونس : رَبَّةٌ ورِبَابٌ كجَفْرةٍ وجِفارٍ ، والرَّبَّةُ كالرُّبَّةِ ، والرِّبِّىُّ واحد الرِّبِّيِّنَ ، وهم الألوف من الناس ، والأرِبَّةُ من الجماعات : واحدتها رَبَّةٌ وفى التنزيل العزيز ، « وكأَيِّنْ من نبىٍّ قاتل معه رِبِّيُّونَ كثير » قال الفرّاء : الرِّبِّيُّونَ الألوف ، وقال ابو العباس أحمد بن يحيى : قال الأخفش : الرِبِّيُّونَ منسوبون الى الربِّ قال ابو العباس : ينبغى ان تُفتح الراء على قوله ، قال : وهو على قول الفَرّاءِ من الرَّبَّة ، وهى الجماعة ، وقال الزجّاج : رُبِّيُّون بكسر الراء وضمها ، وهم الجماعة الكثيرة ، وقيل : الرِّبِّيُّونَ العلماء الأتقياء الصُّبُرُ ، وكلا القولين حَسَنٌ جميلٌ ، وقال ابو طالب : الرِّبِّيُّونَ الجماعاتُ الكثيرة الواحدة رِبِّىٌّ ، وقرأ الحَسَنُ رُبِّيُّونَ بضم الراء ، وقرأ ابن عباس : رَبِّيُّونَ بفتح الراء .

قال ابو تراب : وذكرها القرطبى وقال : منسوب الى الربّ وبالكسر قراءة الجمهور ، وقرأ علىٌّ بضمّها .

قال الطبرى : وأمّا الرِّبِّيُّونَ فان أهل العربية اختلفوا فى معناه فقال بعض نَحْوِيِّىْ البصرة : هم الذين يعبدون الرَّبَّ ، واحدهم رِبِّىٌّ ، وقال بعض نحويّىْ الكوفة : لو كانوا منسوبين الى عبادة الرَّبِّ لكانوا رَبِّيُّونَ بفتح الراء ولكنّه : العلماء والألوف .

قال : والرِّبِّيُّونَ عندنا الجماعات الكثيرة ، واحدهم رِبِّىٌّ وهم الجماعة . واختلف أهل التأويل فى معناه فقال بعضهم مثلَ ما قلنا .

ورَوَى الطبرى فى ذلك عن عبد الله بن مسعود قال : هم الألوف الكثيرة وعن ابن عباس قال : هم جموعٌ كثيرة ، وعن ابن عباس ايضاً قال : علماءُ كثيرٌ ، وعن الحسن قال : فقهاءُ علماءُ وعنه ايضاً قال : جموع كثيرة ، ومثله عن قتادة وعكرمة ومجاهد والربيع والسدى والضّحاك وابن اسحاق ، وقال جعفر : علماء صَبَرُوا ، وقال ابن المبارك : اتقياءُ صُبُرٌ وقال آخرون : الرِّبِّيُّونَ الأتباعُ ورَوَى فى ذلك عن ابن زيد .

وقال القرطبى : الرِّبِّيُّون منسوب الى الرُّبَّة بالكسر والضمّ وهى الجماعة الكثيرة وقال أبان بن ثعلب : الرِبّىُّ عشرة آلاف . وقال الخليل : الرِّبّىُّ الواحد من العباد الذين صبروا مع الانبياء ، وهم الرّبانيون نُسِبُوا الى التّألُّهِ والعبادة ومعرفة الربوبية

وقال الراغب فى المفردات : الرِّبّىُّ كالرَّبَّانِى .

قال ابو تراب : اذا كان النَسَب الى معرفة الربوبية فهو من المضاعف ، واذا كان الى الجماعة الكثيرة فهو ايضاً من المضاعف أو من المُعْتَلّ المُحَوَّل منه ، كما قررنا ذلك آنفاً ، والرَبَّانىُّ ايضاً يأتى بمعنى الكثرة ، قال ابو العباس : الرَّبَّانيّون الألوف ، والعلماء .

وقال ابن الأعرابى : الرَّبَّانِىُّ العالم المُعَلِّمُ الذى يَغْذُو الناس بصغار العلوم قبل كبارها ، وقال محمد بن الحَنَفِيَّة لمّا مات ابن عباس : اليوم مات ربّانىٌّ هذه الأمة ، ورُوِى عن علىّ انه قال : الناس ثلاثة : عالمٌ ربّانىٌّ ، ومُتَعَلِّمٌ على سبيل نجاةٍ ، وهَمَجٌ رَعَاعٌ أتباعُ كلِّ ناعقٍ .

وقال ابن الأثير : هو منسوب الى الربِّ وقيل هو من الرَّبِّ بمعنى التربية ، كانوا يُرَبُّونَ المتعلّمين بصغار العلوم قبل كبارها ، والربّانِىُّ العالِمُ الراسخ فى العلم والدين أو الذى يطلب بعِلْمِهِ وَجْهَ الله ، وقيل : العالم العامل المُعَلِّمُ ، وقيل : الرَّبَّانِىُّ العالى الدَّرجةِ فى العلم . قال ابو عُبيد : سمعتُ رجلاً عالِماً بالكُتُب يقول : الرَّبَّانيّونَ العلماء بالحَلالِ والحرام والأمر والنهى ، قال : والأحبار أهل المعرفة بأنباء الأمم ، وبما كان ويكون ، وقال ابو عُبيد : وأَحْسَبُ الكلمة ليست بعربية ، انما هى عِبْرانيّةٌ أو سُرْيَانِيَّةٌ ، وذلك أنّ أبا عبيدة زَعَم ان العرب لا تعرف الربّانيّين ، قال ابو عبيد : وانما عَرَفَها الفقهاء وأهل العلم .

ورُوى عن زِرّ بن عبد الله فى قوله تعالى : « كونوا رَبَّانِيِّينَ » قال : حكماءَ علماءَ وقال غيره : الرَّبَّانِىُّ المُتَأَلِّهُ العارفُ بالله . وكلمةُ الربّ قيلتْ فى الجاهلية قال الحارث بن حِلِّزَةَ :

وهــو الــرَّبُ والشهيــد على يوم الحِيَارَيْــن والبــلاءُ بلاءُ

والاسم الرَّبابَةُ قال :

يا هِنْــدُ أسقــاكِ بلا حِسَابَهْ سُقْيَــا مليــكٍ حَسَــن الرِّبَابَهْ

ويقال : ربٌّ مُشَدَّدٌ ، ورَبٌ مُخَفَّفٌ ، وأنشد المُفَضَّلُ :

وقـد عَلِـمَ الأقــوام أنْ ليس فوقَه رَبٌ غيرُ من يُعْطِى الحُظوظَ و يَرْزُقُ

وشاهد الرَّبيب قول امرىء القيس :

فما قاتلــوا عن ربهــم ورَبِيبِهم ولا آذنــوا جاراً فيَظْعَــنَ سالِماَ

وشاهد الرَّبابة قول علقمة بن عَبَدَةَ :

وكنت آمْرَأً أفْضَــتْ اليـك رِبَابَتِى وقبلك رَبَّتْنِــى فضِعْــتُ رُبُوبُ

ورَبَّ الشيءَ اذا أصْلَحَه ، وأنشد ابن الأنبارى :

يَرُبُّ الــذى يأتــى من العُــرْفِ أنه اذا سُئِــلَ المعــروفَ زاد وتَمَّــماَ

ودارٌ رَبَّةٌ أى ضَخْمةٌ ، قال حسان بن ثابتَ :

وفى كلِّ دارٍ رَبَّــةٍ خَزْرَجِيَةٍ وأوْسِيَّــةٍ لى فى ذُراهــنَ والدُ

ورَبَّبَ تربيباً وتَرِبَّةً ، وفى حديث ابن ذى يَزَنَ : (أُسْدٌ تُرَبِّبُ فى الغَيْضَاتِ أشبالاً)

وشاهد التَرِبَّةِ ما أنشده اللِّحيانِىُّ :

تُرَبِّبُــه من آل دُودانَ شَلَّةٌ تَرِبَّــةَ أُمٍّ لا تُضِيــعُ سِخالَها

وزَعَم ابن دُريد أن (رَبِبْتُه) لغةٌ قال : وكذلك كلُّ طِفْلٍ من الحيوان ، غيرِ الانسان ، وكان يُنشد هذا البيت : (كان لنا وهو فُلُوٌّ نِرْبَبُهْ)

كَسرَ حرف المُضارَعةِ لِيُعْلَمَ أن ثانِىَ الفعل الماضى مكسور كما ذهب اليه سيبويه فى هذا النَّحوْ . قال : وهى لغة هُذيل فى هذا الضَّرْبِ من الفعل .

وشاهد المربوب قول سَلاَمة بن جَنْدَلٍ :

ليس بأسْفَــى ولا أقْنَــى ولا سَغِلٍ يُسْقَى دواءَ قَفِىَ السَّكْنِ مَرْبُوبِ

والأَسْفَى الخفيف الناصية ، والأَقْنَى الذى فى أنفه أحيـدابٌ والسَّغِـل :

المضطرب الخَلْقِ . والسَّكْنُ أهل الدار . والقَفِيُّ ما يُؤْثَرُ به الضيف والصَّبِيُّ .

ورَبَّبَه وتَرَبَّبَهُ بمعنىً قال حسان بن ثابتٍ :

ولأنـت أحســنُ إذْ برزتَ لنا يومَ الخـروج بساحـةِ القَصرْ

من دُرَّةٍ بيضـاءَ صافيةٍ مِمّـا تَرَبَّـبَ حائـرُ البَحْرِ

يعنى الدُرَّة التى يُرَبِّيها الصَّدَفُ فى قَعْرِ الماء والحائرُ مجتمع الماء . والرَّبَبُ ما رَبَّبَهُ الطِّينُ ، وأنشد ثعلب : (فى رَبَبِ الطِّين وماءٍ حائرِ)

وقال ابو عُبيد : الرَّبَابَةُ بالفتح السَّحابة التى قد رَكِبَ بعضُها بَعْضاً ، والجمع رَبابٌ

قال الشاعر :

سَقَى دارَ هندٍ حيث حَلَّ بها النَّوى مُسِفُّ الذُّرَى دانِى الرَّبـابِ ثَخينُ

قال الأصمعيُّ : أحسنُ بيتٍ قالتْه العربُ فى وصف الرَّبـاب قول عبـد الرحمن بن حسّان ، قال ابن بَرّى : ورأيت من يَنْسِبُه لابن جَهْلَمَةَ المازنى :

اذا اللّـه لم يُسْـقِ الاّ الكرام فأسْقَـى وجـوهَ بنـى حَنْبَلِ

أجَشَّ مُلِثّـا غزيـر السحاب هزيـزَ الصَّلاصِـل والأزْمَلِ

تُكَرْكِرُهُ خَضْخَضَـاتُ الجَنوب وتُفْرِغُـه هَزَّةُ الشَّمْأَلِ

كأن الرَّبـابَ دُوَيْـنَ السَّحاب نَعـامُ تَعَلَّـقَ بالأرْجُلِ

والمَرَبُّ الأرضُ التى لا يزال بها ثَرىً ، قال ذو الرُّمَّة :

خَناطيـلُ يَسْتَقرِيْـنَ كُلَّ قرارةٍ مَرَبٍّ نَفَتْ عنهـا الغُثَـاءَ الرَّوائِسُ

ومكانٌ مَربٌّ مَجْمَعٌ يجمعُ الناسَ ، قال ذو الرُّمَّةِ :

بِأَوَّلَ ما هاجَتْ لك الشـوقَ دِمْنَةٌ بأجـرَعَ مِحْـلالٍ مَرَبٍّ مُحَلَّلِ

ورَبَّ بالمكانِ : لزمه ، قال : (رَبَّ بأرضٍ لا تَخَطَّاها الحُمُرْ) ويقال لرئيس الملاّحين رُبَّانِيٌّ ، وأنشد شَمِرٌ : (صَعْلٌ من السَّامِ ورُبَّانِيُّ) وغَنَمٌ رِبابٌ ، قال سيبويه : قالوا : رُبىً ورُبابٌ ، وهو جَمْعٌ نادرٌ

قال الأصمعىّ : أنشدنا مُنْتَجِعُ بن نَبْهانَ : (حنينَ أُمِّ البَوِّ فى رِبَابِها) والمرأة

تَرْتَبُ الشَّعَرَ بالدُّهن ، قال الأعشى :

حُرَّةٌ طَفْلَةُ الأنامل تَرْتَبُ سُخَاماً تَكُفُّه بِخِلالِ

والرَّبوبُ والرَّبيب ابن امرأة الرجل من غيره ، وهو بمعنى مربوبٍ ويقال للرجل نفسِه : رابٌّ ، قال مَعْنُ بن أوسٍ يذكر امرأته وذَكّر أرضاً لها :

فانَ بها جارَيْنِ لن يَغْدِرا بها ربيبَ النبىِّ وابنَ خيرِ الخَلائِفِ

يعنى عُمَرَ بنَ أبى سَلَمةَ ، وهو ابنُ أُمِّ سَلَمَةَ زوجِ النبى ﷺ ، وعاصِمَ ابن عمر بن الخطّاب ، وأبوه أبو سلمةَ وهو ربيبُ النبىِّ ﷺ .

ورُبُّ السَّمْنِ والزَّيْت : ثُفْلُه الأسود ، وأنشد ابن دُريد : (كَشَائِطِ الرُّبِّ عليه الأشْكَلِ) ورَبَبْتُه : دَهَنْتُه وأصلحتُه ، قال عمرو بن شَأْسٍ يخاطب امرأته وكانت تؤذى ابنَه عِراراً :

فانَ عِراراً إنْ يكن غير واضحٍ فانى أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ

فانْ كنتِ منّى أو تُريدين صُحْبَتِى فكونى له كالسَّمْنِ رُبَّ له الأدَمْ

أراد بالأَدَمْ النِّحْىَ ، يقول لزوجته : كونى لولدى عِرارٍ كسَمْنٍ رُبَّ أديمُهُ أى طُلِىَ بِرُبِّ التَّمْرِ ، لأنَ النِّحْىَ اذا أُصلِحَ بالرُّبِّ طابَتْ رائحتُه ، ومَنَع السَّمْنَ من غيرِ ان يَفْسُدَ طَعْمهُ أو ريحُه .

وقوله : (سَلاَّها فى أديمٍ غيرِ مربوبِ) أى غيرِمُصْلَحٍ . والرِّبَابَةُ بالكسر جماعة السِهام للمَيْسِرِ قال أبو ذؤيب يصف الحمارَ وأُتُنَه :

وكأنهن رِبَابَةٌ وكأنه يَسَرٌ يُفيض على القِداحِ ويَصْدَعُ

وقال ابو على الفارسُّى : أَرِبَّةٌ جَمْعُ رِبابٍ ، وهو العهد ، قال ابو ذُؤيب ، يذكر حُمُراً

تَوَصَّلَ بالرُّكْبانِ حيناً وتُؤْلِفُ الجِوارَ ويُعطيها الأمانَ رِبابُها

تُؤْلِفُ الجِوارَ أى تُجاوِرُ فى مكانَيْنِ . والأَرِبَّةُ أهل الميثاق قال ابو ذُؤيبٍ :

كانت أَرِبَّتَهُمْ بَهْزٌ وغَرَّهم عَقْدُ الجِوارِ وكانوا مَعْشراً غُدُراَ

قال ابن بَرّى : بَهْزٌ حَىٌّ من سُلَيْمٍ . والرَّبَبُ الماء الكثير العَذْبُ

قال الراجز : (والبُرَّةَ السَّمْراءَ والماءَ الرَّبَبْ) ورُبَّانُ الشباب أوَّلُه قال ابن أحمر :

وانمـــا العيش بِرُبَّانِهِ وأنـــت من أفْنانِـــهِ مُفْتَقِرْ

وقول الشاعر :

خليـــلُ خَوْدٍ غرهَـــا شَبابُهْ أعْجَبَهـــا إذْ كَبِـــرَتْ رِبَابُهْ

وقالوا : ذَرْهُ بِرُبَّانٍ ، أنشد ثعلب :

فَذَرْهُـــمْ بِرُبَّـــانٍ وإلاّ تَذَرْهُمو يُذِيقُـوكَ ما فيهـم وإنْ كان أكْثَرا

والرِّبَبُ جَمْعُ الرِّبَّةِ ، هو كل ما اخْضَرَّ فى القيظ من النبات قال ذو الرُّمَّةِ يَصِفُ الثورَ الوحشّى :

أمْسَى بِوَهْبِـــيْنَ مجتـــازاً لِمَرْتَعِه من ذى الفوارس يَدْعُو أنْفَه الرِّبَبُ

وفى حديث أبى هريرة : لا يَقُلْ المملوك لسيّدِه : ربّى ، كَرِهَ أن يجعل مالكهَ ربًّا له ، لمشاركة الله فى الربوبية ، فأمّا قوله تعالى : « أُذْكُرْنى عند ربِّك » فانه خاطبهم على المتعارف عندهم ، وعلى ما كانوا يُسمُّونَهم به ، ومنه قولُ السامرىّ : « وانظُرْ الى الهك » أى الذى اتخذته الهاً . فأمّا الحديثُ فى ضالّة الابل : حتى يلقاها رَبهُا ، فانّ البهائم غيرُ مُتَعَبَّدَةٍ ولا مُخاطَبةٍ فهى بمنزلة الأموال التى تجوز إضافة مالكيها اليها ، وجَعْلُهم أرباباً لها ، وفى حديث عمر : رَبُّ الصرُّيمة وربُّ الغُنيمة ، وقوله : « انه ربّى أحسن مثواى » قال الزجّاج : إنّ العزيز صاحبى أحسن مثواى ، ويجوز أن يكون معناه : إنّ الله ربّى أحسن مثواى .

ومن المجاز : فلان ربُّ الدار ، فان الله عز وجل ربُّ الأرباب وله الربوبية وفلانٌ رَبُّ معروفَه قال :

كَلِفٌ بِرَبِّ الحمـــد يَزْعَـــمُ انه لا يُبْتَـــداً عُرْفٌ اذا لم يُتْمِمِ

وفلان تَرَبَّبَهُ ، قال النابغة :

فَبَـــدَدَتْ ترائـــبُ شادنٍ مُتَرَبِّبٍ أحْـــوَى أحَـــمِّ المُقْلَتَـــيْنِ مُقَلَّدِ

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « فمن اضْطُرَّ فى مَخْمَصَةٍ » ؟ قال : مجاعةٍ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

تَبيتـونَ فى المَشْتَـى مِلاءً بُطونُكم وجاراتـكُم غَرْثَـى يَبِتْـنَ خَمَائصا

قال ابو تراب : البيت فى ديوانه (ص ١٠٩) وعيون الأخبار لابن قتيبة (ج ٣ ص ٢٦١) وأمالى القالى (ج ٢ ص١٦٠) وبلوغ الأرب (ج ٣ ص ١٢٩) واستشهد به الطبرى والطبرسى ، ورواه ابو عبيدة فى المجاز (ج ١ ص ٥٣) بلفظ : (وجاراتكُم سُغُبٌ) وقال : أى جياعاً ، وهو فى سمط اللآلى (ص ٧٧٣) والقرطبى ، وشرح المضنون به (٥٤٨) وفى الديوان ايضاً (وجاراتكم جَوْعَى) وهو ايضاً فى المقاييس لابن فارس .

وتفسير المَخْمَصَةِ بالمجاعة فى غريب ابن عزيز (ص ١٩٦) وغريب ابن قتيبة (ص ١٤١) وقال : الخَمْصُ الجوع قال الشاعر ـ قال ابو تراب : يعنى حاتم الطائى كما فى الأغانى (ج ١٦ ص ١٢٢) ونوادر أبى زيد (ص١١١) وطبقات الشعراء (ص ٤٨٣) وأساس البلاغة للزمخشرى .

يَرى الخَمْصَ تعذيباً وإن يَلْقَ شَبْعَةً يَبِتْ قلبُه من قِلَّـةِ الهَـمِّ مُبْهَماَ

وانظر تفسيرها بالمجاعة ايضاً فى المجاز لابى عبيدة (ج ١ ص ١٥٣) ومفردات الراغب وقال : لأنها تورث خَمْصَ البطنِ أى ضموره ، ورجل خامص ضامِر .

وقال الزمخشرى : خَمِصَ بطنُه بثلاث لغات خَمْصاً ، وهو خميص البطن ، وهو خُمصانٌ وهى خُمْصَانَةٌ ، وهو خميصُ البطن من الجوع ، وهم خِماصٌ ، وهن خمائصُ ، وأصابَتْهم مَخمصَة وخَمْصٌ ، وخَمْصَةٌ ، وأنشد بيت حاتم المذكور ، وليس للبِطْنَةِ خيرٌ من خَمْصةٍ تَتْبَعُها .

ومن المجاز : زمن خَميصٌ : ذو مجاعةٍ قال :

كُلُـوا فى بعضِ بَطْنِـكُم تَعِفُّوا فان زمانَـكم زمَـنٌ خَميصُ

وهو خَميص البطن من أموال الناس : عفيفٌ عنها .

وفى الحديث : خِماصُ البطون أى من أموال الناس خِفافُ الظهور أى من دمائهم وكلُّ شيء كرهتَ الدُّنُوَّ منه فقد تخامصتَ عنه ، تقول : مَسِسْتُه بيدى وهى باردةٌ فَتَخَامَصَ عن بَرْدِ يدى ، قال الشمّاخ :

تَخَامَصُ عن بَرْدِ الوشاحِ اذا مَشَتْ تَخَامُصَ جافى الخيلِ فى الأمْعَزِ الوَجِى

وتَخَامَصْ لفلانٍ عن حقّهِ ، وتَجَافَ له عن حقه : أى أعْطِه ، وقد تَخَامَصَ الليلُ : اذا رَقَّتْ ظُلْمَتُهُ عند وقت السَّحَر ، قال الفرزدق :

فما زلتُ حتـى صَعَّدَتْنِـى حبالُها اليهـا وليلى قد تَخَـامَصَ آخِرُهْ

وقال ابن فارس : الخاء والميم والصاد أصل واحد يَدُلُّ على الضُّمْر والتَّطَامُنِ ، فالخَميصُ الضامر البطن ، وامرأة خُمصانةٌ : دقيقة الخَصرْ ، ويقال لباطن القدم الأخْمَصُ ، وهو قياس الباب لأنه تَدَاخَلَ ، ومن الباب المَخْمَصَةُ ، وهى المجاعة لأن الجائع ضامِرُ البطن ، ويقال للجائع : الخَميصُ ، وامرأة خَميصةٌ ، وأنشد بيت الأعشى المذكور .

فأمّا الخَميصةُ فالكِساءُ الأسود ، وبها شَبَّه الأعشى شَعْر المرأة :

اذا جُرِدَتْ يومـاً حَسِبْـتَ خميصةً عليهـا وجِرْيـالَ النَضـيرِ الدُّلامِصَا

فانْ قيل : فأين قياس هذا الباب ؟ فالجوابُ أنّا نقول على حَدِّ الامكان والاحتمال : إنّه يجوز أن يُسَمَّى خميصةً لأن الانسان يَشتمل بها فيكون عند أخْمَصِه ، يريد به وَسْطَه ، فان كان ذلك صحيحاً وإلاّ عُدَّ فيما شَذَّ عن الأصل .

وروى ابن جرير تفسير المخمصة بالمجاعة عن ابن عباس وقتادة والسُدِّيِ وابن زيد ، وقال ابن جرير : هى مَفْعَلَةٌ مثل المَبْخَلَةِ والمَجْبَنَةِ من خَمَصِ البطن ،

وهو اَضْطِمارُهُ ، وأظنُّه هو فى هذا الموضع مَعْنِىٌّ به : اَضْطِمارُهُ من الجوع والسَّغَبِ ، وقد يكون فى غير هذا الموضع اَضطماراً من غير الجوع ، والسَّغَب ، ولكن من خِلْقَةٍ كما قال نابغة بنى ذُبْيَانَ فى صفة امرأة بخَمَصِ البطن :

والبَطْنُ ذو عُكَنٍ خميصٌ لَيِّنٌ والنَّحْرُ تَنْفُجُه بِثَدْىٍ مُقْعَدِ

قال الطبرى : فمعلوم ان النابغة لم يُرِدْ صِفَتَها بقوله : « خميصٌ » بالهُزال والضرِّ من الجوع ، ولكنه أراد وَصْفَها بِلَطافة طَىِّ ما على الأوراك ولكن الذى فى معنى الوصف بالاضطمار والهُزال هو قول الاعشى فذكر البيت المتقدم .

قال : وكان بعض نَحْوِيِّى البصرة يقول : المَخْمصةُ المصدر من خَمَصَه الجوع ، وكان غيره من أهل العربية يَرى انها اسم للمصدر وليست بمصدر ، ولذلك تَقعُ المَفْعَلَةُ اسماً فى المصادر للتأنيث والتذكير .

وفى اللسان : حكى ابن الأعرابى : امرأةٌ خَمْصَى وأنْشَد للأصَمِّ الدُّبيرى

لكنْ فتاةٌ طِفْلَةٌ خَمْصَى الحَشَا مثلُ المَهاةِ خَذَلَتْ عن المَهَا

والمِخْماصُ كالخَميص ، قال أمية بن أبى عائذٍ :

أو مُغْزِلٌ بالخَلِّ أو بِجُلَيَّةٍ تَقْرُو السلامَ بِشَأْدِنٍ مِخْماصِ

قال ابن منظور : الخَمْصانُ والخُمصانُ : الجائع الضامر البطن ، الأُنثى خَمْصانةٌ وخُمصانةٌ ، وجمعها خِماصٌ ، ولم يجمعوه بالواو والنون وإنْ دخلت الهاء فى مؤنَّثِهِ حَمْلاً له على فَعْلاَنَ الذى أُنثاه فَعْلَى ، لأنه مثلُه فى العِدَّة والحركة والسكون .

وفى حديث جابر : رأيت بالنبى ﷺ خَمْصاً شديداً ، وفى الحديث ايضاً : كالطير تغدو خِماصاً وتروح بِطاناً ، أى تغدو بُكْرَةً وهى جياعٌ وتروح عشاءً وهى ممتلئة الأجواف .

وقال ثعلب : سألت ابن الأعرابى عن قول علىٍّ : كان رسول الله ﷺ خُمْصَانَ الأَخْمَصَيْنِ فقال : اذا كان خَمَصُ الأخْمَصِ بقَدْرٍ لم يرتفع جِداً ولم يَسْتَوِ

أسفلُ القَدَمِ جدًّا فهو أحسن ما يكون ، فاذا استوى أو ارتفع جدًّا فهو ذَمٌ ، فيكون المعنى أن أخْمَصَه مُعتدِلُ الخَمَصِ .

وفى الحديث : جئت اليه وعليه خميصةٌ ، وقد تكرّر ذِكْرُها فى الأحاديث ، وهى ثوبُ خَزٍّ أو صُوفٍ مُعْلَمٌ ، وقيل : لا تكون خميصةٌ الاّ أن تكون سوداء مُعْلَمَةً ، وكانت من لباس الناس قديماً ، وجمعها الخمائص . وقيل : الخمائص ثيابٌ من خَزٍّ ثِخانٌ سودٌ وحُمْرٌ ، ولها أعلامٌ ثخانٌ ايضاً .

* * *

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرنى عن قوله تعالى : « وَلْيَقْتَرِفُوا ما هم مُقْتَرِفون » ؟ قال : لِيَكْتَسِبُوا ما هم مُكْتَسِبون ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول لبيد :

وإنّــى لآتٍ ما أتيــت وإنّنى ‌ ‌ ‌ لِمَا اَقْتَرَفَـتْ نفسى علىَ لَراهبُ

قال ابو تراب : البيت فى ديوانه (ق ٢ ص ٤٩) .

وقال الفرّاء فى المعانى (ج ١ ص ٣٥١) : الاقتراف الكَسْـبُ ، تقـول العرب : خرج فلانٌ يَقْتَرِفُ أهلَه .

وقال ابو عبيدة فى المجاز (ج ١ ص ٢٠٥) : مجاز الاقتراف القِرْفَةُ والتُهمة والادّعاءُ ، ويقال : بئسما اَقترفتَ لنفسك ، قال رؤبة :

أَعْيَـا اَقتـراف الـكَذِب المقروفِ ‌ ‌ ‌ تَقْـوَى التقــىَ وعِفَّــةُ العفيفِ

يقال : أنت قِرْفَتِى ، وقارفتُ الأمر أى واقعتُه .

قال ابو تراب : الشاهد ليس فى ديوان رؤبة ، وهو فى تفسـير الطبـرى والقرطبى .

وقال ابن قتيبة فى الغريب (١٥٨) : « ولْيَقْتَرِفُوا » أى لِيَكْتَسِبُوا وَلْيَدَّعُوا ما هم مُدَّعُونَ .

وقال الراغب فى المفردات : أصل القَرْفِ والاقتراف قَشْرُ اللِّحاءِ عن الشجر ، والجِلْدةِ عن الجُرْحِ ، وما يُؤخذ منه قِرْفٌ ، واستُعير الاقترافُ للاكتساب حَسَناً كان أو سوءاً ، قال : « سيُجْزَونَ بما كانوا يقترفون » « ولْيَقْتَرِفُوا ما هم مقترفون » والاقتراف فى الاساءة أكثر استعمالا ، ولهذا يقال : الاعترافُ يزيل الاقتراف ، وقَرَفْتُ فلاناً بكذا اذا عِبْتَه به ، أو اتَّهَمْتَه ، وقد حُمِل على ذلك قولُه : « وليقترفوا ما هم مقترفون » وفلانٌ قَرَفَنِى ، ورجلٌ مُقْرِفٌ هَجينٌ ، وقارف فلانٌ أمْراً : اذا تَعاطَى ما يُعابُ به .

وقال الزمخشرى فى الأساس : قرفتُ القَرْحَةَ ، وقَرَفتُ الجُلْبَةَ منها ، وقَشَرْتُ قِرْفَ القَرْحَةِ والشجرة ، وهذا قِرْفُ الرُمَّانِ والخُبْز وقُروفُه ، وتداوى بالقِرْفَةِ وهى قِشْرُ شجرة يُتداوى به ، وفلانٌ يقترف لعياله : يَكتسب واقترف الاثمَ ، وقارف الخطيئةَ ؛ خالَطَها ، وهل قارفتُ ذنباً ، وقارف امرأتَه ، ولا تُكْثِرْ من القِرافِ ، وهو يُقْتَرفُ بكذا : يُتَّهَمُ به ، وهو مقروف به وقَرَفَنى فلانٌ : وَقَع فىَّ ، قال :

اذا ما الحاسدون سَعَوْا فَشَنُّوا فكم يَبْقَى على القَرَفِ الاخاءُ

وقُرِفَ على فلانٍ : جُنِىَ عليه ، وهم أهل قِرْفَتِى : أى تُهمتى ، وعندهم قِرْفَتِى ، وهو وهم قِرْفَتِى أى الذين أَتَّهِمُهم ، وسَلْ بنى فلانٍ عن ضَالَّتِك فانهم قِرْفَةٌ ، قال الأعشى :

ولسنا لِباغِى المُهْمَلاتِ بِقِرْفَةٍ اذا ما طَهَى بالليل منتشراتُها

واحْذَرِ القَرَفَ على غَنَمِك : أى الوباء .

وفى الحديث : انهم شكوا اليه الوباءَ فقال : تَحَوَّلُوا فانّ من القَرَفِ التَلَف

ويقال : أحمر كالقِرْفِ وهو صِبْغٌ أحْمَرُ ، وأحْمَرُ قَرْفٌ : وقُرْقِفَ الصرِّدُ وتَقَرْقَفَ : أُرْعِدَ ، قال :

نِعْمَ ضجيعُ الفتى اذا بَرَد الليل سُحيراً وقُرْقِفَ الصرِّدُ

وفى أحاجيهم : ما أبْيَضُ قُرْقُوفْ ، ولا شَعْر ولا صُوفْ ، فى كل بَلَدٍ يطوفْ : يَعْنُون الدرهمَ ، الجَوّالُ ، ودِيْكٌ قُراقِفٌ شديدُ الصوتِ ، وقعدوا القُرْفُصاءَ ، وهى

قِعْدَةُ المُحْتَبى ، وطيبٌ مُقَرْفَلٌ : جُعِلَ فيه القَرَنْفُلُ .

ومن المجاز : هذا عليه قِرْفُ العِضاهِ ، أىْ هَيِّنٌ كأنّه قِشْرُ لِحاءِ العِضاهِ ، وفى حديث ابن الزبير : ما على أحدكم اذا أتى المسجد أن يخرج قِرْفَةَ أنْفِه ، أى يُنَقِّى أنْفَه مّما لَزِق به من المُخاط ، وقد اقترف فلانٌ مَرَضَ آل فلانٍ ، وقد أقرفوه إقرافاً ، وهو أن يأتيهم وهم مَرْضَى فيُصيبَهُ ذلك ، وهو مُقْرَفٌ ، ومنه فَرَسٌ مُقْرَفٌ ، وخيلٌ مَقَارِفُ ومَقاريفُ ، وأُقْرِفَ : أُدْنِىَ للهُجْنَةِ ، ويقال : الاقرافُ من جهة الأب ، وقال :

فانْ نُتِجَتْ مُهْراً كريماً فبالْحَرَى ... وإنْ يكُ إقرافٌ فمن قِبَلِ الفَحْلِ

وقيل : هو مُقْرِفٌ بالكسر ، وقد أَقْرَفَ الهُجْنَةَ وقارفها : قاربَها وخالطها .

وقال ابن فارس فى المقاييس : القاف والراء والفاء أصل صحيح يدلُّ على مُخالطة الشيء والالتباس به ، وادّراعِه ، وأصل ذلك القَرْفُ ، وهو كلُّ قِشرٍ ، ومنه قِرْفُ الخُبْزِ ، وسُمِّى قِرْفاً وقَرْفاً لأنه لباسُ ما عليه .

ومن الباب القَرْفُ : شىء يُعملُ من جلودٍ يُعملُ فيه الخَلْعُ ، والخلعُ أن يؤخذ اللَّحْمُ فيُطبَخ ، ويُجْعَلَ فيه توابلُ ، ثم يُفرغ فى هذا الخَلْع وقال :

وذُبْيانِيَّةٍ وَصَّتْ بَنِيها ... بأنْ كَذَبَ القَراطفُ والقُروفُ

قال ابو تراب : البيت لمُعَقِّرِ بنِ حِمارِ البارقىّ كما فى إصلاح المنطق لابن السكيت (ص ٣٢٤)

قال : ومن الباب : اقترفت الشىء : اكتسبتُه ، وكأنه لا بَسَه ، وادّرَعَهُ ، وكذلك قولهم : فلانٌ يُقْرَفُ بكذا ، أى يُرْمَى به ، ويقال للذى يُتَّهَمُ بالأمر : القِرْفَةُ ، يقول الرجل اذا ضاع له شىء : فلانٌ قِرْفَتِى : أى الذى أَتَّهِمُه ، كأنه قد أَلْبَسَه الظِّنَّةَ ، وبنو فلانٍ قِرْفَتِى ، أى الذين عندهم أظنّ طِلْبَتى وبُغيتى ، ويقولون : سَلْ بَنِى فلانٍ عن ناقتك فانهم قِرْفَةٌ أى تجِدُ خَبَرَها عندهم . وقياسُه ما ذكرناه .

والفَرَسُ المُقرِفُ المُداني الهُجْنَةِ ، يقولون : ان المُقْرِفَ : الذى أبوه هجينٌ ، وأمُه عَربيّةٌ ، قال الشاعر : ـ قال ابو تراب : هو حميدة بنت النعمان بن بشير زوج رَوْحِ بن زِنْبَاعٍ كما فى الأغانى (ج ١٤ ص ١٢٥) وتنبيه البكرى (ص ٣١) وفى اللسان : انها هند بنت النعمان بن بشير : ـ

فانْ نُتِجَتْ مُهْراً كريماً فبِالْحَرَىٰ وإنْ يك إقرافٌ فما أنْجَب الفَحْلُ

قال ابو تراب : وهذه هى الرواية الصحيحة للبيت وهى عند البكرى ، والنَّصُ المتقدّم فيه إقواء لأن قبل البيت :

ومـا هِنْـدُ الاَ مُهْـرةٌ عربيّةٌ سليلـةُ أفـراسٍ تَجَلَّلهـا بَغْلُ

وروى الطبرى عن السُدّى فى تفسير « وليقترفوا ما هم مقترفون » قال : ليعملوا ما هم عاملون ، وعن ابن زيد مثله ، وعن ابن عباس : وليكتسبوا ما هم مكتسبون .

وقال الطبرى : حُكى عن العرب سماعاً منها « خرج يقترف لأهله » بمعنى يكسب لهم ، ومنه قيل : « قارف فلانٌ هذا الأمر » اذا واقعه وعمله .

ثم نقل ابن جرير كلام أبى عبيدة الذى قدّمناه بلفظِ « قال بعضهم »

وقال فى اللسان : قَرَفَ القَرْحَةَ فَتَقَرَّفَتْ : أى قَشرَها ، وذلك اذا يَبِسَتْ ، قال عنترة :

عُلاَلَتُنـا فى كلِّ يوم كريهةٍ بأسيافِنـا والقَـرْحُ لم يَتَقَرَّفِ

والعربُ تقول : أحمر كالقَرْفِ قال : (أحمر كالقَرْفِ وأحْوَى أدْعَجُ) وقوله : أنشده ابن الأعرابى : (اقتربوا قِرْفَ القِمَعْ) يعنى بالقِمَعِ قِمَعَ الوَطْب الذى يُصَبُّ فيه اللَّبَنُ ، وقِرْفُه ما يَلْزَقُ به من وَسَخ اللبن فأراد أنّ هؤلاء المخاطبين أوساخٌ ، ونَصبَه على النداء أى « يا قِرْفَ القِمَعْ » ورجلٌ قَرَفٌ من كذا وبكذا أى قَمِنٌ ، قال :

والمرء ما دامـتْ حُشَاشَتُه قَرَفٌ من الحِدْثـانِ والألَمِ

ولا تكون المقارفة الاّ فى الاشياء الدَّنِيَّةِ ، قال طَرَفَةُ :

وقِــرافُ مَنْ لا يَسْتَفيــقُ دَعَارةً   يُعْدِى كما يُعْدِى الصحيحَ الأَجْرَبُ

وقال أوس بن حَجَر ـ قال ابو تراب ؛ ونُسب فى اللسان هكذا صحيحاً فى مادة (سَفْسَرَ) و (نَمَّ) ونسب الى النابغة فيه غلطاً فى (القَرَف)

وقارفَتْ وهــى لم تَجْـرَبْ وبــاعَ لها   من الفَصَـافِصِ بالنُّمِّــىِّ سِفْسِيرُ

أى قاربتْ أن تَجْرَبَ . وشاهد أَقْرَفَ له أى داناه قول ذى الرُّمَّة :

نَتــوجُ ولــم تُقْــرِفْ لِمَا يُمْتَنَــى له   اذا نُتجـتْ ماتــتْ وحَــىَّ سَليلُها

لم تُقْرِفْ لم تُدانِ ما له مُنْيَةٌ . والمُنْيَةُ انتظارُ لَقْحِ الناقة من سبعة أيام الى خمسة عشر يوماً . ووَجْهٌ مُقْرِفٌ غيرُ حَسَنٍ . قال ذو الرُّمَّة :

تُريــك سُنَّــةَ وَجْــهٍ غــيرَ مُقْرِفةٍ   مَلْسَــاءَ ليس بهــا خالٌ ولا نَدَبُ

وفى الحديث عن عائشة : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : انّى رجلٌ مِقْرافٌ للذنوب أى كثير المباشرة لها . وفى حديث عبد الله بن حُذافة قالت له أُمُّه : أَمِنْتَ ان تكون أُمُّك قارفَتْ بعضَ ما يُقارف أهل الجاهلية .

وعن عائشة : إنْ كان النبى ﷺ لَيُصبح جُنُباً من قِرافٍ غير آحتلامٍ ثم يصوم ، أى من جماعٍ . وفى الحديث ايضاً : انه ﷺ كان لا يأخذ بالقَرَفِ أى التُهمَةِ . وفى حديث عمر قال له رجل من البادية : مَتى تَحِلُّ لنا الميتةُ ؟ قال : اذا وجدتَ قِرْفَ الأرض فلا تقربْها . أراد ما تقترف من بَقْلِ الأرض وعروقه أى تقتلع .

قال ابو تراب : وبهذا تمّت اسئلة نافع بن الأزرق التى ساقها السيوطى فى الاتقان . قال : وقد حذفت منها يسيراً نحو بضعة عشر سؤالا . وهى اسئلة مشهورة أخرج الائمة أفراداً منها بأسانيد مختلفة الى ابن عباس .

قال ابو تراب : وهى مبثوثة فى كتب التفسير التى تُعْنى بالآثار كالبحر والدرّ وجامع الأحكام وجامع البيان وغيرها وأخرج ابو بكر ابن الأنبارى فى كتاب الوقف والابتداء منها قطعة قال :

حدثنا بشر بن أنس قال أنبأنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال أخبرنا ابو صالح هُدْبَةُ بن مجاهد قال أخبرنا مجاهد بن شجاع قال أخبرنا محمد بن زياد اليشكرى عن ميمون بن مهران قال : دخل نافع بن الأزرق المسجد ..... فذكره .

وأخرج الطبرانى فى معجمه الكبير منها قطعةً من طريق جُويبر عن الضحاك بن مزاحم قال : خرج نافع بن الأزرق ..... فذكره .

قال ابو تراب : وهذا آخر ما تَيَسَّرَ لى جَمْعُه مما عَلَّقْتُ به على اسئلة نافع بن الأزرق ، لنفسى ولِمَنْ رام الانتفاع به ، وجعلته شَرْحاً لها ، وبه تَمَّ هذا الجزء من كتابنا « شواهد القرآن » وهو كالمقدَمة لِمَا يتلوه إنْ شاء الله من ذكر كلمات القرآن المجيد ، وتوضيحها بشواهد الشعر وكلام العرب فى الاجزاء اللاحقة ، وبالله المستعان وهو ولىّ التوفيق .

وكتب

ابو تراب الظاهرى

عفا الله عنه

فهرســة استدراكات المؤلّف على الآخريـن

الصفحة	الاستدراك

الصفحة	الاستدراك
٣٩٦	استدراك على الزمخشرى
٣٩٧	الردّ على محمد فؤاد عبد الباقى والاستاذ محمود شاكر
٣٩٧	تخطئة نسخة السيد احمد صقر من الغريب
٤٠١	تخطئة تشكيل الغريب ايضاً ، وتعليقة
٤٠٢	تخطئة تشكيل المفردات بتحقيق الكيلانى وتعليقة
٤٠٦	قصور عبد السلام هارون
٤٠٧	استدراك على اللسان
٤٠٩	استدراك على الدامغانى
٤١١	تعليقة
٤١٢	تكملة شواهد الراغب
٤١٥	غفلة أعضاء المجمع اللغوى المحققين للسان
٤١٩	استدراك على ابن الجوزى والدامغانى
٤٢٠	تعليقة واستدراك على ابن سلام
٤٢٠	تخطئة تشكيل محققة الكيلانى من المفردات
٤٢١	تعليقة
٤٢٧	استدراك على ابن الجوزى
٤٢٩	استدراك على ابن سلاّم
٤٣١	استدراك على محمد فؤاد عبد الباقى
٤٣٢	خطأ تشكيل اللسان فى الطبعة الأولى والأخيرة وتشكيل المفردات .
٤٣٣	تعليقة
٤٣٦	غفلة محمد فؤاد عبد الباقى
٤٣٨	استدراك على ابن الجوزى والدامغانى
٤٤٣	تعليقة

الصفحة	الاستدراك
٤٤٤	الرد على الدامغانى
٤٤٦	من أخطاء التشكيل فى المفردات بتحقيق الكيلانى
٤٥٤	الانتصار للدامغانى
٤٥٨	تعليقة
٤٧٢	من اخطاء تشكيل الغريب لابن قتيبة
٤٧٣	تعقب الراغب الاصفهانى
٤٧٤	استدراك على كتب الأضداد
٤٨١	استدراك على كتب الأضداد
٤٨٣	تعليقة
٤٩٨	من اخطاء تشكيل المجاز بتحقيق سزكين ، واستدراك على محمد فؤاد عبد الباقى
٤٩٨	استدراك على ابن الجوزى والدامغانى
٥٠٣	استدراك على السجستانى
٥٠٧	تعليق على اللسان
٥٠٨	استدراك على ابن الجوزى والدامغانى
٥١٧	استدراك على ابن الجوزى والدامغانى
٥١٨	قصور احمد عطار فى تحقيق الصحاح
٥١٨	استدراك على الحلبى
٥٢٤	استدراك على عبد السلام هارون
٥٢٥	استدراك على أبى الطيب وإكماله
٥٢٧	استدراك على ابن الجوزى
٥٣١	تعليقة ، واستدراك على ابن سلاّم
٥٣٦	من أخطاء تشكيل المقاييس
٥٣٦	استدراك على أبى الطيب وإكماله

الصفحة	الاستدراك
٥٣٨	استدراك على أبى الطيب وإكماله
٥٣٩	تعليقة
٥٤٣	استدراك على ابن سلاّم
٥٤٤	استدراك على ابى الطيب اللغوى
٥٤٦	تعليقة
٥٤٩	استدراك على الزمخشرى
٥٤٩	استدراك على الزمخشرى
٥٥٣	استدراك على ابن الجوزى والدامغانى
٥٥٥	استدراك على ابن الجوزى والدامغانى
٥٦٠	استدراك على ابن سلاّم
٥٦٤	تخطئة المطبوعة الهندية والمصرية من الفائق
٥٦٧	استدراك على الشيخ نجاتى والنجار
٥٦٨	تعليقة
٥٧٠	استدراك على ابن الجوزى والدامغانى
٥٧١	استدراك على الاستاذ محمود شاكر
٥٧٣	استدراك على الميدانى
٥٧٥	استدراك على الاستاذ محمود شاكر
٥٧٦	تعليقة وفيها استدراك على ابن فارس
٥٧٧	تعليقة وفيها استدراك على ابن فارس
٥٧٩	استدراك على الراغب الاصفهانى
٥٨٠	تصحيف فى نسخ الاتقان
٥٨٥	تصحيف فى نسخ الاتقان
٥٨٦	تعليق
٥٨٦	تعليق

الصفحة	الاستدراك
٥٩٠	من اخطاء مطبوعة غريب السجستانى
٥٩١	تخطئة محمد سيد كيلانى
٥٩٢	تعليقة
٥٩٢	تعليقة
٥٩٤	تعليقة
٥٩٧	استدراك على ابن فارس
٦٠٣	تنبيه
٦٠٦	تعليقة
٦٠٦	تعليقة
٦٠٩	استدراك على ابن الجوزى والدامغانى
٦١٠	تعليقة
٦١٢ و ٦١٣	تعليقة مفيدة ـ واستدراك على الفيروز ابادى
٦١٨	رد الجواليقى وانتصار لليث
٦٢٠	استدراك على ابن الجوزى والدامغانى
٦٧٥	استدراك على ابن الأنبارى
٦٤١ و ٦٨٨	تعليقة وتخطئة تشكيل نسخة المجاز لسزكَين
٦٨٩	استدراك على الاستاذ محمود شاكر
٦٤٢	استدراك على ابن الجوزى
٧٢٥	غفلة محمد فؤاد عبد الباقى
٦٤٨ و ٦٩٢	استدراك على الدامغانى وإعذار ابن الجوزى
٧١٧	حلّ مشكل
٦٢٩ و ٦٥٦	استدراك على ابن الجوزى والدامغانى
٧٢٣ و ٧٣٢ و ٧٤٥	استدراك على الدامغانى واعذار ابن الجوزى
٦٣٢	استدراك على الراغب

الصفحة	الاستدراك
٧٠٣	استدراك على محمد فؤاد عبد الباقى
٧١٣	استدراك على الدامغانى
٧١٨	تعليقة
٧٣٨	فطنة الدامغانى
٦٥٣	تعليق
٧٤٠	استدراك على كتب الأضداد
٧٢٨	تعليق
٧٣٠	تعليق
٧٣١	تعليق
٧٤٨	تعليق
٧٥٣	تعليق

فهرســـــة مـوادّ الكتـاب

من إصدارات النادى الأدبى الثقافى بجدة

● قمم الأولمب « شعر » للأستاذ : محمد حسن عواد ــ طبع
● الساحر العظيم « شعر » للأستاذ : محمد حسن عواد ــ طبع .
● عكاظ الجديدة « شعر » للأستاذ : محمد حسن عواد ــ طبع .
● الشاطىء والسراة « شعر » للأستاذ : محمود عارف ــ طبع .
● من شعر الثورة الفلسطينية « شعر » للأستاذ : احمد يوسف الريماوى ــ طبع .
● انين وحنين « شعر شعبى » للأستاذ : الشريف منصور بن سلطان ــ طبع
● محرر الرقيق « سليمان عبدالملك » « دراسة » محمد حسن عواد ــ طبع .
● من وحى الرسالة الخالدة « اسلاميات » محمد على قدس ــ طبع
● المنتجع الفسيح « آداب وعلوم » للأستاذ محمد حسن عواد ــ طبع .
● طبيب العائلة د . حسن يوسف نصيف ــ طبع .
● مذكرات طالب (طــ ٣) د . حسن يوسف نصيف ــ طبع .
● شمعة على الدرب « نثر » للدكتور عارف قياسة ــ طبع .
● أطياف العذارى « شعر » للشاعر مطلق الذيابى ــ طبع
● كبوات اليراع « تصويبات لغوية » للشيخ ابى تراب الظاهرى ــ طبع .

● عندما يورق الصخر « شعر » للأستاذ ياسر فتوى – طبع .

● ورد وشوك « مطالعات » للأستاذ حسن عبدالله القرشي – طبع .

● في معترك الحياة « مجموعة آراء » للأستاذ عبدالفتاح ابو مدين – طبع .

● الوجيز في المبادىء السياسية في الاسلام « نظرات اسلامية » سعد ابو جيب – طبع .

● أوهام الكتاب « تعقبات مختلفة » للشيخ ابى تراب الظاهرى – طبع .

● على احمد باكثير « حياته .. شعره الوطني والاسلامي » – دراسة للدكتور احمد عبدالله السومحى – طبع .

● نغم وألم – شعر – الشريف منصور بن سلطان – طبع.

● الكلب والحضارة « قصص من البيئة » للأستاذ عاشق الهذال – طبع .

● شعر ابى تمام – رسالة جامعية – للأستاذ سعيد السريحى .. طبع

● التشكيل الصوتي في اللغة العربية – دراسة – للدكتور سلمان العاني .. تحت الطبع

● أريد عمرا رائعا – شعر – للشاعر عبدالله جبر .. تحت الطبع .

● ترانيم الليل – المجموعة الشعرية الكاملة – للشاعر محمود عارف .. تحت الطبع .

● المجموعة الشعرية الكاملة – للشاعر محمد ابراهيم جدع .. تحت الطبع .

● من أدب جنوب الجزيرة ـ دراسة ـ للأستاذ محمد بن احمد عيسى العقيلي .. تحت الطبع .

● غناء الشادى ـ شعر ـ للشاعر المرحوم مطلق الذيابى .. تحت الطبع .

● الشمشاطي وتحقيق كتابه الأنوار ومحاسن الأشعار ـ رسالة دكتوراه .. للدكتور عبدالمحسن القحطانى .. تحت الطبع .

● الذيابى تاريخ وذكريات تأليف « الشريف منصور بن سلطان » تحت الطبع .

○○○○


دار
للطباعة والنشر
جدة

نادر في الزمان !

بقلم فضيلة الشيخ عبدالله خياط
خطيب المسجد الحرام

كم فى الزمان من نوادر ، ولستُ أعني نوادر الاشياء ، أو نوادر الحوادث ، أو نوادر التُحف ، أو غير ذلك مما يُطلق عليه نادر ، ولكنى أعنى النادرَ من الرجال فى زمنٍ قلَّ فيه النوادر الأفذاذ الذين يرسمون الطريق فيدلُجُ السارى على ما يرسمون ، فان كان من المُتديّنينَ وجد الطريق أمامه مُمهّداً ، وإن كان من المتأدّبين أو أرباب الاختصاص فى نوادر العلوم والفنون حَظِى بضالّتِه .

بعد هذه الفَذْلكةِ أو المقدّمة أشير الى النادر الذى أعنيه ، والفقيه الذى يدور حديثى عنه ، والأديب الذى بَرَع فى أدبه من طرازٍ آخر غيرِ ما عهده الناسُ وأصطحبوه من أدبٍ عصرىٍ .

انه الاستاذ (ابو تراب الظاهرى) عفا الله عنه

نادر فى علمه وأدبه وأسلوبه ، كأنك إذْ تسير أشواطاً فى كتبه تسير مع أصْحاب المعلّقات السبع أو العشر ، أو المُجلّين فى عُمق التعبير وبراعة التصوير .

ولست أستطيع وإن حاولت أن أزيد على وصفه أو أرتفع بمكانته أكثر مما ارتفع به مَنْ كتب عنه من الأدباء الاّ أنى عهدتُ فى أبى تراب انه إلى جانب ما وصفوه - محدّث بارعٌ فى علم الحديث أشْبَهُ بوالده يرحمه الله الشيخ عبد الحق الذى شَغَل أمداً طويلاً وظيفة التدريس فى الحديث بالمسجد الحرام ولعلّه وَحده - أعنى أبا تراب - من بين إخوته الذى نهج هذا المنهج وبرّز فيه .

وحسبى شهادةُ فطاحل الادباء يدخل فيها كلُّ ما اجتمع فى أبى تراب من مواهبَ قلَّ أن تجتمع فى رجلٍ الاّ كان مُجلّياً فى سَبْقه .

نعود فنشدّ على يد الاستاذ أبى تراب راجين ان يُتحفَ القرّاء لآثاره بأمثال كتبه النادرة الراشدة السديدة[١] ، والله الموفق .

(١) نشرت فى جريدة « الندوة » فى ١٤٠٣/٤/٦ هـ


من إصدارات نادي جدة الأدبي الثقافي

مطابع دار البلاد – جدة

السعر ٤٠ ريال